دكتور/ علاء الدين عبد الغفار

حركات التمرد في التاريخ الإسلامي



مصر العربية للنشر والتوزيع

حركـات التمـرد والعصـيان في التاريخ الإسلامي

العنوان

حركات التمـــرد والعصـــيان

المؤلف

د/ عـــلاء الدين عبد الغفار

الطبعة

الأولى ٢٠١١

الناشر

مصر العربية للنشر والتوزيع

١٩ ش إسلام- حمامات القبة- الزيتون- القاهرة

تليفاكس ٢٢٥٦٢٢٦٨ ت ٢٤٥٠٠٥٨٦٣

رقم الإيداع

٢٠١٠/١٤١١٠

I. S. B. N
978-977-428-013-9

البريد الإلكتروني

masrelarabia@hotmail.com

الغلاف

وائل صلاح

تنفيذ داخلي

مها عصـمت

طباعة داخلي

مطبعة الحمد ٠١٢١٣٣٥٣٩٠

بطاقة الفهرسة



حسن، علاء الدين عبد الغفار منصور.
حركات التمرد والعصيان في التاريخ الإسلامي . ط١. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
ص، سم
تدمك ٩ ٠١٣ ٤٢٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الدولة الأموية – عصر الضعف(٧٢٠-٧٥٠م)
أ- الدولة العباسية – سقوط(١٢٥٨)
٩٥٣،٠٣٩٣
رقم الإيداع/ ١٤١١٠ التاريخ: ٢٠١٠/٦/٢٨

حركـــات التمـــرد والعصـــيان في التاريخ الإسلامي

منذ قيام الدولة الأموية حتى نهاية العصر العباسي الأول

(٤١ - ٢٣٢هـ/ ٦٦١ - ٨٤٧م)

د/ علاء الدين عبد الغفار



مصر العربية للنشر والتوزيع

٢٠١١

إهداء

إلى كل مؤمن مجتهد غيور مصلح، يحاول أن يعيد للتاريخ الإسلامي دوره الفعّال كمرجع تال للقرآن والسنة يرجع إليه المسلمون في إصلاح الأمة وتربية النشء؛ كي تقف هذه الأمة العظيمة في مكانها الصحيح، أمام قدرها الذي قدّره الله لها تؤدي دورها الصحيح للإصلاح والتغيير.

"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [آل عمران: ١١٠].

ذلك حتى تنهض هذه الأمة بواجبها نحو هذه البشرية التائهة.

إلـــى هـــؤلاء

المؤمنـــين المجتـــهدين

الغـــيورين المصـــلحـــين

إليهم جميعا أهدي بحثي.

الباحث

شكر وتقدير

إنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل:

- إلى من جعلهما الله سببا في وجودي في هذه الحياة... والديّ - أكرمهما الله أحياءً وأمواتا.
- إلى إخوتي عُصبتي وعوني وسندي - وفّقهم الله إلى كل خير.
- إلى من بذلت وسهرت بجانبي وأعطت الكثير... زوجتي - وفّقها الله وأعانها.
- إلى ثمرات فؤادي الذين تحملوا معي الكثير.. أولادي - أصلحهم الله وحفظهم.
- إلى أحبابي الذين إن لم أكن بهم فلن أكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا بي كانوا بغيري.
- إلى أساتذتي الأجلاء الذين ما بخلوا عليّ بأي مدد وتوجيه ونصح وإرشاد ومنذ أن كان هذا البحث مجرد فكرة إلى أن فرغت بفضل الله من إعداده، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور السيد أبو العزم داود، والدكتور أحمد ناصف، والأستاذ الدكتور محمد أبو الفضل وإنني مهما شكرتهم فلن أكفيهم حقهم من الشكر.
- إلى زملائي الذين أحاطوني بحبهم وعطفهم وعونهم، وفّقهم الله إلى كل خير.
- إلى كل من أسهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا البحث بطريق مباشر أو غير مباشر تقبل الله من الجميع صالح الأعمال.

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي شكري وتقديري،،،

الباحث

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد..

فإن هلاك الأمم وسقوط الدول وزوال الحضارات لا يحدث عبثًا في حركة التاريخ البشري، بل يكون نتيجة تراكمات لممارسات من الظلم والانحراف من الحاكم أو من حكومة الدولة أو من الأمة ذاتها، حتى يأتي وقت دفع الثمن، ثمن الظلم والانحراف، ثمن الإجرام والطغيان، ثمن الكبت والإرهاب وترويع الآمنين، فيبدل الله لهؤلاء أمنهم خوفا وهلعا، وغناهم فقرا، وشبعهم جوعًا، فالله لا يسلب نعمة أنعمها على فرد أو جماعة أو دولة أو أمة حتى يكفر بها أصحابها[1]، لقوله تعالى {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾}[2].

ومن هنا كانت أهمية دراسة التاريخ عامة والتاريخ الإسلامي خاصة لنستجلي منه سنن الله الثابتة في قيام وسقوط الدول والحضارات لاسيما الدولة الأموية والعباسية محل بحثنا الآن.

لقد اهتم المؤرخون والمستشرقون والعرب المحدثون بتاريخ الدولة الأموية والعباسية اهتماما كبيرا فبحثوه بحثا كثيرا، ولم يزالوا ينظرون فيه ويستدركون ما فاتهم من مصادره، فيعالجون ما غاب من قضاياه، ورغم ذلك فقد ظلت جوانب من تاريخ الدولتين غامضة وأخرى خافية، ولم يزل قليل مما اهتُم به من تاريخ الدولتين بحاجة إلى الدرس والتمحيص، وكان موضوع بحثي (حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول) من تلك الجوانب التي كانت بحاجة إلى الدرس والتمحيص، لذلك لا يؤرخ هذا البحث للدولة الأموية والعصر العباسي الأول، إنما يؤرخ لجانب محدَّد من جوانب الحياة في تلك الفترة والذي لا يزال في حاجة إلى التسجيل والتوضيح.

1- عبد الملك بن حسين العاصمي ت سنة ١١١١ – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٨م – تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – ٣٥٣،٣، نعمان السامرائي – في التفسير الإسلامي للتاريخ – مكتبة المنار الأردن ص ٨٨.

2- سورة الأنفال (٥٣).

إن دراسة حركات التمرد والعصيان من الأهمية بمكان، حيث أن بعضها قد شملت حقبة طويلة في التاريخ ثم راحت إلى حال سبيلها ولم يبق منها إلا هذه الذكرى في ذمة التاريخ، وبعضها الأخر وإن غربت شموسها فإنها خلفت وراءها إشارات متناثرة في بطون المصادر قد ينير وميضها لمن يتعرض لها من حين لأخر، وكان بعضها أيضا سريع الظهور وسريع الاختفاء فلا يفوق سرعة اختفائها سرعة ظهورها وكانت كأنها البرق الخاطف.

وقد أشار نظام الملك حسين الطوسي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي إلى أهمية هذا الموضوع بالتحديد فقال: (وددت أن أكتب بضعة فصول في خروج الخارجين ليعلم العالم أجمع مدى إشفاقي على دولة آل سلجوق .. فلم يخل أي عصر من الخارجين، ولقد خرجوا في كل مكان في العالم على الملوك والأنبياء - عليهم السلام - منذ عهد آدم - -عليه السلام- - إلى يومنا هذا.. ليكون ذلك كله تذكرة لأرباب الملك وحماة الدين..)[٣].

إن حركات التمرد والعصيان رغم ما فيها من آثار مدمرة للحرث والنسل إلا أن فيها أيضا حياة وحيوية وحركة ونشاطًا، مما يستهوي الناس ويدعوهم إلى قراءتها وبحثها والتمعن فيها، لعلهم يجدون فيها أمثلة للخلق المثالي فيتمثلون بها، أو يجدون أنواعاً من السجايا السلبية فيحيدون عنها ويتجنّبوها ويتّعظون منها، كما يجد هواة التراجم في تاريخ هذه الحركات بغيتهم، أما من يحبون قصص البطولة وأخبار الأبطال فإنه - حقا - في تاريخ حركات التمرد والعصيان ما يشفي ظمأهم ويحقق أغراضهم، كما سيجد المتخصصون في هذا الجانب من التاريخ موضوعًا خصبا يستطيع قلمهم أن يصول ويجول فيه، ليروا عملية انعكاس الماضي على الحاضر، وليروا أن الإسلام دين سياسي بطبعه، ومن هنا كان لابد من دراسة جذور المشكلات السياسية في تاريخ الإسلام، والتي كان من آثارها ظهور الفرق الإسلامية[٤].

ورغم ذلك فقد قابلتني مصاعب في هذا البحث، منها: كثرة حركات التمرد والعصيان في تلك الحقبة، وتلاحق أحداثها، وسعة انتشارها في أقطار أخرى، وطول سنوات مدتها وكثرة أتباعها، إلا أن تاريخ هذه الحركات جاء مبعثرا بين صفحات المصادر والمصنفات واكتفى معظم الباحثين بذكر أخبارها دون التعليق على حوادثها أو التمعن في أخبارها، أو تقييم أصحابها، ومن ثمَّ إصدار الحكم لهم أو عليهم، ومن قام

3- سياسة نامة.. دار الثقافة - قطر - تحقيق الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦هـ - يوسف حسين بكر. ١ :٤٣٤ - ٤٣٥.

4- حميد غبايت - الفكر السياسي الإسلامي المعاصر - ترجمه عن الفارسية وراجعه عن الأصل الانجليزي: ابراهيم شتا - مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م - المقدمة.

منهم بالتقييم كان بعضهم يتبع في تقييمه أيديولوجيته وتوجهه ومذهبه مبتعدين في ذلك عن الموضوعية والإنصاف اللذين يجب أن يتحلى بهما المؤرخ الموضوعي.

ورغم تلك المصاعب فقد خرج البحث بكَمٍّ هائل من حركات التمرد والعصيان في تلك الفترة، فقد تتبعت مادة كل تمرد تتبعا شاملا وجمعتها جمعا متماثلا، وبذلت قصارى جهدي في استنفاد المادة واستقصائها من كافة المصادر والمراجع التي تمكنت من الرجوع إليها، ولم أقتصر في مصادري على كتب التاريخ العام فحسب، بل رجعت إلى كتب الحديث، والطبقات، والتراجم، واللغة، والأدب فاستفدت من أصحابها معلومات غزيرة ونادرة مما مكني من الإحاطة بفضل الله وتوفيقه ثم ترجيه أساتذتي بالمادة اللازمة واستدراك النقص فيها وإسعافي بالجديد منها، ومساعدتي على المقابلة بين الروايات فاهتديت إلى ميول أكثر أصحابها فأعانني ذلك على التمييز بين القوى من الروايات والضعيف منها، وتبين صحيحها من منحولها، والتدقيق في المسائل المتشابهة والمتباينة منها، وبحث ما غمض من جوانبها فسهلت عليَّ إظهار ما خفي من أطرافها ومراميها البعيدة وغير مباشرة.

كل ذلك ساعدني على استكمال الأسباب لإيضاح جوانب كل تمرد وعصيان دون إضافة شيء من عندي لا يعتمد على المصادر القديمة والمراجع الحديثة حتى لا أفتئت على الحقيقة التي هي عماد وأهداف البحث العلمي والتي أسعى وراءها، وقد نهجت في هذا منهجا حتمه الموضوع فجعلته في تمهيد وستة فصول:

فاحتوى التمهيد على نشأة التمرد والعصيان على الأنبياء والمرسلين، وحركات التنبؤ التي ظهرت في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحركة الردة في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ثم حركات التمرد ضد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – حتى الخلافة في النهاية إلى معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ/ ٦٦١م.

وأخيرا أوضحت مصطلح الخلافة وأهمية المنصب ورؤية الإسلام للتمرد والعصيان ومن هو المتمرد والعاصي ومتى يجوز الخروج على الحاكم.

الفصل الأول/ جاء بعنوان حركات تمرد وعصيان العلويين وشيعتهم(٥)

وشمل الفصل بعد ذلك حركات التمرد والعصيان للعلويين وشيعتهم، مثل حجر إبن عدي بالكوفة، وثورة الحسين بن علي – رضي الله عنهما – على يزيد بن معاوية وأطلقت عليها ثورة وليس تمرداً لأن الحسين لم يبايع يزيد ولأن ثورة الحسين كانت مبعث

د- لم يتعرض البحث إلى الكثير من حركات التمرد والعصيان في المغرب والأندلس في الدولة الاموية والعصر العباسي الأول الا في التمردات التي لها علاقة أو امتداد بتمردات المشرق. الباحث

التمردات والعصيان للعلويين وشيعتهم من بعده، ثم احتوى الفصل على تمرد التوابين بزعامة سليمان بن صرد ثم تمرد المختار بن أبي عبيد الثقفي وتمرد زيد بن علي إبن الحسين -رضي الله عنه- بالكوفة وأعقبه تمرد يحيى إبن زيد بن علي، وختم هذا الفصل بتمرد عبد الله بن معاوية الطالبي بالكوفة وفارس سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م.

الفصل الثاني/ جاء بعنوان حركات تمرد وعصيان الخوارج

واشتمل على مقدمة من تاريخ الخوارج ونشأتهم وعقيدتهم التي ميزت شخصيتهم. واحتوى الفصل على أبرز قادة الخوارج الذين تمردوا وعصوا، مثل: حوثرة بن وداع الأسدي وفروة بن نوفل الأشجعي، والخطيم الباهلي، وسهم بن غالب، والمستورد إبن علقمة وشبيب بن بجرة، ومرداس بن أدية وغيرهم، ثم تناولت حركات التمرد والعصيان لأبرز فرق الخوارج كالأزارقة، والنجدات، والفديكية، والصفرية وغيرهم.

ثم ختمت هذا الفصل بإلقاء الضوء على دور المرأة في غزوات الخوارج.

الفصل الثالث/ جاء بعنوان حركات تمرد وعصيان الولاة

فاحتوى على تمرد الوالي مطرف بن المغيرة بن شعبة على الخليفة عبد الملك إبن مروان والذي كان قد ولاه المدائن بتزكية من الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م.

وكان تمرد عبد الرحمن بن الأشعث والي عبد الملك بن مروان على سجستان والذي أرسله الحجاج وهو يعلم أنه له حاسد لحرب رتبيل ملك الترك، فانقلب إبن الأشعث على الحجاج ثم على عبد الملك سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م.

وكان من بعده تمرد قتيبة بن مسلم الباهلي والي الوليد بن عبد الملك على خراسان، فما إن مات الوليد وخلفه أخوه سليمان بن عبد الملك على الخلافة حتى خرج عليه قتيبة متمردا فخلفه في خراسان سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م.

وختمت هذا الفصل بتمرد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والي سليمان بن عبد الملك على خراسان، فقد خرج على الخليفة عمر بن عبد العزيز بالبصرة سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م.

الفصل الرابع: وكان بعنوان حركات التمرد والعصيان من أجل الخلافة:

حيث أن هؤلاء المتمرّدين كانوا يرون في أنفسهم أنهم أحق بالخلافة من الخليفة الحاكم. وشملت هذه التمردات في العصر الأموي تمرد كل من:

- عمرو بن سعيد الأشدق بدمشق ٧٠ هـ/ ٦٨٩ م.
- الحارث بن سريج بخراسان سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤ م.
- حديج الكرماني بخراسان سنة ١٢٨ هـ/ ٧٤٥ م.

وفي العصر العباسي الأول طالب بعض المتمردين بعودة الخلافة من العباسيين إلى البيت الأموي، وكان من أبرز هؤلاء:

- السفيان المنتظر في حلب سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م.
- إسحاق بن مسلم العقيلي بالعراق في نفس السنة.
- أبان بن معاوية بن هشام في سمسياط سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م.

وختمت هذا الفصل بتمرد علي بن عبد الله السفيان بالشام سنة ١٩١ هـ / ٨٠٩ م.

الفصل الخامس/ جاء تحت عنوان حركات تمرد وعصيان الزنادقة

وشمل مقدمة احتوت على نشأة الزنادقة وتاريخ ظهور نهاية الدولة الأموية وبداية العباسية وموقف الخلفاء منهم.

وشمل أبرز حركات تمرد هؤلاء الزنادقة بدءًا من بها فريد، وسنباذ، والراوندية، واستاذ سيس، والمقنع الخراساني، وبابك الخرمي. وختمناه بتمرد كل من منكجور الأشروسني، والمازيار، والأفشين على المعتصم سنة ٢٢٤هـ/ ٨٤٢ م.

الفصل السادس/ وجاء بعنوان حركات التمرد و"تصيان في مصر في العصر الأموي والعباسي الأول:

وقد خصصت لمصر فصلاً مستقلا ليس فقط حبا لبلدي وولاءً ووطنية، فكل مصري مؤمن غيور حريص على بلده تتوافر فيه تلك الصفات – لأنني لم يصل إليَّ رغم ما بذلته من جهد بفضلْ الله ثم توجيه أساتذتي – من أخبار مصر في هذا الجانب مادة مفصلة مبسوطة شأنها شأن العراق والشام والحجاز وخراسان وغيرها من حواضر الخلافة.

وإنني في هذا الفصل لا أؤرخ لمصر في حقبة من حياتها، إنما أرنو إلى تسجيل جانب معين من حياة المصريين والذي ما يزال في حاجة إلى التسجيل والتوضيح وهو جانب حركات التمرد والعصيان.

وقد شمل هذا الفصل مقدمة أثبت فيها أن مصر لم تكن من قبل – ومن بعد – في يوم ما بمعزل عن الأحداث التي تجري في حاضرة الخلافة وما حولها، ثم أوردت حركات التمرد والعصيان في مصر على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ودور المصريين وغيرهم في استشهاده مظلوما -رضي الله عنه- وكذلك في عهد علي إبن أبي طالب -رضي الله عنه- وكرم الله وجهه.

ثم اشتمل هذا الفصل على أبرز حركات التمرد والعصيان في مصر على الأمويين من مسلمين، وأقباط، وخوارج، وقبائل وأفراد، ثم احتوى الفصل على حركات التمرد والعصيان في مصر على العباسيين في العصر الأول كالعلويين والأقباط بسخا وتمرد دحية بن مصعب والسري بن الحكم وعبد العزيز الجروي وعبيد الله السري ويحيى بن عبد العزيز الجروي وغيرهم مما احتواه هذا الفصل. وإذا كانت طبيعة دراسة

كل موضوع من الموضوعات في الأبحاث التاريخية هي التي تحدد نوعية مصادره؛ لأن لكل موضوع نوعاً من المصادر التي ترفده من مناحٍ شتى، لتلبي غرضه وتحقق أهدافه، فإن موضوع حركات التمرد والعصيان منذ قيام الدولة الأموية حتى نهاية العصر العباسي الأول، اقتضى دراسته أن تتنوع مصادرها تنوعا كبيرا من كتب التاريخ العام، والتراجم، والطبقات، وكتب الجغرافية، والرحلات، والسياسة، والأدب، والحسبة، والفقه، واللغة، ومن ثم كان الرجوع إلى هذه المصادر جميعا.

وبما أن لكل دراسة مصادرها التي ترفدها فلنتناول الآن دراسة بعض المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة:

أولاً: كتب التاريخ العام:

(1) كتاب: "تاريخ خليفة بن خياط"

لأبي عمرو خليفة بن خياط الملقب "شباب" [ت ٢٤٠هـ ٨٥٤ م]: اتبع مؤلفه في تصنيفه منهج الترتيب الزمني للحوادث مثله مثل كثير من المؤرخين بعده كالطبري على سبيل المثال، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم، وعلى الرغم من أن الكتاب يهتم بالنواحي الإدارية للدولة الإسلامية والوظائف الإدارية بها، إلا أن الباحث يستطيع من خلال ذلك أن يستخلص بعض الأحداث السياسية من النصوص الواردة به.

وقد استفدت من هذا الكتاب في الوقوف على خطورة تمردات الشيعة والخوارج على كيان الخلافة الإسلامية، لاسيما تمردات الخوارج في إقليم الجزيرة.

(2) كتاب: "تاريخ اليعقوبي"

لأحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح [ت ٢٧٢هـ ٨٨٥م]: هذا المصدر يعد من المصادر المهمة للباحث في التاريخ في الإسلام، ورغم ميول اليعقوبي الشيعية في بعض الأحداث، إلا أنه امتاز في الكثير بالوضوح ، الاعتدال وسرد الأحداث التاريخية، وقد أفاد هذا الكتاب البحث في سرد بعض الروايات التاريخية عن الشيعة، حيث أمدنا بمعلومات وافية عن حركات تمرد العلويين والشيعة ، ويعتبر اليعقوبي من أقدم المؤرخين الذين حفظوا لنا روايات شيعية صحيحة.

(3) كتاب: "تاريخ الأمم والملوك" المعروف بتاريخ الطبري

لأبي جعفر الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرستاني [ت ٣١٠هـ ٩٢٢م]:ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر في التاريخ الإسلامي وعمدتها حتى

نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين، فقد تعرض هذا المؤلف المجتهد[6] لمعظم أحداث الدولة الأموية والعصر العباسي الأول موضوع البحث، وركزت رواياته على حركات التمرد والعصيان في أقاليم الدولة الإسلامية، مثل العراق وفارس وخراسان، ورغم أنه جمع كل الروايات التي تتعلق بالحادثة التاريخية، إلا أنه لم يمل مع أي هوى في إيراد الأخبار التاريخية، حيث كان محايدا، كما أن إيراده للكثير من الروايات في الحادثة الواحدة نراه أنه في مصلحة الباحث، حيث أن ذلك يساعده على مقارنة الروايات بعضها ببعض حتى يمكنه استخلاص الحقائق التاريخية الدقيقة، كما أن تاريخ الطبري يعين الباحثين في الأمور السياسية خاصة والمشكلات الداخلية على الأخص وهو ما يتعلق بموضوع البحث.

(٤) كتاب: "مقاتل الطالبيين"

لأبي الفرج علي بن الحسن بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن إبن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الكتاتيب الأصفهاني [ت ٣٥٦هـ ٩٦٦م]: ذكره ياقوت الحموي في معجمه، فقال: العلامة النسّاب الإخباري الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم أحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجميعه[7] ورغم أنه كان أمويا إلا أنه قد تشيع، ومال إلى العلويين، إلا أن رواياته التاريخية لم تتأثر كثيرا بميوله العلوية ودليل ذلك أن رواياته في معظمها تتفق مع روايات الطبري، وقد أفاد هذا الكتاب البحث في ترجمة لحياة الأئمة العلويين، حيث أورد حياتهم وجهودهم في المجال السياسي أكثر من اهتمامه بالجوانب العقائدية.

(٥) العواصم من القواصم

كتاب: العواصم من القواصم: للقاضي أبي بكر بن العربي المتوفى سنة [٥٤٣هـ]: حيث أظهر هذا الكتاب قدر صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع التفاوت بينهما في القدر، فميزة هذا الكتاب أنه يميز بين الأصيل والدخيل في سيرة

6- ذكر الخطيب البغدادي أن إبن جرير قال لأصحابه: "هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا"؟ قالوا كم ورقة: فذكر أنه ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل إتمامه فاختصره كما اختصر تفسيره في ثلاثة آلاف ورقة ومكث محمد بن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم منها أربعين ورقة. الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ - تاريخ بغداد - ١٤ جزء - دار الكتب العلمية بيروت. د. ت ٦٣/٢ . ابن منصور التميمي السمعاني ت ٥٦٢هـ - الأنساب - عدد الأجزاء ٥ - دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٨م الطبعة الأولى - تحقيق: عبد عمر البارودي ٤ ٤٦.

7- آغا برزك الطهراني - نوابغ الرواة في رابعة المئات - دار الكتب العربي بيروت - ١٣٩١هـ ١٩٧١م الطبعة الأولى - تحقيق: علي تقي فزوني ١ ١٨٣.

هؤلاء العظماء، ويفند إبن العربي بالكتاب الأخطاء التاريخية وشبهات المغرضين، وأوضح أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أسمى أخلاقا وأصدق إخلاصا لله وترفعا عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا عليها، إلا أن عصرهم شهد أيادي خبيثة عملت على إحداث فرقة بينهم عن طريق بث الخلافات وتوسيعها لضرب وحدتهم وشق صفهم وتشويه صورتهم، وهذه الأيادي هي التي تشوه تاريخنا الإسلامي حتى الآن وهذا ما يعالجه هذا الكتاب، والذي أفاد البحث في مواطن الخلاف بين المسلمين لاسيما في عهد سيدنا عثمان -رضي الله عنه- ثم الخلاف بن سيدنا علي ومعاوية -رضي الله عنهما- وفي استجلاء الحقيقة لثورة الإمام الحسين بن علي -رضي الله عنه- واستشهاده في كربلاء سنة ٦١هـ[٨].

(٦) كتاب: "المنتظم" في تاريخ الأمم والملوك

لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج [٥٩٧هـ ١٢٠٠م]: يحتوي هذا المصدر على مادة تاريخية هائلة منذ آدم حتى القرن السادس الهجري وخاصة أننا نجد هذا المصدر مليئاً بالمعلومات التاريخية منذ مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة، يذكر ذلك وغيره من أحداث تاريخ الإسلام فيقوم بذكر ما في كل سنة من أحداث وتراجم أيضا عن بعض الخلفاء والسلاطين والمحدثين والشعراء وغيرهم، وقد أفاد هذا المصدر البحث في ذكر الأحداث حركات التمرد والعصيان وخاصة بعض التراجم لبعض شخصيات حركات التمرد والعصيان.

(٧) كتاب: "الكامل في التاريخ"

لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري [ت٦٣٠هـ ١٢٣٢م]. وقد اعتمد إبن الأثير على تاريخ الطبري اعتمادا كبيرا، غير أنه لم يتبع منهج الطبري في التأليف، فبينما يذكر الطبري عدة روايات عن الأحداث التاريخية نجد إبن الأثير يعمد إلى اختيار ما يراه مناسبا، كما أنه يعرض للأحداث التاريخية في موضع واحد مراعيا في ذلك التتابع الزمني، وكان أهم ما يميز هذا الكتاب هو الأسلوب المبسط الذي اتبعه مؤلفه في عرضه للحقائق التاريخية.

وقد أفاد هذا الكتاب البحث في دراسة حركات تمرد الشيعة والخوارج للخلافة الأموية والعصر العباسي الأول.

8- إسماعيل سالم عبد العال – إبن كثير ومنهجه في التفسير – طبعة مكتبة الملك فيصل الإسلامية – (ت) ص ١٤٤ وما بعدها.

ثانيا: كتب تواريخ البلدان

(١) كتاب: "فتوح البلدان"

لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي المعروف بالبلاذري [ت ٢٧٩هـ ٨٩٢م]: وقد نشأ البلاذري في بغداد، وتعلم على يد كبار علمائها ومشاهير محدثيها، واعتنى بالكتابة والتصنيف، فلم يقصر في جمع الحقائق التاريخية، فكان يتكبد الأسفار ويجوب البحار بحثا عن الحقيقة، حتى إنه زار جميع المدن الواقعة بين دجلة والفرات المسماة بالجزيرة، حيث جمع الروايات المحفوظة بين السكان وقارنها بما حفظه عن علماء بغداد، فأصبحت مؤلفاته محلاً للثقة لما احتوت عليه من حقائق تاريخية دقيقة يتعذر العثور عليها في مؤلف آخر، وقد أفاد البحث في الحديث عن اجتياح العصبية القبلية لإقليم خراسان في نهاية العصر الأموي.

(٢) كتاب: "تاريخ ولاة مصر وقضاتها"[٩]

للكندي: أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المؤرخ [ت ٣٥٠هـ].

كان الكندي عارفا بأحوال الناس وسير الملوك، وكان أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره وكان من جملة أهل العلم بالحديث والنسب، كما كان صحيح الكتابة، نسابة، عالما بعلوم العرب، سمع من النسائي وغيره".

وقد استفدت من هذا الكتاب القيم كثيرا في حركات التمرد والعصيان في مصر في العصر الأموي والعباسي الأول ولاسيما تمرد محمد بن حنيفة على عثمان بن عفان وخلعه بمصر، وتمرد القبط سنة ١٠٧هـ ٧٢٥ م وتمردات الخوارج بمصر في العصر الأموي ثم تمرد دحية بن مصعب على الخليفة المهدي بمصر سنة ١٦٧هـ ٧٨٣م، وتمرد السري بن الحكم وعبد العزيز الجروي وأولادهما من بعدهما على الخلافة العباسية في عصرها الأول.

(٣) كتاب: "تاريخ بغداد"

للخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي ت [٤٦٣هـ ١٠٧٠م]

كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى تاريخ بغداد لكفاه[١٠] فهذا الكتاب يدل على عظمة اطلاعه إلى جانب أنه قريب من مائة مصنف،

9- يسمي إبن عساكر هذا الكتاب بأسماء قريبة من بعضها، منها أمراء مصر، ومنها تسمية أمراء مصر، ومنها كتاب قضاة مصر ويسميه ايضا أخبار قضاة مصر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله [ت ٥٧١هـ] - تاريخ مدينة دمشق عدد الأجزاء ٧٠ - دار الفكر بيروت - ١٩٩٥م - تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ٢٦ ٢٣٩، ٥ ٤ ٥٥ ٤، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي ت ١٠٦٧هـ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - عدد الأجزاء ٦ - دار الكتب العلمية بيروت - سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ٢ ١٣٥١.

وكان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ[11]، ويعد كتابه تاريخ بغداد تاريخا للعالم وليس لبغداد وحدها ويقع في أربعة عشر مجلدا، احتوت على تراجم أشهر رجال بغداد وزوارها من كل فن وميدان، وقد استفدت من هذا الكتاب إلى جانب ترجمته لزعماء التمرد في إبراز ما وصل إليه النفوذ الفارسي في العصر العباسي الأول خاصة من قام منهم بالتمرد والعصيان من الفرس الزنادقة كالمقنع وبابك وغيرهم من الفرس الذين أرادوا أن يعيدوا مجدهم المجوسي القديم.

(٤) كتاب: "تاريخ دمشق"

للحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن غساكر [ت. ٥٧١ ـ ١١٧٥م].

كان إبن عساكر حافظا عالما وإمام أهل الحديث في زمانه، صنف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدًا ومن تصفحه وقف على منزلته في الحفظ وغزارة علمه وحسن فضله، وهو كتاب في تاريخ مدينة دمشق أم الشام، فيه ذكر من نزل بها من الأعلام أو بأعمالها من ذوي الفضل، وذكر أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها وقرائها وشعرائها، وذكر ما لهم من ثناء ومدح وجرح وتعديل وتراجم لهم على حروف المعجم بدءًا بحرف الألف وبدءًا باسم أحمد تيمنًا باسم المصطفى -صلى الله عليه وسلم- إلى جانب من ذكره إبن عساكر من شرف الشام وفضله ومناقب سكانه وأهله وما اختصوا به دون أهل الأقطار.

وقد أفاد هذا الكتاب البحث في كثير من حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية خاصة في تمرد عمرو بن سعيد الأشدق بدمشق سنة ٧١هـ ٦٩م على عبد الملك بن مروان.

(٥) كتاب: "بغية الطلب في تاريخ حلب"

ابن العديم: جمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي إبن العديم. [ت سنة ٦٧٥هـ ١٢٧٦م]

10- إبن خلكان [ت ٦٨١هـ] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ٨ أجزاء ـ دار الثقافة لبنان ـ د.ت ـ تحقيق: احسان عباس ٩٢/١ ـ ٩٣، شمس الدين بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ ـ العبر في زمن من غبر ـ ٥ أجزاء ـ مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٨٤م ـ الطبعة الثانية ـ تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ١٨٠/٥، عبد الحي بن أحمد العكري ت ١٠٨٩هـ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ عدد الأجزاء ١٠ ـ دار إبن كثير دمشق سنة ١٤٠٦هـ ـ الطبعة الأولى ـ تحقيق عبد القادر الأرنوؤط وآخرين ـ ٣١٢/٣.

11- عبد الحي بن أحمد العكري ت ١٠٨٩هـ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ عدد الأجزاء ١٠ دار إبن كثير دمشق سنة ١٤٠٦هـ ـ الطبعة الأولى ـ تحقيق: عبد القادر الأرناووط وآخرين ـ ٣ ٣١٣..

كان من بيت علم وقضاء، وكان كاتبا شاعرا فاضلا[12]، ألف كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء، وأهل الحديث، والرواية والملوك الأمراء[13] والكتاب يقع في عشرة مجلدات، وقد صنفه إبن العديم على حروف المعجم[14].

وقد أفاد البحث في تمرد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بحلب الذي خرج بها ورفعوا الأعلام وادعوا الخلافة سنة ١٣٣هـ ٧٥٠م في عهد أبي العباس السفاح.

(٣) كتاب: "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي [ت ٨٧٤هـ]:
وقد أشار إبن تغري إلى سبب تأليف هذا الكتاب عن مصر فقال: "لما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين أحببت أن أجعل تاريخا لملوكها مستوعبًا من غيره فحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه"[15].

بدأ إبن تغري بردي هذا الكتاب المؤلف في ستة عشر جزءا بفتح مصر ومن حضرها من الصحابة ومن تولاها بدءًا من عمرو بن العاص، وعبد الله بن سعد إبن أبي سرح وقيس بن سيد وغيرهم، ثم الولاة في عهد الدولة الأموية والولاة في العصر العباسي الأول متتبعا تاريخ مصر حتى عهد السلطان الأشرف قايتباي المحمودي سنة ٨٧٢هـ ١٤٦٧ م.

وقد أفاد هذا المصدر البحث في الفصل الخاص بحركات التمرد والعصيان في مصر بدءًا من تمرد محمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر علي عبد الله بن سعد بن أبي سرح في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وفي تمردات الخوارج بمصر سنة ٦٢هـ ٦٨١م، وسنة ٩١هـ ٧٠٩م، وتمرد أهل الحوف سنة ١٠٧هـ ٧٢٥م، وتمرد الأقباط سنة ١٢١هـ ٧٣٨ م و١٣٢هـ ٧٤٩م، وتمرد المصريين على الخليفة مروان إبن محمد سنة ١٣٢هـ، وتمرد دحية بن مصعب على المهدي سنة ١٦٧هـ، وتمرد السري إبن الحكم وعبد العزيز الجروي ١٩٦هـ ٨١١م – ١٩٩هـ ٨١٤م وتمرد عبد العزيز السري سنة ٢٠٧ هـ ٨٢٢م – ٢١٠هـ ٨٢٥ م وغيرها من التمردات.

12- الوافي بالوفيات ٣٠/٤.

13- معجم الأبناء ٤٥٧/٤.

14- كشف الظنون ٢٤٩٠١.

15- النجوم الزاهرة – نشر وزارة الثقافة القاهرة د.ت – ٢١.

ثالثا: كتب الطبقات والتراجم

(١) كتاب: "الطبقات الكبرى"

لابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري [ت ٢٣٠هـ ٨٤٤م]: هذا المصدر يعد من أقدم كتب الطبقات والتراجم الشاملة في سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بل والصحابيات -رضي الله عن الجميع- وكذلك تاريخ العرب في القرنين الأول والثاني الهجريين، وقد وفر هذا المصدر للبحث ترجمات ثرية عن زعماء حركات التمرد والعصيان وأبرز المشاركين فيها في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول.

(٢) كتاب: "المعرفة والتاريخ"

للفسوي:أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي الفارسي [ت ٢٧٧هـ ٢٧٧م] كان حافظا إماما، رحل إلى المشرق والمغرب وسمع فأكثر وصنف، وقدم دمشق غير مرة وسمع بها ويقال إنه كتب عن ألف شيخ كلهم ثقات، ورجعت في هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء منه متتالية، حيث يذكر أبرز الأحداث التاريخية والمشاهير الذين صنفوا تاريخها على نظام الحوليات حتى سنة ٢٤١هـ[١٦]. ثم يترجم لمشاهير الصحابة والتابعين وفقهاء الصحابة والعلماء حتى بداية الربع الأخير من القرن الثالث الهجري والتي شاركت في حركات التمرد والعصيان، أو واجهت حركات التمرد والعصيان ومن ذلك الترجمة للحسن والحسين -رضي الله عنهما- في تمرد المختار بن يوسف والخوارج وغيرهم ولاسيما في أخبار سعيد بن جبير والحجاج في تمرد عبد الرحمن بن الأشعث عليه[١٧].

(٣) كتاب: "مشاهير علماء الأمصار من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، [ت ٣٥٤هـ ٩٦٥ م].

لابن حبان أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد أبي حاتم التميمي البستي. كان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، ألف المسند الصحيح والتاريخ، وكان من أئمة العلم في الفقه، والحديث، واللغة، والوعظ، كما كان من عقلاء الرجال، ويعد كتابه مشاهير علماء الأمصار من تصانيفه التاريخية القيمة، حيث ذكر فيه مشاهير الصحابة والتابعين وأتباعهم بالمدينة ومكة والكوفة والشام ومصر واليمن وخراسان، وبغداد وواسط والبصرة.

16- طبقات الحفاظ ١ ٢٦٢.

17- معجم البلدان ٤ ٢٦١.

وقد أفادني هذا المصدر بتراجم ثرية عن أصحاب التمردات في هذه الأصقاع السابقة كلها، لاسيما حركات تمرد وعصيان الشيعة كحجر بن عدي، وسليمان بن صرد والعلويين كالحسين بن علي -رضي الله عنه- وعلي ابنه وزيد بن علي -رضي الله عنهم- وترجمة الخليفة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-(١٨).

(٤) كتاب "الأنساب"

للسمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي [ت ٥٦٢هـ ١١٦٦م]: كان من فقهاء الشافعية ومحدث خراسان رحل، في طلب العلم إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، لقي العلماء وجالسهم، وأخذ عنهم واقتدى بأفعالهم الحميدة، كان من تصانيفه تذييل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في خمسة عشر مجلدا وتاريخ مرو في عشرين مجلدا وكتابنا هذا، وهو كتاب الأنساب في ثمانية مجلدات وقفت على الخمسة الأول منها، وقد ذكر السمعاني في هذا الكتاب فضل تعلم علم الأنساب وبدأ بنسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم بني هاشم وقريش والعرب، ثم ترجم هذه الأنساب على حروف المعجم مبتدئا بحرف الألف ومنتهيًا بحرف الياء وبدأ الترجمة على أساس اللقب أو الكنية المشهور بها صاحب الترجمة، وقد أفاد هذا الكتاب البحث في الترجمة للكثير من الذين قاموا أو شاركوا في حركات التمرد والعصيان خاصة الخوارج وفرقهم، ومنهم الأزارقة أصحاب نافع، ثم قطري إبن الفجاءة، والخوارج الصفرية أصحاب زياد بن الأصفر، وتمرد الولاة على رأسهم عبد الرحمن بن الأشعث والذين خرجوا معه من العلماء(١٩).

(٥) كتاب: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ت ٦٨١هـ]"

لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ):

فقد ترجم إبن خلكان في هذا الكتاب لوفرة وفيرة من مشاهير الدولة الأموية والعصر العباسي الأول - موضوع البحث - من ملوك وأمراء وأئمة وشعراء وغيرهم، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب في ترجمة زعماء حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول موضوع البحث.

(٦) كتاب: "سير أعلام النبلاء"

للذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي [ت ٧٤٨هـ ١٣٤٧م]: يحتوي هذا الكتاب على مادة غزيرة من التراجم للأعلام في الإسلام في قرابة سبعة

18- الوافي ٢٣٦/٢، طبقات الحفاظ ٣٧٦/١، طبقات الشافعية ١٣١/٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٣١/٣.

19- مرآة الجنان ٣٧١/٣ ـ ٣٧٢، النجوم ٣٧٥/٥.

قرون، لاسيما تراجم الصدر الأول الحافلة بغزارة المعلومات وكثرة الأخبار، حيث اشتمل على مادة لا نجد لها مثيلاً في كتب التراجم الأخرى أو على الأقل لا يمكن مقارنتها بها من حيث غزارة الأخبار. وقد أفاد الكتاب البحث في ترجمته لكثير من مشاهير حركات التمرد والعصيان والمشاركين فيها، فضلاً عن المعلومات التاريخية التي استفاد منها البحث.

(٧) كتاب: "الإصابة في تمييز الصحابة"

لابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل [ت ٨٥٢هـ ١٤٤٨م]: يعد هذا الكتاب من أوثق كتب التراجم، لأن ابن حجر يعد من المحدثين المدققين، فقد ولد بمصر ورحل في سبيل العلم إلى الحجاز والشام ليتلقى العلم من أكابر العلماء هناك حتى أصبح من أعظم المحدثين، ثم من أعظم المؤرخين، حيث كان يتحقق من الشخصيات المترجمة ويورد – كمحدث – أهم الأحاديث والروايات المتعلقة بترجمة الشخصية، وقد أفادني هذا الكتاب في الترجمة للكثير من الشخصيات التي قامت بحركات التمرد والعصيان والمشاركين فيها.

رابعًا: كتب الفرق والمقالات

(أ) كتب الفرق

كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ ٩٣٥م): يعد الأشعري من مؤسسي علم الكلام عند أهل السنة، حيث استخدم طريقة المتكلمين من البحث والمناظرة والاستدلال العقلي لنصرة أهل الحديث، وللرجل مكانة عظيمة في تاريخ علم الكلام، وكتابه المقالات يعد من أقدم كتب الفرق تأليفًا وأصحها أخبارًا وأحق بالاعتماد عليه؛ لأن مؤلفه سلك سبيلاً بعيدة عن التعصب والتحيز إلى فئة وترك ما اختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعنهم.

وقد استفدت من هذا الكتاب في بحثي في التعرض إلى بعض فرق الشيعة التي قامت بتمردات لاسيما الراوندية، ثم استفدت منه في تمرد زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٢١هـ واستفدت منه في تمردات فرق الخوارج لاسيما الأزارقة والشبيبية والبيهسية.

(٢) كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٥هـ ١٠٣٣م)

ولد ببغداد ونشأ بها وسافر إلى خراسان واستقر بنيسابور وخلف مصنفات عديدة، منها: علم أصول الدين. والملل والنحل. والفرق بين الفرق وغيرها، والذي رجعت إليه هو كتاب الفرق بين الفرق. والذي تعرض فيه خلال خمسة أبواب لأرباب

الفرق كالروافض والخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرها. وقد أفاد هذا الكتاب البحث في استقصاء بعض فرق الشيعة والخوارج، خاصة في تمرد المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة ٦٧هـ ٦٨٦م لما تعرض لفرقة الكيسانية أتباع المختار والفروع التي تفرعت منها، واستفدت من الكتاب في التعرض لتمردات الخوارج خاصة في نشأتهم بعد التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- ثم تعرض لتمرداتهم، مثل نافع بن الأزرق رأس الأزارقة، ونجدة بن عامر رأس النجدات، وكذلك تمردات الصفرية وغيرها.

(٣) كتاب: "الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم: محمد بن علي بن أحمد بن حزم الظاهري [ت ٤٥٦هـ ١٠٦٣م]

ولد ابن حزم بقرطبة سنة ٣٧٤هـ ٩٨٤ م وكان وزيرا للمنصور بن أبي عامر بالأندلس، ولابن حزم مؤلفات عديدة في علم الحديث والفقه والفرق وأهمها، هذا الكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ويقع في أجزاء خمسة رجعت فيها للجزء الثاني والذي تحدث فيه عن الشيعة والخوارج، حيث إنه ذكر أن عمدة مذهب الشيعة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- واختلفوا فيما بينهم فيما عدا ذلك، وعمدة مذهب الكلام عند الخوارج في تعريف الإيمان والكفر وتسمية الناس بهما، والوعد والإمامة، واختلفوا فيما بينهم فيما عدا ذلك[٢٠]. ثم استفدت من هذا الكتاب في الجزء الرابع الذي تحدث فيه عن الفتنة التي حدثت في زمن عثمان -رضي الله عنه- والحرب بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- ثم في حديثه على شنع الشيعة وشنع الخوارج.

(٤) كتاب: "الملل والنحل للشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني [ت ٥٨٤هـ ١١٨٨ م]

ولد في شهرستان شمال وخراسان كان يمتاز بجودة الفهم والاستنتاج والإحاطة بالموضوع، وإن كان كتابه الملل والنحل يقع ضمن كتب الفرق العامة، إلا أنه يمتاز أيضا بأنه يشبه دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب والفرق والآراء الفلسفية في عصره.

وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وفيرة عن الشيعة وفرقهم وآراء كل فرقة، أفادتني في دراسة تمرداتهم، حيث وجدت من التفاصيل الدقيقة لفرقهم التي لم تكن موجودة في غير هذا الكتاب، لاسيما الجزء الأول في فرق الشيعة كالكيسانية والزيدية

20- الفصل في الملل والأهواء والنحل – دار المعرفة بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م، ٢ ١١٥.

والإمامية والغالية منهم، واستفدت منه أيضا في دراسة فرق الخوارج، كالمحكمة الأولى والأزارقة والنجدات والبهسية والإباضية والصفرية، ودراسة رجال الخوارج.

خامسًا: كتب الأدب والتاريخ

(١) كتاب: "الكامل في الأدب" لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد [ت ٢٨٥هـ ٩٩٥م].

وقد أفادني هذا الكتاب في البحث، حيث أورد أحداثا عن الخوارج بتفاصيل لم تكن متوافرة في مصادر أخرى في تحركاتهم وتمرداتهم ومبادئهم منذ نشأتهم حتى تاريخ تأليف المبرد للكتاب، وقد أفاد البحث أيضا في نقطة مهمة، هي سياسة المهلب بن أبي صفرة في مواجهة تمردات الخوارج الأزارقة لاسيما مع قطري بن الفجاءة.

(٢) كتاب: "الفهرست" لمحمد بن إسحق النديم [ت ٣٨٣هـ ٩٩٣ م]:

يجمع هذا الكتاب بين الأدب والتاريخ، حيث أحصى مؤلفه معظم الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة في جميع أنواع العلوم، وقد أفاد البحث بمعلوماته الوفيرة التي أبرزت محاولات العناصر الفارسية لإحياء النحل والتقاليد الفارسية المجوسية ومزجها بالديانات الفارسية، كما أفاد البحث في الوقوف على خطورة حركات التمرد والعصيان الخرمية، لاسيما حركة بابك الخرمي.

سادسًا: كتب الجغرافية

(١) كتاب "معجم ما استعجم من البلدان والأماكن" للبكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ت ٤٨٧هـ ١٠٩٤م:

كان رأسًا في علم اللغة وأيام الناس، نزيل قرطبة[٢١] صنف الكثير من المؤلفات في أعلام النبوة وشرح أمالي القالي واشتقاق الأسماء، وله كتاب النبات وغيره[٢٢]، ويعد كتابه معجم ما استعجم من الكتب القيمة التي صنفت في الجغرافية حيث عرف فيه عددًا وفيرًا من الأقاليم، والبلدان، والمدن، والقرى، والقلاع، والأنهار وغيرها من المظاهر الجغرافية، الطبيعية والتي ساعدت البحث في التعرف على الأماكن والبلدان والبقاع التي ظهرت فيها أو اجتازتها حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول.

21- ابن حزم وابن سعيد والشقندي – فضائل الأندلس وأهلها – دار الكتاب الجديد طبعة ١٩٦٨م – الطبعة الأولى – تحقيق د. صلاح النجد ٢٦/١.

22- سير أعلام النبلاء ٣٥/١٩.

(٣) **كتاب: "معجم البلدان" لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨م]:**

امتاز هذا المعجم بترتيبه على حروف الهجاء، ودقته واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والأدب، وقد فرغ ياقوت من تأليف هذا الكتاب في سنة ٦١١هـ ١٢١٤م أي قبل وفاته بحوالي خمسة أعوام. وقد اعتمدت على هذا الكتاب في تحقيق أسماء كثير من المدن، وخاصة المدن التي كانت محط حركات تمرد وعصيان، بل كان يشير عند عرضه لهذه المدن عن أهم الأحداث التاريخية المرتبطة بهذه المدن لاسيما المتمردين بها.

سابعًا: المراجع الحديثة

(١) **كتاب: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي د/ حسن إبراهيم حسن. ويقع في أربعة أجزاء:**

وقد رجعت إلى الجزأين الأول والثاني، ففي الجزء الأول استفدت من عرضه لأحزاب في العصر الأموي لاسيما الشيعة والخوارج، ثم استفدت من كلامه على الحركات السياسية والدينية في العصر الأموي سواء منها الشيعية والعلوية والخوارج وغيرها.

وفي الجزء الثاني استفدت من الحركات السياسية والدينية في العصر العباسي الأول، لاسيما حركات الموالي كالمقنعية والراوندية ,والخرمية وعلى رأسهم بابك الخرمي والأفشين والمازيار وغيرها.

(٢) **كتاب: العصر العباسي الأول د/عبد المنعم ماجد: الجزء الأول**

ويشمل هذا الكتاب فصلين: الأول قيام الخلافة العباسية، والثاني على القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين.

وقد استفدت من هذا الكتاب في تعرضه لنيول مقاومة الأمويين للعباسيين عند قيام الدولة العباسية، وفي بعض تمردات الخوارج، وتمردات الزنادقة، لاسيما المقنع الخراساني، وحركة بابك الخرمي والمازيار ومحاكمة الأفشين.

(٣) **كتاب: الدولة العباسية د/عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:**

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أبواب: أولها نشأة الدولة العباسية وحركات تمرد العلويين والفرس، وثانيها عن الحضارة في الدولة العباسية والنهضة الثقافية في العصر العباسي الأول، وآخرها العصر العباسي الثاني.

وقد أفادني هذا الكتاب في حركات تمرد العلويين للخلافة، وأفادني أيضا في تمردات الفرس ومحاولاتهم لاستعادة نفوذهم وإظهار نِحَلهم القديمة.

(٤) كتاب: تاريخ الإسلام في العصر العباسي د/ محمد عبد الحميد الرفاعي:

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أبواب: الأول العصر العباسي الأول، النشأة والتأسيس ومرحلة الازدهار، والثاني العصر العباسي الثاني، والثالث الحركات الاستقلالية في الشرق في العصر العباسي.

وقد استفدت من هذا الكتاب في: كيف أن الدعوة العباسية قد استفادت من حركات التمرد والعصيان السابقة مثل العلويين كالحسين -رضي الله عنه- وزيد ابن علي وغيرهم، وكذلك تمردات الخوارج خاصة الأزارقة، لاسيما تمرد الضحاك ابن قيس الشيباني بالعراق سنة ١٢٧هـ وأبي حمزة الشادي وغيرهم، وكتمرد عبد الرحمن ابن الأشعث التي ضمت كثيرًا من طوائف المعارضة، لاسيما الموالي والشيعة والقراء واستمرت من سنة ٨٠ إلى ٨٥هـ، وكذلك ثورة يزيد بن المهلب الذي رفع شعار العمل بالكتاب والسنة والجهاد ضد أهل الشام، ومات سنة ١٠٢هـ. وكذلك ثورة الحارث ابن سريج ودور القراء فيها.

(٥) كتاب: الدولة الأموية مقوماتها ورسالتها د/ إبراهيم أحمد العدوي

يشتمل هذا الكتاب على خمسة فصول هي: الأول جذور الدولة الأموية، والثاني أبناء البيت الأموي في الإسلام، ثم يتعرض الفصل الثالث إلى قيام الدولة الأموية ويتحدث الرابع عن فتوحاتها، والأخير عن حركة التعريب فيها.

وقد استفدت من هذا الكتاب في فصله الثالث خاصة الجزء الخاص بأحزاب المعارضة للبيت الأموي كثورة الحسين بن علي – رضي الله عنهما – والخوارج.

(٦) كتاب: دراسات في العصر الأموي د/محمد عبد الحميد الرفاعي

ويشمل هذا الكتاب على أربعة فصول: الأول الدولة الأموية خلافة أم كسروية، الثاني الجهاد ونشر الإسلام، الثالث الحركات الثورية والتيارات المعارضة، الأخير القراء أول أحزاب المعارضة في الإسلام.

وقد أفادني هذا الكتاب في فصله الثالث في حركات تمرد الشيعة، مثل حجر إبن عدي والحسين -رضي الله عنه- والتوابين والمختار بن الثقفي وغيرهم، ثم تمردات الخوارج كالأزارقة والنجدات وغيرهم. ثم تمردات القادة العسكريين، مثل تمرد عبدالرحمن بن الأشعث، وقتيبة بن مسلم، ويزيد بن المهلب.

وكان أهم ما استفدت منه في هذا الكتاب إلى ما سبق هو دور جماعة القراء في التمردات الشيعية وارتباط القراء بالموالي ودورهم في تمرد إبن الأشعث والحارث بن سريج.

(٧) كتاب عصر الخلافة الأموية د/محمد محمد عامر:

يشمل هذا الكتاب قيام الدولة الأموية ودور المروانيين في الخلافة الأموية، ومظاهر التغير في العصر الأموي، وأخيرا المعارضة في ظل الأمويين. وقد استفدت من هذا الكتاب في الجزء الخاص وأسباب ونتائج المعارضة في العصر الأموي، لاسيما المعارضة السياسية مثل ثورة الحسين بن علي – رضي الله عنهما – والمعارضة الفكرية والعسكرية كتمردات الخوارج الذين أخذت تمرداتهم الطابع الفكري لاجتهادهم في تفسير النصوص التي وردت متعلقة بتشكيل النظام السياسي الإسلامي.

(٨) كتاب: "ضحى الإسلام" لأحمد أمين:

حيث أمد البحث بمعلومات وفيرة عن الزنادقة خاصة الذين أبطنوا المجوسية وأظهروا الإسلام، وكانوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى لاظهار مجوسيتهم فما أن يجدوا خارجا أو متمردا يخدم دعوتهم إلا ويلتفون حوله لعلهم يعيدون مجدهم المجوسي، فحاولوا إضعاف مجد الإسلام ونشر دياناتهم الفارسية وسعوا بذلك إلى قلب نظام الحكم عن طريق تمرداتهم وثوراتهم.

(٩) كتاب الدولة الأموية د/علي محمد الصلابي: وهو جزءان.

يحتوي الجزء الأول على سبعة فصول منها معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه– وتبعه معاوية والسياسة الداخلية لمعاوية والفتوحات في عهده، والفصل الخامس يتحدث عن يزيد بن معاوية ثم عهد عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه– ثم عهد عبد الملك بن مروان.

والجزء الثاني يشمل أربعة فصول، منها الفصل الثامن وفيه: الفتوحات في عهد عبد الملك بن مروان، والوليد وأخيه سليمان، ثم عهد عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- والعاشر عهد يزيد بن عبد الملك وهشام أخيه، والأخير سقوط الدولة الأموية.

وقد استفدت من هذا الكتاب في جزئه الأول في معالجته لمقتل حجر بن عدي -رضي الله عنه- في عهد معاوية بن أبي سفيان، وتمردات الخوارج في عهد معاوية بن أبي سفيان في الكوفة والبصرة، وفي معالجته لقضية بيعة معاوية لابنه يزيد وما ترتب على ذلك، واستفدت منه معالجته لمعركة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي – رضي الله عنهما – سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م.

ولقضية خروج الحسين في ميزان الشرع، واستفدت من الجزء الثاني في موقف عمر بن عبد العزيز من التمردات التي حدثت في عهده، لاسيما يزيد بن المهلب والخوارج، ثم استفدت منه في تمردات الشيعة لاسيما تمرد زيد بن علي إبن الحسين وموقف العلماء من تمرده كأبي حنيفة النعمان وغيره.

ثامنًا: الدراسات السابقة

وأخيرا، أشير إلى بعض الدراسات الحديثة التي تناولت بعض جوانب هذه الدراسة والتي استفدت منها باعتبارها خطوطا أولية يسير الباحث على مضمارها، غير أنها في غالبها اكتفت بإبراز الثورات الكبرى للعلويين والفرس والخوارج دون الخوض في التمردات الأخرى أو الدخول في التفاصيل والجزئيات التي تعرضت لها الدراسة، فكان لزاما عليَّ أن أبحث عن هذه الدراسات وكان لزاما عليَّ أن أشير إلى بعضها من قبيل الأمانة العلمية.

(١) المعارضة في العصر الأموي للباحث/محمد جمعة عبد العزيز يوسف – رسالة ماجستير، كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٨٣.

وقد اشتملت هذه الرسالة على ستة فصول: الأول نظرة معاوية إلى وظيفة الخلافة، الثاني المعارضة العامة وأورد فيها ثلاث ثورات، هي: ثورة الحسين، وأهل المدينة، وعبد الله بن الزبير والثالث المعارضة المذهبية وتحدث فيها عن الشيعة الخوارج، وكان الفصل الرابع عن المعارضة القبلية والفصل الخامس: الموالي في الدولة الأموية، والأخير العلاقة بين القوى المعارضة وبالرغم من أن هذه الرسالة من البحوث ذات الصلة المباشرة بموضوع بحثي، وقد استفدت منها في الفصل الرابع في قضية العصبية القبلية وموقف الشرع منها، وأن معركة مرج راهط بنواحي دمشق هي المعركة الأولى في تاريخ الإسلام التي قامت على أساس قبلي(٢٣).

إلا أنني أرى أن الباحث في هذه الرسالة تناول الموضوع بناء على نظرة معادية للدولة الأموية إلى حد ما وللخلفاء الأمويين على وجه الخصوص حيث يقول عن الدولة الأموية: "تعتبر الدولة الأموية انحرافا محزنًا مؤسياً عن المسار الذي كان يريده المسلمون قبل قيامها... فقد عارض الخلفاء الأمويون وولاتهم قواعد الإسلام... وأصبحت الفتوح الإسلامية عندهم تهدف إلى الكسب المادي البحت هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اتُّخذت كوسيلة لامتصاص الثورة في الداخل وشُغِل المسلمون بهذه الحروب(٢٤)... وكان الهدف من وراء تصرفات معاوية في التولية والعزل والمنع والعطاء وولاية العهد هو المصلحة الشخصية له، وكذلك فعل باقي خلفاء بني أمية باستثناء عمر بن عبد العزيز" (٢٥) وعلى النظرة سار الباحث في تناول المواقف المعارضة من الدولة الأموية.

23- المعارضة في العصر الأموي ص ١٤٦.
24- المرجع السابق ص أ المقدمة.
25- المرجع نفسه ص ب المقدمة.

(٢) الحركات المناهضة للخلافة العباسية للباحثة/ سامية محمود إبراهيم نصار، وهي رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٩٣.

احتوت هذه الرسالة على أربعة فصول: الأول موقف العباسيين والأمويين، من الحركات المناهضة الثاني حركات العلويين والخوارج، الثالث حركات العناصر الفارسية وظهور النّحل الفارسية القديمة، والأخير تذمر العنصر العربي ضد ازدياد النفوذ الفارسي.

وهذا البحث يُعد من البحوث القيمة التي تتصل بموضوع بحثي، حيث أن الباحثة تناولت الموضوع بشيء من الحياد والموضوعية ما استطاعت، وقد أفادني هذا البحث في فصله الثالث الذي تحدثت فيه الباحثة عن الحركات الفارسية المناوئة للعباسيين كالراوندية، والمقنعية، والخرمية حيث تقول: "منذ انتقال الخلافة إلى العباسيين والعناصر الفارسية تسعى جهدها لاستعادة نفوذها عن طريق إظهار نِحَلهم القديمة، وبعثها في ثوب إسلامي جديد. لكن العباسيين قاوموهم بشدة واحتفظوا للعقيدة الإسلامية بقوتها وللخلافة بهيبتها"(٢٦).

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والجميل والعرفان إلى أساتذتي الأجلاء الذين كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل إلى النور.

وأخص بالذكر أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ السيد أبو العزم داود أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية وعميد الكلية الأسبق والذي تفضل مشكورا بقبول الإشراف على الرسالة برغم أعبائه الثقيلة -أعانه الله عليها وجزاه عني وعن طلبة العلم خير الجزاء- فهو الذي شجعني على خوض غمار هذا البحث، ولم يضن عليّ خلال مشوار البحث الطويل بجهد ولا وقت حتى خرجت هذه الرسالة على عينيه، فله مني كل تقدير وعرفان بالجميل، فأحييه، وأسأل الله ربي أن يمد له في عمره وأن يبارك له في صحته وأهله وأن يسبغ عليه نعمة العافية -فجزاه الله عني وعن زملائي كل الجزاء- كما يشرفني ويسعدني أن أتوجه بعميق شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي العزيز الدكتور/ أحمد عبد السلام ناصف مدرس التاريخ الإسلامي بالكلية الذي كان لي أستاذا وأخًا كبيرا غمرني طوال مرحلة البحث بكامل رعايته وعطفه وأحاطني بعلمه وأمدني بما سألته إياه من مادة علمية، فلم يبخل عليّ قط بإسداء نصح أو بتوجيه صائب، مما مكنني من إنجاز هذا البحث، فله مني جزيل الشكر ووافر الامتنان- وأسأل الله العلي القدير أن يبارك فيه ويحفظه ويرعاه.

كما أتقدم بخالص الشكر وكامل التقدير إلى أستاذي الكبير الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد أبو الفضل أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بالكليه الذي غمرني وحباني برعايته ونصحه وإرشاده طوال مرحلة الدراسات العليا وكان لتفضله بقبول مناقشتي أعظم الأثر في نفسي، فهذا فضل عظيم منه فله مني جزيل الشكر والتقدير، وفي هذا المقام يطيب لي

26- الحركات المناهضة للخلافة العباسية ص١.

أن أتقدم بعظيم شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور/ محمد عيسى الحريري أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية الآداب جامعة المنصورة وعميد الكلية الأسبق على تفضله مشكورا بقبول مناقشتي في هذه الرسالة رغم أعبائه الجسام. فجزاه الله خيرا وله مني جزيل الشكر والتقدير.

وبهذه المناسبة أتقدم بوافر شكري وتقدير إلى زملائي الأعزاء طلبة الدراسات العليا بقسم التاريخ على كل ما قدموه لي من مساعدة مشكورة وعطف وحب واحترام متبادل، وإيثار لمَسْتاه منهم طيلة مشوار البحث -والله أسأل أن يعينهم على إتمام مشوار البحث حتى ينالوا درجاتهم العلمية بتفوق وامتياز إن شاء الله تعالى.

كما أتقدم بالشكر والجميل إلى كل من قدّم لي يد العون أو دعا الله لي بالتفوق من قريب أو بعيد وأسأل الله لهم جميعا أن يبارك فيهم ويجزيهم عني كل خير.

وأخيرا، فإن كان ما كتبته وفق ما شرع الله وهو الحق ووفق مراده، فهي البغية الكبرى والأمنية العظمى التي لم أزل أكدح لها وأسعى من أجلها وأسابق إليها. وإن يك غير ذلك، فما أنا بأول من اجتهد فحُرم الإصابة ولم يقع على المراد ولا المقصود، فذلك مبلغ علمي وغاية جهدي، فمن وقف على تقصير أو خلل أو غير ذلك فليعذر أخاه، فالتقصير من أوصاف البشر وليست الإحاطة بالعلم إلا رب البشر فهو وحده الذي وسع كل شيء علمًا، فبه سبحانه أعتصم وإياه أسترشد وعليه أعتمد وهو حسبي ونعم الوكيل، إنه سبحانه جدير بإجابتي قدير على تحقق رجائي وهو وليّي على كل خير ودافع كل سوء وضر والهادي في القول لصوابه ولا حول ولا قوة إلا به -وصلّ اللهم وبارك على خير خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

التمهيد

ويشتمل على:

أولا : المعنى اللغوي والاصطلاحي لحركات التمرد والعصيان:

ثانيا : حركات التمرد والعصيان قبل ٤١ هـ / ٦٦١ م.

أولا: المعنى اللغوي لحركات التمرد والعصيان.

إن إشكالية المصطلح تمثل الإشكالية الأولى في أية قضية، يتجلى ذلك فيما نحن بصدده من دراسة لظواهر وحالات الخروج عن السلطة الحاكمة في العصر الأموي والعباسي الأول، ونبتدئ في عرضنا لهذه الإشكالية المصطلحية ببيان المعنى اللغوي لألفاظ التمرد والعصيان في المعاجم اللغوية القديمة والحديثة وفي المصادر التاريخية.

ألفاظ التمرد والعصيان في المعاجم اللغوية القديمة:

تنتمي ألفاظ التمرد والعصيان إلى حقل دلالي واحد، فقد تقاربت دلالالتها إلى حد كبير في معالجات أصحاب المعاجم اللغوية القديمة، فقد جاء في لسان العرب أن التمرد: مَرَد على الشر وطغى وتمرّدَ أي: عتا، وتمرَّد أيضا أي جاوز حدَّه[١]، وكذلك فسره محمد بن أبي بكر الرازي فقال: (المارد هو العاتي)[٢]، وعليه سار الفيروز أبادي فقال "المتمرد هو من أقدم وعتا، أو من بلغ الغاية التي يخرج بها عن جملة ما عليه ذلك الصنف"[٣]، وبهذا قال ياقوت الحموي في معجمه: "المتمرد كل من تمرد وعصى، ومرد على الشر أي عتا وطغى"[٤].

أما العصيان فقد جاء في لسان العرب: "العصيان خلاف الطاعة، عصا العبد ربه خالف أمره، وعصى فلان أميره، إذا لم يطعه فهو عاص، ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السلطان قد استعصت عليه"[٥].

ووافقه في تفسيره ذلك الرازي فقال: "العصيان ضد الطاعة، عصى فلان عصيانا فهو عاص، وعصا أي استعصى عليه"[٦] ويضرب الرازي مثالا لما يقول: "إن الخوارج

(١) محمد بن مكرم بن منظور [ت ٧١١هـ] لسان العرب- ١٥ جزءًا – دار صادر بيروت – الطبعة الأولى – د. ت ٤٠٠/٣ - ٤٠١.

(٢) مختار الصحاح – مكتبة لبنان – طبعة ١٩٨٦ ص ٢٥٩.

(٣) القاموس المحيط – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م، ص ٤٠٧.

(٤) معجم البلدان – دار الفكر بيروت – ٥ أجزاء – د. ت – ٣٨/٥.

(٥) لسان العرب ٦٧/١٥

شقُّوا عصا المسلمين، أي شقوا اجتماعهم وائتلافهم، ويقال: انشقت العصا أي وقع الخلاف"[٧].

ويقول الفيروزي آبادي:"فلان شق عصا الطاعة: أي خالف جماعة المسلمين"[٨].

ويضع إبن منظور علامات ومظاهر للعصيان، منها أن يصاحبه السيف فيقول: "القول عصى: أي عصى بالسيف يعصي إذا ضرب به، وعصى الرجل في القوم بسيفه وعصاه فهو يعصي فيهم إذا عاث فيهم عيثاً"[٩].

التمرُّد والعصيان في المعاجم والقواميس الحديثة:

جاء تعريف التمرد عن مجمع اللغة العربية، حيث قال: "تمرد فلان على القوم أي عصى عنيدا؛ وتمرد على الشيء أي طغى"[١٠].

أما قاموس المنجد في اللغة العربية المعاصرة، فقد فسر لنا مصطلح حركة وقال: "حركة: كل من أتى بحركة فخرج عن سكونه"[١١]، "قسم الحركة إلى حركة ثورية وقال عنها: "هي عمل جماعي يهدف إلى إحداث تغيير في الأفكار والآراء والتنظيم، ثم حركة فكرية وهي نشاط جماعي ذو مناهج وغايات"[١٢].

أما مصطلح التمرد فورد فقيه -أي في قاموس المنجد- "التمرد هو الخروج على طاعة رئيس ومخالفة أوامره"

والمتمرد الذي يبالغ في المخالفة والعصيان... تمرد الجند: خرجوا على السلطة بقوة السلاح وهي فتنة وعصيان وثورة (حركة تمردية)[١٣]... والتمرد هو عصيان الأمر[١٤]، والعاصي المتمرد هو من يعلن الثورة على سلطة قائمة، فهو عاص ومتمرد[١٥]...)، أما العصيان فجاء في المنجد على نفس تفسيره للتمرد فقال:

---

(٦) مختار الصحاح ١٨٤/١.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) القاموس المحيط ص ١٦٩٢.

(٩) لسان العرب ٦٣/١٥، مختار الصحاح ١٨٤/١.

(١٠) المعجم الوسيط – الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، ٨٩٦/٢.

(١١) دار المشرق – بيروت – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م، ص ٩٨٦.

(١٢) المرجع السابق نفسه.

(١٣) المنجد في اللغة العربية المعاصرة ١٣٢٩: ١٣٣٠.

(١٤) المرجع نفسه ص ٩٨٦.

(١٥) المرجع نفسه ص ١٢٤.

"العصيان من عصى وخالف الأوامر، وخرج عن الطاعة فأعلن الرفض وثار وتمرد على السلطة وعصى"[١٦] ثم لخص العصيان، فقال: "العصيان روح التمرد"[١٧].

وقد جاء في تعريف منظمة اليونسكو للتربية والعلوم والثقافة بالأمم المتحدة أن التمرد (هو الدعوة بالأساليب غير المشروعة، لتغيير نظام الحكم أو قلب الحكومة القائمة بالقوة... ويتضمن ذلك معنى العصيان والخروج على القانون... كما يشكل التمرد جانبا ما من الجرائم ذات الطابع العسكري البحت يتضمنها قانون الأحكام العسكرية)[١٨].

ويوجد مصطلحات قريبة المعنى والدلالة لحركات التمرد والعصيان، مثل مصطلح الخارج فهو في اللغة من خرج خروجا أي برز من مقره أو حاله وانفصل، والخارجي من ليس له أصل في ذلك. والخارج هو الرجل الذي خرج على سلطان أو على رأي، وكل من خرج عن الخلفاء ونحوهم يسمى خارجاً، كالخوارج الذين خرجوا على الإمام علي - رضي الله عنه- وخالفوا رأيه[١٩] والخارجون والمنشقون في علم السياسة هم الأشخاص المعارضون للأيديولوجية السائدة في الجماعة أو الدولة، وهي التسمية الشائعة للمتمردين في إنجلترا في القرنين السادس والسابع عشر على عقائد وطقوس الكنيسة الإنجلياكنية[٢٠].

ومن المصطلحات أيضا مصطلح الفتنة، فقد جاءت في المنجد في اللغة بأنها (هي التحريض على العصيان)[٢١].

ومن المصطلحات أيضا الانقلاب ومعناه اللغوي من قلبه يقلبه، أي: حوّله عن وجهته[٢٢]، والانقلاب في الاصطلاح هو تغيير مفاجئ في نظام الحكم يقوم به في العادة بعض رجال الجيش[٢٣].

أما المصطلح شديد الصلة والارتباط بموضوع البحث فهو مصطلح الثورة، ففي اللغة، الثورة: من ثار الغبار وسطع ثورانًا وأثاره غيره ويقال ثوَّر فلان الشر تثويرا أي هيَّجه وأظهره[٢٤]، والثورة من الثور وهو الهيجان والوثب[٢٥].

---

(١٦) المرجع نفسه ص ٩٨٦.

(١٧) المرجع نفسه ١٣٣٠.

(١٨) معجم العلوم الاجتماعية – اليونسكو – إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين – الهيئة العامة للكتاب – مراجعة د/إبراهيم مدكور، طبعة سنة ١٩٧٥ ص ١٨١ - ١٨٢.

(١٩) المعجم الوسيط ٢٣٢/١ - ٢٣٣.

(٢٠) ناتاليا بفريموفا وتوفيق سلام – معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام – دار التقدم – موسكو – الطبعة الأولى بيروت – سنة ١٩٩٢م، ص ١٨٧.

(٢١) المنجد في اللغة العربية المعاصرة ص ٩٨٦.

(٢٢) المعجم الوسيط ٢٣٢/١ - ٢٣٣.

(٢٣) نفسه ٧٨٢/٢.

(٢٤) مختار الصحاح ص ٣٧.

وفي الاصطلاح تفسير الثورة بأنها تغيير أساسي في الأوضاع السياسة والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما[٢٦]. وتُفرّق اليونسكو في معجمها بين الانقلاب والثورة فتقول: "الانقلاب يرمي إلى مجرد قلب نظام الحكم وإحلال سلطة محل أخرى، أما الثورة الحقيقية فهي التي تنبعث من الشعب، وتعبر عن ميوله ورغباته وإن دبرها وقادها أشخاص معينون"[٢٧]. فالثورة هي تغيير نوعي عميق في تطور ظاهرة ما في الطبيعة أو المجتمع أو الفرقة، والثورة تمثل قفزة نوعية لا تتماشى مع التدرج[٢٨].

وبناء على تعريف الثورة السابق خلصت إلى أنها تنبع من الشعب، ويكون لها نتائج ملموسة، وإذا طبقنا ذلك على الفترة التاريخية التي نحن بصددها في العصر الأموي والعباسي الأول نجد أن ما قام به الحسين بن علي – رضي الله عنه– في كربلاء ٦١هـ/٦٨٠م وما قام به عبد الله بن الزبير في مكة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م وما قام به محمد بن عبد الله بن حسن النفس الزكية في المدينة المنورة سنة ١٤٥هـ/٧٩٢ م هي ثورات كبرى؛ لذلك لم نتعرض لها في دراستنا هذه، وإنما اكتفينا بثورة الحسين -رضي الله عنه- لأنها كانت منبع حركات تمرد وعصيان الشيعة والعلويين من بعده، إضافة إلى أن ثورة الحسين كانت في بدايتها شعبية عندما راسله أهل العراق خاصة الكوفة ثم انفضوا عنه وتركوه في بضع عشرات من الأنصار يواجه مصيره -رضي الله عنه- فلا ينبغي أن ندرس حركاتهم دون أن نتعرض لثورة الحسين بن علي – رضي الله عنه.

وخلاصة المنهج الذي اتبعته في دراسة حركات التمرد والعصيان أنني لم أورد تمردات أو ثورات الذين لم يبايعوا الخليفة فقط، إنما أوردت أصحاب التمردات التي كان لأصحابها بيعة أو عهد ثم نقضوه وخرجوا عليه.

وفي الختام نورد بعضا مما أوردته المصادر التاريخية عن مصطلح التمرد والعصيان، فقد ورد هذا المصطلح في مخطوط تاريخ الخلفاء والملوك وهو يتحدث عن الفتنة في بلاد الشام في عهده لما زادت العوائد على العمال والفلاحين فقال: "فاضطر كثير من أهل الزرع والرفع إلى التمرد والعصيان"[٢٩].

---

(٢٥) القاموس المحيط ص ٤٥٩.

(٢٦) المعجم الوسيط ١٠٧٩.

(٢٧) معجم العلوم الاجتماعية اليونسكو ص ٢٠٥.

(٢٨) معجم العلوم الاجتماعية يونسكو ص ٣٧٩.

(٢٩) مؤلف مجهول – تاريخ الخلفاء والملوك – مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٠ مجاميع ص ٢٦.

وأورد إبن الجوزي هذا المصطلح في قصة نوح -عليه السلام- فقال: "بُعِث نوح في زمن الملك بيوراس (الضحاك) وإلى أهل مملكته الذين تمردوا فعصوا، وأنهم هلكوا بمخالفته"(٣٠).

وأورد نظام الملك الطوسي هذا المصطلح في أحداث سنة ٢٦١هـ في تمرد يعقوب بن الليث على الخليفة المعتمد الذي هدده هو وجيشه بعواقب العصيان "...فلما سمع عسكر يعقوب هذا الكلام خرج أمراء خراسان دفعة واحدة واتجهوا صوب الخليفة، وقالوا: ظننا أنه كان يجيء للمثول بين أيديكم امتثالا للحكم والأمر والطاعة. أما وقد أظهر التمرد والعصيان الآن فنحن معك نحارب إلى جانبك حتى الرمق الأخير"(٣١).

ثانيا: حركات التمرد والعصيان قبل ٤١ هـ / ٦٦١ م.

حوى التاريخ الإسلامي العديد من حركات التمرد والعصيان على مر عصوره، شملت جميع نواحي الحياة: سياسية، عسكرية، اقتصادية، دينية، اجتماعية، فكرية ومذهبية وغيرها.

وتتفاوت حركات التمرد والعصيان فيما بينها من حيث القوة والضعف بناء على الآثار التي تتركها والنتائج التي تعقبها، فقد تُغير هذه النتائج في مجرى حوادث الدول أو الجماعات أو الأفراد، وقد تكون هذه النتائج نافعة ومفيدة، وقد تكون سيئة وضارة أو تجمع بين هذا وذاك. فهذه الحركات إنما تعتمد في أساسها على قاعدتين، هما: المبادئ والأفراد وبينهما تجاوب عميق وارتباط وثيق، فيمكن أن تصب هذه المبادئ في مصلحة أصحابها، وقد تتسع لصالح المجموع الذين ظهرت فيهم هذه المبادئ.

كما أن حركات التمرد والعصيان قد تظهر بصورة سلمية، أو قد تظهر بأخرى ثورية وهو الشائع، ويمكن أن تكون هذه الحركات إيجابية وربما تكون سلبية حسب ما تخلفه من نتائج أولا، وقد يكون القائمون بالتمرد على حق حينا أو قد ينادون بما ليس لهم فيه حق أحيانا أخرى(٣٢).

وعلى كل حال فإن في حركات التمرد والعصيان نوعًا من أنواع التغير والحيوية والنشاط سواء كان تغييرا إيجابيا أو سلبيًا. فإن لنا في إيجابياته العظة والتأسي وفي سلبياته الاعتبار والحذر، وما التاريخ إلا عظة واعتبار، فبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من

---

(٣٠) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك – دار صادر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ ٢٤٤/١.

(٣١) سياسة نامة – دار الثقافة – قطر – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ تحقيق يوسف حسن بكار ٥٣/١.

(٣٢) علي حسن الخربوطلي – حركة عبد الله بن الزبير وأثرها في تاريخ الدولة الأموية – ماجستير جامعة القاهرة. ص(أ) المقدمة.

أمثاله في هذه الدار[٣٣]. فالعظة والعبرة من علامات سعادات الدارين لأولي العرفان والاختيار[٣٤] والتاريخ من أجلّ العلوم قدرًا وأرفعها منزلة وذكرا، وأنفعها عائدة وذخرا[٣٥] {فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}[٣٦].

وتاريخ التمرد والعصيان عميق الجذور في تاريخ الإنسان، فقلّما يخلو عصر من الخارجين عليه في أي مكان في العالم، ولقد عصى آدم -عليه السلام- ربه في الجنة فضلّ وشقى {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ}[٣٧] بتحريض من ابليس الذي خرج عن طاعة ربه فوصفه الله بالتمرد {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ}[٣٨].{وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ}[٣٩]. والمارد والمريد هو الخبيث المتمرد الشرير، والمبالغ في ركوب التمرد والعصيان[٤٠]. ومنذ هبوط آدم على سطح الأرض حتى يومنا هذا وحركات التمرد والعصيان قائمة، فلقد خرجوا على الملوك والأنبياء -عليهم السلام- (وهؤلاء الخارجون يبيّتون الشرور وراء حجاب ويسعون في الأرض فسادا، ينتظرون نداء الخروج على الدولة، وكلهم آذان صاغية وأعين ساهرة تترقب إشارة البدء في الخروج على الحاكم)[٤١].

وفي التاريخ الإسلامي كانت اليمن أول محطة يخرج منها قطار التمرد والعصيان الديني، فلقد خرج عبهلة بن كعب بن عوف العنسي المنحجي سنة ١١هـ - ٦٣٢م على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فادعى النبوة بجانب نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان عبهلة كاهنا شعباذا، كان له شيطان يخبره ببعض الأمور التي تلفت أنظار

(٣٣) عبد الرحمن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، ٩/١.

(٣٤) شمس الدين السخاوي – التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة – دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٣ ط١ – جـ ٣/١.

(٣٥) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب سنة ١٩٩٧. تحقيق: جعفر الناصري وآخرين ٥٩/١، د. يوسف القرضاوي تاريخنا المفترى عليه – دار الشروق، بيروت سنة ٢٠٠٥م، ص٢٥٣، ٢٩٧.

(٣٦) سورة يوسف (١١١).

(٣٧) طه (١٢١).

(٣٨) الحج (٣).

(٣٩) الصافات (٧).

(٤٠) محمد بن مكرم بن منظور – لسان العرب – دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩١، ٣٠٨/١٠.

(٤١) نظام الملك حسين الطوسي – سير الملوك (سياسة نامة) – دار الثقافة، قطر، سنة ١٤٠٧هـ ط٢. تحقيق يوسف حسين بكار، ص٢٣٤.

الناس إليه، وزعم أن سحيقا وشقيقا ملكان ينزلان عليه من عند الله(٤٢). وينظم أسجاعًا يسبى بها قلوب من حوله حتى استطاع بمعاونة قبيلته مذجح من التغلب على نجران وإخراج عامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، واتسع سلطانه فشمل ما بين حضر موت إلى الطائف وما بين البحرين والإحساء إلى المدن. وقبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبره الوحي بمقتله وأرسل - صلى الله عليه وسلم - إلى من بقي على الإسلام في اليمن فقتلوه، فكان بين ظهوره ومقتله أربعة أشهر(٤٣).

وكان مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي. أبو ثمامة (الكذاب) قد تنبأ في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة - ١١هـ/٦٣٢هـ(٤٤)، وهو من المعمرين، ولد ونشأ باليمامة(٤٥). وقد جاء إلى المدينة مع وفد بني حنيفة إلى النبي- صلى الله عليه وسلم - ولكنه تخلف في خارج المدينة في رحال القوم، وجعل له رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قسما من الجعل الذي قسمه على وفد بني حنيفة عند عودته(٤٦).

ولما عاد مسيلمة إلى اليمامة أعلن أنه نبي، وأخذ يضاهي القرآن بأسجاع، وتسمى برحمان اليمامة(٤٧) وكتب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك، فرد عليه النبي

---

(٤٢) المطهر بن طاهر المقدس - البدء والتاريخ - مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٥٤/٥ - أبو محمد عبد الله بن أسعد الرافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان - دار الكتاب الإسلامي القاهرة سنة ١٤١٣هـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي - البداية والنهاية، المعارف، بيروت. ١٤٦/٨ - أحمد بن عبد الله القلقشندي.. مآثر الإنافة في معالم الخلافة - مطبعة حكومة الكويت، ط٢٢ سنة ١٩٨٥ تحقيق عبد الستار فرج ٤/١.

(٤٣)أحمد بن يحيى بن جابر البلاذي - فتوح البلدان - دار الكتب العلميه بيروت سنة ١٤٠٣هـ تحقيق رضوان محمد (٢٨٨/٣) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك - دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٨ ٢٥/٢ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي - المعرفة والتاريخ - دار الكتب بيروت ١٩٩٩ - تحقيق خليل المنصور.

(٤٤) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري - الطبقات الكبرى - دار صادر بيروت. ٣١٦/١، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - المعارف - الناشر دار المعارف القاهرة تحقيق ثروت عكاشة ٥/١. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان دار الثقافة لبنان، تحقيق إحسان عباس ٢٧/٣.

(٤٥) بلدة تقع في بادية الحجاز في منطقة نجد أكثر أهلها من بني حنيفة: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله - معجم البلدان - دار الفكر بيروت، ٤٤١/٥.

(٤٦) مجير الدين الحنبلي العليمي - الأنس الجليل، مكتبة دنديس عمان سنة ١٩٩٩، تحقيق، عدنان يونس نباته، ٢٢٢/١.

(٤٧) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري - أخبار المدينة المنورة - دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٦ تحقيق علي محمد دندل وآخرين، ٣٠٤/١، ٣٠٥، فتوح البلدان ١٣/١، تاريخ الطبري ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

(إلى مسيلمة الكذاب لعنه..) ودعاه إلى الإسلام(٤٨)، ونزل فيه قول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ (٤٩).} وقد اتبعه خلق كثير من قومه بني حنيفة وكانوا نحو مائة ألف أو يزيد، فكانت له فتنة فاحشة(٥٠)، وتوفي النبي - صلى الله عليه وسلم - نبأ القضاء على فتنته، ولما تولى أبو بكر الصديق الخلافة سنة ١١هـ - ٦٣٢م أرسل لقتاله جيشا بقيادة خالد بن الوليد، فظفر به أحد الجنود وهو وحشي الحبشي فقتله بالحربة التي كان قد قتل بها حمزة عم النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد سنة ٣هـ، ٦٢٤م، وقد قتل من الصحابة في معركة اليمامة هذه أربعمائة وخمسين صحابيا جلهم من قراء القرآن وحفظته(٥١).

وفي خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- (١١-١٣هـ/٦٣٢ - ٦٣٣م) اتسعت دائرة التمردات الدينية فإلى جانب مسيلمة الكذاب، كانت سجاح بنت الحارث سويد بن غطفان التميمية والتي تنبأت هي الأخرى بالجزيرة العربية وهي من قبيلة تميم وأخوالها من بني تغلب(٥٢) وتبعها من القبيلتين خلق كثير وأتت إلى مسيلمة الكذاب فتزوجته فتزوج الكذاب من الكذابة(٥٣) وبقيت سجاح على غيها وضلالها في أخوالها بني تغلب إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان فأسلمت وحسن إسلامها، ونقلهم معاوية إلى العراق فماتت بالبصرة(٥٤).

وفي جبل سمرقند بنجد الحجاز، ادّعى النبوة طليحة بن خويلد الأسدي واتبعه خلق كثير من قبائل أسد وتميم وغطفان إلى جانب ما كان قد انضم إليه من قبائل أشجع وعوام طيء وخواص من الأفناء(٥٥) فبايعوه(٥٦). فسار إليه خالد بن الوليد، فانهزم طليحة وهرب

---

(٤٨) عن نص الكتاب انظر: أخبار المدينة ٣٠٤/١، المعارف ٤٠٥/١- البدء والتاريخ ٦١/١.

(٤٩) سورة الأنعام ٩٣.

(٥٠) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض سنة ١٩٨٦ - تحقيق د/ محمد رشاد سالم ١٤٨/٧.

(٥١) أبو عبد الله بن عمر الواقدي - فتوح الشام - دار الجيل بيروت ١٠٥، احمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني - دار الراية الرياض ط١ سنة ١٩٩١م - تحقيق د/باسم فيصل أحمد الجوابرة، ١٧١/٦، تاريخ الطبري ٢٣٦/٢.

(٥٢) تاريخ الطبري ٢٦٩/٢، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج - المنتظم - دار صادر بيروت ط سنة ١٣٥٨، ٢٢/٤، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني- الكامل في التاريخ - دار الكتب العلمية بيروت ط٢ سنة ١٤١٥هـ تحقيق/عبد الله القاضي ٢١٤/٢.

(٥٣)، تاريخ الطبري ٢٦٩/٢، البدء والتاريخ ١٦٤/٥، منهاج السنة النبوية ٢٤٨/٤.

(٥٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - ط بيروت سنة ١٩٦٠م ٢ ٢٦٩، المعارف ٢٠٥/١، المنتظم ٢٦٩/٢.

(٥٥) الأفناء معناه الأخلاط تقال إذا لم يعلم من هو القوم في انتشارهم وتشعبهم. لسان العرب ١٦٥/٥.

حتى دخل خباء له اغتسل فيه ثم خرج، فركب فرسه وأهلَّ بعمرة متجها إلى مكة ثم أتى المدينة فأسلم وحسن إسلامه[٥٧].

وقد أبلى طليحة فيما بعد في فتح العراق، ومع البراء بن عازب في فتح الدستبى[٥٨]، وكان يعد بألف فارس وأخيراً استشهد في موقعة نهاوند سنة ٢١هـ ٦٤١م بعد بلاء حسن[٥٩].

وقد شكلت حركات الردة السابقة للمتنبئين الجانب الديني من حركات التمرد التي ظهرت في أواخر عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- وقد همَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يرسل جيوشا للقضاء على هؤلاء، ولكن المنية وافته قبل ذلك، وهؤلاء المتنبئون إنما ارتدوا لشهوة الرياسة وحبًّا للزعامة، وتبعهم أقوامهم بغير إعمال للعقل ولا تدبر (فإن المرتد إنما يرتد إما لشبهة عنده أو لشهوة..)[٦٠] ويلاحظ أن هؤلاء ارتدوا ردة كاملة في بلاد طيء وحنيفة وأسد وتميم واليمن كما سبق وتبين.

أما الجانب الآخر من حركات التمرد التي ظهرت في أوائل خلافة أبي بكر الصديق فتمثلت في ارتداد بعض قبائل العرب عن دفع الزكاة إلى خليفة رسول الله لشبهة في فهم النصوص، ظنًّا منهم أن الصدقة لا تؤدى إلا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - لقول الله تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا }[٦١] فلما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - امتنعوا عن أداء الزكاة متأولين الآية أن الزكاة لا تؤدى إلا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأما بعد موته فإنها تسقط عنهم وهذه شبهة في فهم النص ترتب عليها ردتهم عن الزكاة[٦٢]، والتي وقف أمامها أبو بكر -رضي الله عنه- بكل حزم

---

(٥٦) تاريخ الطبري ٢٠٩٩، البداية والنهاية ٤٨/٥.

(٥٧) خليفة بن خياط الليثي العصفري (أبو عمر) - تاريخ خليفة بن خياط - دار القلم، دمشق وبيروت ط٢ سنة ١٩٩٧ - تحقيق د/أكرم ضياء العمري، ١٠٢/١.

(٥٨) الدستبي: كورة كبيرة تقع بين الري وهمذان مقسمة بينهما دستبي الري ودستبي همذان: معجم البلدان، ٢ ٤.

(٥٩) فتوح البلدان ١٠٥/١، الكامل في التاريخ ١٦٦/٢، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تاريخ الخلفاء - مطبعة السعادة، مصر سنة ١٣٧١م ط١، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحـ ص٧٣، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني - التدوين في أخبار قزوين، دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٧ تحقيق عزيز الله العطاري ١٢/١، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار إبن كثير دمشق ط١ سنة ١٤٠٦ (تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وآخرين ٣٢/١).

(٦٠) منهاج السنة النبوية ٤٧٧/٧، علاء الدين عبد الغفار منصور - إبن تيمية مؤرخا - رسالة ماجستير كلية الآداب طنطا سنة ٢٠٠٤م إشراف د/ السيد داود ص١٩٢.

(٦١) التوبة (١٠٣).

(٦٢) تاريخ خليفة بن خياط ١٠٣/١، فتوح البلدان ١٠٩/١، تاريخ الطبري ٢٠٩٩، المنتظم ١٤ الكامل في التاريخ ١٦٦/٢.

وعزم، فعقد أحد عشر لواء في أنحاء الجزيرة لمحاربة هؤلاء: في البحرين، حيث مرتدي عبد القيس وقبائل ربيعة، وإلى قبائل العرب الأخرى المرتدة في أنحاء الجزيرة عن الزكاة، مثل بني سليم ومن معهم من هوازن وقبائل قضاعة ووديعة والحارث وغيرها[٦٣]، وهكذا دارت رحى هذه المعارك التي استغرقت ما بقي من السنة الحادية عشرة للهجرة استنفر فيها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحد عشر جيشا تحت أعين أبي بكر وعمر وعلي وأهل مشورة الخليفة بغير كلل ولا ملل في سبيل حفظ الدين وتثبيت أركانه - رضي الله عنهم جميعا -[٦٤].

ولم تشهد خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (سنة ١٣ – ٢٣هـ/٦٣٤ – ٦٤٣م) حركات عصيان، إلا أن مبدأ الفتن كان بمقتله -رضي الله عنه-حيث تجرأ غلام المغيرة بن شعبة على قتله وهو قائم يصلي في المحراب في آخر سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكان مبدأ الفتن[٦٥].

فقد شهدت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- (٢٤: ٣٥هـ/٦٤٤ – ٦٥٥م) حركات معارضة وتمرد سلمية وثورية خاصة في سنة ثلاثين من الهجرة، ولعل السبب في ذلك تدفق غنائم الفتوحات والخراج على المدينة فارتفع نصيب الفرد منها حتى وصل إلى مائة ألف، وفاض بيت المال بالخراج، فظهر الترف وعمت الرفاهية البعض الذين بدأوا يركنون إلى الدنيا، ويتثاقلون عن النفرة في سبيل الله للجهاد والغزو، مما حدا ببعض صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمثال أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه[٦٦] - أن يندد بهذا الوضع ويرصد المآخذ على سلوك الأغنياء،

---

(٦٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ابن عساكر) – تاريخ مدينة دمشق – دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٥م تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ٢٤٠/١٦. أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري أبو جعفر (ت سنة ٦٩٤هـ) – الرياض النضرة في مناقب العشرة – دار الغرب الاسلامي بيروت ط١ سنة ١٩٩٦: تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، ٤٨/٢.

(٦٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٨، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي – تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) – دار القلم بيروت طبعة ٥ سنة ١٩٨٤، ٢/ ٤٧٦، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة – دار الجيل بيروت ٣٦٤/٣، تاريخ الخلفاء ص ٧٣.

(٦٥) تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٥، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن أبي الربيعي – مولد العلماء ووفياتهم – دار العاصمة الرياض، ط١ سنة ١٤١٠، تحقيق د عبد الله الحمد، ١٠٩/١، التحفة اللطيفة ١/ ٤٣، عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي – سمط النجوم العوالي – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٩٨، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ٣/ ٥٠١.

(٦٦) الطبقات الكبرى ٤/ ٢١٩، الآحاد والمثاني ٣/ ٢٣٨، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني – حلية الأولياء – دار الكتاب العربي – بيروت سنة ١٤٠٥ هـ، ط٤، ١/ ١٥٦، المبتدأ والتاريخ ٥/ ٩٣، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٦٩.

الأغنياء، وعموما كثر الكلام على أمير المؤمنين عثمان في أواخر عهده وظهرت شبهات على سياسته -رضي الله عنه- من معارضيه كان لهم في بعضها حق والبعض الكثير منها هم فيها على غير حق[٦٧]. حتى كان من ضمن معارضي أمير المؤمنين عثمان بعض الذين كان له يد عليهم مثل محمد بن أبي حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس[٦٨] الذي طلب منه أن يوليه شيئا فأبى عثمان -رضي الله عنه- فاستأذنه محمد بالخروج عن المدينة ودخل مصر وبدأ يتغير على أمير المؤمنين عثمان وأخذ يدعو إلى خلعه من الخلافة، فعاتبه عثمان على ذلك وذكّره الفضل بينهما فلم يزدجر، بل كان لمحمد الفضل في التعاون مع عدد من أنصار رأس النفاق والمنافقين عندئذ وهو عبد الله إبن سبأ[٦٩] الذي أثار حركات التمرد والعصيان ضد عثمان، فأشعل الثورة ضده وجمع الساخطين عليه، حتى أصبح إبن سبأ رأس طائفة معادية لعثمان -رضي الله عنه- عرفت بالسبئية[٧٠]، كانت تقول بألوهية علي بن أبي طالب، يعود أصل هذا المنافق إلى صنعاء، حيث كان يهوديا فأسلم زمن عثمان، وكان يُعرف بابن السوداء، رحل إلى الحجاز، فالبصرة، فالكوفة، ودخل دمشق فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وهناك وجد تربة خصبة لإنبات بدعته فجهر بها في مصر[٧١]. وابتدع مذهب يقول برجعة النبي - صلى الله عليه وسلم - ويزعم أن عليا بن أبي طالب جزءًا إلاهيا لذلك لا يموت، وقال بأن عليًا لم يقتل وإنما الذي قتل هو شيطان له تصور بصورته ومن ثم توهمت الناس أنه قتل، كما توهم اليهود والنصارى أن عيسى قتل. وقال بالغيبة والرجعة لعلي، وهذا المذهب السبئي وجد له صدى في البصرة والكوفة بين أتباع علي بن أبي طالب ومحبيه، وكذلك في مصر حين كان إبن سبأ بها[٧٢]. وبهذا وغيره افتتن به أناس من أهل مصر والذين كتبوا

---

(٦٧) إبن تيمية مؤرخا، ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٦٨) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي – سير أعلام النبلاء – مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤١٣هـ ط٩ تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وآخرين. ١٦٥/١، الإصابة ١٠/٦، الوافي بالوفيات ١ ٦٣، ٢٤٣/٢.

(٦٩) حلية الأولياء ٢٥٣/٨، الرياض النصرة ٣٨١/١، الوافي بالوفيات ١٠٠/١٧، وفيات الأعيان ٤/

(٧٠) سيف بن عمر الضبي الأسدي – الفتنة ووقعة الجمل – دار النقاش بيروت سنة ١٣٩١هـ ط١ تحقيق/ أحمد راتب عرموش – ٤٢/١، ٤٥، ٥٨، تاريخ مدينة دمشق ٤/٢٩.

(٧١) محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي – مقتل الشهيد عثمان – دار الثقافة – الدوحة ط١ سنة ١٤٠٥ تحقيق د/ محمود يوسف زايد. /٦٧٢، ٩٠ وما بعدها، البداية والنهاية ١٧٠/٧، تاريخ إبن خلدون ٥٩٢/٢.

(٧٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري -مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين سلسلة الذخائر ٦١، تصحيح هلموت ريتر ط٤ سنة ٢٠٠٠م – ص١٥، عبد القاهر بن طاهر البغدادي – الفرق بين الفرق مكتبة إبن سينا القاهرة سنة ١٩٨٨ ص٢٠٥.

إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالأوا على ذلك، وتكاتبوا فيما بينهم به، وتواعدوا المدينة ليجتمعوا على عثمان وينكرون عليه أولا[٧٣].

وبعد مجادلات عقيمة معلوم نتائجها مع أمير المؤمنين عثمان، حيث كان هؤلاء قد خططوا وبيتوا على قتله رضي الله عنه، وما الجدال إلا ستار فلم يقبلوا منه إحسان ولا اعتذار ولا تصحيح لشبهاتهم[٧٤] منه -رضي الله عنه- على المنبر ولا رضوا منه نيته وعزمه على تصحيح ما قد يكون حدث من أخطاء، وبعد مخطط مدروس رحل أهل مصر والعراق عن المدينة ثم ما لبثوا أن عادوا متذرعين بحجة عن أهل مصر لا أصل لها، مفادها أن عثمان كتب إلى والي مصر من قبله عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي عثمان لأمه أن يقتل وفد مصر العائد أصحاب محمد بن أبي بكر الصديق الذي قد أرسله عثمان لكي يليَ أمر مصر بدلاً من بن أبي سرح[٧٥].

بهذه الذريعة حاصر المتمردون دار عثمان أربعين يوما ثم تسور عليه الغوغاء داره، وأقبلوا عليه وهو يتلوا كتاب الله فتناوشته سيوفهم حتى قتلوه شهيدا -رضي الله عنه- يوم الجمعة ثماني عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة على الصحيح المشهور[٧٦]، ثم اتجه هؤلاء القتلة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وخاطبوه (والله لتمدن يدك نبايعك أو لتعصبن عينك عليها ثالثة)[٧٧].

وأصبح بعد ذلك مقتل عثمان على يد هؤلاء المتمردين هو مفتاح الشر الذي فتح بوابة الصراع بين المسلمين على مصراعيها، فقد دلجت الجماعة المسلمة منه إلى ميدان العداوة والفرقة، حيث نجح إبن سبأ في تأجيج نار الفتنة التي أدت إلى

---

(٧٣) أخبار المدينة المنورة ص ٨٧، المنتظم ٤٩/٥، الكامل في التاريخ ٣٦/٣، سمط النجوم العوالي ٣٥٦/٣ مقتل الشهيد عثمان ٤٥/١.

(٧٤) عن هذه الشبهات والرد عليها انظر: القاضي أبو بكر بن العربي – العواصم من القواصم- المكتبة العلمية بيروت – طبعة ١٩٨٥ ص٦٣ وما بعدها حيث فند فيها المؤلف قرابة عشرين شبهة ادعى خصوم عثمان فيها مظالم ومناكير افتراء عليه رضي الله عنه، إبن تيمية مؤرخا ٢٠٣ وما بعدها.

(٧٥) الرياض النضرة: ٣٨٠/١ وما بعدها، وفيات الأعيان ٣١١/٤، إبن تيمية مؤرخا ٢٠٨، د. صالح زهر الدين – موسوعة معارك العرب – المركز الثقافي اللبناني بيروت سنة ٢٠٠٣- ١٤٠/٢.

(٧٦) التحفة اللطيفة ٤٣/١، مجهول – برهان الكمال وكمال البرهان في ترجمة خلفاء الزمان – مخطوط بدار الكتب والمخطوطات رقم ١٤٦٧٧ – كليفورد بدموند بوزورث – الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي – ترجمة حسين اللبودي – مؤسسة الشراع العربي الكويت ط٢ ص١٩، ٢٠.

(٧٧) كان على رأس هؤلاء الأشتر النخعي (مالك بن الحارث). انظر مجموعة من كبار الباحثين – موسوعة عالم الأديان - اشراف ط. ب مفرج – الناشر د.نوبلس بيروت (د. ت)ص٢٠.

سرعة نضوج الفرقة بين المسلمين[٧٨] نضجًا أدى إلى انشطار الأمة فيما بعد إلى شطرين شطر سني وآخر شيعي، في خلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- (٣٥: ٤٠هـ/ ٦٥٥ – ٦٦٠م)[٧٩].

ولربما قد تكون هناك حكمة أو سرٌ في خروج الخلافة بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن عليّ بن أبي طالب، وذهابها إلى أبي بكر وعمر وعثمان، كما يشير إلى ذلك المقريزي بقوله: إنه لو تولى علي الخلافة حينئذ وهو أبو الحسن والحسين، لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل، أن الخلافة حينئذ ملك متوارث لا يكون إلا في آل البيت، كما تزعم الرافضة، فصان الله العقائد من هذه الشبهة، كما صانها من شبهة القائل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو رجل يطلب ملك أبيه – يقصد ملك جده عبد المطلب – وهو قول حسد ولهذا السر جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخلافة في عامة قريش ولم يخص بها أهل بيته، ولا بني هاشم، حتى لا يتخيل تتخيل أنه ملك متوارث، وقد ظهر لي – أي للمقريزي - أن ولاية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني أمية الأعمال كانت إشارة منه - صلى الله عليه وسلم - إلى أن الأمر سيصير إليهم[٨٠]).

وعلى كل حال شهدت خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أقوى حركات تمرد ضده، وكان أول ما قام به -رضي الله عنه- هو أن نقل مقر الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة استمالة لأهل العراق[٨١] خاصة وأن أكبر قوى الدولة الإسلامية تمركزت في ثلاث معسكرات: في الكوفة والبصرة والجابية بالشام[٨٢]، وكانت الكوفة

(٧٨) الأسرات الحاكمة، د/صلاح الدين الهادي – اتجاهات الشعر في العصر الأموي – دار الثقافة العربية، القاهرة ص(١١).

(٧٩) إبن تيمية مؤرخا ٢٠٥، موسوعة عالم الأديان – مجموعة باحثين – دار نوبل بيروت ٣٤/١٧ الأسرات الحاكمة، ص٢٠.

(٨٠) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي – النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم - دار المعارف – سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٨٨ – تحقيق د/ حسين مؤنس ص٩٢.

(٨١) الأسرات الحاكمة ص٢٠، (يوجد من يرى أن نقل مركز الخلافة للكوفة كان من أسباب تفرق كلمة المسلمين وعدم اجتماع الكلمة على عليّ -رضي الله عنه-) إبن تيمية.. منهاج السنة ٣٢١/٤، إبن تيمية مؤرخا ص٢٢٢.

(٨٢) الجابية: قرية من أعمال دمشق، معجم البلدان ٩١/٢، ويقال إن مكان دمشق الحالي كان يسمى بالجابية ولدمشق باب يسمى بالجابية، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحموي - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – عالم الكتب بيروت ط سنة ١٩٨٩م ٣٦٨/١، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي – معجم ما استعجم – عالم الكتب بيروت ط٣ سنة ١٤٠٣ هـ تحقيق/ مصطفى السقا ٥٥/١.

مركز المتمردين على عثمان -رضي الله عنه- الذين جاءوا بعليٍّ -رضي الله عنه- لمنصب الخلافة وأخذوه معهم إلى معسكرهم[٨٣].

وكانت أول معضلة في طريق عليّ -رضي الله عنه- قابلته بعد أن أصبح أميرًا للمؤمنين هي موقفه من قتلة عثمان -رضي الله عنه- حيث لم يستطع -رضي الله عنه- تسليم القتلة لأنهم كانوا زعماء جيشه ومن أنصاره، وليس بمقدوره حينئذ تسليمهم أو الاقتصاص منهم[٨٤].

فرق استشهاد عثمان -رضي الله عنه- المسلمين عموما في المدينة وخارجها إلى ثلاثة أحزاب على رأس كل حزب من يتبنى الموقف الذي يؤيده ويدافع عنه[٨٥].

الحزب الأول: يرى سرعة القصاص من القتلة، وضرورة خضوعهم لسلطان القصاص الشرعي، وتحمل جريرة عدوانهم، وعلى رأس هذا الحزب طلحة بن عبيد الله[٨٦] والزبير بن العوام[٨٧].

وقد عرض الاثنان على عليّ -رضي الله عنه-[٨٨] مساعدته في القبض على القتلى لإقامة حد الله عليهم بأن يستقدموا له جنودا من البصرة والكوفة والبلاد التي ترى معهم سرعة القصاص في القتلى[٨٩].

والحزب الثاني: يرى ما يراه الحزب لأول لكن يستمهل في القصاص ريثما تستقر الأمور ويتم إنجاز قد يرونه ضروريا من توفير مقدمات ذلك الأمر مما يضمن سلامة التنفيذ

---

(٨٣) كان على رأس المتمردين حينئذ: محمد بن أبي بكر، القعقاع بن عمر، الأشتر بن مالك بن علي الحارث، عدي بن حاتم، هند بن عمرو، الهيثم بن الشهاب وغيرهم: موسوعة معارك العرب ٢/١٤١.

(٨٤) موسوعة معارك العرب ٥/٧٦.

(٨٥) منهاج السنة ٧/٢١، ٥٥، إبن تيمية مؤرخا ١٨١.

(٨٦) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب مجلس شورى عمر بن الخطاب، وأحد السابقين من المهاجرين، آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين الزبير بن العوام، الرياض النضرة ١/١٩٧، سير أعلام النبلاء ١/٢٣، التحفة اللطيفة ١/٤٧٣.

(٨٧) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، إبن ابنة عمة النبي - صلى الله عليه وسلم - صفية، وزوجته أسماء بنت أبي بكر وأحد العشرة المبشرين بالجنة واحد ستة مجلس الشورى، أول من سلّ سيفا على المشركين. وكان حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خليفة بن خياط الليثي العصفري – الطبقات – دار طيبة الرياض ط٢ سنة ١٩٨٢ تحقيق: د/أكرم ضياء العمري، ١٠/١٣، الأحاد والمثاني ١/١٥٧، أبو بكر أحمد بن عمرو أبي عاصم الشيباني ت ٢٧٨ – الأوائل – دار الخلفاء الكويت – تحقيق محمد بن ناصر العجمي ١/٩١، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – الأوائل. مؤسسة الرسالة – بيروت ط سنة ١٤٠٣هـ تحقيق/ محمد شكور محمد – ١/٥٤، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني – الأنساب – دار الفكر بيروت ط سنة ١٩٩٨. تحقيق عبد الله عمر البارودي ٣/١٣٦، الإصابة ٢/٥٠٢.

(٨٨) منهاج السنة النبوية ٧/٢١، إبن تيمية مؤرخا ٢١٣.

(٨٩) أخبار المدينة المنورة ٣/٢٥٦، البداية والنهاية٧/١٩٣، تاريخ الخلفاء ١/١٦٢.

حتى لا يترتب على ذلك فتنة أكبر، وعلى رأس هذا الفريق يأتي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي كان دائما ما يدعو على قتلة عثمان (اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان) وفي رواية أخرى "والله ما شهدت ولا قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، ما قتلت ولا رضيت، اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل"[٩٠]، بل إنه عرض على بني أمية أن يباهلهم عند الكعبة على ذلك[٩١]، بل إن الحسن ابنه قال: "ما علمت أحدًا أشرك في دم عثمان -رضي الله عنه- ولا أعان عليه إلا قتل"[٩٢].

الحزب الأخير: هم الذين لزموا الحياد في الفتنة، فلم يستطيعوا أن يتبنوا الوجه الحق الذي ينحازون إلى جانبه فلم يقاتلوا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء[٩٣]، وكان أكثر هؤلاء القاعدين من السابقين الأولين، حيث أن القتال كان قتال فتنة بتأويل ولم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب[٩٤]. حتى إن إبن تيمية يذكر بالتحديد على لسان محمد بن سيرين - رضي الله عنهما - عدد الصحابة الذين اشتركوا في هذه الفتنة: "إن الفتنة لما هاجت كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة صحابي، بل لم يبلغوا قرابة الثلاثين"[٩٥]. ويؤكد إبن تيمية أن المشاركين انقسموا في الفتنة إلى قسمين أو شيعتين: شيعة عثمانية وأخرى علوية، وأكد أنه ليس كل من قاتل مع علي كان يفضله على عثمان، بل كثير منهم كان يفضل عثمان وهؤلاء سائر أهل السنة[٩٦].

وعلى كل حال وليقضي الله أمرا كان مفعولاً فإن الفريق الذي يرأسه طلحة والزبير توجَّه إلى مكة، حيث كان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيهم أم المؤمنين عائشة يؤدين فريضة الحج، فرجوها أن تخرج معهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيراعوا حرمة نبيهم فيجمع الله الشمل ويحسم النزاع، فاتجهوا إلى البصرة

---

(٩٠)أخبار المدينة ٢٦٨/٢، أضاف إبن شبة معلقا على هذا الدعاء: أن هذا الدعاء لما ذكر أمام عبد الملك بن مروان في خلافته قال: (ما رؤى لعلي ذنبا.. اللهم جلل قتلة عثمان اليوم خزيا)، منهاج السنة ٤٠٦/٤.

(٩١) أخبار المدينة المنورة ٢٨٠/٢.

(٩٢) المصدر السابق ٢٧٠/٢.

(٩٣) نذكر من هؤلاء على سبيل المثال: سعد بن أبي وقاص ــ ت سنة ٥٤هـ - وعبد الله بن عمر ــ ت سنة ٧٤هـ - وحسان بن ثابت الشاعر ــ ت سنة ٥٤هـ - وأبو سعيد الخدري ــ ت سنة ٧٤هـ - وكعب بن مالك ــ ت سنة ٥٦هـ -، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ــ العبر في زمن من غبر ــ مطبعة حكومة الكويت ــ ط ٢ سنة ١٩٩٤ ــ تحقيق د/ صلاح المنجد ــ ٥٦/١ ــ ٥٩ ــ ٨٢، موسوعة معارك العرب ١٤١/٢، إبن تيمية مؤرخًا ص ١٨٢.

(٩٤) منهاج السنة ٢١/٧، ٥٧.

(٩٥) المصدر السابق، ٢٣٧/٦.

(٩٦) المصدر السابق، ١٣٢/٤.

يستنفرون أهلها للخروج ليكونوا عونا لهم على القبض على قتلة عثمان فخرجت معهم أم المؤمنين على جمل يسمى عسكر(٩٧).

ولم يكن خروج هؤلاء خروجا على عليّ، بل كان للإصلاح والمصالحة، فلم يبطل قط هذا الحزب إمامة عليّ -رضي الله عنه- ولا طعنوا فيها، فكلا الحزبين كان مصيبًا في غرضه، فلم ينازع أحد من هذا الحزب عليا في خلافة وإلا كانوا ولوا من يختارونه بديلا عن علي، وإنما كان كل ما أنكروه على عليّ تأخره أو منعه من قتل قتلة عثمان، وترك القصاص منهم(٩٨).

في هذه الأثناء كان أمير المؤمنين عليّ يتجهز بجيشه للذهاب إلى معاوية إبن أبي سفيان بالشام والذي رفض بيعة عليّ وعصا أمره بسبب موقفه من قتلة عثمان، فلما علم بخروج طلحة والزبير وأم المؤمنين للبصرة حول المسير إلى هناك ليقف بنفسه على حقيقة الأمر(٩٩).

فتواجه الكل على ذلك الصعيد وبدأت الرسل تتوافد بين الفريقين (فريق الكوفة وفريق البصرة)، وبعد أن تكلم الجميع وتبادلوا الرأي اتفقوا على أن يترك الأمر بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بشرط أن لا يدخر وسعا في إقامة الحد على قتلة عثمان فور تمكنه من ذلك(١٠٠). وأشرف القوم على الصلح وخطب علي -رضي الله عنه- في الناس وأعلن أنه مرتحل من الغد، ونادى في الناس بالرحيل معه إلا من أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس(١٠١)، عندئذ تأكدت رءوس الفتنة أن الله أحبط كيدهم، فاجتمع عبد الله بن سبأ ورءوس الفتنة وليس فيهم صحابي، ومالوا إلى رأي إبن سبأ القائل بأن نجاتهم في إشعال الحرب بين الفريقين(١٠٢).

وبالجملة نجح قتلة عثمان في تقسيم أنفسهم ليلاً بين الفريقين بحيث انصرف كل فريق إلى قرابته في الفريق المنوط به فباغتوهم، وهجموا بالسيوف على الفريق المقابل حتى يثيروا الناس فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم. ففزع الفريقان فريق البصرة يتهم

---

(٩٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ ١٨٠، تاريخ الطبري ٣ ١٠٠، العواصم من القواصم ١٥٢، إبراهيم على شعوط - أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ - المكتب الإسلامي بيروت ط٦ سنة ١٩٨٨ ص١٥٩.

(٩٨) أبو يعلي محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد الفراء - تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - دار النبلاء عمان - مكتبة الرشد الرياض سنة ٢٠٠١م، ص ٢٦: ٢٩، تاريخ ابن خلدون ٢ ١٥٥.

(٩٩) المعرفة والتاريخ ٣ ٣٢٢، تاريخ اليعقوبي ١٨٢/٢، ١٨٣، تاريخ الطبري ٢٢/٣ - ٢٣.

(١٠٠) العبر في زمن من غبر ٣٥/١، شذرات الذهب ٤٢/١، سمط النجوم العوالي ٢ ٨.

(١٠١) تاريخ الطبري ٣ ٣٦، تاريخ ابن خلدون ٢ ١٨٦.

(١٠٢) تاريخ الطبري ٣ ٣٢، الكامل في التاريخ ٢ ١٠٢. كان من بين المتآمرين (علباء بن الهيثم عدي بن حاتم، سالم ابن ثعلبة، الأشتر النخعي، شريح بن أوفى، وبعض المصريين. وخالد بن ملجم. انظر: تنزيه خال المؤمنين ٢٩.

فريق الكوفة والعكس واستعر القتال حول جمل السيدة عائشة حتى كادت أن تسقط من فوق ظهره على الأرض -رضي الله عنها- وهي تخطب في المتقاتلين وتحثهم أن يعودوا إلى صوابهم(١٠٣). وقتل حول الجمل قرابة العشرة آلاف. وانتهت المعركة بهزيمة الحزب الأول(١٠٤) ومقتل طلحة والزبير وعودة أم المؤمنين(١٠٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الذين نجحوا في اشعال نار الحرب بين الحزبين هم من الطغاة الخارجين عن الحق، ومن لم يعرف بعينه. ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، وهذا مما يعذر عليه أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه-(١٠٦)، وبالجملة يتبين أن ما دفع الصحابة للاقتتال في معركة الجمل في طف – ريف - البصرة كان يتدبر من السبئية، وأن الصحابة لم يكونوا ليتقاتلوا فيما بينهم ظلما وعدوانا، وكلا الفريقين قصد الخير والحق -فرحم الله الجميع(١٠٧).

رجع أمير المؤمنين علي بعد موقعة الجمل إلى الكوفة ثم أرسل إلى معاوية بالشام يدعوه إلى البيعة له، فجمع معاوية رءوس الصحابة عنده وقادة جيشه وأعيان الشام واستشارهم فأجمعوا على إنه يجب على عليّ القصاص من قتلة عثمان أولاً ثم نبايع له،

---

(١٠٣) عن هذه الخطبة وموقف عائشة فيما بعد من معركة الجمل انظر: تاريخ خليفة ١٨٠/١، سهل الرزاز الواسطي – تاريخ واسط - عالم الكتب بيروت ط١ سنة ١٤٠٦هـ - تحقيق كوركيز عواديم ٧١/١، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – دار الكتب العلمية – بيروت ١٨٥/٩، ٢٦٢/١٢.

(١٠٤) تاريخ الطبري ٣٧/١، خالد محمد الغيث – "استشهاد عثمان ووقعة الجمل" في مرويات سيف بن عمر في "تاريخ الطبري" دراسة نقدية دار الأندلس الخضراء ط٢ سنة ١٤٢٠هـ ٢١٤، ٢١٥.

(١٠٥) تاريخ ابن خلدون ٦١٨/٢، شذرات الذهب ٤٢/١، سمط النجوم العوالي ٨/٢.

(١٠٦) تنزيه خال المؤمنين معاوية ٢٩، ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي بيروت ط٤ سنة ١٤١٦هـ تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، ص٤٨٣.

(١٠٧) منهاج السنة ١٨٥/٢، كان من نتائج هذه المعركة:

أ- لأول مرة يقود خليفة مسلم بنفسه معركة حربية.

ب- لأول مرة يقود خليفة مسلم بنفسه معركة ضد إخوانه في العقيدة.

ج- كان لها تشريع خاص: لا يُتبع مُول ولا يجهز على جريح ولا ينتهب مال، من ألقى سلاحه فهو آمن، من أغلق بابه فهو آمن، ليس على الموحدين سبي، لا يغنم من أموالهم.

د- أنهكت قوة البصرة والقريشيين الذين كانوا على رأسها.

هـ- أصبحت الكوفة عاصمة الخلافة وخرجت البصرة من حلبة الصراع.

و- بات أمر المواجهة على أرض المعركة بين معسكري الكوفة والشام أمرا محتما على عليّ ومعاوية رضي الله عنهما.

ز- لم يستطع علي تسليم قتلة عثمان لأنهم كانوا زعماء في جيشه ومن أنصاره، وليس بمقدوره تسليمهم او الاقتصاص منهم) موسوعة معارك العرب ٧٦/٤.

حيث ان معاوية كان هو ولي دم عثمان لأنه إبن عمه، إضافة إلى أن بني عثمان وسائر عصبته اجتمعوا إلى معاوية وطلبوا منه أن يمكنهم من قتلة عثمان أو يسلمهم إليهم(١٠٨).

ويذكر إبن تيمية أن معاوية في قتاله مع علي لم يدَّعي الخلافة لنفسه ولا تسمى بأمير المؤمنين، بل إن معاوية يقر بأنه قد قاتل عليا وليس له سابقته ولا فضله ولا صهره، وأن عليا أولى بالأمر منه، ولكنه قاتله لظنه أن جيش علي فيه ظلمة يعتدون كما اعتدوا على عثمان قبل ذلك. وأن قتالهم دفعا لصيالهم وقتال الصائل جائز(١٠٩).

في المقابل كان علي معذورا أن يبدأ أهل الشام بالقتال لأنهم امتنعوا عن بيعته وطاعته، وجعلوه مشاركا في دم عثمان ونسبوا إليه ما هو بريء منه.

وعلى الجملة بدأ القتال بصفين على الفرات في ذي الحجة سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م بمناوشات ومبارزات ثم تهادنوا في المحرم سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م ثم استؤنف القتال واستمرت الحرب قرابة مائة وعشرة أيام وقعت فيها قرابة تسعين موقعة، وقد امتازت هذه المواقع بنبل الشجاعة والتعامل والاتصال في القتال وعند الراحة والتهادن(١١٠). وقتل في هذه المعارك قرابة سبعين ألفا، منهم خمسة وأربعون من أهل الشام والباقي من أهل العراق لم يكن منهم سوى خمسة وعشرين بدريا فقط(١١١). ولما اشتدت رحى المعارك على جيش أهل الشام وكثر القتل رفعوا المصاحف مطالبين بالتحكيم(١١٢). وهو ما رفضه علي -رضي الله عنه- ولكن حمله عليه جماعة من القراء الذين سيخرجون عليه فيما بعد(١١٣). واتفقوا على أن يمثل أهل العراق في الصلح أبو موسى الأشعري ويمثل أهل الشام عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وكتب كتاب التحكيم في صفر سنة ٣٧هـ - ٦٥٧م، على أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان القادم بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح(١١٤).

---

(١٠٨) تاريخ الطبري ٧٦/٣، العواصم من القواصم ص١٦٣، منهاج السنة ٣٠٧/٤، ٢٠٨/٧، ١٦١/٢. عمر بن أحمد إبن أبي جرادة بن العديم - بغية الطلب في تاريخ حلب - بيروت - تحقيق سهيل زكار ٢٩٤/١، منهاج السنة ١٨٣/٤.

(١٠٩) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية - دار الشروق ط٢ سنة ٢٠٠٦م ص٩٢: ٩٧.

(١١٠) تاريخ خليفة ١٩٦/١، الكامل في التاريخ ١٨/٣، منهاج السنة ٣٨٤/٤. إبن تيمية مؤرخا ص ٢٢٩.

(١١١) تاريخ الطبري ٧٦/٣، المنتظم ١٣١/٥، العبر ٣٨/١، تاريخ إبن خلدون ٣٠/٢.

(١١٢) الطبقات الكبرى ٢٦٣/٣، المعارف ٣٠٩/١، المعرفة والتاريخ ٢٢٣/٣، الآحاد والمثاني ٢٠٨/١.

(١١٣) تاريخ خليفة ١٩٢/١، البدء والتاريخ ٣٦/٥، ٢٢٥، الكامل ٢١٥/٣، المنتظم ١٢٤/٥ (عرف الخوارج فيما بعد بأنهم القوم الذين يأخذون من الناس العشر من غير إذن الخليفة) انظر علي بن محمد بن علي الجرجاني - التعريفات - دار الكتاب العربي بيروت - طبعة ١٤٠٥هـ تحقيق إبراهيم الإبياري ١٣٧/١.

(١١٤) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز. افتتحت صلحا على عهد رسول الله وفيها تم الصلح بين الحسن ومعاوية فيما بعد، معجم ما استعجم ١٢٠/١، معجم البلدان ١٢٩/١.

وفي الموعد المحدد وبحلول شهر رمضان اجتمع الحكمان بالمكان المحدد بأذرح وكان منطوق الحكم أن يخلع الحكمان عليا ومعاوية وبتركا الأمر شورى للمسلمين يختارون من يمثلهم، وأعلن ذلك أبو موسى الأشعري، ثم وقف بعده عمرو ووافق أبو موسى على خلع علي من الخلافة ولكنه أعلن عن تثبيت معاوية فيما هو عليه بحجة أنه ولي عثمان والطالب بدمه في وجود علي وغير علي - رضي الله عنه- كخليفة للمسلمين(١١٥). وانفض الناس ورحل كل إلى بلده.

ولقد دارت حول واقعة التحكيم هذه مناقشات ومجادلات ومغالطات وافتراءات على الحكمين وحكمهما، وقد ساق كل ذلك إبن الفراء ورد عليه حين قال: "ما ذكره كثير من المؤرخين من أن الحكمين لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل اتفقا على أن يخلعا الرجلين.. وأن عمرًا بن العاص قال: خلعت صاحبه وثبت صاحبي وإلى كل ذلك مما فيه وهن وكذب، بل زادوا واختلقوا أحاديث مكذوبة عن زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى.. ولم يكتف الواضعون من أهل التاريخ بهذا، بل وسموا الحكمين بصفات لا تليق بهما، فقد وصفوا أبا موسى الأشعري بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا في القول، في حين وصفوا عمرًا بن العاص بأنه كان صاحب مكر وخداع. وكل ذي لب يعلم أن المسلمين من كلا الطرفين لم يقدموا على إسناد أمر التحكيم لهما إلا بعلمهم بما هما عليه من الفضل، وأنهما من خيار الأمة، ومن أكثر الأمة ثقة وورعًا وأمانا(١١٦).

وساق إبن الفراء حجته في ذلك، بأن من قال بتلك الافتراءات تجاهل أن معاوية في حربه مع علي لم يكن خليفة، ولا ادعى الخلافة يومئذ حتى يثبته عمرو أو يخلعه منها، فإن معاوية كان مسلمًا تماما لعلي بالخلافة. ودليل ذلك أنه طلب منه أن يسلم القتلة، أو أن يقيم عليهم الحد، باعتبار علي خليفة المسلمين وهذا من صميم مهام الخليفة وقد علق معاوية بيعته لعلي على ذلك محتجا بأن عثمان قُتِل مظلومًا وتجب المبادرة من الاقتصاص من قتلته، وهذه هي مهمة الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-(١١٧).

وعلى الجملة كان موقف أمير المؤمنين علي من التحكيم من أوله هو الرفض التام، ولكن معسكره كان الاختلاف قد دب فيه بين مؤيد ومعارض، وفي النهاية رجحت كفة المؤيدين، ونزل عليٌّ عليها درءا للفتنة وحسما للفرقة وتوحيدًا للصف، ثم عاد للكوفة انتظارًا

---

(١١٥) البدء والتاريخ ٣٦/٦، ٢٢٥، العواصم من القواصم ١٧٤، إبن تيمية مؤرخا ٢٢٩.

(١١٦) تنزيه خال المؤمنين ٣٧، ٣٨، فانظر أيضا العواصم من القواصم ١٧٩، منهاج السنة ٢ ١٨٤، ابن تيمية مؤرخا ١٩٧: ٢٠٠.

(١١٧) العواصم من القواصم ١٦٨، ١٦٩، تنزيه خال المؤمنين ٣٨، منهاج السنة ٤ ٤٤٨، ٤٤٩.

لموعد التحكيم في رمضان سنة ٣٧هـ - ٦٥٧م[١١٨]. وهنا إذ بفريق من الذين كانوا يؤيدون التحكيم يؤاخذون عليًّا -رضي الله عنه- على قبوله التحكيم، فقد رأوا فيه -بعد- أنه ضلالة - فكيف إذاً يحكم الرجال في حكم الله؟ فخرج عليه جماعة من هؤلاء واعتزلوا في منطقة حروراء[١١٩]، وكان عددهم قرابة اثني عشر ألفا، فأرسل إليهم عليٌّ رسولا من قبله يحاورهم فكان عبد الله بن عباس، الذي ذهب إليهم وناقشهم، فطاوعوه هذه المرة وعادوا إلى الكوفة[١٢٠]. ولكنهم وبعد إعلان نتائج التحكيم عادوا وخرجوا على عليٍّ -رضي الله عنه- مرة أخرى وكفروه لقبوله التحكيم، مع أنهم كانوا في البداية أحرص الناس على التحكيم، وخرج هؤلاء الخوارج على الطاعة واستحلوا المحارم وقطعوا السبل وقتلوا عبد الله بن خباب من صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-[١٢١].

مما اضطر علي -رضي الله عنه- إلى أن يبدأ بقتالهم ويعدل عن قتال معاوية إلى حين لدرء مفسدتهم ولأن خطرهم على الكوفة أقرب من خطر معاوية، فاتجه عليٌّ -رضي الله عنه- بجيشه إلى المدائن[١٢٢]، وأرسل إلى الخوارج الذين تحصنوا بالنهروان[١٢٣]، أن ابعثوا لنا القتلة ونترككم سالمين، فقالوا كلنا قتلة فنصحهم علي -رضي الله عنه- ووعظهم وأنذرهم فلم يستجيبوا إلا إلى السيف، فأمر عليٌّ برفع راية الأمان، ونادى مناد: من استظل بها فهو آمن ومن انصرف للكوفة فهو آمن، فانصرف الكثير ما عدا ألفا منهم يحمّسهم عبد الله ابن وهب الراسبي[١٢٤] الذي بدأ القتال فقتلوا عن آخرهم ولم يقتل من معسكر علي -رضي الله

(١١٨) تاريخ خليفة ١/١٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٠، تاريخ الطبري ٣/١١٣.

(١١٩) حروراء قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، معجم البلدان ٢/٢٤٥، ويقال حروراء بالمد، قرية قرب الكوفة كان بها أول اجتماع الخوارج - محمد عبد الرؤوف المناوي – التعاريف - دار الفكر المعاصر بيروت سنة ١٤١٠هـ ط١ تحقيق/ د/ محمد رضوان الداية ١/٢٧٧.

(١٢٠) المعارف ١/٣١٧، الفائق الزمخشري ٤/٤٧، الكامل في التاريخ ٣/٢٢١، بغية الطلب في تاريخ حلب ١/٩٤.

(١٢١) هو عبد الله بن خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، دارت بينه وبين الخوارج مناقشة ثم ضربوا عنقه وبقروا بطن أم ولده، وبهذا استحل علي – -رضي الله عنه- قتالهم الطبقات الكبرى ٥/٢٤٥، المعارف ١/٣١٧، البدء والتاريخ ٥/٢٢٤.

(١٢٢) المدائن: مدينة تقع غربي نهر دجلة وكانت كسروية جاهلية، بينها وبين بغداد خمسة عشر ميلا، وبينها وبين واسط فرسخ واحد، معجم ما استعجم ٤/١٣٦٣، نزهة المشتاق ٢/٦٧٠، معجم البلدان ٥/٧٤.

(١٢٣) النهروان/ كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي - معجم البلدان ٥/٣٢٥.

(١٢٤) هو عبد الله بن وهب الراسبي – وقال اليافعي: يقال إنه شيباني – من بني راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك ابن نصر بن الأزد بن الغوث، له إدراك وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وقبيلة بني راسب نزلت بالبصرة، وسمي أتباع عبد الله بالراسبية، حيث كان عبد الله رأس الخوارج. تاريخ الطبري ٣/١٨٠، البدء والتاريخ ٥/١٣٦، الأنساب للسمعاني ٣/٢٥، مرآة الجنان ١/١٠٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٥/١٠٠.

عنه- إلا سبعة نفر[١٢٥] ومع هذا النصر العظيم إلا أن خروج الخوارج من جيش علي -رضي الله عنه- زاد أهل العراق ضعفا ورهقا، في حين كان أهل الشام يزدادون قوة وعزما. وفي النهاية خذل أهل العراق أمير المؤمنين عليا بخروج هذه الطائفة عليه وكانت نهايته -رضي الله عنه- على يد أحدهم عبد الرحمن إبن ملجم لعنه الله أحد رءوس الخوارج ليلة الجمعة السابع عشرمن رمضان سنة أربعين من الهجرة وهو يوقظ الناس لصلاة الفجر -رضي الله عنه- وكرم الله وجهه[١٢٦].

ولقد كان قتال عليٍّ -رضي الله عنه- للخوارج الذين تمردوا عليه واستحلوا دماء وأموال المسلمين وكفروهم[١٢٧] من أعظم الأعمال التي قام بها علي -رضي الله عنه- في خلافته، في حين أن جميع ما كانت تنكره الخوارج على عليّ -رضي الله عنه- وحتى خصومه من غير الخوارج لا يعدو على أن يكون ذنبا أو خطأ، وعلي -رضي الله عنه- قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة منها: سابقته وإيمانه وجهاده وشهادة النبي له بالجنة وسائر طاعته وتوبته من أمور كثيرة أنكرت عليه فندم عليها وتاب منها، ومنها أيضا أنه قتل مظلوما شهيدا[١٢٨].

وأختم خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- بتوضيح موقف أهل السنة من القتال الذي دار بينَ عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – ويتلخص في: الإمساك عما شجر بين الصحابة لفضلهم ومحبتهم. وما وقع بينهم كان لهم فيه عذر، وإن خفي علينا، وتأكد للجميع توبتهم منه. ومن ذلك ما يكون مغفورا لهم، فالخوض فيما شجر بينهم يوقع في نفوس كثير من الناس من بغض وذم فيكون بذلك مخطئا بل عاصيا فيضر بنفسه ومن خاض معه في ذلك ولهذا كان الإمساك طريقة أهل السلف[١٢٩]. لاسيما وقد وصف الله الطائفتين فسماهم المؤمنين {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ}[١٣٠]. وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –

---

(١٢٥) المعارف ٣١٧/١، المعرفة والتاريخ ٣٢٤/٣، تاريخ اليعقوبي ١٩٠/٢، البداية والنهاية ٢/

(١٢٦) البدء والتاريخ ٢٢٤/٥، العبر للذهبي ٤٤/١، تاريخ ابن خلدون ٢٤٦/٢، سمط النجوم العوالي ٦٦/١.

(١٢٧) ابن تيمية – مجموعة الفتاوى – مكتبة التوفيقية القاهرة – تحقيق خيري سعيد وآخرين ٢٧٨/٢٨، ابن تيمية مؤرخا ٢٣٣.

(١٢٨) منهاج السنة ١٩٨/٦، ٧ ،٥١٠، ابن تيمية مؤرخا ٢٣٤.

(١٢٩) منهاج السنة ٤ ٤٤٨، ٤٤٩.

(١٣٠) الحجرات (٩)، ابن تيمية مؤرخا ٢٢٨.

صلى الله عليه وسلم – "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه" رواه البخاري(١٣١).

فسماهم الله مؤمنين مع وجود الاقتتال والبغي، فدل ذلك على أن الطائفتين مسلمون وأن ترك القتال كان خيرا من قيامه، ولم يكن محمودا" قط بل الصلح هو المحمود(١٣٢). ولو كان عليّ -رضي الله عنه- يعلم اللوائن التي نتجت عن قراره عزل معاوية عن الشام – مع أن بعضاً ممن يحبون عليا نصحوه بإقرار معاوية أولا ثم عزله لكنه رفض – لكان قد عدل -رضي الله عنه- إلى إقرار معاوية على الشام، ولكان ذلك أخف ضررا وأصلح من قتال صفين التي لم يحصل بها إلا زيادة الشر وتضاعفه، بل لربما كانت ولاية معاوية على الشام أكثر خيرا وأقل شرّاً من محاربته، وحتى لو كانت في ولايته شرا(١٣٣).

وعلى الجملة كان عليٌّ -رضي الله عنه- إماما مجتهدا لم يفعل إلا ما رآه مصلحة، فلم يكن يعرف المستقبلات، وأن عزل معاوية وقتاله هو وأصحابه سينتج عنه ما جرى، لأنه لو لم يقاتل معاوية لكان أعز وأقوى وانتصر، ولجمع حوله أكثر الناس، ولكانت أكثر البلاد تحت ولايته، فلما قاتلهم ضعف أمره، حتى صار مع معاوية وأصحابه بعد ذلك كثير من البلاد التي كانت في طاعته، مثل مصر واليمن، أما الحجاز فكانت دولا(١٣٤).

ولما مضى أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- إلى سبيل ربه شهيدا، اجتمعت كلمة الناس على ابنه الحسن في نفس اليوم السابع عشر من رمضان سنة ٤١هـ/ ٦٦١م فبايعوه ورضوا به وأحبوه وكتب الحسن إلى عماله يأمرهم بالاحتراس والسير إلى معاوية بالشام، وخرج في نيف وأربعين ألفا اتجه بهم إلى سباط المدائن(١٣٥)، فأقام بها أياما وقع في أثنائها في معسكره هرج وتخبط ووقع النهب(١٣٦). حتى إنهم دخلوا ونهبوا فسطاطه -رضي الله عنه- وخرج عليه أحد أفراد جيشه متمردا فضربه بخنجر مسموم في إليته

(١٣١) أبو القاسم المقدسي الناصري الكركي علي بن بلبان ت سنة ٦٨٤هـ - تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – د. ت. ص ٢٤/١.

(١٣٢) انظر استدلالات ابن تيمية على ما يقوله في منهاج السنة ٤٤٩/٤.

(١٣٣) المصدر نفسه ١٤٣/٨.

(١٣٤) منهاج السنة النبوية ١٤٠/٨: ١٤٣، د/صلاح الدين الهادي – اتجاهات الشعر المعاصر في العصر الأموي – دار الثقافة العربية القاهرة طبعة سنة ١٩٨٢ ص١٧

(١٣٥) مجهول – تاريخ الخلفاء والملوك – مخطوط – دار الكتب المخطوطات رقم ٨٦٠ مجاميع ص١١، البدء والتاريخ ٥ ٢٣٥، العبر للذهبي ٤٧/١.

(١٣٦) أبو فرج الأصفهاني – مقاتل الطالبيين – هيئة قصور الثقافة سنة ٢٠٠٣ تحقيق/ فهيم شلتوت ٦٣، ٦٤، المنتظم ١٦٦/٥، مآثر الإنافة ١٠٦/١، ١٠٨، سمط النجوم العوالي ٨٩/٣.

فخدشه فتألم ألما شديدا ومقت بعدها أهل العراق(١٣٧). برغم أن جيش الحسن هذا كانوا قد بايعوه على الموت وأحبوه أشد من حبهم لأبيه(١٣٨).

ولما وصل الجيش مسكنا(١٣٩) من أرض الكوفة في عشر ليال وقدم قيس بن سعد(١٤٠) في اثني عشر ألفا للقاء معاوية الذي كان قد قدم بشر بن أرطأة على رأس جيش لقتال قيس فكانت بينهما مناوشات، ثم تحاجزوا ينتظرون الحسن(١٤١) وعندما رأى الحسن -رضي الله عنه- ما يسفك من الدماء وينتهك من المحارم قال: لا حاجة لي في هذا الأمر، وقد رأيت أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه تباعة هذا الأمر وأوزاره، فقال له الحسين أخوه: أنشدك الله أن لا تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه، فرد عليه الحسن: لتتابعني على ما أقول أو لأشدنك في الحديد حتى أفرغ منه، فقال له الحسين: فشأنك به وإني لكاره(١٤٢).

وقد تمت إجراءات وساطة بين الحسن ومعاوية -رضي الله عنهما- لعقد صلح بينهما على شروط الحسن(١٤٣)، وسلم الحسن إلى معاوية أمر خلافة المسلمين بما له، وما عليه وبايع له في شهر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، ودخل معه الحسن الكوفة، ثم انصرف معاوية عنها إلى الشام، وعرض معاوية على الحسن أن يتولى حرب الخوارج فاعتذر الحسن بأنه لو كان له ذلك لما تنازل عن الخلافة، وأكرم معاوية الحسن بن علي وأقبل إليه ثم قال: "أقسمت عليك كم عليك من الدَّين؟ قال الحسن: ثلاثمائة ألف، فقال معاوية:

يا غلام، احمل للحسن ثلثمائة ألف. فقام الحسن ثم حملت معه ثلثمائة) (١٤٤). ثم عاد الحسن -رضي الله عنه- إلى المدينة فمات بها سنة ٤٩هـ ربيع الأول وقيل توفي لثمان خلون من محرم سنة ٥٠هـ يناير سنة ٦٧٠م(١٤٥).

---

(١٣٧) العبر للذهبي ٤٧/١، ٤٨، سمط النجوم العوالي ٨٩/٣، مؤلف مجهول من ق١١م – تاريخ الخلفاء – مخطوط رقم ٣٥٤٦٦ ج دار الكتب.

(١٣٨) البدء والتاريخ ٥ ٢٣٥، ٢٣٩، تاريخ دمشق ١٥٠/٥٩.

(١٣٩) مسكن: موضع علم نهر دجيل بالعراق. معجم ما استعجم ١٢٢٧/٤، معجم البلدان ٣٢٧/٥.

(١٤٠) مؤلف مجهول – شرح شافية أبي غراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباس – مخطوط بدار الكتب رقم ٤٧٨٦. ص ٣ع.

(١٤١) الكامل في التاريخ ٢٧١/٢، مآثر الإنافة ١٠٦/١.

(١٤٢) البدء والتاريخ ٢٣٦/٥، العبر للذهبي ٤٨/١.

(١٤٣) تاريخ الطبري ٣ ١٧٥، الكامل في التاريخ ٢٧١/٣.

(١٤٤) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن الأسد بن الحارث بن الخزرج، اختلف في كنيته، فقيل: أبو عبد الله وأبو القاسم وأبو عبد الملك. أمه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن الأسد، دفعه أبوه الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليخدمه فكان (*) واتصف قيس بالشجاعة وبسطة الجسم وصغر الرأس وأمرد الوجه. حمل لواء رسول الله

وأخيراً اجتمعت كلمة المسلمين على معاوية بن أبي سفيان وسمي العام بعام الجماعة واتخذ معاوية من دمشق عاصمة لحاضرة الخلافة بعد الكوفة والمدينة المنورة، وصدق في الحسن حديث جده - صلى الله عليه وسلم - ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[١٤٦]، وبهذا الحديث استدل القاضي إبن العربي على صحة خلافة معاوية تحقيقا لرجاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبهذا قامت الدولة الأموية – موضوع بحثنا في بابه الأول – من سنة ٤١ حتى سنة ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٤٩م.

وأخيراً، يحسن بنا قبيل أن نلج باب الدولة الأموية والعباسية، لنتعرف على حركات التمرد فيهما، وكيف واجهته كل دولة -أن نسلط شعاعا من الضوء على لقب الخلافة، ومنصب الخليفة في الإسلام، ونورد رؤية الإسلام للتمرد والعصيان على الحاكم، حتى يكون ما نقوله بعلم وعدل وانضباط[١٤٧]. فنعلل أسباب الحوادث ونوضحها، ونثبت الحقائق ونقررها[١٤٨].

إن التاريخ معرفة منزهة عن الأغراض، فليس سردا لذكريات قومية، أو تمجيدا لأسرات حاكمة[١٤٩]. فالعدالة في رواية المؤرخ هي شهادة حق يعبر بها عن استقامته في

صلى الله عليه وسلم – في بعض مغازيه، وولاه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– مصر وحضر معه حرب الخوارج بالنهروان وصفين، ثم كان مع الحسن (*) في حربه مع معاوية – رضي الله عنهما – فكان على مقدمة جيشه بالمدائن، ولما صالح الحسن معاوية وبايعه دخل قيس في المصـ ـة وتابع الجماعة ورجع إلى المدينة واجتهد في العبادة ومات بها في آخر خلافة معاوية، ومات قيس سنة ٧٥هـ في خلافة عبد الملك، وقيل إنه مات خارج المدينة في تفليس هربًا من معاوية، ولكن الرأي الأول أقرب للصواب، حيث أنه قد صالح معاوية ودخل في الجماعة وهذا ما أجمعت عليه أكثر المصادر التي رجعنا إليها، طبقات ابن سعد ٥٢/٦، طبقات خليفة بن خياط ٧/١، معجم الصحابة ٣٤٦/٢، تاريخ دمشق ٣٩٦/٤٩، المنتظم ٣١٦/٥، سير أعلام النبلاء ٣ ١٠٢، الوافي بالوفيات ٢١٢/٢٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٣/٥، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٥٩، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٣٨٧/٣.

(١٤٥) تاريخ خليفة ٢٠٣/١، المعارف ٢١١/١، تاريخ اليعقوبي ٢٠٤/١، محمد بن أحمد بن أعثم الكوفي – كتاب الفتوح – دار الندوة الجديدة – بيروت لبنان ط١ ١٤٨/٤، ١٥٤.

(١٤٦) العواصم ١٩٩، منهاج السنة ٤٠/٤، ٤١، العبر ٤٧/١، ٤٨، ٥٠ ابن تيمية مؤرخا ٢٣٦.

(١٤٧) ابن تيمية مؤرخا ٩٥، أنور الجندي – الإسلام تاريخ وحضارة – دار الاعتصام سنة١٩٨٣ ص١٠٨.

(١٤٨) بول فيس - أزمة المعرفة التاريخية – ترجمة إبراهيم فتحي – دار الفكر للتوزيع سنة١٩٧٨، ص٨٨.

(١٤٩) عن منهج البحث التاريخي وأصوله وقواعده. انظر ابن تيمية مؤرخا ص٩٥، ١١٧ وما بعدها.

الدين[١٥٠]. بعيدا كل البعد عن التعصب لمذهب أو جنس، أو لملة، أو لمدينة، أو لدين، أو لغير ذلك[١٥١].

فلقد أسس النبي - صلى الله عليه وسلم - الدولة الإسلامية بعد هجرته - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة، وبعد أن استقر فيها، واتخذها له مقرا، ووضع لها أسسًا واضحة مستقيمة محددة وثابتة، ظلت هذه الأسس قوية ومتماسكة وفعالة في حياته - صلى الله عليه وسلم -[١٥٢].

وبعد انتقاله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى، أضحت الدولة إلى مسيس الحاجة إلى ما يكفل استمرار هذه الأسس لدفع مسيرة الدعوى، حتى يمكن أن تكون الدولة سندا وقوة للدعوة. وانطلاقا من هذه الحاجة الماسة كانت مسارعة الصحابة إلى اجتماع السقيفة مجالاً لتأكيد هذه الحقيقة، وذلك لاختيار أقرب الناس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهجًا وسلوكًا ليخلفه من بعده، وهذا ما اتجهت إليه إرادة المجتمعين يومئذ بالسقيفة، حتى يصبح نظام الحكومة هو طريق الاتباع الخالص للأسس التي بدأها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس بنيانها ورسم سياستها، وفقا لتعاليم الوحي المنزل من عند الله تعالى ومنها كان ظهور مصطلح (الخلافة)[١٥٣] كنظام حكم لتكون دون غيرها من الأسماء التي كانت شائعة لرؤساء الدول حينئذ[١٥٤]. فالخلافة اسم يطلق على كل من قام بأمر المسلمين جميعا قياما عاما، وللفقهاء تعريفات شتى للخلافة أوجزها الماوردي في أنها:

---

(١٥٠) مويد فاضل ملا رشيد – شبهات حول العصر الإسلامي الأول – دار الوفاء ١٩٨٦، ص٣٦، سيد قطب – في التاريخ فكرة ومنهاج – دار الشروق بيروت ١٩٧٤ ص٣٩، ٤٠.

(١٥١) محمد سليم العوا – في النظام السياسي للدولة الإسلامية – د/الشروق بيروت ط٢ سنة ٢٠٠٦ ص٧٦.

(١٥٢) هذه الأسس هي: أ-تبليغ الرسالة ونشرها بين كافة الناس. ب-عقد المعاهدات بين المسلمين وغيرهم حسب الأصول التي تحفظ للجميع حياة كريمة. جـ- جعل المسجد بجانب الصلاة غرفة عمليات للتشاور وتنظيم أمور الدعوة و استقبال الوفود. د-اتخاذ الشورى مبدأ أصيلا للرسول - صلى الله عليه وسلم - يتبعه مع أصحابه. انظر: حسين الحاج - حضارة العرب في صدر الإسلام – المؤسسة الجامعية ط١ سنة ١٩٩٢م ص١٥٩٠.

(١٥٣) الخلافة في الأصل مصدر خلف: يقال خلفه في قومه يخلفه خلافة فهو خليفة، وخليفة إذا جاء بعده، والخليفة هو الذي يستخلف ممن قبله. ومنه قول الله تعالى {وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي} الأعراف ١٤٢، لسان العرب ٩ ٨٤، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - مختار الصحاح – مكتبة ناشر بيروت ضسنة ١٩٩٥ تحقيق محمود خاطر ٧٨/١، محمد بن صالح العثيمين – ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة – دار الإيمان الإسكندرية ٢٧، ٢٨.

(١٥٤) لم يختر المسلمون يومئذ لقب الملك مثلا وكان من الألقاب الشائعة، لأن حقيقة الملك من ملك الشيء تمليكا جعله ملكا، ومعناها أيضا التغلب على الناس فيستعبدهم وهم في الأصل أحرار، لسان العرب ١٠ ٤٩٣، مختار الصحاح ١ ٢٦٤. أما الخلافة فهي مستحدثة بعد الملك. وإطلاقها على المسمى المخصوص لا يبعد أن يكون من الأنظمة الاسلامية، وحقيقتها ومسماها ناشئ بعد الملك، محمود أديب تقي الدين الحصني – منتخبات التواريخ المطبعة الحديثة دمشق سنة ١٩٢٧ ١/٨٣٠، ٨٤.

خلافة للنبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[155]. وعند إبن خلدون: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا كلها ترجع عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة[156]. وترتكز الخلافة على أركان ثابتة لابد أن تتوافر لها، منها: الشمولية، والمساواة، والشورى، والحرية وغيرها[157]. ثم أطلق العرب لفظ الخلافة في العرف العام على الإمامة العظمى، وهو الولاية العامة على كافة الأمة للقيام بأمورها والنهوض بأعبائها[158].

ومع أن لفظ (الخلافة) أصبح علمًا على نظام الحكم في الدولة الإسلامية، فإنه لا ينص على نظام حكم بعينه محدد التفاصيل، فالشريعة الإسلامية جاءت في هذا المجال بالقواعد العامة فحسب، بدليل أن رؤساء الدولة الإسلامية بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - تسموا بالخليفة، ثم بأمير المؤمنين، ثم بالإمام، وكلها مترادفات تصب في مصب واحد، وإن كان بينها فروق في المدلول[159].

وتثبت الخلافة لمن تتوافر فيه الشروط الواجبة لتقلدها[160]. ووفق ما تنتهي إليه شورى المسلمين أو ما يسمى باختيار أهل الحل والعقد[161]. أو لمن عهد الإمام له من

---

(١٥٥) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي – الأحكام السلطانية والولايات الدينية – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٨٥، ٥، ٦.

(١٥٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي – المقدمة – دار القلم بيروت ط٥ سنة١٩٨٤ ص٩١.

(١٥٧) من هذه الأركان:

أ- الشمولية	ب- المساواة.
ج- الكلية.	د- الحرية.
هـ- التربية والتعليم	و- التعددية
ز- حكم القانون.	ح- الشورى،

إسماعيل راجي الفاروقي وآخرين أطلس الحضارة الإسلامية – ترجمة/ عبد الواحد لؤلؤة – مراجعة/رياض نور الله مكتبة العبيكان. الرياض – ط١ سنة ١٩٩٨م، ١/٥، يضاف لذلك العدل والإنصاف لأنه بالعدل يكون ثبات الأشياء ودوامها، والطباع البشرية جبلت على حب الانتصاف من الخصوم وعدم الانصاف لهم، قال والجور كامن في النفوس لا يظهر إلا بالقدرة، تاريخ عجائب الآثار ١/١٦.

(١٥٨) مآثر الإنافة ١/٨.

(١٥٩) محمد ضياء الريس – النظريات السياسية الإسلامية – ط٤ القاهرة ١٩٦٧م، ص١٠٩. حسان حلاق – ملامح من تاريخ الحضارات – الدار الجامعية القاهرة ١٩٩١م، ١٤٢: ١٤٦.

(١٦٠) وهي: ١-العدالة. ٢-العلم. ٣-سلامة الحواس. ٤-سلامة الأعضاء. ٥-الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير السياسة. ٦-الشجاعة والنجدة. ٧-النسب القرشي. انظر الماوردي ص٦,. إلى جنب شروط أخرى. منها أن يكون ذكرا بالغا عاقلا (فإن اختل شرط من ذلك لم تصح توليته، وإن زال شيء من ذلك بعد التولية بطلت توليته) أبو اسحاق الشيرازي الفيروز أبادي، ت سنة (٤٧٦) – التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي – مطبعة الحلبي

قبل، فإن لم يوجد من تنطبق عليه هذه الشروط التي يشترطها أهل الحل والعقد، فإن فقهاء المذاهب الأربعة يجيزون طريق القهر والغلبة بوصفه طريقا ثالثا لانعقاد الإمامة بجانب الطريقين المذكورين سالفا، وهما: اختيار أهل الحل والعقد، وولاية العهد (فإذا وجد في الزمان كاف ذو شهامة ولم يكن من العلم على مرتبة الاستقلال، وقد استظهر بالعدد والأنصار، وعاضدته موافاة الأقدار، فهو الوالي، وإليه تصير أمور الأموال والأجناد والولايات، ولكن تتحتم عليه ألا يبت أمرا دون مراجعة العلماء)(١٦٢). وعلى هذا النحو تتم بيعة الحاكم المسلم والبيعة عهد على الطاعة؛ كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمور نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء عن ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره(١٦٣).

على نحو ما تقدم تمت تولية الخلفاء الراشدين جميعا على الشورى، وإن اختلفت صورتها من واحد لآخر، فإذا ما أصبح شخص ما خليفة للمسلمين فإنه قد بات عليه واجبات وله حقوق مقابلها. وعلى الحاكم أن يراعي أحكام الشريعة ويلتزمها، وأن يبذل ما في وسعه ويستفرغ في تحقيق مصالح العباد(١٦٤). وعلى الناس جميعا أن يبذلوا للحاكم حق النصح والإرشاد، ويلزموا طاعته، ولهم - بل عليهم - أمره بالمعروف ونهيه عن

القاهرة د.ت ص١٥١، أبو بكر الطيب الباقلاني: (ت٤٠٣هـ) - التمهيد - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت سنة١٩٨٧ ص٤٧١، أحمد الشافعي - الحضارة الإسلامية. سلسلة تاريخ العرب ١٩٩٩ ص١٨، ١٩.

(١٦١) هو مصطلح يعود إلى وقت أن عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى ستة من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة لكي يختاروا من بينهم واحدا لخلافة المسلمين بعده، حسن كونا كاتا - النظرية السياسية عند ابن تيمية - دار الأخلاء الدمام السعودية سنة١٩٩٤م ط١ ص٢٤، ٢٥. انظر تعريفات أخرى لأهل الحل والعقد في النظام السياسي للدولة للعوا ص١٩٩.

(١٦٢) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (إمام الحرمين) - غياث الأمم في التياث الظلم (الغياثي) - مطبعة نهضة مصر - سنة ١٤٠١هـ ويؤكد ذلك النووي (فإن لم يكن جامعا للشرائط بأن يكون فاسقا أو جاهلا فوجهان أصحهما: انعقادها لما ذكر و إن كان عاصيا بفعله) - انظر الإمام يحيى بن شرف أبو زكريا النور روضة الطالبين وعمدة المفتين - المكتب الإسلامي دمشق، بيروت سنة ١٩٨٥ ٤٣/١ -٤٦، ٤٢/١٠.

(١٦٣) البيعة هي الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، وهي عبارة عن المعاقدة والمعاهدة. كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره: انظر لسان العرب ٢٦/٨. (وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد، وأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسميت بيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي هذا مدلولا في عرف الله ومدلولا في الشرع) مقدمة ابن خلدون ٢٠٩/٢، أيضا الماوردي ص٣٠٣.

(١٦٤) هي أن حفظ الدين على أصوله المستقرة. ٢-حماية بيض الإسلام. ٣-تحصين الثغور. ٤-الجهاد. ٥-تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود. ٧-عقد الولايات للأكفاء الأمناء. ٨-جباية الفيء والصدقات. ٩-دفع العطاء للمستحقين. ١٠- الأثر على الأمور العامة بنفسه، أما حقوق الخليفة على الرعية فهي: ١-الطاعة. ٢-المعاضدة. والمناصرة في أمور الدين والعدو. انظر الماوردي ص١٨ وما بعدها. أيضا: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ص٥٩: ٦٤.

المنكر، وهذا واجب عليهم أن ينصحوا له، ويقوّموه إذا اعوجَّ: فهو واحد من المسلمين، ليس أكبر من أن يُنصح ويؤمر، وليسوا هم أصغر من أن ينصحوا، ويأمروا، وإذا ضيعت الأمة هذا الواجب فقدت سر تميزها، وسبب خيريتها قال تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}(١٦٥). وأصابتها لعنة بني إسرائيل قبلها ممن {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(١٦٦). ولكن مطلوب من أي فرد مسلم أو جماعة عند استخدام هذا الحق أن يراعي الشروط التي لابد منها عند التغيير كما أقرها الفقهاء(١٦٧).

فالإسلام حثنا على لزوم جماعة المسلمين، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "ثلاث لا يُغلب عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر والاعتصام بجماعة المسلمين فإنها تحيط من ورائهم"(١٦٨). فإن شريعة الإسلام تحثنا على طاعة الحاكم المسلم في الدولة الإسلامية، وتجعلها واجبة دينا ما أطاع هذا الحاكم الله ورسوله، وطبق أحكام شريعة الإسلام كاملة غير منقوصة، أو سعى في ذلك قدر وسعه، وعدل بين العباد – مسلمين وغير مسلمين – فيما تولاه من الأمور بنفسه، وأمر ولاته وقضاته ووزراءه وعمال دولته بإقامة العدل بينهم، فيما يتولونه نيابة عنه أو بتكليف منه، أو بحكم اختصاصهم به(١٦٩). (فلئن قلت إن الملوك: فاعلم أن الرعية ليس كمن مضى من الرعية، وليست بأن تلزم أميرك إذا رأيت آثار من مضى منهم فأولى من أن يذمك أميرك إذا نظر آثار من مضى من الرعية، فإذا جار السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر)(١٧٠).

ونختم هذه القصة الشائكة والتي تمس موضوع البحث بسؤال يطرح نفسه على بساط البحث هو: متى يجوز التمرد والعصيان على الحاكم المسلم؟

إن لما أجاب به فقهاء الإسلام ونسوقه باختصار، هو أنه إذا خالف الحاكم شيئا مما التزم به وبايع عليه، بالخروج عن الأحكام، أو إهمال الشريعة، أو الجور بين الناس، أو إهمال رفع المظالم التي ترتكب في حقهم من قبل عمال الدولة، أو غيرهم من ذوي الجاه

(١٦٥) آل عمران (١١٠).

(١٦٦) المائدة (٧٩).

(١٦٧) أن يكون المنكر محرما بالإجماع. ٢-ظهور المنكر وشيوعه. ٣-القدرة على التغيير. ٤-عدم خشية وقوع منكر أكبر منه عند التغيير – يوسف القرضاوي – من فقه الدولة في الإسلام – دار الشروق ط٤ سنة ٢٠٠٥ ص ١٢١-١٢٨.

(١٦٨) أبو الحسن ابن الفيض الغساني ت ٣١٥هـ – أخبار وحكايات. د.ت ص٥٧.

(١٦٩) تاريخ عجائب الآثار، الجبرتي ١٦/١، في النظام السياسي للعواص ٢٢٨.

(١٧٠) محمد بن الوليد الطرطوشي – سراج الملوك – تحقيق عبد الحميد حمدان – نشر عالم الكتب – ط سنة ٢٠٠٥م – ص١٣٤.

والنفوذ والسلطان، فإن على المسلمين جميعا واجبا إذا تركوه أثموا جميعا، وإن قام به بعضهم سقط الإثم، إن كان بالقائمين به كفاية لأدائه، وإلا سقط عنهم وحدهم، ولزم من لم يقم به حتى يقوم به عدد كاف منهم، ذلك هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشروط الواجبة(١٧١).

وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا محدد القسمات ومراتب أدائه متدرجة: بالقلب ثم باللسان ثم باليد، وكل مرحلة لها مراتب أداء تناسبها: ففي التغيير بالقلب لابد أن يلازمه رفض وعدم رضا وكراهة قلبية. وفي التغيير باللسان أمرا ونهيا يكون على شكل نصيحة خاصة أو عامة، ثم إعلان بالمخالفة ثم الأمر بالكف عنها على رؤوس الأشهاد، ثم الزجر والتعنيف. وفي التغير باليد، يكون بأقل ما يندفع به المنكر، أو يتم به المعروف ثم يتدرج إلى ما هو أكثر، ولا يجاوز بذلك ما يقع التغير بفعله، والقاعدة التي يجب أن تتبع في ذلك هي: البدء بالأدنى والأخف والانتقال منه إلى الأعلى والأشد حتى ولو كان المنكر مما يوجب الإسلام بذل النفس في سبيل دفعه وجب على المسلم ألا يمنع من الله نفسه، وهذا ما حدا بكثير من الفقهاء في مختلف المذاهب إلى تقرير جواز عزل رئيس الدولة عن ولايته إذا أتى ما يعتبر إخلالا بواجبات وظيفته. أو إذا ظهر منه ما يعد فسقا أو جورا أو مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وليس أدل على ذلك من مدى أخذ الشريعة بقاعدة جواز مساءلة رئيس الدولة بكل ما تستتبعه هذه المساءلة من نتائج(١٧٢).

والخارجون المتمردون على الحاكم ليسوا صنفا واحدًا بل (منهم الخارج عن طاعة الحاكم، ناكثا لبيعته أو ممن لم يبايع مطلقا، فقد نهى الشرع عن ذلك وبين أنه إن مات، مات ميتة جاهلية ومنهم الخارج الذي يقاتل عصبية لقومه أو بلده ونحو ذلك، فالمقتول في مثل هذا القتال، قتلته قتلة جاهلية سواء غضب بقلبه، أو دعى بلسانه، أو ضرب بيده، ومنهم الخوارج على الأمة: إما من العداة الذين غرضهم الأموال كقطاع الطرق ونحوهم، أو غرضهم الرئاسة، وإما من الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة كالحرورية)(١٧٣).

(١٧١) عبد القادر عودة - الاسلام وأوضاعنا السياسية - بيروت ١٩٦٧م ١٥٠-١٥٣. في النظام السياسي ٢٢٨، صلاح دبوس -الخليفة: توليته وعزله ط الإسكندرية ١٩٧٢ ص٣٦٧ الحضارة الإسلامية للشامي ٢٠: ٢١.

(١٧٢) النظريات السياسية للريس ص٢٩٢: ٢٩٧ للمزيد انظر: محمد طه بدوي - حق مقاومة الحكومات في المسيحية والإسلام ط الإسكندرية ص ٢٠٧، - سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل - التجديد السياسي والخبرة الإسلامية - رسالة دكتوراه كلية الاقتصاد القاهرة ١٩٨٧ ص ١٩٥- في نقض الشامي نقلا عن ص ٢٢٩.

(١٧٣) ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - دار إشبيليا الرياض سنة ١٤١٨هـ - تحقيق ناصر العقل ١ ،٥٠، ٢. سيسة ثمة ٤٦.

وهذا لا يمنع من أن الإسلام قد أجاز المعارضة السلمية التي لا تعدو في مقصدها عن إعلان مخالفتها نظام الحكم في بعض الآراء أو بعض المبادئ، مع عدم استعمال القوة المسلحة في التعبير عن ذلك الموقف المعارض، بل إن الإسلام يشجع ذلك ويحض على ممارسته ويشجع عليه من خلال واجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وقد حفظ لنا التاريخ أمثلة عديده عارض فيها المسلمون نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وخلفاءه من بعده(١٧٤). وكانت القيادة المسلمة تتلقى هذه المعارضة على أنها أمر طبيعي يدخل في نطاق الحرية التي أقرها الإسلام(١٧٥).

أما حين تحل المعارضة المسلحة محل السلمية وتبغي تحقيق أهدافها بالقوة، فالإسلام لا يقر هذه الثورات لما ينتج عنها من تقاتل المسلمين بعضهم مع بعض، وإراقة دمائهم فيما بينهم ولما تخلفه من آثار قد تكون أسوأ مما قبلها(١٧٦). لذلك لا يجيز الإسلام ذلك إلا في حدود ووفق ضوابط مبينة وملزمة، بحيث تكون هذه الثورة – أو التمرد - هي الطريق الوحيد والمتاح وحده للتغيير، وبحيث يكون التغيير أمرا لا مفر منه حرصا على قيم الإسلام وأصوله(١٧٧).

لذا عارض جمهور علماء أهل السنة والجماعة الخروج والتمرد على الحاكم الجائر إلا في حدود خاصة، ولا تعني هذه المعارضة الفقهية الإقرار بجور الحاكم. بل القصد منها الشفقة على المسلمين من ثورات وتمردات لا طائل من ورائها إلا الدماء والفرقة لذلك وضعوا لهذه التمردات ضوابط حتى تكون مشروعة، من أهمها:

أولاً: أن تكون الثورة - أو التمرد - تحت قيادة عادلة.

ثانيًا: أن تكون الثورة قد استكملت سبل الإعداد، واستوثقت من أسباب القوة.

ثالثا: أن تكون الثورة لا تتسبب في نشوء منكر أكبر مما حاولت إزالته، يتمثل في قتل مزيد من المسلمين، وتعرض آخرين لظلم أفدح مما كان واقعا عليهم من قبل(١٧٨).

---

(١٧٤) كما حدث في مشورة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه في الخروج إلى أحد. انظر، نيفين عبد الخالق مصطفى – المعارضة الإسلامية – مكتبة الملك فيصل الإسلامية ط١ سنة ١٩٨٥ ص ١٥٠ – أيضا راجع د/أحمد شلبي – السياسة في الفكر الإسلامي ط٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣ ص٩٠: ٩٤: ٩٨.

(١٧٥) حمدي مصطفى خليل –تاريخ الدولة الأموية بين الإنصاف والتحرير – رسالة ماجستير القاهرة سنة ١٩٩١. ص ٣٧٠.

(١٧٦) مركز الشرق الأوسط للدراسات (مسك) – المقاومة السلمية للطغيان – نشر مركز الشرق الأوسط للدراسات القاهرة سنة ٢٠٠٨م – ص ١٩، ٢٦.

(١٧٧) من فقه الدولة في الإسلام للقرضاوي ١٢١ -١٢٨ في النظام السياسي للعوا ٢٢٩، النهضة السياسية للريس ١٤٢، الإسلام وأوضاعها السياسية للعودة ١٥٠: ١٥٣.

(١٧٨) من فقه الدولة في الإسلام للقرضاوي ص١٢١ وما بعدها، الدولة الأموية بين التحريف والانصاف ٣٧٠.

لذلك حثت كثيرامن الآيات والأحاديث على طاعة ولي الأمر، ومنعت التعجل في الخروج عليه، حفاظا على وحدة الأمة وصونا لدمائها وأموالها وأعراضها. يقول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ}(١٧٩). وروى عن ابن عباس قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم { (من رأى أي من أميره شيئا يكرهه فليصبر، ومن فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية} (١٨٠).

وفي ذلك يقول ابن تيمية "ولا يُزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم -أي على الحكام- بالسلاح وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة، وكما دلت عليه النصوص النبوية، لما في ذلك من الفساد الذي يربي على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم ويفعل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه"(١٨١). وقوله "والله أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف"(١٨٢). ويقول الحافظ ابن حجر: "الذي عليه العلماء في أمراء الجور، إنه إن قدر على أمر خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب: وإلا فالواجب الصبر"(١٨٣).

وأخيرا، فمن لم يحترم هذه الضوابط ولا يراعي هذه الحدود ولم يقدر الأمر حق قدره وسولت له نفسه التمرد والعصيان وتجاوز الحد، فينبغي مؤاخذته بقدر ذنبه ومعاقبته بقدر جرمه(١٨٤).

---

(١٧٩) النساء (٥٩).

(١٨٠) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت ٢٥٦- الجامع الصحيح – عالم الكتب بيروت ط٥ سنة ١٩٨٦، كتاب الجهاد رقم (٢٧٩٧)، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١) – صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر للطباعة والنشر سنة ١٩٨٣، كتاب الإمارة رقم (١٨٣٥).

(١٨١) فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ٢١.

(١٨٢) المصدر السابق ١٨١/١٣.

(١٨٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين، دار الريان للتراث ط١ سنة ١٤٠٧ ٨/١٣.

(١٨٤) سينسة نامة ص٤٦. إسماعيل سالم – من جرائم أمن الدولة – دار النصر والتوزيع والنشر – فرع جامعة القاهرة سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م – ص ٢٠٤: ٢٠٧.

الفصل الأول

حركات تمرد وعصيان العلويين وشيعتهم في الدولة الأموية

يشمل هذا الفصل المقدمة وتحتوي على عناصر رئيسية، منها لقب الخليفة وأهمية هذا المنصب في الإسلام، ورؤية الإسلام للتمرد والعصيان، ومن هو الذي ينطبق عليه مصطلح المتمرِّد والعاصي، ومتى يجوز التمرُّد والعصيان على الحاكم المسلم.

ويشمل حركات التمرد والعصيان في الدولة الاموية للعلويين وشيعتهم، وفيه تمرد حجر بن عدي بالكوفة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، وثورة الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – وأطلقنا عليها ثورة وليس تمردًا لأن الحسين -رضي الله عنه- لم يبايع يزيد إبن معاوية حتى يتمرد عليه. ولأن ثورة الحسين -رضي الله عنه- كانت منبت الكثير من حركات التمرد والعصيان للعلويين عامة وللشيعة خاصة، بعد استشهاد الحسين -رضي الله عنه- في كربلاء سنة ٦١/ ٦٨٠م.

وفيه تمرُّد التوابين بزعامة سليمان بن صرد بالعراق سنة ٦٥هـ/٦٨٤م.

ويليه تمرُّد المختار بن أبي عبيد الثقفي بالكوفة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، ثم تمرد زيد إبن علي بن الحسين بالكوفة سنة ١٢١هـ/٧٣٨م، وقد أعقبه تمرد يحيى إبن زيد بن علي بالجوزجان في خراسان سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، وقد ختم هذا الفصل بتمرد عبد الله إبن معاوية الطالبي بالكوفة وفارس سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م.

- حركات تمرد الشيعة.
- حجر بن عدي.
- الحسين بن علي - رضي الله عنه-.
- سليمان بن حرد (التوابون).
- المختار بن أبي عبيد الثقفي.
- حركات تمرد العلويين من.
- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
- يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.
- عبد الله بن معاوية الطالبي.

حركات تمرد وعصيان العلويين وشيعتهم:

كان الشيعة[1] أشد المعارضين لبني أمية خطرًا: خاصة من الناحية السياسية، والفكرية، أكثر منه في الناحية الحربية، ففي هاتين الناحيتين كانوا أكثر خطرًا وأشد

(١) الشيعة في اللغة: أولياء الرجل وأنصاره، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع ومنه قول الله تعالى: (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ)[الصافات ٨٣]، وفي الاصطلاح: أنه اسم غلب على كل من يزعم أنه يتولى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأهل بيته، حتى صار لهم اسمًا خاصًا بهم، وأصلها من المشايعة وهي المتابعة و المطاوعة. انظر المبارك بن محمد الجزري - النهاية في غريب الأثر – المكتبة العلمية بيروت سنة١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي وآخرين ٥٢٠/٢، لسان العرب ١٨٨/٨، مختار الصحاح ١٤٨/١.

تهديدا للأسس التي قامت عليها دولتهم، فضلا على أنهم كانوا أكثر الأحزاب المتمردة تنظيمًا، وأوفرها حظا من الشعبية الكثيفة والمناصرة للفكرة، أضف لذلك أنهم – أي الشيعة – كانوا أقوى من غيرهم حجة، وأظهرهم حقا، وأخطرهم فكرًا[٢].

نشأ التشيع أيام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عاطفة، وكانت لحمته وسداه حب آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومبدأ ذلك أن أهل البيت لما توفي الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان بعضهم يرى أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لهم دون من سواهم من قريش، ففي الصحيح أن العباس قال لعلي – رضي الله عنهما – في وجع الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي توفي فيه: "اذهب إليه نسأله في هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا أوصى بنا". فقال علي: رضي الله عنه: "إن سألناه فمنعناها لا يعطيناها الناس"[٣]، في الصحيحين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في مرضه الذي توفي فيه: "هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا" فاختلفوا في ذلك عنده وتنازعوا ولم يتم الكتاب، وفي رواية قال: "قوموا عني"[٤] وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم. حتى قد ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أوصى في مرضه لعلي[٥].

ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه[٦] وعندما عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى مجلس شورى الستة من الصحابة، وكان منهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان يوجد من بين بقية الصحابة من يرى أن عليا أحق بالأمر من غيره، فلما عدل

مقالات الإسلاميين ص٥، الفرق بين الفرق ٤١، محمد بن عمر الخطيب الرازي – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – تحقيق/طه عبد الرؤوف وآخرين – مكتبة الكليات الأزهرية سنة١٩٧٨ ص٧٧.

(٢) اتجاهات الشعر في العصر الأموي ص١٤٦، إدوارد بدوي وآخرين، موسوعة تاريخ الحضارات ترجمة يوسف أسعد وآخرين، دار عويدات بيروت، باريس ط٣ سنة١٩٩٤ ١١٥/٣، دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين – دار المعرفة – بيروت ٥٧/١٤.

(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – صحيح البخاري (الجامع الصحيح) – دار الفكر ط١ سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م، ٣٠/١ (كتاب العلم، باب كتابة العلم، وكتاب المغازي باب رجم النبي – صلى الله عليه وسلم -). أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٢، ١٩٧٢م – ١٢٥٧/٣ – ١٢٥٨ (كتاب الوصية – باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه).

(٤) صحيح البخاري ١٢٠/٧ (كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني)، ١١١/٩، ١١٢ (كتاب الاعتصام.. باب كراهية الخلاف) أيضا ابن تيمية مؤرخا ص١٨٥.

(٥) من هذه الروايات التي يحتج بها الشيعة روايات أبي منصور حسن بن يوسف بن الطهر علي) تلميذ نصر الدين الطوسي (ووزير هولاكو بعد مقتل آخر خليفة عباسي ببغداد ٦٥٦هـ) في كتابه (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة) ويسميه الشيعة (منهاج الكرامة)، وهو ما تصدى له ابن تيمية في مؤلفه الضخم (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القديمة، وأطلق مسمى (منهاج الندامة/ على كتاب منهاج الكرامة لابن مطهر الحلي، انظر ابن تيمية مؤرخا ص١٥٠ وما بعدها.

(٦) منهاج السنة النبوية ٢٤/٦، ٢٥ أيضا سمط النجوم العوالي ٣٥٧/٣.

بها سواه أنفوا ذلك وأسفوا له مثل الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود وغيرهم[٧]. إلا أن هؤلاء القوم لرسوخ قدمهم في الدين وحرصهم على الألفة بين المسلمين لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف[٨].

فلما فشا النكير على عثمان والطعن عليه في الأمصار كان ابن سبأ من أشد الناس خوضا في التشيع لعلي بما لا يرضى من الطعن على عثمان، وبأنه ولي بغير حق، فأخرجه عامل عثمان على البصرة عبد الله بن عامر إلى مصر، فاجتمع إليه جماعة من أمثاله جنحوا إلى الغلو في ذلك، وتولدت المذاهب الفاسدة في علي، ومن هؤلاء: خالد إبن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر وغيرهم[٩].

ثم كانت بيعة علي، ووقعة الجمل، وصفين، والنهروان وانحراف الخوارج عليه بما أنكروا من التحكيم في الدين، واستماتت شيعته معه في حرب معاوية[١٠].

ولما قتل علي وبويع ابنه الحسن -رضي الله عنهما- وخرج عن الأمر لمعاوية، سخط ذلك شيعة علي بن أبي طالب، وأقاموا يتناجون في السر حول استحقاق أهل البيت للأمر دون معاوية، فكتبوا إلى الحسين بالدعاء له دون معاوية، فامتنع، وواعدهم إلى ما بعد موت معاوية، وقيل إنهم ساروا إلى محمد بن الحنفية وبايعوه في السر على طلب الخلافة، متى أمكنه ذلك[١١].

أقام الشيعة على هذا العزم بالكوفة يتحينون الفرصة، ومعاوية يكف سياسة المواجهة عنهم، ويقلع الذي إذا تعين له منهم، حتى تحول بعضهم إلى المواجهة مع عماله، فواجههم كما فعل حجر بن عدي وأصحابه[١٢]

---

(٧) أخبار المدينة (ابن شبة) ٦٥/٢، تاريخ الطبري ٥٨٦/٢، البدء والتاريخ ١٨٩/٥، المنظم ٢٣١٠٤.

(٨) الكامل في التاريخ ٤٦٦/٢، البداية والنهاية ١٣٧/٧، تاريخ ابن خلدون ٥٦٩/٢، التحفة اللطيفة ٤٨/١، عبد الحي إبن أحمد بن محمد العكري – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – دار البداية والنهاية دمشق ط١ ١٤٠٦هـ تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط وآخرين ٣٣/١.

(٩) الفتنة ووقعة الجمل ٤٨/١، المعارف ٦٢٢/١، الفرق بين الفرق ٢٠٥، مقتل الشهيد عثمان ٦٧/١.

(١٠) راجع جزء التمهيد في هذا البحث.

(١١) سمط النجوم العوالي ٣٥٧/٣.

(١٢) العباس بن بكار الضبي – أخبار الوافدين من الرجال على معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه– من أهل البصرة والكوفة – مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة١٤٠٣هـ - تحقيق/ سكينة الشهابي، ٢٢/١، ٣٨. وأبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني – فضائل الصحابة – مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة ١٩٨٣ تحقيق/ وصي الله محمد عباس، ٩١٣/٢. إبراهيم أحمد العدوي – الدولة الأموية – دار الثقافة العربية القاهرة سنة٢٠٠٠م ص١٢٢.

تمرد/ حجْر بن عدي بن جبلة الكندي[١٣] بالكوفة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م

كان حُجْر بن عدي بن جبلة الكندي رجلا عابدا من قبيلة كندة، وكان مصاحبا لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه– في خلافته حتى قتل، ولما استقر أمر الجماعة على معاوية بن أبي سفيان ٤١هـ/ ٦٦١م اعتزل حجر ومعه بعض أصحابه وكان من بينهم زياد بن أبيه[١٤] نحو أرض فارس. وبعد وقت وجيز قال بعضهم لبعض: ماذا تصنعون ونحن وحدنا، والجماعة على معاوية، أرسلوا لنا رجلاً يأخذ لنا الأمان من معاوية فاختاروا زيادا، فأرسلوه إلى معاوية، فأخذ لهم الأمان، وبايعوه على سنة الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والعمل بطاعته، حتى إن معاوية في هذا اللقاء قد أعجب بعقل زياد[١٥]. وبعد ذلك قدم حجر بن عدي إلى معاوية بدمشق وافدا عليه ضمن وفد كبراء الكوفة ورؤساء قبائلها وذلك في أول خلافة معاوية[١٦].

وجاء المغيرة بن شعبة[١٧] عاملا على الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان، فسمع حجر المغيرة يوما وهو يثني على عثمان دون علي – رضي الله عنهما – فصاح به حجر (إنك قد حبست أرزاقنا وأصبحت مولعًا بتقريظ المجرمين) وقام معه أكثر من ثلاثين يقولون: صدق حجر فمر بأعطياتنا، فنزل المغيرة ودخل بيته، ودخل عليه قوم ولاموه على تركه حجرا ورفاقه، فقال لهم: إنه قد اقترب أجلي ولا أحب أن أبتدي أهل

---

(١٣) هو حُجْر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية الكندي وهو حُجْر الخير – تميزا له عن ابن عم له يدعى حجر الشر- وهو أيضا حجر الأدبر لأن أباه محيى عدي سمي الأدبر، لأنه قد طعن موليا فسمي الأدبر الكوفي، ويكنا أبو عبد الرحمن الشهيد، له صحبة ووفادة – سير اعلام النبلاء ٣ ٤٦٣، ولا أدري على أي دليل يستند العاصمي في سمط النجوم العوالي على نسب حُجْر بن عدي الى انه هو (حُجر ابن عدي بن حاتم الطائي؟) سمط النجوم العوالي ١١٧/٣، في حين أن عدي بن حاتم الطائي هو احد بني ثعل ويكنى أبا طريف كان قد نزل الكوفة وابتنى بها دارا في طيء ولم يزل مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وشهد معه الجمل وصفين وذهبت عينه يوم الجمل، ومات بالكوفة زمن المختار سنة ثمان وستين: الطبقات الكبرى ٦ ٢٢، انظر أيضا ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٠٧/١٢.

(١٤) هو زياد بن عبيد الثقفي وهو زياد بن سمية وهي أمه وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بحجة انه أخوه لأبيه – وكان يقال له: زياد بن أبيه وزياد الأمير كان يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة كان كاتبا للمغيرة ابن شعبة ثم كتب لأبي موسى الأشعري ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس ثم كتب لعلي بن ابي طالب – رضي الله عنه- وكان له من الولد ثلاثة وأربعون منهم عشرون ذكرا وثلاث وعشرون انثى، مات بالكوفة سنة٥٣هـ. انظر طبقات ابن سعد ٩٩/٧، البدء والتاريخ ٢/٦، سير أعلام ٤٩٤/٣.

(١٥) محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي – المحن – دار العلوم الرياض السعودية – ط١ سنة١٤٠٤هـ تحقيق د عمر سفيان العقيلي ١٣٧/١.

(١٦) أخبار الوافدين على معاوية ص٢٠.

(١٧) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود من ثقيف يكنى بأبي عبد الله وبأبي عيسى أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان وتوفي في ولايته على الكوفة لمعاوية سنة ٥٠هـ في شهر رمضان ودفن بها وكانت ولايته تسع سنين، طبقات ابن سعد ٢٨٤/٤، طبقات خليفة بن خياط ١ ٥٣، الآحاد والمثاني ٣ ١٩٩، الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٧/٦.

هذا المصر بقتل خيارهم فيسعدوا بذلك وأشقى.. ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وواعظ شقيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكرونني ولو قد جربوا العمال بعدي، ومات المغيرة -رضي الله عنه-[١٨].

كانت معارضة حجر في ولاية المغيرة لا تتعدى الشق النظري المتمثل في توجيه النقد والاتهامات القولية، فصبر عليها المغيرة ومات صابرا -رضي الله عنه- حتى كانت ولاية خلفه زياد بن أبيه الذي جمع له معاوية المصرين: الكوفة والبصرة، سنة٤٩هـ ٦٦٩م، فتحول حجر إلى المعارضة العملية التي استخدم فيها البدء والاستعداد للمواجهة بالسلاح والعتاد، فلما كان بداية عهد ولاية زياد قام فذكر عثمان وأصحابه فقرظهم، وذكر قتلتهم ولعنهم[١٩]، فقام حجر وفعل بزياد مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، فقال له زياد: "سقط بك العشاء على سرحان" [٢٠].

ثم بدأت بعد ذلك المرحلة الأكثر تصعيدا للمواجهة بين حجر وعمال معاوية في شخص زياد بن أبيه. ففي سنة ٥١هـ/ ٦٧١م خطب زياد فأطال الخطبة فتأخرت الصلاة عن موعدها، فقام حجر وقال: الصلاة، فمضى زياد في خطبته فكرر حجر قوله: الصلاة الصلاة، فلما خشي الفوت ضرب بيده إلى كف من الحصا وحصب به زياد على المنبر، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه ونزل زياد فصلى بالناس[٢١]. على الرغم من أن زيادًا كان حريصا على استمرار صداقته له. فإن زيادًا لما قدم الكوفة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م. حاول أن يعيد حجر إلى رشده خاصة وأنهما كانا معا في خندق واحد قبل خلافة معاوية، وكان يحذره: إياك أن تستنزلك الغلة أو تستفزك، إني لو استخففت بحقك هان عليّ أمرك، ولم أعلمك من كلامي هذا بحرف"! ولكن جهود زياد باءت بالفشل والخيبة أمام هذه النفس المتحفزة[٢٢].

---

(١٨) تاريخ الطبري ٢١٨/٣، المنتظم ٢٤١/٥، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٣.

(١٩) نص الخطبة كما أورده أبو مخنف المؤرخ الشيعي المشهور: "اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه، واجزه بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابك، واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم، وجمع كلمتنا وحقن دماءنا، وقتل مظلوما، اللهم فارحم أنصاره وأولياءه ومحبيه والمطالبين بدمه، ويدعو على قتلته"، نلاحظ هنا أنه لم يرد في نص الخطبة سب عليّ -رضي الله عنه- ومع ذلك يشير المؤرخ إلى أن الخطبة تضمنت سب علي -رضي الله عنه- اللهم إذا أول لعن قتلة عثمان بأنه ذم لعلي -رضي الله عنه- انظر الطبري في تاريخه ٢١٨/٣: علي محمد الصلابي – الدولة الأموية – مؤسسة اقرأ القاهرة ط١ سنة ٢٠٠٥م ٢٢٢/١ وللاستزادة الاطلاع على نص الخطبة الكامل انظر – أبو العباس أحمد القلقشندي – صبح الأعشى – سلسلة الذخائر رقم ١٣٠ سنة ٢٠٠٤م ٢١٦/١.

(٢٠) مثل يضربه العرب عند سقوط الرجل في الخطأ مما يعرض للتهلكة، ومعنى سرحان في اللغة أي الذئب، وقيل: الأسد، لسان العرب ٤٨١/٢، مختار الصحاح ١٢٤/١.

(٢١) تاريخ خليفة بن خياط ٢١٣/١، المعارف ٣٣٤/١، المعرفة والتاريخ ٣٢٩/٣ بغية الطلب في تاريخ حلب ٢١٠٥/٥، شذرات الذهب ٥٧/١.

(٢٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري- أنساب الأشراف – طبعة دار المعارف مصر سنة ١٩٥٩م سلسلة ذخائر العرب ٢٧ تحقيق: محمد حميد الله، ٢٤٦/٤، المعارف ٣٣٤/١، المعرفة والتاريخ ٣٢٩/٣، الدولة الأموية للصلابي ٢٢٢/١، ٢٢٣، محمد عبد الحميد الرفاعي- دراسات في العصر الأموي – دار الثقافة العربية القاهرة،

ولعل وجود الحسن بن علي -رضي الله عنه- كان كفيلا بردع حركات التمرد على الصلح من قبل بعض أنصاره حيث كان قد اشترط عليهم أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم، ولكن بعد وفاته -رضي الله عنه- سنة٥١هـ: تغير موقف بعض أنصار الحسن وعلى رأسهم حجر من التمرد القولي إلى التمرد الفعلي. بل يذكر أنه بعد وفاة الحسن اتجه حجر إلى الحسين أخيه، يدعوه إلى تولي زمم أتباعه في الكوفة[٢٣].

ولما اتجه زياد إلى البصرة استخلف على الكوفة عمرًا بن حريث[٢٤]، وقبل رحيله دعى زياد حجرا وقال له: "يا حجر إنك قد رأيت ما صنعت بك وإني أريد أن تشخص معي إلى البصرة، حتى لا يبلغني عنك شيئا فيقع في نفسي، فقال له حجر: إني مريض لا أستطيع الشخوص، قال: صدقت، والله إنك لمريض القلب والدين، مريض العقل، وايم الله، لئن بلغني عنك شيئا أكرهه بأحرص على قتلك فانظر أو دع... إني أحذرك عما تركب أعجاز أمور هلك من ركب صدورها[٢٥]".

وخرج زياد فلحق بالبصرة، واجتمع إلى حجر قراء أهل الكوفة، فجعل لا ينفذ لعامل زياد معهم أمرا، ولا يريد شيئا إلا منعوه إياه، فكتب عمرو إلى زياد: "والله ما أنا في شيء مع حجر وأصحابه.. إن كانت لك بالكوفة حاجة فالعجل فليس في يدي منها مع حجر إلا القصر"[٢٦] فعجل زياد العودة ما استطاع، وحاول أن يخمد الفتنة دون إراقة دماء، ولكن المفاوضات فشلت أمام إصرار حجر على جمع الجموع وإظهار شتم معاوية ودعوة أنصاره إلى حربه، وزعم أمام الجموع أن الإمارة لا تصلح إلا في الطالبيين، ووثب بالكوفة، وأخرج العامل منها وتوثب للسنن[٢٧] في النهاية اضطر زياد للقبض على حجر، وعلى رفاقه أولئك الزعماء من الشيعة الذين ساهموا بأوفر نصيب في تلك الفتنة، وقد اشترط حجر على زياد أن يرفع قضيته إلى معاوية ليحكم فيها، ونظرًا لخطورة قضية حجر وإخوانه وحساسيتها، فقد وافق زياد على شرط حجر

ط سنة١٩٩٣م، ١٠٧ ص١٠٩، حسين إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – دار الجبل بيروت ط١٤ سنة١٩٩٦م ٣٢٤/١.

(٢٣) الدولة الأموية للصلابي ٢٢٤/١، دائرة المعارف الإسلامية- ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين - دار المعرفة بيروت ٣٢٠/٧.

(٢٤) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو المخزومي القرشي، من بقايا صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم – الذين نزلوا الكوفة، كان يكنى أبا سعيد، توفي سنة خمسة وثمانين للهجرة، المعرفة و التاريخ ١٤٩/١، الآحاد والمثاني ٣٦/٢، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زيد الربعي – مولد العلماء ووفياتهم – دار العاصمة الرياض. ط١ سنة١٤١٠هـ تحقيق/ عبد الله أحمد سليمان محمد، ٢١١/١ – ٢١٢، سير أعلام ٤١٨/٣، الإصابة ٦١٩/٤.

(٢٥) أنساب الأشراف ٢٤٦/٤– ٢٤٧، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٣، المنتظم ٢٠١/٥.

(٢٦) أنساب الأشراف ٢٤٦/٤، الدولة الأموية للصلابي ٢٢٥/١.

(٢٧) سمط النجوم العوالي ١١٩/٣، محمد جمعه عبد العزيز – المعارضة في العصر الأموي – رسالة ماجستير دار العلوم القاهرة (١٩٨٣) ص١١٥.

عند استسلامه، وقد أعدت لهم صحيفة الاتهام ووقعها أبرز رجال الكوفة، وأخذ حجر وأصحابه آخر الأمر إلى معاوية في الشام -لا وقبل أن ينطق معاوية بالحكم عليهم، نعرج سريعا على قضية اتهام معاوية بسب عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- التي نقلها الطبري عن رواية أبي مخنف المؤرخ الشيعي المشهور والتي مفادها أن معاوية أوصى المغيرة بن شعبة بشتم علي وذمه فقال له "ولست تاركا إيصاءك بخصلة لا تتورع عن شتم علي وذمه..."[٢٨] والمشهور بين علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة أن أبا مخنف ليس بثقة ولا يعتمد عليه عند علماء المسلمين من أهل السنة خاصة علماء أهل الجرح والتعديل[٢٩]. وقد ثبت في حق معاوية -رضي الله عنه- من الفضل والصحبة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو من علم بسيرته -رضي الله عنه- في الحكم وما اشتهر به من الحلم والصفح[٣٠]، وحسن السياسة للرعية، فكيف بمثل هذا الصحابي أن يحمل الناس على لعن علي -رضي الله عنه- على المنابر، وهو الذي كان يعترف لعلي بالفضل والنسب والسبق[٣١] بأنه بعد تولية الخلافة كان يقول: "يا أيها الناس والله ما أنا بخيركم، وإن بينكم من هو خير مني: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية وأنكأكم في عدوكم وأدركم حلبا"[٣٢].

إن معاوية -رضي الله عنه- كان رجلاً من عامة الصحابة، ولاه عمر بن الخطاب السواحل الشامية، لما رأى فيه أهليته للعمل أسوة بأخيه يزيد بن أبي سفيان، فعاش معاوية بين زعازع[٣٣] الفتن وقوارع[٣٤] الحروب مستعينا على بلوغ أمله بدماثة خلق وحلم لم يقدر أحد أن ينافسه عليه فاستطاع به اصطناع القطاحل[٣٥] من قريش وغيرهم، ولم يكن أبدا في أول أمره طامعا في الخلافة حتى يرى نفسه أهلا لها وذلك بسبب وجود ذوي السابقة والقدر من قريش ومن لم يبلغ معاوية مدهم ولا نصفهم وهذا ما كان يعترف

---

(٢٨) تاريخ الطبري ٢١٨/٣.

(٢٩) الدولة الأموية للصلابي ٢٢٢/١.

(٣٠) بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقي – جهنية الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار – مخطوطة – دار الكتب والمخطوطات رقم ٧٤٥، ص١٨، مخطوطة تاريخ الخلفاء صـ١٢، أخبار الوافدين على معاوية ص٢٠،أبو الحسن بن الفيض الغساني – أخبار وحكايات ص٢٣، إبراهيم بن محمد بن أيدمر الهلائي إبن دقماق – الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين – جامعة أم القرى – السعودية ١٩٨٢، تحقيق د/ سعيد عاشور مراجعة د/أحمد السيد دراج ص٥٧.

(٣١) الدولة الأموية للصلابي ٢١٥/١.

(٣٢) الآحاد والمثاني ٣٧٧/١.

(٣٣) مفردها زعزع، وهي تحريك الشيء وتقليبه، مختار الصحاح ١١٤/١.

(٣٤) القوارع مفردها قارعة وهي المصيبة والأمر العظيم، ومنها قوارع القرآن، وهي الآيات التي يقرأها المسلم إذا فزع من الجن لأنها تقرع الشيطان، مثل آية الكرسي، وآخر سورة البقرة وسورة يس فتصرف الفزع عمن قرأها ويأمن، لسان العرب ١٦٥/٨، مختار الصحاح *.

(٣٥) قطاحل مفرد قطحل، الضخم الكبير، فيقال: جمل قطحل أي ضخم، لسان العرب *.

به عن نفسه[٣٦]. ويعود الفضل في قسم من النجاح الذي أحرزه معاوية في حكمه إلى مجموعة من الأعوان هم دهاة الإسلام استطاع أن يقوي حكمه بهم، وعلى رأسهم عمرو ابن العاص وزياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة[٣٧].

والخلاصة أن المنطق يقتضي أن نقول بأن معاوية كان رجلا ذكيا مشهورا بالعقل والدهاء، كان رجلاً انفرد بالخلافة بالإجماع فاجتمعت عليه الكلمة ودانت له الأمصار[٣٨]، فأي نفع لمعاوية في سب عليّ -رضي الله عنه-؟

بل إن الحكمة وحسن السياسة وإدارة شئون الحكم تقتضي عدم ذلك لما فيه من تهدئة النفوس وتسكين الأمور، وهذا من أبجديات السياسة التي لا يخفى مثلها على مثل معاوية -رضي الله عنه- الذي كان يعترف بفضل عليّ بن أبي طالب ويقول: "والله ما عادلت عليا قط فكيف وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب إبن هاشم قاضي الأمة وأعظمهم فخرا وأكرمهم مجدا حامي الذمار[٣٩] عزيز الجار صهر الرسول وسيد الكهول وزوج البتول[٤٠] – رضي الله عنها –"[٤١].

وأخيرا أخذ حجر وأصحابه إلى معاوية بالشام، وهناك أعيدت محاكمتهم أمامه من جديد، وتلى عليه صحيفة الاتهام – كما وردت عن أبي مخنف الشيعي نفسه – (...أن حجرا جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين...إلخ)[٤٢].

---

(٣٦) كان معاوية يقول: "... أنه قاتل عليا وليس له سابقته ولا فضله ولا صهره، وأن عليًا -رضي الله عنه- أولى بالأمر منه، ولكنه كان يقاتله هو ومن معه لظنهم أن جيش علي فيه ظلمه يعتدون عليهم كما اعتدوا من قبل ذلك على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وأنهم يقاتلون دفعا لصيالهم عليهم..."، منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣٨٣/٤ – ٣٨٤، الدولة الأموية للصلابي ٢١٦/١، إبن تيمية مؤرخا ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

(٣٧) محمد أديب الشير تقي الدين الحصني – منتخبات التواريخ – المطبعة الحديثة – دمشق ١٩٢٧م ٨١/١: ٨٤، بطرس البستاني – موسوعة الحضارة العربية – دار كلمات للنشر – ط١٩٩٥، ٣٢٦/٢.

(٣٨) ربط معاوية مصالح قبائل الشام باستمرار بقاء الخلافة الأموية ودوامها (وبذلك تقارب الحكم والمحكوم في وجهات النظر والمصالح) دوزي – تاريخ مسلمي أسبانيا – ترجمة: حسن حبشي – دار المعارف – القاهرة د. ت ص ٤٥/١، أبو الفضل إبراهيم وآخر – أيام العرب في الإسلام – مطبعة الحلبي ط ٣ سنة ١٩٨٦م، ص ١١٠.

(٣٩) الذمار هو حرم الرجل وأهله وحشمه ونسبه، ويقال: ذمار الرجل هو كل ما يلزمه حفظه وحياطته وحمايته والدفاع عنه والقتال من أجله، وإن ضاع منه شيء لزمه اللوم. النهاية في غريب الأثر ١٦٧/٢، لسان العرب ٢١٢/٤.

(٤٠) البتول: يقال امرأة بتول أي منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم. وسميت مريم أم المسيح -عليه السلام- البتول، وسميت فاطمة الزهراء بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا. النهاية في غريب الأثر ٩٤/١.

(٤١) أخبار الوافدين على معاوية ٢٠/١.

(٤٢) تاريخ الطبري ٢١٨/٣.

وشهدت الشهود على قرارات الاتهام، فكان قضاء معاوية أن استخار الله تعالى فيهم واستشار أهل مشورته، ثم كان حكمه فيهم أن قتل بعضهم ومنهم حجر، واستحيا البعض الآخر. وتم تنفيذ الحكم في مرج عذراء(٤٣) قرب دمشق(٤٤).

وقد علق إبن العربي على مقتل حجر – رحمه الله – فقال "...وأراد أن يقيم الخلق للفتنة فجعله معاوية ممن سعى في الأرض فسادا" (٤٥).

ولربما أن معاوية – رضي الله عنه– لم يكن ليقضي بقتل حجر، لو أن حجرا كان قد اقتصر في معارضته على الشق النظري دون الانتقال إلى تصعيد المواجهة، وخير دليل على ذلك أن معاوية لم يتعرض للمسور بن مخرمة(٤٦) الذي كان يعارض معاوية في نطاق القول حتى كان معاوية يقول له: "يا مسور ما فعل طعنك على الأئمة"(٤٧). أما حين تخرج المعارضة إلى المواجهة الفعلية كما فعل حجر وأعوانه فنجد معاوية ومن بعده حتى في العصر العباسي الأول يعتمد في قضائه على مثل حركات التمرد هذه على قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" (٤٨) وقوله – صلى الله عليه وسلم – (إنه ستكون هنات(٤٩)، وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان) (٥٠).

وعلى كل حال كان مقتل حجر فاتحة الاستشهاد عند الشيعة حيث جعلوا له أهمية أسبغوها على هذا الحادث الذي يكاد يقع كل يوم، ولا يعدو هذا الحادث في الواقع سوى

---

(٤٣) مرج عذراء: عذراء قرية من قرى دمشق ينسب إليها مرج عذراء وهو موضع يقع في غوطة دمشق، معجم ما استعجم ٩٢٧/٣، معجم البلدان ١٠١/٥.

(٤٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢١٣/١، المعرفة والتاريخ ٣٢٨/٣، المحن ١٣٧/١ – ١٣٨، المنتظم ٢٤١/٥، الكامل في التاريخ ٣٩٩/١، البداية والنهاية ٤٩/٨.

(٤٥) محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي – العواصم من القواصم – دار الجيل بيروت ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستامبولي ص٢٢٠.

(٤٦) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة يكنى أبا عبد الرحمن مات بمكة سنة أربع وستين، وأمه عاتكة بنت عبد الحرث بن زهرة اخت عبد الرحمن بن عوف الطبقات الكبرى ٢٤٧/٨، طبقات خليفة ١٥/١، سير أعلام ٣٩١/٣.

(٤٧) المعارف ٤٢٩/١، الكامل في التاريخ ١٣٤/٨.

(٤٨) سيف بن عمر الضبي – الفتنة ووقعة الجمل – دار النفائس بيروت ط ١ سنة ١٣٩١ هـ تحقيق أحمد راتب عرموش ٤٧/١، تاريخ الطبري ٢/*، العواصم من القواصم ٢٤٥٠١، البداية والنهاية ٢٢٤/٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠٥/٣.

(٤٩) ((الهنات)) الوهنات)) شدائد وأمور عظام، يقال: إن في فلان هنات أي خصال شر ومفردها هنة وهنت لسان العرب ٤٥٥/١٣.

(٥٠) صحيح مسلم ٢٤١/١٢، وانظر تفاصيل تاريخية استخدم فيها هذا الحديث واستدل به في أحداث تاريخية عند: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو الشيباني – الآحاد والمثاني – دار الراية الرياض السعودية – ط سنة ١٤١١ – * تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ٢١٥/٥، معجم الصحابة ٢٨١/٢، مقتل الشهيد عثمان ٧٥/١، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ٤٦/١.

حادث عارض في خضم تلك الفتن التي كانت تنتاب بلدا كالعراق يموج بها[٥١]. ويرى فلهوزن: أن زيادا إبن أبيه قد سلك في هذا الحادث مسلكا قويما، وكان معاوية فيه للهوادة واللين أقرب بدليل أنه عفا عن جل شركاء حجر في هذه القضية،[٥٢] ويذكر إبن قتيبة أنه كان لحجر ولدان يتشيعان من بعده، هما: عبد الله وعبد الرحمن قتلهما مصعب إبن الزبير فيما بعد صبراً[٥٣].

ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- سنة ٦١هـ - ٦٨٠م[٥٤]

ولد الحسين بن علي – رضي الله عنه– في السنة الثانية للهجرة[٥٥] فهو من صغار الصحابة ويكنى أبي عبد الله، السبط الشهيد، إبن فاطمة الزهراء، حفيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[٥٦]. نشأ -رضي الله عنه- في بيت النبوة وإليه ينسب كثير من

---

(٥١) إن المؤرخين قد ظلموا بني أمية فيما يخص موقفهم من الشيعة وآل البيت، فقد شحنت كثيرا من المصادر التاريخية بذكر سلبياتهم، وطمس إيجابياتهم، فنسبت لهم ما لم يكن منهم، وأخرى ذكرت لهم حوادث لم تقع منهم، وإنما سبب ذلك كله أن كتابة تاريخ بني أمية كانت في عهد خصومهم السياسيين من بني العباس من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الكتابة كانت بأيد شيعية وجدت في تلك الحقبة وكانت أقلامهم وقلوبهم حاقدة منتقدة لبني أمية، وكان من وراء هذه الكتابات أهداف وغايات، توجه سهاما بالدرجة الأولى على بني أمية، إذ تثير الحماس ضدهم لما نال بعض آل البيت على أيديهم. وكان استشهاد الحسين -رضي الله عنه- فيما بعد مادة دسمة تثير بها الحماس ضدهم فتكسب الشيعة، الأنصار وتحصل على المؤيدين (انظر مؤلف منهاج السنة النبوية لابن تيمية الذي تصدى للرد على الشيعة في مثل هذه الأكاذيب، كذلك رسالة تاريخ الدولة الأموية بين التحريف الإنصاف – حمدي مصطفى خليل). ولذلك أود الإشارة أنني في هذا البحث لن أتحدث عن الروايات التي كتبها الشيعة لهذا الهدف والتي أشيعت عن هذا العصر لأنها لا سند له يدعمها ويجعلها في مستوى الروايات وإنما هي محض افتراءات ومن ذلك بعض روايات لليعقوبي في تاريخه وبعض روايات أبي مخنف لوط بن يحيى في تاريخ الطبري وهي أكثر من أربعة عشر رواية، وكذلك بعض روايات إبن أعثم الكوفي في الفتوح وغيرهم من الشيعة الغلاة، لأنها روايات لا تقف أمام النقد البريء، والتي قد لا تصح بل قد يصح ما يخالفها في المصادر الأخرى، وإنما لجأ هؤلاء الغلاة إلى ذلك ليدفعوا عن الشيعة وصمة تخاذلهم، وليوحوا إلى القارئ أن الحسين لم يجد له ناصرا إلا الشيعة، خاصة بعد أن خذله وثبطه أهل الحجاز وغير تلك كبعض روايات إبن عساكر في تاريخه وكلها تتطلب تحقيقا علميا نزيها، لذا فإن بحثنا سيكون خاصا بما صح من الروايات وما تعارف عليه الناس، وثبت في الكتب المعتمدة، مبتعدين قدر الاستطاعة – عن آراء الخصوم التي قصدوا من خلالها تشويه تاريخ بني أمية وحتى بني العباس فيما بعد – والله المستعان. الباحث.

(52) well housen: ziad ibn Abiihi Rivistadegli studioreintali 1/70:71.

(٥٣) المعارف ٣٣٤/١.

(٥٤) إنما أوردت ثورة الحسين هنا ضمن تمردات الشيعة وهو في الأصل يتبع تمردات العلويين لسببين:

الأول: أن ثورة الحسين إنما كانت بتحريض الشيعة وإغراءاتهم له فهم الذين كاتبوه وخططوا ودبروا لقدومه و ستقبلوا مسلم بن عقيل رسوله، وهم الذين خذلوا به في النهاية وأوصلوه إلى نهايته المحتومة.

الثاني: أن تمردات الشيعة لاسيما التوابين والمختار إنما كانت حركات شيعية نتجت من مصرع الحسين – رضي الله عنه– الباحث.

(٥٥) طبقات خليفة ٥/١، سير اعلام ٣ / ٢٨٠.

(٥٦) فضائل الصحابة للشيباني ٢ / ٧٦٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٧٦.

الطالبين، وهو الذي بسببه تأصلت العداوة بين بني هاشم وبني أمية، وقد رويت آثار عديدة تدل على فضله وحب الرسول – صلى الله عليه وسلم – له ولأخيه الحسن وتعلقه – صلى الله عليه وسلم – بهما(٥٧)، ولم نسمع شيئا عن دور له في عصر الراشدين... ما عدا أنه -رضي الله عنه- كان أحد المحاربين في صف أبيه – رضي الله عنهما – في حروب الجمل وصفين والنهروان(٥٨). وكان معارضا لأخيه الحسن في صلحه مع معاوية وتنازله عن الخلافة؛ حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لبشرى النبي -صلى الله عليه وسلم – بأن الحسن سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين(٥٩).

وكان الحسين -رضي الله عنه- من أبرز المعارضين لمعاوية عندما عزم على أن يعهد بولاية العهد من بعده لابنه يزيد بن معاوية(٦٠)، وذلك لما شعر معاوية بالضعف وأحس بالتعب بعد رحلة كفاح طويلة في الإمارة وأصبح يقترب من الموت، وسيطر عليه هاجس الخوف على الدولة التي وحّد أركانها أن تعود بعده أشتاتًا بسبب الخلاف على السلطة، فرأى أن يعهد بالخلافة أفضل من ترك الأمر على غاربه يختار المسلمون من يرونه أهلا لها، وإن كان هناك من هو أفضل من يزيد، إلا أن يزيداً كان يتفوق على مثل هؤلاء بالقوة العسكرية والقبلية التي تقف معه في حالة توليه الخلافة فتكون قوة للإسلام وتكون سيفا حاسما إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا المنصب بين المتزاحمين عليه فيكون ما لا يحب كل مسلم أن يكون(٦١).

---

(٥٧) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي – فضائل الصحابة – دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥هـ ١٩/١، صفة الصفوة ٧٦٢/١.

(٥٨) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي – مشاهير علماء الأمصار – دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٥٩م تحقيق. م. فلا يشهمر، ٧١١.

(٥٩) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير – شركة دار الأرقم بيروت ط١ ١٩٩٧م، ٦٠/١ – شمس الدين محمد بن طولون – قيد الشريد في أخبار يزيد – دار الصحوة القاهرة ١٩٨٦ تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب ص٢٤.

(٦٠) الحافظ نور الدين أبو بكر الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – دار الكتب العلمية بيروت سنة١٩٨٨م ٢٤٨/٧٢ وكان يزيد بن معاوية من رواة الحديث عن أبيه معاوية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك:

أ- حديث في صحيح البخاري (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) صحيح البخاري ١٦/١، ١٩٩/٢.

ب- حديث في الوضوء يرويه عنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان عن يزيد بن معاوية، والحديث ذكره (أبو زرعة الدمشقي) في الطبقة التي تلي الصحابة وهي العليا، وذكر أن ليزيد بن معاوية في هذه الطبقة = =أحاديث – كما أن يزيد هو أول من غزا القسطنطينية سنة ٤٧هـ عند خليفة بن خياط في طبقاته ٥/١، ثم إنه حج بالناس في هذه السنة بعد عودته من الغزوة، انظر قيد الشريد في أخبار يزيد٢٤: ٣١. وكان يزيداً يتلقب بـ(المنتصر على أهل الزيغ) توفي سنة٦٤هـ عن ٣٨عاما، مآثر الإنافة ١١٥/١.

(٦١) المعارف ٣٥١/١، منهاج السنة ٥٢٢/٤، ٥٧٤/٤، مقدمة ابن خلدون ٢٠٣/١، ٢٠٦/١، ٢١٠، ابن تيمية مؤرخا ص٢٠٨.

وكتب معاوية إلى الأمصار يأمر ولاته بها بأن يأخذوا من الناس البيعة ليزيد بولاية العهد[٦٢]، ومن هؤلاء مروان بن الحكم والي المدينة[٦٣]. فوجد معارضة من خمسة نفر فقط، هم: الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله إبن عمر، وعبد الله بن الزبير بن العوام -رضي الله عنهم- وهؤلاء واجهوا معاوية بمعارضتهم لما حج سنة ٥١هـ ليستوثق من بيعة يزيد بولاية العهد، فكلمهم معاوية جميعا فكل يقول له: إن اجتمعت الأمة على أحد بعدك بايعت إن لم يؤ غيري[٦٤].

وكان إبن الزبير في نظر معاوية هو الذي تولى كبر معارضة الخمسة لما قال لمعاوية "اخلع نفسك ونبايع ليزيد" فوصفه معاوية بأنه (ثعلب مراوغ)[٦٥].

وفي سنة٦٠هـ - ٦٧٩م أتت الوفود من الأمصار إلى دمشق، ودارت مناقشات بين هذه الوفود على مسألة البيعة بولاية العهد ليزيد بن معاوية، وظهرت ثلاثة آراء حول هذه القضية التي كان من نتائجها ثورة الحسين وابن الزبير وغيرهما حتى كانت في النهاية من أسباب انتهاء الدولة الأموية - والغريب أن العباسيين الذين قضوا على الدولة الأموية نسجوا على نولها في طريقة الحكم بحذافيرها، بل اتبعوا طرائقهم في الحكم باسم السنة والجماعة واتبعوا أساليبهم في الإدارة والجيش[٦٦].

وكان الرأي الأول للوفود التي أتت لمناقشة هذا الأمر يرى أن اختيار يزيد يجنّب الأمة الفتنة، أما الرأي الثاني فكان يرى ترك الأمر لمعاوية يختار بنفسه من يصلح، بشرط أن يكون الاختيار مرضيا لله ولأمة محمد -صلى الله عليه وسلم-[٦٧]. أما الرأي

---

(٦٢) أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب - التاريخ الكبير (تاريخ إبن خيثمة) - دار الفاروق للطباعة الحديثة ط ٢٠٠٣ - تحقيق: صلاح بن فتحي هلل ٧٠/٢.

(٦٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وأمه هي أمية بنت علقمة بن صفوان، كان قصير القامة دقيقا، أوقصا - أي مائل العنق قصيرها - ولد في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وعاصره ثماني سنوات، لذلك يعتبره البعض صحابيًا، وقد روى مروان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث صلح الحديبية، وأورد له البخاري في صحيحه بعض الروايات، كما روى مروان عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - وروى عنه ابنه عبد الملك وسعيد بن المسيب وغيرهما كثير، وكان مروان كاتبا لعثمان وعلي وزيد بن ثابت، كما كتب لخالته وحماته بسيرة بنت صفوان الأزنية، كان يكنى أبا الحكم، وابا القاسم وأبا عبد الملك، وكان لقبه المؤتمن بالله، ولي المدينة لمعاوية وابنه يزيد ثم بويع له بالخلافة في مؤتمر الجابية بالشام سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، ثم جددت له في ذي القعدة من نفس العام وهو إبن واحد وستين سنة، طبقات ابن سعد ٢٢٣/٥، طبقات خليفة بن خياط ١/(٢٠١) الأحاد والمثاني ٣٩٢/١، تاريخ الطبري ٣٢٤/٣، المنتظم ٦ ٤٧، لسان العرب ٧ ١٠٦، البداية والنهاية ٢٥٨/٨، مآثر الإنافة ١٢٥/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٥٧/٦.

(٦٤) تاريخ اليعقوبي ١ ٢٠٣.

(٦٥) حلية الاولياء ١ ٢٣٠.

(٦٦) شاكر مصطفى - موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها - دار العلم للملايين ط١ ١٩٩٣، ١٣٣/١.

(٦٧) كان على رأس أصحاب هذا الرأي: الضحاك بن قيس، وثور بن معن السلمي، وعبد الله بن فزارة وعبد الله ابن عضاه الأشعري. وكان على رأس أصحاب الرأي الثاني: وافد أهل البصرة الأحنف بن قيس ومحمد بن عمرو إبن

الأخير فكان ملكيا أكثر من الملك، حيث رأى أن يقدم معاوية على استخدام القوة لمن يرفض بيعة يزيد، الأمر الذي لم يشجعه معاوية ولم يلجأ إليه، عموما كان من نتائج هذا المؤتمر أن معاوية استوثق من الناس ومهد بالبيعة لخلافة يزيد(٦٨).

ولعل معاوية في هذه الخطوة قد استفاد من دعوة الشيعة بأحقية الحسن -رضي الله عنه – في وراثة خلافة أبيه، ثم استفاد من دعوتهم بأحقية الحسين في وراثة خلافة أخيه، فعمل معاوية على تنصيب ابنه يزيد من بعده(٦٩). فلقد رفض الشيعة مبايعة يزيد بن معاوية لأنهم رأوا فيها وراثة للحكم وانحرافًا بالخلافة عن مبدأ الشورى واختيار المسلمين، والباحث يرى أن هذا سبب لائق وجدير بالرفض. وكان معاوية غير موفق فيه، يضاف إلى موقفه في الخروج على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهذان الموقفان فقط هما اللذان لم يوفق فيهما معاوية ذو الحلم والرياسة والعالم المطلع بأحوال السياسة كما يصفه ابن حبيب(٧٠).

ولكن يؤخذ على الشيعة أيضا أنهم ارتكبوا نفس الفعل في نفس الوقت عندما بايعوا الحسين بن علي، فإنما بايعوه لأنه إبن الخليفة الشهيد علي -رضي الله عنه- وتلك نقطة ضعف فيما فعلوه، فلو أنهم رفضوا بيعة يزيد بولاية العهد وبالخلافة فيما بعد، ثم دعوا الأمة للتشاور واختيار خليفة على طريقة الشورى والكفاية دون إصرارهم على سياق الخلافة من علي -رضي الله عنه- إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين لكان موقفهم أسلم، ولاستطاعوا بذلك أن يبقوا على مبدأ الشورى وأن تكون الخلافة بالانتخاب لا بالتعيين حتى لو أسفرت الشورى عن خلافة الحسين نفسه فإن انتخابه في هذه الحالة كان سيتم على أساس الكفاية لا على أساس السلالة، ولو أنهم فعلوا ذلك لاحتفظوا لنا بالقاعدة الإسلامية الخالصة في اختيار خليفة المسلمين(٧١).

إجمالاً، شاع الخبر في الأمصار أن معاوية يريد أن يأخذ البيعة ليزيد، فكان الناس في أمر يزيد على فرقتين: فرقة راضية بذلك وساكتة عليه، وأخرى منكرة عليه ذلك بالقول، ومعاوية بحلمه وسياسته وحكمته لم يزل يروض الناس على بيعة

حزم وافد أهل المدينة - محمد عبده السروي دراسة في مبدأ وراثة الخلافة في نظام الحكم الإسلامي خلال العصرين الأموي والعباسي الأول، رسالة ماجستير جامعة القاهرة سنة ١٩٨٥م ص ١٤٦ – ١٤٧.

(٦٨) دراسة في مبدأ وراثة الخلافة ص ١٤٧.

(٦٩) منهاج السنة ٢٣١/٦، ٢٣٢ – دراسة في مبدأ وراثة الخلافة ١٤٦، موسوعة دول العالم ٧٥/١.

(٧٠) مخطوطة جهينة الأخبار ص١٨، ويرى ول ديورانت (أن السبب الذي حدا بمعاوية في استحداث ولاية العهد ليزيد هو حماية الدولة من الاضطراب والفوضى، ومع هذا فإنه لما مات وقعت الاضطرابات والفوضى من أجل الخلافة) – قصة الحضارة – الهيئة المصرية للكتاب سنة٢٠٠١-٨١/١٣.

(٧١) دراسة في مبدأ وراثة الخلافة ص١٦٦.

يزيد فيعطي المقارب ويداني المتباعد حتى مال إليه أكثر الناس كما يقول ابن أعثم حتى أجابوه إلى ذلك(٧٢).

مات معاوية سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، وكان قد أوصى يزيداً خيرا بالحسين بن علي عند موته: أما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحما ماسة وحقًا عظيمًا(٧٣).

ولما مات معاوية بايعت الأمصار من جديد يزيداً، عدا نفر أربعة: الحسين ابن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وإجمالاً فالبيعة ليزيد بدون بيعة هؤلاء النفر وأضعافهم قد انعقدت مادامت الأمصار قد وافقت على ذلك وولاتها، كيف لا؟ وبيعة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كانت صحيحة على الرغم من عدم مبايعة عدد من الصحابة لا بأس به، على رأسهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد ابن مسلمة، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وأسامة بن زيد وغيرهم، وعلى هذا فقد أصبح يزيد بن معاوية خليفة للمسلمين(٧٤).

عموما، تولى يزيد أمر الخلافة بعد أبيه في رجب سنة ٦٠هـ - ٦٨٠م فأقر عمال أبيه على ولاياتهم، وكان فيهم على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص – وأمير الكوفة النعمان بن بشير، وعلى البصرة عبيد الله ابن زياد(٧٥). وكتب يزيد لوالي المدينة يطلب منه أن يأخذ البيعة من أولئك النفر الذين أبوا

---

(٧٢) الفتوح ٢٢٥/٤، ٢٢٨، ويرى بعض الباحثين أن معاوية في عهده بولاية العهد إلى ابنه يزيد إنما حذا بذلك حذو أبي بكر الصديق الذي عيَّن خلفا له في حياته عمر بن الخطاب، فاختار معاوية اقتداء بذلك ابنه يزيد. ذلك لان أهل الشام وتقديرا لما قدم لهم معاوية من خير وإحسان في حسن سياسته لهم فلن يرضوا لأحد يحكمهم إلا بمن كان من سلالة حاكمهم وهو معاوية، وكان في فعل معاوية هذا خير ضمان لاستقرار الحكم الأموي، وتمكنه، أبو النصر محمد الخالدي – قصة المختار بن أبي عبيد الله الثقفي – رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٤٩سنة ص٥٧. لكنني أرى أن هذا القياس بعيد شيئا ما من نواح متعددة منها: أن أبا بكر قد استشار القاصي والداني حوله والشيخ والشاب حتى قيل إنه استشار العذراء في خدرها، ومنها أن الكل آنذاك وافق على استخلاف عمر ولم تكن هناك معارضة ظاهرة لا قولية ولا عملية اللهم إن كان من النذر اليسير فكانت معارضته خرساء القلب فقط ومنها أن عمر – رضي الله عنه – قد جاز الشروط المؤهلة للخلافة كاملة ولم تكن عليه أي محاذير أو ملاحظات تقدح في ترشيحه للخلافة، ومنها أن أبا بكر – رضي الله عنه – لم يستخلف أحدا من عشيرته فضلا عن أن يكون ابنه. – الباحث.

(٧٣) تاريخ الطبري ٢٦٠/٣، إبراهيم أحمد العدوي – تاريخ العالم الإسلامي – المعهد العالي للدراسات الإسلامية سنة ٢٠٠٢ ص١٦٨.

(٧٤) الكامل في التاريخ ٥٨/٨، سمط النجوم ٣ ١٦١، مخطوط عيون الأخبار ص٥٦. قصة المختار ص٥٧، محمود شاكر – الدولة الأموية – المكتب الإسلامي بيروت ص١٢٨.

(٧٥) هو عبيد الله بن زياد أمير العراق أبو حفص، والي البصرة سنة ٥٥هـ وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان فكان أول عربي قطع نهر جيجون إلى بخارى وافتتح بيكند وغيرها. كانت أمه تسمى مرجانة من بنات ملوك الفرس سير ٥٤٥،٣، انظر سير أعلام النبلاء ٥/٣ ٤٥، شذرات الذهب ١ ٦٠.

على معاوية استخلافه لولاية العهد، وعلى رأسهم الحسين بن علي[٧٦]، وهناك بعض الروايات تشير إلى أن يزيداً أمر الوالي بضرب رقاب من لم يبايع[٧٧]، وإن كان هذا الكلام ينافي الواقع آنذاك من أن أباه معاوية أوصاه به خيرا على الخصوص، ومن طريقة تعامل يزيد مع الحسين عندما علم بخروجه عليه فيما بعد، والرواية نفسها تشير إلى امتناع عبد الرحمن بن أبي بكر عن بيعة يزيد في حين أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات في خلافة معاوية سنة٥٣هـ/ ٦٧٢م[٧٨].

كان همّ يزيد بعد اعتلائه الخلافة الحصول على بيعة الحسين ورفاقه لما لهم من مكانة بارزة بين المسلمين، ولو كان يعلم نتائج حرصه هذا، لترك هذا العمل الذي نتج عنه خروج الحسين عليه، لاسيما وأن بيعته صحيحة بدون بيعة الحسين ورفاقه ولما تحمل إلى يوم القيامة أوزار جنوده الذين باءوا بإثم قتل الحسين وأهل بيته – رضي الله عنهم – على الإجمال أرسل والي المدينة للمعارضين الأربعة فبايع عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس بعد أن بايعت الأمصار، ثم أرسل إلى الحسين وابن الزبير لأخذ البيعة ليزيد فوعداه بالبيعة إذا ما بايع الناس كلهم، ثم ما لبثا أن غادر ابن الزبير المدينة إلى مكة،وبعد يوم تبعه الحسين ولم ينصرم شهر رجب بعد، وكان خروج الحسين مع أكثر أهل بيته: بنيه، وإخوته، عدا محمد بن الحنفية أخيه من أبيه. ومن ثم تم عزل الوليد ابن عتبة وجعل مكانه عمرو بن سعيد بن العاص، الأشدق[٧٩].

بلغ أهل الكوفة تلكؤ الحسين في بيعة يزيد فكتبوا إليه في القدوم عليهم وبعثوا بحمل بعير وكتبوا له بالبيعة[٨٠] حيث كانت الكوفة قد أصبحت شيعة وموطنًا من مواطن العلويين بل حاضرة لخلافة الإمام عليّ -رضي الله عنه- ثم لخلافة ابنه الحسن القصيرة، بينما كانت البصرة عثمانية يقدمون عثمان في الفضل على عليٍّ – رضي الله عنهما – ولم تكن البصرة شيعة رغم أن جزءًا من سكانها كانوا شيعة، وبرغم أيضا أنها وقفت بعد ذلك بجانب إبراهيم بن عبد الله بن حسن أخي النفس الزكية في العصر العباسي الأول فيما بعد[٨١].

---

(٧٦) أبو حنيفة أحمد بن داود ت سنة٢٨٢م – الأخبار الطوال – مكتبة الحلبي – القاهرة سنة١٩٦٠م تحقيق/ عبد المنعم عامر ط١، ص٢٢٨ تاريخ الطبري ٢٦٢/٣، الفتوح لابن أعثم ٢٢٨/٤، حلية الأولياء ٢٣٠/١، الكامل ٣٤٩/٣.

(٧٧) الفتوح ١٠/٥.

(٧٨) الآحاد والمثاني ٤٧/١، سير أعلام النبلاء ٥٩/٣، الإصابة ٢٩١/٤.

(٧٩) شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي – العبر في زمن من غبر – مطبعة حكومة الكويت ط٢، ١٩٨٤ تحقيق/ صلاح الدين المنجد، ٦٥/١ –ابن دقماق – الجوهر الثمين ص٦٠.

(٨٠) البدء والتاريخ ٦، ٨، ٩، ١٠، الكامل في التاريخ ٣٨٥/٣ – مخطوط عيون الأخبار ص٥١، مبدأ الوراثة ص١٦٦. عبد الغني عبد السلام رضوان – العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول – رسالة دكتوراة – آداب طنطا سنة ٢٠٠٣م ص ٢١٨ – ٢١٩.

(٨١) طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيه- الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في مدينتي البصرة والكوفة في العصر العباسي الأول – رسالة دكتوراه، إشراف د/حسن علي حسن – دار العلوم القاهرة سنة١٩٩١م ص٧٢.

قدم الحسين إلى مكة في الثالث من شعبان سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، وبدأت تقدم إليه وفود الشيعة ومراسلاتهم إليه، وقد قرَّر الحسين عندئذ مقاومة الحكم الأموي، وطرح نفسه بديلا للسلطة الأموية في دمشق خاصة فإنه كان يرى يزيد غير أهلٍ للخلافة، في حين يرى نفسه أفضل وأحق منه بمنصب الخلافة علما، وصلاحا، وكفاءة، وقبولا عند كثير من الناس، ولاسيما وأن يزيد جاء بطريقة التوريث لا عن الطريق الشرعي وهو الشورى والانتخاب. كل هذا ومثله كان ينظر له الحسين، لذلك لم يعط البيعة ليزيد، ومعنى ذلك هو عدم إعطاء الشرعية للحكم الأموي من منظوره لذلك خرج عليه[٨٢] إجمالا، توافدت الرسل والرسائل من زعماء الكوفة على الحسين بمكة تطالبه بالمسارعة للقدوم عليهم، وهنا أراد الحسين أن يطلع على حقيقة الأمر خاصة وليتأكد من عزم أهل الكوفة على مبايعته ونصرته، لاسيما وقد رأى موقف هؤلاء من أبيه ومن أخيه قبله والذي حذره في احتضاره من خداع أهل الكوفة[٨٣]، الذين ما فتئوا أن مات الحسن - رضي الله عنه- وبلغهم ذلك حتى اجتمعوا حينئذ في دار سليمان بن صُرد[٨٤] وفيهم بنو جعدة بن هبيرة وكتبوا إلى الحسين يعزونه على مصابه بالحسن ومما قالوه: "اصبر - رحمك الله- على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور فإن فيك خلفا ممن كان قبلك، وإن الله يؤتي رشده من يهدي بهديك ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك" [٨٥].

بعث الحسين ابن عمه مسلمًا بن عقيل بن أبي طالب[٨٦] ليستجلي حقيقة الأمر، ويكتب إليه بحقيقة الواقع هناك، فإن كان ما يقولون حقا قدم عليهم، خرج فعلا مسلم وبصعوبة متعبة ومهلكة إلى الكوفة، ولذا كان قد طلب من الحسين أن يستعفيه ولكن الحسين رفض طلبه وأمره أن يستكمل المسير إلى الكوفة[٨٧]. وبالفعل وصل مسلم إلى هناك ونزل عند المختار بن أبي عبيد الله[٨٨].

---

(٨٢) مقاتل الطالبيين ٧٨، ١٠٠، ١٠٤ وما بعدها – العبر ٦٥/١، مقدمة إبن خلدون ٢١٦/١ن سمط النجوم ١٦٦/٢، محمد جمعه عبد العزيز يوسف موسى – المعارضة في العصر الأموي – رسالة ماجستير دار العلوم القاهرة ١٩٨٣ص٤٤، ١٩٥.

(٨٣) العبر ٦٥/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٤.

(٨٤) هو سليمان بن صرد بن أبي الجون، يكنى أبا مطرق، وصحب النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان اسمه يسار فسماه النبي سليمان، تحول إلى الكوفة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين وكان فيمن كتب إلى الحسين بالقدوم للكوفة، طبقات ابن سعد ٢٩٢/٤، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع – معجم الصحابة، مكتبة الغرباء والأثرية- المدينة المنورة ط١ سنة١٤١٨هـ تحقيق صلاح بن سالم المصراني ٢٨٨/١، مشاهير علماء الصحابة ٤٧/١، سير أعلام النبلاء ٣٩٤/٣.

(٨٥) تاريخ اليعقوبي ٢٢٨/٢، العبر ١٦٥/١.

(٨٦) هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب، تابعي من ذوي الرأي والعلم والشجاعة سير أعلام ٣٠٦/٣، انظر مشاهد خروج الحسين في مقاتل الطالبيين – ص١٠٤ حتى ص١١٨.

(٨٧) الطبري ٢٧٥/٣، البدء والتاريخ ٦م٩، البداية والنهاية ١٥٢/٨.

(٨٨) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب كان والد الأمير أبا عبيد بن مسعود بن عوف الثقفي، أسلم في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف اشتهر بالدهاء والفصاحة والشجاعة وقلة الدين – ادعى

وتوافدت عليه الشيعة مستغلين ورع والي الكوفه النعمان بن بشير الأنصاري الذي كان يسدي لهم النصح بالطاعة ولزوم الجماعة مما حدا ببعض أنصار بني أمية إلى مراسلة يزيد بموقف النعمان فعزله وكتب إلى عبيد الله بن زياد بضم الكوفة(٨٩) إليه فسارع إبن زياد إلى هناك مع بضعة عشر رجلا وكان ملثما فحسبه الناس الحسين فكلما مر على جماعة نادوه مرحبا يا بن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قدمت خير مقدم حتى إن النعمان نفسه لما طرق عليه إبن زياد بابه قال: أنشدك الله لا تنحيت عني، ما أنا بمسلم إليك أمانتي ومالي في قتلك من أرب(٩٠).

وما كاد يستقر إبن زياد بالكوفة حتى لاحت بوادر سياسته التي سار عليها فقد أخذ أهلها بالحزم، حيث خطبهم ووعد من أطاع منهم خيرا وتوعد من خالف وحاول الفتنة منهم شرا(٩١). لكن ذلك لم يمنعه من اتخاذ سياسة موازية متمثلة في تأليفه لقلوب أشراف الكوفة حتى ولو كانوا من غلاة الشيعة، وبايع مسلم هناك قرابة اثنى عشر ألفا وتحول مسلم إلى دار هانئ بن عروة المرادي وكتب إلى الحسين يدعوه إلى السير إلى الكوفة(٩٢).

علم عبيد الله بن زياد بمكان مسلم عند هانئ الذي أرسل إليه وأحضره وواجهه بما علم فأنكر هانئ ثم اعترف بعد أن واجهه بالعين الذي كان قد أرسله إبن زياد وسطهم، فطلب منه أن يحضر إليه مسلم فرفض هانئ وقال بكل شهامة وشجاعة المسلم الذي لا يمكن أن يسلم ضيفه إلى عدوه ولو كان على حساب حياته: "والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه" (٩٣) فضربه إبن زياد وشجه، وسجنه في القصر، وظنت قبيلته مذحج أنه مات قتلا فحاصرت قصر إبن زياد فأخبرهم من في القصر أنه حي لم يمت فعادت، فلما سمع مسلم بذلك خرج ورفع شعاره وتجمع حوله أربعة آلاف من أهل الكوفة وحاصروا قصر عبد الله بن زياد الذي استغل سياسته في احتواء زعماء ووجوه أهل الكوفة وطلب منهم أن يصرف كل واحد أقرباءه من المحاصرين ونجحت الخطة وانصرف الناس من حول مسلم ولم يبق معه إلا خمسمائة حتى إذا أرخى الليل سدوله لم يبق معه إلا غدر أهل الكوفة وخيانتهم التي أوقعته في أيدي إبن زياد فضرب عنقه وعنق هانئ، وكان ذلك يوم

ان الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب، وقال النبي: صلى الله عليه وسلم- "يكون في ثقيف كذاب ومبر" فكان الكذاب المختار والمبر الحجاج سير أعلام، ٣ ٥٣٩، عن تفاصيل تهمة مسلم انظر الأخبار الطوال ص٢٣١.

(٨٩) تاريخ خلفية بن خياط ٢٣١/١.

(٩٠) تاريخ الطبري ٢٨١/٣، المنتظم ٥ ٣٢٩، تاريخ ابن خلدون ٢٧/٣.

(٩١) انظر نص خطبة إبن زياد في البداية والنهاية، ١٥٤/٨.

(٩٢) تاريخ خليفة ٢٣١/١، يرى إبن عبد ربه الأندلسي ت سنة٣٤٩، أن المبايعة لمسلم بالكوفة من الشيعة وصلوا الى ثلاثين ألفا انظر العقد الفريد - مطبعة الوقائع المصرية، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧ تحقيق مفيد محمد قميحة ٣٨/٤، ٥٠، المنتظم ٥/ ٣٢٩، المعارضة في العصر الأموي ص٥٠، ٥٢، تاريخ العرب والتمدن الإسلامي سيد أمير علي ٦٦ ٦٩.

(٩٣) تاريخ اليعقوبي ٣٤٣/٢، تاريخ الطبري ٣٧٥/٣.

٩ ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م في الوقت الذي كان الحسين قد خرج من مكة متجها إلى الكوفة يوم ٨ ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م[٩٤].

على الرغم من طوفان النصائح والتوسلات التي وجهت إلى الحسين بعدم القدوم إلى الكوفة[٩٥] خاصة، حتى إن عبد الله بن عباس عرض عليه الذهاب إلى اليمن إن كان لابد للخروج لا محالة ومما قال:

"اذهب إلى اليمن فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض طويلة وعريضة، ولله بها شيعة، وأنت بها عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك"[٩٦]. وقال إبن عمر: غلبنا الحسين بالخروج لقد رأى في أبيه وأخيه العبرة، وكلمه جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد الليثي وغيرهم، فلم يطع الحسين أحدا منهم، وصمم على المسير إلى العراق حتى عاد إبن عباس وقال له: والله يا حسين إني لأظنك تقتل بين نسائك وبناتك، كما قتل عثمان، فلم يقبل منه الحسين فبكى إبن عباس وقال:

لقد أقررت عين إبن الزبير، حتى إن إبن عباس حين رأى إبن الزبير، قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز، ثم تمثل قائلاً:

خلا لك الجو فبيضي واصفري * وانقري ما شئت أن تنقري[٩٧]

وغير هذا كثير من أفاضل أهل العلم والدين أشاروا على الحسين بعدم الخروج على الحاكم وبين هؤلاء أخوه محمد بن الحنفية، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم الذين غلب على ظنهم أن الحسين سيقتل حتى إن بعضهم قال له عند وداعه: أستودعك الله من قتيل، وقال آخر: لولا الشفاعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، كما أمر الله ورسوله بالصلاح لا بالفساد، ولكن الرأي قد يصيب تارة ويخطئ أخرى[٩٨].

إجمالا، خرج الحسين -رضي الله عنه- من مكة يوم التروية الموافق للثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م وحاول والي مكة الأموي عمرو بن سعيد بن العاص أن يثنيه عن عزمه فأرسل إليه وفدا على رأسهم يحيى وساروا وراءه ونادوه: يا حسين، ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة فتأول حسين قول الله تعالى {وَإِن

(٩٤) تاريخ خليفة ٢٣١/١، تاريخ الطبري ٢٩٢/٣، الكامل في التاريخ ٣٩١/٣، العبر للذهبي ٦٥/١، فيليب حتى – تاريخ العرب – دار العالم العربي القاهرة ط٣ سنة١٩٥٣م ترجمة/ محمد مبروك نافع ص٢٣٨، د/إبراهيم العدوي – الدولة الأموية مقوماتها ورسالتها، دار الثقافة العربية القاهرة ٢٠٠٠ ص١٣٣.

(٩٥) من هذه النصائح نصيحة إبن عباس للحسين: (لا تخرج فإن رسول الله – صلي الله عليه وسلم - خير من الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وأنت بضعة منه، ولن تنالها أيضا فاعتنقه وبكى وودعه فقال إبن عمر (غلبنا الحسين بالخروج لعمري لقد رأى في أبيه وأخيه العبرة) مخطوط عيون أخبار الأعيان ص٥٦، علي إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي العام – مكتبة النهضة المصرية ص٢٨٥.

(٩٦) الفتوح لابن أعثم ١١٣/٥، العواصم لابن العربي ٢٢٩.

(٩٧) مخطوط عيون أخبار الأعيان ص٥٦.

(٩٨) منهاج السنة ٥٣٠/٤، محمود شاكر – الدولة الأموية – المكتب الإسلامي – بيروت ١٣٥.

كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٩٩)
واستمر الحسين في مسيره بصحبة أهل بيته وستين شيخا من أهل الكوفة(١٠٠).

والحقيقة تبدو أن الأمويين كانوا متأكدين أن الحسين سيخرج عليهم لا محالة وأن خروجه سيؤدي إلى الصدام معهم، وقد ينتج عنه ما لا تُحْمَدُ عقباه على مر التاريخ، ولقد أدرك معاوية هذا الأمر وحذّر منه يزيدا(١٠١)، ولذلك نرى أن للأمويين مع الحسين قبل كربلاء محاولات عديدة ليحولوا بين الحسين وبين ما نوى عليه من الخروج فأسدوا له النصح(١٠٢)، وذلك عندما أسدى له والي المدينة ووالي مكة الذي أرسل له أخاه يحيى كما سبق وقال له: انصرف يا حسين، أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى، حتى إن الفريقان تدافعوا حتى أنهم اضطربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه امتناعا قويا ومضى على حد قول الطبري(١٠٣).

حتى أن يزيداً بن معاوية نفسه لما وصلته أخبار خروج الحسين من المدينة إلى مكة واتصالاته بأهل الكوفة، نجده يحرص على ألا يصطدم بابن عمه الحسين بن علي، فيرسل من فوره إلى عبد الله بن عباس يخبره بذلك ويسأله المساعدة في تجنب كارثة يمكن أن تقع على حد قول إبن أعثم الكوفي الشيعي المشهور بالغلو والكذب أحيانا(١٠٤). ويؤكد هذا الرواية إبن كثير في تاريخه ويسوق رد إبن عباس إلى يزيد بقوله (...وإني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة، وتطفأ به الثائرة)(١٠٥).

ويتضح من النص أن نصيحة إبن عباس السابقة للحسين تدخل فيها طلب يزيد إبن معاوية من إبن عباس بالتدخل لمنع الحسين من الخروج عليه حيث يضيف إبن كثير "ودخل إبن عباس على الحسين فكلمه طويلا وقال له أنشدك أن تهلك غدا بحال مضيعة

---

(٩٩) يونس ٤١.

(١٠٠) تاريخ الطبري ٢٩٦/٣.

(١٠١) حيث قيل له عند موته: (أما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحما ماسة وحقا عظيما)، تاريخ الطبري ٢٦٠، إبراهيم العدوي - تاريخ العالم الإسلامي ص ١٦٨.

(١٠٢) ساقت بعض المصادر روايات تشير إلى أن مساعي بني أمية لم تتوقف منذ أن عزم الحسين على الخروج بغية أن يوقفوا خروجه بالمساعي السلمية، ومن ذلك رسالة مروان بن الحكم إلى إبن زياد مخافة أن تسول له نفسه ان يقدم على قتل الحسين والتي حرفتها بعض المصادر الأخرى بالعكس من ذلك. ولكن هنا نجده يحذر من مغبة إقدام إبن زياد على أذى الحسين. انظر الفتوح ١٢١/٥، البداية والنهاية ١٦٥/١.

(١٠٣) تاريخ الطبري ٢٩٦/٣، حمدي مصطفى خليل - الدولة الأموية بين التحريف والإنصاف - رسالة ماجستير دار العلوم القاهرة ١٩٩١، إشراف د/أحمد شلبي ص٣٩٣، سيد أمير علي - تاريخ العرب والتمدن الإسلامي - ترجمة رياض رأفت القاهرة ١٩٣٨ ص٦٦،٦٩، ٧٣.

(١٠٤) الفتوح ١٨٨/٥. وهنا بحسب هذه الرواية نجد أن إبن أعثم يناقض نفسه عندما أورد أن يزيدا أمر عامله على المدينة بقتل الحسين إن لم يبايع. انظر من ذلك الفتوح ١٠/٥، ١١، ٢٦.

(١٠٥) البداية والنهاية ١٦٤/٨.

لا تأت العراق وإن كنت لابد فاعلا فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما في صدورهم ثم ترى رأيك، وذلك في عشر ذي الحجة فأبى الحسين" فقال له مقولته السابقة وأضاف: "والله إني أخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له الحسين: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت!!"(١٠٦). وأجمع الحسين على الخروج إلى الكوفة بالرغم من طوفان التحذيرات والنصائح بمغبة الخروج على يزيد الحاكم، وفي الطريق علم الحسين بنبأ مصرع مسلم بن عقيل، وانفضاض الشيعة من حوله، وتبين له صدق الناصحين له، فقد لاحت له الحقيقة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء، حقيقة ساقها له الركبان في الطريق أن أهل العراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية(١٠٧). وهنا وليس قبل، صدّق الحسين نصح الناصحين وتعامل مع الموقف بفقه الواقع بما يتطلبه من موازنات وحسابات سواء من حيث الوقت والقوة والعدد والعدة والأنصار والأعوان، فكل هذا وغيره أصبح حسين منه صفر اليدين مع نبل أهدافه وطهارة مقصده، فإنه حتى هذه اللحظة فقط كان الحسين -رضي الله عنه- مجتهدًا في خروجه الذي شابه شيء من السرعة من حيث أصل الخروج ومن حيث الاستعداد والتبيّن من صدق الشيعة الذي كان يكفيه منهم موقفهم مع أبيه وأخيه من قبل، ومن حيث خروجه مع نسائه وأهل بيته وهم متأكدون أنه قادم إلى قتال لا محالة عنه، ومن حيث خروجه على الحاكم(١٠٨) ولكن حبنا للحسين وهو أفضل من على الأرض آنذاك، وحبنا لجميع آل البيت يجعلنا نسرع إلى النتائج دون الوقوف طويلا أمام الأسباب والتفاصيل فأمر الله لابد آت(١٠٩).

وأمام هذه المعطيات المستجدة أراد الحسين، أن يرجع من حيث أتى، وكان معه خمسة من بني عقيل فقالوا له: أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما تثق به،

(١٠٦) البداية والنهاية ١٦٤/٨.

(١٠٧) تاريخ الطبري ٢٩٦/٣، البداية والنهاية ١٧/٨، مقاتل الطالبيين ص١٠٤.

(١٠٨) يرى جمهور العلماء من أهل السنة الجماعة أن: الحاكم الفاسق الذي يحكم بشرع الله لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب من ينتج على الخروج من فتنة وغير ذلك. انظر قيد الشريد في أخبار يزيد ص٤١ ط. الدولة الأموية لمحمود شاكر ص١٣٥.

(١٠٩) لا ينبغي لمسلم أيا كان أن يلحق المذمة بأحد من أولاد فاطمة الزهراء – رضي الله عنهم جميعا–. ولا يشنؤ أعراض من شهد الله بتطهيره – لهم، وإذهاب الرجس عنهم قال تعالى {لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [سورة الأحزاب ٣٣]، وقد دخل أولاد فاطمة – رضي الله عنها – في حكم هذه الآية الكريمة، وفي حكم قوله تعالى {قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ} [الشورى:٢٣]، انظر: تقي الدين المقريزي سنة٨٤٥هـ - رسائل المقريزي دراسة وتحقيق/ رمضان البدري وآخرين، دار الحديث القاهرة ط١ سنة١٩٩٨م ص١٩٢.

ويرى البعض أنه من يمعن النظر كل الإمعان بتاريخ الإسلام يعلم علمًا يقينًا، أن كل من خرج من آل البيت رضي الله عنهم، ما كان ذلك منه إلا عند مصيبة نابتة، وضنك مسه، وفاقه لحقته، وذل أهانه – انظر – على من أنجب الشهير بابن الساعي، سنة٦٩٣هـ - تاريخ الخلفاء العباسيين – مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٩٣م – تقديم وتعليق د عبد الرحيم يوسف الجمل ص٣٢.

فقال الحسين – كما نقل لنا ابن عبد ربه – "والله ما لي على هؤلاء من صبر"[١١٠] وقيل له إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، لو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع، فامتنع على ضرورة المواجهة مع ابن زيادة وصمم وهذا كلام جيد[١١١]، ولكن أمام والي مثل ابن زياد عامل لا يعرف إلا لغة واحدة أمام كل من تسول له نفسه التمرد وهي لغة الدماء، وقد كان، فقد حال بين الحسين -رضي الله عنه- وبين الكوفة التي سد منافذها برجاله لا يدع أحداً يخرج ولا يدخل إلا ويتحقق من شخصيته ووجهته[١١٢] وبذلك أحكم سيطرته على الكوفة بعدة تدابير أمنية كان يهدف من جرائها قطع الاتصال بين أهل الكوفة وبين الحسين بن علي[١١٣].

وأمام هذه الإجراءات أعطى الحسين الإذن لمن تجمع حوله من أعوان بالانصراف فانصرف البعض، وبقي معه ثمانية عشر من أهل بيته، وستون من شيعته وهم الذين خرجوا معه من مكة[١١٤]. واستمر في مسيره حتى بلغ شرافا[١١٥]، وبالفعل كانت طلائع خيل ابن زياد عليها الحر بن يزيد التميمي[١١٦] في ألف فارس في مواجهة الحسين الذي طلب منه الحسين - -رضي الله عنه- أن يسمح له بالرجوع من حيث أتى، فرفض الحر بحجة أنه مأمور بملازمته حتى الكوفة، فرفض الحسين، فاقترح عليه الحر حلا وسطا أن يسلك الحسين طريقا يجنبه الكوفة ولا يرجعه المدينة وبالفعل أخذ الحسين باقتراحه والحر يسايره وينصحه بعدم القتال ويذكره بالله وأنه لو رفع سيفاً ستُرفع في وجهه ألوف السيوف، وكان الحسين يصلي إماما بالفريقين إذا حضرت الصلاة[١١٧] واستمر الحسين في طريقه حتى وصل منطقة تسمى الطف[١١٨] فأدركته خيل عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل كانت متجهة إلى الري لقتال الديلم، فغير ابن زياد وجهتها إلى كربلاء، فرفض عمر بن سعد فهدده ابن زياد بالعزل، فسار عمر للحسين مكرها[١١٩].

---

(١١٠) العقد الفريد ٣٨/٤، ٣٨٢.

(١١١) تاريخ الطبري ٢٩٧/٣.

(١١٢) طبقات ابن سعد ٣٧٦/٥، تاريخ الطبري ٢٩٩/٣، الأنساب ١٦٦/٣.

(١١٣) عن هذه التدابير انظر الصلابي – الدولة الأموية ٤٩٩- ٥٠٠.

(١١٤) تاريخ الطبري ٣٠٠/٣.

(١١٥) موضع في طريقه بلاد الحجاز العراق، وهو موضع ماء لبني أسد يقع بين موضع يسمى واقصة والقرعاء على بعد ثمانية أميال من الأحساء انظر محمود بن عمر الزمخشري – الفائق – دار المعرفة بيروت ط ٢ تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين – ٢٣٨/٢، معجم البلدان ٣٣١/٣.

(١١٦) هو الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن التميمي، المحن ١٥٧/١، سمط النجوم العوالي ١٨٥/٣.

(١١٧) تاريخ الطبري ٣٠١/٣.

(١١٨) الطف بالفتح والفاء المشددة هو في اللغة، أشرف من أرض العرب على ريف العراق وسمي طفا لأنه دان من الريف، وهي أرض من ناحية الكوفة في طريق البرية فيها عدة عيون – ماء جارية، وفيها موضوع كربلاء الذي قتل فيه الحسين بن علي انظر معجم ما استعجم ٨٩١/٣، معجم البلدان ٣٦/٤.

(١١٩) تاريخ الطبري ٣٠١/٣.

وأحاط بالحسين بمكان يسمى كربلاء بالطف، وبدأت مفاوضات بينهما وبين الحسين أنه أتى بناء على طلب أهل الكوفة وأطلعه على حقائب المبايعات من أهلها، فإن كانوا لا يريدونه فإنه يرجع من حيث أتى. واطلع عمر إبن زياد على ذلك العرض من الحسين، فكان رد إبن زياد لعمر أن يعرض على الحسين البيعة ليزيد أولاً ثم يرى رأيه فيه بعد ذلك[١٢٠]، العرض الذي رفضه الحسين، وعرض على عمر بن سعد عرضا آخر من ثلاثة مطالب يختارون له منها واحدة:

فإما أن يتركوه يرجع من حيث أتى، وإما أن يتركوه ليذهب للشام فيضع يده في يد إبن عمه يزيد وإما يسيّروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون واحدا منهم، مؤكدا الخيار الثاني[١٢١].

وأمام هذه المطالب تشير الروايات أن إبن زياد أوشك أن يوافق على إرساله إلى يزيد بالشام، لولا تدخل أحد وجوه الكوفة شمر بن ذي الجوشن الذي كان في مجلس إبن زياد حين وصول الرسالة، فاعترض على موافقة إبن زياد وأشار عليه أن يطلب من الحسين أن ينزل على حكمه وشروطه هو لا حكم وشروط الحسين، قد يكون هو صاحب الأمر المتحكم فيه[١٢٢].

وهذا الرفض من إبن زياد يعني أن يستأسر لهم الحسين فيأخذونه أسيرا، ومعلوم باتفاق المسلمين أن هذا لم يكن واجبا على الحسين أن يمكنهم من نفسه، وعند هذا الموقف فقط كان الحسين مجتهدا مصيبا له أجران، فبهذه المطالب لم يكن حينئذ مريدا لتفريق الجماعة، وهنا لم يكن طالبا للخلافة، ولم يقاتل هنا على طلب الخلافة، بل قاتل الحسين هنا عن نفسه لمن صال عليه وطلب أسره[١٢٣].

واستعد الحسين للقتال وأذن لمن معه بالانصراف، فهم في حل من طاعته إلا أنهم أصروا على مصاحبته والقتال معه حتى الشهادة، وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا وانضم إليهم قائد إبن زياد الحر بن يزيد التميمي لما رأى صلافة وتجبر إبن زياد ومن معه إزاء مطالب الحسين، ولن نستطرد في تفاصيل المعركة فالمصادر التاريخية ملأى بها، خاصة مصادر الشيعة وما بها من تفاصيل بعضها حق وأكثرها يغلفها الكذب والافتراء[١٢٤].

---

(١٢٠) أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) ت سنة٢٧٦هـ - (المنسوب إليه كتاب)- الإمامة والسياسة – المكتبة المصرية ط٢ ١٣٢٥هـ ٦/٢ تاريخ الطبري ٣٠١/٣.

(١٢١) الطبري/ نفسه، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري – أنساب الأشراف – دار المعارف بمصر ١٩٥٩م تحقيق/ محمد حميد الله ٢٢٤/٣.

(١٢٢) تاريخ الطبري/ نفسه، حركة عبد الله بن الزبير ٨٣، ٨٤، ٨٧.

(١٢٣) منهاج السنة/ ١٤٧/٨.

(١٢٤) البدء والتاريخ ١٠/٦ حيث يذكر تهاويل الشيعة في كربلاء، تاريخ الخلفاء ١٧٢، شذرات الذهب ٦٦/١.

وإجمالاً، في صباح يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة٦١هـ/ ٦٨٠م وفي كربلاء وقعت المعركة بين الحسين ورفاقه وأهل بيته الذين لم يتجاوزوا المائة وبين حسين عمر بن سعد ذي الأربعة آلاف(١٢٥) بدأت المعركة سريعة بالمبارزات، جوبه فيها جيش عمر باستبسال المقاومين مع الجيش فلم يعد لهم في الحياة أمل(١٢٦)، حتى قتل أكثرهم دفاعا عن الحسين، وجيش عمر يتدافعون يخشى كل منهم أن يبوء بقتل الحسين، متمنين أن يستسلم ويكفيهم معرة وإثم قتله(١٢٧) ولكن، أنى لهم ذلك أمام هذا الأسد الجسور الذي أبدى شجاعة نادرة، جعلت شمر بن ذي الجوشن قائد ميسرة جيش عمر بن سعد يخاف انفلات زمام الأمور، فصاح بالجند يأمرهم بقتله فحملوا عليه ببعض الطعنات الجارحة حتى أتى شمر نفسه وتولى الإجهاز عليه وحملت رأسه إلى ابن زياد، وقد قتل معه -رضي الله عنه- ابنه وسبعون شهيدا من أصحابه، في حين قتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا. وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد ألا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانه، وألا يتعرض لهم أحد بسوء، وأرسل عمر بن سعد رأس الحسين -رضي الله عنه- ونساءه ومن كان معه من الصبيان إلى ابن زياد(١٢٨).

ولما أتي ابن زياد برأس الحسين - رضي الله عنه- جعل ينكت بالقضيب ثناياه قائلا: لقد كنت أحسبه جميلا، فرد عليه أنس بن مالك الذي كان بمجلسه قائلا في نفسه: والله لأسوأنك، ثم رفع صوته قائلا: إني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يلثم(١٢٩) حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض(١٣٠). وكان عمر الحسين -رضي الله عنه- عند موته ثمانية وخمسين عاما وهو نفس السن الذي قُتِل فيه أبوه علي بن أبي طالب ونفس السن الذي قتل فيه علي بن الحسين، ونفس السن الذي قتل فيه محمد بن علي ابن الحسين رضي الله عنهم جميعا(١٣١). وكان ممن قتل بين يدي الحسين -رضي الله عنه- أبو بكر بن علي(١٣٢) وعثمان بن علي(١٣٣) إخوته وأبو بكر بن الحسن أخوه والعجيب أنك لا تجد لهم ذكرا في مؤلفات الشيعة أو أحاديثهم التي ألفت في مقتل الحسين، ذلك حتى لا يقال: إن عليا بن أبي طالب سمى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان أو أن الحسن سمى أبا بكر. وهذا أمر يدعو حقيقة للعجب والأسى!! أما ما قد قيل من أن

---

(١٢٥) مآثر الإنافة ١١٧/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٢، شذرات الذهب ٦٦/١، فيليب حتى – تاريخ العرب– دار العالم العربي القاهرة ط٣ سنة١٩٥٣م ترجمة/ محمد مبروك نافع ص ٣٢٨.

(١٢٦)تاريخ الطبري ٣٢٣/٣.

(١٢٧) المصدر السابق ٢٢٣/٣، ٣٣٤.

(١٢٨) طبقات ابن سعد ٢١٢/٥، تاريخ الطبري نفسه.

(١٢٩) يلثم: يقبل من الفم، لسان العرب ٥٣٣/١٢، مختار الصحاح ١٤٧/١.

(١٣٠) الآحاد والمثاني ٣٠٧/١.

(١٣١) الآحاد والمثاني ٣٥٠/١.

(١٣٢) أمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن ثابت، طبقات ابن سعد ١٩/٣.

(١٣٣) أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر، طبقات بن سعد ٢٠/٣.

رأس الحسين -رضي الله عنه- ذهبت مع أهله وولده إلى يزيد بالشام وأن يزيداً هو الذي نكت بالقضيب على ثناياه، فهذا لم يثبت من طريق صحيح، فإن الذين حضروا نكت ثنايا الحسين بالقضيب من الصحابة وعلى رأسهم أنس بن مالك كانوا يومئذ بالعراق ولم يكونوا بالشام(١٣٤).

وهذا لا يتماشى مع الحسرة والألم والندم والبكاء من يزيد وأهله لما علموا بمقتل الحسين، بل إن يزيداً هو الذي أكرم أهل الحسين، وجهزهم بأحسن الجهاز وأرسلهم إلى المدينة بعد أن أكرمهم وخيَّرهم بين المقام عنده أو الذهاب إلى المدينة فاختاروا الرجوع إلى المدينة وعند مغادرتهم دمشق كرر يزيد الاعتذار إلى علي بن الحسين وقال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه – أي الحسين – ما سألني خصلة أبدا إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني بكل حاجة تكون لك(١٣٥).

ويزيد هنا بحسب هذه الروايات نحسبه – والله حسيبه- صادقاً فقد أرسل لابن عباس لما علم بخروج الحسين عليه ينهاه، ثم إن يزيداً كان بينه وبين كربلاء مسيرة شهر(١٣٦)، فكيف يصدر الأوامر، ويمنع، ويربط، ويقطع، ويدير المعركة، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن المعركة وقعت في يوم واحد وكان يزيد حديث عهد بخلافة لم تستقر بها الأوضاع، وإذا أخذنا في الحسبان أيضا شخصية عبيد الله بن زياد التي كانت ظاهرة في العراق، ولكن هذا لا يمنع أن يكون يزيد من المسئولين الأوائل على مقتل الحسين -رضي الله عنه- وبهذا لا يوجد أصل ثابت لما قيل بأن الأمويين سبوا نساء الحسين وذراريه وطوفوا برأس الحسين البلاد، فهذا كله من الأكاذيب التي وجهها أهل الهوى والجهل(١٣٧).

---

(١٣٤) منهاج السنة ٥٥٧/٤.

(١٣٥) تاريخ الطبري ٣٣٤/٣.

(١٣٦) الدولة الأموية لمحمود شاكر ص٣٠.

(١٣٧) ابن تيمية – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – دار إشبيليا الرياض ١٤١٨هـ تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، ١٦٣/٢، أيضا لابن تيمية – مجموعة الفتاوى – المكتبة التوفيقية القاهرة- تحقيق خيري سعد وآخرين، ٣٢٤/٤، أيضا منهاج السنة ٥٥٨/٤، أيضا البداية والنهاية ٢٠١/٨ (اختلفت الروايات بالمصادر التاريخية في الموضع الذي دفنت فيه رأس الحسين -رضي الله عنه- والسبب يرجع للمشاهد المنتشرة في العالم الإسلامي لرأس الحسين كل يدلل بأن الرأس بها. ومن هذه المشاهد دمشق وكربلاء، والرقة على الفرات، وعسقلان، والقاهرة، والمدينة المنورة والمدينة هي ما يجمع عليه كثير من المؤرخين الثقة حيث أن يزيدا بن معاوية أمر واليه بالمدينة عمرا بن سعيد بعد أن أرسل الرأس إليه وأمره أن يكفنه ويدفنه بالبقيع، لأن عادة القوم آنذاك أنه إذا قتلوا الرجل ولم يكن منهم سلموا رأسه وبدنه إلى أهله كما فعل الحجاج بابن الزبير فيما بعد، وهذا لا يمنع أن بعض الباحثين يأخذ بوجود الرأس بعسقلان ثم بالقاهرة، كما ترى د/ سعاد ماهر في مؤلفها مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – فصل رأس الحسين وقبره ص٣٦١ وما بعدها. والباحث استنادا إلى بعض المصادر التاريخية يرجح أن جسد الحسين -رضي الله عنه- بكربلاء، أما رأسه فبالبقيع، حيث أن مشهد فاطمة -رضي الله عنها- بقبلة مشهد العباس بن عبد المطلب، وبحذاء ضريح

وخلاصة ما قيل في موقف يزيد من قضية مقتل الحسين -رضي الله عنه- أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين -رضي الله عنه- ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يمتنع الحسين عن مزاحمته في الخلافة والخروج عليه، وكان يختار أيضا أن يكرمه ويعظمه، تحقيقا لوصية معاوية أبيه بذلك، ولما بلغ خبر مقتله إلى يزيد وأهله ساءهم ذلك، بكوا على قتله وقال: لعن الله إبن مرجانة[١٣٨] أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله. وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين[١٣٩]. ورواية لعن الله إبن سمية أما والله لو أني صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفع عنه[١٤٠]. وفي رواية أخرى (أن يزيداً لما علم بمقتل الحسين -رضي الله عنه- تبرأ من ذلك، ودعا على إبن زياد وقال: لعن الله إبن مرجانة، وما كان لو احتملت الأذى وأنزلته في داري وحكمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وكف"[١٤١] ووهنٌ في سلطاني حفظا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورعاية لحقه – صلى الله عليه وسلم - وقرابته، ولكن، لعن الله إبن مرجانة، إنه أحرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله أو يأتيني به أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله فلم يفعل، بل آسى عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة فأبغضني البارّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلى حسينا، ما لي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه[١٤٢] قال عبد الرحمن بن أبي مذعور: حدثني بعض أهل العلم قال: إن آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية: اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ولم أرده، واحكم بيني وبين عبد الله بن زياد"[١٤٣].

إلا أن يزيداً مع هذا كله يتحمل نصيبا غير قليل من إثم مقتل الحسين -رضي الله عنه- فلم يعترض مثلا على إبن زياد عندما قتل مسلم بن عقيل بالكوفة، بل إنه استحسن

العباس يوجد مشهد الحسن -رضي الله عنه- لقول ابن عبد البر أنه دفن بجانبها وكان بوصية منه. وكذا رأس أخيه الحسين هناك، وقيل إن بدن أبيهما عليّ -رضي الله عنه- هناك، حمله ابنه الحسن ودفنه..)) انظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ص٤٢. وهذا ما أكده أيضا قبله إبن تيمية في فتاويه ٢٣٤/٤ أيضا الدولة الأموية للصلابي ٥٣٢/١.

(١٣٨) يذكر أن يزيدا بن معاوية كان كارها لولاية إبن زياد على الكوفة، وما فعل ذلك إلا مضطرا عندما خرج مسلم بن عقيل عليه بها، وموقف النعمان المسالم تجاه مسلم – عن ذلك انظر: أبو عبيد الله محمد بن عبدوس الجهشياري – الوزراء والكتاب - هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٤م – تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون ص٣١، الدولة الأموية بين التحريف والانصاف ص٤٠٥.

(١٣٩) منهاج السنة ٥٥٨/٤، إبن تيمية مؤرخا.

(١٤٠) محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي – التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان – دار الثقافة – الدوحة قطر. ط١ ١٤٠٥هـ/ تحقيق د/ محمود يوسف زايد، ٢٣٧/١.

(١٤١) الوكف في اللغة الميل والجور، وبالتحريك الأثم وقيل العيب والنقص، انظر النهاية في غريب الأثير ٢١٩/٥، لسان العرب ٩ ٣٩٣، مختار الصحاح ٣٠٥/١. ص٢٤٦.

(١٤٢) قيد الشريد أخبار يزيد ص٤٠.

(١٤٣) المصدر السابق ص٥٠.

فعله ورضي به وأثنى عليه[١٤٤]. فموقف يزيد هذا دفع ابن زياد للشر أكثر وهو ذات نفس تنزع إلى البطش والعسف، أضف إلى ذلك أنه بعد أن علم يزيد بمقتل الحسين بكى واسترجع ولعن ابن زياد، ولكن هذا الموقف النظري ثمنا غير كافٍ لدم الحسين -رضي الله عنه- إنه كان الأجدر بيزيد الخليفة هنا الذي لم يرض بما نزل بالحسين وأهل بيته أن يعاقب من اشتط في منع الحسين من دخول الكوفة بل تجاوز أدنى حدود التعامل الأمثل مع ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ولو كان الحسين خارجا على الحاكم خاصة بعد أن عاد وعرض العودة إلى حيث أتى أو يذهب ليزيد أو يذهب إلى ثغر للجهاد، بل كان الأفضل بيزيد أن يعزل على الأقل ابن زياد لجبروته وتعسفه وتعديه على من مثل الحسين بن علي -رضي الله عنه- ظلما وعدوانا بعد أن عرض الأخير شروطه التي لو نفذها ابن زياد لم تكلفه أدنى عبء وكان سني يزيد أن يجمع كل من تجرأ على الحسين بطعن أو ضرب أو قتل لاسيما شمر بن ذي الجوشن الذي يتحمل النصيب الأوفر قبل ابن زياد في مقتل الحسين[١٤٥]. وكان لزاما عليهم أن يلبوا مطالب الحسين خاصة ابن زياد الذي يعد المسئول الأول وصاحب الإثم الأكبر؛ لأنه مدبر الأمر الرافض لمطالب الحسين الذي قتل شهيدا مظلوما وقتله معصية لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك.

وهي مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهي في حقه شهادة له، ورفع درجة وعلو منزلة، فإنه وأخاه – رضي الله عنهما – سبقت لهما من الله السعادة التي لا تنال إلا بنوع من الابتلاء، فلم يكن لها من السوابق، لأهل بيتهما، فإنهما تربَّيا في حجر الإسلام، في عز وأمان، فمات هذا مسموما وهذا مقتولا، لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء[١٤٦].

ومهما يكن من أمر خروج الحسين – -رضي الله عنه– بأنه ليس له ما يبرره – على إطلاقه – من الناحية الشرعية والسياسية والعسكرية والاجتماعية – قبل عرضه لشروطه – فإن قيادته لجماعة من الناس لا يزيد عددها عن ثمانية بما فيها من أطفال ونساء تخرج إلى مكان تعمه الفوضى ليقوم زعيم المجموعة بثورة ضد حكم ثابت الأركان قوي البنيان ورثه صاحبه عن أبيه، ولا يتوقع زعيمها المقاومة و الصدام والقتل والأسر بل والإبادة، وإن كان الأمويون يتحملون وزر قتل الحسين، فالأولى أن يتحمل

(١٤٤) تاريخ الطبري/ ٣/٣١٢.

(١٤٥) الدولة الأموية للصلابي ٥١٣/١ (ويبدو أن سبب إبقاء يزيد على ابن زياد، يرجع إلى معرفته بطباع أهل العراق التي عرفت عنهم منذ أواخر عهد عمر بن الخطاب وعهد عثمان بن عفان وعهد علي بن أبي طالب وعهد معاوية – رضي الله عنهم جميعا – فهم إذا حكمهم والٍ قوي انكسروا واستكانوا، وإذا خلع هذا الوالي واستبدل بوالٍ لين يؤثر العافية تمردوا عليه، ومكروا به، وتبثت فيهم الفتنة، وسرت فيهم روح الثورة، والمؤامرة) انظر الدولة الأموية بين التحريف والانصاف ص٤٠٥.

(١٤٦) منهاج السنة ٤/٥٥٠، ابن تيمية مؤرخا ص٢١١.

الوزر الأكبر أولئك الذين دعوا الحسين للخروج وتخلوا عنه ساعة الشدة وسلموا رسوله مسلماً بن عقيل لعدوه وقت الضيق، بل انضم أكثرهم إلى الجيش الذي قاتل الحسين، فشاهدوا مصرعه، ولم ينصروه، ألا يُعد أولئك الشيعة من أهل الكوفة هم القتلة الحقيقيون، الذي سطروا الفاجعة فنسبوا وزرها وإثمها إلى بني أمية ونسوا ما اقترفت أيديهم منها، هم الذين تولوا كبرها فلم يسجلوا خيانتهم له ومشاركتهم في قتله وأنصاره وأهله[١٤٧]، أليسوا هم الذين زينوا للحسين الخروج، وفتنوه بالأعداد المهولة العدد والعدة، ومنوه بالنصرة و العزة، حتى أسلموه لسيوف ابن زياد فكانت فتنتهم للحسين أشد عند الله من صليل سيوف جيش بني أمية لقول الله تعالى { وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ }[١٤٨].

ثم إننا نجد الشيعة بعد مقتل الحسين يبالغون في نقل أخبار تلك الحادثة، وامتلأت كتب التاريخ بحوادث عجيبة قيل إنها وقعت إثر مقتل الحسين[١٤٩]. ويعلق ابن كثير على ذلك بأنه من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء[١٥٠]، ومعظمها مجهول المصدر الأمر الذي يدل على كذبها ولا يمكن الاعتماد عليها، ذلك إذا أخذنا بمنهج أهل الحديث في الجرح والتعديل وهو أفضل منهج للوصول إلى صحة الخبر[١٥١]. وإذا طبقنا هذا المنهج على هذه الحادثة في عجالة غير مخلة نجد أن الناس لهم في يزيد ثلاثة آراء وفي الحسين مثلها. أما التي في يزيد: ففرقة تلعنه، وأخرى تحبه، وثالثة تتوقف لا تسب ولا تلعن[١٥٢]. وتنظر له أنه كان ملكًا من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات ولم يكن كافرا بل مسلما وهذا هو قول أهل السنة و الجماعة الذين لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه، فإنهم لا يحبون لعنة المسلم المعين[١٥٣]. خاصة وأن يزيدا في وقته ملك المسلمين وخليفتهم في زمانه وصاحب السيف، كما كان خلفاؤه من بني أمية وبني العباس[١٥٤]. وكان أمير أول جيش غزا القسطنطينية وكان معه أبو أيوب الأنصاري وقد شهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمغفرة لهذا الجيش[١٥٥].

أما موقف الناس من الحسين -رضي الله عنه- فإنهم طرفان ووسط: فالطرف الأول يرى أن الحسين قُتِل بحق، لأنه أراد أن يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم،

(١٤٧) الدولة الأموية لمحمود شاكر ص١٣.

(١٤٨) سورة البقرة (١٩١).

(١٤٩)بلغ الغلو في ذلك من بعض فرق الشيعة أن ادعوا أن ولد الحسين هم أبناء الله وأحباؤه. انظر منهاج السنة ١/ ٥٢، ٥٠٦/٢، ٥٠٩، ٥٤٨/٤. البداية والنهاية ١٧٢/٨.

(١٥٠) البداية والنهاية ١٧٢/٨.

(١٥١)عن أصول وقواعد منهج النقد التاريخي انظر ابن تيمية مؤرخا ص٦٦/٩٥، الدولة الأموية لمحمود شاكر ص٤٦.

(١٥٢) مجموعة الفتاوى ٣٠٩/٤، ابن تيمية مؤرخا ص٢٤٧.

(١٥٣) مجموعة الفتاوى ٢٦١/٣، ٢٦٢، ابن تيمية مؤرخا ص٢٤٧.

(١٥٤) منهاج السنة ٥٢٢/٤، ابن تيمية مؤرخا ص٢١٦.

(١٥٥) الفتاوى: ٢٦٢/٣، البداية والنهاية ٥٨/٨، ٥٩.

فقتل بسيف جده القاتل – صلى الله عليه وسلم – "من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان"[156]. والطرف الآخر يرى أن الحسين -رضي الله عنه- هو إمام الأمة الحق في هذا الزمان ومن لم يعتقد ذلك فهو كافر، ولذلك تجب طاعته، فلا ينفذ أمر من أمور الإيمان إلا به، ولا تصلي جمعة ولا جماعة إلا خلفه، وخلف من يوليه، ولا يجاهد عدواً إلا بإذنه، والذين قاتلوه كانوا كفارا[157] أما الوسط وهم أهل السنة والجماعة فيبطلون رأي الطرف الأول بأن الحسين -رضي الله عنه- لا يتناوله هذا الحديث، بل إنه -رضي الله عنه- قتل مظلوما شهيدا، ويبطلون أيضا قول الطرف الآخر، الذي يكفر من قاتله وقولهم باطل من أكثر من وجه أظهرها أن أباه عليا -رضي الله عنه-لم يكفر أحدا ممن قاتله لا معاوية وأصحابه، ولا الخوارج فلا سبى ذرية أحد منهم، ولا غنم ما له، ولا حكم عليهم بحكم المرتدين، بل كان يترضى عليهم ويحكم فيهم بحكم المسلمين، والحسين عندما خرج لم يكن متوليا لأمر الأمة، بل يزيد بن معاوية كان هو المتولي لأمر الأمة[158].

وكان من أبرز نتائج مقتل الحسين بن علي -رضي الله عنه-أنه ولأول مرة في تاريخ الشيعة يبرز هؤلاء كحزب سياسي بعد كربلاء يواصل تمرده ضد الخلافة الأموية[159].

ومن ثمَّ، فما كان من استشهاد الحسين بن علي -رضي الله عنه- إلا ان غلت الشيعة في مقتله غلوًا مفرطا، فجعلوا يوم استشهاده في العاشر من المحرم من كل عام يوما تجعله فئة منهم مأتما وحزنا ونياحة ولطما على الصدور، وفئة أخرى تجعله يوم فرح وسرور وتوسعة على الأهل والأولاد، ومن ثم رتبوا على حسب زعمهم لأنفسهم في هذا اليوم من الأجر والثواب وتكفير الذنوب، ويصاحب احتفالاتهم البدعية هذه سب للصحابة من السابقين الأولين -رضوان الله عليهم- وسب للسلف الصالح، وتقرأ في ذلك قصصاً ومشاهد مصطنعة يشوب الكثير منها الكذب المتعمد الذي يهدفون من ورائه فتح باب الفتنة والفرقة بين هذه الأمة. وهذا ليس واجبا عليهم ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إن هذه البدع مما حرم الله ورسوله[160].

وكان من أبرز نتائج مقتل الحسين -رضي الله عنه- أن أظهرت حركة التوابين بالعراق بزعامة سليمان بن صرد أحد زعماء الشيعة بالكوفة، وقد ندموا على خذلانهم

(١٥٦) العواصم من القواصم/ ٢٢٩ وما بعدها، منهاج السنة ٥٥٣/٤، ١٤٦/٨.

(١٥٧) منهاج السنة النبوية ٥٥٣/٤، ١٤٦/٨.

(١٥٨) المصدر السابق/ ٤ ،٥٥٣، ١٤٦/٨: ١٤٨.

(١٥٩) المعارضة في الدولة الأموية ص١١٥.

(١٦٠) البدء والتاريخ ١٠/٦، منهاج السنة ٥٢/١، ٥٤٨/٤، البداية والنهاية ٢٠١/٨، الدولة الأموية للصلابي ٥٢٢/١.

للحسين فلم ينصروه حتى أسلموه لسيوف جيش ابن زياد، فخرجوا مطالبين بدمه يعلنون توبتهم عن إثمهم في ذلك(١٦١).

ومن النتائج أيضا ظهور بوادر ثورة بالحجاز، حيث عبد الله بن الزبير(١٦٢) بمكة يدعو لنفسه، ويؤلب الرأي العام على يزيد وبني أمية، مستغلاً قتل الحسين أكبر استغلال، وتستمر ثورته حتى يقضي عليها الحجاج في زمن عبد الملك بن مروان.

ونتج عن مقتل الحسين أيضا أن تمرد أهل المدينة على بني أمية فخلعوا بيعة يزيد من أعناقهم، وطرد مَنْ بالمدينة من بني أمية، مما اضطر يزيد إلى مواجهة كل هذه التمردات هنا وهناك(١٦٣). ولا يفوتنا أن نشير إلى حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي تشيع وجمع حوله الشيعة، ومن بقي من التوابين، وأعلن أن الوحي يأتيه واستطاع بجيوش من الشيعة والموالي أن يقتص من قتلة الحسين وعلى رأسهم إبن زياد نفسه، حتى يوقعه قدرُه هو الآخر تحت سيوف مصعب بن الزبير وتنتهي حركته ثم تجيء حركات العلويين من بعده، وتنتشر خلايا الدعوة إلى آل البيت وهي التي استثمرها العباسيون لمصلحتهم فيما بعد: وخلاصة القول أن حركة الحسين وإن فشلت عسكريا فإنها نجحت في إيقاظ الغافلين من عميق السبات، وأحيت في الخامدين روح الموات وتحول دمه إلى وقود يلهب بعد الثورات والتمردات التي أدت في النهاية إلى القضاء على الدولة الأموية(١٦٤).

تمرد التوابين بالكوفة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م

كان استشهاد الحسين - رضي الله عنه- وقوداً لتمرّدات التي لم تخمد حتى أدت في نهاية المطاف إلى تقويض دعائم الخلافة الأموية، وأحيت روح الموات في الشيعة الذين قعدوا واستكانوا عن نصرته، حيث شعروا بالإثم والوزر، فتلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين، وقالوا: لا كفارة لذلك إلا قتل قاتليه أو الموت دون ذلك كما قال الله لبني

---

(١٦١) عن هذه الحركة انظر تمرد سليمان بن صرد هذا البحث.

(١٦٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب، أبو بكر. ويقال أبو خبيب القرشي الأسدي، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ولدته سنة ٢ للهجرة، صحابي جليل روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم شهد الجمل مع أبيه وهو صغير، بويع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية في الحجاز واليمن ومصر والعراقين وخراسان وكثير من بلاد الشام إلا دمشق سنة ٦٤هـ وظل كذلك حتى حاصره الحجاج بالمنجنيق على جبل أبي قبيس فرماه فقتله سنة٧٣هـ وكان عبد الله صواما قواما بطلا شجاعا فصيحا مفوها - رضي الله عنه- طبقات خليفة ٢٢٢/١، تاريخ اليعقوبي ٢٥٥/٢، البدء والتاريخ ١٣/٦، العبر للذهبي ٨١/١ - ٨٢، البداية والنهاية ١٠ ١٨٥، تاريخ الخلفاء ٢١١/١.

(١٦٣) أبو بكر أحمد بن خيثمة زهير بن حرب ت ٢٧٩هـ- التاريخ الكبير (تاريخ ابن خيثمة) - دار الفاروق القاهرة سنة ٢٠٠٣م تحقيق: صلاح بن فتحي هلل ٦٣/٢.

(١٦٤) البحث.

إسرائيل{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }(١٦٥). ولذلك تسموا بالتوابين ورفعوا شعار يا لثارات الحسين أي الثأر له أو الموت دونه(١٦٦)، واجتمعوا على خمسة نفر يرأسهم سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم – ورواية، وكان صاحب علي بن أبي طالب(١٦٧). واشترك معه في الجمل وصفين والنهروان، ثم بقي بالكوفة وابتنى بها دارا في خزاعة(١٦٨). وكان معه المسيب بن نجية الفزاري(١٦٩) صاحب علي إبن أبي طالب – رضي الله عنه— وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي من تيم بكر ورفاعة بن شداد البجيلي(١٧٠) وكلهم كانوا من خيار أصحاب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه— فاجتمعوا في منزل سليمان وتفاوضوا في تلك الندامة، واعترفوا بذنبهم، واتفقوا فيما بينهم على البيعة لسليمان بن صُرد وطاعته(١٧١).

كان ذلك الأمر عقب مقتل الحسين أواخر سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م واستمروا في تلك التعبئة والدعوة بين الناس حتى سنة٦٥هـ/ ٦٨٤م فكان يجيئهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر، وساعدهم على تهيئة مناخ الدعوة لهم عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة عبد الله بن يزيد(١٧٢). الذي سمح لهم بالظهور والدعوة علنا دون أية عوائق أو عقبات، من ذلك جمع الأموال اللازمة وشراء السلاح اللازم وغير ذلك من سبل الإعداد لمعركة فاصلة، مما شجع سليمان بن صرد على أن يخرج بدعوته في ظل المناخ الهادئ بالكوفة إلى خارجها حيث الشيعة بزعامة سعد بن حذيفة بالمدائن، والمثنى بن مخربة العبدي بالبصرة، فأجابوه بالنهوض معه(١٧٣) وكان أجل الشيعة الذي ضربوه لمن كتبوا إليه حتى

---

(١٦٥) سورة البقرة الآية ٥٤.

(١٦٦) تاريخ الطبري ٤٠٨/٣، الكامل في التاريخ ٤/٤، سمط النجوم العوالي ٢٢١/٠، ٢٢٤، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص١٨٦، تاريخ العرب سيد أمير علي ص٧٩.

(١٦٧) كان يكنى أبا المطرف وكان من أصحاب حجر بن عدي في الكوفة، وهو من أوائل من راسلوا الحسين للقدوم إلى الكوفة وكان من أسن الشيعة بالكوفة وشيخها انظر تاريخ الطبري ١٧٧/٣، ٢٢٧/٣، ٢٧٧/٣.

(١٦٨) المحن ٢١٩/١، شذرات الذهب ٧٣/١.

(١٦٩) هو المسيب بن نجية بن رباح بن عوف بن هلال من فزارة شهد القادسية، وشهد المشاهد مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه – الطبقات الكبرى ٢١٦/٦.

(١٧٠) هو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس بن جعال بن بدا الفتياني، وفتيان بطن من بجيلة من اليمن، وكنية أبي عاصم، وانظر مشاهير علماء الأمصار ٧/١، معجم البلدان ١٨٠/٤.

(١٧١) سمط النجوم العوالي ٢٢٢/٣، ٣٥٧، المعارضة في العصر الأموي ص١١٧.

التاريخ الإسلامي – علي إبراهيم ص٢٩٢. تاريخ الإسلام في العصر العباسي للرفاعي ص٢٢.

(١٧٢) هو عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – وروى عنه البعض عن أنصاره، المنتظم ٣١/٦، الكامل في التاريخ ٤٧٦/٣، البداية والنهاية ٢٥١/٨، سير أعلام النبلاء ٣ ٥٤٠.

(١٧٣) أنساب الأشراف ٢٠٦/٥، تاريخ الطبري ٣ ٤١٠، المعارضة في العصر الأموي ص١١٨.

حتى يخرجوا إليهم ويتوافدوا عليه أواخر شهر ربيع الآخر من سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م بمكان يدعى النخيلة(١٧٤).

وبينما هم في دعوتهم للمطالبة بدم الحسين وتعبئة الناس إلى أن وصل عدد المبايعين لسليمان بن صرد ستة عشر ألفا من الشيعة، إذ وفد إلى الكوفة المختار إبن عبيد الثقفي(١٧٥) قادما من مكة بعد موت يزيد بن معاوية، وكان هدف المختار أن يتزعم الشيعة بالكوفة(١٧٦).

ولكنه قد وجد سليمان بن صرد سبقه في تجنيد الشيعة، فلم يجد المختار بدا من أن يخذل ويثبط همة الشيعة الذين نذروا أنفسهم للخروج مع سليمان لقتال قتلة الحسين - - رضي الله عنه- وكانت وسيلته في ذلك هو الحط من شأن سليمان ورميه بقلة الخبرة بالحروب والسياسة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى زعم أنه رسول محمد بن الحنفية(١٧٧) ووزيره إلى الشيعة بالعراق وبهاتين الوسيلتين استطاع المختار أن يفض طائفة كبيرة من حول سليمان بن صرد وصلت إلى ثلاثة أرباع العدد المبايع له حتى لم يتبقى معه سوى أربعة آلاف من جملة ستة عشر ألفا(١٧٨).

وبهذا كان المختار شوكة عثرة في حلق سليمان الذي اهتم بالتعبئة الجماهيرية لتحقيق أهدافه فقد اعتمد على العاطفة أكثر من العقل وأهمل الشق التربوي في دعوته من حيث إعداد الأفراد وتأهيلهم حتى يكونوا أصحاب دعوة يعرفون أهدافها ومبادئها ويضعون لها الوسائل المناسبة لتحقيقها، إلى جانب تحصين هؤلاء الأفراد – مهما كثر جمعهم - ضد الدعوات المضادة لفكرته، أو التي تحاول أن تحتويها بالاشتراك معها في بعض الأهداف العامة حتى تختزلها في طياتها كما حاول تمختار مع شيعة سليمان.

وهذا الشق التربوي لأصحاب الدعوات هو الحصن المنيع والخط الدفاعي الذي تتحطم عليه أي دعوات مضادة أو شبهات مثارة أو شهوات زعامة أو غير ذلك، وكان ثاني منعطف في حركة سليمان بن صرد وهو عبد الله بن يزيد والي عبد الله بن الزبير على الكوفة، والذي سمح له بالدعوة لحركته علنًا وهيأ له مناخًا سلميًا يتيح له الإعداد والتعبئة والتسلح دون أية عراقيل أو عقبات أو ضغوط أو تضييقات في وجه الحركة

---

(١٧٤) النخيلة موضع قرب الكوفة على امتداد الشام، كان يخرج إليه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إذا أراد أن يخطب في الناس – انظر معجم ما استعجم ١٣٠٥/٤/ معجم البلدان ٢٧٨/٥.

(١٧٥) هو المختار بن عبيد بن مسعود الثقفي وكنيته أبو إسحاق، ولم يكن المختار لسوء سيرته على عكس أبيه الذي كان من جلة الصحابة – رضي الله عنهم – وقد ولد المختار في السنة الأولى من الهجرة ولم يكن له صحبة ولا رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم، وعموما أخباره رديئة وغير مرضية، فقد كان في أول أمره خارجيا ثم صار زيديا ثم صار رافضيا، سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٣، الإصابة ٣٤٩/٦.

(١٧٦) ارجع إلى تمرد المختار الثقفي في هذا البحث ص ١٢٥.

(١٧٧) انظر ترجمة محمد بن الحنفية في تمرد المختار الثقفي من هذا البحث.

(١٧٨) أنساب الأشراف ٢٠٧/٥ تاريخ الطبري ٤٠٥/٣، ٤٠٦، الكامل في التاريخ ٤/٤ حركة إبن الزبير ص١٧٩، التاريخ الإسلامي لحسن إبراهيم حسن ص٢٩٣، ٣٢٧.

والتي من شأنها أن تحد من انتشار الحركة، وتبطئ من نموها وتضطرها إلى العمل السري، الذي طالما لم يكن في صالح الذين وضعوا العقبات والعراقيل، وهذا ما لم يتبعه والي الكوفة مع التوابين بل العكس من ذلك نجد عبد الله بن يزيد يعرض على سليمان ابن صرد عرضا كان ينبغي له أن يُسر به ويقتنصه ويحمده عليه، وذلك حين عرض عبد الله على سليمان (أن أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ معًا، فإذا علمنا أن عدونا – أي جيش عبيد الله بن زياد من قبل مروان بن الحكم المتوجه إليهم – قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم..) (١٧٩). فرفض سليمان العرض!! (١٨٠). وهنا صدّق سليمان نقد المختار له أنه (رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال) (١٨١).

ولعل السبب في رفض سليمان أن أهدافه كانت أهدافاً غير طموحة تنحصر في الانتقام فقط من أشخاص فلا هو يريد نصرا، ولا دولة ولا خلافة، وذلك هدف محدود وقاصر(١٨٢)، ولو كان سليمان بن صرد سياسيا محنكا كالمختار لاستثمر عرض عبد الله بن يزيد في أن يتعاون معه بكل قوته الحربية والاقتصادية والبشرية في مواجهة عدو مشترك وليتيسر لهم معا أن يقضوا على قوة ابن زياد ومن ورائها قوة مروان بن الحكم، وعبد الملك ابنه من بعده، ولكن يبدو أن السبب من وراء ذلك أيضا أن التوابين لم يكونوا راضين أيضا عن حكم ابن الزبير للعراق، ويتضح ذلك من عرضهم لأهداف حركتهم القريبة التي قلصوها في (...أن يدفع أهل الشام إليهم عبيد الله بن زياد حتى يقتلوه ببعض من قتل من آل الرسول، وأن يخلعوا عبد الملك، وأن يخرج بيلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة و الكرامة، فأبى القوم(١٨٣).

كان موعد خروج التوابين بالكوفة وخارجها هو ختام شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م بالنخيلة، ولكن لسبب ما تعجل سليمان الخروج في بداية شهر ربيع الآخر من نفس السنة وهذا كان من جملة الأخطاء الخطيرة لسليمان، والتي حرمته أعداد غفيرة، ربما لم يصلها الموعد الجديد لاسيما بخارج الكوفة مثل أهل المدائن وأهل البصرة وربما خرجت معه أعداد لم تستكمل عدتها وتسلحها، وغير ذلك من جملة النتائج التي ترتبت على التعجل(١٨٤).

إجمالا، خرج سليمان ومن شايعه إلى النخيلة، وبدأ يعرض على أصحابه ملامح خطته التي تتلخص فقط في الانتقام من عبيد الله بن زياد بالذهاب إليه في الشام، لأنه هو

---

(١٧٩) تاريخ الطبري ٤١٠/٣، الكامل في التاريخ ٥/٤، الدولة الأموية لمحمود شاكر ص١٧٠.

(١٨٠) لقد قرأ عبد الله بن يزيد نهاية التوابين مبكرًا عندما عرض عليهم التعاون والتناصر ورفضوا، لذلك قال: (لقد استمات القوم – أي قتلوا أنفسهم – أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم) انظر الكامل في التاريخ ٥/٤.

(١٨١) أنساب الأشراف ٢٠٧/٥ تاريخ الطبري ٤١٠/٣.

(١٨٢) المعارضة في العصر الأموي ص١٢١، الدولة الأموية للصلابي ٦٢٠، ٦٢٢.

(١٨٣) أنساب الأشراف ٢١٠/٥ تاريخ الطبري ٤١٦/٣.

(١٨٤) الكامل في التاريخ ٤/٤، المعارضة في العصر الأموي ص١١٨، الدولة الأموية للصلابي ٦٢٥.

الذي أرسل الجيوش لقتل الحسين، ولكن عبد الله بن سعد بن نفيل أشار عليه، بأنه كيف نذهب للشام أولاً (وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل فأنى تذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار)(١٨٥). فما كان من سليمان إلا أن أعرض عن هذا الرأي بحجة (إن الذي قتل الحسين وعبأ الجنود إليه، وقال لا أمان للحسين عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي، هذا الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا إليه.. (١٨٦). والله لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه، أو رجلا لم يكن يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا) (١٨٧). ونلاحظ هنا أن سليمان بن صرد وهو صاحب علي بن أبي طالب - - رضي الله عنه - قد اقتدى به في عذره - رضي الله عنه - في عدم التعجل بالاقتصاص من قتلة عثمان - رضي الله عنه - الذين هم في جيشه خشية أن يثور لقتلهم أقوامهم وعشائرهم في وقت تتعرض الدولة آنذاك لتلاطم أمواج الفتن بها.

غادر التوابون النخيلة متوجهين إلى قبر الحسين - رضي الله عنه - بكربلاء، فاحتشدوا حوله وصرخوا صرخة واحدة وهم يتباكون وسليمان يدعو بأعلى صوته: (اللهم ارحم حسيناً الشهيد، المهدي ابن المهدي الصديق ابن الصديق)(١٨٨). ونادوا يا لثارات الحسين، وأظهروا التوبة والندم، وازدحموا على القبر أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود يوما وليلة(١٨٩).

أشعلت هذه الزيارة لقبر الحسين عواطف التوابين، وألهبت حماسهم، فتركوا القبر وبدأوا في السير إلى مرحلة جديدة في طريقهم إلى ابن زياد حيث اتجهوا إلى قرقيسياء(١٩٠). والتي كان قد فر إليها زفر بن الحارث(١٩١)، قد خرج على الأمويين(١٩٢) واستقل بها، فرحب زفر بالتوابين وعرض عليهم عرض عبد الله بن يزيد والي الكوفة وهو يقول لهم: "إن عبيد الله بن زياد أقبل يريدني، فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحدا"(١٩٣).

---

(١٨٥) تاريخ الطبري ٤٠٩/٣، الكامل في التاريخ ٣/٤.

(١٨٦) تاريخ الطبري نفسه، الكامل نفسه، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص١١٥، ١١٦.

(١٨٧) تاريخ الطبري نفسه، الدولة الأموية للصلابي ٦٢١.

(١٨٨) أنساب الأشراف ٢٠٩/٥ تاريخ الطبري ٤١١/٣، الكامل في التاريخ ٤/٤.

(١٨٩) تاريخ الطبري نفسه، الكامل في التاريخ ٥/٤، الشيخ محمد الخضري - الدولة الأموية - المكتبة التوفيقية ٤٥٣/١.

(١٩٠) قرقيسياء بلدة تقع على نهر الخابور، وعندها مصب نهر الخابور في الفرات فهي مثلث بين نهر الخابور ونهر الفرات، وهي كورة من كور ديار ربيعة وكلها تقع بين الحيرة والشام. معجم ما استعجم ١٠٦٦/٣، معجم البلدان ٣٢٨/٤.

(١٩١) هو زفير بن الحارث بن عمر بن معاوية بن يزيد بن نفيل الكلابي، ولد بالأهواز في الجزيرة بالعراق، أمير من التابعين من أهل الجزيرة شهد صفين مع معاوية، وكان أميرا على قنسرين ثم شهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ضد مروان بن الحكم، فلما قتل الضحاك هرب زفر إلى قرقيسياء، معجم البلدان ٢٥/٥، الإصابة ١٥٨/٢.

(١٩٢) انظر أحداث تمرد زفر بن الحارث في هذا البحث.

(١٩٣) أنساب الأشراف ٢٠٩/٥، ٢١٠، الكامل في التاريخ ٦/٤.

وكان يجب على سليمان أن يعقد تحالفا عسكريا مع زفر وأن يقطعوا الطريق على ابن زياد الذي أرسله مروان بن الحكم قبل وفاته في جيشه إلى الجزيرة لمحاربة زفر ابن الحارث واستعمله على كل ما يفتحه، فإذا ما فرغ من الجزيرة توجه إلى العراق ليخلصه من قبضة ابن الزبير(١٩٤). فلما كان ابن زياد بالجزيرة بلغه موت مروان، ثم أتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق. ولكن سليمان بن صرد يضيع فرصة بعد أخرى أمام هدفه المحدود الذي لم يبلغ منه أدناه، حيث رفض سليمان عرض زفر بن الحارث في حين قبل منه التزود بالمؤن والميرة لجيشه، وأوقف زفر ابنه الهذيل للتوابين يقدم إليهم كل ما يحتاجونه فيزودهم به ويرصد لهم الطريق حتى علم من عيونه أن ابن زياد على مشارف الرقة(١٩٥). فأخبرهم بذلك ونصحهم بأن يذهبوا إلى مدينة عين الوردة بالجزيرة(١٩٦)، فيجعلوها في ظهورهم حتى يكون لهم الماء والمؤن ويكون ما بينهم وبينه في قرقيسياء آمنا فلا يأتيهم منه أحد(١٩٧).

وكانت المعركة الفاصلة في عين الوردة، حيث التقى التوابون في أربعة آلاف وقيل: ستة آلاف(١٩٨) ومع الجيش الأموي بقيادة ابن زياد الذي وجه إليهم الحصين ابن نمير الكوفي(١٩٩) في اثني عشر ألفا، فخرج إليهم سليمان في جيشه فاقتتلوا في اليوم الأول أشد قتال، وكانت الغلبة للتوابين ثم احتجزوا، ثم تقاتلوا من الغد، وقد أمد ابن زياد الحصين بمدد من ثمانية آلاف جندي عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع(٢٠٠)، ومع ذلك اقتتل الفريقان قتالا عنيفا حتى فشت الجراح في الفريقين ولم ترجح كفة أي منهما يومها فتحاجزوا، ثم كانت المعركة الحاسمة في اليوم الثالث والأخير، حيث قتل سليمان بن صرد بسهم رماه به الحصين، وقتل المسيب به نجية(٢٠١)، وعبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال، ولم تبق من القادة الخمسة للتوابين سوى رفاعة البجيلي(٢٠٢) الذي

---

(١٩٤) مرآة الجنان ٤١/١.

(١٩٥) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات في بلاد الجزيرة تغمرها المياه في الفيضانات ثم تنحسر عنها فيتراكم عليها الطمي فتكون مكرمة للنبات ولذلك سميت بهذا الاسم، انظر/ معجم ما استعجم ٦٦٦/٢، معجم البلدان ٥٨/٣.

(١٩٦) هي مدينة مشهورة بالجزيرة في العراق، فتحت في عهد عمر سنة١٨هـ على يد عمير بن سعد، انظر تاريخ الطبري ٥١٠/٢، معجم البلدان ١٨٠/٤.

(١٩٧) أنساب الأشراف ٢٠٧/٥.

(١٩٨) شذرات الذهب ٧٣/١.

(١٩٩) هو الحصين بن نمير بن فاتك أبو عبد الرحمن الكندي السكوني، من أهل حمص، روى عن بلال وخرج مع معاوية إلى صفين، وكان في الجيش الذي أرسله يزيد إلى أهل المدينة وتولى إمرته بعد موت مسلم ابن عقبة، وهو الذي حاصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وهو الذي قتل سليمان بن صرد المسيب بن نجية في عين الوردة، انظر الطبقات الكبرى ٢٩٢/٤، ٢١٦/٦، الوافي بالوفيات ٥٦/١٣، ٥٧، الإصابة ٩١/٢.

(٢٠٠) المحن ٢١٩/١، البداية والنهاية ٢٤٣/٨، مرآة الجنان ١٤١/١ ــ ١٤٢.

(٢٠١) مرآة الجنان ٤١/١.

(٢٠٢) أنساب الأشراف ٢١٠/٥، المحن ٢١٩/١ تاريخ الطبري ٤١٧/٣، الكامل في التاريخ ٨/٤، شذرات الذهب ٧٣/١، الدولة العباسية عصام عبد الرؤوف ص٥ الدولة الأموية للصلابي ص٦٢٢.

رجع بمن تبقى من التوابين[٢٠٣]، وقد مر في أثناء عودته بزفر بن الحارث بقرقيسياء فلم يعاتبهم في مخالفتهم له بعدم قبول نصيحته بل على العكس أمدهم بالطعام لهم والعلف لدوابهم وزاد لهم الأطباء المعالجين وأمدهم بما يلزمهم من دواء وقال لهم "أقيموا عندنا إن أحببتم، فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا عنده ثلاثا ثم زودهم وعادوا" [٢٠٤].

هكذا كانت نهاية سليمان بن صرد ورفاقه شبيهة إلى حد كبير بنهاية الحسين - رضي الله عنه- وأهل بيته، إلا أن الحسين عندما تيقن من حقيقة موقفه الذي نصحه به النصحاء والتقى بطلائع جيش إبن زياد بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص، عرض عروضا مرنة وسهلة التنفيذ ولولا جمود عبد الله بن زياد وعناده وتجبره لخرج الحسين سالما من الموقف المتأزم الذي فرضه عليه إبن زياد، لكننا نجد إبن صرد تلوح له في الأفق الفرصة تلو الأخرى للتعاون والتكاتف والتناصر على صد وقتال عبيد الله بن زياد مرة بعد أخرى ولكنه لا يأبه لها مع عجلة في الخروج وتسرع، إضافة إلى خذلان المختار له بفض الأنصار من حوله، بالرغم من اشتراكهما في الأهداف الرئيسة وهي القضاء على حكم بني أمية، إلا أننا نجد أن هذه العوامل مجتمعة كانت القاضية على حركة التوابين الجماهيرية ذات العاطفة المشتعلة والحماس الملتهب الذي لو أحسن استثماره واختلط بنظرات العقل لأفرز جبهة صد قوية ضد أعداء التوابين ولتحققت أهدافهم القريبة بل والبعيدة إن أرادوا أن يكون لهم أهداف بعيدة حينئذ.

وفي النهاية رجع التوابون منهزمين إلى الكوفة، فكانوا صيدا ثمينا وسهلا للمختار الذي فتح صدره ومد ذراعيه إليهم فاحتوى فلولهم العائدة، بل إنه استفاد ممن قتل منهم بأن هيّج عواطف ذويهم وأشعلها وحثهم على الأخذ بثأرهم تحت إمرته فخرج معه هؤلاء وهؤلاء، وتسلم المختار زمام من بقي حيا من التوابين من جند وأسلحة ومؤن بمجهود يسير، وهكذا استفاد المختار من جهد بذله سليمان بن صرد طوال أربع سنوات من سنة ٦١هـ حتى سنة ٦٥هـ/ ٦٨٠ – ٦٨٤م في تجميع وتجنيد وتعبئة الشيعة وهذا من حسن تخطيط وتفكير الداهية المختار بن عبيد الثقفي.

تمرد/ المختار بن أبي عبيد الثقفي[٢٠٥] في الكوفة سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م

هو المختار بن أبي عبيد الثقفي (الكذاب)، أسلم والده في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم – واستعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة

(٢٠٣) فر رفاعة بمن نجا معه المعركة ولسوء حظهم لحقهم إبن زياد في أهل الشام فقتل رفاعه وجماعة كبيرة معه، انظر مشاهير علماء الأنصار ١٠٧/١.

(٢٠٤) أنساب الأشراف ٢١١/٥، الكامل في التاريخ ٨/٤.

(٢٠٥) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يكون في ثقيف كذاب ومبير) فكان الكذاب هو المختار لأنه ادعى الوحي وكان المبير الحجاج بن يوسف الثقفي، صحيح مسلم رقم ٢٥٤٥، المحن ٢١٢/١، سير أعلام النبلاء ٥٣٩,٣، فوات الوفيات ٥٠٢/٢.

جسر أبي عبيد التي استشهد فيها[٢٠٦]. ولد المختار وزياد بن أبيه في العام الأول للهجرة[٢٠٧] ونشأ المختار، فكان من كبراء ثقيف، من ذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء فيهم وقلة الدين[٢٠٨]. ويشير كثير من المراجع التاريخية إلى أن أول ظهور للمختار على مسرح الأحداث كان في عهد يزيد بن معاوية عند مجيء مسلم بن عقيل للكوفة رسولا من قبل الحسين بن علي -رضي الله عنه- ونزل بدار المختار[٢٠٩].

إلا أن بعض المصادر التاريخية تثبت له دورا قبل ذلك في خلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن عليًا قد ولاه المدائن في غياب عمه سعد بن مسعود الذي خرج عنها ليتصدى لحرب الخوارج، فعمد المختار إلى أن يجمع أموالاً من دور البغاء كانت بها، ولما أرسلها في صرة إلى علي نهره وقبحه ولعنه، فما كان من المختار أن أخذ المال ولحق بمعسكر معاوية[٢١٠] وفي خلافة الحسن بن علي، وحين طعن -رضي الله عنه- عاد للمدائن كان المختار عند عمه سعد بن مسعود قال له: "يا عم: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: ماذا؟ قال: تأخذ الحسن فتقيده وتبعثه إلى معاوية. فقال له عمه: قبَّحك الله، وقبَّح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم"[٢١١]. والمختار هو أول من لبس الدراريع السوداء[٢١٢] وأول من تسمى بأمين آل محمد ورسوله[٢١٣].

---

(٢٠٦) هو جسر يقع على نهر دجلة على بعد مرحلتين من الكوفة بالعراق، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قد بعث والد المختار أبي عبيد الثقفي على رأس جيش كثيف لقتال الفرس سنة ١٣هـ وقيل سنة ١٤هـ فقتل من جيش المسلمين عدد كثير كان من بينهم أبو عبيد الثقفي وعرف الجسر باسمه بعدها بين الناس، طبقات ابن سعد ٤٨٧/٣، فتوح البلدان ٢٥١/١، المنتظم ١٨٥/٤، العبر للذهبي ١٧/١، سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٣، الوافي بالوفيات ١٤/١٥، البداية والنهاية ٦٩/٨، تاريخ ابن خلدون ٣٧٠/٢.

(٢٠٧) تاريخ الطبري ١١/٢، الكامل في التاريخ ١٠/٢، البداية والنهاية ٢٣٥/٣.

(٢٠٨) سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣، حسن محمد سليمان -ثقيف من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، رسالة ماجستير- جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢م ص ٢٣٨: ٢٤٣.

(٢٠٩) فلهوزن- أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام [الخوارج والشيعة] ترجمة د/عبد الرحمن بدوي- طبعة القاهرة سنة١٩٥٨م ص١٩٧، حركة عبد الله بن الزبير ص١٧٧، المعارضة في العصر الأموية ٣٢٤، الدولة الأموية للصلابي ٦٢٢/١.

(٢١٠) مقتل الشهيد عثمان ١٨٩/١، الإصابة ٣٤٩/٦، تاريخ ابن خلدون ٦٣٨/٢. علما بأنه يوجد مصادر متقدمة عن هذه أشارت إلى تولية المختار المدائن مثل الطبري ١١٦/٣، ١٦٥، الأنساب ٣٤/١، الكامل لالكامل في التاريخ ٢١٤/٣ وإنما بدأنا بالمالقي الأندلسي لأنه هو الذي أشار بأن عليا هو الذي ولاه المدائن لا عمه.

(٢١١) ياقوت الحموي -معجم الأدباء- دار الكتب العلمية بيروت ط ١ سنة ١٤١١هـ ١٤٧/١، البداية والنهاية ٤١/٨، ٢٤٩.

(٢١٢) يقول ابن الجوزي "إن أول من لبس الدراريع السوداء المختار بن عبيد وأول من عمل الصابون سليمان عليه السلام..." تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٨/١، وفي اللغة الدراريع هي مفرد دراعة وهي الجبة، النهاية في غريب الأثر ١١٤/٢، مختار الصحاح ٨٥/١.

(٢١٣) طبقات ابن سعد ٩٩/٥ أبو النصر محمد الخالدي -قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي- رسالة دكتوراه- جامعة القاهرة سنة١٩٤٩م ص ١٦٩.

كان أول ظهور للمختار في الكوفة عندما نزل بداره مسلم بن عقيل رسولا من لدن الحسن بن علي -رضي الله عنه- واشترك معه في الثورة التي قادها ضد إبن زياد، ولما قتل مسلم قبض إبن زياد على المختار وحبسه(٢١٤). وقيل إن جيش المختار جاء متأخرا بقليل عن ذلك عندما خرج الحسين يريد الكوفة خرج المختار لملاقاته فقبض عليه رجال إبن زياد وأرسلوه للكوفة فضربه إبن زياد بقضيب حتى شتر عينه وحبسه(٢١٥).

ثم أرسل المختار بعد ذلك إلى عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-وكان زوجا لأخته صفية بنت أبي عبيد تزوجها سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م أن يشفع له عند إبن زياد، فأرسل إبن عمر إلى يزيد يشفع له، فأرسل يزيد إلى إبن زياد فأفرج عنه(٢١٦). وأجله ثلاثة أيام حتى يغادر الكوفة ففعل ذلك(٢١٧). اتجه المختار إلى الحجاز حيث عبد الله بن الزبير(٢١٨) الذي كان يدعو لنفسه بمكة فالتقى معه وعرض عليه أن يبايعه بشرط أن إذا ظهر أمرا من الأمير أن يستعين به على أفضل الأمصار، فرفض إبن الزبير إلا أن تكون البيعة على كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –(٢١٩). فتركه المختار وذهب إلى الطائف، وبعد عام عاد إلى إبن الزبير وعرض عليه البيعة على نفس الشروط فقبلها إبن الزبير وبايعه المختار، واشترك معه في حربه ضد جيش الأمويين بقيادة الحصين بن نمير(٢٢٠)، ولما مات يزيد بن معاوية وعاد الحصين بجيشه إلى الشام – عرض المختار على إبن الزبير أن يوليه العراق حسب وعده ولكنه لم يف له فأقام المختار عنده خمسة أشهر كان خلالها يسأل من يأتي من العراق لمكة عن حال أهلها حتى أتاه رجل من أهل العراق يدعى هانئ بن أبي دحية الوادعي فأخبره أن أمر الكوفة في حاجة إلى زعيم يجمعهم على رأيهم فيأكل بهم الأرض يومًا ما، فقال له: المختار أنا والله لهم(٢٢١). وعلى

(٢١٤) تاريخ الطبري ٢٧٩/٣، ٤٠٠، الكامل في التاريخ ٣٨٦/٣، البداية والنهاية ١٥٢/٨.

(٢١٥) تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/٢، الكامل في التاريخ ٤٩٣/٣.

(٢١٦) المعارف ٤٠١/١، الكامل في التاريخ ٤٩٣/٣.

(٢١٧) أنساب الأشراف ٢١٥/٥، السيد عبد العزيز سالم – التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية – دار النهضة العربية بيروت ص ٣٩٢.

(٢١٨) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن قصي بن كلاب أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق حملت به بمكة ووضعته في أول قدومها للمدينة مهاجرة فكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة وأول من دخل بطنه ريق النبي – صلى الله عليه وسلم –، كان له دور في معركة الجمل، ورفض أن يبايع يزيد بن معاوية ودعا لنفسه في عهده بمكة خاصة بعد استشهاد الحسين وموت يزيد ومات في حصار الحجاج له سنة٧٣هـ وكان يكنى أبا بكر. طبقات خليفة بن خياط ٢٣٢/١، سليمان بن أحمد الطبراني ت سنة ٣٦٠ - الأوائل – مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٤٠٣هـ تحقيق محمد شكور محمود ٩٨/١، أبو يعلي الخليل بن أحمد عبد الله بن أحمد القزويني – الإرشاد – مكتبة الرشد الرياض ط١ سنة١٤٠٩هـ تحقيق د/ محمد سعيد إدريس ١٨٥/١، ت سنة ٤٤٦، الإصابة ٩٢/٤.

(٢١٩) أنساب الأشراف ٢١٧/٥ تاريخ الطبري ٣٩٤/٣.

(٢٢٠) هو الحصين بن نمير الكوفي أمير الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى مكة لحرب إبن الزبير بعد موت مسلم بن عقبة الأمير الأول – الإصابة ٩١/٣.

(٢٢١) تاريخ الطبري ٣٩٥/٣.

إثر هذه المعلومات التي تلقفها المختار ركب رواحله وغادر مكة إلى داره بالكوفة وما لبث أن اختلفت إليه جموع الشيعة هناك(٢٢٢). عاد المختار إلى الكوفة في الوقت الذي كان فيه سليمان بن حرد يجمع الشيعة بالكوفة ليثأر للحسن ابن علي من قتلته توبة إلى الله وسموا أنفسهم بالتوابين، فكان سليمان أثقل شيء على المختار الذي لم يجد وسيلة سوى أن يحط من قدر سليمان بن صرد ويثبط الناس حوله واستمر يطعن فيه حتى انشعبت إليه جموع لا بأس بها من التوابين(٢٢٣).

وقد صبت نتيجة موقعة عين الوردة التي قتل فيها ابن صرد وجماعة من التوابين في مصلحة المختار فقد جاءت مصدقة لتوقعاته، ولجأ إليه الفارُون من المعركة فقويت حركته وكثر أتباعه، وانفرد في الكوفة بزعامة الشيعة، خاصة وأنه رفع شعار التوابين وهو : "يا لثارات الحسين وأهل بيته الشعار الذي استقطب جموع الشيعة حوله(٢٢٤) وحتى يضمن المختار ولاء الشيعة له والتفافهم حوله وبيعتهم له ادعى أنه رسول محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب إليهم(٢٢٥)، وأخرج إليهم كتابا مختوما ادعى أنه منه فافترق الناس فرقا ثلاثة: فرقة صدقت به وبايعته، وفرقة توقفت عند كتابه هذا، وأرسلت من سأل إبن الحنفية بالحجاز عن حقيقة دعوى المختار، فقال : "ما أحب إلينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا" (٢٢٦) فغادروا وبايعوه. أما الفريق الثالث فكان جماعة من وجوه أهل الكوفة عرفوا حقيقة دعوى المختار الذي كان يبحث له عن دور قيادي، ويسعى إلى السلطة بأي ثمن، وأن الغاية عنده تبرر له كل وسيلة لذلك نجد هذا الفريق خرج إلى البصرة وترك الكوفة(٢٢٧).

وقد ازداد مركز المختار في الكوفة عندما انضم إليه إبراهيم بن الأشتر النخعي من زعماء أهل الكوفة بعدما أخرج له كتاباً ادعى بأنه من ابن الحنفية إلى إبراهيم، فأجابه إبراهيم(٢٢٨) واتفقا على يوم الخروج على والي ابن الزبير على الكوفة عبد الله

---

(٢٢٢) المصدر السابق نفسه.

(٢٢٣) تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/٢.

(٢٢٤) تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/٢ تاريخ الطبري ٤٠٠/٣، المنتظم ٥١/٦، تاريخ ابن خلدون ٣١/٣.

(٢٢٥) هو أبو القاسم وأبو عبد الله محمد بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما – أخو الحسن والحسين، وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق وهي خولة بنت جعفر الحنفية، قيل إن عليا اشتراها ثم وهبها لفاطمة زوجته فباعتها فاطمة، وقيل بل وهبها أبو بكر لعلي، وولدت لعلي محمد فى العام الذي مات فيه أبو بكر سنة ١٣هـ. ومات سنة ثمانين هجرية. انظر مولد العلماء ووفياتهم ٢٠٠/١، الأنساب للسمعاني ٢١٨/٥، وفيات الأعيان ١٧٠/٤، سير أعلام النبلاء ١١٠/٤.

(٢٢٦) طبقات ابن سعد ٩٩/٥، المعرفة التاريخ ١٣٤/٣، تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/٢، عبد المتعال الجبري - مقتل العرب في صراعاتهم ص٦٧. مكتبة وهبة القاهرة ط١ سنة ١٩٨٩م.

(٢٢٧) طبقات ابن سعد ١٦٢/٥، تاريخ مدينة دمشق ١١١/٣١.

(٢٢٨) هو إبراهيم بن الأشتر، والأشتر لقب والده مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن قيس ينتهي نسبه إلى مالك بن النخع، وأشتر بلدة تقع في بلاد الجبل بين همذان ونهاوند، وكان الأشتر ممن سعى وقام على قتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أما إبراهيم ابنه هذا فكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وله شرف ومكانة،

إبن مطيع(٢٢٩) الذي كان يحذر الناس من المختار مع أنه كان صديقا له، في حين كانت شخصيته ضعيفة لا تقل ضعفا عن سلفيه قبله عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة اللذين كانا قد حبسا المختار ثم ما لبثا أن استجابا لشفاعة إبن عمر مرة أخرى فيه. بشرط أن يقسم لهما على ألا يخرج المختار عليهما فأطلقاه لما أقسم اليمين الذي ما لبث المختار أن حنث فيه بعد أن عزلهما إبن الزبير وولي مكانهما عبد الله بن مطيع بحجة أن القسم كان لهما ولم يكن لعبد الله الرجل البدوي غير ذي الخبرة بالسياسة وأساليب الحكم، بدليل أنه لما خطب في الناس بالكوفة يوضح معالم سياسته لم يفهم ما عليه الناس من اعتقاد وفكر، فقال: أسير فيكم بسيرة عمر وعثمان فعارضوه وقالوا: لا حاجة لنا في سيرة عمر وعثمان سر على سيرة علي بن أبي طالب فقال نسير فيكم بكل سيرة تحبونها(٢٣٠).

وفي اليوم الذي حددة المختار وابن الأشتر للخروج على أمير إبن الزبير على الكوفة إبن مطيع في سنة٦٦هـ/ ٦٨٥م وتنادوا "يا لثارات الحسين" التحم الفريقان وكانت أشد حرب وأصعبها، ففر إبن مطيع للقصر ثم سلمه للمختار وأعطاه مائة ألف دينار وخرج للبصرة ثم للحجاز عند إبن الزبير(٢٣١) واستطاع والمختار بقيادة إبراهيم إبن الأشتر الاستيلاء على الكوفة ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس وبسط يده، وابتدره الناس فبايعوه(٢٣٢).

وأخذ المختار يمني الناس بالعدل وحسن السيرة، في حين قرب إليه الموالي(٢٣٣) في الكوفة وهم طبقة كبيرة بعد العرب وبذل لهم العطاء وضمهم إليه تحت شعار التسوية بينهم وبين العرب في كل شيء، وهؤلاء الموالي كانوا ينتهزون كل فرصة للخروج وينضمون لكل خارج ومتمرد فوجدوا في المختار أول تمرد يستظلونه ليحققوا آمالهم من ناحية، والمختار يستعملهم في تحقيق مآربه من ناحية أخرى فاجتمعت لهما المصلحة المشتركة(٢٣٤).

وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد في معركة نهر الخازر، طبقات إبن سعد ٣٣/٥، معجم ما استعجم ٤٨٤/٢، الأنساب للسمعاني ١٦٢/١، تاريخ دمشق ٣٧٥/٥٦، المنتظم ٥٣/٦، مقتل الشهيد عثمان ٢١٨/١، الوافي بالوفيات ١٥٦/٩، البداية والنهاية ٣٢٣/٨.

(٢٢٩) هو عبد الله بن مطيع الأسود بن حارثة العدوي المدني، التحفة اللطيفة ٩٤/٢.

(٢٣٠) البداية والنهاية ٦٤/٨، سمط النجوم العوالي ٢٢٩/٣.

(٢٣١) تاريخ اليعقوبي ٢٥٩/٢ تاريخ الطبري ٤٤٢/٣، ٤٤٩، وفيات الأعيان ٧١/٣، تاريخ إبن خلدون ٣١/٣.

(٢٣٢) تاريخ الطبري نفسه، الكامل في التاريخ ٢٧/٤.

(٢٣٣) الموالي مفرد مولى وهو هنا كل من يعتق من الرقيق يسمى مولى وينتسب إلى مولاه أي من أعتقه، لذلك يقال للمعتقين الموالي، وقد كانت العرب تطلق على العجم الموالي، والأعجم هو الذي لا يفصح ولا يبين في كلامه حتى اشتهر بينهم أن لفظ العجم ضد لفظ العرب، وهؤلاء الموالي أو العجم كانوا لا يسجلون في ديوان العطاء حيث كان الديوان في بادئ إنشائه في بني هاشم ثم الذين يلونهم في القرابة والسابقة والإيمان، النهاية في غريب الأثر ١٨٧/٣، ٢٢٧/٥، لسان العرب ١٨١/٤، ٣٨٥/١٢، ٢٠٩/٥.

(٢٣٤) الأخبار الطوال ٢٩٩/١. انضم إلى المختار نحو عشرين ألفا معظمهم من الموالي بعد أن وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ووجد هو فيهم مطية لمآربه، فأخذ يتقرب إليهم ويجزل لهم العطاء ويعاملهم على قدم المساواة مع العرب، بعد أن كان يضمر لهم الكراهية عندما كانوا يؤزرون إبن الزبير.

وقد كان الموالي وسيلة من وسائل المختار في تحقيق مآربه الشخصية وكانت من أنجح الوسائل وكانت في تحقيق أهدافه عن طريق هذه الفئة المهضومة حقوقها(٢٣٥)، إلا أن هذه السياسة تجاه الموالي كانت سلاحًا ذا حدين، الحد الأول كان لصالح المختار والآخر ضده، فقد غضب منه أهل الكوفة بسبب موقفه المحابي للموالي(٢٣٦)، لذلك نجدهم يجتمعون ويرسلون إليه رسولا يكلمه في الأمر، فقال لهم إنهم أطوع لي منكم وأوفى وأسرع إلى ما أريد، فغضب أشراف الكوفة وقالوا هذا كذاب فاجتمعوا على محاربته، فحاصروه في القصر في حين كان جيش إبراهيم من الأشتر في طريقة لملاقاة جيش عبيد الله بن زياد فطاولهم المختار حتى أرسل لإبراهيم فعاد بالجيش وحارب أهل الكوفة وفك الحصار، وأخذ يتتبع كل من اشترك في دم الحسين وأولهم عمر بن سعد إبن أبي وقاص، وابنه حفص، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم(٢٣٧)، وهرب كثير من الإشراف إلى مصعب بن الزبير بالبصرة(٢٣٨).

وفي خضم هذه الأحداث المتلاطمة بالمختار أراد أن يصبغ حركته بصبغة دينية فاراد أن يضفي على نفسه صفات القداسة والتأله، فادعى نزول الوحي عليه، وأخرج للناس كرسيا أدعى أنه كرسي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–، وقد غشاه

---

(٢٣٥) يوسف بن محمد (البياسي) ت سنة ٥٦٣هـ – الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٩ تاريخ ١٠٧/٢.

(٢٣٦) مع ما كان للموالي من دور سياسي وعلمي، فكان منهم قادة الفتوحات "الأمراء والكتاب مثل سرجون بن منصور الرومي كاتب معاوية ويزيد ومعاوية ابنه ومروان بن الحكم وأشار على عبد الملك بتعريب الدواوين، ومنهم موسى بن نصير وأبو المهاجر دينار مولى الأنصار ووالي أفريقية سنة ٤٧هـ وكذلك يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج كان من الموالي، إلى جانب طبقة العلماء من الموالي مثل سليمان بن بشار الخراساني مولى ميمونة بنت الحارث – رضي الله عنها – المتوفى سنة ١٠٣هـ ونافع مولى عمر – رضي الله عنه– وربيعة الرأي من شيوخ الإمام مالك، وفي مكة كان مجاهد بن جبير مولى قيس المخزومي توفي سنة ١٠٢هـ وعكرمة مولى إبن عباس، وعطاء مولى إبن أبي رباح وفي البصرة كان الحسن البصري وأبوه مولى زيد بن ثابت، وفي الشام مكحول توفي سنة ١١٨هـ وسعيد بن جبير وغيرهم والطبقة الثالثة وهي عامة الموالي الذين دخلوا الإسلام ولم يعقدوا مع أي قبيلة حلفا ولا عقدا وهذه الطبقة الأخيرة هي التي تعرضت لنوع من التمييز في المعاملة وصلت أحيانا للامتهان مما أحدث عندهم رد فعل ضد من يمارس ضدهم هذا التعصب والامتهان فانضموا إلى حركات التمرد والعصيان، جميل عبد الله المصري – أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري – مكتبة الدار بالمدينة المنورة ط ١ سنة ١٩٨٩م ص ٤٥٠، عبد الشافي محمد عبد اللطيف – العالم الإسلامي في العصر الأموي – دار الاتحاد التعاوني – القاهرة ط ٣ سنة ١٩٩٦م، ص ٤٣٢ – ٤٣٣، حبيب بدر وآخرين – المسيحية عبر تاريخها في المشرق – مجلس كنائس الشرق الأوسط – ط ١ سنة ٢٠٠١م ص ٤٨١، كمال= =السعيد حبيب – الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية – مكتبة مدبولي القاهرة طبعة سنة ٢٠٠٢م ص ١٦١، نجدة خماش – الإدارة في العصر الأموي – دار الفكر دمشق – ط ١ سنة ١٤٠٠هـ ص ٣٤١، عبد الحليم عويس – بنو أمية بين السقوط والانتحار – دار الصحوة (د.ت) ص ٨١: ٨٣.

(٢٣٧) عن جملة من قتلهم المختار والذين اشتركوا في مقتل الحسين انظر سمط النجوم العوالي ٢٢٣/٣: ٢٣٥.

(٢٣٨) طبقات إبن سعد ١٦٤/٥، الأخبار الطوال ٢٩٩/١، الكامل في التاريخ ٢٧/٤، تاريخ إبن خلدون ٣٤/٣ التحفة اللطيفة ٩٥/٢، سمط النجوم ٢٣٣/٣: ٢٣٥.

بالذهب وقال للشيعة هذا فيكم مثل التابوت في بني إسرائيل، وكان له وسادتان عن يمينه وشماله يدعي أن جبريل يجلس على التي باليمين وميكائيل على اليسرى وغير ذلك(٢٣٩) وكل هذه الأمور وغيرها كان المختار يهدف من ورائها إلى إضفاء صفات النبوة وهالات من التقديس لشخصه وحركته، فلقد حاول ادعاء النبوة، وسجع أسجاعا، وأنذر بالغيوب عن الله(٢٤٠).

ولكن جاء كل ذلك التكهن والتأله على عكس ما يشتهيه – وإن كان قد تبعه على تكهنه هذا بعض الشيعة – فإن هذا التكهن كان من أسباب فشل المختار التي أسرعت بهزيمته والقضاء على حركته، فلقد تخلى عنه آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى رأسهم علي بن الحسين ومحمد بن الحنفية وغيرهم ووصموه بالكذاب الملعون(٢٤١). كما أدى ذلك إلى عداء بعض أشراف الكوفة له وتخليهم عنه وعلى رأس هؤلاء مساعدة الأول إبراهيم بن الأشتر الذي تخلى عنه في النهاية وانضم إلى عدوه مصعب بن الزبير فيما بعد.

إجمالاً وبعد أن قضى المختار على حركة أشراف الكوفة ضده وقتل كل من شهد قتل الحسين نادى المختار بالأمان إلا من شارك في دم الحسين، وكان ذلك آخر سنة ٦٦هـ/٦٨٥م، ثم بعث إبراهيم بن الأشتر لقتال جيش الأمويين بقيادة عبيد الله بن زياد الذي كان قد قضى على جيش التوابين في عين الوردة ثم حاصر زفر بن الحارث في قرقيسياء نحو سنة، فلما أيس بن زياد من أمره تركه وزحف إلى البصرة التي خرج عنها عاملها من قبل المختار عبد الرحمن سعد بن ربيعة إلى تكريت(٢٤٢) وكتب إلى المختار الذي أرسل إليه يزيداً بن أنس الأسدي في ثلاثة آلاف حيث عبيد الله بن زياد والذي أخرج له جيشا في ثلاثة آلاف بزعامة المختار الغنوي، فالتقيا وهُزم جيش الشام، إلا أن يزيد بن أنس قتل، فانزعج جنده وآثروا العودة إلى الكوفة إثر مقتله(٢٤٣)، مما أفزع المختار الثقفي الذي سرح إليهم جيشا في سبعة آلاف بزعامة إبراهيم بن الأشتر، وأرسل معهم الكرسي المزعوم وقال لهم: هذا فيكم مثل التابوت في بني إسرائيل(٢٤٤).

---

(٢٣٩) الآحاد والمثاني ٣١٦/٤، حلية الأولياء ١١٦/٩، مرآة الجنان ١٥١/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢١٤/١، سمط النجوم ٢٤١/٣.

(٢٤٠) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم – الفصل في الملل والأهواء والنحل – دار المعرفة – بيروت ط٢ سنة١٩٧٥ ١٨٤/٣.

(٢٤١) لما بلغ علي بن الحسين مخاريق المختار وتكهناته قام عند باب الكعبه وأعلن على الملأ لعن المختار، طبقات ابن سعد ٢١٣/٥ أخبار المدينة لابن شبه ٢٣٢/١ المعرفة والتاريخ ٢٤٦/٣. في حين كتب ابن الحنفية إلى شيعته (احذروا على دينكم الكذابين) تاريخ الطبري ٤٨٩/٣.

(٢٤٢) تكريت بلدة بين بغداد والموصل وهي لبغداد أقرب، معجم ما استعجم ٣١٧/١، معجم البلدان ٣٨/٢.

(٢٤٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩/٣، المعارف ٣٤٧/١، تاريخ اليعقوبي ٢٥٩/٢.

(٢٤٤) كان لبني إسرائيل تابوت توارثوه عن الأنبياء يتبركون به ويستنصرون على أعدائهم، قال الله تعالى في قصة طالوت وجالوت {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ} البقرة (٢٤٨)، انظر البدء والتاريخ ٩٨/٣ (القصة).

فازدادت به الشيعة فتنة، وأسرع إبراهيم السير إلى الموصل، حيث كان عبيد الله ابن زياد قد ملكها وبلغ إبن الأشتر نهر الخابور[٢٤٥] ونزل إبن زياد قريبا منه حيث التقى الجمعان عند النهر واقتتلوا قتالا شديدا، حتى كانت أصوات الضرب بالسيوف كأصوات القصارين[٢٤٦]. وابن الأشتر يأمر حامل الراية أن ينغمس فيهم بالراية، ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزموا، وقتل عبيد الله بن زياد وقطعت رأسه، وأحرق جسده[٢٤٧]، واتبع جيش إبن الأشتر المنهزمين، فغرق في البحر جنودا أكثر ممن قتلوا وغنموا جميع ما في المعسكر، وطير إبن الأشتر البشارة للمختار بالمدائن مع رأس عبيد الله بن زياد ورءوس قواده التي بعث بها المختار إلى الحجاز إلى آل البيت - رضوان الله عليهم -، وإلى إبن الزبير بمكة[٢٤٨]. وأقام إبن الأشتر بالموصل وأرسل المختار عماله على النواحي والبلاد[٢٤٩].

وهكذا استفاد المختار من أخطاء سليمان بن صرد والتوابين معه، حيث نظم صفوفه وعبأ جنوده وحشدهم، واختار القواد المُثل، وبدأ بمن اشترك في مقتل الحسين بالكوفة أولا قبل خارجها – وهو ما أشار عليه أصحاب سليمان ورفضه – واستولى على الكوفة وملكها وجعلها قاعدة ينطلق منها، تحمي ظهره وتمده بالرجال والعتاد في حربه مع الأمويين، ثم أرسل قائده لقتال إبن زياد وتمهل هو يترقب سير القتال حتى أسفر عن تحقيق بعض أهدافه المعلنة وهو الأخذ بثأر الحسين ونجح في ذلك إلى حد كبير، وتفرغ إلى مخادعة إبن الزبير والتحايل عليه، فهل ينجح في ذلك أيضا؟

تعاظم نفوذ المختار بعد انتصاره على جيش الأمويين، وولي عماله على ولايات شمال العراق والجزيرة. وجبى الخراج، وافتتن به كثير من الناس لاسيما الموالي الذين وجدوا في حركته متنفسا لتحسين أوضاعهم، خاصة وأن المختار كان يغدق عليهم وعلى

---

(٢٤٥) نهر الخازر يقع بين الموصل وإربل، معجم البلدان ٤٠٦/١.

(٢٤٦) القصارون هم الذين يقصرون الأشعار بالألحان، انظر تاريخ مدينة دمشق ٦٢/١٥، الوافي بالوفيات ٧٧/١٣، وعن هذه الأحداث في تلك المعركة، انظر تاريخ إبن خلدون ٣٨/٣ والكامل في التاريخ ٦٢/٤.

(٢٤٧) كان مقتل عبيد الله بن زياد ورفاقه يوم عاشوراء سنة٦٧هـ في نفس اليوم الذي استشهد فيه الحسين -رضي الله عنه- تاريخ مدينة دمشق ٤٥٤/٢٢ ولما جيء برأس عبيد الله إلى علي زين العابدين بن الحسين كان يتغدى فقال (سبحان الله أتي برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد وهو يتغدى، وأتينا برأس عبيد الله ونحن نتغدى) طبقات بن سعد ١٠٠/٥، مولد العلماء ووفياتهم ١٨١/١، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٨٢٦/٦.

(٢٤٨) طبقات بن سعد ١٩/٣، تاريخ اليعقوبي ٢٥٩/٢، المعارف ٣٤٧/١، البداية والنهاية ١٩٦/٨، تاريخ إبن خلدون ٣٨/٣، ويزعم إبن الجوزي أن المختار لما جيء له برأس إبن زياد صلبها، كما صلب يزيد بن معاوية رأس الحسين عنده قبل ذلك؛ تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٠/١، وفيه نقل إبن الجوزي ذلك عن إبن حبيب الهاشمي، (أن يزيد بن معاوية نصب عنده رأس الحسين) وهذا كلام لم يثبت أمام الحقائق والوقائع التاريخية التي سقناها عند استشهاد الحسين في كربلاء.

(٢٤٩) كان أول رجل عقد له المختار عبد الله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على أرمينية ومحمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان. وغيرهم انظر، الأخبار الطوال ص٢٩٩، تاريخ الطبري ٤٤٨/٣، العبر ٧٣/١، مرآة الجنان ١٤١/١.

غيرهم الأموال وجعل ذلك سلاحا قويا لا يقل عن السيوف في طعنها بالمعارك في حين كان إبن الزبير حريصا على المال مما جعل بعض الناس ينفرون من حوله، والمختار يجمع الناس بإغداق الأموال حين لا تنفع وسيلة غيرها(٢٥٠). وبدا المختار كما لو أنه أقام دولة مختارية في العراق بين دولتي الأمويين بالشام وابن الزبير بالحجاز، وبدأ المختار يزهو بنصره على الأمويين، ويطمع في المزيد من الانتصارات، دون أن يقعد على ما بسط عليه نفوذه في شمال العراق والجزيرة، فيؤمنه، ويوطد أركانه، وينمّي اقتصادياته، ويؤلف بين فئاته وأبنائه، ويتزود فيه بالعدة والعتاد، فيقوي الجيش ويسلحه ويضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على النصر، والثبات عليه، ثم يجعله منطلقا لحروبه بعد ذلك، ولكن المختار كان يبحث عن المجد الشخصي بسرعة ويبحث عن السلطان بأي ثمن، ومن أجل ذلك تقلب في ولائه من العداء لآل البيت، حيث شهد قبل ذلك على حجر بن عدي واتهمته الشيعة بأنه كان عثمانيا ثم تحوّل ولاءه إلى الشيعة(٢٥١).

لذلك نجد المختار يعد نفسه لمواجهة منافسيه إبن الزبير ثم عبد الملك بن مروان حتى يخلو له الجو من هؤلاء جميعا، وبدأ بابن الزبير الذي له في عنقه بيعة ولكن، أنّى لمثل المختار أن يفي ببيعته، أو يحترم عهده وميثاقه، وهو رجل ذو آمال ومطامع، يبحث عن المجد والسلطان بأي وسيلة شرعية أو غير شرعية.

إجمالا، أعد المختار العدة للسير تجاه البصرة ينتزعها من مصعب بن الزبير(٢٥٢) والي أخيه عبد الله بن الزبير، وقد بايع أهل البصرة مصعبا، وجاءه أشراف الكوفة ينادونه وا غوثاه ! ويحثونه على قتال المختار(٢٥٣)، الذي كان قد كتب إلى عبد الله إبن الزبير يخادعه فطالبه بالوفاء له لما وعده من الولاية، فكان إبن الزبير أذكى منه عندما أرسل للكوفة عمراً بن الحارث أميرا من قبله حتى يختبر ولاء المختار(٢٥٤)، فما

(٢٥٠) كان المختار بن أبي عبيد كريما سخيًا في عطاياه لتسهيل مهامه وتحقيق مصالحه فعلى سبيل المثال كان يرسل الهدايا إلى إبن عباس وابن عمر فيقبلا منه. طبقات إبن سعد ١٥٠/٤، في حين يروي الفسوي أن إبن عمر كان يرد هدايا المختار (ما رد إبن عمر على أحد وصية ولا هدية إلا على المختار بن أبي عبيد) المعرفة التاريخ ٨٩/٣ إلا أن إبن عمر وهو زوج أخت المختار صفية كان أحيانا يقبل منه الهدية،ولما سئل عن ذلك قال: (إني لا أسأل أحدا شيئا ولا أرد رزقا رزقني الله عز وجل) تاريخ مدينة دمشق ١٥٣/٣١.

(٢٥١) البداية والنهاية ٢٤٩/٨، سمط النجوم ٢٣٢/٣.

(٢٥٢) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد أبو عبد الله كان من أحسن الناس وجها وأشجعهم قلبا وأسخاهم كفا، ولى العراقيين ودعا لأخيه عبد الله بن الزبير، وكان حسن الولاية بشهادة أهل العراق له أمام أخيه بمكة، ولم يزل واليا على العراق حتى سار إليه عبد الملك بن مروان وقتله بمسكن على نهر دجيل. ودفن هناك وما زال قبره بقرية أوانا قرب بغداد. انظر: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي ت سنة٢٧٥ ــ أخبار مكة ــ دار خضر بيروت ط٢ سنة١٤١٤هـ تحقيق/ د/عبد الملك عبد الله دهيش ٣٠٤/١، المعارف ٢٢٤/١، تاريخ بغداد ١٠٥/١٣، تاريخ دمشق ٢١٠/٥٨، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ــ الأنساب ــ دار الفكر بيروت ط١ تحقيق/ عبد الله عمر البارودي، ٢٢٥/١.

(٢٥٣) طبقات إبن سعد ٢٩/٥، تاريخ مدينة دمشق ١١١/٣١، البداية والنهاية ٢٧٠/٨.

(٢٥٤) تاريخ الطبري ٤٧١/٣، الكامل في التاريخ ٥١/٤.

كان من الأخير إلا أن احتال على عمرو وأرسل إليه من رده من حيث أتى في حين أرسل الأمويون جيشا إلى وادي القرى[٢٥٥]. فكتب المختار إلى ابن الزبير يطلب منه المدد ضد الأمويين، فأجابه ابن الزبير أن يعجل هو بالمدد إلى وادي القرى، فأخرج المختار جيشًا من ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل بن ورس الهمداني وأمره أن يأتي المدينة المنورة لا وادي القرى، حتى يحتال من الخلف على ابن الزبير فشك ابن الزبير في نيته فبعث عباساً بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر العرب لملاقاة جيش الأمويين في وادي القرى، وأمرهم أن يختبر نية جيش المختار فلقيهم بن سهل بالرقيم[٢٥٦]. فأمرهم بالسير إلى وادي القرى فأخبره ابن ورس بأنه لم يؤمر بذلك بل وجهته إلى المدينة، فتأكد من مكر المختار، فأنزل ابن سهل جيش المختار وأمدهم بالعدة والزاد لهم ولخيلهم، ثم تخير ابن سهل ألفا من أصحابه وحمل عليهم فقتل ابن ورس وسبعين من الشجعان معه وأمن الباقين فرجعوا إلى الكوفة ومات أكثرهم بالطريق[٢٥٧] ولما انكشف أمر المختار، أراد أن يستثمر هذا الحدث فكتب إلى ابن الحنفية يخادعه بأن ابن الزبير قتل الجيش الذي كان أرسله له لنصرته، وطلب منه أن يأذن له في أن يرسل إليه الجيوش في المدينة، وما عليه إلا أن يرسل لها قائدا من قبله حتى يعلم الناس أنه في طاعته، فكتب إليه ابن الحنفية: "لو أردت القتال، لوجدت الناس إليّ سراعًا والأعوان كثيرًا لكن اعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين [٢٥٨].

في هذه الأثناء، خشي ابن الزبير من نفوذ ابن الحنفية على الناس خاصة وأن المختار يتخذه ستارًا لحركته يحارب من ورائها ابن الزبير ويجمع الشيعة حولها، فأراد ابن الزبير أن يعلن ابن الحنفية البيعة له هو ومن لم يبايع من آل البيت. فتعللوا بأنهم من آحاد الناس، وعندما تجمع الناس على البيعة سيبايعون، فتهددهم وتوعدهم ابن الزبير وحبسهم بمحيط زمزم بمكة وضرب لهم أجلا حتى يبايعوا، فكتب ابن الحنفية من محبسه إلى المختار، الذي بعث إليه جيشا من الكوفة في أربعة آلاف بزعامة عبد الله البجلي ليخلصه قبل الأجل المضروب -وقد كان- فخرج ابن الحنفية قبل الأجل بيومين واستأذنوه في قتال ابن الزبير فرفض أن يستحل القتال في الحرم[٢٥٩].

لما يئس المختار من ابن الزبير عزم على الانقضاض عليه بانتزاع البصرة من أخيه مصعب الذي استعد لمواجهته، فأرسل عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي

(٢٥٥) البداية والنهاية ٢٧٦/٨، تاريخ ابن خلدون ٣٦/٣، سمط النجوم ٢٣٦/٣ ــ ٢٣٧ ووادي القرى واد يقع بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى فتحها النبي -صلى الله عليه وسلم- سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية، معجم البلدان ٣٤٥/٥.

(٢٥٦) الرَقيم موضع قربَ البلقاء مَن أطراف الشام، انظر معجم البلدان ٦٠/٣.

(٢٥٧) تاريخ الطبري ٤٧١/٣، الكامل في التاريخ ٥١/٤، البداية والنهاية ٢٧٦/٨.

(٢٥٨) تاريخ ابن خلدون ٣٦/٣، سمط النجوم العوالي ٢٣٧/٣.

(٢٥٩) تاريخ خليفة ٢٦٢/١، سمط النجوم العوالي ٢٣٩/٣.

صفرة(٢٦٠) عامله على فارس ليقبل بجيشه وتواعدوا وعسكروا عند جسر الفرات في مكان يسمى المذار(٢٦١). وأرسل مصعب إلى رجل له من أهل الكوفة يدعى عبد الرحمن بن مخنف يثبط الناس من حول المختار ويدعو سرا لابن الزبير - وهو نفس الأسلوب الذي كان المختار يتبعه مع سليمان بن صرد - ولما بلغ خبر استعداد مصعب لملاقاة المختار فأرسل المختار جيوشه بقيادة أحمر بن شميط، والتقى الجمعان وحمل المهلب بن أبي صفرة على ميسرة إبن شميط وحمل الناس على جيش المختار فانهزم وقتل إبن شميط واستمر القتل في أهل الكوفة فلم يدركوا منهزما إلا قتلوه(٢٦٢).

وقتل من عسكر مصعب محمد بن الأشعث الكندي(٢٦٣)، وعبيد الله بن علي إبن أبي طالب(٢٦٤). وقتل أخوه عمر الأكبر إبن علي بن أبي طالب. وكان من جند المختار، ثم اتجه جيش إبن الزبير إلى الكوفة وحاصروا المختار بقصر الإمارة، واستمر الحصار أربعة أشهر، يخرج المختار فيها كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة، ولما طال أمد الحصار قلت الإمدادات حيث قطعها مصعب فكان لا يدخل لهم طعاما ولا شرابا إلا بحيلة، وإذا خرجوا لقتال بالخيل رميت من فوق الأسطح بالحجارة، وأفسدوا لهم بئرا كانوا يشربون منه فصب عليه المختار عسلا ليتغير طعمه حتى يسيغوه ليشربوا.

فلما يئسوا من ذلك، نزل المختار في تسعة عشر رجلا إلى المحاصرين له من جيش إبن الزبير فقال: أتؤمنونني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا إلا على الحكم! فقال: لا أحكمكم في نفسي أبدا فضارب بسيفه حتى قتله طريف وطراف أخوان من بني حنيفة(٢٦٥).

---

(٢٦٠) هو أبو سعيد الأمير البطل قائد الكتائب المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد عام الفتح وله دور بارع في حرب الأزارقة واستمر تسعة عشر عاما إلى أن فرغ من أمرهم أيام الحجاج، مات سنة ٨١هـ وقيل ٨٢هـ وله من الأولاد عشرا. انظر طبقات خليفة ٢٠١/١، الأنساب للسمعاني ١٢٢/١، ٤١٨/٥، سير أعلام النبلاء ٣٨٤/٤، الإصابة ٣٨٦/٦.

(٢٦١) المذار: تقع في منطقة ميسان بين واسط والبصرة، بينها وبين البصرة مسيرة أربعة أيام فتحت في عهد عمر بن الخطاب بعد فتح البصرة مباشرة، انظر معجم ما استعجم ١٢٠٣/٤، معجم البلدان ٧٣/١، ٨٨/٥.

(٢٦٢) الطبقات الكبرى ١٨٣/٥ تاريخ خليفة ٢٦٤/١ تاريخ الطبري ٤٨٤/٣، الكامل في التاريخ ٦٥/٣ سمط النجوم ٢٤١/٣.

(٢٦٣) هو محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، أبوه الأشعث، شهد مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- صفين ومات بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وكان الأشعث متزوجا من فروة بنت أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد والد أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وكان الحسن بن علي -رضي الله عنه- متزوجا من ابنة الأشعث وقد ولدت فروة للأشعث محمد هذا، طبقات إبن سعد ٦٥/٥، مشاهير علماء الأمصار ٤٥/١، تاريخ دمشق ١٢٦/٥٢، المنتظم ١٦٧/٥.

(٢٦٤) كان وجود عبيد الله بن علي بن أبي طالب مكمن قوة لدى مصعب إبن الزبير خاصة من الناحية الفكرية العقائدية التي كان يستخدمها في سلاح في فض الأنصار من حول المختار ففي أثناء حصار مصعب للمختار بالقصر كان ينادي على شيعته ويقول: (أيها الناس المختار كذاب، إنما يغركم بأنه يطلب بدم آل محمد، وهذا عبيد الله بن علي بن أبي طالب، ولي الثأر، يزعم أن المختار مبطل فيما يقول) تاريخ اليعقوبي ٢٦٣/٢.

(٢٦٥) تاريخ خليفة ٢٦٤/١، الكامل في التاريخ ٦٨/٤، النجوم الزاهرة ١٨٠/١.

ونزل أصحابه على الحكم فقتلوا وأمر مصعب بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد إلى جنب حائط المسجد(٢٦٦) – ظلت على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف الثقفي(٢٦٧) – فيما بعد – فنظر إليها، وقال: ما هذه؟ فقالوا كف المختار فأمر بنزعها(٢٦٨)- وكان عدد من قتل من جيش المختار سبعة آلاف، وكان مقتله يوم ١٤ رمضان سنة٦٧هـ/٦٨٦م وعمره ٦٧ سنة وقد أحرق مصعب جثمان المختار بعد ذلك(٢٦٩).

مات المختار بن يوسف الثقفي بالسيف الذي كان المفروض أن يكون ردءًا له ضد العدو المشترك وهم الأمويون، فقتل المختار بسيف إبن الزبير الذي كان على المختار أن يتعاون معه مبكرا(٢٧٠)، ولكن المختار كان لا يرى إلا نفسه، فلم يستفد من كل أخطاء التوابين الذين كان عليهم أن يتعاونوا مع إبن الزبير فكان مصيرهما واحدًا وهو الفشل والقتل، كان على التوابين والمختار أن يتعاونا معًا ما دامت الأهداف الظاهرة مشتركة، وكان عليهما أن يتعاونا مع عبد الله بن الزبير وكان الأجدر أن يتم عقد تحالف ثلاثي من هؤلاء ضد الأمويين حتى على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم ما دام العدو مشترك، وهناك بعض الأهداف العامة التي يمكن أن يتعاونوا عليها، ويعذر أو يتفاهم بعضهم بعضا على ما اختلفوا فيه، ما داموا مثلوا جبهة معارضة أمام الأمويين، ولأن هذا لم يحدث فكان المتوقع أن تكون نهاية المختار على يد عبد الملك بن مروان الذي وتره بقتل إبن زياد أبرز أعوانه، ولكن عبد الملك صمد أمام هذا المصاب الجلل، وكان من الدهاء بحيث أدرك أن عبد الله بن الزبير، وإن كان قد أسعده ظهور المختار في البداية وقهره لجيش عبد الملك، فإنه في ذات الوقت لن يسمح لنفوذ

(٢٦٦) علق الأخطل الشاعر على صلب كف المختار الثقفي بقوله:

وناطوا من الكذاب كفا صغيرة * وليس عليهم قتله بكبير

محمود بن عمر الزمخشري ت سنة ٥٣٨هـ – الفائق – دار المعرفة – لبنان – ط٢ تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين ٢٣٠/٢.

(٢٦٧) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود من ثقيف، سمع الحديث عن إبن عباس، وروى عن أنس، كان فصيحا حسن الحفظ للقرآن، كان أول أيامه معلما سمع الحديث وأسنده، قتل الخلق الكثير، وأذل أهل المدينة ومنهم صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحجة أنهم لم ينصروا عثمان -رضي الله عنه- ولد سنة٤٠هـ وسماه أبوه كليبا وتوفي سنة٩٥هـ انظر المعارف ٥٤٨/١، تاريخ مدينة دمشق ١١٣/١٢، المنتظم ٣٧٧/٦ وفيات الأعيان ٢٩/٢، البداية والنهاية ١١٧/٩، سمط النجوم ٢٩٣/٣.

(٢٦٨) تاريخ اليعقوبي ٢٦٤/٢، المحن ٢١٤/١ تاريخ الطبري ٤٩١/٣، البدء والتاريخ ٢٢/٦، المنتظم ٦٥/٦ تاريخ ابن خلدون ٤١/٣، شذرات الذهب ٧٥/١.

(٢٦٩) دفن الجثمان بعد ذلك غرب الكوفة بالجبانة، وقبره بجوار قبر عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ولما زار إبن بطوطة تلك الجبانة شاهد موضعًا مسودا شديد السواد وسط بسيط أبيض فسأل عن سر ذلك السواد فأخبروه أنه قبر الشقي ابن ملجم يأتي أهل الكوفة كل سنة سبعة أيام بالحطب الكثير فيوقدون على قبره النار، انظر: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ابن بطوطة) ت سنة ٧٧٠هـ رحلة إبن بطوطة - مؤسسة الرسالة بيروت – ط ٤ تحقيق/ د/ علي المنتصر الكتاني ٢٣٩/١، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٨٢٦/٦.

(٢٧٠) حركة عبد الله ابن الزبير ص١٧١، المعارضة في العصر الأموي ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠.

المختار أن يتسع ويهدد دولته، فلابد أن يتحرك للقضاء عليه، لذلك آثر عبد الملك التريث وتفرغ ليراقب ما ستفسر عنه الأحداث بين المختار وابن الزبير عن كثب، لأن نتيجة المواجهة ستكون في صالحه، من ناحية أنه قضى على خصم وبقى آخر، وفي نفس الوقت ستكون قوة الطرف المنتصر قد ضعفت فيسهل مواجهته والقضاء عليه، وقد حدث ما توقعه عبد الملك(٢٧١).

ورغم كل ما تعرض له المختار إلا أن تمرده هذا كان له جوانب إيجابية استغلها المختار، منها أنه استغل عواطف الشيعة الثائرة عقب مقتل الحسين، "فكانت هذه العواطف والنفوس المشحونة أرضية ملائمة انطلق منها في وقت فشل إبن صرد فيما نجح فيه المختار، إلى جانب سياسة المختار في جذب الموالي وإغداق الأموال. وأيضًا استغلاله لضعف عمال إبن الزبير على الكوفة الأمر الذي سهل له سرعة انتشار تمرده(٢٧٢).

إلا أنه قد تجمعت عوامل كثيرة أدت إلى فشل تمرد المختار، منها: نفور أشراف الكوفة منه نتيجة لتفضليه الموالي، ومنها: ظهور كذبه السريع في أنه مبعوث إبن الحنفية والذي اكتشفه فريق من وجوه أهل الكوفة، ناهيك عن تكهنه وأسجاعه وادعائه النبوة، وإنذاره بالغيب وادعائه النبوة والكرسي وغيره(٢٧٣)، حتى أنه في النهاية نفر منه إبراهيم بن الأشتر أبرز وأقوى أعوانه الذي لم يشترك معه في معركة النهاية(٢٧٤). وكان تخلي إبن الحنفية عن المختار من الضربات القاصمة التي أدت إلى هزيمته في الجولة الأخيرة(٢٧٥). فلم يكن المختار يوما مخلصا لبني هاشم في حركته، من أول ظهوره على مسرح الأحداث عندما أشار على عمه سعد أن يسلم الحسن بعد طعنه إلى معاوية، وعندما هم إبن الحنفية أن يخرج من حبسه ويتجه إلى الكوفة خاف المختار على مكانته أن تقل بين الشيعة في ظل وجود إبن الحنفية فما كان منه إلا أن كذب على الناس قائلا: "إن المهدي إبن الحنفية – علامة من علامات صدقه – يقدم الكوفة فيضربه رجل في السوق بالسيف ضربة لا تضره ولا تحيك فيه" يهدف من ذلك تخويف إبن الحنفية بطريق ملتو. وفعلا لم يقدم إبن الحنفية للكوفة، لأنه علم أنه لو قدم الكوفة لأكمن له المختار فضربه بالسيف في السوق(٢٧٦). فقد كان المختار مثالا للأنانية الصارخة، يبحث

(٢٧١) الصلابي ٦٢٥/٢، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص١١٦، ١٢١.

(٢٧٢) حركة إبن الزبير ص ١٧١، انظر فيصل جريه السامر، حركات الزنج وأثرها في الدولة العباسية، ماجستير جامعة القاهرة سنة١٩٤٩ ص٥٨.

(٢٧٣) الأحاد والمثاني ٣١٦/٤، حلية الأولياء ١١٦/٩، مرآة الجنان ١٥١/١، تاريخ الخلفاء ص٢١٤.

(٢٧٤) الدولة الأموية للصلابي ٦٢٥/١.

(٢٧٥) تاريخ الطبري ٤٨٩/٣، تأريخ العرب والتمدن الإسلامي، سيد أمير علي ص٧٩.

(٢٧٦) طبقات إبن سعد ١٠١/٥، المعارضة في العصر الأموي ص٢١٠، الدولة الاموية لمحمود شاكر ص٢٩٤، ٢٥١.

عن المجد والسلطان أينما كانا ويتشكل من أجلهما مختلف الألوان وبشتى الوسائل المتاحة الشريفة وغير الشريفة[٢٧٧].

ولقد تمخضت حركة المختار هذه أولاً عن القضاء على كل من اشترك في دم الحسين وآل البيت وهذه من حسناته. وإن كان لم يقصد من ورائها ابتغاء الأجر من الله تعالى. وثانيا نجد أن الموالي بعد المختار تكتلوا مع بعضهم، وواصلوا سعيهم ليحصلوا على المساواة الاجتماعية ومن ثم السياسية، حتى إن فلهوزن زعم أن حركة المختار كانت أساسا لحركة أبي مسلم الخراساني التي أدت إلى نهاية الخلافة الأموية[٢٧٨]. وكانت النتيجة الثالثة التي خلفها لنا المختار هي ظهور القول بالبداء في العلم أي أنه يمكن أن يظهر له خلاف ما علم وأخبر به، والبداء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما اعتقد فيه الصواب وظهر خطؤه، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بالشيء ثم يأمر بخلافه[٢٧٩]. لأنه كان يدعي علم ما يحدث إما بوحي أو برسالة من الإمام، فكان إذا قال شيئا ووقع يجعله دليلا على صدقه، وإن لم يوافق ما قال: "يقول قد بدا لربكم كذا"[٢٨٠]. وأخيرا إن هذه الحركة وإن كانت قد انتهت بمقتل المختار وتفرق أنصاره إلا أنها كانت بلا ريب معولاً من معاول الهدم في الدولة الأموية.

ثانيا: حركات تمرد وعصيان العلويين[٢٨١].

تمرد: زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب[٢٨٢] بالكوفة سنة ١٢١هـ/٧٣٨م

(٢٧٧) ينقل لنا الشهرستاني أن المختار كان خارجيا، ثم صار زبيريا، ثم صار شيعيا وكيسانيا وقد تبرأ منه محمد بن الحنفية بعد ذلك) انظر محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني – الملل والنحل – دار المعرفة بيروت – تحقيق محمد سيد كيلاني ١٤٧/١، المعارضة في الدولة الأموية ص١٣٤.

(٢٧٨) الخوارج والشيعة ص٢٥٤، الشعوبية ٣٢: ٣٥، حركات الزنج ص٥٨.

(٢٧٩) الملل والنحل ص١٤٨.

(٢٨٠) المصدر السابق – نفسه، حسن إبراهيم ص٢٢٣/١، ٣٢٩ – تاريخ الإسلام.

(٢٨١) يعود نسب العلويين إلى الأسباط الثلاثة أولاد عليّ بين أبي طالب – رضي الله عنهم – الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط دون أولاده الآخرين، لأن هؤلاء وحدهم الذين طالبوا بالحق في الخلافة، وتعصبت لهم الشيعة، ودعوا لهم في الجهات المختلفة هم وأولادهم من بعدهم من الأسباط. انظر تاريخ ابن خلدون ١٤٤/٤، سمط النجوم ١٣٣/٣ – ١٣٥، شذرات الذهب ٣١٢/١ – ٣٨.

(٢٨٢) هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يكنى أبا الحسن، وأبا بكر، وأبا محمد، ويقال له (زيد الشهيد). أمه أم ولد، فقيه وخطيب زمانه على حد قول أبي حنيفة، وقد اختلف في تتلمذه على يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة بالبصرة، وقتل سنة١٢٢هـ وله ٤٣ سنة، ومن آثاره مؤلفه الكبير مجموع الإمام زيد الذي قامت عليه شروح كثيرة – أشار إليها العلامة الشوكاني – وكان له أثر كبير في انتشار مذهبه بعد وهو الزيدية، حتى أنه في القرن الثالث الهجري أسس أتباعه دولة باليمن تقوم على مذهبه الزيدي، وقد ثبتت هذه الدولة على زعازع القرون المتطاولة حتى انقضت في عهد آخر أئمتها أحمد بن يحيى في ستينيات القرن العشرين. انظر: مشاهير علماء الأمصار ٦٣/١، الأنساب ١٨٨/٣، تاريخ دمشق ٤٦٤/١٩ بغية الطلب في

هدأت تمردات الشيعة حينا من الدهر بعد مقتل المختار بن يوسف الثقفي سنة٦٧هـ/٦٨٦م[٢٨٣]. حتى كانت سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان[٢٨٤]، حيث عزل خالد بن عبد الله القسري[٢٨٥] عن ولاية العراق وعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي[٢٨٦]. وكان زيد بن علي مسالما موادعًا في المدينة مع غزارة علمه وموفور شجاعته، فادعى يوسف بن عمر أن لخالد القسري المعزول والمسجون ودائع وأموالاً كثيرة مخبأة عند زيد بن علي، فأرسل إليه واستقدمه عنده بالكوفة وسأله عن ذلك فقال زيد: كيف يودعني الرجل ودائع وأموالاً وهو يشتم آبائي على منبره كل جمعة؟ فأحلفه على ذلك، ثم أرسل إلى خالد فجيء به من سجن في عباءة وسأله: أنت أودعت هذا شيئا نستخلصه منه؟ قال: لا، كيف وأنا أشتم أباه كل جمعة؟ فعفا عنه يوسف حتى يعود إلى المدينة[٢٨٧].

وخلال إقامة زيد بالكوفة التقت به طائفة من الشيعة الذين كانوا يبلغون نحوا من أربعين ألفا فكان حضور زيد إليهم - والذي ساقته إليهم الأقدار- بادرة أمل جديدة أنعشت في نفوسهم إمكانية الخروج على بني أمية بعد طول رقاد، وقالوا له: إنا لنرجو أن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية[٢٨٨]. إلا أن زيدا قد انتقل من الكوفة إلى المدينة بعد أن أقام بها نحو خمسة عشر شهرا، فلحق به جماعة من أهل الكوفة فقالوا له: أين تذهب؟ ومعك مائة ألف راجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم غدا، وليس قبلك من أهل

تاريخ حلب ٤٠٢٧/٩ ـ ٤٠٢٨، وفيات الأعيان ٩٦/٦، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٥، مرآة الجنان ٢٥٧/١، سمط النجوم ١٣٣/١، العلامة محمد بن علي الشوكاني ت سنة ١٢٥٠هـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – دار المعرفة – بيروت ١٢٨/١.

(٢٨٣) في سنة ٨٦هـ حيث اتهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كبير الطالبين بالمدينة حيث كان عبد الملك بن مروان يهابه، من مكاتبة أهل العراق له للخروج عليه، و يمنونه بالخلافة، وبلغ ذلك الخليفة الوليد بن عبد الملك في بداية خلافته، فأمر عامله بالمدينة أن يجلده، فلم يفعل وحقق في الأمر ثم كتب إلى الوليد يبرئه، فنجا من الجلد كما نجا قبل ذلك من القتل بكربلاء لصغر سنه، تاريخ دمشق ٦١/١٢، المنتظم ٣٠١/٦، البداية والنهاية ١٧٠/٩.

(٢٨٤) هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان، كان يلقب بـ(المنصور بالله)، أمه هي أم هشام فاطمة بنت هشام المخزومي، ولي الخلافة بعهد من أخيه يزيد وبويع له بالخلافة لخمس بقين من شعبان سنة ١٠٥هـ وعند ولايته اختار الرصافة منزلاً له لطيب هوائها، وبعدها عن الأوبئة، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٥٠/١ ـ ١٥١.

(٢٨٥) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن كرز بن عامر بن عبقري بن أغار بن عمرو بن الغوث أبو الهيثم البجلي القسري بالسين والقصري بالصاد نسبة إلى قصر بجيلة من أهل دمشق، كان أمير مكة للوليد بن عبد الملك وسليمان أخوه ثم أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وكان خالد جوادا ممدوحا خطيبا مفوها، روى عن أبيه وروى البعض انه مات سنة ١٢٦هـ وله ستون سنة، تاريخ الطبري ٢١٢/٨، الأنساب للسمعاني ٤/(*)، تاريخ دمشق ١٣٥/١٦، تاريخ حلب ٣٠٦٨/٧، العبر للذهبي ١٦٢/١.

(٢٨٦) يوسف بن عمر هذا يحدث خلط بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي والد الحجاج، والصحيح أن الحجاج هو عم ابو يوسف هذا فهو (يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف) انظر: مرآة الجنان ٢٥٧/١.

(٢٨٧) تاريخ الطبري ١٩٣/٤، المنتظم ٣٣٣/٦، الكامل في التاريخ ٤٤٣/٤، البداية والنهاية ١٠٩/٩، عبد الغني عبد السلام – العيون والجواسيس ص ٢٢٢.

(٢٨٨) البدء والتاريخ ٤٩/٦.

الشام إلا عدة قليلة؟ فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة(٢٨٩). بعد أن أعطوه من الإيمان والمواثيق وبذل النفس والنفيس، فخدع زيد كما خدع جده الحسين من قبله -رضي الله عنه- هذا إلى جانب أن شخصية زيد كانت فذة لا تقبل الضيم، لا الهوان، تتصف بالغيرة على الحق، أي أنها كانت شخصية تحمل من مؤهلات الخروج على الحاكم الكثير - خاصة وأن زيدا قد اختلف حوله في قضية اتصاله وتتلمذه على يد رأس المعتزلة واصل بن عطاء الذي كان يشترط الخروج على الحاكم شرطًا في كون الإمام إمامًا(٢٩٠)، إضافة إلى أن ماضي جده كان لا يزال ماثلا شاخصا أمام ناظريه، مع الأخذ في الاعتبار أن الكوفة كانت له ولغيره من الشيعة والعلويين، تمثل البيئة المناسبة للتمردات لما فيها الكثير من أتباع العلويين ونظرة أهلها إليهم أنهم أحق بالخلافة من البيت الأموي أبناء عمومتهم(٢٩١)، كل هذه الأسباب وغيرها دفعت زيد إلى التمرد والخروج على الخليفة هشام بن عبد الملك الذي كان على دراية بمقدمات خروج زيد، حتى أنه اتهمه بالإعداد للخروج عليه، وحقق معه في ذلك وأغلظ عليه في دمشق، ثم خرج من عنده وقال: "سوف أخرج ثم لا أكون إلا بحيث تكره"(٢٩٢)، ثم خرج من عنده وسار إلى الكوفة(٢٩٣).

على كل حال قدم زيد الكوفة وأقام بها مستخفيا ينتقل بين المنازل، حاله مثل حال مسلم بن عقيل زمن جده الحسين -رضي الله عنه- والشيعة تختلف إليه تبايعه على الدعوة إلى كتاب الله وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء ورد المظالم ونصرة أهل البيت، ثم يضع يده على يد المبايع الذي بايع على هذا ويقول له: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لتفين ببيعتي، ولتقاتلن عدوي، ولتنصحن سرًا وعلانية، فإذا قال نعم.

(٢٨٩) تاريخ الطبري ١٩٦/٤، المنتظم ٢٠٩/٧، وهناك روايات أخرى كثيرة في هذا الصدد وردت في كتب المؤرخين انظر: أبو الفرج الأصفهاني ت سنة٣٥٩هـ - مقاتل الطالبين – هيئة قصور الثقافة سنة٢٠٠٣م، تحقيق: السيد أحمد صقر ١٣٥/١، المعارف ٣٦٥/١، اليعقوبي ٣٢٥/٢، ٣٢٦، المحن ٢٥٥/١.

(٢٩٠) كان محمد بن علي الباقر أخو زيد بن علي – رضي الله عنهما – يأخذ على أخيه زيد كونه قرأ على واصل بن عطاء وتتلمذ له واقتبس منه مع كونه يجوز الخطأ على جده علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لسبب خروجه إلى حرب الجمل والنهروان، ولسبب أن واصلا كان يتكلم في القضاء والقدر على خلاف مذهب أهل البيت، الشهرستاني – الملل والنحل ١٥٦/١، الوافي بالوفيات ٢٢/١٥.

(٢٩١) الدولة الأموية للصلابي ٤٩٠/٢، تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم ٣٤٥/١ – ٣٤٦.

(٢٩٢) تاريخ الطبري ١٩٦/٤، تاريخ دمشق ٤٦٧/١٩، المنتظم ١٣٣/٣، بغية الطلب ٤٠٣٥/٩ الكامل في التاريخ ٤٤٥/٤، البداية والنهاية ٣٥٩/٧.

(٢٩٣) سمط النجوم ١٦٣/٤، علي بن محمد بن عبد الرحمن الروحي – بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء – مكتبة الثقافة الدينية – ط سنة٢٠٠١، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب ص٦٩ – ٧٠.

مسح بيده على يده، وقال: اللهم فاشهده، فبايعه على ذلك قرابة الأربعين ألفا بالكوفة، فاستعد وتهيأ للخروج[٢٩٤].

لما شاع أمر زيد بالخروج على الأمويين، اعترض عليه كثير من أهله ومن يخاف عليه من أهل بيته ومن خارجه وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي كتب إليه: (أما بعد، فإن أهل الكوفة نفخ في العلانية، خور في السريرة، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم... وما لهم إلا ما قال علي بن أبي طالب لهم: إنكم يا أهل الكوفة إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام ضعنتم، وإن أجبتم إلى مشقة نكصتم[٢٩٥]).

وجاءه سلمة بن كهيل من علماء الشيعة[٢٩٦] وقال له: إن كان قد بايعك أربعون ألفا من أهل الكوفة، فقد بايع جدك منهم ثمانين ألفا، ولم يثبت معه سوى ثلاثمائة؟ أنت خير أم جدك؟ أذلك القرن خير؟ أم قرن جدك؟ فلم يسمع له فاستأذنه سلمة أن يخرج إلى اليمامة[٢٩٧]. وجاءه ابن عم له هو داود بن علي ينصح له بعدم الخروج وأن وعو. أهل الكوفة غرور، ونصرهم خذلان، فقد خذلوا جده عليا بن أبي طالب والحسن ابنه من بعده ثم الحسين الذي خذلوه ثم أسلموه ولم يكتفوا بذلك بل قتلوه، فلما لم ينتصح زيد تركه وعاد إلى المدينة[٢٩٨].

وكان موقف زيد هنا أشبه تماما بموقف جده الحسين بن علي لما عزم أن يخرج من الحجاز إلى العراق، وتصدى له الناصحون من أهل بيته وعترته وعموم المسلمين فلم ينتصح لهم – في بادئ خروجه – فلاقى مصيره المحتوم، سعيدًا – رضي الله عنه – وهكذا حفيده زيد الذي استمر في حشد الأنصار تحت سمع وبصر رجال الدولة الأموية الذين كانوا يرقبون تحركاته، وتنقلاته بالكوفة من قبيلة لأخرى لاسيما قبائل بني عبس وبني هند[٢٩٩] وبني تغلب وغيرهم، والأمويون عليه صابرون عساه أن ينتصح للناصحين، ويثوب إلى رشده، خاصة وأن الأمويين بنو عمومه لبني هاشم[٣٠٠].

(٢٩٤) مقاتل الطالبيين ١٣٥/١، البدء والتاريخ ٤٩/٦، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٥، الكامل في التاريخ ٤٤٦/٤، العبر للذهبي ١٥٤/١، ابن خلدون ١٢٣/٣، سمط النجوم ١٦٣/٤. ضحى الإسلام ص٢٧١، مقتل العرب في صراعاتهم ص١٠٧٩ الأوضاع السياسية والاجتماعية في البصرة والكوفة ص١١٠: ١٢١.

(٢٩٥) تاريخ الطبري ١٩٨/٤، المنتظم ٢١٠/٧، الكامل في التاريخ ٤٤٧/٤، تاريخ ابن خلدون ١٢٣/٣، سمط النجوم ١٦٤/٤.

(٢٩٦) هو سلمة بن كهيل بن الحصين بن تمارج بن أسد بن مالك بن أحسبين، وأحسبين قبيلة من حضر موت، وقد تشيع سلمة وسكن الكوفة، الأنساب ٨٩/١، تاريخ دمشق ١٢١/٢٢، شذرات الذهب ١٥٩/١، محمود شاكر الدولة الأموية لمحمود شاكر ص ٢٦٨.

(٢٩٧) المنتظم ٢٠٩/٧، الكامل في التاريخ ٤٤٦/٤.

(٢٩٨) تاريخ الطبري ١٩٧/٤، المنتظم ٢١٠/٧، الكامل في التاريخ ٤٤٧/٤.

(٢٩٩) نسبة إلى هند بن حزام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة، تاريخ دمشق ٤٨٩/١١، تاريخ حلب ٣٨٣٧/٨، البداية والنهاية ٣٤٧/٢.

(٣٠٠) كان عترة أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – من بعده موضع احترام وتقدير حتى من يزيد بن معاوية الذي حاول كثيرا منع الحسين من الخروج عليه، فخاطب كبار بني هاشم ليمنعوه فلم يفلحوا، وكانت سياسة

أمر زيد أصحابه بالاستعداد للخروج، وأخذ كل من كان يريد الوفاء له بالبيعة بالتجهز للنفرة معه، وعند هذه الدرجة من الاستعداد والجاهزية لأنصاره، كانت درجة جاهزية واستعداد والي العراق يوسف بن عمر للتصدي لسحق هذا التمرد الذي بلغ حد الثوران سنة ١٢١هـ/٧٣٨م. وبدلا من أن ينقض أنصار زيد على خصومهم، انقض الشيعة منهم على زيد يستفتونه في أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم جميعًا - الذين قد نهاهم عن سبهم وطعنهم والتبرؤ منهم قائلاً "إن البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان هي براءة من علي بن أبي طالب، والبراءة من علي براءة من أبي بكر وعمر وعثمان" [(٣٠١)]. وكانت الشيعة حتى هذا التوقيت من سنة ١٢١ هـ فرقة واحدة، ولم يكن لها مسمى آخر غير الشيعة، فلم يكن أحد يعرف بالإمامية أو الرافضة أو غير ذلك، وكان الشيعة أصحاب علي – رضي الله عنه – يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان، وظل الوضع حتى أواخر خلافة هشام بن عبد الملك لما خرج عليه زيد ابن علي بن الحسين بالكوفة، واتبعه الشيعة الذين بدأوا يطعنون في الشيخين فنهاهم، فلم يعجب هذا القول طائفة منهم فرفضوا هذا الرأي منه فيهما – رضي الله عنهما – فقال لهم زيد رفضتموني، رفضتموني، فسموا بالرافضة أو الروافض[(٣٠٢)]، وتركوه وتولوا أخاه أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين، وسموا الرافضة الإمامية[(٣٠٣)] في حين أن باقي القوم من الشيعة الذين قبلوا بمقالة زيد في الشيخين، وهي "إن كان علي بن أبي طالب أفضل منهما – رضي الله عنهم – لكن لمصلحة رآها بولايتهم الثلاثة قبله، فولاية المفضول نافذة، وإن كان هناك من هو أفضل منه إذا عقدت له، حتى لا يستباح ما لا يباح وحتى لا تشتت الكلمة ويفرق أمر الأمة"[(٣٠٤)] وسميت هذه الطائفة بالزيدية والتي تفرقت إلى ست فرق [(٣٠٥)].

عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- تجاه العلويين طيبة من بعد، فقد أعاد لهم حقوقهم الاجتماعية والمالية، ووزع عليهم الخمس، ورد إليهم فدك خاصة ولد فاطمة، وأمر عامله على المدينة أن يوزع على ولد علي ابن أبي طالب عشرة آلاف دينار، حتى قالت فاطمة بنت الحسين بن علي"لو بقي لنا عمر ما احتجنا إلى أحد". انظر/ عماد الدين خليل. ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز – الدار العلمية بيروت سنة ١٩٧١ – ط٢ ص٩٢ – ٩٣.

(٣٠١) تاريخ بغداد ٨٩/٢، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية – الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في البصرة والكوفة في العصر العباسي الأول – رسالة دكتوراة – كلية دار العلوم القاهرة سنة ١٩٩١م – ص ١١٠.

(٣٠٢) ابن تيمية مؤرخا ص٤١٣، الأوضاع السياسية والاجتماعية بالبصرة والكوفة ص١١٠: ١٢١.

(٣٠٣) مجموعة الفتاوى ٢١/١٣، الأوضاع السياسية الاجتماعية بالبصرة الكوفة ص١٢١ -١٢٤.

(٣٠٤) العواصم من القواصم ٢٣٢/١، مقدمة ابن خلدون ١٩٧/١.

(٣٠٥) هي الجارودية والبترية والسليمانية ثم الكيسانية والإمامية والكاملية، منهاج السنة النبوية ٩٦/٢، ٤٧١/٣: ٤٧٨، أيضا ابن تيمية مؤرخا ص٤١٥ وعن هذه الفرق الست، ومعتقداتها ونشأتها انظر مقالات الإسلاميين ص٦٥، الفهرست ٢٥٣/١، الفرق بين الفرق ٣٦، ٤١، الملل والنحل ص١٥٥ – ١٥٦، الأنساب ٢٨٠/١، الوافي بالوفيات ٢٢/١٥ محمد علي الفاروقي التهانوي – كشاف اصطلاحات الفنون – المؤسسة المصرية للترجمة والنشر سنة١٩٦٣- تحقيق لطفي عبد البديع، ١١٣/٣١.

وضعت الأقدار زيدا مع الشيعة في هذا الاختبار – كما وضعت قبله عبد الله إبن الزبير مع الخوارج لما سألوه عن عثمان وعلي – رضي الله عنهما – فتولاهما وترحم عليهما، ففارقوه وتركوه أمام سيوف الحجاج، وكان هذا من المآخذ التي أخذت على إبن الزبير، فلم يفلح في استمرار جوار الخوارج له وهم الذين دافعوا معه عن حرمة الحرم، وكان بإمكانه أن يتحاور مع الخوارج ثم يتفاهم معهم ويعذروا بعضا في أمور الاختلاف لاسيما وأن الخلاف يكمن في قضية فرعية، والأمر نفسه بالنسبة للشيعة مع زيد بن علي – الذي كان لزاما عليه أن يستوعب الانشقاق الذي حدث في صفه لاسيما قبيل المعركة، فكان يجب أن يعالج هذه القضية الفكرية بالحوار والتفاهم والتعاون، حتى يحتوي المنشقين، الذين بالتأكيد لم يظهروا فجأة قبل بدء المعركة مع الخصوم، ولابد أن هذا الانحراف الفكري المفاجئ لثلة من شيعته كانت له ظواهر قبل الحرب وكان عليه أن يحيط بها ويرصدها ويناقشها مع أتباعه بمساعدة معاونيه، لاسيما وأنه من المحتمل أن هذه الأفكار التي تبناها هؤلاء قد تكون مدسوسة على زيد من خصومه إما الأمويين الذين كان لهم باع طويل في بث بذور الشقاق في صفوف أعدائهم خاصة المهلب مع الخوارج، وإما دعاة العباسيين في الكوفة حينئذ الذين آثار مخاوفهم سرعة التفاف الشيعة حول زيد بهذه السرعة وهذه الأعداد الضخمة مما يهدد مشروع العباسيين الضخم، ويسحب منهم الأنصار خاصة من الشيعة عماد دعوتهم ووقودها، فربما عمدوا إلى نسج خيوط هذه الخطة لإفشال تمرد زيد، لينفض الناس من حوله بأن دسوا له يوم المعركة من الأمويين من يسأله عن موقفه من الشيخين وهو يعرف سلف الإجابة فيعترضون ويأخذون هذا الموقف الذي حدث بالفعل(٣٠٦).

على كل حال تمخض الموقف عن ترك الرافضة زيدا وحده ليواجه الأمويين، وكان يوسف بن عمر يترصد لحظة خروج زيد من عيونه، فأخبر يوسف زيدًا بما قد خططه مع شيعته ليستعجل خروجه، وقد كان أن قرر زيد أن يتعجل الخروج قبل الموعد المضروب، فأسرع والي الكوفة في ذلك اليوم فدعا الناس إلى المسجد الجامع ثم أغلقه عليهم، ومنعهم من الخروج بالقوة، في يوم كان برده شديدا، حتى أنهم باتوا ليلتهم

(٣٠٦) ذكر الدينوري في أخباره: أن محمدا بن علي بن عبد الله بن العباس، لما علم بنجاح زيد بن علي الهاشمي في تجميع الأنصار من الشيعة بالكوفة، خاف على مشروع العباسيين في تحويل الخلافة من الأمويين إلى العباسيين تحت شعار الرضا من آل البيت، وهذا ما حمل محمد بن علي، على أن يطلب من بكر بن ماهان – وكان يتولى الدعوة في العراقيين – أن يخذل الناس عن زيد، حين قال له (أظلكم خروج رجل من أهل بيتي بالكوفة يغتر في خروجه كما اغتر غيره، فيقتل ضيعة ويصلب، فحذر الشيعة قبلكم أمره) وبالفعل انصاع بكير للأمر، ورجع إلى الكوفة وأمر أصحابه بالخروج منها إلى الحيرة كي يحول بينهم وبين المساهمة في القتال إلى جانب زيد، ولم يعودوا منها إلا بعد مقتله. انظر عن ذلك بالتفصيل الأخبار الطوال من ٣٣٦: ٣٤، أيضا الأنساب ٦٣٥/٥، الوافي بالوفيات ١٧١/١٠، تاريخ اليعقوبي ٣٢٥/٢، أيضا الدولة الأموية للصلابي ٤٩٥/٢ – ٤٩٦.

مرتجفين من شدة الزمهرير(٣٠٧)، فلما نادى زيد بالخروج مع أصحابه الذين بقوا على ولائهم وتبعيتهم له لم يجد سوى ما يقرب من مائتي رجل، فأقبل بهم على قلتهم إلى المسجد وفتح لهم الأبواب، ودعاهم للخروج فاعتذروا إليه بسبب ما أصابهم من البرد في تلك الليلة، في حين كان جيش من أهل الشام قد خرج من الحيرة متجها إلى الكوفة لاحتواء التمرد العلوي، فخرج إليه زيد ومن ثبت معه، وقاتل قتالا شديدا.

وهو يتمثل قول الشاعرشامة بن عمرو:(٣٠٨)

هوان الحياة وخزي الممات * وكلاً أراه طعما وبيلا
فإن لم يكن غير أحدهما * فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تهلكوا وبكم منة * كفى بالحوادث للمرء غولا(٣٠٩)

وزاحم زيد بشجاعته سهام الأمويين، إلا أنه في نهاية اليوم انهزمت طائفته وخرج بسهم في جبهته، ولم يخرج لهم منه إلا وروحه معه، فدفنه أصحابه في ساقية ماء وأجروا على قبره الماء ثم زرعوا الحشائش إمعانا في التمويه في مكان القبر عن الأمويين، إلا أنهم عرّفوه مكانه عن طريق الحجام الذي كان يستخرج له السهم من جهته فاستخرجوا الجسد وبعثوا برأسه إلى هشام، وصلب جسده(٣١٠).

ولما وصلت رأس زيد إلى هشام استاء من قتله فكان لا يحب القتل حتى قال الناس عنه: "ما رأينا أحداً من الخلفاء أكره إليه من الدماء ولا أشد عليه من هشام"(٣١١). ولما وصلت رأس زيد قال: "وددت أني كنت قد افتديته"(٣١٢). ومن هذا يتضح أن هشاما لم يأمر ولم ينصح بأن يصلب زيد عريانا، أو غير عريان كما تشير بعض الروايات التاريخية(٣١٣).

(٣٠٧) العبر للذهبي ١٥٤/١، مرآة الجنان ٢٥٧/١، البداية والنهاية ١٠٩/٩، تاريخ ابن خلدون ١٤٤/٤، شذرات الذهب ١٤٣/١، ١٥٨، سمط النجوم ٤٠٤/٣.

(٣٠٨) هذا الشعر من كلام الشاعر شامة بن عمرو بن ربيعة بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف، انظر طبقات فحول الشعراء ٧٢٦/٢.

(٣٠٩) غولا: أي: هلاكا، انظر لسان العرب ٥٠٧/١١.

(٣١٠) تاريخ خليفة ٢٥٣/١، المعارف ٣٦٥/١، المحن ٢٥٥/١، ٢٦٩، ٢٧١ تاريخ الطبري ١٩٨/٤، ٢٠٤، المنتظم ٣٣٣/٦، تاريخ دمشق ٤٦٤/١٩، الكامل في التاريخ ٤٥٢/٤ التاريخ الإسلامي، على إبراهيم حسن ص٣٢٥، تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ص١٣٥.

(٣١١) الطبقات الكبرى ٣٢٦/٥.

(٣١٢) نفسه ٣٢٦/٥.

(٣١٣) المحن ٢٦٩/١، ٢٧١ تاريخ الطبري ١٩٨/٤، ٢٠٤، الكامل في التاريخ ٤٥٢/٤، البداية والنهاية ١٠٩/٩ (كانت الشيعة تسمى زيداً (بزيد المهدي) فرد عليهم الشاعر الأموي الأعور الكلبي يقول لهم:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يصلب

الكامل للمبرد ٢٣٦،٣ – ٢٣٧. يروي القلقشندي (أن رأس زيد حملت بعد الصلب إلى مصر، ودفنت بين مصر والقاهرة في المشهد الذي بين الكيمان الآن والمعروف بمشهد الرأس) مآثر الإنافة ١٥٢،١.

وبمقتل زيد في ٢ صفر ١٢٢ هـ ٧٤٠م انتهت حركته التي تمخضت عن انشطار الشيعة إلى فرق متعددة. وانشطار الفرق إلى فرق من داخلها. وحقيقة المقال أن حركة زيد بن علي كانت حبلى بعوامل موتها مبكرا، فمن ذلك:

أن زيدا لم يستفد من حركات التمرد العلوية والشيعية التي سبقته، مثل حركة جده الحسين -رضي الله عنه- والتوابين والمختار، فلقد تشابهت عوامل الاخفاق بين هذه الحركات كلها، فإنها حركات قامت على الرابطة العاطفية القلبية فقط، التي سرعان ما تنقص فتضعف ثم تنطفئ تدريجيا إما للشبهة أو الشهوة أيا كان نوعها، إن لم يتوافر بجانبها رابطة التنظيم ورابطة وحدة الفكرة والفهم، فزيد سرعان ما التف حوله أربعون ألف شيعي دفعة واحدة، كان على زيد كرجل صاحب هدف وحركة تغيير أن يستثمر هذه العاطفة ويوظفها تنظيميًا كأن يكون كل فرد أو قبيلة في مكانها الذي يستفاد منه أقصى استفادة، ويوزع عليهم الأدوار والمهام، ثم يعمل على توحيد المنهج لأبناء حركته، ويوحد فهمهم، خاصة في القضايا الأصولية، ويعالج فيهم – قبل المعركة – الشبهات التي تثار وسط الصف فتمزقه، كما حدث قبيل المعركة، خاصة وأنه استمر وسطهم نحوا من خمسة عشر شهرا، فكان عليه أن يقود معركة تربوية وتنظيمية معهم، قبل أن يقود المعركة العسكرية مع خصومه. وكان من أسباب إخفاق زيد أيضا أنه غاب عنه ما غاب عن التوابين والمختار قبله، من إمكانية الاستفادة من حركات المعارضة أو القوى المعارضة للحكم الأموي، فكان على ابن صرد والمختار أن ينسق كل منهما مع ولاة ابن الزبير في العراق ويوحدوا الجهود والعتاد ويقفوا صفًا واحدا ضد عبيد الله ابن زياد وهو ما لم يتم وهكذا زيد كان لزاما عليه أن ينسق مع دعاة العباسيين في الكوفة[٣١٤]. التي كانت إحدى القواعد الرئيسة التي اعتمدوا عليها في نشر دعوتهم، وبذلك كانت الكوفة في وقت تمرد زيد سنة١٢٠هـ/٧٣٧م، مسرحًا لدعوتين تعملان في وقت واحد، لكن لكل منهما دعاتها وأنصارها، وإن كانتا تشتركان في هدف من الأهداف الخاصة بكلتيهما وهو الإطاحة بحكم بني أمية، والمتتبع لسياسة زيد بن علي في الكوفة لا يلمس أي بادرة تنسيق أو اتصال للتعاون بينه وبين بكير بن ماهان كبير دعاة العباسيين بالكوفة[٣١٥]، بل

(٣١٤) يقطع المؤرخون أن عهد عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- سنة٩٩- ١٠١هـ كان عهد رخاء وحرية للعلويين، العامل الذي اتخذوه دعاة العباسين لتأليف جماعات سرية تهدف للقضاء على الأمويين، فقد توجه دعاتهم بأمر محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلى مختلف الأقطار يبثون الدعوة وينشرونها، وقد لاقوا في سبيل ذلك أقصى صنوف العذاب وضروب التنكيل، ولم يثنهم ذلك عن الاستمرار في الطريق، بحيث استطاعوا أن يجذبوا إليهم كثيرا من الأنصار والمؤيدين، بفضل براعتهم وخبرتهم بأحوال الناس وتفوقهم عن كثير من الحركات التي سبقتهم أو عاصرتهم بأخذ عامل التربية والتكوين والتنظيم لأنصارهم في كل كورة أو بلد كانوا ينزلون فيه مستخفين بزي التجار وبشعار مطاط هو (الرضا من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم). انظر تاريخ اليعقوبي ٣٢٥/٢ تاريخ الطبري ١١١/٤، الكامل في التاريخ ٣٧٠/٤، ابن خلدون ١٢٦/٣.

(٣١٥) هو بكير بن ماهان الحارثي، كنيته أبو هاشم. أحد دعاة بني العباس، قدم على محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس في البلقاء وأقام عنده، ثم أرسله بعد ذلك كبير للدعاة في الكوفة ثم في خراسان، ولما مات محمد

على العكس كانت العلاقة بينهما علاقة تحاسد الأكفاء حتى إن الدينوري ينقل لنا كيف كان العباسيون يعملون على الإطاحة بزيد ويخذلونه ويحذرون الشيعة منه وهو ما حدث بالفعل(316).

ومن العوامل أيضا تجاهل زيد لنصائح الناصحين في شرحهم وتوضيحهم التركيبة الفطرية للشخصية الشيعية بالكوفة، والتي زينت له الخروج وقالوا له: "إنك لأنت المنصور وأن هذا الزمان هو الذي تهلك فيه بنو أمية... ونحن أربعون ألفا لن يتخلف عنك أحد، نضرب عنك بأسيافنا، وليس ههنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة، بعض قبائلنا يكفيكهم بإذن الله، وحلفوا له بالأيمان المغلظة"(317). وكان زيد مع ذلك يعلم هذه النفسية الغريبة لأهل الكوفة، ومع ذلك صدق تزيينهم له وتهوينهم من الأمر لعدوه فسقط في شباكهم وهو يعلم كذبهم حيث قال معقبا "إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي فيحلفون له"(318). وهكذا استضعف زيد - بتحريض الشيعة - قوة الأمويين، ومن استضعف عدوه اغتر، ومن اغتر ظفر به عدوه(319) ولذلك تسرع في الخروج فقتلته العجلة التي كثيرا ما أهلكت أهل هذا البيت(320). على حد قول الحافظ الزهري(321).

تمرد/ يحيى بن زيد بن علي بن الحسين(322) بالجوزجان(323) سنة١٢٥هـ/ ٧٤٣م

انقسمت الزيدية بعد موت زيد بن علي إلى طوائف عدة، فظل فريق منهم على ولائه لزيد، فبايعوا ابنه يحيى، حيث قال له رجل من بني أسد، إن لكم في خراسان شيعة وأشار عليه أن يخرج إليها، فسأله: وكيف لي ذلك؟ فأشار عليه أن يتوارى حتى يسكن عنه الطلب، ثم خرج به هذا الرجل إلى رجل من بني أمية هو عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم لقرابة تربط بين زيد وبين عبد الملك ليجيره فأجاره حتى سكن الطلب

سنة١٢٥هـ قدم على إبراهيم بن محمد الإمام فوجهه إلى خراسان مرة ثانية من قبله ومات سنة١٢٧ هـ. انظر الأنساب ٦٣٥/٥، تاريخ دمشق ٣٨٨/١٠، الوافي بالوفيات ١٧١/١٠.

(٣١٦) الأخبار الطوال ص٣٣٦.

(٣١٧) الكامل في التاريخ ٤٤٦/٤، المنتظم ٢٠٩/٧.

(٣١٨) تاريخ الطبري ١٩٧/٤، الكامل في التاريخ ٤٤٧/٤، المنتظم ٢١٠/٧.

(٣١٩) سمط النجوم ٣٥٣/٣.

(٣٢٠) لما علم الحافظ الزهري بمقتل زيد قال وهو يبكي (أهلك أهل هذا البيت العجلة) انظر تاريخ دمشق ٤٧٩/١٩.

(٣٢١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري القرشي من أحفظ أهل زمانه للسنة توفي سنة١٢٤هـ انظر: مشاهير علماء الأمصار ٦٦/١.

(٣٢٢) هو يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه هي ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية، أحد أبطال العلويين الأشداء، ولد سنة٨٨هـ وقتل سنة١٢٥هـ وعمره يومئذ ٣٧ عاما وليس له عقب. ولكن أثبت إبن جبير أنه أنجب بنتا سماها زينب وهي التي لها مشهد بالقاهرة، تاريخ دمشق ٢٢٤/٦٤، وفيات الأعيان ١٢٣/٥، ١١١/٦، سير أعلام النبلاء ٣٩١/٥، رحلة إبن جبير ٤٩/١.

(٣٢٣) الجوزجان كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ. معجم البلدان ١٨٢/٢.

عنه، فخرج يحيى في نفر من الزيدية إلى خراسان، ولما علم يوسف بن عمر به كان يهدد أهل العراق إن وجد يحيى عند أحدهم فيقول: "يا أهل العراق إن يحيى بن زيد ينتقل في حجال(٣٢٤) نسائكم، كما كان يفعل أبوه... وهددهم ونمهم"(٣٢٥).

خرج يحيى سنة١٢٥هـ/٧٤٢م إلى خراسان فأتى بلخا(٣٢٦)، وأقام عند الحريش بن عمرو بن داود حتى مات هشام بن عبد الملك، وتولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك(٣٢٧)، ١٢٥- ١٢٦ هـ ٧٤٢- ٧٤٣ م فعلم به والي خراسان نصر بن سيار وبمنزله، لما أخبره يوسف بن عمر بتحركات يحيى، وأمره أن يأخذه أشد الأخذ، فطلب نصر الحريش وسأله عن يحيى فقال لا أعلم به، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فجلده ستمائة جلدة وكاد أن يموت لولا شفقة ابنه قريش بن الحريش عليه الذي أخبرهم بمكان يحيى، فتم القبض عليه، وأرسل نصر للخليفة الوليد يخبره، فكتب إليه الوليد أن أمنه وخلِّ سبيله هو ومن معه، فأطلق نصر سراحه، وأعطاه ألفي درهم وأمره أن يلحق بالوليد في دمشق(٣٢٨).

خرج يحيى من خراسان إلى سرخس(٣٢٩) فأقام بها بدلا من أن يذهب إلى دمشق، فكتب نصر إلى واليها فسيره عنها، فسار حتى انتهى إلى بيهق(٣٣٠)، فخاف أن يغتاله يوسف بن عمرو فعاد إلى نيسابور(٣٣١) ومعه أصحابه الـ سبعون رجلاً، فرأى قافلة من

(٣٢٤) مفرد حجلة وهي بيت للنساء يزين بالثياب والأسرة والستور يبنى كالقبة به أزرار كبار، لسان العرب ١٤٤/١، مختار الصحاح ٥٣/١.

(٣٢٥) تاريخ الطبري ٢٠٩/٤، الكامل في التاريخ ٤٥٦/٤.

(٣٢٦) بلخ مدينة عظيمة من بلاد خراسان كانت تسمى قديما بالإسكندرية، فتحها الأحنف بن قيس التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم والوقار، فتحها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر/ محمد بن أحمد المقدسي – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – وزارة الثقافة – دمشق – سنة ١٩٨٠م - تحقيق/غازي طليمات، ٢٣٠/١، معجم البلدان ٤٧٩/١، وفيات الأعيان ٣٥٩/١، ٤٦١/٢، الوافي بالوفيات ٢٠٥/١٦، أبجد العلوم ١٦٢/٣.

(٣٢٧) هو أبو العباس، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، كان يلقب بـ (المكتفي بالله). أمه هي أم الحجاج بنت محمد يوسف أخي الحجاج بن يوسف بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة١٢٥هـ ولم يل الخلافة من بني عبد الملك أسن منه لأنه وليها بعد مجاوزة سن الأربعين، وبقي في الخلافة حتى مات قتيلا عند قصر النعمان بن بشير، مآثر الإنافة ١٥٦/١ ـ ١٥٧.

(٣٢٨) تاريخ اليعقوبي ٣٢٦/٢: ٣٣١ تاريخ الطبري ٢٣٣/٤، الكامل في التاريخ ٤٥٥/٤، ٤٧١، بغية الطلب ٤٠٤٦/٩، البداية والنهاية ٢٣١/٩، ٦/١٠.

(٣٢٩) سرخس مدينة قديمة من نواحي خراسان في الوسط بين نيسابور ومرو، معجم البلدان ٢٠٨/٣.

(٣٣٠) بيهق عدة قرى مجتمعة من نواحي خراسان، تشمل ٣٢١ قرية، بين نيسابور وقومس وجوين. معجم ما استعجم ٢٩٩/١، معجم البلدان ٥٣٧/١، أبجد العلوم ١٥٣/٣.

(٣٣١) نيسابور، هي إحدى مدن أربع تمثل قواعد خراسان (نيسابور، بلخ، مرو، هراة) ونيسابور يقال لها دمشق الصغيرة بكثرة فواكهها وبساتينها وكثرة مياهها، فتحها الأحنف بن قيس في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وانتقضت في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ففتحها عبد الله بن عامر بن كريز مرة أخرى صلحًا. انظر أحسن التقاسيم ٢٣٣/١، معجم البلدان ٣٣١/٥ رحلة ابن بطوطة ٢٣٣/١.

التجار هناك فاستولى هو وأصحابه على دوابهم، فكتب واليها عمرو بن زرارة إلى نصر بما أحدثه يحيى فأمره بمحاربته(٣٣٢).

وبالفعل استجاب عمرو لأمر نصر، فخرج على رأس جيش من عشرة آلاف رجل، وواجه به يحيى بن زيد وليس معه سوى سبعين رجلاً، وعلى الرغم من ذلك هزمه يحيى وقتله، وغنم منه دواباً كثيرة، وسار بها حتى مر بهراة(٣٣٣). فلم يعرض لها وسار عنها، حتى وصل الجوزجان، في حين أن نصراً بن سيار لما علم بمقتل عمرو وهزيمة جيشه، أمر والي الإقليم سالم بن أحوز أن يطارد يحيى ويقتله، وقد كان ما أمر به، فقد لحق أسلم بيحيى في الجوزجان فقاتله قتالا شديدا، أصيب على إثره يحيى بسهم في صدغه عند قرية يقال لها: أرعونة فقتل ودفن بها بعد الصلب، وقتل أصحابه عن آخرهم، وقطعت رأس يحيى وصلب جسده، وظل مصلوبا حتى أنزله أبو مسلم الخراساني(٣٣٤) لما ظهرت الدعوة العباسية واستولى على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه سنة١٣٢هـ/٧٤٩م(٣٣٥) وانتهى تمرد يحيى بن زيد كما انتهى تمرد سابقيه ووالده زيد، وإن كان يحيى قد أبدى بالسبعين معه شجاعة نادرة، استطاع أن يهزم بها جيشا من عشرة آلاف – كما كان الخوارج يفعلون دائما مع كثير من جيوش الدولة – وأوفى لأبيه بقسمه الذي قطعه على نفسه ليكمل من بعده المسيرة على دربه "أقاتلهم حيث قال له: والله لو لم أجد إلا نفسي(٣٣٦)". إلا أن يحيي قاد التمرد بنفس الوتيرة التي قاد بها أبوه تمرده، فقد اعتمد على شجاعته وحماسته هو ومن معه من نفر يسير، دون أن يعد العدة الشاملة والكافية للتمرد من عدة وعتاد وتخطيط وتدريب وحشد الأنصار، وتسويق بين الناس لعدالة قضيته كوريث شرعي ومطالب بحق آل البيت في الخلافة، ولكن شيئا من هذا لم يحدث، فقدم نفسه للهلاك معتمدا على شجاعته وحماسته وعاطفة أهله من الشيعة الذين بلغوا سبعين رجلا،

---

(٣٣٢) البدء والتاريخ ٥٣/٦، ٦٣، تاريخ دمشق ٢٢٤/٦٤: ٢٢٩، معجم الأدباء ٣٣/٥. الكامل في التاريخ ٤٧٢/٤.

(٣٣٣) هراة من أمهات مدن خراسان، ومن أعظم وأجل مدنها، بها بساتين ومياه غزيرة ومحشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء، انظر، محمد بن عبد الله الإدريس – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – عالم الكتب بيروت سنة١٩٨٩ ط١، ٤٧/١، معجم البلدان ٣٩٦/٥.

(٣٣٤) كان أبو مسلم الخراساني غلاما صغيرا يخدم يونس بن عاصم العجلي في خراسان، وكانت تظهر عليه علامات النجابة والفراسة، فأعجب بشهامته وقوته بكر بن ماهان سنة١٢٥هـ فاشتراه فكان لا يوجهه إلى مكان إلا ذهب ونتج ما يوجهه إليه، ثم أرسله في موسم الحج بأمانات إلى إبراهيم الإمام بن محمد بن علي، فاصطفاه لخدمة الدعوة العباسية، وأرسله إلى خراسان داعية لبني العباس، وكان ظهور الدعوة العباسية في خراسان على يديه، فكان أول من عقد الرايات السود، وسود ثيابه، وخرج من خراسان، فوطأ لبني العباس سلطانهم، البدء والتاريخ ١٧٥/٢، ٩٢/٦، الكامل في التاريخ ٤٦٢/٤، البداية والنهاية ٣٤٠/٩.

(٣٣٥) تاريخ الطبري ٢٣٣/٤، البدء والتاريخ ٥٣/٦، ٦٣ الكامل في التاريخ ٤٧٢/٤، شذرات الذهب ١٦٧/١، سمط النجوم ١٦٧/٤.

(٣٣٦) ناجي حسن – ثورة زيد بن علي – الدار العربية للموسوعات ط١ سنة٢٠٠٠م، ص١٣٧.

وهي عدة لا تكفي لمواجهة مجموعة لصوص أو قطاع طرق ناهيك عن مواجهة دولة مترامية الأطراف لها جيوش في كل مدينة لا يقل الجيش الواحد عن عدد الجيش الذي واجه يحيى سواء الذي هزمه هو أو الذي هزم أمامه.

ورغم ذلك كله إلا أن تمرد يحيى – إلى جانب تمرد أبيه سابقا – قد مهد بطريق غير مباشر للقضاء على الدولة الأموية، حيث إن العباسيين استثمروا تعاطف الناس مع يحيى بعد مقتله في خراسان فكانوا يبكون عليه بكرة وعشية، وعبأوا أهلها لنصرة آل البيت، وأصلوا فيهم بهذه الأحداث العداء للأمويين(٣٣٧)، فقد استفاد العباسيون من هذه العواطف والمشاعر التي تفجرت، ووظفوها لصالحهم من خلال دعاتهم في خراسان(٣٣٨)، وهو ما كان ينقص زيد بن علي وابنه يحيى، ومن سبقوهم على درب التمردات على الأمويين. كما وجه تمرد يحيى نظر دعاة التشيع في الكوفة – والذين كانوا أنصاراً للعباسيين - إلى ضرورة تحويل مركز حركتهم من الكوفة إلى ميدان جديد أصلب عوداً، وأكثر إخلاصا وأصدق عملاً، فاتجهوا إلى ميدان خراسان، ففيها انتشرت خلايا دعوتهم، وكانت مركزًا لانطلاق الدعوة العباسية على يد أبي مسلم الخراساني(٣٣٩).

كما أن شعار السواد التي اتخذه أبو مسلم بعد ذلك كشعار للعباسيين إنما استمده من حزن أهل خراسان على زيد وابنه يحيى(٣٤٠). فقد لبسوا عليهما السواد مع البكاء والعويل الذي يأتي للشيعة دومًا بعد فوات الأوان.

تمرد عبد الله بن معاوية الطالبي(٣٤١)، بالكوفة وفارس(٣٤٢) سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م

---

(٣٣٧) ثورة زيد بن علي ص١٣٧ – ١٣٨.

(٣٣٨) الدولة الأموية للصلابي ٢/٤٩٨.

(٣٣٩) د/محمد عبد الحميد الرفاعي – دراسات في العصر الأموي – دار الثقافة العربية – القاهرة سنة ١٩٩٣هـ ص١٢٨.

(٣٤٠) ثورة زيد بن علي ص١٣٨.

(٣٤١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الشهيد الطيار بن أبي طالب، من شجعان الطالبين كان شاعرا، إلا أن الشيعة نسجت عليه بعد مقتله أساطير وخرافات وبدعًا كثيرة ونسبت إليه أقوالا تول إلى الكفر الصريح. ولكن من خلال روايات كثير من المؤرخين لم نرى له في حياته ما يدل على ذلك إلا بعد وفاته، فقد قاتل معه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو جعفر المنصور وعبد الله بن أخيه عيسى وغيرهم. فلو كان عبد الله بن معاوية يقول بما نسب إليه من حلول روح الإله منه إلى آدم ثم في الأنبياء ثم علي بن أبي طالب ثم أولاده الثلاثة فيه هو كما زعمت الشيعة بعده، لما قاتل معه هؤلاء وغيرهم، إلا أنه مع ذلك نجد بعض أصحاب الملل والنحل يكادون يجمعون على صحة ما نسبت إليه الشيعة. في حين أن كثيرًا من المؤرخين لا يروون رواية واحدة على لسانه أو في حياته تثبت ذلك. وهو ما نراه أقرب إلى الصواب. تاريخ خليفة بن خياط ١/٣٧٥، المعارف ١/٢٠٧ تاريخ الطبري ٤/٢٧٥، الكامل في التاريخ ٥/٥، الأنساب ١/٢٦١، ومن كتب الفرق انظر/ الأشعري ص٦، الفرق بين الفرق ص٢١٦، الفصل في الملل والنحل ٤/١٨٠، الملل والنحل ١/١٥١.

قدم عبد الله بن معاوية الكوفة في المحرم سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م قاصدًا والي العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وكان بصحبته أخوه الحسن ويزيد ابنا معاوية وأولاده، فأكرمهم إبن عمر وأجرى عليهم رزقا ثلثمائة درهم يوميًا، وظلوا على هذه الحال الطيبة عنده حتى هلك يزيد بن الوليد(٣٤٣)، وبويع لإبراهيم(٣٤٤) أخيه، فاضطرب الشام وخرج عليه مروان بن محمد(٣٤٥) ودخل دمشق، وظفر بإبراهيم الذي سلم إليه الأمر، ووقعت بين الناس بالكوفة فتنة بسبب أن عبد الله بن عمر لم يقسم في العطاء بين الناس بالسوية، وهاجت العصبية، فاستغل بعض الشيعة الحدث واستنفروا الشيعة بالكوفة واجتمعوا إلى عبد الله بن معاوية، وقالوا له: ادع لنفسك، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان(٣٤٦) ويقال إنه هو الذي استثمر اضطراب الأحداث في الكوفة بسبب العصبية، وخرج يدعو لنفسه قائلا: "إني أجد الذي يلي الخلافة من بني هاشم اسمه عبد الله، وليس فيهم من اسمه عبد الله يستحق ذلك غيري"(٣٤٧).

على كل حال بايع أهل الكوفة خاصة من بها من أهل الشام وبني هاشم عبد الله بن معاوية، وصاروا به وأدخلوه إلى قصر الكوفة بعد إخراج عاصم بن عمر بن عبد العزيز منه، والذي لحق بأخيه عبد الله بالحيرة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة، وجاءت إبن معاوية البيعة من المدائن، فجمع الناس حوله وخرج بهم إلى عبد الله بن عمر بالحيرة، فسرح إبن عمر مولاً له يتبرك به لملاقاته ثم لحق به في جيشه، وقد ابيضت

(٣٤٢) بلاد فارس هي أرجان وأردشير ودار بجرد وسابور واصطخر وقاعدتها شيراز، وهي ولاية واسعة وإقليم فسيح، يحدها من أعلى السند ومن أسفله الري، ومن الغرب البحر الفارسي، ومن الشمال خوزستان ومن الجنوب مكران، انظر أحسن التقاسيم ٢٨٢/١، نزهة المشتاق ٣٨٠/١، معجم البلدان ٢٢٦/٤.

(٣٤٣) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان يكنى أبا خالد، ولقبه الشاكر لأنعم الله، أمه شاه فريد بن يزد جرد بن شهران، بويع له بالخلافة في جمادى الأخرى سنة ١٤٦هـ بعد مقتل الوليد بن يزيد وبقي في الخلافة حتى مات بدمشق في ذي الحجة من نفس العام فكانت خلافته قرابة ستة شهور، ولما ولي نقص من أرزاق الناس ما قد زاده الوليد فسماه الناس بيزيد الناقص، انظر، مآثر الإناقة في معالم الخلافة ١٥٩/١، الأوضاع السياسية والاجتماعية في البصرة والكوفة ص ١٢١.

(٣٤٤) هو ابراهيم بن الوليد بن الملك بن مروان يكنى أبا سالم، ولقبه المقتدر بالله، أمه أم ولد اسمها نعمة، بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة١٢٦هـ إلا أنه كان عاجزا ضعيف الرأي، لذلك خلع نفسه وسلم الأمر إلى مروان في صفر سنة١٢٧هـ ثم قتله مروان، وقيل قتل يوم معركة الزاب بين الأمويين والعباسيين سنة١٣٢هـ انظر: مآثر الإناقة ١٦١/١، سمط النجوم ٣٤٢/٣.

(٣٤٥) هو الخليفة الرابع عشر والأخير من خلفاء بني أمية: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، كنيته أبو عبد الملك، لقبه القائم بحق الله، كانت أمة كردية واسمها لبابة، يقال إنه تتلمذ على يد الجعد بن درهم، فكان يعرف بالجعدي، وأيضا بالحمار لشدة تحمله وصلابته وصبره في مواجهة الشدائد التي لاحقت الخلافة الأموية في عهده، فكان شجاعا حازما صابرا على التعب، تولي الخلافة في صفر سنة١٢٧هـ حتى قتله العباسيين في أبي صير بمصر سنة١٣٢هـ وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة، مآثر الإناقة ١٦٣/١.

(٣٤٦) تاريخ الطبري ٤(٧٥)، المنتظم ٢٧٠/٦، الكامل في التاريخ ٥/٥.

(٣٤٧) الوافي بالوفيات ٣٣٧/١٧.

أرض المعركة من كثرة جيش إبن معاوية، فنظر إبن عمر في جيشه وقال من يأتني برأس منهم فله خمسمائة، فاندفعت الناس تأتي بالرءوس من جيش إبن معاوية وكان إبن عمر يفي لهم كما وعد فانهزم الناس وفروا من حول إبن معاوية الذي عاد مهزوما إلى ناحية الكوفة(٣٤٨). وهو يقول تفرقت الظباء عن خداش فما يدري خداش ما يصيد(٣٤٩).

فمر بها فطواها ولم يعرج إليها، ونزل الجبل بالقرب منها ثم اجتمع إليه جمع من أهل الكوفة فتحول بهم إلى المدائن(٣٥٠) فغلب على نواحيها (حلوان والماهين وهمذان وقومس والري وأصبهان). ولحق به هناك العبيد وتلاحق به الشواذ من الناس بتلك النواحي(٣٥١) وأقام بأصبهان، ثم بايع له محارب بن موسى في بلاد فارس وكان عظيم القدر بها، وأنزل بن معاوية دار الإمارة بأصطر فنزل بها وأتاه بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال على النواحي ومنهم أخوه الحسن على الجبال، ويزيد على بلاد فارس سنة١٢٩هـ/٧٤٦م(٣٥٢).

قدم يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري(٣٥٣) واليا على العراق، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابي على الأهواز لحرب بن معاوية، وكان عليها سليمان بن حبيب الذي رفض أن يترك منصبه فعصى الأمر ثم وجه داود بن حاتم لمواجهة نباتة بينما هرب سليمان من الأهواز إلى نيسابور التي كان قد غلب الأكراد(٣٥٤) عليها فطردهم عنها وبايع لعبد الله إبن

(٣٤٨) البداية والنهاية ٣٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ١٤٣/٣ ــ ١٤٤.

(٣٤٩) تاريخ الطبري ٢٧٦/٤، البداية والنهاية ٣٣/١٠.

(٣٥٠) تتكون المدائن من سبع مدن تقع بين أرض الفرات ودجلة، وكان اسمها بالفارسية قبل الفتح الإسلامي سنة١٦هـ توستون فعربها المسلمون إلى المدائن، انظر: محمد بن عبد الله الإدريسي الحموري ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ــ عالم الكتب بيروت سنة١٩٨٩ ط١، ١٦٦/١، معجم البلدان ٧٤/٥ ــ ٧٥.

(٣٥١) الوافي بالوفيات ٣٣٧/١٧ ــ ٣٣٨.

(٣٥٢) تاريخ خليفه ٣٧٥/١، المعارف ٢٠٧/١ تاريخ الطبري ٢٧٧/٤ ــ ٢٧٨، الكامل في التاريخ ٦/٥-٧، البداية والنهاية ٣٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ١٤٣/٣، ١٥١.

(٣٥٣) هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية ــ تصغير معاوية ــ بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك ويقال إبن حممة بدل مالك ينتهي نسبه إلى قيس بن غيلان، يكنى أبو خالد الفزاري، أصله من الشام، كان سخيا في حين كان أبوه بخيلا، كان مشهورا بقضاء حوائج الناس ينفق على المحتاجين الآلف شهريا خاصة من أصحابه، وكان كثير الإطعام والإنفاق في كل ليلة من ليالي رمضان، فكان شريفا مطاعا، مفوها خطيبا أكولا حسن الصوم ولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروان بن محمد يوم غلب على دمشق، وجمع له مروان العراقيين خمس سنوات، وفي ذي القعدة سنة ١٣٢هـ واقع بني العباس فهزموه فتحصن بواسط فحاصره أبو جعفر المنصور أخو السفاح مدة ثم آمنه ثم غدر به وقتله وهو إبن ٤٥ سنة حيث ولد سنة ٨٧هـ المعارف ٤٠٩/١، تاريخ دمشق ٦٥/ ١٣٢٤، معجم البلدان ٣٦٥/٤، وفيات الأعيان ٣١٣/٦، العبر للذهبي ١/(*)، الوافي بالوفيات ١٥/٢٨.

(٣٥٤) الكرد بفتح الكاف في اللغة أي الطرد والدفع، وبضمها تعني جيل من الناس ينتسبون إلى عمرو بن عامر إبن حارثة الغطريف الخزاعي كان يلقب بمزيقياء، لأنه كان يلبس كل يوم حلة (*) يخلعها ولا يلبسها مرة أخرى ويأنف أن يلبسها غيره فيمزقها مع أنه كانت تدخل في نسيجها خيوطا مذهب كان باليمن ثم رحل إلى الشام ويقال إن من نسله الأوس والخزرج، ثم وقع جماعة من نساء في أرض فارس فتناسلوا بها وكثر ولدهم وسموا كرد

معاوية الذي أرسل أخاه يزيداً بن معاوية واليا عليها[٣٥٥]، في حين خرج على إبن معاوية معاونه الأكبر في التمرد محارب بن موسى[٣٥٦] في جمع، وأراد السيطرة على نيسابور فقاتله يزيد بن معاوية وهزمه، فما كان من يزيد بن هبيرة إلا أن بعث نباتة بن حنظلة، وابنه داود بن يزيد بن هبيرة، وعامر بن ضبارة[٣٥٧] وبعث معن بن زائدة من وجه آخر، فقاتلوا عبد الله إبن معاوية في اصطخر[٣٥٨] واشتد القتال واستعر وقتل إبن ضبارة ولكن في النهاية هزموا إبن معاوية وأسروا من جيشه وقتلوا خلقا كثيرا، وبعثوا بالأسرى إلى إبن هبيرة فأطلقهم، وهرب إبن معاوية من فارس إلى خراسان سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م ومعه أخوه الحسن ويزيد وجماعة من الشيعة طمعًا في أبا مسلم الخراساني الذي كان يدعو إلى الرضا من آل البيت فوصلوا إلى هراة من نواحي خراسان، وعليها مالك بن الهيثم[٣٥٩] من رجال أبي مسلم، فكتب إليه بخبرهم فأمره بالقبض عليهم وحبسهم جميعا، ثم كتب إليه بإطلاق أخويه الحسن ويزيد وقتل عبد الله، فأمر إبن هبيرة بوضع فراش على وجهه فمات، وخرج فصلى عليه ودفن وقبره بهراة معروف[٣٦٠].

مات عبد الله بن معاوية وفشل تمرده، إلا أنه استطاع أن يواجه الأمويين بأعداد كبيرة من أهل الكوفة الذين - وكما هي طباعهم عند الشدة - تخلوا عنه أمام حيلة إبن عمر الذي رصد للرأس خمسمائة دينار، ولكن إبن معاوية كان يتمتع بسياسة النفس الطويل، فبعد تلك الهزيمة لم يستسلم ولم ينزل للكوفة، ولكنه نقل ميدان المعركة إلى المدائن وحشد الأنصار حوله، وجمع الخراج من نواحي فارس بعد استيلائه عليها،

العرب فهم أعراب فارس، وإليهم ينسب صلاح الدين الأيوبي، في حين ينكر بنو أيوب ذلك ويقولون (نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم).

يقول الشاعر: لعمرك ما الأكراد أبناء فارس........ ولكنه كرد بن عمرو بن عامر.

المعارف ٦٤٠/١، تاريخ الطبري ٥١٠/١، تاريخ أصبهان ٢٥/١، تاريخ دمشق ٧٣/٩، الكامل في التاريخ ١/(*) لسان العرب ٣٧٩/٣، وفيات الأعيان ٣٥٨/٥، عبد القادر بن بدران ت ١٣٤٦هـ - منادمة الأطلال ومسامرة الخيال – المكتب الإسلامي بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٥م تحقيق زهير الشاويش ٢٨٩/١.

(٣٥٥) لاحظ أن أحد أهل البيت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو علوي سمي اثنين من أولاده بأسماء أموية هما معاوية وزيد، وهذا يدل على أن العقيدة فوق العصبية، الباحث.

(٣٥٦) هو محارب بن موسى اليشكري بالدلاء فهو مولى بني يشكر وكان رجلا عظيم القدر، تاريخ الطبري ٣٠٥/٤، الكامل في التاريخ ٣٧/٥، تاريخ إبن خلدون ١٥١/٣.

(٣٥٧) هو عامر بن ضبارة ابو الهيذام الغطفاني ثم المري من أهل حوران كان سيدا شريفا، المعارف ٤١٨/١، تاريخ دمشق ٤٣٠/٢٥.

(٣٥٨) اصطخر: بلدة من أقدم مدن فارس وأشهرها ومن أعيان حصون فارس وكورها نزهة المشتاق ٤٠٦/١، معجم البلدان ٢١١/١.

(٣٥٩) هو مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عبد العزى ينتهي نسبه إلى مضر بزار، أبو نصر الخزاعي المرزوري، كان من أكبر الدعاة إلى قيام دولة بني العباس ثم أصبح أحد قادتهم، تاريخ دمشق ٥١٦/٥٦، البداية والنهاية ٣٠٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣/(*).

(٣٦٠) تاريخ خليفة بن خياط ٣٧٩/١، تاريخ الطبري ٢٧٩/٤، الكامل في التاريخ ٣٦/٥، الأنساب للسمعاني ٩٠/٢، الوافي بالوفيات ٣٣٨/١٧، تاريخ إبن خلدون ١٥١/٣.

وولى العمال على النواحي التي سيطر عليها. إلى هنا كان التمرد يسير بنجاح، ولكن كان مؤقتا، فقد فات عبد الله بن معاوية ما فات قادة التمردات السابقة وهو التنسيق مع قوى المعارضة على الساحة، ولاسيما أكبر قوى معارضة حينئذ، العباسيين أولاد عمومته، وكانت دعوتهم في تلك النواحي التي سيطر عليها في نمو وانتشار، فماذا كان يضيره أن يرسل إلى أبي مسلم في خراسان، وينسق معه في وقت كان أبو مسلم في أشد الحاجة إلى مثل ذلك التنسيق، ولكن الفردية في المواجهة مع عدو قوي ومتجدد لا تنفع، بل إنها ضرب من ضروب العجب بالقوة والرأي، ومن أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه، ومن استضعف عدوه اغترّ، ومن اغترّ ظفر به عدوه(٣٦١).

على كل حال كان تمرد إبن معاوية اخر تمردات العلويين الكبيرة، وإن كان قد فشل التمرد عسكريا، إلا أنه قد ترك في مجال الفكر فرقة من الشيعة انتسبت إليه وتسمت باسم الجناحية نسبة إلى جده جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في غزوة مؤتة جمادى الأولى سنة ٨هـ/٦٢٩م(٣٦٢) وقطعت يداه، فأخذ الراية بعضديه ثم رموه فقتل، فسماه النبي – صلى الله عليه وسلم – ذا الجناحين لما قال إن الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة(٣٦٣) إلا أن هذه الفرقة يعدها أصحاب الفرق من غلاة الشيعة الروافض الذين يقولون بتناسخ الأرواح من الله ثم آدم ثم الأنبياء ثم عليّ ثم أولاده ثم عبد الله بن معاوية الذين ينكرون الجنة والنار والقيامة، وأسقطوا الفرائض، واستحلوا المحارم(٣٦٤).

(٣٦١) سمط النجوم العوالي ٣٥٣/٣.

(٣٦٢) تاريخ خليفة ٨٦/١، المعارف ١٦٢/١، المعرفة ٢٨٦/٣، تاريخ اليعقوبي ٦٥/٢، تاريخ الطبري ١٤٩/٢، البدء والتاريخ ٢٣٠/٤، المنتظم ٣١٨/٣، مرآة الجنان ١١/١، البداية والنهاية ٢٤١/١، تاريخ ابن خلدون ٤٥٦/٢.

(٣٦٣) طبقات ابن سعد ١٢١/١، الأنساب للسمعاني ٩١/٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٨٧/١.

(٣٦٤) مقالات الإسلاميين ص٦، الفرق بين الفرق ص٢١٦، الفصل في الملل والنحل ١٨٠/٤، الملل والنحل ١٥١/١ – ١٥٢، الأنساب ٢٦١/١، ٩٠/٢، التعاريف ٢٥٥/١.

الفصل الثاني

حركات تمرد وعصيان الخوارج

حركات تمرد وعصيان الخوارج[1]

ما إن قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – الصلح بينه وبين معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- في معركة صفين سنة٣٧هـ/٦٥٧م، ورضي بالتحكيم بين الفريقين، حتى انقسم جيشه إلى مؤيد للصلح، عساه أن يزيل الخلاف ويجمع به الله الكلمة، ويوحد الصفوف، حتى يعود المسلمون إلى نشر دين الله في الأرض كما كان سابق العهد، خاصة وأن الروم كانوا يراقبون الأحداث على أطراف الشام، والفرس على حدود العراق، كل متربص بالمسلمين الدوائر، وكان هذا الفريق هم غالبية الجيش، وفريق آخر كان أكثرهم من القراء[2] فما إن قرئ مضمون الاتفاق في معسكر عليٍّ -رضي الله عنه- حتى أعلن القراء الذين كان جلهم ينتمي إلى قبائل تميم والأزد اليمانية[3]، رفضهم للتحكيم بحجة أن التحكيم يجعل مصير خلافة المسلمين بين أيدي المحكمين، في حين أن حكم الله واضح جلي يأمر بقتال الفئة الباغية حتى تعود للطاعة، وتدخل في الجماعة قال تعالى:{وإن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ }[4] وأن التحكيم مع هذا يعني شك كل فريق من المحاربين

---

(١) يطلق اسم الخارج مطلقا: على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على الأئمة التابعين بإحسان. ويطلق الاسم مقيدًا: على الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه– عند التحكيم وحاربهم في النهروان سنة٣٧هـ وشاع لفظ الخوارج بعد ذلك على هؤلاء فقط بحيث إذا ذكر لفظ الخوارج كانوا هم به المعينون فقط نظر/ محمد بن عبد الكريم الشهرستانيّ – الملل والنحل – دار المعرفة – بيروت – تحقيق: محمد سيد كيلاني هامش ص١/١١٤

(٢) جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا الله جلت قدرته سبحانه، ثم رسوله – صلى الله عليه وسلم – خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادة الصحابة وأعلامهم، لاسيما الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال (لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله). ثم ورث عنهم التابعون بإحسان. ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم، وتقال أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فقسموا علمه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فقام قوم: بضبط لغته. وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حرفه، وعدد كلماته وآياته وسوره وأجزائه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته، وسائر العلامات للأرباع والأحزاب والأجزاء وغير ذلك من حصر الكلمات والمتشابهات والآيات المتماثلات من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، وهؤلاء سموا القراء. إلى جانب علوم وفنون أخرى فيها على سبيل المثال: علم النحو، علم التفسير، علم أصول الدين. علم أصول الفقه، علم الفروع أو الفقه نفسه، علم التاريخ أو القصص وهو من علوم القرآن، علم الخطابة والوعظ علم تفسير الرؤى من القرآن و السنة، علم المواريث إلى غير ذلك/انظر أبجد العلوم ١٩٤/٢ ١٩٥/١ وعن خروج القراء على عليّ في صفين انظر، تاريخ الطبري ١٠١/٣، البدء والتاريخ ٢٢١/٥، المنتظم ١٢١/٥، الكامل في التاريخ ١٩٣/٣، البداية والنهاية ٢٦٠/٧، ٢٧٩، تاريخ إبن خلدون ٦٣٢/٢.

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة د/حمزة طاهر، مطبعة المعارف سنة١٩٤٢. ١٤٣/١. قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي ص٦٤.

(٤) [سورة الحجرات: ٩].

أيهما المحق، وهذا لا يصح، لأنهم وقتلاهم حاربوا وهم مؤمنون أن الحق في جانبهم، وهذا ما عبر عنه عروة إبن حدير بن أدية التميمي(٥)، في قوله (لا حكم إلا لله) (٦) ولذا يسمون بالمحكمة، ويسمون(٧) بالشراة(٨)، وهكذا كان قبول عليًا -رضي الله عنه- التحكيم في صفين من أبرز عوامل ظهور الخوارج الذين كانت نهايته -رضي الله عنه- على أيديهم فيما بعد(٩). وقد صار الخوارج يطاردون عليّ -رضي الله عنه- بهذا الشعار (لا حكم إلا لله) في الطريق، وفي المسجد، حتى ضايقوه مطالبين إياه أن يقر بخطئه في قبوله التحكيم. وبالغوا في ذلك حتى رموه -رضي الله عنه- بالكفر، ولما يئسوا من رجوع عليّ عما أبرمه من اتفاق مع معاوية، اجتمعوا وتداعوا إلى الخروج من جيش عليّ، ومغادرة الكوفة تعبيرا عن رفضهم واستنكارهم للتحكيم، وبالفعل اتجهوا إلى قرية قرب الكوفة تسمى (حروراء)(١٠). ونسبوا أيضا إليها بالحرورية، وأمروا أميراً عليهم وسموه بأمير المؤمنين هو عبد الله بن وهب الراسي(١١).

---

(٥) هو عروة بن حدير بن أدية التميمي، أحد بني ربيعة بن حنظلة. وأدية هي جدة له في الجاهلية. ويعد عروة بن حدير أول من حكم، أي أظهر قوله (لا حكم إلا لله) فرد عليه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– حين سمعها (كلمة حق أريد بها باطل). انظر الكامل للمبرد ٩٦/٣.

(٦) طبقات إبن سعد ٣٢/٣، تاريخ اليعقوبي ١٩٠/٢، تاريخ الطبري ١١٣/٣، البدء والتاريخ ١٣٦/٥، ١٣٧.

(٧) الخوارج يسمون المحكمة لإنكارهم أمر التحكيم بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – وإنكارهم أمر الحكمين، وقولهم (لا حكم إلا لله)، أي لا حكم إلا للسيف، وأطلق عليهم اسم المحكمة على السلب لأنهم ينفون الحكم. كما أن القدرية سموا بهذا الاسم لنفيهم القدر وزعمهم أن كل عبد خالق لفعله؛ انظر لسان العرب ١٤٢/١٢؛ علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦هـ التعريفات. دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ سنة١٤٠٥هـ تحقيق – إبراهيم الإبياري – ٢٢٢/١، حركات القرنج ص ٦٧، فان فلوتن السيادة العربية ص ٦٩.

(٨) يسمى الخوارج أيضا الشراة أي: البائعين دنياهم بآخرتهم، أو باعوا أنفسهم لله بالجنة، فكلمة الشاري تفيد أحيانا البائع وأحيانا أخرى المشترى، ويقال: شرى بنفسه أي جعل نفسه جنّة للآخرين، وشريت نفسي للقوم أي: تقدمتهم إلى عدوهم أو إلى السلطان لأتكلم عنهم، ويقال= سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا من التحكيم، وقالوا عن الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] أي يبيعها ويبذلها في الجهاد وثمنها الجنة. فسموا شراة. لسان العرب ٤٣٠/١٤.

(٩) علي حسن الخربوطلي – تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي – رسالة دكتوراه ١٩٥٧م جامعة القاهرة. ص٣٤: ٣٨ انظر أيضا:

Gibb and kramers: shorter Encyclopaedia of islam [leiden: 1953] p.247.

(١٠) حروراء قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، تنسب إلى ريح الحرور التي تهب ليلا كالسموم نهارا- معجم البلدان ٢٤٥/٢.

(١١) هو عبد الله بن وهب الراسي الأزدي – من أئمة الخوارج. كان من أهل العلم والفصاحة والشجاعة، وكان عجبا في العبادة، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، وكان مع علي بن ابي طالب- رضي الله عنه- في حروبه، تاريخ خليفة ١٩٧/١. الكمل للمبرد ٨٥/٣، تاريخ الطبري ١١٥/٣. الملل والنحل ١١٧/١. محمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة سنة١٩٩٦م ص٥٨ وما بعدها.

وحدد لهم أهدافًا منها: تقرير الأمور العامة للمسلمين لاسيما مسألة الخلافة، وقتال البغاة. وقد انتشر نفوذ الخوارج في أمصار العراق خاصة بالجزيرة(١٢)، ويعدون من أعرق وأقدم الفرق الإسلامية التي استمدت مقوماتها من أفكار دينية(١٣)، ثم سرعان ما اصطبغت أفكارهم بنزعات وآراء ونظريات سياسية آمنوا بها، واتخذوها جزءا من عقيدتهم(١٤). ومن ذلك:

أولاً: تكفير علي بن أبي طالب بعد التحكيم، ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – وأتباعهما الذين رضوا بالتحكيم(١٥).

ثانيا: الإيمان بوجوب الخروج على الإمام الجائر وعزله وإن امتنع جاز قتاله وقتله(١٦).

ثالثا: الخلافة حق مشترك بين المسلمين من أي جنس أو طبقة وليس فقط على العرب أو القرشيين دون غيرهم من الموالي والعجم من المسلمين(١٧)، وهم بذلك يعدون حزبا متمردًا على أي نظام لا يقوم على طريقة الانتخاب العام بإجماع الأمة لاختيار أفضل

---

(١٢) محمد جمال الدين سرور – الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية – دار الفكر العربي ط٢ سنة١٩٩٤م ص٧٩: ١١٦. أيضا/ د/ محمد يوسف غندور – جزيرة ابن عمر – دار الفكر اللبناني بيروت ط١ سنة ١٩٩٠ ص٣٩. واسم الجزيرة لغويا مشتق من الجزر، وهو انحسار الماء أي رجوعه للخلف، وسميت منه الجزيرة لانحسار الماء عنها: انظر محمد عبد الرؤوف المناوي سنة١٠٣١هـ- التعاريف. دار الفكر المعاصر بيروت، دمشق ط١ سنة ١٤١٠هـ تحقيق/ محمد رضوان ٢٤٢/١. والمقصود بالجزيرة هنا هي المنطقة المحصورة بين نهري دجلة والفرات ومجاورة الشام ومن أشهر مدنها حران والموصل والرقة والخابور ونصيبين، انظر معجم ما استعجم ٦٢٣/٢، معجم البلدان ١٣٤/٢.

(١٣) افترقت الخوارج على أربع فرق رئيسية: الفرقة الأولى: الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الحنظلي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانة لأنه يراهم كفارًا. والفرقة الثانية: النجدات وهم بخلاف الأزارقة في ذلك كله وهم أصحاب نجدة بن عامر. والفرقة الثالثة:: الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض المري وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، فلا ينتهون إلى الرأي الأول ولا يقفون عند الرأي الثاني، ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ولا المنافقين فيهم وهم عند حكم المنافقين، وقول هؤلاء أقرب إلى السنة ومنهم البيهسية أصحاب ابن بيهس هيصم بن جابر الضبعي. والفرقة الرابعة: الصفرية وهم موافقون للإباضية إلا في القعدة فإن الإباضية أشد على القعدة منهم. تاريخ ابن خلدون ١٨/٣ الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ١٦٣/١.

(١٤) اتجاهات الشعر في العصر الأموي ص١٦٤.

(١٥) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي – الفرق بين الفرق – مكتبة ابن سينا القاهرة – تحقيق محمد عثمان الخشت، ص٧٢.

(١٦) الفرق بين الفرق ص٧٢، قصة المختار الثقفي ص٦٤.

(١٧) نصب الخوارج أنفسهم في العراق والجزيرة حماة للضعفاء والمضطهدين، وحربا على الطاعنين والمستبدين، وبذلك جذبوا الطبقات العامة المستضعفة، فيصل جرء الساحر – حركات الزنج وآثرها في الدولة العباسية – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة سنة ١٩٤٩م ص ٦٧.

شخص لإمامة المسلمين، وليس للخليفة أن يتنازل عن الخلافة لأحد، وله أن يعتزل بعد اختياره إن قام له عذر يقتضي ذلك، دون أن يعهد لأحد أو يتنازل له عنها[18].

رابعًا: إثبات خلافة الشيخين وخلافة عثمان في سنوات حكمه الست الأولى، ويكفرونه بعدها، ويقولون بإمامة عليّ -رضي الله عنه- قبل التحكيم ويكفرونه بعدها[19].

خامسًا: مرتكب الكبيرة كافر، وإن لم يصر عليها، وقالوا بذلك حتى يجيزوا لأنفسهم محاربة الأمويين الذين تصدوا لهم بسيف الدين وقارعوهم بحجج الإسلام[20].

سادسًا: التشدد في الاستمساك بظاهر النص القرآني والعمل بأحكامه، وعدم جواز الاجتهاد بالرأي[21].

سابعًا: العمل جزء من الإيمان، فمن نطق بالشهادتين ثم امتنع عن أداء فرائض الإسلام، كافر، تارك الحج من المسلمين كافر؛ لأن تركه ذنب، وكل مرتكب للذنب كافر، وترجموا هذا المبدأ عمليا في حياتهم مع المسلمين[22].

ولهذا كله اتسمت شخصية الخوارج بملامح خاصة بهم دون غيرهم، منها:

أولاً: أن الخوارج بعيدون تماما عن مطامع الخلافة فلم يطالبوا بها، لأنهم اعتبروا أنفسهم حماة للدين، ومجاهدين في سبيله، فهم يرون أنفسهم – يتنصرون من المبادئ منزهة عن الأغراض والأهواء، لذلك كانوا يندفعون بمبادئهم لا يخفون شيئا ولا يخافون شيئا[23]. كما يرى ذلك بعض الباحثين.

إلا أن صاحب مخطوط برهان الكمال وكمال البرهان يقول: إن زعماء الخوارج دعوا إلى أنفسهم بالخلافة، وخوطبوا بأمير المؤمنين خاصة في أيام عبد الملك بن مروان، ومن هؤلاء: نافع بن الأزرق، عبد الله بن الماجوز، قطري بن الفجاءة، عبد ربه الكبير، نجدة بن عامر، قيس بن ثعلبة (أبو فديك)، صالح بن مسرح، شبيب بن يزيد - وغيرهم[24]. ويرى الباحث أن الرأي الأول ينصب على الفترة منذ خروج الخوارج على عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث نافع إبن

(18) الملل والنحل 116/1. تاريخ المذاهب الإسلامية ص62، 63، أحمد شلبي – موسوعة النظم والحضارة – مكتبة النهضة ط3 سنة 1974 – 1980.

(19) تاريخ المذاهب الإسلامية ص59.

(20) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – مقالات الإسلاميين – الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة1998م – تحقيق/ هلموت ريتر ط3 ص86 وما بعدها الملل والنحل 122/1. تاريخ المذاهب الإسلامية ص64، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ص140.

(21) تاريخ المذاهب الإسلامية ص69.

(22) د/محمد عبد الرحمن – المذاهب والملل – معهد البحوث العلمية – جامعة أم القرى سنة2001م ص63.

(23) اتجاهات الشعر في العصر الأموي ص165 -166.

(24) مخطوط برهان الكمال وكمال البرهان – مؤلف مجهول – دار الكتب – قسم الوثائق رقم 4677 ص112.

الأزرق. وينصب الرأي الأخير على الفترة من نافع بن الأزرق ومن جاء بعده، حيث أن نافعاً هو أول من دعا إلى نفسه بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين، حيث انقسمت الخوارج على نفسها إلى نحو عشرين فرقة رئيسة وفرعية(٢٥).

ثانيًا: كان الخوارج أشد تمسكا بظاهر القرآن، فكانوا أكثر عكوفا على تلاوته، وحفظه، والأخذ بظاهر نصوصه التي استشهدوا بها في تأييد وجهة نظرهم كما تمثلوه(٢٦).

ثالثًا: اتسمت شخصية الخوارج بالصدق والصراحة، فكانت شديدة التأثير في النفوس، سريعة النفاذ للقلوب، لشدة التلازم بين الصدق والصراحة في القول، ودافع السلوك في الحياة العملية، وهذا المبدأ يزيد من قوة صاحب الدعوة وتأثيره في مَنْ حوله(٢٧).

رابعًا: كما امتاز الخوارج في حروبهم بالفدائية والشجاعة مع الحماسة الزائدة لذلك كانوا يقبلون على الموت إقبال غيرهم على الحياة، فالموت عندهم دخول الجنة، ولقاء الأحباب والإخوان على الطريق، لذلك كانت هذه العقيدة هي التي جعلت فئة قليلة منهم غلبت جموعا كثيرة من غيرهم(٢٨).

خامسًا: اتسمت عقيدة الخوارج بالإخلاص الشديد والتعصب الزائد لها، مع تقوى يحفها خوف شديد من عذاب الآخرة والحنين الدائم إلى نعيم الجنة لذلك كانوا أهل عبادة وورع(٢٩).

سادسًا: اتسمت شخصية الخوارج أيضا بالبداوة والخشونة كما يرى (ينكلسون) أن الخوارج كانوا من العرب البدو الذين استقروا بالكوفة والبصرة بعد فتح فارس، حيث أن الحياة المدنية لم تؤثر في أخلاقهم، ولم يهذب الإسلام في طباعهم كما هذب غيرهم(٣٠).

---

(٢٥) هذه الفرق هي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية ثم العجاردة، المفترقة منها فرقا منها: الحازمية، والشعيبية، والمعلومية، والمجهولية وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، والصلتية، والأخنسية، والشبيبية، والشيبانية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والحمزية، والشمراخية، والإبراهيمية، والواقفة، والإباضية التي افترقت فرقا معظمها فريقان: حفصية وحارثية، فلما اليزيدية من الإباضية، والميمونية من العجاردة وهما فرقتان من غلاة الخوارج الخارجين عن فرق الأمة، مقالات الإسلاميين ص ٨١ الفرق بين الفرق ص ٧٢، الفصل في الملل والنحل ١٨٨/٤، الملل والنحل ١١٤/١ ـ ١١٥

(٢٦) المذاهب والملل ص٦٣، المذاهب الإسلامية ص٦٩.

(٢٧) اتجاهات الشعر ص١٦٦.

(٢٨) المرجع السابق ص١٦٤، أحمد أمين ـ فجر الإسلام ـ الهيئة المصرية للكتاب سنة ٢٠٠٠م ص ٤٠٦.

(٢٩) المذاهب والملل ص٦١، اتجاهات الشعر ص١٦٦، تاريخ المذاهب ص٦١.

(30) Nicholson: Lit. Hist. of the Arabs, p. 258.

في حين يرى لامنسن أنهم من بدو شبه الجزيرة العربية[٣١]. وهذا ما ينفيه (خودا بخس) بحجة أن أسماء زعماء الخوارج التي وصلتنا في العهد الأول لا تنتمي إلى قبائل شبه الجزيرة العربية التي لعبت دورا مهمًا في الحروب من العرب والفرس[٣٢].

سابعًا: اتسمت هذه الشخصية مع الإخلاص والتقوى والخشونة، بالانحراف والهوس والتشدد والجفوة والتهور في الدعوة إلى ما يعتقدون، وحمل الناس على آرائهم المنحرفة المغموسة بالتحيز و العنف والقسوة من غير رفق، ولعل السبب يرجع إلى النشأة الأولى فأكثرهم من عرب البادية، والباقي من عرب القرى، وجميعا كانوا في فقر شديد قبل وبعد الإسلام، لأنهم استمروا في بداوتهم مع ما دخل في قلوبهم من مبادئ وأخلاق الإسلام، فظلوا على سذاجتهم في التفكير وضيق الأفق والتصور والبعد عن مصادر العلوم، فأصبحت نفوسهم مؤمنة متعصبة لضيق نطاق العقول، ومتهورة مندفعة لأنها نابعة من الصحراء، وزاهدة لأنها لم تجد[٣٣]. والنفس التي لا تجد مع ما يغمرها من الإيمان الصادق، ويغذيها الاعتقاد الصحيح، انصرفت عن الشهوات المادية، وزهدت في الحياة فاتجهت بكليتها إلى نعيم الآخرة، ولا تبالي بما تلاقي من أهوال الدنيا[٣٤].

ولذلك لجأوا إلى التمرد والعنف، كثيرا ما كانت أعداد منهم قليلة تهزم جيوشا كثيرا. ولو أن هؤلاء بوضعهم هذا وضعوا أيديهم في أيدي دولة الخلافة فتصدوا لأعداء الإسلام، لربما تغير وجه الأحداث آنذاك، بدلاً من إفنائهم لأنفسهم، مع ما كلفوا الأمة الكثير من الجهد والوقت والمال والأرواح[٣٥].

إجمالاً، لما عسكر الخوارج بحروراء، بعث إليهم عليّ - رضي الله عنه - عبد الله بن عباس وغيره، فخاصمهم[٣٦] وحاجهم فرجع قوم منهم إلى صوابهم وثبت قوم على رأيهم، وهؤلاء ساروا إلى النهروان[٣٧]، فعرضوا للسبيل، وقتلوا عبد الله بن خباب

(31) H. Lammens. i. L'slam: croyances etinatitutions [Byrouth, 1920] p. 156.

(32) Khada Bushceh, s: cont'ribution to the History of islam civilizations 270/s., P. 159.

(٣٣) محمد عبد الرحمن المذاهب والملل ص٦٠.

(٣٤) بلغ زياد بن أبيه أن رجلا يكنى (أبا الخير) من أهل البأس والنجدة، أنه على رأي الخوارج فدعاه، فولاه ورزقه اربعة آلاف درهم كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة، فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيئا، فتنمر له زياد فحبسه، فلم يخرج من محبسه حتى مات، وهكذا نجد النعمة لانت من الطباع وهذبت النفوس، وجعلت من أبي الخير رجلا رقيقا بعد أن كان متعصبا عنيفا، انظر الكامل للمبرد ٣ ١٤٦.

(٣٥) الدولة الأموية للصلابي ٢٥٥/١.

(٣٦) خاصمه خصاما أي غلبه بالحجة، والخصومة تعني الجدل، لسان العرب ١٨٠/١٢، مختار الصحاح ١ ٧٥.

(٣٧) النهروان، بالفتح وبالكسر مشهورة، وهي ثلاثة نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل. وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي وبغداد من الأعلى وبها عدة بلاد: معجم ما استعجم ٤ ١٣٣٦، معجم البلدان ٥ ٣٢٥.

بن الأرت[٣٨] وامرأته وهي حامل ومتم، فسار إليهم عليّ -رضي الله عنه- فقتلهم بالنهروان، وذلك سنة ٣٨ هـ/ ٦٥٨م، ثم انصرف إلى الكوفة، ولم يزل بها حتى قتله الخوارج بسيف عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، ومعه شبيب بن بجرة الأشجعي، ودفن عليّ - -رضي الله عنه- ليلة الأحد وقيل الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة٤٠هـ/٦٦٠م[٣٩].

إن ظهور الخوارج يعد في الإسلام تمردًا صريحا على الخليفة الشرعي عليّ إبن أبي طالب -رضي الله عنه- ليس لأنه ظلم أحدًا أو حابى آخر، أو ولى ولاة لا يرضى هؤلاء عنهم، ولكن خروجهم عليه كان بسبب رؤية سياسية رآها الحاكم الشرعي في السياسة الشرعية[٤٠] العامة، لا تتفق ورأيهم السياسي[٤١]، فما إن استقر نظام معاوية بن أبي سفيان بالشام وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بالعراق، حتى دبر الخوارج خطة محكمة للتخلص من عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص – رضي الله عنهم – لأنهم كفرة في نظرهم، وسبب الخلاف الذي وقع بين الأمة الإسلامية، ولكن الخطة فشلت، إلا في التخلص من خليفة المسلمين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-[٤٢].

حركات تمرد الخوارج في الدولة الأموية

تمرد حوثرة بن وداع الخارجي[٤٣] بالنخيلة[٤٤] سنة ٤١هـ/ ٦٦١م

بويع معاوية بالخلافة بعد صلحه مع الحسن – -رضي الله عنه- سنة٤١هـ/٦٦١م، ودخل معاوية الكوفة، وتهيأ الحسن وبنوه للذهاب إلى المدينة، في الوقت الذي هبَّ فيه

---

(٣٨) عبد الله بن خباب بن الأرت التميمي، أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث تزامن مولده مع مولد عبد الله ابن الزبير في السنة الأولى للهجرة، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ أن يولد لما كنى أباه بأبي عبد الله – وكان أبوه خباب من السابقين الأولين. طبقات خليفة ١٤٢/١، انظر/ أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم – سيرة عمر ابن عبد العزيز – عالم الكتب – بيروت ط٦ سنة١٤٠٤هـ تحقيق/ أحمد عبيد ١١٤/١، المعرفة والتاريخ ٢٨٥/١، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – المعين في طبقات المحدثين – دار الفرقان عمان الأردن ط١ سنة ١٤٠٤هـ تحقيق د/همام سعيد ٢٢٠/١ الإصابة في تمييز الصحابة ٧٣/٤.

(٣٩) طبقات ابن سعد ٣٧/٣، تاريخ خليفة ١٩٧/١، طبقات خليفة ١٤٢/١، المعارف ٣١٧/١، المحن ١٤٣/١.

(٤٠) السياسة الشرعية هي: ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم ينزل به وحي ولم يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا سياسة إلا ما وافق الشرع، ابن تيمية – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية – دار الراوي للنشر – الرياض – ط١ سنة ٢٠٠٠م تحقيق/ عبد الباسط بن يوسف الغريب ٦/١، ١٧.

(٤١) المعارضة في العصر الأموي ص٩١.

(٤٢) تاريخ خليفة ١٩٧/١، المعارف ٣١٧/١، المحن ١٤٣/١.

(٤٣) هو حوثرة بن وداع الأسدي من كبار الخوارج المتشددين اجتمع عليه الخوارج لقتال معاوية في الكوفة ثم قتل، الكامل في التاريخ ٢٦٧/٣، تاريخ ابن خلدون ١٧٣/٣.

(٤٤) النخيلة: موضع بالكوفة على سمت الشام كان علي بن أبي طالب – -رضي الله عنه- يخرج إليها إذا أراد أن يخطب في الناس، معجم ما استعجم ١٣٠٥/٤، معجم البلدان ٢٧٨/٥.

الخوارج إلى مهاجمة الكوفة قبل أن يبرحها معاوية، ففي سنة ٤١هـ/٦٦١م اجتمع الخوارج فولوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي فقام فيهم ودعاهم إلى الخروج على معاوية، فقدم النخيلة ومعه من الخوارج مائة وخمسين إضافة إلى ما انضم إليه بعد ذلك[٤٥]، واتخذ معاوية في حربه وسيلة جديدة وفعاله حيث اتجه إلى أبيه وداع، وخاطبه أن يرد ابنه عن غيه في خروجه على الحاكم، وخاطب وداع ابنه بلسان الأبوة، وبحال البنوة حيث كان قد حمل إلى حوثرة ابنه لعلمه أن قلبه يرق له، كما قال له معاوية "اخرج إلى ابنك فلعله يرق إذا رآك"[٤٦]. فما كان من جواب حوثرة إلا أن قال: "أنا إلى طعنة من يد كافر برمح أتقلب فيها ساعة أشوق مني إلى ابني" (٤٧). فرجع أبوه إلى معاوية وأخبره وخرج مع الجيش الذي أرسله معاوية لحربه بزعامة عبد الله بن عوف الأحمر، وبارز وداع ابنه حوثرة بنفسه وحوثرة يرده عن ذلك "يا أبت لك في غيري سعة"[٤٨] حتى برز له ابن عوف فطعن حوثرة فقتله وجميع أصحابه ما عدا خمسين رجلا دخلوا الكوفة.

تمرد فروة بن نوفل الأشجعي[٤٩]

كان فروة قد اعتزل قتال عليّ -رضي الله عنه- مع خمسمائة من الخوارج، توقفوا عن قتال علي وأصحابه حتى تبين لهم شرعية القتال[٥٠]. وانصرف بهم إلى شهرزور[٥١]. فلما صالح الحسن معاوية – رضي الله عنهما – وأصبح معاوية خليفة للمسلمين، قال فروة لأصحابه: الآن قد جاءكم من لاشك في قتاله فسيروا إلى معاوية فقاتلوه[٥٢]. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فهزمهم الخوارج، فهدد معاوية أهل الكوفة قائلاً: "لا أمان لكم

(٤٥) العقد الفريد ٦/١.

(٤٦) الكامل في التاريخ ٣٦٧/٣.

(٤٧) تاريخ ابن خلدون ١٧٩/٣.

(٤٨) تاريخ خليفة ٢٠٤/١.

(٤٩) هو فروة بن نوفل بن الأشجعي كان رئيس الشراة بالنخيلة وهو من الكوفة وله رواية عن أبيه عن رسو الله صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب البيت المشهور:

ما إن نبالي إذا أرواحنا قبضت * ماذا فعلتم بأجساد وأبشار

لقد علمت وخيرا العلم أنفعه * أن السعيد الذي ينجو من النار

انظر الوافي بالوفيات ٧/٢٤، الإصابة ٣٦٦/٥.

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ٢١٧/٢ تاريخ الطبري ٩٣/٣، ١٢١، المنتظم ١٣٤/٥، تاريخ ابن خلدون ١٨٧/٣.

(٥١) شهرزور كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان، وهي من مقطعين شهر ومعناها بالفارسية المدنية وزور نسبة الى مؤسسها زور بن الضحاك، وأهلها كلهم أكراد، معجم ما استعجم ٨١٣/٣، معجم البلدان ٣٧٥/٣.

(٥٢) تاريخ الطبري ٩٣/٣، ١٦٩، الكامل في التاريخ ٢٧٥/٣، تاريخ ابن خلدون ١٧٨/٣.

عندي حتى تكفوا بوانقكم"[٥٣]. فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج لمحاربتهم، فحاول الخوارج أن يحيدوا أهل الكوفة عن القتال حتى يتمكنوا من الانفراد بمعاوية ويسهل لهم القضاء عليه، فتوجهوا إليهم قائلين "ويلكم ما تبغون أليس معاوية عدونا وعدونا فدعونا حتى نقاتله، فإن أصبناه كنا قد كفيناكموه، وإن أصبنا كنتم قد كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم". وبالفعل أخذت قبيلة أشجع صاحبهم فروة، فاستعمل الخوارج عليهم رجلاً من طيء فقاتلوا فقتلوا[٥٤].

ونلاحظ هنا سياسة معاوية في أول مواجهة للخوارج يستعين بأهلهم من الكوفة عليهم وتنجح سياسته في تصدي أهل الكوفة للخارجين منها على معاوية، ونلاحظ أيضا استجابة أهل الكوفة لمعاوية عمليا، حتى أن الخوارج لما علموا بتلك السياسة حاولوا أن يلتفوا عليها ليحبطوها فخاطبوا أهل الكوفة يذكروهم العداء القديم بينهم وبين معاوية منذ صفين، ويفشل الخوارج في سياستهم المضادة لسياسة معاوية، فيتصدى لهم أهل الكوفة ويحاربونهم ولعل من أسباب ذلك يكون أن أهل الكوفة، كانوا غاضبين على الخوارج، لموقفهم من علي بن أبي طالب وحربه له في النهروان. إضافة إلى ما وقع بين الطرفين من قتلى ترتب عليهم ثارات[٥٥].

سياسة المغيرة بن شعبة تجاه الخوارج

وعلى سياسة معاوية هذه تجاه الخوارج سار ولاته بالعراق التي تركزت فيها ثورات الخوارج، فهذا واليه المغيرة بن شعبة[٥٦]، كان يزرع له في الكوفة عيونا يأتونه بالخبر فلما واتته أخبار تفيد بعزم الخوارج على التمرد عليه يتأسى بسياسة معاوية ويخاطب أهل الكوفة، بعد أن قبض على رؤساء الخارجين عليه، ثم قال للكوفيين: "كفوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم، وقد ذكر لي أن رجالا منكم يريدون أن يظهروا في المصر الشقاق والخلاف، وايم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب في

---

(٥٣) تاريخ اليعقوبي ١٩٣/٢، تاريخ الطبري ١٦٩/٣، البداية والنهاية ٢٢/٨.

(٥٤) تاريخ الطبري ١٦٩/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٥/٣، البداية والنهاية ٢٢/٨، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عيده – الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في البصرة والكوفة في العصر العباسي الأول – رسالة ماجستير سنة ١٩٩١، كلية دار العلوم القاهرة – ص ٥٤ – ٥٥.

(٥٥) المعارضة في العصر الأموي ص٩٣.

(٥٦) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي الأمير، أبو عيسى، أبو عبيد الله، أبو محمد، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، ذهبت عينه قيل في اليرموك أو القادسية، وقيل كما روت السيدة عائشة أنه نظر للشمس عندما كسفت في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تولى البحرين على عهد عمر بن الخطاب ثم البصرة ثلاث سنوات ثم تولي الكوفة، وهو الذي أشار على عليّ بن أبي طالب أن يثبت معاوية على الشام أميرا ثم يصدر مرسوما بخلعه فلم يطعه عليّ فاعتزل باليمن، ثم دعا بعد ذلك إلى معاوية، وولاة معاوية الكوفة ومات وهو أمير عليها سنة ٥٠هـ وله سبعون سنة. انظر معجم الصحابة ٨٧/٣، مولد العلماء ١٤٩/١، سير أعلام النبلاء ٢١/٣.

هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم... وقد قلت ما سمعتم فليكفني كل امرئ من الرؤساء قومه، وإلا فوالذي نفسي بيده، لأتحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلومن أحدا إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر"(٥٧). وما إن فرغ المغيرة بن شعبة من كلامه حتى خرجت الرؤساء إلى عشائرهم يناشدونهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة أو يفارق جماعة، وكان من بين هؤلاء: معقل بن قيس الرياحي(٥٨) يسأل المغيرة هل سمت عيونك لك أحدا فإن كانوا منا كفيناكهم، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل مصرنا فأتتك كل قبيلة بسفهائها، فقال المغيرة: ما سُمي لي أحد منهم، فقال له معقل: أصلحك الله فإني أسير في قومي وأكفيك ما هم فيه، فليكفك كل امرئ من الرؤساء قومه، وحذا حذوه صعصعة إبن صوحاء في قومه عبد القيس محذرًا إياهم:

إياكم أن تؤوهم في دوركم، وتكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم(٥٩).

وهكذا استطاع المغيرة بن شعبة أن يكسب ولاء أهل الكوفة لصالحه دون ذويهم من الخوارج وأصبحوا على أتم الاستعداد للوقوف في وجه أبنائهم وإخوانهم من الخوارج، بل والإبلاغ عن المختفي منهم وتسليمه لرجاله(٦٠)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى حسن سياسة المغيرة مع أهل الكوفة، فقد أحب العافية وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش عن أهل الأهواء، وكان يعتقد ويؤمن بسعة الدين للخلاف بين المسلمين فكان يقول قضى الله ألا تزالون مختلفين وسيحكم الله بين عباده فأمنه الناس(٦١). هذه السياسة الحكيمة من المغيرة جعلت من أعداء الأمس أعوان اليوم فهاهم شيعة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يستخدمهم في حرب الخوارج، وهذا ليس بجديد على المغيرة، فمعاوية في أول عهده بالخلافة قد طلب من الحسن بن علي أن يتولى حرب الخوارج(٦٢).

---

(٥٧) تاريخ اليعقوبي ١٩٣/٢ تاريخ الطبري ١٨/٣، الكامل في التاريخ ٢٨٨/٣، سعارضة في العصر الأموي ٩٣.

(٥٨) هو معقل بن قيس بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، من أهل الكوفة كان صاحب شرطة علي ومن أصحابه وكان من أمرائه في حرب الجمل، بارزه المستورد بن علقمة الخارجي في خلافة معاوية سنة ٤٢هـ فقتل كلٌ منهما الآخر، تاريخ اليعقوبي ٢١٣/٢، الأنساب ٢٢٧/٤، تاريخ دمشق ٣٦٧/٥٩، الكامل في التاريخ ٢٢٠/٤، الإصابة ٣٠٦/٦.

(٥٩) تاريخ الطبري ١٨/٣، الكامل في التاريخ ٢٨٨/٣، الدولة الأموية الصلابي ٢٥٦/١ - ٢٥٧.

(٦٠) تاريخ الطبري ١٧٤/٣، المنتظم ١٩٤/٥؛ تاريخ ابن خلدون ١٧٨/٣، محمود شاكر – التاريخ الإسلامي ١١٢/١.

(٦١) عن شخصية المغيرة وسياسته انظر الشيخ محمد الخضري – محاضرات في الدولة الأموية – المكتبة التوفيقية – تحقيق /إبراهيم أمين محمد ٤١٣/١.

(٦٢) يذكر المبرد أن معاوية بن أبي سفيان لما سلمه الحسن الخلافة صلحًا، طلب منه معاوية أن يبقى معه يعاونه في الأمر وذلك بأن يتولى الحسن -رضي الله عنه- مهمة حرب الخوارج؛ فكان جواب الحسن (والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني...) الكامل للمبرد ١٣٣/٣، انظر أيضًا أبو عمر احمد بن محمد ابن حبيب بن عبد ربه الأندلسي ت سنة ٣٢٨هـ - العقد الفريد – مطبعة الوقائع المصرية. ص٦.

تمرد المستورد بن علقمة بالكوفة سنة ٤٣هـ/٦٦٣م[٦٣]

وخير دليل على حسن استفادة المغيرة من شيعة علي بن أبي طالب بالكوفة أنه لما خرج المستورد بن علقمة سنة٤٣هـ/٦٦٣م، وجه إليه المغيرة معقلاً بن قيس الرياحي أحد زعماء الشيعة في الكوفة، لقتاله في ثلاثة آلاف مقاتل، فدعاه المستورد إلى المبارزة قائلا له: علام يقتل الناس بيني وبينك؟ فقال له معقل: النصف سألت: فأقسم عليه أصحابه. فقال: ما كنت لآبى عليه، فخرج إليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتًا[٦٤]. واستطاع المغيرة بسياسته الصائبة – خاصة معالجة خروج المستورد عليه حيث استطاع استخدام شيعة عليّ في الوقوف أمام حركات تمرد الخوارج، بينما خرج هو سالم من بينهما[٦٥].

تمرد/ الخطيم الباهلي[٦٦] وسهم بن غالب، بالبصرة سنة ٤٦هـ/٦٦٦م

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان أيضا خرج في ولاية عبد الله بن عامر[٦٧] على البصرة سنة٤١هـ/٦٦١م، يزيد بن مالك الباهلي ويلقب بالخطيم، وخرج معه سهم بن غالب الهجيمي، من رؤوس الخوارج في سبعين من الخوارج ونزلوا بمنطقة الجسرين بالقرب من البصرة، ولما مر بهم الصحابي عباد بن قرص الليثي وابنه وابن أخيه عائدين من الغزو، فرماهم الخوارج بالكفر وقتلوهم، وعباد هذا صحابي من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فخرج إليهم عبد الله بن عامر بنفسه، وقاتلهم فقتل منهم مجموعة، وانحازت الأخرى إلى حيث كان سهم والخطيم، فطلبوا الأمان من إبن

(٦٣) هو المستورد بن علقة بن الفريش بن خباري من بني سعد بن زيد مناة، كان من أكبر رؤساء الخوارج وكان شديد الاجتهاد، له آداب يوصي بها وهي محفوظة عنه. انظر – الكامل للمبرد ١٣١/٣، الأنساب ٧/٤، ٣٧٩.

(٦٤) تاريخ خليفة ١٩٨/١، الكامل المبرد ١٣٢/٣، تاريخ اليعقوبي ٢٢١/٢، تاريخ الطبري ١٧٥/٣، تاريخ مدينة دمشق ٣٦٨/٥٩، المنتظم ١٩٥/٥، الكامل في التاريخ ٢٨٤/٣، البداية والنهاية ٢٤١/٨، تاريخ إبن خلدون ١٨٠/٣. الدولة الأموية للحضري ص٤١٣.

(٦٥) التاريخ الإسلامي للترمانيني ١٩٨/١، المعارضة في العصر الأموي ص ٩٥.

(٦٦) هو يزيد بن مالك الباهلي ويلقب بالخطيم، لضربة أصابته على أنفه يوم حرب الجمل فلقب بالخطيم، تاريخ خليفة بن خياط ٢٠٤/١، تاريخ الطبري ١٧١/٣، ٢٠٢، الأنساب للسمعاني ٣٨٥/٢، الكامل في التاريخ ٢٨١/٣.

(٦٧) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، ولد قبل موت النبي – صلى الله عليه وسلم – بثلاث عشرة سنة، كان كريم الجدات وكريم العمات، كان إبن خال عثمان بن عفان-رضي الله عنه- لأن أم عثمان هي أروى بنت كريز بن حبيب، ولاه عثمان البصرة وعزله أبو موسى الأشعري، ومنها خرج غازيا إلى أصبهان، ثم ولاه معاوية بن أبي سفيان خراسان بمكة ودفن بعرفة سنة ٦٩هـ، طبقات إبن سعد ٤٤/٥، تاريخ خليفة ٢٠٤/١، تاريخ اليعقوبي ٢١٧/٣، تاريخ أصبهان ٨٨/١، البدء والتاريخ ١/٦، الكامل في التاريخ ٣٦٦/٣.

عامر فأمنهم فرجعوا. وهذا التصرف من إبن عامر لم يرض معاوية فكتب إليه بقتلهم فرد عليه إبن عامر أنه قد جعل لهم ذمتك[٦٨].

في سنة٤٥هـ/٦٦٥م عزل معاوية بن أبي سفيان عن البصرة عبد الله بن عامر لتراخيه في قمع تمردات الخوارج وولى مكانه زياد بن أبيه، الذي أتى البصرة سنة٤٥هـ/٦٦٥م فهرب سهم والخطيم إلى الأهواز، حيث اجتمع إلى سهم جماعة من الخوارج أقبل بهم إلى البصرة، فأخذ من أهلها قوما، فلما علم أنهم يهود أخلاهم ثم تفرق عنه أصحابه، فاختفى سهم، وطلب الأمان من زياد - ظنًا منه أن يقبل منه قبول إبن عامر سابقًا- فلم يؤمنه وبحث عنه حتى عثر عليهم فأخذه وقتله وصلب في داره، وقيل إنه ظل مستخفيا طيلة عهد زياد، وظهر في عهد عبيد الله ابنه فأخذه وصلبه في داره بعد قتله[٦٩]. في حين اتبع زياد سياسة أخرى مع الخطيم، فإنه قبض عليه ثم سأله عن قتله عباد بن قرص الليثي، فأنكره فسيره إلى البحرين ثم أعاده، وسلمه إلى كبير باهلة مسلم بن عمرو الباهلي - والد قتيبة بن مسلم - وقال له: اضمنه لي، فأبى مسلم، إلا أنه قال له: إن بات خارجا عن بيته أعلمتك، وذات ليلة لم يبت الخطيم فيها في بيته كما أخبره مسلم فأمر به زياد فقتل وألقى في باهلة في سنة٤٦هـ/٦٦٦م[٧٠].

سياسة زياد إبن أبيه تجاه الخوارج:

لقد تنوعت سياسة زياد إبن أبيه في مواجهة تمردات الخوارج حتى تجاه زعماء التمرد الواحد كسهم والخطيم مثلا، فهذا يقتله مباشرة، وهذا ينفيه ثم يستقدمه، ويرسل لأهله ليضمنوه، ثم يصبر عليه حتى يخل بشروط الأمان فلا يصبر عليه ويسرع في قتله، فكانت سياسته تتنوع بين الشدة حين تفيد الشدة، وبين اللين حين يحسن موضعه، فكان زياد يقتل المعلن من الخوارج، ويستصلح المستتر - فلم يقتل الخطيم حين تنكر من قتل عباد وهو يعلم أنه قد يكون اشترك في دمه - فكان زياد لا يجرد السيف حتى تثبت التهمة ويتحقق من المظنة[٧١]. فكانت سياسته سياسة عزم وحزم واعتدال يضع كل أمر في موضعه، وهذا يخفف من حدة ما وصفه به د/حسن إبراهيم حسن من أن زيادًا كان شديد القسوة في معاملة الخوارج، مطلقا[٧٢].

(٦٨) تاريخ خليفة ٢٠٤/١، تاريخ الطبري ١٧١/٣، الكامل في التاريخ ٢٨١/٣.

(٦٩) تاريخ خليفة ٢٠٩/١، الكامل في التاريخ ٣٠٩/٣، أحمد أمين - فجر الإسلام - الهيئة المصرية للكتاب طبعة سنة ٢٠٠٠م، ص ٤٠٦.

(٧٠) تاريخ الطبري ٢٠٢/٣، الكامل في التاريخ ٣١٠/٣، (يذكر الطبري وابن الأثير أن مقتل الخطيم كان في سنة ٤٦هـ بينما يذكر خليفة أن مقتله بعد ذلك بثلاثة سنين أي سنة ٤٩هـ، تاريخ خليفة بن خياط ٢٠٩/١).

(٧١) قصة المختار الثقفي ص٦٤، ٦٥.

(٧٢) تاريخ الإسلام السياسي ٢٩٤/١.

تمرد بن شبيب بن بجرة[٧٣] الأشجعي بالكوفة سنة ٤٩هـ/٦٦٩م:

خرج بالكوفة شبيب بن بجرة الأشجعي وكان شبيب مع إبن ملجم قبل قتل علي واشترك في قتله ثم هرب(٧٤). وفي خلافة معاوية أتاه شبيب بالكوفة متقربا إليه باشتراكه في قتل علي -رضي الله عنه- فانزعج معاوية وأسرع بدخول بيته وأرسل إلى أشجع وهددهم إن هو رأى شبيبا ببابه، وأمرهم أن يخرجوه من الكوفة نهائيا، حيث كان يخرج من الليل ويقتل كل من قابله من المسلمين، فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه شبيب، فوجه إليه المغيرة جيشا يقوده كثير بن شهاب الحارثي، وقيل: خالد بن عرفطة، وقيل معقل بن قيس فأدركه الجيش في أذربيجان فقتله(٧٥).

تمرد/ قريب الأزدي وزحاف الطائي بالبصرة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م(٧٦)

خرج قريب الأزدي وزحاف الطائي وهما ابنا خالة وزياد إبن أبيه على الكوفة، وسمرة بن جندب الفزاري على البصرة، وكانا مجتهدين أيام زياد وقد اختلف الناس في أمرهما أيهما كان الرئيس، وقد اعترض قريب وزحاف الناس بالبصرة، فأتيا بني ضبيعة، وهم سبعون رجلا فلقوا منهم شيخا ناسكا يسمى رؤية الضبعي فقتلاه، فتنادى الناس، فخرج رجل من قطيعة من الأزد وفي يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية الحرورية انج بنفسك، فناداه قريب وزحاف لسنا الحرورية إنما نحن الشرط، حتى وقف فأدركوه فقتلوه، ثم جعلا لا يمران بقبيلة إلا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الأزد وكانوا رماة وفيهم مائة من أمهر الرماة، فرموهم رميا شديدا حتى صاح الخوارج يا بني علي البُقيا، البقيا، لا رماء بيننا. فرد عليهم رجل من بني علي: لا شيء للقوم سوى السهم مشحوذة في غلس الظلام(٧٧). واستمر الرمي حتى استطاع بنو علي الإجهاز على الحرورية حتى صرعوهم وصلبوهم عند مقبرة السعديين، وجاءت

---

(٧٣) بجرة بفتح الباء والجيم، وفي اللغة البجر مفرد بجرة وهي انتفاخ يحصل في البطن والسرة لذلك يقال رجل أبجر وامرأة بجراء. انظر عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني – التدوين في أخبار قزوين – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٧، تحقيق/ عزيز الله العطاري ٣٥٦/١.

(٧٤) طبقات إبن سعد ٣٦/٣، تاريخ الطبري ١٥٦/٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٤٤/٨، ٥٥٩، المنتظم ١٧٣/٥، بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٧٨٣/٨.

(٧٥) تاريخ خليفة ٢٠٩/١، تاريخ اليعقوبي ٢٢٠/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٧/٣.

(٧٦) ما بين شبيب بن بجرة وقريب وزحاف كانت هناك تمردات خوارج ولكنها كانت قليلة النتائج منها تمرد معين إبن عبد الله بن محارب الخارجي، وتمرد أبي مريم مولى بني الحارث بن كعب الخارجي ومعه امرأتان قطام وكحيلة فكان أول من أخرج معه النساء، ثم كان تمرد أبي ليلى ومعه ٣٠ رجلا من الموالي الخوارج، وتمرد زياد بن خراش العجلي، انظر تاريخ الكامل في التاريخ ٢٧٧/٣، ٣٤٠.

(٧٧) الكامل للمبرد ٣ ١٣٦.

إليهم جارية معها قصعة فيها دراهم فنظرت إليهم وهي تردد قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾(٧٨). ولا يعترضها أحد(٧٩). ثم أخذها الشرط وقتلوها وصلبوها بجانبهم(٨٠).

وكان من حسن سياسة زياد بعد قريب وزحاف أن خاطب أهل البصرة قائلا: "يا أهل البصرة: ما هذا الذي اشتملتم عليه؟ إني أعطي الله عهدا، ألا يخرج عليَّ خارجي بعد قريب وزحاف، فأدع من حيِّه وقبيلته أحدا؛ فاكفوني بوائقكم(٨١). ألا ينهى كل قوم سفهاءهم، يا معشر الأزد: لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم أرثتموها". فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا. فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبر زياد في سياسته تجاه الخوارج والمتمردين عليه(٨٢).

ويجمل بنا أن نُجمل أنواع السياسات التي اتبعها زياد بن أبيه في مواجهة تمردات الخوارج:

أولاً: كان يستنصح المُسر منهم ويصدقه رغم أنه يعلم كذبه، في حين يقتل المجاهر المعلن منهم **ثانيًا:** لا يجرد السيف عليهم حتى تزول الشبهة وتنقشع التهمة، **ثالثا:** كان يعينهم على العودة إلى الطاعة، فيرسل إليهم يحثهم على الوحدة والجماعة، فلا يعيروه اهتماما، فيرسل إليهم مرة أخرى قائلا لهم: "ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرجلة – أي المشي لبعد المسافة وعدم وجود ظهر للركوب – فيقولون له أجل، فيرسل إليهم الركائب ويقول: "اغشوني الآن واسمروا عندي" (٨٣). وأخيرا استعمل زياد بعض الخوارج في الولايات: فها هو يستعمل رجلاً منهم يسمى "أبا الخير" فولاه جند نيسابور ورزقه رزقا رغيدا. حتى قال: أبو الخير: ما رأيت شيئا خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة(٨٤).

---

(٧٨) سورة الرعد آية (٢٤).

(٧٩) تاريخ خليفة ٢١٩/١، تاريخ اليعقوبي ٢٠٧/٢، تاريخ الطبري ٢٠٩/٣، الكامل في التاريخ ٣١٨/٣.

(٨٠) يذكر المبرد أنه كان من سياسة زياد ابن أبيه في مواجهة الخوارج أنهم لما أخرجوا معهم امرأة، فظفر بها زياد فقتلها الشرط ثم عراها وصلبها، فكانت نساء الخوارج لا تخرج بعد على زياد أبدا وتطن إذا دعين إلى الخروج (لولا التعرية). انظر الكامل للمبرد ١٣٦/٣.

(٨١) تاريخ اليعقوبي ٢٠٧/٢.

(٨٢) الكامل للمبرد ١٣٦،٣.

(٨٣) لما بلغ عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- هذه السياسة الحكيمة من زياد تجاه الخوارج قال: (قاتل الله زيادا جمع لهم تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوطهم الأم البرة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك أهل الشام في شامهم، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشرا ألف ألف). انظر المبرد ١٤٦/٣.

(٨٤) الكامل للمبرد ٣ ٥، ١٤٥، ١٤٦.

تمرد/حيان بن ظبيان السلمي[٨٥] بالكوفة سنة ٥٧هـ/٦٧٦م:

كان حيان بن ظبيان السلمي خارجيا من أهل النهروان الذين حاربوا عليا، فلما علم بمقتل عليٌ -رضي الله عنه- دعا لابن ملجم بالخير، وحمد الله هو وأصحابه البضعة عشر على مقتل علي -رضي الله عنه- ثم دعا أصحابه بالكوفة للتمرد على المغيرة بن شعبة سنة ٤١هـ، الذي كان يؤثر العافية ويحسن في الناس السيرة، فيأتيه من يخبره بأن فلانا يرى رأي الخوارج، وفلانا يرى رأي الشيعة، فيقول قضى الله أن لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده، فأمنه الناس، فبايع حيان وأصحابه المستورد، وعزموا على الخروج سنة ٤٣هـ/٦٦٣م[٨٦]، ولما قتل المستورد اجتمعت الخوارج في منزل حيان واستعدوا للخروج، وعلم المغيرة بالاجتماع فألقى القبض عليهم ووضعهم رهن الاعتقال في السجن، حتى كانت سنة ٥٧هـ كان والي الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية أم الحكم، خرج حيان وأصحابه الخوارج من الحبس الذي وضعهم فيه المغيرة، واجتمعوا ومعهم معاذ بن حوين الطائي الخارجي، فخاطبا الخوارج وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا إلى بانقيا[٨٧] بنواحي الكوفة، فبعث إليهم والي الكوفة جيشا استطاع قتلهم جميعًا[٨٨].

سياسة عبيد الله بن زياد تجاه الخوارج:

في بداية عهد عبيد الله بن زياد على العراق، اتبع نفس سياسة أبيه تجاه الخوارج بل زاد عليها، حيث أطلق كل خارجي كان محبوسًا[٨٩]، حتى طمع الخوارج فيه بعد إطلاق سراحهم فخرجوا عليه، فما كان منه إلا أنه كان أسرع تغيرا في سياسته ضدهم منهم إليه، فكان لا يمهلهم بعد ذلك، يحبسهم تارة،ويقتلهم تارة، فكان يقتل أكثرهم شر قتلة، ولا يتفاضل عن أحد منهم، حتى كاد يقضي عليهم غير أن موت يزيد بن معاوية فجأة حال بينه وبين ذلك ففر إلى الشام من العراق[٩٠].

---

(٨٥) هو حيان بن ظبيان السلمي، كان يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث من الخوارج يوم النهروان، فعفا عنه علي – كرم الله وجهه – في الأربعمائة الذين عفا عنهم من المرتثين يوم النهروان. فكان حيان في أهله وعشيرته، فلبث فيهم شهرا، ثم خرج إلى الري مع رجال له كان يرون رأيه، فلم يزالوا بالري حتى بلغهم قتل علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – فدعا حيان أصحابه وكانوا بضعة عشر رجلا، كان أحدهم سالمًا بن ربيعة العبسي، إلى الخروج وحثهم على الجهاد فبايعوه فسار بهم إلى الكوفة، تاريخ الطبري ١٧٣/٣ – ١٧٤، المنتظم ١٩٣/٥، الكامل في التاريخ ٢٨٣/٣.

(٨٦) تاريخ الطبري ١٧٣/٣، المنتظم ٢٠١/٥، الكامل في التاريخ ٢٨٣/٣.

(٨٧) بانقيا بكسر النون، ناحية من نواحي الكوفة، كانت منزل إبراهيم الخليل -عليه السلام- لما خرج من بابل، انظر معجم ما استعجم ٢٢٢/١، معجم البلدان ٧٦/١.

(٨٨) تاريخ الطبري ١٧٣/٣، البداية والنهاية ٨٣/٨، تاريخ ابن خلدون ١٧٩/٣.

(٨٩) الكامل للمبرد ١٤٥/٣.

(٩٠) الكامل للمبرد ١٤٥/٣، قصة المختار الثقفي ص٦٥.

تمرد/ طواف بن علي بن غلاق الخارجي بالبصرة سنة٥٨هـ ٦٧٧م:

كان الخوارج بالبصرة يجتمعون إلى رجل منهم يدعى (جدار) فيذكرون عنده مساوئ الوالي والخليفة ويعيبون الحكم الأموي وينفرون الناس منه، ويكسبون الأنصار بإظهار معايب السلطان، فأخذهم عبيد الله بن زياد فحبسهم، ثم بدأ في خطة بارعة تدل على حنكته السياسية، وتدل على سطحية تفكير الخوارج وسذاجتهم مع ما هم عليه من عمق إيماني متجذر في القلوب، وعبادة وتبتل لا يباريهم فيه أحد، ولكنهم مع كل هذا كانوا يتساقطون في الشبهات الفكرية تساقط الفراش في النار وهي تحسبه نورًا وكان إبن زياد يفهم طبيعة وطريقة تفكير الخوارج السطحية الساذجة، فكان يأتي بهم مجموعات من الحبس، ويناظرهم فيما هم عليه من اعتقاد ويلقي إليهم الشبهات التي تفرق بينهم فيتعادون مع بعضهم، ثم يكفر بعضهم بعضا، وهنا يعرض عليهم إبن زياد أن يقتل بعضهم بعضا، ويخلي سبيل القاتلين، ففعلوا ما خططه لهم إبن زياد فأطلق القتلة الذين قتلوا أصحابهم[٩١]. وكان من بين القتلة رجل يسمى (طواف بن غلاق)، اجتمع عليه قتلة الخوارج ثم عذلهم أصحابهم من بقية الخوارج، وقالوا قتلتم إخوانكم، فرد عليهم طواف وأصحابه بأنهم قد أكرهوا على ذلك وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان، وندم طواف وأصحابه، فقال طواف: أما من توبة؟ وكانوا يبكون على فعلتهم، وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا، فعرضوا عليهم القود فأبوا، حتى لقي طواف من دله على طريق التوبة في قول الله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }[٩٢]. عندها دعا طواف أصحابه القتلة إلى التمرد والخروج على إبن زياد ليفتكوا به، وبايعه هؤلاء سنة ٥٨هـ/٦٧٧م على ذلك، وكانوا سبعين رجلا من بني عبد القيس بالبصرة، وإذ هم على ذلك إذ برجل منهم ينمي بهم إلى زياد، فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج قبل الموعد المحدد، فخرجوا من ليلتهم وقتلوا رجلا في طريقهم، ومضوا إلى الجلجاء[٩٣]، فندب إبن زياد الشرط البخارية[٩٤]، فقاتلوهم، فانهزم الشرط يوم عيد الفطر ودخلوا البصرة واتبعوهم، ثم انضم إليهم سواد من الناس كثير فقاتل الخوارج حتى قتلوا ولم يبق سوى طواف وستة نفر، فرماه البخارية بالنشاب حتى أصابوه فقتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله من بني سدوس،[٩٥] فما أمهله الله وهلك بعد نيف وسبعين يوما[٩٦].

(٩١) الكامل في التاريخ ١٥٩/٣.

(٩٢) سورة النحل آية (١١٠).

(٩٣) الجلجاء/ بلد معروف على بعد فرسخين من البصرة انظر معجم ما استعجم ٣٨٩/١، لسان العرب ٤٢٦/٣.

(٩٤) البخارية/ هم فرقة رماة أصلهم من بخارى استقدمهم عبيد الله بن زياد وكانوا ألفين ممن يجيدون الرمي بالنشاب وألحقهم بجهاز الشرطة وعرفوا بالبخارية، انظر تاريخ الطبري ٢٤٤/٣.

(٩٥) الكامل في التاريخ ٣٥٩،٣، تاريخ إبن خلدون ١٨١/٣.

(٩٦) سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٣.

تمرد/ مرداس بن حدير بن أدية سنة59هـ[97].

كان مرداس بن حدير[98]، قد حبسه عبيد الله بن زياد، وقد عزم على قتل الخوارج عندما أطلق سراحهم، ثم لم يحمدوا له هذا الصنيع فخرجوا عليه، ومن ثم عزم على تتبعهم وحبسهم وقتلهم حتى بالشبهة، وكان مرداس مجتهدًا في العبادة في سجنه حتى أن السجان كان يسمح له بالذهاب إلى بيته ليلاً على أن يعود إلى السجن فجرا، وكان يفي له مرداس بالوعد رغم علمه بقتله، حتى كانت الليلة التي علم فيها السجان بنية ابن زياد في قتل من في السجن من الخوارج، وحين قدم مرداس للقتل وثب السجان وكان ظئرا لعبيد الله بن زياد[99]. فأخذ بقدمه وقال هبه لي! وقص عليه قصته فوهبه له وأطلقه، فخرج مرداس في أربعين رجلا من البصرة إلى الأهواز[100] حتى نزل آسك[101] وقد كره المقام بين ظهراني أهل البصرة، والبعد عن ابن زياد في مكان لا يجري عليه حكمه، وأعلن أنه لن يشهر سيفا أو يقاتل أحدا، وكلما مر عليه مال يحمل لابن زياد يغصب حامليه ولا يأخذ إلا بقدر حاجتهم ويرد الباقي، ولما بلغ ذلك ابن زياد أنفذ إليهم بآسك جيشا بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي، وقيل معبد بن أسلم الكلابي، وقيل هو عبد الله بن حصين التميمي[102]، وكان تعداد الجيش ألفي جندي فلما التقوا بمرداس تناظروا فيما بينهم وتجادلوا ثم تحاربوا فشد الخوارج على جيش أسلم وأصحابه فهزموهم حتى أدخلوهم البصرة، فلامه ابن زياد وعنفه، وكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به: أما أبو بلال وراءك، حتى اشتكى ذلك أسلم لابن زياد فنهى الصبيان فانتهوا، وتندر أحد شعراء الخوارج وهو عيسى بن عاتك الخطي بهذه الواقعة قائلاً:

أألفا مؤمن منكم زعمتم ⁝ ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ⁝ ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم ⁝ على الفئة الكبيرة ينصرونا[103]

بعد هزيمة الأمويين من الخوارج بآسك اشتد عليهم ابن زياد بالبصرة فكان يتهم كل من اشتبه بانتمائه للخوارج فيقتلهم حتى قيل إنه قتل بعد آسك منهم في البصرة وحدها نحو تسعمائة رجل[104].

---

(97) في سنة 58هـ خرج عروة بن أدية أخو مرداس على ابن زياد، فقتله صبرا بتهمة أنه كان يكفر عثمان وعلي -رضي الله عنهما- وبتهمة اقدامه على مساعدة أخيه مرداس على الخروج على ابن زياد، انظر: المعارف 410/1، المبرد 96/3، 144، تاريخ الطبري 254/3، المنتظم 295/5، الكامل في التاريخ 360/3.

(98) هو مرداس بن عمرو بن حدير بن ربيعة بن حنظلة يكنى أبا بلال، وأدية إنما هي جدة له من قبيلة محارب قد نسب إليها، وقيل إن أدية كانت ظئرا له، المعارف 410/1، 598.

(99) يقال كان فلان ظئرا لفلانة أي: هي المرضعة له، وتعني العاطفة على غير ولدها من الناس والإبل. ويقال فلان ظئرا لفلان أي: زوج مرضعته، النهاية في غريب الأثر 154/3، لسان العرب 514/4، مختار الصحاح 170/1.

(100) تاريخ خليفة 256/1، تاريخ الطبري 254/3، المنتظم 295/5.

(101) آسك: بفتح السين –وهي بلد من نواحي الأهواز ذات نخيل ومياه، وفيها إيوان عال في صحراء على عين غزيرة، انظر معجم ما استعجم 91/1، ومعجم البلدان 53/1، انظر أيضا محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – عالم الكتب – بيروت سنة 1989، ط1 398/1.

(102) تاريخ خليفة بن خياط 256/1، الكامل في التاريخ 361/3، المنتظم 295/5.

(103) تاريخ الطبري 3 255، تاريخ مدينة دمشق 181/19، الكامل في التاريخ 361/3، سير أعلام النبلاء 20/3، 225، 14 508. اتجاهات الشعر في عصر بني أمية ص179.

ثم عزم على التخلص من مرداس وأصحابه، فأرسل جيشا من ثلاثة آلاف بزعامة عباد بن علقمة التميمي – يلقب بعباد بن الأخضر، والأخضر هو زوج أمه نسب إليه – فلحق مرداس بتوج[١٠٥] وحملوا على مرداس وأصحابه حملة رجل واحد فقتلوهم عن آخرهم، وأخذ رأس مرداس وعاد إلى البصرة، فترصد له أربعة من الخوارج فقتلوه قبل أن يصل إلى ابن زياد، فاجتمع الناس على الخوارج الأربعة فقتلوا منهم ثلاثة وهرب الرابع، فاغتاظ بن زياد وأمر نائبه بالبصرة بتتبع كل من يشتبه فيه أنه من الخوارج، وطلب كل من كان قد كفل خارجيا بمن كفله، فمن أتاه بالخارجي أطلقه وقتل الخارجي، ومن لم يأت به قتله هو[١٠٦]. وقد قال شاعر الخوارج عمران بن حطان في مقتل مرداس:

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه — يارب مرداس اجعلني كمرداس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه — ما الناس بعدك يا مرداس بالناس[١٠٧]

تمردات الخوارج الأزارقة:[١٠٨]

تمرد/ نافع بن الأزرق بالأهواز سنة ٦٤هـ/٦٨٣م:

اشتد عبيد الله بن زياد في مواجهة الخوارج، فلم يكن ينتظر خروج هؤلاء عليه بل أصبح هو المبادر بالبحث عنهم مستعملا كل الوسائل التي تغري الناس بالإبلاغ عن أي خارجي، حتى استطاع بهذه الطريقة إلى إلقاء القبض على الكثير منهم، وأدت هذه

(١٠٤) الأخبار الطوال ص٢٧٠.

(١٠٥) توج:بفتح أوله وتشديد ثانيه، مدينة بفارس تقع على بحر الهند في غور الأرض لذلك فهي شديدة الحرارة تشتهر بالنخيل وصناعة الثياب الرقيقة، وتسمى أيضا توز وإليها تنسب الثياب التوزية، وفي جملتها عبارة عن حصن عامر بأهله، انظر معجم ما استعجم ٣٢٤/١، معجم البلدان ٥٦/٣، نزهة المشتاق ٤١١/١، الأنساب للسمعاني ٤٩٠/١.

(١٠٦) الكامل للمبرد ٨٨/٣، تاريخ خليفة ٢٥٦/١، الكامل في التاريخ ٣٦١/٣.

(١٠٧) الكامل للمبرد ٨٨/٣، المعارف ٤١٠/١.

(١٠٨) الأزارقة فرقة من الخوارج نسبت إلى رئيسها الأول نافع بن الأزرق بن قيس بن حبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الحنظلي، يقال إن أبا نافع وهو الأزرق كان عبدا روميا حدادا نزل الطائف ثم اعتق، كان نافع أمير قومه وفقيههم بالبصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- ثم تمرد على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ثم كان من أصحاب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حتى كانت قضية التحكيم فخرج على عليّ -رضي الله عنه- وانضم إليه جماعة ممن يرون رأيه وسموا الأزارقة حيث كفروا عليا بالتحكيم وكذلك الصحابة وتبرءوا من سائر المسلمين وكفروهم ورأوا استعراضهم بالسيف وقتل أطفالهم واستحلال أماناتهم وقالوا بأن قتل ابن ملجم لعلي كان على حق وأثنوا عليه وترجموا له، ولذلك تعد الأزارقة من أخبث فرق الخوارج، وتلقب نافع بلقب أمير المؤمنين ودعا لنفسه بالخلافة، وحذا حذوه في تلك من إخوانه الخوارج عبد الله بن الماخوز وقطري بن الفجاءة آخر رؤساء الأزارقة وعبد ربه الكبير و بن عامر وأبو فديك قيس بن ثعلبة وصالح بن مسرح وشبيب بن يزيد وغيرهم، وقد انقرضت الأزارقة بعد مقتل قطري بن الفجاءة وعبيد بعد بضعا وعشرين سنة من قتال المسلمين، مؤلف مجهول مخطوط برهان الكمال وكمال البرهان في ترجمة ذافاء الزمان – دار الكتب المصرية والمخطوطات رقم ٦٧٧ ص ١١٢، فتوح البلدان ٦٧/١، تاريخ الطبري ٣٧٧/٣، طبقات الحنابلة ٣٤/١، الأنساب للسمعاني ٢٢/١، ٤٤٧/٥، الكامل في التاريخ ١٣٨/٥، تاريخ ابن خلدون ٣٦١/٢، ١٨٢/٣، التعريفات ٢٢/١، التعاريف ٥٣/١، سبط النجوم العوالي ٢١٦/١ وما بعدها.

السياسة إلى هروب الكثير منهم إلى الحجاز حيث عبد الله بن الزبير المناوئ للأمويين، وقد قاتل الخوارج مع إبن الزبير دفاعا عن البيت الحرام، حتى مات يزيد وانسحب الجيش الأموي، وأراد الخوارج أن يعرفوا موقف إبن الزبير من اعتقاداتهم خاصة في ثالث الخلفاء الراشدين عثمان - رضي الله عنه-(١٠٩) فتولى إبن الزبير عثمان، فتركه الخوارج ورحلوا عن مكة، فذهب بعضهم إلى البصرة وعلى رأسهم نافع بن الأزرق، وعبد الله بن صفار السعدي، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بيهس، وبنوا الماحوز (عبد الله، وعبيد الله، والزبير)، وذهب البعض من الخوارج إلى اليمامة(١١٠)، وعلى رأسهم أبوطالوت، وعبد الله بن أبي فديك، وعطية بن الأسود اليشكري(١١١).

وقد ظل الخوارج فرقة واحدة يتبنون أفكارا ومبادئ واحدة بصفة عامة، إلى أن أحدث نافع بن الأزرق الخلاف بينهم، لما تبرأ من القعدة(١١٢) عن القتال معه، وقال بتكفير كل من لم يحارب معه، وامتحن من قصد عسكره ليلحق به(١١٣). فخالف نجدة بن عامر الحروري(١١٤) وقال التقية جائزة لقول الله تعالى {إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً}(١١٥). وقوله تعالى:{ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ}(١١٦)، وقال نجدة إذا القعود جائز، والجهاد إذا أمكن أفضل، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما(١١٧).

(١٠٩) المبرد ١٥٨/٣، تاريخ الطبري ٤٠٠/٣، العقد الفريد ٣٤٣/١، تاريخ دمشق ١٩٠/٣١، ٤٥٤/٣٧، ٣٠٣/٥٩.

(١١٠) اليمامة تقع في منطقة نجد وبينها وبين البحرين مسيرة عشرة أيام فتحها خالد بن الوليد سنة٢١هـ في عهد أبي بكر الصديق وقتل مسيلمة الكذاب. انظر معجم البلدان ٤٤٢/٥.

(١١١) المبرد ١٥٨/٣، تاريخ خليفة ٢٥٣/١، تاريخ الطبري ٤٠٠/٣، الكامل في التاريخ ٤٩١/٣، البداية والنهاية ٢٣٩/٨ تاريخ بن خلدون ٣٦١/٢، التعاريف ٥٣/١.

(١١٢) القعدة من القعود وهو التكاسل ومقابله القيام، والقعدة هنا المقصود الرجال الذين لا يمضون إلى القتال، وبه سمي قعد الحرورية، أو قعد الشراة الذين يحكمون ولا يحاربون، ومفردها القعدي وهو القاعد من الخوارج الذي يرى رأي القعد الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس وهم كالذي لا يشرب الخمر ويستحسن شربها لغيره. انظر لسان العرب ٣٥٨/٣، التعاريف ٥٨٨/١.

(١١٣) مقالات الإسلاميين ص٨٦، الأنساب للسمعاني ١٢٢/١.

(١١٤) هو نجده بن عامر الحنفي، من بكر بن وائل، ولد سنة ٣٦هـ كان من كبار الخوارج أصحاب الثورات والتمردات في صدر الإسلام، وانفرد عن سائر الخوارج بآراء مختلفة، استقر هو وأصحابه بالبحرين خمس سنين. وتسمى بأمير المؤمنين وأرسل عمالا له على اليمامة وعمان وهجر وغيرهم. انظر الكامل المبرد ٩٩/٣، البدء والتاريخ ١٣٩/٥ الأنساب للسمعاني ٢٧٤/٤.

(١١٥) سورة آل عمران (٢٨).

(١١٦) سورة غافر (٢٨).

(١١٧) الفرق بين الفرق ص٨١. الملل والنحل ١٢٠/١.

ورد نافع بأن كلام نجدة يخص أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما كانوا مضطهدين مقهورين، أما هؤلاء فليسوا كذلك، فالقعود في حقهم كفر(١١٨)، لقول الله تعالى: {وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ }(١١٩).

خرج نافع بعد ذلك من البصرة إلى منطقة الأهواز(١٢٠)، وتبعه كثير من الخوارج وأقام هناك لا يهيج أحدا، واكتفوا بمناظرة الناس، وبطرد عمال الأمويين عن كور الأهواز وجبوا الفيء، ثم بدأوا في تبني الآراء الخبيثة حيث (كانت أقوال نافع من أخبث الأقاويل)(١٢١). ومن ذلك أنهم يقولون إن من خالفهم مشرك، وأطفال المشركين في النار، فدماؤهم حلال وأوّلوا قول الله تعالى على لسان رسول الله نوح -عليه السلام- {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ }(١٢٢). واستباحوا قتل نساء مخالفيهم، وأن دار مخالفيهم دار كفر لا دار إسلام، وأنكروا حد الرجم بحجة أنه لم يرد في القرآن، وقالوا بقذف المحصنات من النساء، وأنكروا حد قذف الرجل المحصن، وكانوا يقطعون يد السارق في القليل مثله مثل سارق الكثير ولم يعتبروا في السرقة بالنصاب الموجوب لقطع اليد(١٢٣).

واستمر أصحاب نافع من الخوارج في الازدياد حتى بلغوا قرابة العشرين ألفا، واستحوذوا على كل الأهواز، ثم اتجهوا ناحية البصرة، ودنوا من الجسر سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م، فبعث إليهم والي البصرة عبد الله بن الحارث جيشاً يقوده مسلم بن عبيس بن كرز من أهل البصرة، والتقى مسلم نافعاً في قرية دولاب(١٢٤). بالأهواز، وكانت الغلبة للخوارج، فقد قُتل مسلم بن عبيس، وقتل أيضا نافع بن الأزرق وخلق كثير معه(١٢٥)، فأمّر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري، وأمرت الأزارقة عليهم

(١١٨) الفصل في الملل والنحل ٨٨/٤، الملل والنحل ١٢٠/١.

(١١٩) سورة التوبة (٩٠).

(١٢٠) الأهواز منطقة تقع بين البصرة وفارس وتتكون من سبع كور لكل منها اسم خاص بها، كان اسمها قبل الإسلام الخوز أو خوزستان فعربها العرب إلى الأهواز، انظر معجم ما استعجم ٢٠٦/١، معجم البلدان ٢٨٤/١.

(١٢١) طبقات الحنابلة ٣٤/١.

(١٢٢) سورة نوح (٥).

(١٢٣) الكامل في المبرد ١٥٩/٣ مقالات الإسلاميين ص٨٦، الفرق بين الفرق ص٨٠، الفصل في الملل والنحل ٨٨/٤، الملل والنحل ١٢٠/١.

(١٢٤) بفتح الدال وهو الصحيح، وتضم أحيانا، وهي قرية بالقرب من الأهواز بأربعة فراسخ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الآلة التي يصب بها الماء، انظر معجم ما استعجم ٥٦٣/٣، معجم البلدان ٤٨٥/٢. (والفرسخ مسافة معلومة من الأرض تقدر بثلاثة أميال انظر لسان العرب ٦٣٩/١)، ٤٤/٣).

(١٢٥) إبراهيم أحمد العدوي – الدولة الأموية – دار الثقافة العربية القاهرة سنة ٢٠٠٠م ص ١٣٨ - ١٤١.

عليهم عبد الله بن الماحوز(١٢٦). ثم عادوا فاقتتلوا فقُتل الحجاج بن باب وقتل أمامه عبد الله بن الماحوز، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة الأجذم التميمي، وأمر الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز، ثم عادوا فاقتتلوا بعدها على أهل البصرة الذين هرعوا إلى الأحنف بن قيس(١٢٧) الذي أشار عليهم أنه ليس لها إلا المهلب بن أبي صفرة(١٢٨)، فهرول أشراف البصرة إليه يعرضون عليه الأمر، فتعلل بعهد عبد الله بن الزبير له على خراسان، فكتب أهل البصرة إلى إبن الزبير يستعفيه من خراسان، ويأمره بقيادة الجيوش لقتال الأزارقة، وجاء إليه كتاب إبن الزبير يأمر فيه المهلب بقتال الأزارقة(١٢٩).

إلا أن المهلب لم يخرج لقتالهم إلا بعد أن اشترط على أهل البصرة جملة شروط أجابوه كلها عليه منها أن خوّل في اختيار ما يشاء من المقاتلة، وأن تكون له إمرة وخراج كل بلد يقع في حوزته، وكتب بذلك كتابا، وأوفد به أهل البصرة وفدا لابن الزبير، فأمضاه للمهلب وأجازه له، فاختار المهلب فيمن خف من قومه معه اثنى عشر ألفا من الرجال(١٣٠).

---

(١٢٦) الكامل للمبرد ١٦٣/٣، الكامل في التاريخ ١٦/١٤: ١٩.

(١٢٧) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن حصين بن مناة السعدي التميمي البصري، كنيته أبو بحر، كان اسمه في صفرة صخر وقيل الضحاك، ولكن غلب عليه الأحنف لأنه ولد أحنف القدمين، فقالت أمه لولا أنه أحنف لكان له شأن ومعنى أحنف القدمين أي تمثل قدماه كل واحدة إلى أختها بأصبعها ومنها سميت الحنيفية، لأن الحنيفية هي الميل إلى ملة الإسلام ــ وكان الأحنف من سادات الناس وعقلاء التابعين وفصحاء أهل البصرة وحكمائهم، أدرك زمن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يصحبه وأثنى على دين الإسلام لما أرسل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى قومه يبلغهم الإسلام، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم (اللهم اغفر للأحنف) فكان الأحنف يقول هذه الدعوة أرجى شيء عندي، روى عن عمر وعلي وأبي ذر، وفتح الله على يده فتوحًا كثيرة منها مرو الروز، ومات بالكوفة في خلافة إبن الزبير ٧٧هـ وصلى عليه مصعب بن الزبير، وإليه تنسب السيوف الحنيفية وهي المعدولة على غير قياس للسمعاني ٢٥٥/٣، تاريخ دمشق ٢٩٨/٢٤، تاريخ أصبهان ٢٦٨/١ ــ ٢٦٩، الأنساب للسمعاني ٢٥٥/٣، تاريخ دمشق ٢٩٨/٢٤، المنتظم ٩٤/١، لسان العرب ٥٧/١ ــ ٥٨، تاريخ إبن خلدون ٣٧٨/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ١٨٧/١.

(١٢٨) المبرد ١٦٤/٣، تاريخ خليفة ٢٥٣/١: ٥٧، تاريخ اليعقوبي ٢٦٥/٢: ٢٧٢، المحن ٢٥٩/١، تاريخ الطبري ٣٧٧/٣: ٤٠٠، ٢٥/٣، البدء والتاريخ ١٣٨/٥: ١٣٩.

(١٢٩) هو المهلب بن أبي صفرة واسم أبيه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث من الأزد كان أشجع الناس وله رأي في الحرب جزيل ويعد من وجوه أهل البصرة وفرسانهم وأجوادهم، غزا في خلافة عمر بن الخطاب، وقد وفد على يزيد بن معاوية وولي لبني أمية، ولايات، وتولى حرب الأزارقة، وكانت له معهم وقائع وأيام مشهورة، وكنيته أبو سعيد وأبو عبد الله انظر مؤلف مجهول من ق ١١هـ - تاريخ الخلفاء ــ مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٤٦٦ج، ص٢٦٢، طبقات إبن سعد ١٠١/٧، طبقات خليفة ٢٠١/١، فتوح البلدان ٤٠٧/١، تاريخ دمشق ٦١. ٢٨٠، وفيات الأعيان ٣٥٠/٥، الإصابة ٣٨٦/٦، ٢١٩/٧.

(١٣٠) عن نص هذا الكتاب انظر تاريخ الطبري ٤٢٦/٣، وقيل أن أهل البصرة هم الذين كتبوا هذا الكتاب على لسان ابن الزبير، ولكننا لا نميل إلى ذلك لأن المهلب ليس من السذاجة أن يدخل عليه مثل ذلك أو يقبله، كما

وذهب المهلب بمن انتخبه معه إلى حرب الأزارقة، فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه، واتبع المهلب في حربه للخوارج سياسة حربية فريدة أدت إلى انتصاره عليهم ومن ذلك:

سياسة المهلب الحربية في مواجهة الخوارج(١٣١):

- بث الأحراس في أوقات السلم معهم كما يبثها في أوقات الحرب تماما ويشرف عليهم بنفسه أو من يثق فيه (كان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد، فكان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده، ويمن يحل محلهم في الثقة عنده)(١٣٢) إضافة إلى نشر العيون له في المدن والقرى كما ينشرها في الصحاري تماما(١٣٣).
- دوام تحذير أصحابه بالتحرز والتخويف من غدر الخوارج وبياتهم لهم حتى ولو كانوا على بعد منهم ويقول لهم: "احذروا أن تكادوا منهم كما تكيدون لهم، ولا تقولوا هزمنا وغلبنا، فإن القوم وجلون، والضرورة تفتح باب الحيلة(١٣٤)".
- بث العيون في معسكر العدو ليأتوه بأخبارهم وخططهم، فيدرسها ويقف على أحوالهم ومواطن ضعفهم وأوقات غفلتهم (كان المهلب يزكي العيون ويخاف البيات، ويرتقب الغفلة)(١٣٥).
- اختار نوابه ومعاونيه وخلفاءه في المعارك بعناية فائقة، وكان جلهم من بني المهلب وكان يزكي نائبه لجنوده عندما يتركه للعودة للبصرة للتنسيق مع الأمير مصعب هناك، فيقول لجنوده عن نائبه وكان المغيرة ابنه "استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة، وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا، وأخو مثله مواساة ومناصحة، فلتحسن له طاعتكم، وليلن له جانبكم، فوالله ما أردت صوابا قط إلا سبقني المغيرة إليه"(١٣٦).

وكان يركز على الجانب المعنوي لجنوده قبل وبعد كل مواجهة فكان يخطبهم قبل وبعد كل موقعة وكل موقف(١٣٧).

أن إبن الزبير لم يعترض على تولي المهلب حرب الأزارقة لأنه هو الذي أمر بذلك ويظهر ذلك من نص الكتاب – الباحث–.

(١٣١) المبرد ١٧٢/٣، تاريخ اليعقوبي ٢٦٤/٢، تاريخ الطبري ٤٣٦/٣، الكامل في التاريخ ١٦/٤: ٢٠، مرآة الجنان ١٤١/١: ١٥٨، شذرات الذهب ٧٣/١، ٨٤.

(١٣٢) الكامل للمبرد ٢٠٧/٣، الكامل في التاريخ ١٨/٤.

(١٣٣) الكامل للمبرد ١٧٤/٣.

(١٣٤) المصدر السابق نفسه.

(١٣٥) المصدر السابق نفسه ١٨٥/٣.

(١٣٦) الكامل للمبرد ١٧٤/٣، ١٨٤.

(١٣٧) المصدر السابق نفسه ١٧٤/٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١.

موافاة مسئوله الأعلى وهو والي البصرة بأخبار مفصلة ينقلها إليه أولا بأول[١٣٨].

ابتكار وسائل جديدة للقتال مثل صنع مخالٍ للحجارة التي كان يأمر أصحابها بحملها لرمي العدو في وقت غفلة العدو ويقول: "إن رمي الحجارة يصيد الفارس، ويصرع الراجل"[١٣٩].

كان يخادع الخوارج آخذا بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – "إنما أنت رجل فخذل عنا فإنما الحرب خدعة" وقوله صلى الله عليه وسلم "وكل كذب يكتب كذبًا إلا ثلاثة، الكذب في الصلح بين الرجلين، كذب الرجل لامرأته يعدها، كذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد" وقوله – صلى الله عليه وسلم – لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة في حرب الخندق "انتيا بني قريظة، فإن كانوا على العهد فأعلنا بذلك، وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا، فالحنا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتا في عضد المسلمين"[١٤٠]. فرجع السعدان بغدر القوم فقالا: يا رسول الله "عضلٌ والقارة"[١٤١] – فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – للمسلمين "أبشروا فإن الأمر ما تحبون". لذلك كان الخوارج يسمون المهلب بالساحر[١٤٢]، والكذاب والأعور لأنه فقد إحدى عينيه بسهم في الحروب بسمرقند[١٤٣].

عن الحلم وسعة الصدر للذين لا ينفذون أوامره، فكان يحلم عليهم ويلين في غير خنوع، فكما كتب إليه الحجاج أن يسمي له من حرب من القتال ليقبله، ومن لم ينفذ أوامره، فكتب المهلب للحجاج: (ليس قبلي إلا مطيع ونادم على ذنبه، والناس إذا خافوا العقوبة كبروا الذنب، وإذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب، وإذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك. فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة، فإنما هم فرسان أبطال، أرجو أن يقتل الله بهم

---

(١٣٨) المصدر السابق نفسه ١٨٤/٣.

(١٣٩)المصدر السابق نفسه ١٧٩/٣.

(١٤٠) تاريخ الطبري ٩٣/٣، البداية والنهاية ١٠٤/٤، تاريخ ابن خلدون ٤٤١/٢، سمط النجوم العوالي ١٨٥/٢.

(١٤١) عَضَلٌ والقارة: نسبة إلى عضل وهي قبيلة تنتسب إلى عضل والقارة ابنا يثيع بن الهون بن خزيمة بن مدركة وهما حي من كنانة، وإن كان الفاكهي في أخبار مكة يقول إن عضل والقارة من الأحابيش – وبعد غزوة أحد قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفد من عضل والقارة وقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاما فأرسل معنا من يعلمنا شرائع الإسلام، فأرسل معهم النبي –صلى الله عليه وسلم – رهطا من المسلمين بلغوا السبعة منهم عاصم بن ثابت حمي الدين وخبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، فغدوا لهم في الطريق عند بني هذيل في موضع ماء يقال له الرجيع في صفر سنة ٤هـ فقتلوهم وأسروا خبيب ومرثد ثم قتلوهما بعد الأشهر الحرم، تاريخ خليفة ٧٤/١، أخبار مكة ١٨٣/٥، تاريخ الطبري ١٨٠/٣، الإنباه على قبائل الرواة ٥٣/١، البدء والتاريخ ٢٠٩/٤، الأنساب للسمعاني ٧١٤/٥، معجم البلدان ٣/(*)، الكامل في التاريخ ٥٩/٢، لسان العرب ٤٥٣/١١، سير أعلام النبلاء ٢٤٧/١، الوافي بالوفيات ١٥٠/١٣، البداية والنهاية ٦٣/٤.

(١٤٢) الكامل للمبرد ١٩٤/٣.

(١٤٣) للمزيد انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – تلقيح فهوم أهل الأثر – دار الأرقم بيروت ط١ سنة١٩٩٧، ٣٢٥/١، وسمرقند مدينة تقع بخراسان يطلق عليها زين خراسان وجنة الدنيا، وهي بلد معروف مشهور قيل من مدينة من أبنية ذي القرنين. فيها بساتين ومزارع، انظر معجم ما استعجم ٧٥٤/٣، معجم البلدان ٢٤٦/٣.

العدو(١٤٤). وبهذه السياسة الحليمة استطاع المهلب اصطناع الهاربين وإعادة تشكيل عقولهم وطريقة تفكيرهم.

رفع شعار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحروب الذي كان يأمر به، ورفعه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في حرب الخوارج وهو {حم(١٤٥). (ثلاث مرات) لا ينصرون}(١٤٦). وهو شعار يحتوي على خبر ودعاء: خبر معناه "والله لا ينصرون علينا". ودعاء معناه "اللهم لا تنصرهم علينا". وقال البعض إن السور التي أولها {حم} لها شأن، فنبه أن ذكرها لشرف منزلتها، وهي مما يستنزل به النصر من الله تعالى(١٤٧).

كان لا يبدأ العدو بقتال، ولا ينتهز الفرص للانقضاض، وذلك بشهادة عدوه زعيم الخوارج بعد مقتل بن الماهوز وهو قطري بن الفجاءة(١٤٨) "إن المهلب هو من قد عرفتموه إن أنتم أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمده إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه، ولا يبدأكم بقتال إلا أن تبدأوه، ولا هو ممن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر – الغالب – والثعلب المرواغ، والبلاء المقيم"(١٤٩). كان المهلب يحث جنده على

---

(١٤٤) المبرد ٢٠٣/٣ – ٢٠٤.

(١٤٥) {حم} وردت في أوائل السور القرآنية (غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف)

(١٤٦) وردت كلمة (لا ينصرون) في القرآن في قول الله تعالى {وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون} [آل عمران: ١١١]، وقوله تعالى: {ليولنه الأدبار ثم لا ينصرون} [الحشر: ١٢] وذلك في الدنيا، كما وردت في سورة القصص الآية (٤١)، وسورة فصلت الآية (١٦) بأنهم (لا ينصرون) في الآخرة أيضا.

(١٤٧) المبرد ١٨٠/٣.

(١٤٨) هو جعونة بن الفجاءة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، من أهل قطر وإليهم ينسب، وجعونة هو السمين القصير، وكان يكنى في الحرب بأبي نعامة، ونعامة هي اسم فرسة وكان يكنى في السلم بأبي محمد. وكان قطري من رؤساء الخوارج الأزارقة وأبطالهم، وخطيب فارس وشاعر مفوّه. استفحل أمره زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه عبد الله بن الزبير. وقد ظل قطري ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين، حتى سير إليه الحجاج الجيوش الواحد تلو الآخر فكان يردهم ويظهر عليهم. حتى أرسل إليه الحجاج جيشا بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي فقتله بطبرستان بعد أن رحل إليها من الري فقتله سفيان وأرسل برأسه إلى الحجاج بالعراق، قيل عثرت به فرسه نعامة فاندقت عنقه في الأرض فأدركوه وقطعوا رأسه في سنة ٧٩هـ ذلك على اختلاف المؤرخين، وكان قطري بن الفجاءة قد ضرب نقودا بمدينة أردشير خرة ورسم عليها شعار الخوارج وذلك سنة ٦٩هـ المعارف ٤١١/١، العبر للذهبي ٩٠/١، مرآة الجنان لليافعي ١٦٠/١، البداية والنهاية ٢٠/٩، فرج الله أحمد يوسف – نقود الخارجين على الخلافة العباسية في شرق العالم الإسلامي – رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ١٩٩١. ص ١٥٣، محمد باقر الحسيني – شعار الخوارج على النقود الإسلامية المضروبة بالكوفة – مجلة المسكوكات – المجلد الأول – الجزء الثاني سنة ١٩٦٩ ص ٣٢ - ٣٥ انظر: المعارف ٤١١/١، العبر في زمن من غبر ٩٠/١، مرآة الجنان ١٦٠٠١، البداية والنهاية ٢٠/٩.

(١٤٩) الكامل للمبرد ١٨٥/٣.

الأخذ بآداب الاقتتال في المعارك فيقول لهم (لا تبدأوا عدوكم بقتال حتى يبدؤوكم، فيبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا عليكم نصرتم عليهم) (١٥٠).

الإشراف بنفسه على مرحلة التنفيذ لكل أمر قد تم الاتفاق عليه في مرحلة التشاور وكان يقول (كل أمر لا آليه بنفسي فهو ضائع) (١٥١).

إسداء النصح الخالص لأقرانه من قادة المسلمين الذين يتولون معه حرب الخوارج ـ حتى ولو كان الأمير بالبصرة قد أرسلهم لحرب الخوارج حتى يقلل من شأن المهلب في حربه مع الخوارج ـ فكان عبد الرحمن بن محنف يقاتل الخوارج بإزائه، فنصحه المهلب بأن يخندق على نفسه حتى لا يبيته ابنًا لعبد الرحمن الخوارج، فقال له يسمى جعفر (إن ما تقوله أهون علينا من ضرطة جمل) فما كان إلا أن بيته الخوارج ومن معه وقتلوا عبد الرحمن وفر جعفر ابنه إلى المهلب يستغيثه، فيصير المهلب للخوارج ابنه حبيبًا فكشف الخوارج عن معسكر إبن محنف، ثم صلى على عبد الرحمن بن محنف ومن قتل معه، وضم جنده وجند ابنه جعفر إلى جند المهلب، فعيّر البصريون أصحاب بن محنف، فلامهم المهلب وقال لهم: "بئسما قلتم، والله ما فروا ولا جنبوا، ولكنهم خالفوا أمرهم. وأنتم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب، وفراركم بفارس عن عثمان، وفراركم عني" (١٥٢). فلم يتشف المهلب من بن محنف ولم يظهر له الشماتة أو الاعتزاز بصحة رأيه لهم بالتخندق، فهذا كله من أدب الإسلام في القتال.

كان المهلب يعرف قدرات وإمكانات الرجال، يكتشفها، ويستفيد منها، ويعرف لكل من يتعامل معه قدرته وإمكانياته، ومن هؤلاء: بيهس بن صهيب(١٥٣) الذي كان يقول عنه "ما يسرني أن في عسكري ألف شجاع بدلا من بيهس بن صهيب" فيرد عليه بعض الجنود أن بيهس ليس بشجاع في الحروب فيقول المهلب: "أجل، ولكنه سديد الرأي، محكم العقل، وذو الرأي حذر سؤل(١٥٤)، فأنا آمن أن يغتفل، فلو كان مكانه ألف شجاع قلت إنهم يتشامون(١٥٥)، حتى يحتاج إليهم(١٥٦)" وهكذا كان المهلب يعرف إمكانات الرجال فهذا

(١٥٠) المصدر السابق ٣/ ٢١١.

(١٥١) المصدر السابق ٣/٢١٣.

(١٥٢) المصدر السابق ٣/٢٠٦.

(١٥٣) هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن قضاعة يكنى أبا المقدام، فارس شجاع وشاعر من شعراء الدولة الأموية كان مع المهلب في حروبه مع الأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن. الوافي بالوفيات ١٠/٢٢٩.

(١٥٤) سؤل: مشتقة من سأل السؤال، ورجل سؤل أي كثير السؤال: مختار الصحاح ١/١١٩.

(١٥٥) يتشامون: مشتقة من شام السيف شيم: أي أغمده، قال علي بن أبي طالب لأبي بكر - رضي الله عنهما - لما رأى عزمه على قتال المرتدين (شم سيفك ولا تفجعنا في نفسك). ويقول عن خالد بن الوليد (والله لا أشم سيفا سله الله على المشركين) انظر لسان العرب ١٢/ ٣٣٠.

(١٥٦) الكامل للمبرد ٣/ ٢٠٨.

بيهس ليس له في القتال ولكن له في التخطيط والنصح والمشورة، وغيره يعرفون كيف ينفذون ما يتم التخطيط له، فليس كل من يخطط يصلح للتنفيذ والعكس، المهم هو معرفة إمكانيات الأفراد، ومعرفة كيف يتم استخدامها واستثمارها، وكان يعجبه شجاعة سعد بن نجد القردوس الأزدي وهو من جنوده الشجعان، فكان المهلب إذا ظنه برجل من جنده أن نفسه قد أعجبته قال له: "لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما عدا[١٥٧]" وذلك حتى يعيد هذا الرجل إلى صوابه أنه مهما بلغت شجاعته فلن يكون في شجاعة سعد بن نجد، فلا يغتر بنفسه، وهذا يعد بعدا آخر في سياسته المهلب وهو مراقبة الجانب النفسي والبعد المعنوي عند جنوده، ووضع العلاجات المناسبة لها.

القدوة العملية في تنفيذ ما يصدره من أوامر لجنوده بحيث يكون هو أول من ينفذ الأمر حتى ولو لم ينفذه جنوده، فقد أمطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور[١٥٨] وبينهم وبين الخوارج عقبة[١٥٩]، فقال المهلب لجنوده من يكفينا هذه العقبة الليلة؟ فلم يقم أحد. فما كان من المهلب إلا أن لبس سلاحه وقام إلى العقبة، ثم اتبعه ابنه المغيرة لا ثالث لهما. ثم تلاهم الجند بعد ذلك على عصياتهم فأسرعت مجموعة منهم إليه عند العقبة هو وابنه وقالوا له: انصرف أيها الأمير نحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا أدركتهم الخوارج فردوهم عن العقبة ولم يدخلوا منها، ولولا حراستهم لها لانهزموا من تلك العقبة[١٦٠].

تنوع أساليب المهلب في مواجهته مع الخوارج بين المواجهة العسكرية والحصار الاقتصادي، وزرع الخلاف بينهم فيقول (إني منتظر منهم إحدى ثلاث: الموت الذريع – أي الفاشي المنتشر – أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم)[١٦١].

وللمهلب في زرع الفتنة بين الخوارج قصص كثيرة وسيرة نوجز منها:

كان للأزارقة حداد يسمى أبزي يصنع نصالاً مسمومة يرمون بها المسلمين من أصحاب المهلب فتؤذيهم فشكوا إلى المهلب فقال أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلا من أصحابه ومعه ألف درهم إلى معسكر قطري وأمره أن يرميه هناك، في الكتاب

---

(١٥٧) المصدر السابق نفسه، وما عدا هنا، فعل يستثنى به مع (ما) ويكون بمعنى (ما خلا) وينصب ما بعده، أما بغير ما تقول: "جاءني القوم عدا زيد"، وانظر النهاية في غريب الأثر ١٩٢/٣، لسان العرب ٣٨،١٥، مختار الصحاح ١٧٦/١.

(١٥٨) سابور مدينة من بلاد فارس وهي ولاية تقع بين خوزستان وأصبهان وهي ولاية مشهورة انظر معجم ما استعجم ١٩٧/١، ٧١١/٣، معجم البلدان ١٦٧/٣.

(١٥٩) العقبة طريق وعر في الجبل، والعقبة الجبل الطويل، يعرض في الطريق فيأخذ فيه. وهو طويل صعب شديد، والعقبة أطول من النقب وأصعب مرتقا منه. انظر لسان العرب ٦٢١/١.

(١٦٠) الكامل للمبرد ٢٠٨/٣.

(١٦١) الكامل للمبرد ٢٠٧/٣.

"أما بعد فإن نصالك قد وصلت إليّ وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال" فوقع الكتاب والدراهم في يد قطري، فدعا بأبزي، وسأله من الكتاب فقال لا أدري، قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها، فأمر به فقتل، فاختلف عليه أصحابه[١٦٢].

لما علم المهلب بوقوع الخلاف بين قطري وأصحابه من جراء مقتل الحداد، دس إلى قطري رجلا نصرانيا وقال له إذا رأيت قطريًا فاسجد له، فإذا نهاك فافعل وقل: إنما سجدت لك، ففعل النصراني: فقال له قطري: السجود لله. فقال النصراني: ما سجدت إلا لك، فقال له رجل من الخوارج: قد عبدك الرجل من دون الله، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[١٦٣]. فقال قطري إن النصارى عبدوا عيسى فما ضر ذلك عيسى، فقام رجل من رجال قطري فقتل النصراني، فأنكر عليه الباقي، أقتلت ذميا دون وجه حق فاختلفوا ووقعت الفرقة بينهم[١٦٤].

لما علم المهلب بوقوع الخلاف بينهم بسبب مقتل النصراني فوجه رجلا من عنده إليهم يسألهم سؤالاً مفاده "أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما في الطريق، وبلغكم الأخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما؟" فوقع الخلاف بينهم طائفة تقول الميت مؤمن والذي لم يجز المحنة كافر ، وقال آخرون كلاهما كافر حتى يجيز المحنة، فلما كثر الخلاف في المعسكر يئس قطري حتى أنه ترك المعسكر وخرج إلى إصطخر[١٦٥] شهرا والقوم في اختلافهم. حتى خرج أحدهم قائلا لهم: "إنكم أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم، لما ظهر الاختلاف فيكم، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة[١٦٦]".

قدرة المهلب الفائقة في التعامل مع مجريات الأحداث وتغيرها من حال إلى حال في العراق خاصة عند تغيير الولاة، فهذا الوالي الجديد بشر بن مروان[١٦٧]، أخو الخليفة

---

(١٦٢) المصدر السابق ٢١٢/٣.

(١٦٣) الأنبياء (٩٨).

(١٦٤) الكامل للمبرد ٢١٢/٣.

(١٦٥) اصطخر بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، معجم البلدان ٢١١/١.

(١٦٦) الكامل للمبرد ٢١٢/٣، المنتظم ١٩٣/٦، تاريخ اليعقوبي ٢٧٥/٢.

(١٦٧) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، أخو عبد الملك وعبد العزيز ومحمد، ولاه أخوه عبد الملك المصريين الكوفة والبصرة، وكان بشر كريما ممدوحا محبا للـ ـية، يكنى أبا مروان، يحب من الطعام الثريد، لما حضرته الوفاة قال: "والله لوددت أني كنت عبدا حبشيا لأسوأ أهل البادية ملكة أرعى عليهم غنمهم، واني لم أكن فيما كنت فيه". مات بالبصرة سنة٧٣هـ وهو أول أمير يموت بها المعارف //٣٥٥، أبو بكر عبيد الله بن محمد بن أبي الدنيا البغدادي ـ المحتضرين ـ دار ابن حزم بيروت ـ ط١ سنة١٤١٧هـ، تحقيق محمد خير رمضان، يوسف ٩٨/١، أسلم بن سهل الرزاز ـ تاريخ واسط ـ عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٦هـ ط١ تحقيق

عبد الملك بن مروان، يحسد المهلب على انتصاراته وعلاقته الوطيدة مع الخليفة، فمنع عنه أصحاب المروءة والنجدة والشرف من الرجال من أهل العراق، فما كان من المهلب أن تعامل مع الوضع بكل حلم وسياسة ودهاء، فقد جاءه رجل من تميم كان بعض جنود المهلب قد أخذوا بعضا من أرضه للجيش فجاء المهلب يسأله أمياله، فقال له المهلب أفعل بشرط أن تقول للأمير إذا خطبكم وحثكم على الجهاد "كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا؟". ففعل الرجل، فقال له بشر "ما أنت وذاك"، قال الرجل "لا شيء"[(١٦٨)]. ثم أعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتي بشرا فيقول له "أيها الأمير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة" ففعل الرجل. فقال له بشر "ما أنت وذاك" قال: "نصيحة للأمير وللمسلمين، ولا أعود لمثلها" فأمد بشر المهلب بالشرطة والمقاتلة، بل إن بشرا كتب إلى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن محنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددًا إلى المهلب ففعل[(١٦٩)].

لما وصل جيش عبد الرحمن بن محنف إلى المهلب، كان بشر بن مروان قد مات، فترك جند الكوفة ومعسكراتهم لما علموا بنبأ الوفاة، وقفلوا راجعين إلى بيوتهم بالكوفة إلا القليل منهم، حتى تولى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وأخذ يتهدد الفارين بالعودة إلى القتال وإلا قتلهم هو بنفسه، بل قتل أمامهم من جاء يطلب أن يستعفيه من القتال لكبر سنه على أن يرسل مكانه ابنه، فلم يقبل منه عذره وقتله أمام الأشهاد[(١٧٠)]، مما بث الفزع والرعب في نفوس الناس فهرعوا إلى الخروج للقتال في غضون ثلاثة أيام المهلة التي ضربها لهم الحجاج حتى كاد جسر النهر يقع بهم، فلما رأى المهلب تدافع الناس إليه للقتال بعد الفرار، قال: "لقد ولي العراق رجلا ذكرا"[(١٧١)]. فكان الحجاج في كل يوم

كوركيس عواد ١٤٤/١، مولد العلماء ووفياتهم ١٩٢/١، تاريخ دمشق ٢٥٣/١٠ المنتظم ١١٨/٦، سير أعلام النبلاء ١٤٥/٤، البداية والنهاية ٣٤٧/٨.

(١٦٨) الكامل للمبرد ٢٠١/٣.

(١٦٩) الكامل للمبرد ٢٠١/٣، الكامل في التاريخ ١٣٢/٤.

(١٧٠) كان هذا الرجل هو عمير بن ضابئ ممن اشترك في قتل عثمان بن عفان، رضي الله عنه، ومن مقتل ابن ضابئ تغنى الشعراء فقال بعضهم:

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ * وإما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

انظر محمد سلام الجمحي سنة ٢٣١هـ - طبقات فحول الشعراء - دار المدني - جدة - تحقيق محمود شاكر ١٧٦/١.

(١٧١) تاريخ الطبري ٥٥٠/٢، ٥٥١، المنتظم ١٥٥/٦، ١٦٤، الكامل في التاريخ ١٤٣/٤، البداية والنهاية ٩/٩، كان هدف الحجاج من وراء تلك الضوابط الصارمة هو خروج الناس لصد هجمات واعتداءات الخوارج.

يتفقد العصاة، فيوجه الرجال فكان يحبسهم نهاراً، ويفتح الحبس ليلا حتى ينسل الناس منه ناحية المهلب، فلما رأى الحجاج نفسه من الناس هذه الأسراع قال:(١٧٢).

إن لها لسائقا عشنزرا(١٧٣) * إذا ونين ونية تغشمرا(١٧٤)

أخذ الحجاج يرسل المدد وراء المدد إلى المهلب حتى يستمر في مهمته في مجابهة الخوارج وصدهم عن البصرة، في عهد نافع بن الأزرق ومن بعده قطري إبن الفجاءة الذي طال أمد الحرب بينه وبين المهلب، ولقد بقي المهلب في حرب الأزارقة تسعه عشرة سنة، حتى فرغ من أمرهم أيام الحجاج(١٧٥)، الذي كان يستبطئ نصر المهلب عليهم، وتوانيهم عنهم في الوقت الذي كان المهلب يطلع الحجاج على سير المعارك، فكانوا يعذرونه(١٧٦).

ولقد كان من نتائج سياسة المهلب التي كان يخطط لها لكي تحدث الفرقة والاختلاف في صفوفهم، أن أدت هذه السياسة إلى خروج بعض الأزارقة على زعيمهم القطري بن الفجاءة، وكان من هؤلاء الخارجين عبد ربه الكبير "أبو وكيع"(١٧٧) الذي ترك معسكر قطري وصار إلى واد بمدينة جيرفت(١٧٨) كيرمين ومعه سبعة آلاف خارجي، في حين فارق قطري زعيما آخر هو عبد ربه الصغير الذي خرج في أربعة آلاف خارجي وتحول بهم إلى إقليم كرمان(١٧٩)، في حين بقي قطري في بضعة عشر ألف رجل، فهزمه المهلب فرحل إلى الري(١٨٠). وكان عبيدة بن هلال البشكري(١٨١) ممن قد خرج على قطري(١٨٢) وانحاز إلى قومس(١٨٣)

---

(١٧٢) الكامل للمبرد ٢٠٤/٣.

(١٧٣) عشنزرا: الصلب الشديد الخلق العظيم من كل شيء وتقال بالألف للرجل وبالهاء للمرأة، لسان العرب ٥٧٥/٤٠.

(١٧٤) تغشمرا: أخذه قهراً، لو أخذه بجفاء وعنف، النهاية في غريب الأثر ٣٦٩/٣، لسان العرب ٢٣/٥.

(١٧٥) الأنساب للسمعاني ٢٢١/٣.

(١٧٦) المعارضة في العصر الأموي ص١٠٣.

(١٧٧) تاريخ اليعقوبي ٢٧٥/٢، تاريخ الطبري ٦٢١/٣، الكامل في التاريخ ١٨٢/٤، تاريخ إبن خلدون ٢٠٢/٣.

(١٧٨) جيرفت مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان بفارس وأنزهها وأوسعها بها خيرات كثيرة، فتحت أيام عمر بن الخطاب بقيادة سهيل بن عدي، وفيها اختلفت كلمة الخوارج وقاتل بعضهم بعضا. انظر معجم ما استعجم ٤٠٨/١، الأنساب للسمعاني ١٤٢/٢، معجم البلدان ١٩٨/٢.

(١٧٩) كرمان: إقليم واسع مشهور ذات مدن وقرى بفارس، يشاكل فارس في أوصافه، ويشابه البصرة في أسباب، ويقارب خراسان في أنواع. سمي بكرمان نسبة إلى كرمان بن فلوج من ولد يافث بن نوح عليه السلام. انظر: محمد بن أحمد المقدسي ت ٣٩٠هـ أحسن التقاسيم – وزارة الثقافة – دمشق طبعة سنة ١٩٨٠ تحقيق/ غازي طليمات. ٢٩٢/١، معجم ما استعجم ١١٢٥/٤، معجم البلدان ٤٥٤/٤.

(١٨٠) الري بفتح أوله وتشديد ثانيه، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخا، فتحت في عهد عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ انظر فتوح البلدان ٣١٦/١، معجم البلدان ١١٦/٣، الكامل في التاريخ ١٢٠/٧.

(١٨١) هو عبيدة بن هلال اليشكري، مولى بني قيس بن ثعلبة، طبقات فحول الشعراء ٣٨٢/٢.

قومس[183] وهكذا انفرط عقد الأزارقة إلى أربع جبهات بين جيرفت وكرمان والري وقومس، فسهل على جيوش الأمويين القضاء على الأزارقة، فهذا المهلب يتوجه إلى عبد ربه الكبير، ويبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير، فأتى عليه وعلى أصحابه، في حين أرسل الحجاج بن يوسف سفيان بن أبرد الكلبي في جيش كثيف إلى طبرستان[184] حيث قطري قد ترك الري وانحاز إليها فقتلوه بها، وأرسلوا برأسه إلى الحجاج بالعراق، ثم تتبع سفيان بن أبرد عبيدة بن هلال وحاصره في حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه، وبذلك طهرت الأرض من دنس الأزارقة[185] ليتفرغ الأمويون إلى مجابهة الخوارج النجدات.

تمرد الخوارج النجدات[186] بزعامة نجدة بن عامر الحنفي في الجزيرة العربية سنة ٦٩هـ/ ٦٦٨م.

كان الخوارج منذ نشأتهم في خلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فرقة واحدة حتى خرج عليهم نافع من الزرق بمبادئه باكفار من لم يهاجر معه للبصرة، وتبرأ من القعدة، وامتحان من يلحق بعسكره، فخالفه نجدة بن عامر الحروري فأجاز القعود، وقال بالتقية، وأكفر من قال بإمامة نافع، وأعذر نجدة أهل الخطأ في الاجتهادات بالجهالات[187]. ولذلك نجد الشهرستاني يسميهم (النجدات العاذرية)[188]، وقال نجدة أيضًا ليس على الناس أن يتخذوا إمامًا، إنما عليهم أن يتعاونوا على الخير فيما بينهم

(١٨٢) تاريخ الطبري ٦٠٧/٣، المنتظم ١٩٥/٦، الكامل في التاريخ ١٨٤/٤.

(١٨٣) قومس كورة كبيرة واسعة تقع في بلاد فارس بين الري ونيسابور تشتمل على مدن وقرى ومزارع في ذيل جبال طبرستان، ومعناها في الفارسية (كومش) أي سكة الماشية انظر معجم ما استعجم ١١٠٣/٣، معجم البلدان ٤١٤/٤.

(١٨٤) طبرستان تقع بين الري وقومس، كثيرة المياه والثمار وكثيرة الأشجار حولها حتى لا تستطيع الغزاة غزوها إلا إذا قطعت الأشجار ويحمل أهلها دائما الفئوس التي تسمى بالفارسية طبر ومنها سميت طبرستان وآستان تعني الموضع أو الناحية وقيل يعني الشجر بالفارسية وإليها سمي الإمام المؤرخ المفسر الطبري وقد خرج من نواحي هذه المنطقة من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه. انظر معجم ما استعجم ٨٨٧/٣، معجم البلدان ١٣/٤.

(١٨٥) الكامل للمبرد ٢١٢/٣: ٢٢٣، الفرق بين الفرق ٨٠: ٨١، الكامل في التاريخ ١٨٣/٤ ـ ١٨٤.

(١٨٦) نسبة إلى نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفي، من بكر وائل (٣٦ ـ ٦٩هـ - ٦٥٦ ـ ٦٨٨م)، من كبار أصحاب التمردات في صدر الإسلام وانفرد بآراء خاصة به عن سائر الخوارج، وتسمى بأمير المؤمنين واستقر بالبحرين نحو خمس سنين، الكامل للمبرد ٩٩/٣، تاريخ اليعقوبي ٢٧٢/٢، تاريخ بن خلدون ١٨٤/٣.

(١٨٧) الكامل للمبرد ٩٩/٣، مقالات الإسلاميين ٨٩: ٩٢.

(١٨٨) الملل والنحل ١٢٢/١.

ويتعاطوه، كما رموا من لم يلحق بعسكرهم بالنفاق، وقالوا بكفر مرتكب الصغيرة مع الإصرار، وإسلام مرتكب الكبيرة وهو غير مصر عليها[189].

لما اختلفت الخوارج على نافع فارقه جماعة منهم وذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر في جند من الخوارج، وبايعوا بها نجدة بن عامر[190]، وأرسل عماله على البحرين واليمامة وعمان وغيرها[191]، وبعد ذلك شرع نجدة بالإغارة على البلاد حوله مثل بلدة الحضارم وهي مقر بني حنيفة وسبى آلاف الرقيق منها قسمها نجدة بين أصحابه، واعترض عيرا لابن الزبير من البحرين وقسمها أيضا بين أصحابه، ثم سار إلى بني كعب بن ربيعة فهزمهم، وأثخن فيهم ثم رجع إلى اليمامة، ثم اتجه إلى البحرين سنة٦٧هـ/٦٨٦م لحربها فاجتمع أهلها على محاربته وكانوا من عبد القيس فهزمهم نجدة وأثخن فيهم، ثم هزم نجدة جيشا من عشرين ألفا أرسله مصعب بن الزبير سنة ٦٩هـ/٦٨٨م لما ولي البصرة، وكان الجيش برئاسة عبد الله بن عمر الليثي الأعور وغنم نجده ما في معسكر جيش ابن الزبير[192].

تمرد الخوارج العطوية[193] والفديكية[194] في البحرين سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م:

أرسل نجدة بن عامر، عطية بن الأسود الحنفي إلى عمان فانتهبها وأقام عليها شهرا، ثم خالف عطية نجدة بعد ذلك وذهب إلى سجستان[195] والتقته خيل المهلب هناك فقتلته سنة ٧٥هـ ثم صار نجده بعد ذلك إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من

(١٨٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٩٠/٤.

(١٩٠) الفرق بين الفرق ٨١/١.

(١٩١) تاريخ اليعقوبي ٢٧٢/٢.

(١٩٢) الكامل في التاريخ ٢٠/٤، تاريخ ابن خلدون ١٨٤/٣، شذرات الذهب ٧٤/١.

(١٩٣) نسبة إلى عطية بن الأسود الحنفي اليمامي، من علماء الخوارج وأمرائهم، اختلفت على نجدة بعد ذلك وفارقه إلى سجستان، واتبعه الخوارج هناك وسموا بالخوارج العطوية، مقالات الإسلاميين ٩٢، الفرق من الفرق ٨٢، الملل والنحل ١٢٤/١.

(١٩٤) نسبة إلى عبد الله ثور بن قيس بن ثعلبة من تغلب، يكنى بأبي فديك، كان من المقربين لنجدة الحروري، ثم ما لبث أن خرج عليه وقتلوه سنة ٦٩هـ ثم تغلب على البحرين، وكانت نهايته سنة ٧٣هـ على يد الجيش الأموي الذي قتل من أتباعه ستة آلاف وأسروا ثمانمائة، تاريخ الطبري ٣٩٨/٣، ٥٣٠، الكامل في التاريخ ١١٩/٤، البداية والنهاية ٣٢٤/٨، تاريخ ابن خلدون ١٨٤/٣.

(١٩٥) سجستان: ولاية واسعة تقع جنوبي هراة بينهما مسيرة عشرة أيام، وأرضها كلها رملة سبخة ورياحها لا تسكن، معجم البلدان ١٩٠/٣.

مخاليفها[١٩٦]، ثم بعث أحد أعوانه وهو أبو فديك إلى حضرموت باليمن فأخذ الصدقة منهم، وفي سنة ٦٨هـ حج في ألفين من الخوارج ناحية إبن الزبير، ثم عاد نجدة إلى المدينة فتأهب أهلها لقتاله، فرحل إلى الطائف فبايعه بعض أهلها، واستعمل عليهم رجلا من الخوارج، ثم رجع نجدة إلى البحرين وقطع الميرة عن الحرمين، فكتب إليه إبن عباس فخلاها لهم، وبعدها خرج عليه أصحابه عطية بن الأسود، وأبو فديك لخلافات فقهية ابتدعها نجدة[١٩٧]، وانحازت الخوارج عنه إلى أبي فديك الذي تولى أمرهم، في حين اختفى نجدة، فاقتفى أبو فديك أثره حتى قتله سنة ٦٩هـ/٦٨٨م[١٩٨] وسمي أتباع أبو فديك بالفديكية، ولم يكن لهم قول أكثر من إنكارهم على نافع ونجدة ما رأوه ابتداعًا على مذهب الخوارج[١٩٩]. وبعد مقتل نجدة خرج أبو فديك فغلب على البحرين، وهزم جيشا للأمويين أرسله خالد بن عبد الله والي العراق سنة ٧٠هـ/٦٨٩م وقيل سنة ٧٢/٦٩١م،[٢٠٠] ولما استفحل أمر أبي فديك، أمر عبد الملك بن مروان أهل البصرة والكوفة بالسير لقتال أبي فديك وأمر عليهم عمر بن عبد الله بن معمر الذي خرج في عشرة آلاف إلى البحرين والتقوا أبا فديك واستطاعوا هزيمته وقتله مع ستة آلاف من الخوارج وأسر ثمانمائة منهم وعادوا إلى البصرة[٢٠١].

وبهذا نرى أن الحرب بين إبن الزبير وبين الخوارج لم تكن قاصرة على المناطق الشرقية فقط، بل نجد أنها امتدت إلى جنوب الجزيرة العربية حيث نجدة الحروري وأصحابه، ولقد كان نجاح تمرد نجدة ضد إبن الزبير وهزيمة جيشه مرتين، وسيره إلى صنعاء ثم بعثه أبا فديك لحضرموت إن هذا كله يعبر عن ضعف نفوذ إبن الزبير في هذه المناطق[٢٠٢]، الأمر الذي تداركه فيما بعد عبد الملك بن مروان واستطاع بسط نفوذه على تلك المناطق والقضاء على نفوذ الخوارج فيها.

---

(١٩٦)مخاليفها: جمع مخلاف والمخاليف في اللغة الأطراف والنواحي وهي عند (*) كالرستاق، وبلاد اليمن تسمى نواحيها مخاليف وهي أربعة وثمانون، أحصاها اليعقوبي في تاريخه، انظر تاريخ اليعقوبي ٢٠١/١، لسان العرب ٦٩/٩.

(١٩٧) عن ذلك انظر الفرق من الفرق ص٨٢، الفصل في الملل و النحل ١٩٠/٤، الملل والنحل ١٢٢/١، تاريخ إبن خلدون ١٨٤/٣.

(١٩٨) تاريخ خليفة ٢٥٣/١، ٢٦٧، تاريخ اليعقوبي ٢٧٢/٢، تاريخ الطبري ٥٣٠/٣.

(١٩٩) مقالات الإسلاميين ص١٠١.

(٢٠٠) الكامل في التاريخ ١٣٩/٤، تاريخ إبن خلدون ١٨٤/٣.

(٢٠١) البدء والتاريخ ١٣٩/٥، الكامل في التاريخ ١٣٠/٤، البداية والنهاية ٣١٧/٨، مرآة الجنان ١٤٢/١، ١٤٤.

(٢٠٢) دراسة في مبدأ الوراثة للخلافة ص ١٩١.

تمردات الخوارج الصفرية[٢٠٣] بزعامة صالح بن مسرح في الكوفة سنة ٧٥هـ/٦٩٤م

الخوارج الصفرية هم أحد فرق الخوارج الرئيسة، وقد بدأت خطورتهم على يد صالح بن مسرح التميمي زعيم الخوارج الصفرية وأول من خرج فيهم[٢٠٤]. وكان كثير العبادة، ناسكاً مخبتًا مصفر الوجه هو وأصحابه من طول العبادة وكثرة الصوم، كان يسكن مدينة دارا[٢٠٥] وينتقل بين الموصل ونصيبين[٢٠٦]، وكان له أصحاب يفقههم ويقص عليهم، ويتولى أبا بكر وعمر ويذم عثمان وعليًّا، ويدعوهم إلى الخروج على الحكم وإنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم ويقول: "تأهبوا لجهاد الظلمة ولا تجزعوا من القتل أقتل في الله أسهل من الموت منه؟" [٢٠٧] فأجابوه وخرجوا معه، وكتب إليه، شبيب ابن يزيد الشيباني[٢٠٨]، إنك شيخ المسلمين ولن نعدل بك أحدا وقد استجبت لك والآجال غادية ورائحة، ثم أقبل شبيب وأخوه ومصاد وآخرون إلى صالح وأصبحوا مائة وعشرة أنفس واعترضوا خيلا لمحمد بن مروان أخي الخليفة عبد الملك سنة ٧٥هـ/٦٩٤م فأخذوها، ثم جرت بينهم وبين بن مروان وقائع قرب الموصل كانت الغلبة في أكثرها للخوارج الصفرية على قلتهم، وفي جمادى الآخر سنة ٧٦هـ/٦٩٥م مات صالح إبن مسرح من جراحات ألمت به جراء القتال وعهد من بعده إلى شبيب بن يزيد الشيباني،

---

(٢٠٣) نسبة إلى عبيد الله بن الأصفر زعيمهم، وقيل لأن العبادة أنهكتهم فاصفرت وجوههم فنسبوا إلى الصفرة، الكامل للمبرد ١٥٤/٣، تاريخ إبن خلدون ٣٧٨/٢، ١٨٣/٣.

(٢٠٤) هو صالح بن مسرح أحد بن امرئ القيس بن زيد مناة من تميم، كان رجلا ناسكا عابدا مصفر الوجه صاحب عبادة واجتهاد، كان له أصحاب بالموصل والجزيرة يعلمهم القرآن والفقه والقصص، وكان شديد الوطأة على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- ثم رأى رأي الصفرية وكان أول خارج فيهم، حيث دعا أصحابه الذين يعلمهم إلى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وخرجوا معه سنة ٧٥هـ تاريخ خليفة ٢٧٤/١، تاريخ الطبري ٥٥٥/٣، الشهرستاني الملل والنحل ١٢٧/١، المنتظم ١٦٦/٦، الكامل في التاريخ ١٤٩/٤ ــ ١٥١، سير أعلام النبلاء ١٤٨/٤، البداية والنهاية ١٠/٩، تاريخ إبن خلدون ١٩٠/٣، النجوم الزاهرة ١٩٥/١، سمط النجوام العوالي ٢٦٨/٣.

(٢٠٥) دارا بلدة بين نصيبين وماردين وهي من بلاد الجزيرة ذات بساتين ومياه جارية ــ انظر معجم البلدان ٤١٨/٢.

(٢٠٦) نصيبين مدينة عامرة مشهورة قديمة وعتيقة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من البصرة إلى الشام، وهي من كور ديار ربيعة وهي كلها بين الحيرة والشام، قال فيها أبو نواس:

طابت نصيبين لي يوما فطبت بها * يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

انظر معجم ما استعجم ١٣١٠/٤، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ت سنة ٦١٤هـ - رحلة ابن جبير ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت/ القاهرة ــ تقديم د/مصطفى زيادة، ١٧٠/١، معجم البلدان ٢٨٨/٥.

(٢٠٧) سير أعلام النبلاء ١٤٨/٤.

(٢٠٨) هو شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الشيباني رأس الخوارج بالجزيرة وفارس زمانه بعث الحجاج لحربه خمسة قادة فقتلهم واحدا بعد واحد، ثم ساروا إلى الكوفة، وحاصر الحجاج نفسه بالكوفة ثم غرق بنهر دجيل ومات سنة ٧٩ وقيل سنة ٨٠هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٤٦/٤، وفيات الأعيان ٤٥٤/٢، الوافي بالوفيات ٥٩/١٦.

ذلك الرجل المقدام الذي دوّخ جيوش الحجاج في مواقع كثيرة[٢٠٩]، وكان شبيب يتخذ من صحراء الكوفة ميدانًا له حيث جانب الفرات الأيمن، وكان جملة ما مع شيبان من أتباع مائة وعشرون خارجيا، استطاع أن يهزم بهم جيوشا كثيرة للأمويين، بلغت بعضها ألف أرسلهم محمد بن مروان والي الجزيرة، ومنهم ما بلغ نحوا من ثلاثة آلاف مقاتل أموي بقيادة الحارث بن عميرة، ولما رأى شبيب نفسه يخرج من نصر إلى نصر، دخل الكوفة ووصل السوق حتى ضرب باب القصر بعمود، وهو يقول:

عبد دعـــي من ثمـــود أصله * لا بل يقـــال أبو أبيهـــم يقـــدم[٢١٠]

وفعلاً استطاع شبيب بمن معه من الخوارج أن يدخل الكوفة ويقتل عددا لا بأس به من أشرافها، وخرج مسرعًا هذه المرة، ثم ما لبث أن عاد إليها ثانية، واستطاع في هذه المرة أن يصد جيشا أمويا يتزعمه عتاب بن ورقاء في آلاف من الجنود وشبيب ليس معه سوى ستمائة خارجي، وتنتهي المعركة بهزيمة عتاب ومقتله[٢١١].

هذه الأحداث المتلاحقة على أهل الكوفة جراء تجرؤ شبيب الخارجي على انتهاكها أكثر من مرة أودت بأهل الكوفة إلى الإحباط واليأس فتقاعسوا عن مجابهة الخوارج، مما حدا بالحجاج إلى أن يرسل إلى عبد الملك بن مروان طالبا منه الجند من أهل الشام، على أن يقوم هو بنفسه بقيادة هذا الجيش المتجه إلى الخوارج، ولما التقى الجمعان ألح خالد بن عتاب ابن ورقاء[٢١٢] - وكان موتورا من الخوارج لقتل أبيه- أن يبرز هو لمواجهة الخوارج، فأتاح له الحجاج الفرصة، فالتقاهم خالد بكل عزم وشجاعة والتحم مع مصاد شقيق شبيب[٢١٣] فقتله وقتل زوجة شبيب، وانهزمت الخوارج على أبواب الكوفة، ثم لاذ شبيب بالأهواز هاربا، فتبعه خالد بن عتاب وحاصرهم في دير عند جسر المدائن[٢١٤]. ولما رأى الخوارج

---

(٢٠٩) تاريخ الطبري ٥٥٤/٣: ٥٥٥، المنتظم ١٦٦/٦: ١٧٩، البداية والنهاية ١٠/٩: ١١، ١٢٢. تاريخ إبن خلدون ١٩/٣، سمط النجوم ٢٦٨/٣.

(٢١٠) الكامل في التاريخ ١٦٠/٤.

(٢١١) تاريخ خليفة بن خياط ٢٧٤/١، الكامل للمبرد ٢١٨/٣، المنتظم ١٨٧/٦، الكامل في التاريخ ٦٩/٤، سير أعلام النبلاء ١٤٩/٤.

(٢١٢) هو خالد بن عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو سليمان، كان أميرا على الري من قبل الحجاج ثم خالفه فهرب إلى دمشق واستجار بعبد الملك بن مروان فأجاره، تاريخ دمشق ١٧٢/١٦.

(٢١٣) هو مصاد بن نعيم الشيباني، ثائر من الأبطال شهد مع أخيه شبيب أكثر حروبه، وكان ثقته في الحروب، ومعاونه الأكبر في الملاحم، قتله خالد بن عتاب على أبواب الكوفة ثأرًا لمقتل أبيه قبل مقتل شبيب. المعارف ٤١١/١، تاريخ الطبري ٥٧٨/٣، الكامل في التاريخ ٦٩/٤.

(٢١٤) المدائن جمع مدينة وهي مدينة تقع بين أرض الفرات ونهر دجلة، وكانت دوما مسكن الأكاسرة لحسن موقعها هذا، وقد فتحها سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب سنة١٦هـ وبينها وبين بغداد ستة فراسخ. معجم البلدان ٧٤/٥.

عزم خالد على استئصالهم ويئسوا من فك الحصار عنهم، خرجوا بعد يأس موتورين من ضنك الحصار، ولا خيار أمامهم إلا المواجهة أو ملاقاة حتفهم قتلا أمام سيوف خالد، فاختاروا القتال أمام جيش خالد وفي النهاية ألحقوا الهزيمة بخالد وجيشه(٢١٥).

لم يقف الحجاج أمام هذه الأحداث المتسارعة مكتوفًا، فاضطر بنفسه أمام هزائم جيشه من الخوارج ألا يمهل شبيباً في الحياة كثيرا، فأعد جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل بزعامة حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، الذي التقى شبيبًا ودارت رحى الحرب التي كانت سجالا بين الطرفين، حتى سئم كلاهما حرب الآخر، ولكن النهاية لابد أن تكون لأحدهما، فكانت النهاية في غير صالح شبيب الذي غرق وهو يعبر جسر دجيل(٢١٦) الأهواز سنة ٧٧هـ/٦٩٦م، فانهزم جيشه وتفرق(٢١٧)، وانتهى هذا الخطر الجاسم على صدر الدولة الأموية والحجاج خاصة الذي تخلص من خصم كبير كبّد الدولة الكثير و الكثير من الرجال و العتاد والأموال والجهود والأوقات(٢١٨).

تمرد/ بسطام اليشكري (شوذب)(٢١٩) في جوخي(٢٢٠) سنة ٩٩هـ/٧١٧م:

خمدت تمردات الخوارج الأزارقة بعد عبيدة بن هلال اليشكري، فتفرق شملهم سنة ٧٧هـ وانكسرت شوكتهم فلم تظهر لهم جماعة إلى رأس السنة المائة حيث جاء

---

(٢١٥) المعارف ٤١١/١، تاريخ الطبري ٥٧٨/٣، البداية والنهاية ١٧/٩، تاريخ ابن خلدون ١٩٧/٣، مرآة الجنان ١٥٦/١.

(٢١٦) دجيل تصغير لدجلة وهو اسم لنهرين بالعراق: الأول: دجيل بغداد حيث ينبع من أعلى بغداد مقابل القادسية. والثاني: دجيل الأهواز: ينبع من أرض أصبهان ويصب في البحر الفارسي قرب عبدان، وهو الذي غرق فيه شبيب الخارجي، لسان العرب ٢٣٦/١، معجم البلدان ٤٤٣/٢.

(٢١٧) تاريخ خليفة ٢٧٤/١، المعارف ٤١١/١، البدء والتاريخ ٣٢/٦، تاريخ دمشق ٤٩٨/٤٣، الكامل في التاريخ ٦٩/٤، البداية والنهاية ٣٥١/٩.

(٢١٨) ومن اللطائف التي تذكر هنا أنه لما غرق شبيب في القتال بدجيل سنة٧٧هـ، وله إحدى وخمسون سنة، أحضر الناس إلى عبد الملك عتبان بن أصيلة الحروري من شراة الجزيرة فقال له أنت القائل:

فإن يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو منكم هاشم وحبيب
فمنا حصين و البطين وقعنب * ومنا أميرُ المؤمنين شبيب

فقال: إنما قلت: ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ، فأعجب عبد الملك بتحليله وأطلقه، وكان جوابه في نهاية الحسن، فإنه إذا كان "أمير" مرفوعًا كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين، وإذا كان منصوبا فيعود على النداء بحذف حرف النداء ومعناه: يا أمير المؤمنين منا شبيب، فلا يكون شبيب أمير المؤمنين، بل يكون و احدًا منهم (أمير بفتح الراء لأنه يعود منصوبا على النداء، بعد أن كان مرفوعا على الابتداء)، تاريخ دمشق ٢٥٧/٦٧، سير أعلام النبلاء ١٤٧/٤، الوافي بالوفيات ٦٠/١٦، وفيات الأعيان ٤٥٦/٣، البداية والنهاية ٢٠/٩، سمط النجوم العوالي ٢٧٣/٣.

(٢١٩) اسمه شوذب وكان مولى بني يشكر بن صعب بن علي بن بكر، تاريخ اليعقوبي ٣٢٤/١، تاريخ الطبري ٦٢/٤، المنتظم ٥٣/٧، الكامل في التاريخ ٤٢٧/٣، النجوم الزاهرة ٢٤٢/١.

(٢٢٠) جوخي: اسم نهر على كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي، معجم البلدان ١٧٩/٢.

[عمر بن عبد العزيز ٩٩- ١٠١هـ] فدخل معهم في محاورات ونقاشات إيجابية، فكان عمر يذم الجدال المذموم ويقول: (من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل)(٢٢١). وقال: "احذروا المراء فلا تؤمنه فتنته ولا تفهم حكمته(٢٢٢)... قد أفلح من عُصم من المراء والغضب والطمع"(٢٢٣).

ولما خرج شوذب، سنة٩٩هـ/٧١٧م في ثمانين فارسا(٢٢٤)، وقيل في مائتي رجلا(٢٢٥)، لم يحركهم عمر إنما كتب إلى عامله: "إن كان القوم من رأيهم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة، ولا على أحد من أهل الذمة، ولا يتناولوا أحدا، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين فليذهبوا حيث شاءوا، وإن كان رأيهم في القتال، فوالله لو أن أبكاري من ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين لأرقت دماءهم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة"، وفي رواية: أقسم بالله لو كنتم أبكاري من أولادي، ورغبتم عما فرشنا للعامة فيما ولينا لدفقت دماءكم أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، فإنه -تعالى- يقول: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }(٢٢٦). فهذا النص إن أحببتم، وإن تستغشوني فقديما ما استغش الناصحون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"(٢٢٧).

ولما خرج شوذب على عامل عمر بالكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي، كتب إليه عمر لا تحركهم إلا أن يسفكوا دما أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلا حازما صليبا فوجهه إليهم ووجه معهم جندا، وأوصه بما أمرتك)، فعقد عبد الحميد لـ[illegible]ده محمد بن جرير إبن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة، وأمره بما أمره به عمر(٢٢٨)، في هذا الوقت كان عمر قد كتب إلى شوذب، يسأله عن سبب خروجه عليه (إنه قد بلغني أنك خرجت غضبًا لله ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – ولستَ بأولى بذلك مني. فهلم

(٢٢١) طبقات ابن سعد ٥/٣٧١.

(٢٢٢) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – سيرة عمر بن عبد العزيز – تحقيق/ محب الدين الخطيب- مطبعة المؤيد – مصر – سنة ١٣٣١هـ ص٢٩٣.

(٢٢٣) المصدر السابق ص٢٩١، يذكر نيكلسون أن عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه- كان عادلا بارا بجميع الطوائف والمذاهب والتيارات السياسية في عهده فلم يسمع رأي منها أن تتدخل في بره وعدله عن ذلك انظر:

-NicholsonRynold: Literary History of the Arabsm (Cambridge 1930). P. 205.

(٢٢٤) المنتظم ٧/٥٣، التاريخ الإسلامي، علي إبراهيم حسن ص٣١٩.

(٢٢٥) تاريخ ابن خلدون ٣/٢٠٣.

(٢٢٦) القصص (٨٣).

(٢٢٧) انظر نص خطاب عمر إلى الخوارج كاملا في سيرة عمر لابن عبد الحكم ص٧٥، تاريخ الطبري ٤/٦٢، ابن خلدون ٣/٢٠٣.

(٢٢٨) تاريخ الطبري ٤/٦٢، المنتظم ٧/٥٤.

اناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك، فلم يحرك بسطام شيئا، وكتب إلى عمر، قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك، ويناظرانك(٢٢٩).

ودخل عليه رجلان(٢٣٠) وقالا: أخبرنا عن يزيد بن عبد الملك، لم تقره خليفة بعدك، قال: صيره غيري، قالا: أفرأيت لو وليت مالا لغيرك، ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت قد أديت الأمانة إلى من ائتمن(٢٣١). وقد اشتط الخوارج في مطالبهم مع عمر-رضي الله عنه- حتى أنهم في المناظرة طلبوا منه أن يلعن من كان قبله من أهل بيته(٢٣٢). وعمر في ذلك يصحح لهم شبهاتهم فلم يترك لهم شبهة إلا كسرها وبين زيفها وكشف عوارها، وهو بذلك سلك معهم المسلك الصحيح الذي سلكه سلفه الصالح كابن عباس وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-(٢٣٣).

أعذر عمر إلى الخوارج حتى إذا استولوا على الأموال وقطعوا السبيل كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن (أن قاتلهم فإنهم رجس)(٢٣٤). إلا أن الخوارج استطاعوا هزيمة جيش إبن جرير البجلي، فيكتب عمر إلى عبد الحميد يلومه على هزيمة جيشه أمام عشرات قليلة من الخوارج وسمي جيشه جيش السوء(٢٣٥).

أرسل عمر إلى الخوارج جيشا من أهل الشام يقوده إبن عمه مسلمة بن عبد الملك إبن مروان في عدة آلاف وتقدم مسلمة على رأس قواته إلى حيث معسكر الخوارج، فلقيهم مسلمة في أهل الشام ودارت المعركة بين الطرفين انتهت عن انتصار جيش الخلافة، ولم يسب مسلمة أيًا من نساء ولا ذراري الخوارج، ولم يستحل أموالهم، بل إن عمر قد أمر مسلمة قبل القتال "إن أظفرك الله بهم وأدالك عليهم فرد ما أصبت من متاعهم إلى أهليهم"(٢٣٦). تماما مثل ما فعله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- معهم في النهروان فلم يحكم فيهم بحكم الكفار بل حرم أموالهم وسبيهم، ولم يبدأ بقتالهم حتى بدأوا(٢٣٧). أما الأسرى فإن عمر أمر بحبسهم لا بهدف عقابهم ولكن بهدف أن يطمع في رجوع هؤلاء إلى الحق فقال لعامله: "ومن أخذت من أسراء الخوارج فأحبسه حتى

(٢٢٩) عن هذه المراسلات والمناظرات انظر تاريخ الطبري ٣١٧/٤ – ٣١٨، المنتظم ٥٤/٧.

(٢٣٠) الرجلان هما: عاصم الحبشي مولى بن شيبان، والذي لم يرجع إلى الخوارج بعد مناظرة عمر له ورجع إلى مذهب أهل السنة ثم مات بعدها والرجل الثاني كان من بني يشكر قوم شوذب. إبن خلدون ٢٠٤/٣.

(٢٣١) الكامل في التاريخ ٣١٩/٤، البداية والنهاية ١٧٨/٩، إبن خلدون ٢٠٣/٣.

(٢٣٢) طبقات إبن سعد ٣٥٨/٥.

(٢٣٣) الدولة الأموية للصلابي ٢١١/٢.

(٢٣٤) طبقات إبن سعد ٣٥٨/٥.

(٢٣٥) تاريخ الطبري ٦٢/٤، المنتظم ٥٣/٧، البداية والنهاية ١٧٨/٩.

(٢٣٦) طبقات إبن سعد ٣٥٨/٥.

(٢٣٧) انظر جزء التمهيد هذا البحث، إبن تيمية منهاج السنة ٤٠٦/٧، إبن تيمية مؤرخا ص٤٤٦.

يحدث خيرا"[٢٣٨]. وهكذا كان منهج وفقه عمر في التعامل مع المخالفين والخارجين من الخوارج. وقد مات عمر -رضي الله عنه- وفي حبسه عدة من الخوارج[٢٣٩]. وتعددت الروايات حول موته منها من يعزي موته إلى شوذب وأصحابه، فلما ناظروه وناقشوه في مسألة تولية إبن عمه يزيد بن عبد الملك ولاية العهد، ورد عليهم بأن سليمان بن عبد الملك هو الذي صيره وليا للعهد وليس هو[٢٤٠]. وكان عمر بعدها يستغفر من ذلك فيقول: "أهلكني أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله من ذلك"[٢٤١]. وتشير الروايات أن بني أمية من خلال رد عمر على مناظرات الخوارج واستغفاره من ولاية عهد يزيد خافوا أن يخلع عمر يزيداً من ولاية العهد وأن يخرج ما في أيديهم من الأموال، فدسوا إليه من سقاه سما فلم يلبث بعدها غير ثلاثة أيام حتى مات[٢٤٢].

وما إن تولى (يزيد بن عبد الملك ١٠١ ـ ١٠٥هـ/٧١٩ ـ ٧٢٣م) الخلافة حتى تجددت حركة شوذب، فلما دخل يزيد الكوفة، شكا إليه أهلها ما لقوه من شوذب، وخوفهم منه، فيرسل يزيد إلى شوذب عثم بن الحباب في ألفين فيهزمهم شوذب، فيرسل إليهم جيشا آخر بزعامة الشجاع بن وداع في ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن قتل الشجاع منهم هدبه بن عم شوذب[٢٤٣]، فسارع مسلمة بن عبد الملك إلى الكوفة، وأخرج منها جيشا عدته عشرة آلاف رجل على رأسه سعيد بن عمرو الحرشي، فدارت موقعة بينهم سنة ١٠١هـ واستمات الخوارج وكشفوا عسكر أهل الشام، فخاف الحرشي الفضيحة، واستحث جيشه، وحمل لهم على شوذب وأصحابه، فطحنوهم طحنا، وألحقوا الهزيمة بجيش شوذب وضعف أمره وقتل شوذب، وكل أصحابه، ونتج عن ذلك أن ضعف أمر الخوارج من سنة ١٠١هـ حتى سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م في عهد هشام بن عبد الملك [١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٤٢م][٢٤٤].

وهكذا انتهى تمرد شوذب الذي عامله عمر بن عبد العزيز معاملة الإسلام، فمع خروجهم عليه لم يحركهم، ولم يرسل عليهم الحملة تلو الحملة، وإنما عاملهم معاملة أتاحت لهم الفرصة في الرجوع إلى الحق مستنًا بسيرة عليّ بن أبي طالب في معاملة الخوارج حين خرجوا عليه[٢٤٥].

(٢٣٨) طبقات إبن سعد ٣٥٨/٥.

(٢٣٩) المصدر السابق نفسه.

(٢٤٠) تاريخ الطبري ٦٢/٤، المنتظم ٥٤/٧، الكامل في التاريخ ٣١٩/٤.

(٢٤١) الكامل في التاريخ ٣١٩/٤.

(٢٤٢) تاريخ الطبري ٦٢/٤، المنتظم ٥٤/٧، الكامل في التاريخ ٣١٩/٤، البداية والنهاية ١٨٧/٩.

(٢٤٣) تاريخ إبن خلدون ٢٠٤/٣.

(٢٤٤) المنتظم ٢٠٤/٣، الكامل في التاريخ ٣١٩/٤، تاريخ إبن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٤٥) منهاج السنة ٤٩٧/٤، إبن تيمية مؤرخا ص٤٤٠، الدولة الأموية للصلابي ٢٠٧/٢.

تمرد / بهلول بن بشر (كثارة)[٢٤٦] بالكوفة سنة ١١٩هـ/٧٣٧م]

كان بهلول بن بشر والملقب بكثارة، رجلاً متنسكاً متعبد مشهوراً بالبأس والنجدة، وكان منزله بدابق[٢٤٧]، وقد خرج يريد الحج في هذا العام، ولسبب لا يأبه له عزم على التمرد على هشام بن عبد الملك، وواليه على العراق خالد بن عبد الله القسري، فيروي الطبري، أن بهلولا لما خرج يريد الحج، أمر غلاماً له أن يشتري خلا بدرهم، فأخطأه البائع فأعطاه خمرا، فأمر بردها واسترداد الدرهم، فلم يجبه إلى ذلك البائع، فاشتكاه بهلول إلى عامل تلك القرية من سواد العراق، وأغلظ له بهلول في القول، فرد عليه العامل بأن تلك الخمر خير منه ومن قومه، فأسَّرها بهلول في نفسه، ومضى للحج، فلما فرغ منه. عزم على التمرد على هشام، ولقي بمكة جماعة من الخوارج وتواعد على الخروج في قرية قريبة من قرى الموصل وكانوا قرابة الأربعين رجلا أمروا عليهم بهلولا[٢٤٨].

خرج بهلول وجماعته تحت ستار أنهم من رجال هشام أرسلهم إلى خالد القسري بالعراق، فجعلوا لا يمرون بعامل إلا أخبروه بذلك حيلة منهم للتخفي، واستطاعوا أن يأخذوا شيئا من دواب البريد فيركبوها زيادة في التخفي، وبدأوا أول مرحلة من مراحل التمرد بالقرية التي ابتاع منها غلامه بالخل خمرا، حتى ينتقم من عاملها الذي أغلظ له القول[٢٤٩]. وهذا يدل على خفة وتفاهة معتقد الخوارج، فمن أجل كلمة غليظة من عامل قرية لأحد الخوارج، يكون جزاؤها أن يرتكب جرم الخروج على الحاكم المسلم الشرعي، ثم قتل نفس مسلمة بغير ما اقترفت، وما تابع ذلك من إراقة دماء، وقد أشار أصحاب بهلول عليه بأن يتركوا عامل هذه القرية، ويبدأوا بخالد القسري حتى لا ينكشف أمرهم بقتل عامل قرية، وخالد بالنسبة لهم هدف سام[٢٥٠]. وهذا من الناحية السياسية والعسكرية رأي مقبول، إلا أن بهلولاً كان همه الأول أن ينتقم لنفسه لا لعرض قد هتك ولا لنفس قد قتلت ظلمًا، ولا لدين ديست له حرمة، وإنما انتصارًا للنفس والهوى، وأمام إصرار بهلول على قتل عامل القرية، يعدد له أصحابه عواقب هذا العمل الفردي، ومميزات التوجه إلى خالد، أولاًحيث أنهم لو بدأوا بالعامل، افتضح أمرهم واشتهر بين الناس، فيحذرهم الناس، وينتبه إليهم خالد ويعد العدة لمواجهتهم،

(٢٤٦) هو بهلول بن بشر بن شيبان الموصلي الملقب (كثارة)، تاريخ الطبري ١٧٥/٤، المنتظم ١٩٤/٧، الكامل في التاريخ ٤٢٩/٤، البداية والنهاية ٣٢٣/٩، تاريخ ابن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٤٧) دابق قرية معروفة في أقاسي فارس، ويقول ياقوت الحموي أنها قرية قرب حلب، انظر معجم ما استعجم ٥٣١/٢، معجم البلدان ٤١٦/٢٨.

(٢٤٨) تاريخ الطبري ١٧٥/٤، المنتظم ١٩٤/٧.

(٢٤٩) الكامل في التاريخ ٤٢٩/٤، ابن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٥٠) البداية والنهاية ٣٤٤/٩.

وناشده أصحابه الله أن يترك هذا العامل حتى لا يفلت خالد منهم، وهو الذي اتهموه ظلما بكبائر عظام كان منها:

هدم المساجد وتشييد البيع والكنائس، وتولية المجوس الأعمال على المسلمين، في حين يقصي المسلمون عن الولاية، وأنه ينكح أهل الذمة من المسلمات العفيفات وغير ذلك[٢٥١].

ولم يزد كلامهم هذا كثارة إلا إصرارا على رأيه وتمسكا بقراره بقتل العامل الذي أغلظ له القول، (والله لا أدع ما يلزمني، وأرجو أن أقتل الذي قال لي ما قال... ولئن أتيت خالدا أولا شهر أمرنا فأفلت هذا العامل منا[٢٥٢]، وقد قال الله تعالى: {قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ }[٢٥٣]. ولما رأوا من تمسك بهلول برأيه قالوا: أنت ورأيك، فأتاه فقتله، فعرفهم الناس وعلموا أنهم ليسوا عمال هشام وأنهم خوارج، وهرعوا إلى خارج القرية هاربين، وطارت الأخبار مسرعة إلى خالد مع البريد، بأن خارجة قد خرجت ولا ندري من رئيسهم[٢٥٤].

كان خالد بواسط[٢٥٥] فخرج منها إلى الحيرة[٢٥٦]، حتى يلتقي بجيش كان قد أرسله هشام من جند الشام بقيادة رجل من بني القين مددًا لعامل خالد على الهند، فأراد خالد أن يصرفه عن وجهته ويوجهه إلى بهلول وأصحابه على أن يعطيهم عطاء فوق عطاء أهل الشام، ويكفيهم مهمة الذهاب إلى الهند فوافق القيني لسخاء العرض ولبعد المسافة ومشقة الطريق إلى الهند[٢٥٧]. فتوجه القيني إلى بهلول وكان خالد قد عاونه بمائتي من شرط العراق، فعبأ القيني رجاله الستمائة وجنب الشرط حتى لا يقاسموهم العطاء، والتقى بهلولا وأصحابه على الفرات، فسأل بهلول عن رئيس هذه العصابة الشامية حتى عرفه فتنكر له وتسلل إليه خفية وهو يرفع لواء أسود فحمل على القيني فطعنه، فقال له: قتلتني قتلك الله، قال بهلول: إلى النار أبعدك الله، وولى أهل الشام مع شرط الكوفة منهزمين، وبهلول وأصحابه فيهم يقتلون، في حين يستغيث شرط الكوفة

(٢٥١) تاريخ الطبري ١٧٦/٤، البداية والنهاية ٣٤٤/٩.
(٢٥٢) الكامل في التاريخ ٤٢٩/٤.
(٢٥٣) التوبة (١٢٣).
(٢٥٤) ابن خلدون ٢٠٥/٣.
(٢٥٥) واسط مدينة بناها الحجاج تقع بين البصرة والكوفة تتوسطهما بينها وبين البصرة فرسخ، وبين الكوفة مثل ذلك وبين المدائن مثله. انظر: معجم ما استعجم ١٣٦٣/٤، نزهة المشتاق ٣٨٢/١، معجم البلدان ٣٤٧/٥.
(٢٥٦) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة. معجم ما استعجم ٤٧٨/١، معجم البلدان ٣٢٨/٢.
(٢٥٧) تاريخ الطبري ١٧٦/٤، المنتظم ١٩٤/٧.

ببهلول بحجة أنهم مكرهون مقهورون، وبهلول يقرع رءوسهم بالرمح ويقول: الحقوا بهم النجاء النجاء[٢٥٨].

دخل بهلول الكوفة لينتقم من بعض الذين قد قتلوا ستة من أنصاره كانوا بقرية قريبة منها تسمى صريفين[٢٥٩]. فقاتلهم أهلها عند علمهم بخروج الخوارج، فعمد بهلول إلى حيلة خالت على أهل الكوفة التي لم يكن يعرفه بها أحد، فتظاهر أنه من جند خالد القسري، وأرسله ليكافئ قتلة الخوارج الست ببدرة من الدراهم كان يلوح بها قد حصل عليها من سلب القيني، فتسارع الناس طمعًا في الفوز بالبدرة ويدعي الجميع قتلة، فتوقف وتبين أمرهم وتعرف على القتلة الحقيقيين، ثم صرف الباقين وتفرد بالقتلة فقتلهم، فحاجه قومه في قتلهم بعد الأمان فحاجهم فأقروا له بالحجة[٢٦٠].

لما بلغت خالدا هزيمة أهل الشام ومقتلهم، وخبر مقتل أهل صريفين، أخرج إلى كثارة جيشا يقود أحد بني شيبان من بني حوشب، فالتقى الجيش كثارة في مكان وسط بين الموصل والكوفة فشد عليهم كثارة حتى كاد أن يفنيهم، فاستجار الرجل ببهلول وناشده الرحم فكف عنه، ورجع متهزما إلى خالد بالحيرة، فلم يرعه إلا الفل المنهزم قد هجم عليه في مكانه[٢٦١].

توجه بهلول بعد هذه الوقعة إلى الموصل فخافه عاملها واستنجد بهشام بن عبد الملك بأن خارجة خرجت تعيث في الأرض، فسادا ويسأله مددا من الشام، فكتب إليه هشام أن يوجه إلى هؤلاء كثارة بن بشر، لأن هشام كان لا يعرف بهلولاً إلا بلقبه كثارة، فكتب إليه عامل الموصل أن الخارج هو كثارة نفسه، في حين يشير بهلول على أصحابه بترك خالد والتوجه إلى هشام بالشام، ولما عرف هشام ذلك جند إليه جنودا من أهل الشام، وجند له خالد جندا من أهل العراق، وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة والموصل، والتقت الجيوش الأموية الثلاثة عند الكحيل[٢٦٢] وعند دير بها دارت المعركة بين آلاف الأمويين وبين بهلول وأصحابه السبعين، وهو يقول لهم رأي كثرتهم (أكلكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالما؟ قالوا: نرجو ذلك إن شاء الله[٢٦٣].) فجعل بهلول من أصحابه ميمنة وميسرة حتى يستعين بالنظام على الكثرة،

---

(٢٥٨) تاريخ الطبري ١٧٦/٤، ابن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٥٩) قرية من قرى الكوفة، غير صريفين واسط معجم البلدان ٤٠٤/٣.

(٢٦٠) المنتظم ١٩٤/٧.

(٢٦١) تاريخ الطبري ١٧٦/٤.

(٢٦٢) الكحيل قرية من أرض حوران بالموصل تقع جانب نهر دجلة الغربي الكامل في التاريخ ١٠٠/٤، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٧٨هـ) – الدارسي في تاريخ المدارس – دار الكتب العلمية بيروت – ط ١ سنة ١٤١٠هـ تحقيق/ إبراهيم شمس الدين.

(٢٦٣) تاريخ الطبري ١٧٥/٤، المنتظم ١٩٥/٧.

وشد على أحد رجال الأمويين فقتله وهو يقول: أما هذا فلا يأتي بلده ولا أهله أبدا، ثم يقبل على الثاني والثالث وهو يقول بهذا، فلم يزل هذا ديدنه حتى قتل منهم ستة على التوالي، فخاف الأمويون القتل، فانهزموا ودخلوا الدير فحاصرهم بهلول، حتى جاءهم المدد من كل مكان حتى وصل جيش هشام عشرون ألفا، فلم يجد بهلول بدا من أن يعقروا دوابهم فأشاروا على بهلول بذلك، فقال لهم: لا تفعلوا حتى نبلي الله عذرا ما استمسكنا على دوابنا(٢٦٤)، وظلوا في القتال على الدواب حتى العصر فأكثروا فيهم القتل والجرح، ثم عقروا دوابهم، وترجلوا فأوجعوهم قتلا حتى قتل عامة أصحاب بهلول وهو لا يزال يقاتل ويذود عن أصحابه، حتى حمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه فصرعه،وهرب من استخلفه على الخوارج بعده، فوليهم رجل منهم يسمى أبا عمر اليشكري فلم يلبث أن قتل، ثم تلاه رجل يسمى العنزي، فوجه إليه خالد بعد ذلك جيشا من أربعة آلاف هزم العنزي وجيشه وقتلوهم، ثم خرج بعد بهلول من الخوارج وزير السختياني فقضى عليه خالد وقتله(٢٦٥).

تمرد الضحاك بن قيس الشيباني في شهرزور(٢٦٦) سنة ١٢٧هـ بالكوفة/٧٤٤م(٢٦٧):

اتسعت حركات التمرد للخوارج كلما اقتربت الدولة الأموية من نهايتها، فبعد موت الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥- ١٢٥هـ/٧٢٣ – ٧٤٢م) بدأ داء الانشقاق يصيب الأمويين، وكانت الشرارة الأولى لهذا الانقسام في البيت الأموي على يد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان (يزيد الناقص) (١٢٦ – ١٢٧هـ/٧٤٣ – ٧٤٤م)(٢٦٨) الذي

---

(٢٦٤) الكامل في التاريخ ٤٣١/٤، تاريخ ابن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٦٥) تاريخ الطبري ١٧٧/٤، الكامل في التاريخ ٤٣١/٤، البداية والنهاية ٣٢٤/٩، تاريخ ابن خلدون ٢٠٥/٣.

(٢٦٦) شهرزور كورة واسعة في الجبال بين أربيل وهمذان، أسسها زور بن الضحاك،ومعنى شهر بالفارسية أي المدينة فتكون شهرزور أي (مدينة زور) ومعظم سكانها أكراد. انظر معجم ما استعجم ٨١٣/٣، معجم البلدان ٣٧٥/٣.

(٢٦٧) في الفترة ما بين تمرد شبيب يزيد الشيباني سنة ٧٦هـ والضحاك بن قيس الشيباني سنة ١٢٧هـ قامت حركات تمرد كثيرة، ولكن نتائجها كانت بسيطة، ونحن نشير هنا إلى بعضًا منها بترتيب السنين:

أ- ١٠٧هـ تمرد عباد الرعيني باليمن واتبعه فرقة من الناس، وحكموا فقاتلهم يوسف بن عمر وقضى عليه وعلى أصحابه الثلاثمائة. انظر تاريخ خليفة ٣٣٨/١، البداية والنهاية ٢٤٦/٩.

ب- سنة ١١٩هـ تمرد الصحاري بن شبيب بن يزيد الخارجي أعلن التمرد على خالد القسري أمير العراق فوجه إليه خالد جيشا التقى به في ناحية المناذر بالأهواز قتل فيها صحاري مع أصحابه فلم يتركوا رجلا منهم. تاريخ الطبري ١٧٩/٤، الكامل في التاريخ ٤٣٣/٤، البداية والنهاية ٣٢٥/٩، تاريخ بن خلدون ٢٠٦/٣.

(٢٦٨) سمي بالناقص لأنه نقص من أرزاق الجند التي كان زاد فيها الوليد بن يزيد وكان يزيد الناقص محمود السيرة مرضي الطريقة، كانت ولايته خمسة أشهر ومات، وتولى بعد مقتله إبراهيم بن الوليد لمدة سبعين يوما ثم خلعه مروان بن محمد، انظر: تاريخ الطبري ٢٥٣/٤، مآثر الإنافة ١٥٨/١، تاريخ الخلفاء ٢٥٣/١.

كان مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان(٢٦٩) (١٢٥ ـ ١٢٦هـ/٧٤٢ ـ ٧٤٣م) على يده، وعليه دبت الفتنة في البيت الأموي(٢٧٠)، انتهت بانتقال الخلافة إليه، وقد اشتهر بحسن السيرة والعدل، في حين طلب مروان بن محمد بن الحكم بالخلافة لنفسه، بعد مقتل الوليد بن يزيد، بدعوى أن الوليد بن يزيد جعل ولي عهده من بعده ابنه الحكم بن الوليد، ثم لمروان بن محمد بعد الحكم الذي قتل مع أبيه يوم قتل، فاحتج مروان بذلك العهد واستشهد بما قاله الوليد قبل موته في قصيدة نوجز منها البيتين الأول والأخير:

ألا مـــن مبلـــغ مـــروان عنـــي * وعقبـــى العمـــر طـــال بـــذي حنينـــا
فـــإن أهلـــك وولـــى عـــهـــدي * فمـــروان أمـــير المـــؤمنـــينا(٢٧١)

وتولى بعد مقتل يزيد إبراهيم بن الوليد ثم ما لبث بعد قرابة شهرين ونصف أن خلع نفسه، وتولى الخلافة مروان بن محمد الذي بويع سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م. وفي عهده اشتدت الصراعات القديمة بين قبائل العرب القيسية واليمنية في الشام و العراق، فاضطرب حبل مروان الذي استطاع أن يوطد الأمر لنفسه، ثم استعد لمواجهة معارك ضارية ضد قوى كثيرة متربصة بالدولة(٢٧٢).

وفي خضم هذه الظروف العصيبية التي كانت تجتاح الدولة الأموية، في خلافة مروان بن محمد، اشتد خطر الخوارج الذين اتسعت حركتهم، واتخذت أسلوبا آخر يختلف تماما عما مضى، ساعدها على ذلك بداية أفول نجم الأمويين وتداعي ملكهم إذ انقلبت حركة الخوارج إلى طور جماهيري، فأصبحوا يقاتلون بجماهيرية قوية(٢٧٣). فاستطاعوا أن يسيطروا على العراق، وامتد نفوذهم إلى الحجاز واليمن(٢٧٤).

فقد خرج سعيد بن بحدل - أو بهدل(٢٧٥)- من الجزيرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م ثم اتجه الموصل بصحبة خمسمائة من الخوارج فنزلها أياما، فسأله أهلها الرحيل عنها

---

(٢٦٩) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٩٠هـ وقيل سنة ٩٢هـ ويكنى أبو العباس وقتل سنة ١٢٩، واتهم بالخلاعة وقلة الدين في حين أن بعض المؤرخين عزى سبب الاتهام إلى مكايد من هشام بن عبد الملك ضده حتى لا يتسنى له تولي الخلافة بعده، انظر سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٥.

(٢٧٠) تاريخ خليفة ٣٦٩/١، المعارف ٣٦٧/١، تاريخ اليعقوبي ٣٣٥/٢، البدء والتاريخ ٥٣/٦، محمد جمال سرور – الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ـ دار الفكر العربي طبعة ١٩٧٣م، ص ١٠٢.

(٢٧١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٨٩٠/٦، الوافي بالوفيات ٧٦/١٣، البداية والنهاية ٢٣/١٠ مآثر الإنافة ١٦٤/١.

(٢٧٢) المعارف ٣٦٧/١، تاريخ اليعقوبي ٣٣٥/٢، تاريخ الطبري ٢٥٣/٤، البدء والتاريخ ٥٣/٦ إبن الأثير ٤٨٧/٤، سير أعلام النبلاء ٣٧٥/٥، فوات الوفيات ٦٤٦/٣.

(٢٧٣) فلهوزن – الخوارج والشيعة ـ ص١٠١ ـ ١٠٢.

(٢٧٤) الأوضاع السياسية والاجتماعية في البصرة والكوفة ص٦٥.

(٢٧٥) هو سعيد بن بحدل، أو (بهدل) الشيباني، متمرد من الحرورية، خرج في خمسمائة من أهل الجزيرة وهو من أصحاب متمرد سابق كان قد سبقه ثم تنازل له اسمه (أبا كرب) وكان من بين جنوده إبن بحدل الضحاك بن قيس الشيباني بعد مقتل الوليد سنة ١٢٦هـ حيث استغل إبن بهدل مقتله، وانشغال مروان بن محمد بأمر الشام، فخرج إبن بهدل قاصدا العراق، إلا أنه مات في شهرزور وهو في الطريق. انظر خليفة بن خياط ٣٠/١، تاريخ الطبري ٢٨٢/٤، تاريخ اليعقوبي ٣٣٨/٢، الكامل في التاريخ ١٢/٥، البداية والنهاية ٢٥/١٠.

مقابل أن يبايعوه، فرحل إلى شهرزور، وفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م حضرت الوفاة إبن بهدل فاجتمع إليه قواده واستشارهم فيمن يخلفه، واستقرت الشورى على الضحاك بن قيس المحلمي(٢٧٦)، الذي قال وقتها(٢٧٧):

لأوردن رجـالا إن ملكتـهـم * طعنا يشج كأفواه المثاعيب(٢٧٨)

أقبل الضحاك بن قيس يريد الكوفة، وقد انضمت إليه جموع الصفرية من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف لم يجتمع لخارجي قبله مثلهم. وقد استغل الضحاك تردي الوضع السياسي في العراق، حيث كانت النزاعات القبلية في الكوفة على أشدها بين النضر بن سعيد الحرشي عامل مروان بن محمد الخليفة الجديد، وبين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل يزيد بن عبد الملك الخليفة السابق، قد رفض عبد الله بن عمر أن يسلم القيادة في الكوفة إلى النضر بن سعيد الحرشي(٢٧٩)، في حين كانت العصبية القبلية ملتهبة ومنقسمة، فبينما كانت اليمانية مع عبد الله بن عمر، وكانت المضرية مع النصر بن سعيد، هذا الوضع السياسي السيىء شجع الضحاك على التمرد، وقوّى عزمه على أن يتجه نحو الكوفة(٢٨٠). فدخلها ولعن عليًا بن أبي طالب على منابر المساجد(٢٨١) ثم أمر بقتل رجال الكوفة ممن لا يرى رأي الخوارج حتى راجعه الإمام أبو حنيفة النعمان فرجع عن ذلك(٢٨٢).

أرسل عبد الله بن عمر بالكوفة إلى النضر بن سعيد الحرشي أن الضحاك لا يريد غيري وغيرك فهلم نجتمع للقضاء عليه، وقبل النضر ذلك، فاجتمعا بالكوفة كل منهم

---

(٢٧٦) هو الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد بن مناة بن محلم الشيباني كان على مذهب الصفرية ولكنه كان يرى الخروج على الحاكم، وكان زعماء الخوارج الشجعان الدهاة مات سنة ١٢٨هـ. انظر تاريخ خليفة بن خياط ٣٧٥/١: ٣٧٩، تاريخ الطبري ٢٨٣/٤: ٢٨٣، تاريخ إبن خلدون ٣٦٢/٣.

(٢٧٧) تاريخ خليفة بن خياط ٣٧٦/١.

(٢٧٨) المثاعيب: جمع مثعب وهو مسيل الماء في الوادي، وأفواه المثاعيب منابع الآبار أو مجامع الماء في الوادي. لسان العرب ٢٣٦/١: ٢٣٧.

(٢٧٩) هو النضر بن سعيد بن عمرو الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بني الحريش بن كعب ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن منصور بن مضر بن عدنان الحرشي كان أبو سعيد قد تولى خراسان لعمر بن هبيرة سنة ١٠٣هـ، طبقات خليفة ١٩٧/١، المعارف ٤٣٦/١، تاريخ الطبري ٩٨/٤، تاريخ بغداد ٣٣٣/٣، الإنباه على قبائل الرواه ٧٣/١، الأنساب للسمعاني ٢٠٢/٢، تاريخ دمشق ٢٩٣/٥٨، الكامل في التاريخ ٣٥٥/٤، وفيات الأعيان ٢١١/٥، تاريخ إبن خلدون ١٠٣/٣.

(٢٨٠) تاريخ خليفة ٣٧٥/١، المعارف ٣٦١/١، الكامل في التاريخ ١٢/٥، العبر للذهبي ١٦٥/١، المعارضة في العصر الأموي ص١٠٧.

(٢٨١) دخل على الضحاك شيخ أعور، فطلب منه أن يتبرأ من عليّ فلم يفعل فقتله وهكذا كان يفعل مع أهل الكوفة. انظر: أبو يعلي الخليل بن عبد الملك بن الخليلي القزويني ت سنة ٤٤٦هـ – الإرشاد – مكتبة الرشيد – الرياض – ط١ سنة ١٤٠٩، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس ٥٣٦/٢.

(٢٨٢) طبقات الحنفية ٤٨٦/١، حسن عبد الحميد جبر – العلاقات بين مصر والإدارة الحكومية في عصر الولاة – رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة ص ٢٧٤.

يصلي بأصحابه[٢٨٣]، وأقبل الضحاك ونزل بشاطئ الفرات ثم عبر إلى الكوفة فوجد أصحاب إبن الحرشي وابن عمر على أفواه السكك مخندقين في شعبان سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م فاقتحم الضحاك الخنادق فأصاب من أهل الكوفة أربعة عشر فارسًا وثلاث عشرة امرأة[٢٨٤]. وأقبل الضحاك ومن معه فحمل على أهل الكوفة وأهل الشام الذين كانوا مع إبن الحرشي، فلم يلبث أهل الشام أن انهزموا وعبروا الخنادق إلى الكوفة، فقصد الضحاك الكوفة ومعه طائفة من أصحابه، فنهض إليه أهلها بالمقاومة فكسرهم الضحاك، ودخل الكوفة، فاستحوذ عليها واستتاب، وخرج في طلب عبد الله بن عمر نائب العراق، وظلت قبضة الضحاك على الكوفة سنتين، وضم إليها الموصل والبصرة، وبذلك غلب على العراق كله، ولم يغلب أحد من الخوارج على العراق كله لا قبله ولا بعده، واتسع نفوذه وازداد بعد أن انضم إليه وبايعه سليمان بن هشام بن عبد الملك[٢٨٥] لما خلع مروان بن محمد وحاربه ثم انهزم سليمان، فاتجه إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فخرج معه إلى الضحاك فبايعه[٢٨٦] وحضه على قتال مروان معًا وسار مع الضحاك إلى مروان في أربعة آلاف من أهل بيته ومواليه[٢٨٧]. وتندر الشعراء بذلك حتى قال أحدهم[٢٨٨]:

---

(٢٨٣) الكامل في التاريخ ١٢/٥: ١٣، البداية والنهاية ٢٥/١٠.

(٢٨٤) تاريخ خليفة ٣٧٨/١، تاريخ الطبري ٢٨٤/٤.

(٢٨٥) هو سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا أيوب الأموي ويقال أبو الغمر الأموي، أمه أم حكيم بنت يحيى بن أبي العاص، كان الوليد بن يزيد قد سجنه بعد موت أبيه هشام في سجن عمان، فلما قتل الوليد خرج من السجن ولحق بالخليفة الجديد يزيد بن الوليد الذي ولاه بعض حروبه فكسره مروان بن محمد في عين الجر – بين بلعلبك ودمشق في البقاع وهو الموضع الذي ركب منه نوح -عليه السلام- السفينة – فهرب إلى تدمر على طريق الشام على بعد خمسة أيام من حلب، ثم استأمن مروان فأمنه واستأذنه أن يبقى في الرصافة يستريح منها فأذن له، حتى مرت به بعوث مروان الكثيفة التي أرسلها لقتال الضحاك، فزينوا له الخروج على مروان لأنه أولى بالخلافة، فاستزله الشيطان وطمع في الخلافة وخرج على مروان في سبعين ألفا من قنسرين من كور الشام من حلب، سنة ١٢٧هـ فهزمه مروان والحق سليمان بالضحاك بن قيس الحروري وبايعه ثم كانت الهزيمة من نصيبهم فهرب سليمان إلى بني العباس فأمنوه ثم أنشد شاعرهم يقول عن سليمان الأموي:

- لا يغرنك ما ترى من رجال *** إن تحت الضلوع داء مدويا

- فضع السيف وارفع السوط حتى *** لا ترى فوق ظهرها أمويا

فهجمت عليه المسودة من بني العباس وقتلوه سنة ١٣٢هـ المعارف ٣٩٥/١، تاريخ اليعقوبي ٩٠/٦، تاريخ الطبري ٢٨٧/٤، معجم ما استعجم ٣٠٦/١، البدء والتاريخ ٦/(*) تاريخ دمشق ٣٩٥/٢٢، المنتظم ٢٦٣/٧، معجم البلدان ١٧/٢، ١٧٧/٤.

(٢٨٦) الكامل في التاريخ ١٠/٥، الوافي بالوفيات ٢٩٧/١٥، البداية والنهاية ٢٤/١٠، النجوم الزاهرة ٣٣٠/١.

(٢٨٧) البدء والتاريخ ٥٥/٦. المنتظم ٢٦١/٧، الأوضاع السياسية والاجتماعية في البصرة والكوفة ٦٦: ٦٩.

(٢٨٨) هو الشاعر شبيل بن عزرة الضبعي، تاريخ الطبري ٢٨٩/٤.

ألم تر أن الله أظـــهر ديـــنه * فصلت قريش خلف بكر بن وائل(٢٨٩)

وهذا التصرف الذي قام بـه إبن خليفة أموي سابق هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز آخذاً بنصيحة أحد قادته وهو منصور بن جمهور(٢٩٠)، الذي أشار عليه بعدم حرب الخوارج حتى لا يشغلهم عن مروان بن محمد، بل عليه أن يعطيهم الرضـا، وحتـى يكونوا بينه وبين مروان(٢٩١)، وقد تم ذلك فخرج عبد الله بن عمر إلى الضحاك فبايعه وصلى خلفه، فكان هذا التصرف الدبري(٢٩٢) وغير المحسوب عواقبه، مما لا يتوقعه الخوارج مطلقا، وهكذا فعل إبن خليفة أموي آخر هو سليمان بن الخليفة هشام بن عبد الملك، وهذا التصرف من أبناء خلفاء أمويين تجاه طائفة خارجة عنه ومتمردة على الخلافة الأموية ليبرهن على ضعفها، وأن نجمها بدأ في الأفول، وأن الانقسامات والخلافات داخل البيت الأموي، قد بلغت أشدها، وبدت كالسوس الذي ينخر في كيان البيت الأموي(٢٩٣).

---

(٢٨٩) المقصود ببكر بن وائل هنا هو الضحاك بن قيس المحلمي الشيباني، حيث يعود نسبه إلى بني محلم من بطون شيبان. وشيبان نفسها من بطون بني بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان. انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم بن النمري القرطبي ت سنة ٤٦٣هـ – الإنباه على قبائل الرواة – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ سنة ١٤٠٥ – تحقيق إبراهيم الإبياري: ٨٦/١ – ٨٧.

(٢٩٠) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد بن عامر بن بكر بن عوف ينتهي نسبه إلى مالك بن حمير الكلبي، من قرية المزة الواقعة وسط بساتين دمشق، خرج مع يزيد بن الوليد فولاه العراقين البصرة والكوفة، وكان ممن سعى في قتل الوليد بن يزيد، وكان منصور قدريا ثم صار خارجيا بعد أن عزل عن العراق. انظر تاريخ مدينة دمشق ٣١١/٦٠، معجم البلدان ١٢٣/٥.

(٢٩١) تاريخ الطبري ٢٨٥/٤، الكامل في التاريخ ٢١/٥ – ٢٢، البداية والنهاية ٢٨/١٠.

(٢٩٢) يقال في اللغة: فلان لا يدري قبال الأمر من دباره: أي يتخذ القرار ولا يدري أين أوله من آخره، ويستعاذ من الرأي الدبري، الذي لا يرى عاقبته إلا بعد وقوع شره. انظر: النهاية في غريب الأثر ٩٧/٢، لسان العرب ٢٧٦/٤، مختار الصحاح ٨٣/١.

(٢٩٣) في حين كان من أبناء الخلفاء الأمويين من يسارعون الخطى متقربين نحو الضحاك، كان بعض أتباعه يسارعون الخطا مبتعدين عن الضحاك فهذا رجل من أعوان سعيد بن بهدل والضحاك يدعى بسطام بن الليث الثعلبي أحد بني زيد في سنة١٢٨هـ يخرج على الضحاك ويرى رأي الخوارج البيهسية أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وخرج على الأمويين بأذربيجان، فقتل عاملا لمروان بها، ثم قدم نصيبين في نيف وأربعين رجلا، ويهزم جيشا لأهل الموصل، ويغير على جماعة من أهل الشام في ألف رجل فأصاب منهم، ثم قتل من قتل بنصيبين وأذربيجان وأرمينية، ويهزم جيشا بقيادة عبد الملك بن زيد تعداده ستة آلاف بينما هو في مائتي من الخوارج، ثم توجه إلى شهرزور ثم إلى العراق فيهزم جيشا منهم من ألفين، ولم يضع حدا لفساده في الأرض إلا من هو مثله، فأرسل إلى الضحاك بن قيس بعض أعوانه فيهم شجرة بن= =زهير الشيباني والخيبري، فلقيه الخيبري فبيته فقتله هو وأصحابه المائتين وانتهى تمرده على يد الخوارج أنفسهم سنة١٢٨هـ. انظر تاريخ خليفة ٣٨١/١، تاريخ الطبري ٢٨٣/٤، المنتظم ٢٦١/٧، الكامل في التاريخ ١٢/٥، البداية والنهاية ٢١٩/٩، تاريخ إبن خلدون ٢٠٦/٣ن شذرات الذهب ١٧٤/١.

لما استولى الضحاك سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م على الموصل وقتل واليها، انضمت إليه أشراف أهل الشام ممن هرب من مروان من قريش وغيرهم حتى أصبح جيشه نحو مائة ألف، وبلغ ذلك مروان فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان، والي الجزيرة، يأمره بالنزول في مدينة نصيبين(٢٩٤)، فسار إليه الضحاك محاصرا له بنصيبين نحوا من شهرين فلم يظفر به، وسار مروان بنفسه على رأس جيشه يريد نصيبين، فالتقى مع الضحاك والتقوا بنواحي كفر توثا(٢٩٥). وقامت بينهما معارك. أشار قادة الضحاك عليه بالتقهقر، ودامت الحرب في ذاك اليوم إلى آخر النهار، وقتل الضحاك ولم يعلم به، وقتل معه نحوا من ستة آلاف من الفريقين كان جلهم من الحرورية وكان من بينهم ثمانمائة امرأة حرورية، ونصب مروان راية الأمان. رفع راية الخوارج بعد الضحاك أبرز قواده ويسمى الخبيري، فانتدب معه من الشراة ثلاثمائة وخمسين وحملوا على مروان فانكشف جيشه من القلب، حتى استطاع أن يدخل إلى سرير مروان ويجلس عليه، إلا أنه في النهاية قتل الخبيري بسبب أنه لم يتبعه كثير من أصحابه في اندفاعه هذا إلى معسكر مروان، ولعل السبب يكون كثرة الضباب المخيم على ساحة المعركة حتى كان الرجل لا يبصر سوطه ولا يعرف فرسه(٢٩٦).

تمرُّد شيبان بن عبد العزيز اليشكري على مروان بالموصل ١٢٩هـ/٧٤٦م

اجتمعت الخوارج بعد الخبيري سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م على شيبان اليشكري(٢٩٧)، والذي أشار عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك أن يتحصنوا بالموصل ويجعلها

(٢٩٤) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، بين الموصل والشام، معجم البلدان ٢٨٨/٥.

(٢٩٥) كفر توثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، تقع بين قرية دارا وقرية رأس عين، وهي من قرى فلسطين وكانت من الحصون القديمة، معجم البلدان ٤٦٨/٤.

(٢٩٦) تاريخ خليفة ٣٧٥/١، المعارف ٣٦٩/١، تاريخ اليعقوبي ٣٣٨/٢، تاريخ الطبري ٣٠٣/٤.

(٢٩٧) هو شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي، من أمراء الحرورية وقادتهم تولى قيادة الخوارج سنة١٢٩هـ، وقتل سنة ١٣٠هـ بالأهواز: انظر تاريخ الطبري ٣٠٣/٤، الكامل في التاريخ ٢٢/٥، البداية والنهاية ٢٨/١٠. نشير هنا أن شيبان بن عبد العزيز هذا غير شيبان بن سلمة بن علقمة بن شيبان الدوسي الحروري، الذي خرج بنواحي خراسان سنة١٢٩هـ - في نفس العام الذي خرج فيه شيبان بن عبد العزيز – فغلب على سرخس وطوسي وأبي شهر، وأظهر قول تشبيه الخالق بالمخلوق، وتمرد مع والي خراسان نصر بن سيار، وأصبح له مذهب وفرقة تسمى الشيبانية، وقد بلغ من أمره أن أصحابه كانوا يسلمون عليه بالخلافة، وفي نفس الوقت كان الكرماني قد خرج على والي خراسان أيضا، وفي ذات التوقيت كان والي خراسان يستعد لملاقاة: أبو مسلم الخراساني داعي دعاة العباسيين في خراسان، فراسل نصر إبن سيار شيبان بن سلمة أن يكون معه على حرب أبي مسلم فوافق، فأخبر أبو مسلم الكرماني بذلك فلام شيبان على فعله وثناه فلم يجبه، فأرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه لبيعته بعد انتصاره على نصر بن سيار ودخوله مرو بمساعدة علي بن الكرماني بعد مقتل أبوه فرد عليه شيبان بأني أنا الذي أدعوك لبيعتي فاختلفا، فسار شيبان بن سلمة ونزل سرخس – بين نيسابور ومرو – واجتمع إليه خلق كثير من قبائل وبطون بكر بن وائل واستعد لملاقاة أبي مسلم الذي أرسل إليه بعد ذلك جيشا كثيفا بقيادة بسام بن إبراهيم الذي سار إليه فاقتتلا

منزلا لهم، فتحولوا إليها، فتبعهم مروان بعد أن خندقوا على أنفسهم، فخندق هو الآخر على جيشه أيضا، وظل الحصار نحوا من سنة، ثم رحل الخوارج عنها بمشورة سليمان أيضا، فأرسل إليهم مروان قائده عامر بن ضبارة إليهم بالأهواز في ثلاثة آلاف، ومازال بن ضبارة وراءهم حتى فرق شملهم شذر مذر(٢٩٨)، وهلك أميرهم شيبان اليشكري سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، قتله خالد بن مسعود الأزدي(٢٩٩) بعمان بعدما تنقل هاربًا إليها(٣٠٠). وقيل إنه هرب بعد الأهواز إلى البحرين فقتل هناك(٣٠١). ويقال إنه قتل في سنة ١٣٤هـ/٧٥١م في عهد الدولة العباسية(٣٠٢).

وهكذا انتهى خطر الضحاك بن قيس الشيباني، ذلك التمرد الذي كلف الدولة الأموية كثيرا، حيث ظهر في وقت يعتبر حرجا بالنسبة لهم، حيث كانت الدعوة العباسية قد بدأت في الظهور تحت شعار الرضا من آل محمد - صلى الله عليه وسلم - في خراسان، وزادت الخطورة باستيلاء الضحاك على الكوفة وواسط حتى العراق كله لأول مرة في تاريخ الدولة الأموية، وكان على وشك الاستيلاء على الجزيرة كلها، ولم يكن خلفاؤه الخيبري وشيبان اليشكري بأقل منه خطرًا على الدولة الأموية، إلا أنه في النهاية وأمام شجاعة وقوة شخصية وحسن سياسة مروان في مواجهة الخوارج، استطاع القضاء على الضحاك وخلفائه، وصفا له الجو، إلا أنه لم يستمر صفاؤه كثيرا، فسرعان ما تلبد بالغيوم التي أحدثها أبو مسلم الخراساني في خراسان.

تمرُّدات الخوارج في بلاد الجزيرة العربية:

لم يقتصر وجود الخوارج على بلاد العراق فقط فقد ظهروا في الجزيرة العربية، منذ وقت مبكر منذ أن تركوا عبد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، فكان أبو طالوت من بني بكر بن وائل، وأبو فديك، وعطية بن الأسود اليشكري، ونجدة بن عامر، وقد وثبوا باليمامة بعد أن اتجهوا إليها مع أبي طالوت(٣٠٣)، ثم تركوه ومالوا إلى نجده بن عامر

على أبواب سرخس، فهزمه بسام وقتل شيبان بن سلمة نفسه، واتبع بسام أصحابه يقتلهم ويأسرهم، ثم غدر أبو مسلم بعد ذلك بابن الكرماني سنة ١٣٠هـ وانتهى بذلك تمرد شيبان بن سلمة الحروري، انظر عن ذلك تاريخ خليفة ٣٨٨/١: ٣٩٠، تاريخ الطبري ٣٢٣/٤، الأشعري ص٩٨، الفرق من الفرق ص٩٤، الملل والنحل ١٣٢,١، الأنساب ٤٨٥/٣، تاريخ دمشق ١٧٠/٢٧، المنتظم ٢٧٦/٧.

(٢٩٨) شذر مذر كلمة تعني في اللغة: أنه فرقه وبدده في كل وجه. انظر النهاية في غريب الأثر ٤٥٣/٢، لسان العرب ٣٩٩/٤.

(٢٩٩) هو خالد بن مسعود بن جعفر بن خليد الأزدي، البداية والنهاية ٢٩/١٠.

(٣٠٠) تاريخ خليفة ٣٧٨/١، المنتظم ٢٦٦/٧، مرآة الجنان ٢٧٠/١، تاريخ ابن خلدون ٢٠٩/٣.

(٣٠١) العبر للذهبي ٢٦٦/١.

(٣٠٢) تاريخ ابن خلدون ٢٠٩/٣.

(٣٠٣) الكامل في التاريخ ٤٩/٣، تاريخ ابن خلدون ١٨٢/٣.

الحنفي الذي مضى إلى بلدة الحضارم[٣٠٤]. فنهبها وسبى رقيقها سنة ٦٥هـ ٦٨٤م واستولى على أموال كانت قادمة إلى ابن الزبير بمكة، فاقتسموها بينهم، وبذلك رأوا في نجدة الخيرة من أبي طالوت، فبايعوه، ولما رأى أبو طالوت ذلك بايعه أيضا واجتمعوا كلهم على نجدة سنة٦٥هـ/٦٨٤م [٣٠٥].

تمرُّد أبي حمزة[٣٠٦] الخارجي الإباضي في مكة والمدينة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[٣٠٧]:

بعد القضاء على الضحاك بن قيس الشيباني وخلفائه، ولي مروان بن محمد على العراق يزيداً بن عمر بن هبيرة الفزاري[٣٠٨] العراق سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وولي عبد الواحد بن سليمان[٣٠٩] مكة والمدينة في أواخر سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م قدم عبد الواحد مكة ليقيم موسم الحج بالناس، وإذ بالخوارج والناس بعرفة واقفون، يظهرون في وسطهم بعمائم وأعلام سود وهم ما يقرب من سبعمائة رجل يتقدمهم أبو حمزة الشاري فأظهر

(٣٠٤) الحضارم اسم بلدة بحضرموت اليمن، وحضارم مفرد حضرمة وهي اللكنة أو اللحن في الكلام، انظر معجم البلدان ٢٦٧/٢، لسان العرب ١٣٧/١٢.

(٣٠٥) الكامل في التاريخ ٤٩/٣، تاريخ ابن خلدون ١٨٢/٣.

(٣٠٦) هو المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري، وكنيته أبو حمزة كان يوافي مكة في مواسم الحج فيدعو الناس إلى الخروج على مروان بن محمد، لم يزل على ذلك حتى التقى سنة ١٢٧هـ بعبد الله بن يحيى الكندي (طالب الحق) الإباضي – الذي خرج باليمن على مروان بعد ذلك سنة ١٢٨هـ - فبايعه أبو حمزة بالخلافة وذهب معه إلى حضرموت، انظر، تاريخ اليعقوبي ٣٣٩/٢، تاريخ الطبري ٣٢٨/٤، الكامل في التاريخ ٢٣/٥، ٢٩، البداية والنهاية ٣٥/١٠.

(٣٠٧) الإباضية: فرقة من فرق الخوارج ينسبها البعض- كالأشعري والسمعاني - إلى الحارث الإباضي، ولكن أكثر المؤرخين يذكرون أنها تنسب إلى عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم الصريمي الذي خرج على مروان بن محمد، فوجه إليه جيشا فقاتله بتبالة من أرض تهامة في طريق صنعاء. انظر تاريخ خليفة ٣٨٤/١، الأنساب للسمعاني ٧٠/١، تاريخ ابن خلدون ١٨٣/٣، التعريفات ٢٠/١، شذرات الذهب ١٧٧/١، أبو العباس أحمد بن خالد ابن محمد الناصري سنة ١١٠٠هـ - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى – دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٩٧م – تحقيق: جعفر الناصري وآخرين، ١٦٣/١. وترى الإباضية أن غيرهم من المسلمين حكمهم حكم المنافقين الذين تحل مناكحتهم وموارثتهم وتحرم دمائهم وأموالهم وسبيهم، ومرتكب الكبيرة منهم موحد وليس بمؤمن وليس بكافر. وأن دارهم دار توحيد إلا دار السلطان وعسكره فهي دار كفر، وكفروا عليا وأكثر الصحابة، وقد تبرأت منهم الخوارج، ويعد الإباضية إلى حد ما من أقرب فرق الخوارج لأهل السنة. انظر، مقالات الإسلاميين ص١٠٤، الفرق بين الفرق ص٩٥، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٨٨/٤، الملل والنحل ١٣٤/١.

(٣٠٨) وردت ترجمة يزيد بن عمر بن هبيرة في تمرد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان سنة ١٢٥هـ في تمردات العلويين في هذا البحث.

(٣٠٩) هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عثمان الأموي ويقال أبو خالد الأموي، وأمه أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العاص بن أمية عبشمس، أمير مكة والمدينة والطائف، حيث وليها لمروان بن محمد بن مروان سنة ١٢٧هـ وحج بالناس فيها، وقد حدث عن أبيه سليمان وعن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، ومن هذه الأحاديث حديث ((من بنى لله بيتا بنى الله له بيتا في الجنة)) ويذكر الأزرقي أنه كان متزوجا من رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وقد كانت نهايته على يد صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة ١٣٢هـ أخبار مكة للأزرقي ٢/٠، تاريخ دمشق ٢٣٨،٣٧ – ٢٣٩، التحفة اللطيفة ٢١٧/٢ – ٢١٨.

التحكيم والمخالفة لمروان وتبرأ منه، فلما كان يوم النفر الأول تعجل عبد الواحد وترك مكة فدخلها أبو حمزة الشاري بغير قتال، في حين تجهز عبد الواحد بالمدينة لقتاله، وكتب إلى مروان يخبره بخذلان أهل مكة له، فعزله مروان وأمر والي المدينة عبدالعزيز بن عمر بن عبد العزيز أن يوجه إلى أبي حمزة جيشا من أهل المدينة، التقى هذا الجيش أوائل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م بجيش حمزة بموضع يقال له: قديد(٣١٠)، وبات أهل المدينة بها على غير استعداد ولا تعبئة فصحبهم الخوارج في يوم الخميس السابع من صفر سنة ثلاثين ومائة، وأكثرهم نيام، فاستيقظوا ما بين مقاتل وهارب ومقتول، ولم تزل الخوارج تقتلهم حتى قتلت أميرهم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأصيب معه من أهل المدينة جلهم فلم ينج منهم إلا الشريد، فما نجا من جيش أهل المدينة إلا القليل، وبلغ عدد القتلى نحوا من تسعمائة قتيل(٣١١)، ودخل أبو حمزة المدينة يوم الجمعة الثالث عشر من صفر عام ثلاثين ومائة(٣١٢) وكل بيت من بيوت المدينة لا يخلو من قتيل حتى أن بعض البيوت كانت المرأة تبكي وحدها، ما تجد أحدا يبكي معها من كثرة من قتل بقديد ليس بالمدينة أحد إلا وقد قتل له حميم(٣١٣). حتى أن امرأة واحدة – كأم حكيم بنت عكاشة(٣١٤) – نعي إليها خالها ثم عمها ثم إبن عمها ثم أخوها ثم زوجها الواحد تلو الآخر طوال ذلك النهار.

---

(٣١٠) قديد: وادٍ بين مكة والمدينة، كثير الدغل أي الشجر الملتف الذي يسهل الاختفاء فيه، دائم الغلل أي الحر، انظر – محمد بن سلام الجمحي ت سنة ٢٣١، طبقات فحول الشعراء – دار المدني – جده، تحقيق/ محمود شاكر ٥٩٥/٢، نزهة المشتاق ١٤٢/١، معجم ما استعجم ١٠٥٤/٣، معجم البلدان ٢١٣/٤.

(٣١١) قتل من قريش ٢١٠، ومن حلفائهم ١١٤، ومن مواليهم ٢٢١، وقتل من الانصار ١١٢، ومن حلفائهم ٤٦، ومن مواليهم ٣٤، وقتل من العرب ١٥٠، ومن مواليهم ٣٥. يكون المجموع = ٩٢٢ قتيل. انظر إبن تمام – المحن – ٢٦٥، ٢٦٥/١.

(٣١٢) المحن ٢٦٢/١، تاريخ الطبري ٣٢٨/٤: ٣٣٠، الكامل في التاريخ ٤٩/٥ – ٥٠، العبر للذهبي ١٧١/١ (ظهرت يوم قديد بطولات فردية في مواجهة الخوارج رغم الهزيمة، فهذا عمارة بن حمزة بن مصعب يرفع سيفه بيمنه وينشد بأعلى صوته:

لم يبق إلا حسبي وديني　　　　وصارم تلتذه يميني

لمحن ٢٦٥/١.

(٣١٣) شهدت المدينة المنورة ثلاثة أيام عصيبية: يوم قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – سنة ٣٥هـ، ويوم الحرة سنة ٦٣هـ لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري فحاربهم وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا، أما اليوم الثالث فهو يوم قديد هذا سنة ١٣٠هـ. انظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٤٤/١.

(٣١٤) هي أم حكيم بنت عكاشة بن مصعب بن الزبير بن العوام، فلما حدث لها ذلك رجعت إليها بيتها واحتسبت وصبرت، – رضي الله عنهم جميعا – انظر المحن ٢٦٦/١.

تمرُّد/طالب الحق[٣١٥] باليمن سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م:

سيطر أبو حمزة على مكة والمدينة واستعد لقتال مروان بالشام واتجه نحوه، في حين كان مروان قد أرسل جيشا من أربعة آلاف مقاتل بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي[٣١٦] لمقاتلة الخوارج بالمدينة ومكة فإن ظفر بهم استكمل نصره بالاتجاه إلى إتمام القضاء عليهم باليمن حيث طالب الحق الخارجي، وفي وادي القرى[٣١٧] اقتتل الفريقان فانهزم الخوارج، وقتل أبو حمزة الخارجي، واتجه إبن عطية نحو طالب الحق باليمن، فالتقوا عند صنعاء وانتصر عليه إبن عطية، فقتله وقضى على تمرد الخوارج الإباضية، وأرسل إبن عطية رأس طالب الحق إلى مروان، وفي طريق عودة إبن عطية إلى مكة كمن له الإباضية فاغتالوه[٣١٨].

وهكذا انتهت فتنة طالب الحق باليمن وأبو حمزة بالجزيرة العربية، كما انتهت تمردات الخوارج الذين من قبلهم، وبها خمدت تمردات الخوارج التي كانت قد قويت في أواخر الدولة الأموية، فأثاروا فتنًا متصلة انتهت في كثير من الأحيان بغلبتهم على ولايات بأسرها، ولكن كانت إلى حين، ثم ضعفت هذه التمردات، وتلاشت إلى حد كبير بفضل وجود الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استطاع كسر شوكتهم، والقضاء على مذهبهم قضاء مبرمًا، وبفضل قادة أكفاء فهموا مذهب الخوارج، وفهموا أساليب قتالهم، وفقهوا سياستهم، ورصدوا تحركاتهم، وكشفوا أسرارهم، وفاجأوهم بمخططاتهم، وعلى رأس هؤلاء القادة الأكفاء كان المهلب بن أبي صفرة وقومه الذين كانوا على حد

---

(٣١٥) هو عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الحضرمي، يكنى أبو يحيى، ويلقب بـ (طالب الحق). إمام إباضي من أهل اليمن، كان قاضيا بحضرموت خلع طاعة مروان بن محمد وبويع له بالخلافة فاستولى على صنعاء ومكة، وعظم أمره وتبعه أبو حمزة الشاري. وقتلهما في النهاية جيش مروان بن محمد بقيادة عبد الملك إبن عطية السعدي في وادي القرى ثم بالقرب من صنعاء. انظر الوافي بالوفيات ٣٥٦/١٧: ٣٦٠، تاريخ إبن خلدون ٢١١/٣، شذرات الذهب ١٧٧/١، حسين بن أحمد العرشي ت ١٩٣٩م – بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وإمام – دار الندوة الجديدة – بيروت (د. ت) ص ١٠.

(٣١٦) هو عبد الملك بن محمد بن عطية بن قيس بن عامر بن عميرة بن ملان بن ناصرة بن قصي بن سعد بن بكر إبن معاوية بن هوازن بن منصور، تاريخ خليفة ٢١٨/١، الآحاد والمثاني ١١٠/٣، تاريخ الطبري ٣٣١/٤، الكامل في التاريخ ٥١/٥، الوافي بالوفيات ٣٦٠/١٧، التحفة اللطيفة ٥٢/١.

(٣١٧) وادي القرى: وادي كثير القرى يقع بين المدينة والشام، ثم أصبح مدينة فيما بعد، وقد فتح النبي – صلى الله عليه وسلم – وادي القرى في جمادى الآخرة سنة سبع للهجرة بعد فتح خيبر وقد فتحه عنوة لما امتنع أهله عن الصلح، وغنم المسلمون منها فخمسها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وترك النخل والأرض في أيدي اليهود وعاملهم على ما عامل عليه أهل خيبر، وظلوا على هذا الوضع حتى راودوا رسول عمر بن الخطاب إليهم وساوموه فرفض فأجلاهم عمر عنها، معجم البلدان ٣٤٥/٥، الأنساب للسمعاني ٥٥٧/٥.

(٣١٨) تاريخ خليفة ٣٨٤/١، تاريخ اليعقوبي ٣٤٨/٢، المحن ٢٦٣/١، تاريخ الطبري ٤/ ٣١٧، البدء والتاريخ ١٣٨/٥، الكامل في التاريخ ٢٣/٥، العبر ١٧١/١، البداية والنهاية ٣٥/١٠.

قول الجاحظ: "إن المهالبة كانوا لبني أمية كالبرامكة لبني العباس" (٣١٩) وكان لمذهب الخوارج نفسه دورا بارزا في ضعف شوكتهم وكسرها، فهو مذهب متعصب غير متسامح ولا مرن، حتى فيما بينهم، ناهيك عما بينهم وبين خصومهم، حتى كانت خلافاتهم الدينية تصدع كيانهم، وتحرمهم من أفضل عناصر يمكن أن تقود زمام المسيرة، بحجة أن فلان عجز في مناسبة ما عن اتباع مبادئهم الصارمة التي كانوا لا يحيدون عنها قيد أنملة(٣٢٠).

تفرق الخوارج إلى فرق متعددة(٣٢١)، فسهل على ولاة الدولة الأموية القضاء عليهم، كما كان لأهل العراقيين دور في الحد من قوة الخوارج فالكوفة التي طغى فيها مذهب التشيع المعادي لمذهب الخوارج مساعدتهم إلى ولاة الأمويين وعاونوهم على مناجزة الخوارج، إضافة إلى أن أهل البصرة لم يكونوا بأقل من أهل الكوفة في تصديهم للخوارج الذين كانوا يهددونها ليلاً ونهارًا، لولا المهلب حتى تندر الناس بقولهم: "البصرة بصرة المهلب"(٣٢٢) فوقفوا بجانبه ليحدوا من أعمال الخوارج التخريبية من قتل للأطفال والنساء ولكل مخالفيهم، إضافة إلى إحراق القرى وكسر الخراج، وقطع طريق التجارة خاصة لأهل البصرة، مما أدى إلى كرههم من جانبهم ومن جانب الناس عامة، فاندفعوا إلى مساعدة ولاة الدولة في القضاء عليهم(٣٢٣).

ولقد كانت الخوارج عامة في بداية ظهورهم، إنما يحملون معهم عوامل ضعفهم وفنائهم، فإن تمرداتهم اتسمت بالعشوائية والارتجال، فلا خطة متكاملة العناصر، ولا تنظيم محكم ومحصن ضد الاختراقات والجيوب والانقسامات، فتمرداتهم كانت أشبه ما تكون بعمليات انتحار جماعي، فهم حين يخرجون بأعداد ضئيلة سرعان ما يُقضى عليها،

---

(٣١٩) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ - البيان والتبيين – تحقيق عبد السلام هارون – سلسلة الذخائر ٧٨لسنة ٢٠٠٣م ص ٢١٦.

(٣٢٠) أحمد الشنتناوي – دائرة المعارف الإسلامية ٤٦٩/٨: ٤٧٣.

(٣٢١) تعددت فرق الخوارج حتى بلغت نحو عشرين فرقة، بل إن الفرقة الواحدة كانت تتفرق إلى فرق فرعية، وتعددت أسماء تلك الفرق واختلفت أسماؤها في كتب أصحاب الفرق والمؤرخين وإن المضمون واحد، وقد أوردت أسماء هذه الفرق في مستهل تمردات الخوارج عند أصحاب الفرق، ونورد هنا أسماء فرق الخوارج عند بعض المؤرخين كالمقدسي على سبيل المثال، الأزارقة والنجدات والراسبية والإباضية والعطورة والميمونية والصفرية والعجردية والكوزية والأنائية والبيهسية والحازمية والخلفية والأخنسية والمعبدية والصلتية والضحية والمكرمية والبدعية والسابية والثعلبية، ويجمعهم كلهم اسم الخوارج والشراة والحرورية والمحكمية ولقبهم المذموم هو لقب المارقة، انظر البدء والتاريخ ١٣٥/٥.

(٣٢٢) المعارف ٣٩٩/١، وفيات الأعيان ٣٥١/٥، شذرات الذهب ٩١/١.

(٣٢٣) عن تهديد الخوارج الأزارقة للبصرة وأهلها انظر: تاريخ خليفة ٢٧١/١، تاريخ الطبري ٣٧٧/٣، الأنساب للسمعاني ١٢٢/١، تاريخ دمشق ٢٨٠/٦١، المنتظم ٤٠/٦، الكامل في التاريخ ١٥/٤، البداية والنهاية ٣/٩، تاريخ ابن خلدون ٥٢/٣.

وإن ظهرت منهم بعض الشجاعات الفردية والفروسية النادرة، فلم يكن لديهم قيادة واعية ومحنكة – وهو ما كان يفتقد الخوارج – تستثمرها وتوظفها لتحقيق أهدافهم التي لم تكن واضحة ولا واقعية، لذلك لم يبلغوها، فارتكبوا أخطاء شبه متكررة، فلم يستفد بعضهم بعد بعض منها، ولعل ذلك يعود إلى أن سلاح العاطفة والحماسة عندهم كان متقدما على سلاح المعركة، ناهيك عن اختلاط سلاح العصبية الجاهلية عندهم بدوافعهم المذهبية في تمرداتهم فخرج بعضهم لا في سبيل تحقيق غاياتهم بل في سبيل الثأر لمن قتل من أصحابهم(٣٢٤).

ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن حقيقة مذهبهم جعلهم في عزلة عن المجتمع، فكانوا يشعرون بالغربة فيه فنفروا منه، وناصبوه العداء، في حين كان أولى بهم – بدلا من يحيطوا أنفسهم بهذه العزلة الشعورية والصدامية وسط المجتمع المسلم – أن يبحثوا لهم عن أرض جديدة، يبدأوا فيها بنشر مذهبهم بعيدا عن الخصومات والعداءات. ولكنهم كانوا كثيرا ما يطلقون نزوات العواطف لتسيطر على نظرات العقول فيخرجون من ضباب كثيف إلى ظلمة مطبقة ومن ثم إلى فناء وهلاك، ومرد ذلك كله إلى – على الرغم من إخلاصهم وشدة تعبدهم ولكن كل هذا بمفرده لا ينفع ولا يقبل به عمل – قلة العلم الذي به يُجهل الدين، الأمر الذي جعلهم فقهاء حماسة وعاطفة وتعبد مع جهل بالدين وبما سار عليه نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم – في سيرته. فأدت بهم الحماسة إلى التسرع والعجلة واعتساف الأمور، فافتقروا إلى سياسة النفس الطويل والصبر الجميل في مشروع التغيير النبيل؛ لذلك وغيره تم القضاء على الخوارج حينئذ وبعدئذ. وإن أبدوا ضروبا نادرة من الشجاعة والمقاومة، ولكنهم بعدها قد تلاشوا، فلقد ضعفت قوة الخوارج في عهد الدولة العباسية في العراق وما جاورها، اللهم إلا فئتًا محلية قليلة سرعان ما أخمدت، وأصبح مذهبهم غير ذي خطر، فقد غدت الخوارج مجرد فرقة من الفرق الدينية التي ليس لها نشاط حيوي أو انتشار واسع ملموس(٣٢٥) حتى أن عدد الخوارج الآن في العالم الإسلامي ذي المليار وثلث نسمة تقريبًا لا يتجاوز مليوناً ونصف المليون، يقيمون خاصة في مسقط بعمان وبعض إمارات الجزيرة العربية، إلى جانب شمال إفريقيا لاسيما في جزيرة جربة بتونس، وجلهم من الخوارج الإباضية(٣٢٦).

دور المرأة في تمرُّدات الخوارج على الدولة الأموية:

كان للمرأة دور فعال لا يقل عن دور الرجال، بل إنه قد يفوقه أحيانا، في تمردات الخوارج على الدولة الأموية، فقد خرجت المرأة عندما علمت بمقتل قريب وزحاف

(٣٢٤) على الصلابي - الدولة الأموية للصلابي ٢٦٣/١.

(٣٢٥) دائرة المعارف الإسلامية ترجمة – أحمد الشنتناوي ٤٧٤/٨..

(٣٢٦) EDITQ creps, INT موسوعة الأديان في العالم – نشر دار كريس – بيروت – ط١ سنة ٢٠٠٠م ص١٣٣.

الخارجين بالبصرة سنة٥٠هـ[٣٢٧]. وكان للمرأة دور في تمردات الخوارج على زياد إبن أبيه بالعراق، فلما أراد الخوارج أن يخرجوا معهم إحدى النساء وظفر بها زياد مع بقية الخوارج معها، فكان جزاؤها القتل نظير خروجها، ثم قام زياد بتعريتها بعد قتلها، حتى تكون عبرة لغيرها من النساء، ولما حدث ذلك، لم تخرج النساء بعدئذ على زياد، ولكن كن إذا دعين إلى الخروج في عهد زياد قلن: "لولا التعرية لسارعنا بالخروج" [٣٢٨].

وفي خلافة معاوية وولاية إبن عامر على العراق خرج مع الخوارج امرأتان يقال لأحدهما: كحيلة[٣٢٩] وللأخرى قطام[٣٣٠]، فكان أصحاب إبن عامر يعيّروا الخوارج بذلك ويصيحون عليهم (يا أصحاب كحيلة وقطام) [٣٣١]، ثم يرمونهم بالفجور، فما كان للخوارج من رد فعل إلا أن ينادون أصحاب إبن عامر بالدفع والرد قائلين لهم على لسان متحدثهم {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ }[٣٣٢].

وكانت البلجاء[٣٣٣] امرأة من مجتهدات الخوارج، وهي من رهط المتنبئة سجاح التي تزوجت بمسيلمة الكذاب. وقد خرجت البلجاء على عبيد الله بن زياد، بالهجاء والسب والتأليب عليه، وحث الناس على التمرد على إبن زياد الذي عزم على القبض عليها، يروي إبن تميم التميمي: أن البلجاء لما أوتي لها بالحبال والحديد التي ستكبل بها حتى تقطع أطرافها قالت: "هذا آخر يوم من الدنيا وهو غير مأسوف عليه، وأرجو أن يكون أول أيامي من الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه، والله إن علمي بفنائها هو الذي

---

(٣٢٧) انظر عن ذلك تمرد قريب وزحاف ابنا الخالة بالبصرة سنة ٥٠هـ في تمردات الخوارج في بداية هذا الفصل.

(٣٢٨) الكامل للمبرد ١٣٦/٣، ١٣٧.

(٣٢٩) الكامل للمبرد ٢٧٧/٣.

(٣٣٠) هي قطام بنت شحنة بن عدي بن عامر بن عوف من تيم الرباب، كانت فائقة الجمال وأجمل نساء عصرها، قتل أبوها وأخوها، وقيل أبوها وزوجها في يوم النهروان وكانوا مع الخوارج، فنذرت أن يكون مهر زواجها قتل علي إبن أبي طالب -رضي الله عنه- ثأراً لأبيها، فتقدم لزواجها عبد الرحمن بن ملجم وقبل دفع المهر ووفى لها به وقتل فلم يتزوجها وكان مهرها كما يقول الشاعر شاس المرادي

فلا أرى مهراً ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم

فلا مهر أغلى من عليٍّ وإن علا * ولا فتك إلا دون فتك إبن ملجم

انظر طبقات إبن سعد ٣٦/٣، تاريخ الطبري ١٥٦/٣، البدء والتاريخ ٢٣٢/٥ ـ ٢٣٣، تاريخ دمشق ٥٥٨/٤٢، المنتظم ١٧٢/٥: ١٧٥، (والقطام في اللغة تعني الصقر) انظر لسان العرب ٤٨٩/١٢.

(٣٣١) الكامل للمبرد ١٣٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٧/٣، البداية والنهاية ٣٢٧/٧، تاريخ الخلفاء ١٧٦/١، سمط النجوم ١٦/٣.

(٣٣٢) الإسراء (٣٦).

(٣٣٣) هي امرأة من الخوارج الذين تمردوا على عبيد الله بن زياد بالعراق، ومعنى البلجاء في اللغة هي المرأة التي يتباعد ما بين حاجبيها من الشعر، وهذا من حُسن المرأة، انظر علي بن بسام الشنتريني ت سنة٥٤٢هـ- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ــ دار الثقافة ــ بيروت سنة١٩٩٧، تحقيق/ إحسان عباس ٤٣٨/١٠، لسان العرب ٢١٥/٢.

زهدني في البقاء فيها، وسهل عليَّ جميع بلوائها فما أحب تعجيل ما أخر الله ولا تأخير ما عجَّل الله" ثم قامت فمُثل بها(٣٣٤).

ولما قطعت أطرافها وأشرفت على الموت عزت نفسها إلى نفسها بقول الله تعالى: {وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ}(٣٣٥). {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}(٣٣٦). ثم قالت: "لئن كنت على بصيرة من أمري، إن هذا القليل في جنب ما أطلب من ثواب الله(٣٣٧)... لقد نلت يا نفس سرورا دائما لا يضرك معه كدر عيش ولا ملاحاة الرجال في الدار الفانية" ثم اصطبرت حتى ماتت(٣٣٨).

عندما سمع أبو بلال مرداس بن أدية بعزم إبن زياد على القضاء على البلجاء مضى إليها قائلا لها: "إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية فاستتري، فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك" قالت: "إن يأخذني فهو أشقى بي، فأما أنا فما أحب أن يعنت بسببي إنسان"(٣٣٩). فلما أصرت على موقفها وتحديها لابن زياد، وجه نحوها من ألقى القبض عليها وأتى بها، فحكم عليها بقطع يديها ورجليها، ثم ألقى بها في السوق ليراها الناس، فمر أبو بلال مرداس والناس مجتمعون على البلجاء وهي ملقاة في السوق مجردة من اليدين والرجلين فقال: ما هذا؟ قالوا: البلجاء. فعرج مرداس ونظر إليها، ثم عض على لحيته، قائلا لنفسه: "لهذه أطيب نفس عن بقية الدنيا منك يا مرداس"(٣٤٠).

وكانت أم حكيم، امرأة من نساء الخوارج واللوائي اشتهرن بالخروج مع المقاتلين في صفوف الخوارج، فكانت تقاتل مع قطري بن الفجاءة، واشتهرت أم حكيم بالرغبة الشديدة في طلب الشهادة، حتى أنها ضاقت ذرعا بالحياة، واستعجلت الشهادة في سبيل الله حتى أنها أنشدت تقول:

أصحب رأسا قد سئمت حمله

وقد سئمت دهنه وغسله

ألا من فتى يحمل عني ثقله؟(٣٤١).

---

(٣٣٤) المحن ٢٨٠/١.

(٣٣٥) النحل (١٢٦).

(٣٣٦) النحل (١٢٧).

(٣٣٧) المحن ٢٨١/١.

(٣٣٨) المصدر السابق ٢٨٠/١.

(٣٣٩) الكامل للمبرد ١٣٨/٣.

(٣٤٠) المصدر السابق نفسه.

(٣٤١) اتجاهات الشعر في العصر الأموي ص١٨١، الخوارج والشيعة ص٦٤. وأنشد أحد شعراء الخوارج يقول:

يا كبدي من غير جوع ولا ظمأ * ويا كبدي من حب أم حكيم

انظر: تاريخ الطبري ٣ ص ٤٢٥.

فهذه المرأة بهذا القول قد ضاقت بحمل رأسها فوق كتفها، فإن ذلك يكلفها العناية بشعرها، لذلك نراها تتطلع إلى من يريحها من هذه الرأس في مواطن القتال، تقول ذلك وتصرح به في تحد واضح، واستفزاز صريح لخصومها من الأمويين، وهي صورة طريفة من صور البطولة، وإن كانت في غير موضعها الحقيقي(٣٤٢).

وفي خضم تمرد شبيب بن يزيد الشيباني كان ساعداه أمه جهيرة(٣٤٣) وزوجته غزالة اللتين ضربتا أروع صور البطولة في القتال حتى ضربت بهما الأمثال إلى اليوم(٣٤٤) وجهيرة هي أم شيب بن يزيد، زعيم الخوارج الصفرية، وكانت أشجع الناس، تقاتل مع ابنها في الحروب بشدة وشراسة مثلها مثل الرجال وأشد أحيانا، ولما غرق ابنها شبيب ونعي إليها، احتسبته بكل قوة، وقالت صدقتم إني قد رأيته في منامي وأنا به حامل بشهاب من نار خرج مني ثم ما لبث أن سقط في الماء. فعلمت أن النار لا يطفئها إلا الماء(٣٤٥).

أما غزالة، فلنا معها وقفة تستحقها شجاعتها النادرة. فغزالة هي امرأة شبيب إبن يزيد، من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية، وقد خرجت مع زوجها سنة ٥٧٦هـ/٦٩٥م في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق، فكانت تقاتل في الحروب قتال الأبطال، وأشهر أخبارها فرار الحجاج منها في إحدى المعارك وليس معها سوى مائتي فارس وتحصنه منها حين أرادت أن تبر بقسمها وتدخل الكوفة فتصلي في مسجدها وتقرأ بسورتي البقرة وآل عمران وتصعد المنبر الذي يرتقيه الحجاج ليخطب بالناس، وبالفعل أبرت بقسمها تماما، فقال شاعر الخوارج عتبان بن وصيلة الشيباني في ذلك:

غزالة منا ذات نـذر حمـيدة * لها في سهام المسلمين نصيب(٣٤٦)

في حين كان موقف أهل الكوفة من دخول غزالة الكوفة، وقتل زوجها لأشراف أهل الكوفة، وما أحدثه ذلك من عواقب وتضحيات أليمة لأهل الكوفة أن رددوا هذا البيت من الشعر القائل:

أوفـت غـزالة بنذرها * يا رب لا تغـفـر لـها(٣٤٧)

---

(٣٤٢) اتجاهات الشعر ص١٨١، الخوارج والشيعة ص٦٤.

(٣٤٣) هي جارية من سبي الشام اشتراها أبو شبيب، يزيد الشيباني أثناء غزوه للمسلمين في الشام سنة ٢٥هـ وكانت بارعة الجمال، طلب منها أن تسلم فأبت، ثم حملت منه، وتحرك الجنين في بطنها فقالت ليزيد (في بطني شيء ينقز) فوصمت بالحمق لجهلها مما في بطنها وضرب بذلك المثل القائل (أحمق من جهيرة). وفيات الأعيان ٤٥٧/٢.

(٣٤٤) أشهر ما يتمثل به الناس اليوم فيمن يدعي بلسانه الشجاعة والإقدام، في حين يخاف ويهرب عند الملمات فيقولون (أسد عليّ وفي الحروب نعامة) وهو شطر بيت من قصيدة لأحد شعراء الخوارج هجا بها الحجاج لما جبن عن مواجهة غزالة زوجة شبيب انظر البدء والتاريخ ٣٣/٦، تاريخ دمشق ٤٩٨/٤٣، البداية والنهاية ٣٥١/٩.

(٣٤٥) وفيات الأعيان ٤٥٧/٢، البداية والنهاية ٣٥١/٩.

(٣٤٦) تاريخ خليفة ٢٧٤/١.

(٣٤٧) البدء والتاريخ ٣٣/٦.

في حين نجد أن شاعر الخوارج الصفرية الأفصح المشهور "عمران بن حطان السدوسي" (٣٤٨) والذي خرج على عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بلسانه لا بسيفه، فكان وقع لسانه عليهما أشدة وطأة، وأمضى حدًّا من وقع الحسام على الأجسام، حتى طلبه الخليفة والوالي وبحثوا عنه وتحسسوا مكان اختفائه وهو يتوارى من القوم من سوء عاقبة القبض عليه، وأصبح عمران من أشهر المتوارين،(٣٤٩) من الحجاج بن يوسف، حتى كانت البلاد على وسعها تضيق به في هروبه طيلة حياته(٣٥٠)، ورغم ذلك كان لا يتوانى أن يقاوم بلسانه يهجو وينتقد ويألب على الأمويين، ومما قاله يهجو الحجاج في موقفه من غزالة لما دخلت الكوفة ولم يجرؤ الحجاج على مواجهتها، فقال عمران قصيدة أصبح مطلعها مضربا للأمثال حتى اليوم، حيث قال:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة * فتخاء(٣٥١) تنفر من صغير الصافر(٣٥٢)

---

(٣٤٨) هو شاعر الخوارج الصفرية الفصيح عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن الحارث بن سدوسي السدوسي، يكنى أبا شهاب، وكان تابعيًا مشهورا من أهل السنة من أعيان العلماء، حدَّث عن عائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس – رضي الله عنهم - وكانت له ابنة عم ترى رأي الخوارج، فأراد أن يردها عما عليه من الضلال، فتزوجها لذلك حتى يصرفها عما هي عليه، إلا أنها هي التي صرفته عما هو عليه فأصبح خارجيا مثلها فكانت تقول له: أنا وأنت في الجنة. لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وأعطيت مثلك فصبرت، وانضم عمران للخوارج الصفرية الذين يرون القعود لأنفسهم بينما يزينون الخروج لغيرهم. بينما اكتفى عمران بهجاء عبد الملك بن مروان والحجاج بلسانه مما أدى بهما إلى إصدار الأوامر للقبض عليه ففر هاربا. ومما هجا به عمران عبد الملك بن مروان:

أخذت رزقي من ربي لتحفظني * فصرت لي سبعًا أيها الراعي

فرد عليه شاعر من أهل السنة قائلا:

الله يدفع بالسلطان معضلة * عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل * وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

انظر/ الطبقات الكبرى ١٥٥/٧، طبقات خليفة بن خياط ٢٠٨/١، سير أعلام النبلاء ٢١٤/٤، البداية والنهاية ٣٢٩/٧، عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي – طبقات الحنفية – دار مير محمد كتب خانه – كراتش ٥٣٠/١، أبو بكر بن عمر بن قاضي شهبة- طبقات الشافعية – عالم الكتب – بيروت – ط١ سنة١٤٠٧ تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان ٢٨٧/١. الإصابة ٣٠٢/٥ – ٣٠٣.

(٣٤٩) الكامل للمبرد ٨٩/٣: ٩٢، عبد الغني بن سعيد الأزدي – المتوارين من الحجاج بن يوسف – دار القلم – دمشق، بيروت – ط١ سنة ١٤١٠هـ - تحقيق مشهور حسن سليمان ص ٦٢: ٧١.

(٣٥٠) كان الشاعر عبد الله بن الحجاج الحروري في مثل موقف عمران بن حطان وقد خرج مع نجدة الحروري فقال

رأيت بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطرود كفة حابل

تؤدي إليه أن كل ثنية * يتممها ترمي إليه بقاتل

ويقال إن هذا شعر رزين العروضي الشاعر، انظر تاريخ دمشق ٣٦٥/٧، معجم الأدباء ٣٣٥/٣، والحابل هو الرجل الذي ينصب الحبال ليصطاد انظر لسان العرب ١٣٨/١١. أي تكون الدنيا في حجم الحلقة التي يعقدها الحابل في طرف حبلة ليصيد بها.

(٣٥١) فتخاء كلمة مدح تقال للمرأة إذا ارتفعت أخلافها قبل بطنها وتكون في الرجل كلمة ذم، لسان العرب ٤١/٣.

ويروي هذا البيت في شطره الآخر برواية أخرى لا تخرج عن صميم المعنى فيقول:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة * ربداء[٣٥٣] تجفل[٣٥٤] عن صفير الطائر[٣٥٥]
صدعت غزالة قلبه بفوارس * تركت منابره كأمس الدائر[٣٥٦]
هلا خرجت إلى غزالة في الوغى * أم كان قلبك في جوانح طائر[٣٥٧]

وخرج علينا شعراء آخرون اشتغلوا واستثمروا هذه الحادثة الفريدة في هجاء الحجاج بن يوسف، الذي كان يعاقب بالمظنة، وأحيانا يقتل بالشبهة أهل العراق، حتى استقاموا له على كره طائعين، ولعصاه منقادين[٣٥٨]. فقد قال أحد الشعراء يهجو الحجاج قائلاً: [٣٥٩].

غزالة في مأيتي فارسوخيل * ينط[٣٦٠] العراقان منها أطيطا
غزالة تحوي النهاب * وتسبي السبايا وتجبى النبيطا[٣٦١]

وأسهمت المرأة الخارجية في تمرد الضحاك بن قيس الشيباني الحروري بدور كبير، فقد أحصى لنا المؤرخون ممن قتل من النساء في جيش الضحاك عند عبوره الفرات – في رجب ستة مائة وسبعة وعشرين ومائة – ثلاث عشر امرأة[٣٦٢]، وبعد مقتل الضحاك أحصوا لنا ثمانمائة امرأة قتلن مع الضحاك[٣٦٣].

(٣٥٢) تاريخ خليفة ٢٧٤/١، المعارف ٤١١/٩.

(٣٥٣) ربداء أي سوداء، تقال عند ذكر النعام، لسان العرب ١٧٠/٣.

(٣٥٤) تجفل أي تسرع هاربة، لسان العرب ١١٦/١١، مختار الصحاح ٤٥/١.

(٣٥٥) البدء والتاريخ ٣٣/٦.

(٣٥٦) الدائر أي الهالك. لسان العرب ٢٧٦/٤، في رواية خليفة بن خياط يقول (كأحسن الدابر) تاريخ خليفة ٢٧٥/١، تاريخ دمشق ٤٩٨/٤٣، والدابر بمعنى الماضي الذي لا يرجع أبداً، لسان العرب ٢٧٠/٤.

(٣٥٧) البدء والتاريخ ٣٣/٦، البداية والنهاية ٣٥١/٩.

(٣٥٨) كان عبد الملك بن مروان لا يرتضي عن إسراف الحجاج في القتل بالشبهة فكتب إليه يقول:

إذ أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضاي بالذي أنت طالبه
فإن ترى مني وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحب
فلا تأمني والحوادث جمة * فإنك مجزي بما أنت كاسبه

انظر محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي – الحلة السيراء – دار المعارف. - القاهرة ط ٢ سنة ١٩٨٥، تحقيق د/ حسين مؤنس ٣١/١.

(٣٥٩) البدء والتاريخ ٣٣/٦.

(٣٦٠) ينط: أي يعجز عن احتمال الشيء الواقع عليه من الثقل، انظر النهاية في غريب الأثر ٥٤/١، لسان العرب ٢٥٦/٧.

(٣٦١) النبيط: هو الخراج، وهي كلمة مشتقة من النبط وهو خروج الماء أول مرة بعد حفره، ومنها قولنا: استنبط الشيء أي: استخرجه، انظر النهاية في غريب الأثر ٨/٥، لسان العرب ٤١١/٧-٤١٢.

(٣٦٢) تاريخ الطبري ٢٨٤/٤.

(٣٦٣) تاريخ خليفة ٣٧٩/١.

أما عن شجاعة وفروسية المرأة الخارجية في جيش الضحاك الشيباني، وتسابقها في إحراز الشهادة في سبيل الله – حسب ما تعتقده وتتصوره – للحصول على منزلة لها في الجنة، فكانت (أم العنبر). فهذا منصور بن جمهور قائد من قادة جيش الأمويين المحارب للضحاك، وقد أخذ بعنان فرسه، ممتشطا سيفه، يقتل في الخوارج عند نهر الزاب وإذ بامرأة من الخوارج تهرول نحوه حتى أخذت بلجام فرسه قائلة له: يا فاسق، أجب أمير المؤمنين الضحاك[٣٦٤]، فضرب يدها بسيفه، حتى قيل إنه ضرب عنان دابته بسيفه فقطع يدها[٣٦٥].

ثم كان من أمرا بن جمهور فيما بعد أن ترك الأمويين وانضم لجيش الضحاك وبايعه، وقد سأل عن الفارس الذي كان قد أخذ بزمام فرسه بيده فقطعه يوم الزاب، ولم يكن منصور يعلم حتى ذلك الوقت أن ذاك الفارس كان امرأة، فنادى الضحاك: يا أم العنبر، فخرجت إليه، فإذا هي امرأة من أجمل النساء، فلما رأت إبن جمهور قالت: أنت منصور؟ قال نعم! قالت قبح الله سيفك أينما تذكره، فوالله ما صنع بي شيئا ولا ترك تعييني[٣٦٦]، ألا كنت قد قتلتني حين أخذت بعنان فرسك فدخلت أنا الجنة! فقال منصور: يا أمير المؤمنين زوجنيها. قال إن لها زوجًا[٣٦٧].

وضربت المرأة الخارجة في الصبر على فراق الأحبة أروع الأمثلة فهذه زوجة شيبان بن عبد العزيز اليشكري وهي تقاتل مع زوجها في صفوف جيش الضحاك الشيباني فيقتل الضحاك ثم الخبيري ثم يتولى زوجها شيبان قيادة الجيش ثم يقتل شيبان بعدما كان قد قتل أبوها وأخوها قبل زوجها وتقتل بعد زوجها أمها وعمتها وخالتها فصبرت على كل هؤلاء حتى قال أحد الناس عنها يومئذ (ما رأيت امرأة أشد كمدًا من امرأة شيبان قتل أبوها وأخوها وزوجها ثم أمها وعمتها وخالتها مع الضحاك، فما رقأت لها عين، ولا رأيتها ضاحكة ولا مبتسمة، وقالت:

مـــن لقلـــب شـــفه الحـــزن * أو لـــنفس مـــا لهـــا ســـكن
مـعـشـــر قـضـــوا نحوبهـــم * كل ما قـــدمـــوا حســـن[٣٦٨]

---

(٣٦٤) كان الضحاك الشيباني ممن دعى إلى نفسه بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين، كما كان يفعل نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاء. ونجدة الحروري وأبو فديك وصالح بن مسرح وغيرهم. انظر مخطوط برهان الكمال وكمال البرهان ص١١٢.

(٣٦٥) تاريخ الطبري ٢٨٦/٤ – ٢٨٧.

(٣٦٦) تعييني: من عين الشيء وهو نفسه ويقال بعينه، النهاية في غريب الأثر ٣٣١/٣، لسان العرب ٣٠١/٣، مختار الصحاح ١٩٥/١.

(٣٦٧) تاريخ الطبري ٢١٧/٤.

(٣٦٨) تاريخ خليفة ٣٨٠/١-٣٨١.

الفصل الثالث

حركات تمرد وعصيان الولاة

يحتوى هذا الفصل على تمردات وعصيان ولاة الدولة الأموية، فكان منهم:

- مطرف بن المغيرة بن شعبة والى عبد الملك بن مروان على المدائن وقد ولاه عليها الحجاج بن يوسف، فخرج عليهما بالمدائن سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م.
- عبد الرحمن بن الأشعث والى عبد الملك بن مروان على سجستان والذي أرسله الحجاج بن يوسف لحرب رتبيل ملك الترك سنة ٨١هـ/٧٠٠م، فانقلب إلى الحجاج ثم عبد الملك فتمرد وعصى عليهما.
- قتيبة بن مسلم الباهلي والى خراسان من قبل الوليد بن عبد الملك، فما إن مات الوليد وخلفه أخوه سليمان بن عبد الملك حتى تمرد عليه قتيبة وعصاه وخلعه سنة ٩٦هـ/٧١٤م.
- يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والى سليمان بن عبد الملك على خراسان والذي تمرد على الخليفة عمر بن عبد العزيز وعصاه بالبصرة سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م.

تمرد/ مطرف بن المغيرة بن شعبة[١] في المدائن سنة ٧٧هـ/٦٩٦م:

كان بنو المغيرة بن شعبة الثقفي صلحاء نبلاء أشرافا بذواتهم مع شرف أبيهم، ومنزلتهم في قومهم، ولما قدم الحجاج الكوفة سنة ٧٥هـ/٦٩٤م رآهم وشافهم على أنهم رجال قومه وبنو أبيه – وكان المغيرة بن شعبة متزوجا من زبيب بنت يوسف بن الحكم الثقفي أخت الحجاج(٢)، ويذهب إبن الجوزي: إلى أن المغيرة بن شعبة كان قد تزوج الفريعة بنت همام، وهي أم الحجاج بن يوسف الثقفي(٣)، حيث أن المغيرة بن شعبة

---

(١) هو المطرف بن المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وثقيف هو قس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور، طبقات إبن سعد ٢٨٤/٤، ٢٠/٦، طبقات خليفة ١٣١/١، الآحاد والمثاني ١٩٩/٣، مشاهير علماء الأمصار ٤٣/١، تاريخ دمشق ١٣/٦٠: ١٥، المنتظم ٢٣٧/٥، الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٧/٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٧٩/٦٩.

(٣) لما كان عمر بن الخطاب يطوف سكك المدينة يتعسس الرعية، سمع امرأة تهتف من خدرها وتتمنى قائلة: هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل من سبيل إلى نصر بن حجاج - بن علاط بن نويرة السلمي - فما كان من عمر إلا أن نفى نصر بن حجاج إلى البصرة حتى لا تفتتن به النساء، فلما علمت هذه المرأة بأن عمر بن الخطاب سمعها، ونفى نصرا خافت منه وأرسلت إليه

قل للإمام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
إن الهوى زمه التقوى فحبسه * حتى أقر بإلجام وأسراج

فبكى عمر وقال: "الحمد لله الذي زم بالتقوى الهوى" وأضاف إبن الجوزي (وكانت هذه المرأة المتمنية اسمها الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفي، قال محمد بن قتيبة: وكانت تحت المغيرة بن شعبة). انظر: أخبار المدينة ٤٠٦/١، تاريخ دمشق ٢٤/٦٢، تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٨٨/١ – ٤٨٩- ٤٩٠، الوافي بالوفيات ٢٣٩/١١، طبقات الشافعية ٢٨٠/١.

اشتهر بكثرة زواجه حتى بلغ نحوا من سبعين امرأة أو يزيد[٤] – فاستعمل عروة بن المغيرة بن شعبة[٥] على الكوفة، ومطرفا على المدائن[٦]، وحمزة[٧] على همذان[٨]، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرة وأشدهم على المريب[٩].

وكان مطرف بن المغيرة، من خيرة العمال الذين تولوا على المدائن بشهادة أحد أشرافها الحصين بن يزيد الأسدي[١٠]. فكان خير عامل قدم عليهم المدائن على الإطلاق، أقمعه لمريب، وأشده إنكارا للظلم[١١].

وعند قدوم مطرف المدائن حدد لنفسه معالم السياسة التي سيتبعها "إن الأمير الحجاج -أصلحه الله- ولاني عليكم، وأمرني بالحق والعدل في السيرة، فإن عملت بما في أمرني به، فأنا من أسعد الناس، وإن لم أفعل، فنفسي أوبقت، وحظ نفسي ضيعت" [١٢].

في أثناء ولاية ومطرف على المدائن كان شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي[١٣]، قد أقبل نحوه ومن معه من الخوارج الصفرية، ونزلوا قريبا منه فكتب مطرف إلى الحجاج "إني أخبر الأمير أكرمه الله، أن شبيبًا أقبل نحونا، فإن رأى الأمير أن يمدني

---

(٤) أحصن المغيرة أكثر من سبعين امرأة، وكان يتزوج أربعة معا ويطلقهن معا ويقول: صاحب المرأة الواحدة يحيض معها، ويمرض معها، وصاحب المرأتين بين نارين مشتغلين، وصاحب الأربعة قرير العين، ويبدو أن المغيرة كان من الباحثين عن النسب والحسب ولقد تزوج من بنات أبي سفيان أربعة، الواحدة تلو الأخرى، كانت إحداهن عرجاء فقال له معاوية إن التي تخطب ضمنة. فقال: إنما أردت أن أتزوج من بنات أبي سفيان لا لأراهن عليها. انظر: تاريخ دمشق ٤٩/٦٠، ٥٤، سير أعلام النبلاء ٣٠/٣، البداية والنهاية ٤٩/٨.

(٥) هو عروة بن المغيرة بن شعبة وأمه تسمى فتاة، وكان احول العين شريفا مطاعا في الناس، ويكنى بأبي يعفوري ولاه الحجاج الكوفة سنة ٧٥هـ طبقات ابن سعد ٢٦٩/٦، طبقات خليفة ١٥٥/١، تاريخ خليفة ٢٩٤/١، المعارف ٥٨٤/١، البداية والنهاية ٧٣/٩، التحفة اللطيفة ١٤/٩.

(٦) المدائن تقع غربي دجلة وهي عدة مدن صغيرة جاهلية كراوية بها إيوان كسرى حيث كانت مسكن الأكاسرة، ويعرف إقليمها بإقليم بابل، فتحها المسلمون سنة ١٦هـ وسماها العرب المدائن بدلا من توسفون بالفارسية وهي عبارة عن سبع مدن متقاربة. انظر نزهة المشتاق ٦٧٠/٢، معجم البلدان ٧٤/٥ – ٧٥.

(٧) هو حمزة بن المغيرة بن شعبة، وأمه هي حفصة بنت سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه– كان من التابعين، ومن رواة الحديث الثقات، روى عن أبيه ولاه الحجاج في همذان ثم عزله بعد عامين لما أمد أخوه مطرف سرا في تمرده. طبقات خليفة ١٥٥/١، التحفة اللطيفة ٣٠٨/١.

(٨) همذان مدينة كبيرة تقع في بلاد الجبال بفارس والذي يضم همذان وقم وإسبهان وغيرهم، وبين همذان وحلوان ٢٤ ميلا، فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤هـ انظر نزهة المشتاق ٦٧٢/٢، جم البلدان ٤١١/٥.

(٩) الكامل في التاريخ ١٧٨/٤.

(١٠) هو الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، تاريخ الطبري ٥٩٢، ٣٩٢/٣.

(١١) تاريخ الطبري ٥٩٣/٣.

(١٢) المصدر السابق ١٧٨/٤.

(١٣) انظر تمرد شبيب بن يزيد الخارجي بالكوفة سنة ٧٥هـ في تمردات الخوارج في هذا البحث، أيضا ثقيف من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ص ٢٥١.

برجال أضبط بهم المدائن، فإنها باب الكوفة وحصنها"(١٤) فأمده الحجاج يسبرة إبن عبدالرحمن بن مخنف(١٥) في مائتين من الجنود، وعبد الله بن كناز(١٦) في مائتين، وأقبل شبيب حتى نزل في هرسبر، وكان مطرف بالمدائن المدينة العتيقة التي كان بها إيوان كسرى فقطع مطرف الجسر الذي بينه وبين شبيب، وبعث إليه أن يرسل بعض صلحاء أصحابه لينظر فيما يدعون إليه، فطلب منه شبيب أن يرسل له عدة من رجاله رهينة عنده حتى يضمن سلامة رجاله، وأرسل إليه مطرف، فأرسل له شبيب وفدًا من ستة رجال على رأسهم رجل من أصحابه يقال له قعنب، وسويد بن سليم، والمحلل بن وائل، فسألهم مطرف عما يدعون إليه فقالوا: إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– وأن الذي نقمنا من قومنا: الاستئثار بالفيء، وتعطيل الحدود، والتسلط بالجبرية، فقال لهم مطرف: ما دعوتم إلا إلى حق، وما نقمتم إلا جورا ظاهرًا(١٧).

ولما استحسن مطرف ما يدعون وما ينقمون، أخبرهم أنه متابع لهم على ما يدعون وما ينقمون، إلا أنه فاجأهم قائلا: فبايعوني على ما أدعوكم إليه، ليجتمع أمري وأمركم معًا، فقالوا له: اذكره فإن يكن حقا نجبك إليه، فدعاهم لقتال الحجاج وعبد الملك، والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين، يؤمّرون ما يشاءون، على مثل الحالة التي تركها عليهم عمر إبن الخطاب –رضي الله عنه– ومما قال (فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون(١٨). فأجابوه على الشروط الثلاثة الأول، وعارضوه في الشرط الأخير الذي يخالف معتقداتهم الأصلية في الخلافة التي هي في نظرهم حق مشترك بين المسلمين من أي جنس أو طبقة وليست مقصورة على العرب ولا على قريش دون غيرهم من الموالي والعجم وسائر المسلمين(١٩).

---

(١٤) تاريخ الطبري ٥٩٣/٣.

(١٥) هو سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي من الدسكرة، تاريخ الطبري ٥٨٤/٣، ٨٣/٤، الكامل في التاريخ ٣٣٩/٤، تاريخ إبن خلدون ١٩٨/٢.

(١٦) هو عبد الله بن كناز النهدي نسبة إلى بني نهد وهو نهد بن زيد بن ليث بن سود وأسلم بن الحاف بن قضاعة وإليه ينسب النهديون بالشام واليمن.

وكان عبد الله بن كناز يعد من الأبطال الشجعان، تاريخ الطبري ٥٩٥/٣، ٥٧٠، الأنساب ٥٤١/٥ - ٥٤٢.

(١٧) الكامل في التاريخ ١٧٩/٤.

(١٨) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣، موسوعة التاريخ الإسلامي للترمانيني ٥٦٥/١.

(١٩) يرى الخوارج أن الخلافة حق مشترك بين المسلمين من أي جنس أو طبقة وليس فقط على العرب أو القريشيين دون غيرهم من الموالي والعجم من المسلمين وهم بذلك يُعدون حزبا متمردا على أي نظام لا يقوم على طريقة الانتخاب العام بإجماع الأمة لاختيار أفضل شخص لإمامة المسلمين، وليس للخليفة أن يتنازل عن الخلافة لأحد، وله أن يعتزل بعد اختياره إن قام له عندما يقتضي ذلك، دون أن يعهد لأحد أو يتنازل له عنها، الملل والنحل للشهرستاني ١١٦/١، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٢ – ٦٣.

أن يذهب حيث يشاء، فإنه لا يحب أن يتبعه من ليست له نية جهاد أهل الجور، وهنا وكأن من معه كانوا ينتظرون هذه اللحظة فوثبوا إلى مطرف فبايعوه(٢٥)، ثم قام مطرف إلى اثنين من كبار أتباعه هما سبرة بن عبد الرحمن وعبد الله بن كنار النهدي واستخلى بهما ودعاهما إلى ما دعا إليه أصحابه، فتظاهرا له بالرضا، فلما ارتحل مطرف انصرفا بمن معهما من أصحاب مطرف حتى أتيا الحجاج فشهدا معه قتال شبيب ثم أخبراه خبر تمرد مطرف بن المغيرة(٢٦).

كان مطرف في هذا الوقت قد رحل إلى حلوان(٢٧)، وكان عاملها سويد بن عبد الرحمن السعدي، فتحرج موقفه تماما، فهو إن رفق بمطرف أو حتى داهنه، فذلك الموقف لم يرض الحجاج منه، فاختار سويد أخف الضررين فخرج إلى مطرف إعذارا ومعه الأكراد(٢٨)، وهو يحب أن يسلم من قتاله، ويعافى من الحجاج في الوقت نفسه، فخرج في أقل من ثلثمائة من الجنود، ثم أرسل عليهم ابنه القعقاع بن سويد، وخرج مطرف مع الحجاج بن جارية الخثعمي لقتال القعقاع، فلما رأى سويد ذلك أرسل غلامه رستم إلى مطرف يستفسر منه إن كان يريد حلوان فلم يسلموها له وإن كان غير ذلك فسيساعدوه على الخروج منها، فجاز مطرف حلوان بمواطأة من سويد، ثم أوقع بالأكراد فقتل منهم عددا كثيرا(٢٩).

خرج مطرف باتجاه همذان(٣٠) وعليها حمزة أخيه فلما دنا منها، انحاز يسارا بعيدا عنها حتى لا يوقع أخيه في محظور من الحجاج، ولكنه أرسل سرا إلى حمزة

---

(٢٥) المنتظم ١٩٢/٦.

(٢٦) تاريخ الطبري ٥٩٥/٣.

(٢٧) حلوان: مدينة كبيرة من أعمر مدن العراق بعد البصرة والكوفة وواسط، وهي أول العراق وآخر حدود الجبل، نزهة المشتاق ٦٧٠/٢، معجم ما استعجم ٤٦٣/١، معجم البلدان ٢٩٠/٢٨.

(٢٨) الأكراد هم طائفة بالعراق يتنزلون الصحارى، ثم سكن بعضهم القرى ويكثرون في جبال حلوان وجبال داس شمال الموصل وفي شهرزور وبعض نواحي فارس، والأكراد منهم أصناف كثيرة مثل: الجلالية والبختية والباسيان والحكمية والسولية والبشنوية والداسنية والزومانية، وغيرهم، وتسمى منازلهم الرموم بلغة أهل فارس الأنساب للسمعاني ٥٤/٥، معجم البلدان ٤٣٢/٢، ٣٧٥/٣، لسان العرب ٢٥٤/٢.

(٢٩) الكامل في التاريخ ١٨٠/٤.

(٣٠) همذان تقع في بلاد الديلم، وهي بين حلوان والري وفي معجم السفر قرن: الشاعر بينها وبين الري كما قرن بين بغداد ومصر حيث قال الشاعر محمد بن أبي العباس بن الحسن بن منصور:

وما هذه البلدان إلا نظائر ... وذو الفضل محروم بكل مكان

فبغداد من مصر إذا رمت ثروة ... لدى أهلها والري من همذان

وقد فتحت همذان على يد المغيرة بن شعبة في جمادى الأولى سنة ٢٤هـ بعد استشهاد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بستة أشهر، وتعد همذان أكبر مدن الجبال، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمادات ٣٥٠هـ تقريبا رحلة إبن فضلان إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقال (*) مديرية إحياء التراث دمشق ط ٢ سنة ١٩٧٩م – تحقيق: د.سامي الدهان ١٠٣/١، معجم ما استعجم ٥٥١/٣، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ) – معجم السفر – المكتبة التجارية – مكة المكرمة – تحقيق: عبد الله عمر البارودي ١/(*)، معجم البلدان ٤١/٥.

يستمده بما تيسر من مال وسلاح، وكان رسوله هو يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة فلما رآه حمزة صاح به "ثكلتك أمك أنت قتلت مطرفا. قال: لا ولكن مطرف قتل نفسه، وقتلني، وليته لا يقتلك، قال حمزة: ويحك فمن سول له هذا الأمر؟ قال: نفسه سولت له" [٣١]. ثم قال حمزة ليزيد "لئن خذلت مطرف في أنفع النصرين له نصر العلانية، لا أخذ له في أيسر النصرين نصر السريرة" [٣٢]، وعاد يزيد بالمدد من حمزة وسرعان ما انكشف هذا الأمر الذي حرص مطرف على إخفائه خوفا على أخيه من أذى الحجاج، فما خبر علم الحجاج بمساعدة حمزة لأخيه الخبر في معسكر مطرف، قال: "أقول كما قال الأول: ما يخفى إلا ما لا يكون" [٣٣].

سار مطرف خارج همذان متجها إلى قم وقاشان[٣٤]، وبعث عماله على تلك النواحي واستدعى الحجاج بن جارية وسأله عن أحداث هزيمة شبيب من الحجاج، وهنا طفت على سطح أحداث التمرد أغراض المطرف الذي خرج من أجله، فما إن قص عليه الحجاج أحداث المعركة، خرج على لسان المطرف غرضه "إني كنت أحب أن يظفر شبيب وإن كان ضالا، فيقتل ضالا". هنا قال الراوي للحادثة: "فظننت أنه تمنى ذلك، لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو هلك الحجاج" [٣٥].

وأتى المطرف في هذا المكان ناس كثيرون، منهم: سويد بن سرحان النخعي وبكير بن هارون النخعي من الري في نحو مائة رجل. وعلم عامل الحجاج على أصبهان[٣٦] البراء بن قبيصة بتوافد الناس على مطرف، فكتب إلى الحجاج: "إن كنت في حاجة إلى أصبهان فأرسل جيشا كثيفا يستأصله ومن معه، فإنه لا تزال توافيه الناس بمكانه، وأنه قد استكثف وكثر أتباعه" [٣٧]، فكتب الحجاج إلى البراء أنه سيمر به عدي بن زياد الأيادي عامل الري[٣٨] في رجاله

---

(٣١) المنتظم ١٩٢/٦.

(٣٢) تاريخ الطبري ٥٩٦/٣، تاريخ ابن خلدون ٣٠٠/٣.

(٣٣) تاريخ الطبري ٥٩٦/٣.

(٣٤) قم مدينة حسنة كبيرة، وقاشان مدينة جليلة تقعان في إقليم الجبال بفارس بالقرب من أصبهان وبين قم وقاشان مرحلتان، والغالب على أهل قم هو التشيع على مذهب الإمامية، ومذهب الحشوية القائلين بالتشبيه والتجسيم هو المذهب الغالب على أهل قاشان. انظر أحسن التقاسيم ٢٦٧/١، نزهة المشتاق ٦٧٦/٣، معجم البلدان ٣٩٧/٤. وعن الحشوية انظر: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – دار هجر للطباعة والنشر – ط٢ سنة١٤١٣هـ تحقيق د/محمد الطناحي وآخرين ٨٤/٨، ٣٦/٩.

(٣٥) تاريخ الطبري ٥٩٧/٣.

(٣٦) أصبهان: مدينة عظيمة من مدن فارس وهي كورة جبلية، قال الحجاج لبعض ولاته: "وليتك بلدة حجرها الكحل، ذبابها النحل، حشيشها الزعفران" فتحت سنة ١٩هـ: معجم البلدان ٢٠٦/١.

(٣٧) تاريخ ابن خلدون ٢٠١/٣.

(٣٨) الري: مدينة كبيرة من أمهات مدن بلاد اقليم الجبال بالقرب من خراسان، انظر: أحسن التقاسيم ٢٦١/١، معجم ما استعجم ٦٨٥/٣، معجم البلدان ١١٦/٣.

فاخرج معه بأصحابك واسمع له وأطيع، وبدأ الحجاج في إرسال المدد إلى البراء بخطة محكمة حتى لا يشعر به المطرف ولذلك أرسل إليه المدد على شكل مجموعات من رجال البريد يركبون دوابهم عشرون عشرون ثم خمسة عشر خمسة عشر ثم عشرا عشرا حتى وصل عددهم إلى خمسمائة رجل(٣٩).

وفي سبيل إحكام الخناق على المطرف، وقطع طريق الإمدادات عنه من همذان، عزم الحجاج على عزل حمزة بن المغيرة عنها، ولكنه خاف أن يمتنع عليه، وينضم إلى أخيه فتثقل كفته، وتقوى جبهته ويكثر أتباعه فعمد إلى الحيلة حيث كتب إلى قيس بن سعد العجلي وكان على شرطة حمزة بعهده على همذان، ويأمره أن يقبض على حمزة، وكان بهمذان جمع كثير من ربيعة فسار قيس إلى حمزة في جماعة من عشيرته فأقروه على ولاية همذان، وتوجهوا إلى حمزة وأخبروه بأوامر الحجاج فقال حمزة سمعا وطاعة فقبض عليه قيس وجعله في السجن وتولى قيس همذان وكان حمزة بن المغيرة قد أرسل إلى الحجاج يعتذر له مما فعله لمطرف، ومن مساعدته له لما طلب منه، فأظهر الحجاج قبول عذره، ثم عمل على عزله، فعزله وسجنه(٤٠). وسكن قلب الحجاج، وتفرغ باله، لما كان يخافه من حمزة لئلا يمد أخاه بالمال والسلاح ولعله ينجده بالرجال(٤١).

وكتب الحجاج إلى عدي بن زياد الأيادي عامل الري بأن يتجه إلى البراء بن قبيصة(٤٢) فيجتمعان وله الإمرة على الجيش الذي بلغ ستة آلاف جندي، فساروا نحو مطرف الذي كان قد خندق على نفسه، فدنوا منه، واصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا، وكان عمير بن هبيرة الفزاري من جيش الأمويين فاحتال على مطرف وتظاهر بالانحياز إليه، فلما حمي الوطيس، مال إبن هبيرة على مطرف فقتله، وقيل قتله غيلة(٤٣)، وأخذ رأسه وأتى به عديا فأعطاه مالا، وأنفذه إلى الحجاج بالرأس، فسيره الحجاج إلى عبد الملك، فأقطعه قرية بيرزة بدمشق، ثم عاد إلى الحجاج فأرسله ليأخذ مالا من كروم بن مرثد الفزاري، فلما قبض عمير المال طمع فيه وذهب إلى الخليفة في دمشق، وطلب منه أن يحميه من الحجاج بذريعة أنه قتل إبن عمه المطرف، وأنه يريد أن يتهمه بتهمة ما

(٣٩) تاريخ الطبري ٥٩٨/٣.

(٤٠) الكامل في التاريخ ١٨٠/٤.

(٤١) المصدر السابق نفسه، تاريخ إبن خلدون ٢٠١/٣.

(٤٢) هو البراء بن قبيصة الثقفي، رأى أبوه قبيصة النبي – صلى الله عليه وسلم – وروى عنه، ويكنى البراء أبو موسى، تاريخ خليفة ٢٩٤/١، طبقات المحدثين بأصبهان ٣٢٢/١، تاريخ أصبهان ١٢٧/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٧/١.

(٤٣) تاريخ الطبري ٦٠٠/٣، الكامل في التاريخ ١٨٠/٤، موسوعة التاريخ الإسلامي للترمانيني ٥٦٠/١.

حتى يقتص منه، وصدق عبد الملك حيلته، فأرسل الحجاج إلى عبد الملك يوضح له الموقف، فأمره عبد الملك بالكف عن عمير بن هبيرة(٤٤).

قتل مع مطرف عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي(٤٥)، ومولى المغيرة يزيد ابن زياد حامل الراية، وأرسل عدي بن زياد أهل البلاء في المعركة من جيشه إلى الحجاج ليكافئهم(٤٦)، وكل من رفع راية الأمان أمنه عدي، ومن هؤلاء أخلص أصحاب مطرف له وهو بكير بن هارون البجلي، الذي كان قد صاح في أول القتال يسأل جيش الأمويين، عن عبد الملك والحجاج، أليسا جائرين مستأثرين يتبعان الهوى، ويأخذان على الظنة ويقتلان على الغضب؟!(٤٧)، وخصومه يكذبونه، ويردون عليه مقالته، فيرد عليهم بقوله تعالى: {وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ}(٤٨). وكانت هذه الآية مفتاح المعركة، حيث انقض جيش عدي بن زياد على مطرف فهزم جيشه وقتل. وتم القضاء على تمرد مطرف سريعًا في أول مواجهة مع الأمويين، وإنني لأندهش أمام خلو بعض المصادر التاريخية من التعرض لهذا التمرد، أو حتى الإشارة إليه، فمن بين جملة المصادر التاريخية والأدبية التي تيسرت لنا لم نجد إشارة إلى مطرف بن المغيرة إلا الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون، حتى لنجد أن ابن كثير في تاريخه لوفيات سنة ٧٧هـ/٦٩٦م يأتي بسطرين عن وفات مطرف يقول (وقد كانوا إخوة عروة ومطرف وحمزة وكانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على الأقاليم عروة على الكوفة، ومطرف على المدائن وحمزة على همذان)(٤٩) ولم يؤرخ لأي مرحلة من مراحل التمرد، ولم يتعرض له لا من قريب ولا من بعيد بأي إشارة تذكر.

هذا الأمر زاد من صعوبة دراسة هذا التمرد من شتى جوانبه، وأصبحت ملتزمًا بما أورده الطبري من روايات، حيث أن ابن الجوزي وابن الأثير وابن خلدون(٥٠)، اختصروا روايات الطبري في رواية واحدة، فلم يأتوا بجديد عما أورده الطبري، مما زاد من صعوبة البحث في التمرد.ولكن تلك المشكلة لن تمنعني من أن أتعرض لأسباب

(٤٤) تاريخ الطبري ٥٩٩/٣، المنتظم ١٩٣/٦، تاريخ ابن خلدون ٢٠١/٣.

(٤٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي، وقف أبوه عبد الله في وجه عبيد الله بن زياد لما قام على منبر الكوفة يفتخر بمقتل الحسين بن علي – رضي الله عنهما – فقام إليه عبد الله وقال: "ويحك يا بن زياد أتقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين" فأمر به ابن زياد فقتل وصلب. وكان ابنه عبد الرحمن من بعده رجلا صالحا ناسكا عفيفا، الكامل في التاريخ ١٨٠/٤، البداية والنهاية ١٩١/٨، تاريخ ابن خلدون ٢٠١/٣.

(٤٦) المنتظم ١٩٣/٦، الكامل في التاريخ ١٨٠/٤، تاريخ ابن خلدون ٢٠١/٣.

(٤٧) تاريخ الطبري ٥٩٧/٣.

(٤٨) طه (٦١).

(٤٩) البداية والنهاية ٢١/٩.

(٥٠) تاريخ الطبري ٥٧٤/٣، المنتظم ١٨٧/٦، تاريخ ابن خلدون ٢٠٠/٣.

فشل هذا التمرد من خلال الروايات التي أوردها مؤرخونا. ويأتي على مقدمة هذه الأسباب: الخوارج الصفرية بزعامة شبيب الشيباني(٥١).

نلمح من خلال خطوات التمرد، أن مطرفا كان رجلاً ذا نظرة إصلاحية، صاحب رؤية ومشروع إصلاحي طموح(٥٢)، ولم أقف من خلال المصادر التاريخية التي تيسرت لي على نشأة مطرف، فلابد أن نشأته كانت من وراء تشكيل هذه العقلية الإصلاحية، فأراد مطرف أن يغير من الواقع الذي رآه مؤلما حينئذ حوله، في الوقت الذي كان هو أحد رموز هذا الواقع، ولعله رضي بهذا الموقع عله يستطيع من خلاله تنفيذ مشروعه الإصلاحي، ولما كان هذا الهدف الإصلاحي يحمل بين طياته الخطر إذ لاح قبل أوانه، فأسرَّه مطرف في نفسه ولم يبده لأحد، ولما كان هذا الهدف أكبر من إمكانات مطرف كوالٍ لإمارة المدائن الصغيرة وإن كانت كبيرة، فإنها بالنسبة لإمكانية دولة مترامية الأطراف(٥٣)، تكون بسيطة، لذلك فكر مطرف في أن يقوي مركزه ويعزز قوته، فنظر حوله ليجد له أعوانا على إخراج مشروعه الإصلاحي إلى حيز التنفيذ، فلم يجد سوى الخوارج أعداء الدولة الرابضين على حدود إمارته، والمخالفين له في كثير من الأمور الاعتقادية، ويتحينون الفرصة للانقضاض على ولايته، فاضطر إلى الاستعانة بهم على مشروعه الإصلاحي، عله عن طريق التعاون معهم في الأمور المتفق عليها أن يكسب ودهم ومعاونتهم، لاسيما وأن الهدف مشترك وهو إزالة الحجاج وعبد الملك من الساحة حينئذ، وبدأ مطرف يخطط في آلية الاتصال بالخوارج حتى لا يثير شكوكهم حول هدفه غير المعلن حتى الآن، فبدأ يرسل إليهم ويخاطب ودهم من زاوية مهمة للغاية عندهم، ومحور من محاور عقيدتهم وهو القرآن الكريم، حيث أن الخوارج أشد تمسكا بظاهر القرآن، وأكثر عكوفا على تلاوته، وحفظه، والاستشهاد بظاهر نصوصه بما يخدم عقيدتهم واتجاههم وسياستهم(٥٤)، فيرسل إليهم مطرف مخاطبا زعيمهم شبيباً "أن أرسل إليَّ رجالا من وجوه أصحابك، أدارسهم القرآن"(٥٥).

---

(٥١) عن الخوارج الصفرية انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢٧٤/١، المبرد ٢١٨/٣، سير أعلام النبلاء ١٤٦/٤، وفيات الأعيان ٤٥٤/٢.

(٥٢) (كان مطرف خير عامل قدم على المدائن على الإطلاق، قمعه لمريب، وأشده إنكارا للظلم)، تاريخ الطبري ٥٩٢/٣.

(٥٣) بلغت الدولة الأموية حتى نهاية عهد عبد الملك بن مروان مساحات شاسعة في آسيا وأفريقية، والبلقان وداغستان في أطراف أوربا، عن ذلك انظر: هاري هازارد – أطلس التاريخ الإسلامي ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد – مطبعة مصر ط١ سنة ١٩٥٥م ص ٦-٧.

(٥٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص٦٩، المذاهب والملل ص٦٣.

(٥٥) تاريخ الطبري ٥٧٤/٣، إبن خلدون ٢٠٠/٣.

وهذا يدل على أن مطرفا كان يعلم تماما عقيدة الخوارج وإلى ما يدعون، ومن أين يؤتوا، إذاً فهو ليس في حاجة إلى أن يرسل إليهم بأن يرسلوا له من يعلمه بما يدعون إليه[٥٦]، وإنما كان هذا غرضه المعلن من جراء اتصاله بالخوارج ليخفي السبب الحقيقي الذي يرنو إليه، وهو حشد الأنصار للتمرد على عبد الملك والحجاج في الوقت المناسب، ومع كل هذا ما خذله الخوارج ولم يسمعوا له ولم يطيعوه برغم أنه أعلن لهم عن هدفه الحقيقي والذي سيشترك معهم في تنفيذه فقال لهم: "ما دعوتم إلا إلى حق، ولا نقمتم إلا جوراً ظاهراً، أنا لكم على هذا متابع..."[٥٧]. وكان سبب رفض الخوارج للتعاون مع مطرف هو أنه دعاهم إلى مخالفة أمر اعتقادي عندهم أن الخلافة حق مشترك بين المسلمين من أي جنس أو طبقة ولو كان الخليفة من الموالي والعجم دون العرب ودون قريش[٥٨]. حيث قال لهم مطرف: "أدعوكم إلى أن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم، فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم على عدوكم، وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون"[٥٩].

وكان على مطرف كرجل سياسي حينئذ أن يترك مواطن الاختلاف مع شركائه في الهدف العام ويتفق معهم على المواطن المجمع عليها ويتعاون معهم عليها، وهذا ما لم يتم، ففقد مطرف الشريك القوي المناصر، وبدأ مطرف يعيد حساباته بعد أن انكشف أمره، وأفصح عن مخططه، وأصبح وحيدا في الميدان أمام الحجاج بن يوسف الذي لم يُخف عليه سرًّا في ولايته بحسب ما قاله يزيد بن زياد[٦٠] مولى المغيرة "والله لا يخفى على الحجاج شيء مما كان بينك وبين الخوارج ولو كلمة واحدة، ليزداد على كل كلمة عشر أمثالها.."[٦١].

وكان ثاني الأسباب في فشل تمرد مطرف هو بطانته وأهل مشورته من حوله، حين استشارهم في الموقف بعد أن خرج الأمر عن نطاق السيطرة، والذي حتما سيعلم به الحجاج، كان عليهم أن ينظروا كيف يعالجون هذا الخطأ الجسيم جراء اتصالهم بالخوارج وعرضهم للتعاون معهم ضد الحجاج، فإما أن يقدموا أعذارا مقبولة له، أو

(٥٦) المنتظم ١٨٧/٦، الكامل في التاريخ ١٧٩/٤.

(٥٧) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣.

(٥٨) الملل والنحل ١١٦/١١، تاريخ المذاهب الإسلامية ص٦٢ – ٦٣.

(٥٩) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣.

(٦٠) كان أبو زياد والد يزيد أبي زياد مولى للمغيرة بن شعبة، ثم كان ابنه يزيد بن أبي زياد على حرس مطرف بن المغيرة بن شعبة، وقد قتل سنة (*)هـ في تمرد مطرف مع جماعة من أصحاب مطرف، تاريخ الطبري ٣١٢/٢، ٥٩٣، الكامل في التاريخ ١٨٠/٤، البداية والنهاية ٣٤٥/٦.

(٦١) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣، الكامل في التاريخ ١٧٩/٤.

ينهضوا مع مطرف للقضاء على الخوارج حتى يكسبوا ود الحجاج ويتعللوا بأن اتصالهم بهم كان من قبل الحيلة حتى يتمكنوا منهم، وكان عليهم أن يرسلوا إلى حمزة وعروة إخوة مطرف ليتوسطا عند الحجاج لمطرف خاصة وأنه من عشيرتهم، بدلا من أن يشيروا على مطرف بالتمرد والخروج وهم يعلمون أن في ذلك هلاكه وهلاكهم معه على حد قول يزيد بن زياد لحمزة بن المغيرة لما أرسله مطرف ليستمد المدد من حمزة فسأله حمزة وهو مشفق على حياة أخيه "ثكلتك أمك، أنت قتلت مطرفا. قال: لا. ولكن مطرفا قتل نفسه، وقتلني معه، وليته لا يقتلك، قال حمزة: ويحك فمن سول له هذا الأمر؟ قال: نفسه"(٦٢).

ومن الأسباب التي أدت إلى هزيمة مطرف، افتقاده إلى مقومات القوة الأساسية للمواجهة، وهي كثيرة منها الإعداد بالمال والرجال والسلاح، فنجده في أشد مراحل التمرد وهو على حدود همذان يستنزف كثيرا من موارده في قتاله مع الأكراد(٦٣)، ويرسل مولاه يزيد إلى أخيه حمزة أن يمده بما تيسر، من شدة الحاجة التي وصل إليها مطرف فيقول على حد قول إبن الجوزي (أمددني بما قدرت عليه من المال والسلاح)(٦٤). حيث أن مطرفا لم يكن عنده المال الذي يستطيع أن يستوعب به الأتباع كوسيلة مهمة من وسائل كسب الأنصار، إلى جانب أن الأمل في نجاح تمرده لدى بعض أنصاره كان ضعيفا، فرجع عنه أبرز أتباعه سبرة بن عبد الرحمن وعبد الله بن كنار النهدي بكثير من أصحاب مطرف وانضموا للحجاج في قتاله مع الخوارج وأمدوا الحجاج بتفاصيل عن تمرد مطرف ومواطن القوة والضعف عنده، والتي حتما قد استفاد منها الحجاج في مواجهة تمرد مطرف(٦٥).

ورابع هذه الأسباب أنه لم يكن لمطرف قدر كاف من العصبية القبلية التي تكون بمثابة قاعدة تمده وظهر يحميه ويد تنصره – اللهم إلا اتصاله بأخيه حمزة – في وقت كانت العصبية القبلية في مثل هذه المواطن أهم عناصر القوة في المقام الأول، ومطرف كان قيسيا(٦٦)، وكانت قيس في عهد عبد الملك مناهضة للأمويين(٦٧)، حيث كان

(٦٢) المنتظم ١٩٢/٦. يؤكد ما يقوله له يزيد هنا فيما قاله مطرف نفسه عندما ولاه الحجاج المدائن وجمع أهلها وخطب فيهم يحدد معالم سياسته، ويحدد جزاء الطاعة وعاقبة المعصية (إن الأمير الحجاج أصلحه الله، ولاني عليكم، وأمرني بالحكم والحق والعدل في السيرة، فإن عملت بما أمرني به، فأنا أسعد الناس، وإن لم أفعل، فنفسي أوبقت، وحظ نفسي ضيعت)، تاريخ الطبري ٥٩٢/٣.

(٦٣) تاريخ الطبري ١٧٨/٤.

(٦٤)المنتظم ١٩٣/٦.

(٦٥) تاريخ الطبري ٥٩٥/٣.

(٦٦) حيث أن أبوه هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعيد بن عوف بن قيس بن منبه الثقفي، طبقات ابن سعد ٢٨٥/٤، طبقات خليفة ١٣١/١، الإصابة ١٩٩/٣.

الأمويون يؤثرون اليمانية على كل من عداها حتى من قريش، مما أغضب أشراف قريش ومنهم إبن الزبير قبل ذلك(٦٨).

ومع ذلك لم نجد التفافاً من قيس حول تمرد مطرف، أو حتى ثمة ذكر لها في هذا التمرد، ولعل السبب يرجع أولاً إلى أن مطرفاً والحجاج كلاهما من قيس، ثانيا لعل أن ما رمى به الحجاج مطرفا بأنه ليس إبن المغيرة بن شعبة كان له دور من قريب أو بعيد في ذلك، حيث أن الحجاج كما يروي إبن الأثير يقول: "أن مطرفا ليس بولد المغيرة بن شعبَة، إنما هو ولد مصقلة بن هبيرة بن ربيعة الشيباني(٦٩)، وكان مصقلة والمغيرة يدعيانه، فألحق بالمغيرة، وجلد مصقلة الحد. فلما أظهر مطرف رأي الخوارج قال الحجاج ذلك، لأن كثيرا من ربيعة كانوا خوارج، ولم يكن منهم أحد من قيس"(٧٠).

ونحن نرى أن ذلك حتى وإن صح، فإنه لا يغير من حقيقة أن مطرفا كان رجلا إصلاحيا صاحب رؤية شمولية للتغيير والإصلاح، على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والعودة بالأمة حينئذ من الحكم الوراثي إلى الشورى بين المسلمين، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (٧١). ومطرف وإن لم يستطع تحقيق ذلك لأسباب (*)، فإنه نال شرف المحاولة، فلولا جرأة المصلحين لما تخلص المجتمع من قيوده، وكفاه ما قاله عنه النضر بن صالح في وقته "إن مطرفا عمل عملا حازما لولا أن الأقدار غالبة"(٧٢).

---

(٦٧) بطرس البستاني – موسوعة الحضارة العربية – دار كلمات للنشر سنة ١٩٩٥م، ٣٣٤/٢.

(٦٨) قصة المختار الثقفي ص٥٩.

(٦٩) كان مصقلة هبيرة الشيباني من ربيعة من أنصار علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- ثم تركه وفر إلى معاوية، فهدم عليّ داره، وبعد ذلك أرسل مصقلة إلى الكوفة رجلا نصرانيا يحمل له عياله، فأخذه عليّ وقطع يده، وولى معاوية مصقلة طبرستان فمات بها، وبهذا يضرب المثل (حتى يرجع مصقلة من طبرستان). الأنساب ٤٨٦/٣.

(٧٠) الكامل في التاريخ ١٨١/٤، تاريخ إبن خلدون ٢٠١/٣ (يذكر أصحاب السير أن المغيرة قد قذفه البعض في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في سنة ١٧هـ في امرأة تسمى أم جميل بنت عمرو بن الأقم بن محجن بن الهزم بن هلال – كانت امرأة جرنية تدخل على الأمراء – وكان لها زوج يسمى الحجاج بن عتيك أو عبيد وقد هلك. فعزل عمر المغيرة عن البصرة، وولى مكانه أبا موسى الأشعري لما رفعت له القضية، واستدعى المغيرة والشهود الأربعة فشهد ثلاثة وشهد الرابع بأنه لم ير ولم يعرف هل هي هذه المرأة، أم زوجة المغيرة، حيث كانت زوجته تشبهها، فبرأه عمر وأقام الحد على الثلاثة الذين شهدوا بالرؤية). تاريخ الطبري ٤٩٣/٣، الكامل في التاريخ ٣٨٦/٢، وفيات الأعيان ٣٦٤/٦، سير أعلام النبلاء ٣٠/٣، الإصابة ٣٣/٢.

(٧١) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣.

(٧٢) المصدر السابق ٥٩٧/٣.

تمرد/ عبد الرحمن بن الأشعث[٧٣] بسجستان[٧٤]، سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م:

يعد هذا التمرد من أخطر الثورات التي كادت أن تطيح بالعراق كله بعيدا عن حظيرة الخلافة الأموية[٧٥]، لذا يجدر بنا أن ندرس هذا التمرد من جذوره قبل أوراقه، حتى يتبين لنا أصول شخصية صاحبه، ونعرف كيف أن التركيبة الشخصية لعبد الرحمن بن الأشعث كان لها الدور الكبير في القيام بالتمرد ضد الدولة الأموية، وأن شخصيته إنما هي امتداد متوارث لسمات شخصية من والده عن جده.

يعود أصل عبد الرحمن إلى سلالة ملوك كندة بحضرموت، التي نال أفرادها قبل الإسلام وبعده الشرف الرفيع، مما جعلهم يتميزون بصفة الاعتزاز بالنفس، والعجب بذواتهم، ففي سنة ١٠هـ/ ٦٣٠م وفد جده الأشعث بن قيس الكندي[٧٦] على رأس وفد كندة من حضرموت إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٧٧]، ولكن سرعان ما ارتدت كندة بزعامة الأشعث في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وقاتل المسلمين بالسيوف[٧٨] ثم انهزم أمام جيوش المسلمين، فطلب الأمان، فخرج منهم بالأمان لعشرة سماهم ولم يكن فيهم اسمه، فأمن المسلمون العشرة، ثم أخذوه ليقتلوه، واختلفوا في أمره فأرسلوه مع السبي من النساء إلى أبي بكر الصديق، فأطلق نساء السبي على الأشعث وهو معهم [عُرف النار][٧٩] وأمام أبي بكر أسلم الأشعث وحسن إسلامه، وزوجه أبو بكر -رضي الله عنه- أخته أم فروة[٨٠] فولدت له أولاده الثلاثة: محمد وإسحاق وإسماعيل، وأقام بالمدينة حتى مات أبو بكر -رضي الله عنه- فخرج منها إلى الشام في خلافة عمر -رضي الله عنه- ومن ثم اشترك في فتوحات

(٧٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة وهو كندي من قبائل اليمن القحطانية، سير أعلام النبلاء ٣٠٦/٤، الوافي بالوفيات ١٣٤/١٨.

(٧٤) سجستان ناحية كبيرة، وولاية واسعة في فارس، بينها وبين هراة ثمانية فراسخ، أرضها سهلة لا يرى فيها جبل، من أشهر مدنها زرنج والطاق وبست والقرنين، نزهة المشتاق ٤٢٨/١، معجم البلدان ١٩٠/٣.

(٧٥) العبر في زمن من غبر ٩٤/١.

(٧٦) كان اسم الأشعث الأصلي معدي كرب وكان أبدا أشعث الرأس فسمي الأشعث وعرف به دائما، بغية الطلب في تاريخ حلب ١٨٨٩/٤.

(٧٧) تاريخ الطبري ٢٠١/٢، المنتظم ٣٨٢/٣، الكامل في التاريخ ١٦٦/٢، الإصابة في تاريخ الصحابة ٤٩٢/١.

(٧٨) البداية والنهاية ٦٤/٨.

(٧٩) عرف النار كلام يماني يقصدون به الغادر، تاريخ الطبري ٢٠١/٢: ٢٠٤، المنتظم ٨٧/٤ البداية والنهاية ٦٤/٨، تاريخ ابن خلدون ٤٩٤/٣.

(٨٠) أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني ـ تاريخ جرجان ـ عالم الكتب بيروت ط٣ سنة ١٩٨١ ـ تحقيق/ د/ محمد عبد المعيد خان ٢٦١/١، مشاهير علماء الأمصار ٤٥/١، تاريخ دمشق ١١٦/٩، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤٥٥/١.

العراق مع سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وشهد القادسية سنة ١٤هـ وشهد نهاوند سنة ٢٠هـ/٦٤٠م[٨١] مع النعمان بن مقرن المرني[٨٢].

وهنا بدأت أن تظهر معالم شخصية الأشعث واضحة بعد ردته ثم إسلامه، ففي أثناء وجوده مع سعد بن أبي وقاص في العراق، يرسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- شرحبيل بن حسنة[٨٣] إلى سعد فرحب به سعد وقربه وقدمه، فما كان من الأشعث هذه الشخصية التي تعتد بنفسها، أن حسد شرحبيل وأخذ يعمل على تشويه صورته أمام عمر فيوصي جريراً البجلي[٨٤] حين ينزل لمقابلة عمر أن ينال من شرحبيل ويحط من قدره، حتى تظل صورته كما هي عند عمر[٨٥] ومع أن الأشعث كان ممن روى الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – كما أشار إلى ذلك إبن عبد البر القرطبي[٨٦]. وقد ولاه عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أذربيجان[٨٧] عاملا عليها من قبله[٨٨]. وشهد مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- صفين والتحكيم، ومات بعد مقتل علي -رضي الله عنه- بأربعين يوما سنة ٤٠هـ/٦٦٠م[٨٩].

---

(٨١) المنتظم ٨٧/٤، الكامل في التاريخ ٣٠٠/٢.

(٨٢) هو النعمان بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر ينتهي نسبه إلى عمرو بن أذ المرني يكنى بأبي حكيم صحابي جليل كان صاحب لواء مزينه يوم الفتح ومعه سبعة إخوة، كان أمير وقعه نهاوند سنة ٢١هـ ومكن الله على يديه في تلك البلاد ومكن به للمسلمين هناك، وهو الذي قدم بشيرًا على عمر بفتح القادسية سنة ١٤هـ واستشهد بنهاوند أخيرًا سنة ٢١هـ معجم البلدان ٤٠٧/٤، الوافي بالوفيات ٨٤/٣٧، البداية والنهاية ١٢٠/٧.

(٨٣) هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة أيضا وأمه هي حسنة وانتسب إليها وتوفي سنة ١٨هـ الآحاد والمثاني ٤٥٦/١، الإصابة ٣٢٨/٣.

(٨٤) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البجلي من بجيلة، صحابي شهير أسلم قبل سنة عشرة للهجرة لأنه روى بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرهم بنبأ وفاة النجاشي، وكانت وفاة النجاشي سنة ٩هـ وهذا ينفي ما جاء في بعض المصادر أنه أسلم في سنة عشرة للهجرة وقبل وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بشهور، كان جرير يكنى أبو عمر وقيل أبو عبد الله، كان جميل الصورة حتى العراق على جميع بجيلة التي كانت لها دور عظيم في فتح القادسية، ثم سكت جرير الكوفة وكان رسول علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – ثم اعتزل الفتنة التي وقعت بين الفريقين ثم رحل إلى قرقيسياء ومات بها سنة إحدى وقيل أربع وخمسين هجرية، طبقات خليفة ١١٦/١، معجم الصحابة ١٤٧/١، تاريخ بغداد ١٨٧/١، الإنباه على قبائل الرواة ٨٤/١، تاريخ دمشق ٢٤٠/٦٦، تلقيح فهوم أهل الأثر ١٢٤/١، صفة الصفوة ٧٤٠/١، الكامل في التاريخ ١٦٣/٣، الإصابة في معرفة الصحابة ٤٧٥/١.

(٨٥) الكامل في التاريخ ١٦٢/٣.

(٨٦) الإنباه على قبائل الرواة ١١٢/١.

(٨٧) أذربيجان كورة واسعة تلي الجبل من بلاد العراق وتلي ارمينية من الغرب محمد بن أحمد المقدسي – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – وزارة الثقافة – دمشق سنة ١٩٨٠، تحقيق غازي طليمات ٢٥٤/١، معجم ما استعجم ١٢٩/١، معجم البلدان ١٢٨/١.

(٨٨) الفتنة ووقعة الجمل ١٦/١، تاريخ الطبري ٦٩٣/٢، المنتظم ٩٥/٥، الكامل في التاريخ ٢٧٥/٣.

(٨٩) طبقات خليفة ١٣٣,١، المعارف ٣٣٣,١؛ الآحاد والمثاني ٣٨٢/٤، الكامل في التاريخ ٢٦٧/٣ التحفة اللطيفة ١٩١/١.

وواصل محمد بن الأشعث الكندي بعد موت أبيه المسيرة السياسية سواء تحت لواء الدولة الأموية أو ضدها، المهم أن يكون له دور يثبت من خلاله شخصيته، وحيثما كانت المصلحة لتحقيق ما يصبو إليه كان يدور ولاؤه[٩٠].

ففي خلافة معاوية خرج عليه بالكوفة حجر بن عدي الكندي، فأرسل زياد إبن أبيه والي معاوية على الكوفة إلى محمد بن الأشعث الكندي يحذره من تمرد عمه حجر ويهدده إن لم يمنعه عن ذلك أو يسلمه إليه، فما كان من محمد إلا أن خذل عمه حجراً وسلمه لابن زياد، حسبما قضت مصلحته وأمضى عليه هواه فسلم عمه حتى عيَّره الناس قائلين:

أسلمت عمك لم تقاتل دونه * فرقاً ولولا أنت كنت منيعا[٩١]

ومن ثمَّ يتخذه زياد أحد أعوانه في الكوفة، ويوليه زياداً بعد ذلك طبرستان[٩٢].

وفي عهد عبيد الله بن زياد بالكوفة تطوع محمد بن الأشعث بالقبض على مسلم إبن عقيل عندما جاء رسولاً من الحسين بن علي -رضي الله عنه- إلى أهل الكوفة ليتبين حقيقة ما راسلوه به في القدوم عليهم لمبايعته سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م فقبض عليه وسلمه لعبيد الله ومن ثم كان مقتله[٩٣]. ونفس الموقف تتكرر مع هانئ بن عروة الذي أمنه إبن الأشعث بشرط القدوم على إبن زياد، فيقوم إبن زياد بتهشيم رأسه ومن حوله يعترضون على هذا التصرف – ومحمد بن الأشعث يقول: "رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا إنما الأمير مؤدب" [٩٤].

وعندما خرج عبد الله بن الزبير على الأمويين سنة ٦٤هـ/٨٦٣م تغير ولاء محمد بن الأشعث من الأمويين تبعاً لدور يبحث عنه ليجد فيه نفسه، فكان ضمن أشراف الكوفة الذين وقفوا في وجه المختار الثقفي المتمرد على بني أمية وعلى إبن الزبير، فوفد محمد بن الأشعث معهم إلى مصعب بن الزبير يحثه على المسير لمحاربة المختار والقضاء عليه، وأخذ يتودد ويتقرب إلى مصعب الذي أدناه وأكرمه لشرفه وإمكاناته[٩٥] التي يسخرها لمن يحقق له مآربه، وكان مصعب يعلم ذلك جيداً، إلا أنه كان في موقف يتطلب أن يفتح ذراعيه لمن يأتيه متمرداً على بني أمية ويغض الطرف عن عيوبه ومساوئه فيوليه الموصل[٩٦]. وبعد هذه المرحلة الطويلة لمحمد بن الأشعث التي تقلب فيها بولائه

---

(٩٠) الطبقات الكبرى ٦٥/٥، طبقات خليفة ١٤٦/١، مشاهير علماء الأمصار ١٠٣/١، الإصابة ٣٢٧/٦.

(٩١) تاريخ الطبري ٢٣٥/٣.

(٩٢) البدء والتاريخ ١٥٩/٨، الكامل في التاريخ ٣٢٩/٣.

(٩٣) تاريخ الطبري ٢٧٥/٣ – ٢٧٦، البدء والتاريخ ١٥٨/٨ – ١٥٩، الكامل في التاريخ ٣٩٥/٣ – ٣٩٦.

(٩٤) تاريخ الطبري ٢٨٦/٣.

(٩٥) تاريخ الطبري ٤٦٧/٣، البدء ٢٧٣/٨، الكامل في التاريخ ٤٩/٤، الوافي بالوفيات ١٦٢/٢.

(٩٦) الكامل في التاريخ ٤٧٦/٣.

بين الأمويين والزبيريين مضحيا فيها بمبادئ وأخلاق أساسية لازمة للإنسان حتى في الجاهلية فيسلم عمه، ويسلم مسلما بن عقيل حتى قال الناس عنه:

قتلــت وافــد آل بيــت محمــد * وســلبت أســيافا لــه ودروعــا
لو كنت من أسد عرفــت كـرامتي * ورأيت لي بيت الحباب شــفيعــا[97]

ويخذل (هانئ بن عروة) بعدما أمنه، ويولونه طبرستان ثم يغير ولاءه لهم وأدار لهم ظهر المجن[98] واتجه إلى مصعب بن الزبير، فما كان حصاد رحلته فيما بعد إلا أنه ذاق ما أذاقه لغيره فكان مقتله على يد جيوش المختار الثقفي مع مصعب إبن الزبير سنة ٦٧هـ/٦٨٦م وهدم داره بالقادسية[99]. لم يكن عبد الرحمن بن محمد إبن الأشعث بعيدا عن ساحة الأحداث السياسية التي شارك فيها والده محمد فقد تقلب معه في ولائه وعداوته، فلقد كان عبد الرحمن عونا لعمرو بن حريث[100] صاحب الشرطة بالكوفة لعبيد الله بن زياد[101]، وعندما هرب مسلم بن عقيل من حصار الشرطة له بالكوفة دخل على امراة عجوز لعله يرتشف عندها شربة ماء أو يلتهم كسرة خبز تنجيه من هلاك الجوع والعطش، فما إن يعلم به ابنها الذي قدر الله أن يكون هذا الفتى من موالي محمد بن الأشعث، فيخبر عبد الرحمن بمكان مسلم عند أمه فيسر عبد الرحمن بذلك لأبيه محمد فيأمره بالقبض عليه، فينقض عليه عبد الرحمن انقضاض الصقر على فريسة أصابها الدوار مترنحة من نبل الرامي، ويلعب عبد الرحمن نفس دور والده محمد[102].

---

(٩٧) تاريخ الطبري ٢٣٥/٣.

(٩٨) مثل يقال عند تغيير ما اتفق عليه وقلبه، والمجن هو الترس والترس نوع من أنواع السلاح في الحرب يتترس به، النهاية في غريب الأثير ٣٠١/٤، لسان العرب ٤٠٠/١٣، الصحاح ٤٨/١.

(٩٩) الطبقات الكبرى ٦٥/٥، طبقات خليفة ١٤٦/١، تاريخ الطبري ٤٨٨/٣، البدء ٢٧٤/٨، تاريخ دمشق ١٣٢/٥٢، الكامل في التاريخ ٦٧/٤، تاريخ إبن خلدون ٣٣/٣ ـ ٣٤، الإصابة ٣٢٧/٦.

(١٠٠) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة القرشي أبو سعيد كان مولده يوم بدر، رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان له صحبة وكذلك أبيه حريث، وقبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو إبن اثنى عشرة سنة، وقيل إنه كان أكبر من ذلك السن حيث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأى عمرا بن حريث دعا له بالبركة في صفقته وبيعه وخط له دارا في المدينة، ثم سكن عمرو الكوفة وابتنى له دار بها فكان أول قرشي اتخذ بها دارا، وكان له بها شرف وقدر، وقد مات عمرو بن حريث سنة ٨٥هـ، طبقات إبن سعد ٢٠٣/٦، معجم الصحابة ٢٠٢/٢، مشاهير علماء الأمصار ٤١/١، مولد العلماء ٢١١/١، تلقيح فهوم أهل الأثر ١٦٨/١، المعين في طبقات المحدثين ٢٥/١، سير أعلام النبلاء ٤٤٠/٩، الإصابة في تمييز الصحابة ٦١٩/٤.

(١٠١) المنتظم ٣٢٦/٥.

(١٠٢) تاريخ الطبري ٢٧٥/٣، البدء والتاريخ ١٥٥/٨، الكامل في التاريخ ٣٩٥/٣.

وكان عبد الرحمن مع والده عندما غير ولاءه إلى إبن الزبير، وبعد مقتل أبيه أمام جيوش المختار، حل عبد الرحمن محل أبيه في مكانته عند مصعب وشارك في قتال المختار حتى انتهى تمرده وهزمت جيوشه وأسر منهم الكثير، سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م(١٠٣) وتضرع هؤلاء الأسرى إلى مصعب يطلبون منه العفو والصفح، وأمام توسلاتهم يرضخ إلى مطلبهم بالعفو وهنا تظهر قسمات شخصية عبد الرحمن الذي عارض مصعبا وهدده بالانفصال هو ومن معه قائلا له: "اخترنا أو اخترهم" وأمام هذا الموقف الفاصل من إبن الأشعث كان مصعب أكثر منه حلما واستيعابا للموقف الذي كان من الممكن لو أصر على العفو لفارقه إبن الأشعث ولربما غير ولاءه وبدله مرة أخرى إلى الأمويين، وهذا ليس عليه ببعيد، وبالفعل تم قتل هؤلاء الأسرى جميعًا نزولاً على رغبة إبن الأشعث(١٠٤).

وبعد القضاء على فتنة المختار الثقفي، يولي مصعب عبد الرحمن بن الأشعث المدينة المنورة ويشتد في أخذ البيعة لابن الزبير من الناس وأفرط في ذلك عندما قام عبد الرحمن بضرب سعيد بن المسيب(١٠٥) ستين سوطا لرفضه مبايعة إبن الزبير فيعزله مصعب عنها لذلك(١٠٦).

وبعد القضاء على تمرد مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ/٦٩٠م بالكوفة ثم أخيه عبد الله بالحجاز، سنة ٧٣هـ/٦٩٢م كان حتما على عبد الرحمن أن يبدل ولاءه حتى يجد له مكانا طالما بحث عنه وضحى من أجله حتى بالمبدأ؛ لذلك دخل في طاعة الأمويين، وقد وجد ما يصبو إليه عندما كلف عبد الملك بن مروان أخاه بشرا بن مروان والي الكوفة أن يرسل جيشًا لمساعدة المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج، ويكلف بشرا عبد الرحمن إبن الأشعث بأن ينتخب ذلك الجيش ويتولى قيادته، ويأمره بقتال مسلمة أهل الري(١٠٧)

(١٠٣) انظر تمرد المختار بن أبي عبيد الثقفي في تمردات الشيعة في هذا البحث.

(١٠٤) الكامل في التاريخ ٦٩/٤، البداية والنهاية ٢٩٣/٨.

(١٠٥) هو سعيد بن المسيب بن حز بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن مخزوم أبو محمد القرشي أمه أم سعيد بنت عثمان إبن حكيم بن أمية، ولد سنة ١٥هـ لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان من سادات التابعين فقها وورعا وعبادة وفضلا وزهادة وعلماء قيل إنه شارك في مساعي الصلح التي كانت قد تمت بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم مات سنة ٩٣هـ وقيل ٩٤هـ وفي السنة التي مات فيها كثيرا من الفقهاء حتى سميت بسنة موت الفقهاء، طبقات إبن سعد ١١٩/١، طبقات خليفة ٢٤٤/١، المعارف ٤٣٧/١، مشاهير علماء الأمصار ٦٣/١، حلية الأعيان ٣٧٥/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٦٩/٤.

(١٠٦) البداية والنهاية ٢٩٣/٨.

(١٠٧) بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ بتمرد أهل الري بزعامة الفرخان الرازي، ثم قاتلهم غياب بن ورقاء وقتل الفرخان، وفي سنة ٦٨هـ قصد الخوارج الري وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني، فأعان أهلها الخوارج على الأمويين. الكامل في التاريخ ٤٧٦/٣ – ٤٧٧، ٧٦/٤: ٧٨.

الخارجين على طاعة الأمويين(١٠٨)، فإن هزمهم قله الري، وكتب له عهدا على الري عند الفراغ من قتالهم(١٠٩).

وفي سنة ٧٦هـ/٦٩٥م يرسل الحجاج إلى الخوارج عبد الرحمن بن الأشعث على رأس جيش من ستة آلاف انتخبهم عبد الرحمن بنفسه، وخطبهم الحجاج: "أما بعد فإنكم قد اعتدتم عادة الإذلاء، وقد صفحت لكم مرة بعد مرة، وإني أقسم بالله عز وجل قسما صادقا، إن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعًا يكون أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب"(١١٠). ومع ذلك لم يفلح عبد الرحمن في القضاء على تمرد شبيب الخارجي برغم المواجهات التي جرت بينهما، فيعزله الحجاج، ويعود عبد الرحمن إلى الكوفة مختبئًا بعيدا عن أعين الحجاج حتى أخذ له الأمان(١١١).

من بين ما قد سبق يتبين لنا أن العلاقة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث لم تكن على خير ما يرام، فكل منهما يحسد الآخر تحاسد الأكفاء، فيكره كل منهما الآخر، ويتمنى زواله أو الفتك به، وكان في مقدور الحجاج ذلك، ولكنه كان يرى في ابن الأشعث بعض الكفاءات غير المتوافرة في غيره من بسالة وحنكة فضلا عن مكانته وشرفه، فلعله أراد أن يستفيد من كفاءته في مواجهة المتمردين في الداخل والخارج، ففي كل حال سيتخلص من أحد الشرين إما المتمردين وإما ابن الأشعث، وهذا ما قد يكون قد دفع الحجاج لأن يبعث بابن الأشعث إلى سجستان(١١٢) واليا عليها، ذلك الإقليم الذي كان كثير التمرد منذ فتحه سنة٢٣هـ/٦٥٣م(١١٣).

---

(١٠٨) فتحت الري سنة ٢٣هـ على يد أبي موسى الأشعري ثم تمردوا سنة ٢٥هـ وبعد موت الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ تمرد أهل الري وانتقضوا على الخلافة وفي سنة ٦٨هـ قصة الخوارج الري وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني فساعد أهل الري الخوارج وأعانوهم في حربهم ضد الأمويين، ويؤثر عن الري كثرة تمرد أهلها على الخلافة، تاريخ خليفة ١٥٧/١، ٢٦١، الكامل في التاريخ ٤٧٦/٣، ٧٧١/٤، العبر للذهبي ٢٨/١، البداية والنهاية ١٣١/٧، تاريخ ابن خلدون ١٧١/٣، سمط النجوم العوالي ٢١٧/٣.

(١٠٩) المنتظم ١١٨/٦، الكامل في التاريخ ١١٧/٤.

(١١٠) المنتظم ١٨٣/٦.

(١١١) تاريخ خليفة ٢٧٥/١، المعارف ٤١١/١، تاريخ الطبري ٥٧٢/٣، الكامل في التاريخ ١٦٤/٤، البداية والنهاية ٣٥/٩، سمط النجوم ٢٦٨/٣.

(١١٢) سجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة في بلاد فارس، بينها وبين هراة ثمانون فرسخا أشهر مدنها زرنج والطاق والقرنين وبست. نزهة المشتاق: ٤٢٨/١، معجم البلدان ١٩٠/٣.

(١١٣) فتحت سجستان سنة٢٣هـ زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وسرعان انتقضت كثيرا عن حظيرة الخلافة الإسلامية، على سبيل المثال انتقضت في أعوام ٣١هـ، ٣٧هـ وكذلك زمن معاوية بن أبي سفيان وتم فتحها في عهده، وانتقضت بعد موته مرة أخرى، العبر ٥١/١، الكامل في التاريخ ٤٤٢/٢، ٤٨٠ - ١٦/٣، ١٩، ٢٢، ٢٣، تاريخ ابن خلدون ٦٢٢/٢.

ومنذ كان الحجاج بن يوسف واليا على العراق (٧٥ ـ ٩٥هـ) (٦٩٤ ـ ٧١٣م) صبر على مضض على تجاوزات رتبيل[١١٤] ملك الترك المجاورين لحدود الدولة عند سجستان، والذي استغل الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الخلافة الأموية، فمنع الجزية بل وتجرأ على مهاجمة أطراف الدولة، فلما انتهت مشكلات العراق الكبرى، وانكسرت شوكة الخوارج سنة ٧٨هـ/٦٩٧م قرر الحجاج أن يؤدب رتبيلاً، فأرسل إليه سنة ٧٩هـ/٦٩٨م جيشا بقيادة عبيد الله بن أبي بكر، وأمر بالتوغل في بلاد الترك مدكا لحصونهم وقلاعهم[١١٥]، وقد كان فسار عبيد الله[١١٦] في أهل البصرة والكوفة، وناجز الترك واجتاح بلادهم واستطاع هزيمتهم وغنم غنائم كثيرة، وأمام هذا الزحف كان لابد من رتبيل -أو فيمن في موقفه ـ أن يلجأ إلى الحيلة فيأخذ في التقهقر حتى يغرر بالمسلمين فأطمعهم في اللحاق، حتى وصلوا قريبا من مدينته العظمى، عند ذاك بدأ الترك يغلقون على المسلمين الطرق والشعاب وحصروهم وقتل عامة جيش المسلمين وهلك[١١٧].

هذا الوضع المتأزم على حدود الدولة دفع الحجاج دفعًا لوضع حد لاعتداءات رتبيل والانتقام منه، حتى إن سرعة الأحداث، ورغبة الحجاج الملحة في تأديب رتبيل جعلته يضع على رأس هذا الجيش المتجه إليه قائدا طالما كان ندًا له وحاسدا، هو عبد الرحمن بن الأشعث، بل إن إسماعيل عم عبد الرحمن بن الأشعث حذر الحجاج من مغبة القدوم على مثل هذا التصرف "لا تبعثه فإني أخاف خلافه، والله ما جاز عبد الرحمن جسر هذا الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطانا"[١١٨]، ويزيد الحجاج من قوة إبن الأشعث فينتخب له جيشا لم يغز به قائدا

(١١٤) رتبيل لقب يطلق على كل من يحكم الترك من ملوك يسمون به، انظر وفيات الأعيان ٤٠٣/٦، الوافي بالوفيات ٥٤/٢٨ واللافت للانتباه أن المسلمين الأوائل منهم من تسمى بهذا الاسم فيترجم إبن حجر لأحد الصحابة يسمى (صالح بن رتبيل) قيل هو تابعي مشهور وقيل صحابي مشهور من رواة الحديث، الإصابة ٤٦٥/٣.

(١١٥) تاريخ خليفة ٢٩٥/١، فتوح البلدان ٢٩١/١، تاريخ اليعقوبي ٢٧٧/٢، تاريخ الطبري ٦١٧/٣.

(١١٦) هو عبيد الله بن أبي بكرة اسمه نفيع بن الحارث ويقال مسروح أبو حاتم الثقفي، أمه هي هوله بنت عليط من بني عجل، وكان عبيد الله أحد الكرام المذكورين والسمحاء المشهورين، حدث عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأبيه بكرة وروى عنه البعض، ولي قضاء البصرة وإمرة سجستان وقضاءها ووفد على عبد الملك إبن مروان، وكان من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، وعبيد الله بن أبي بكرة هو أول من قرأ القرآن بالألحان قراءة حزن وليست على شيء من الألحان والغناء ولا الحداء، وورث عنه هذه القراءة بالحزن إبن ابنه عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن أبي بكرة وإلى عبيد الله بن عمر هذا تنتسب قراءة إبن عمر . ومات عبيد الله إبن أبي بكرة بسجستان سنة ٨٠هـ طبقات إبن سعد ١٦٠/٧، تاريخ خليفة ٢١٠/١، المعارف ٥٣٣/١، تاريخ أصبهان ٦١/٢، تاريخ دمشق ١٢٩/٣٨، النجوم الزاهرة ٢٠٢/١.

(١١٧) المنتظم ١١/٦، العبر للذهبي ٩٠/١، البداية والنهاية ٣٢/٩.

(١١٨) تاريخ الطبري ٦١٧/٣ ـ ٦١٨، تاريخ إبن خلدون ٦٠/٣.

غيره، ثم جهزهم بجهازهم الذي كان الجندي يرى فيه نفسه يلبس لائمة الحرب، وكأنه كالطاووس الذي يستعرض جماله وقوته، وحال الطاووس هذه في نشوته وانتفاش ريشه هي التي دائما ما كان إبن الأشعث يعيشها فيرى نفسه أهلا لكل أمر هام دون غيره، وزاد من هذه الحالة أنه زود بجيش كان هو الآخر كالطواويس ولذا سماه الناس حينئذ جيش الطواويس – لعدده وعتاده وحسنه – يتقدم سربه الطاووس القائد عبد الرحمن بن الأشعث(١١٩).

ولقد تفنن الحجاج في انتقاء واختيار هذا الجيش بكل عناية واهتمام، فانتخب من الكوفة عشرين ألف فارس ومن البصرة مثلهم، وحرص على اختيار أهل الغنى والشجاعة الذين لا يضيرهم غيابهم عن أولادهم ما دامت مصادر الرزق مضمونة لهم ومكفولة، مع توافر خلق الشجاعة لدى ذلك الفارس الغني، ثم قام الحجاج بحل مشكلات كل فارس فأزاح عللهم، وأنفق عليهم مليونين من الدينارات (ألفي ألف)، وأمدهم بالخيل الرائعة، وجهزهم بالسلاح المتطور الكامل. ولا يدري الحجاج أنه يجهز عدوه بعدده وعدته بيده ليقضي على نفسه(١٢٠). ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا، فيقدم الحجاج على ذلك كله وهو على يقين أن عبد الرحمن لا يكن له حبًا ولا ودًا ولا سلامة صدر وهي أدنى درجات الأخوة بين المسلمين، ناهيك عن أنهم جند في خندق واحد أم عدو مشترك، حتى إن الحجاج قال بلسانه: "ما رأيت عبد الرحمن بن الأشعث قط إلا وهممت بقتله". ودخل عليه إبن الأشعث يوما وعنده عامر الشعبي(١٢١) فقال لعامر: "انظر إلى مشيته، والله لقد هممت أن أضرب عنقه"(١٢٢). وبلغ عبد الرحمن هذا القول وهو يعلم ببغض الحجاج له سلفا، فلم يكن بالعراق رجلا أبغض إلى الحجاج منه فيرد إبن الأشعث على الشعبي قائلا: "وأنا حقا كما زعم الحجاج، إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد إذا طال بي البقاء وطال به"(١٢٣)، ويحذر كثير من

(١١٩) تاريخ الطبري ٦١٨/٣، الكامل في التاريخ ١٩٥/٤، البداية والنهاية ٣٣/٩، تاريخ إبن خلدون ٦١/٣.

(١٢٠) البداية والنهاية ٣٣/٩، إبن خلدون ٦٠/٣.

(١٢١) هو عامر بن عبد الله بن شرحبيل بن عبد بني ذي كبار الشعبي نسبة إلى شعبان وهي بطن من همدان تشعب من اليمن، لذلك فهو الشعبي الهمداني، يكنى أبا عمرو، كانت أمه من سبي جلولاء، كان قضيفا – قليل اللحم – فقيها ومحدثا من الطبقة الثانية من أهل الكوفة روى عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وعبد الله بن عمرو النعمان وبشير وأبي هريرة والحسن والحسين وبعض أهل البيت، ولد بعد استشهاد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بنحو ست سنوات سنة ٢٨هـ تقريبا، قدم للشام على عبد الملك بن مروان، وأرسله من قبله إلى مصر إلى أخيه عبد العزيز بن مروان الذي أعجب برجاحة عقله وغزارة علمه، ومكث بمصر أربعين يوما، وكان يعد الشعبي علامة أمانه مات بالكوفة قرابة سنة ١٠٥هـ وكان عمره وقتها ٧٧ عاما تقريبا، المعرفة والتاريخ ٣٤١/٢، تاريخ دمشق ٣٤٢/٢٥، لسان العرب ٥٠٣/١، المعين في طبقات المحدثين ٣٩/١.

(١٢٢) تاريخ الطبري ٦١٧/٣، البداية والنهاية ٣١/٩.

(١٢٣) تاريخ الطبري نفسه، البدء ٣٥/٦، المنتظم ١١/٦.

الناس الحجاج من مغبة القدوم على هذا التصرف الجريء ذي العواقب المدمرة، والحجاج يدفعهم مكابرا بقوله "هو لي حبيب، ومتى أرهب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي)"(١٢٤)، ولكن الصواب جانب الحجاج هذه المرة، فاستخف بابن الأشعث، وأفرط في الثقة بنفسه، وخانه ذكاؤه، فأرسل عبد الرحمن بجيش الطواويس إلى سجستان واليا عليها، لينقض منها على حرب رتبيل سنة ٨٠هـ لعله يتخلص من أحدهما أو منهما معًا وقد صرح بذلك ذات مرة قائلا "أريد قتله"(١٢٥).

بلغت الأخبار رتبيل، فكتب إلى عبد الرحمن يعتذر إليه مما اقترفه في حق المسلمين، طلب الصلح وعبد الرحمن يرفض ويتوغل في بلاده(١٢٦)، ويكرر رتبيل نفس خطة الكر والفر التي اتبعها مع إبن أبي بكرة، ولكن عبد الرحمن كان داهية، استوعب الدرس جيدا وفطن إلى خدعة رتبيل فكان كلما أخلى رتبيل حصنا أو بلدا، وضع فيه عاملا ومعه أعوان له لحمايته، ووضع سبلا للاتصال بين كل بلد فكان البريد يوجد بين كل بلد وأخرى ليربط بينهما بالأخبار والاحتياجات ووضع الأرصاد له على الشعاب والعقاب(١٢٧)، ووضع قوى مسلحة بكل مكان مخوف، واستطاع بذلك تأمين ظهره تماما، مما أتاح له السيطرة على مساحة واسعة من أرض رتبيل، إلى جانب ما ملأ به يديه من البقر والغنم الغنائم العظيمة، مما لم يستطيعوا حمله ولا عده، وكان عبد الرحمن يكتب أولا بأول إلى الحجاج، بما فتح الله على يديه، ورأى عبد الرحمن أمام هذه الفتوحات الواسعة، والمساحات الشاسعة التي حواها، وأمام عدو كبير مخادع ماكر رأى أن يتريث حتى يجترئ المسلمون على الطرق والمسالك، ويجبو خراج البلاد المفتوحة، ويحصوها، ثم يستعين بها على مناجزتهم في العام المقبل، وكتب بذلك إلى الحجاج(١٢٨)، الذي رد على إبن الأشعث بأسلوب قاص - لعله هنا قد أدرك صحة ما نصحه به الناصحون، وهاله ما حققه إبن الأشعث من انتصارات، وهو الذي كان يتمنى أن يلقى مصير بن أبي بكرة، فإذا به يقوى ويعلو نجمه، فكان حتما على الحجاج أن يزج به إلى لجج المعارك فإما أن يتخلص منه، أو يستكمل مسيرة الفتح ويقضي على العدو المزمن على أطراف الدولة رتبيل، فكتب إليه يقول له: "إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة... فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدم

(١٢٤) تاريخ الطبري نفسه، البداية والنهاية ٣٢/٩، إبن خلدون ٦٠/٣.

(١٢٥) تاريخ خليفة ٢٩٥/١، فتوح البلدان ٢٩١/١، تاريخ اليعقوبي ٢٧٧/٢، تاريخ الطبري ٦٠/٣.

(١٢٦) تاريخ خليفة ٩٥/١، فتوح البلدان ٩١/١، الطبري ٦١٧/٣.

(١٢٧) الشعاب هي الطرق بين الجبال، لسان العرب ٥٠٠/١-٥٠١، والعقاب الصخور الناتئة في عرض الجبل أو في قمته، لسان العرب ٦٢١/١، مختار الصحاح ١٨٦/١.

(١٢٨) البدء والتاريخ ٣٥/٦، العبر للذهبي ٩٠/١، إبن خلدون ٦٠/٣.

لحصونهم، وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم" ثم أردفه بكتب أخرى متوالية منها "امض لما أمرتك، وإلا فأخوك إسحق بن محمد بن الأشعث أمير الجيش" (١٢٩).

هكذا رفض الحجاج طلب عبد الرحمن؛ لأنه كان يرى أن يستكمل مهمته ويقضي تماما على شوكة رتبيل، فيطرق على الحديد وهو ساخن، حتى لا يعطي فرصة له يلملم أوراقه ويضمد جراحه ويستعيد زمام المبادرة(١٣٠)، في حين يرى ابن الأشعث أن يتمهل حتى يجمع ما قد استولى عليه ويبسط سيطرته، فيسهل حمايته والحفاظ عليه أولا بأول، لذلك لا يرى أن يستولي على مزيد من البلاد، وليس بإمكانه الحفاظ عليها وحمايتها وتأمينها فيتسع الخرق على الخارق وتنقلب الأمور لضدها(١٣١). فأيهما ينتصر رأيه على الآخر؟ وهما ندان متحاسدان لا يؤثر أيهما المصلحة العامة فينصاع لرأي الآخر، أو لمشورة أهل الشورى، وحيثما كانت الشورى كانت المصلحة؟، ولكن كل منهما أصر على رأيه وحارب على انفاذه فخرج كل منهما خاسرا سواء من مات منهما ومن عاش، فالحجاج لم يمتثل لعامله وهو صاحب حجة قوية لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فهو يقترح على قائده من قلب الميدان، والرؤية واضحة أمام ناظريه، فيرفض الحجاج بل ويأمره بالتوغل بدلا من أن يناقش معه الأمر بهدوء حسب أصول وقواعد المصلحة العامة، وينتهيا إلى أمر مجمع عليه فيتعاونا على إنفاذه.

كانت عاقبة الحجاج - الذي أمر الجيش بالتوغل في بلاد الترك -، أن توغل هذا الجيش في بلاده فيما تحت يديه في البصرة والكوفة، ولم يمتثل عبد الرحمن بن الأشعث لأوامر قائده الذي بايعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وينفذ الأمر في التو، وإن خالف رأيه، فقد يكون القائد بما يمتلك من مؤهلات وتجارب وخبرات لديه رؤية أوسع وأشمل من عامله. وذلك لسمات شخصية مكنونة في شخصية عبد الرحمن بن الأشعث أشار إليها كثير من المؤرخين(١٣٢).

وتفصيل ما أجمل أنه لما رفض الحجاج اقتراح إبن الأشعث لم يسمح له كبرياؤه واعتداده بنفسه بتهديد الحجاج له فعزم على التمرد والخروج على

---

(١٢٩) تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، المنتظم ٢٢٥/٦، الكامل في التاريخ ١٩٨/٤، البداية والنهاية ٣٥/٩، سمط النجوم ٢٦٩/٣.

(١٣٠) الكامل في التاريخ ١٩٢/٤.

(١٣١) تاريخ ابن خلدون ٦١/٣.

(١٣٢) كان من عاقبة عصيان عبد الرحمن بن الأشعث للحجاج وتمرده عليه، أن سلمه رتبيل إلى الحجاج عندما لجأ إليه يستنصره على الحجاج، وخرج رتبيل من هذا الصراع سالما بل ومسرورًا مما حل بأعدائه، سير أعلام النبلاء ٣٠٦/٤، الوافي بالوفيات ١٣٤/١٨.

أوامره(١٣٣)، فأشرك الجيش فيما نوى عليه، لاسيما وأن جيشه من أبناء البصرة والكوفة والموالي وكلهم موتور من أهل الشام عامة والحجاج خاصة، وكلهم على استعداد للتمرد عليه، لذلك دعا إبن الأشعث الجيش وخطب فيهم بحماسة وعاطفة جياشة مطلعا إياهم على ما تم من مراسلات بينه وبين الحجاج، وركز على أن الحجاج إنما يريد هلاكهم في بلاد الترك كما هلك جيش إبن أبي بكرة ثم ختم كلامه بسياسة ذكية قائلا "وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا أمضيتم وأبي إذا أبيتم"، فثار إليه الناس، وقالوا: "بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع"(١٣٤). فقال عبد الرحمن مستغلا العاطفة الجياشة والإحن القديم "تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله، وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق فبايعه الناس"(١٣٥).

خاصة وأن إبن الأشعث كان يعلم جيدا مدى حب أهل العراق لنسائهم وأولادهم، فنكأ هذا الجرح قائلا (إن أطعتم الحجاج جمّركم(١٣٦) في هذه الأرض تجمير فرعون للجنود.. فلن تعاينوا الأحبة فيما أرى، أو يموت أكثركم)(١٣٧). فخلع قلوب الناس وصاحوا ببيعته ونصرته، وخلعوا الحجاج الذي يباعد بينهم وبين ذويهم بالبقاء في أرض الترك ذلك لما أرسل لابن الأشعث في إحدى كتبه إليه يأمره بتوطين الجنود في هذا الثغر حتى يكتمل فتحه (أما بعد: مُرْ من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم)(١٣٨). ولما أعلن إبن الأشعث ذلك تسابق الجند إلى بيعته والقتال معه حتى ينفي الله الحجاج من العراق ولم يذكروا خلع عبد الملك وبايعهم إبن الأشعث على ذلك، ومن هنا بدأ تمرد إبن الأشعث يخرج إلى حيز التنفيذ بعدما كان نواياه مخبأة في الصدور وتصرفات فجائية تظهر أحيانا ثم تختفي. هذه اللحظة تفجرت تلك النوايا ومكامن الصدور إلى تمرد عسكري كاد أن يطيح بالعراق كله،(١٣٩) وقد أرسل عبد الرحمن بن الأشعث بما همَّ به إلى المهلب بن أبي صفرة فرد عليه ينهاه (إنك إن وضعت رجلك يا محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – الله الله فانظر لنفسك ألا تهلكها، ودماء المسلمين فلا

(١٣٣) تاريخ اليعقوبي ٢٧٧/٢، تاريخ الطبري ٦٢٤/٣، المنتظم ٣١٨/٦، الكامل في التاريخ ١٩٨/٤، البداية والنهاية ٣٥/٩، تاريخ ابن خلدون ٦١/٣.

(١٣٤) تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، المنتظم ٣٢٥/٦.

(١٣٥) تاريخ الطبري ٦٢٣/٣، المنتظم ٣٢٥/٦.

(١٣٦) جمّر الجند أي حبسهم في أرض العدو ولم يرجعهم إلى أرضهم، لسان العرب ١٤٦/٤.

(١٣٧) تاريخ الطبري ٦٢٣/٣، الكامل في التاريخ ١٩٨/٤.

(١٣٨) تاريخ الطبري ٦٢٢/٣.

(١٣٩) تاريخ الطبري ٩٤٠/١.

تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها..)[١٤٠]. هكذا وبتجربة القائد المحنك قرأ المهلب مبكرا نتائج تمرد إبن الأشعث وهو ما كان حقا، ثم كتب إلى الحجاج يخبره، وينصحه بما يجب عليه أن يفعله تجاه إبن الأشعث وجيشه العراقي فقال: ".وإن لأهل العراق شرها في أول مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، ويشموا أولادهم، ثم واقعهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم". فلما قرأه الحجاج - وكعادته التي كانت لا تقبل النصح ممن هو دونه ولو كان صوابا-، قال "ما إليّ هذا نظر، وإنما نظر إلى إبن عمه عبد الرحمن بن الأشعث"[١٤١]. فلم يأبه الحجاج لنصحه كما لم ينصاع عبد الرحمن بن الأشعث قبله، فتقدم نحو العراق منطلقا من سجستان، ولما بلغوا إقليم فارس انضم إليهم قرابة أربعة آلاف من العراقيين كانوا بها فبايعوا إبن الأشعث، كما انضم أيضا إلى تمرد إبن الأشعث القبائل اليمنية باعتبار أن عبد الرحمن بن الأشعث واحد من أبناء عصبتها، وانضم العلويون والشيعة، وبذلك وسع نطاق التمرد. فأعلنوا في البصرة خلع عبد الملك نفسه وقالوا: "أما الحجاج فليس بشيء، ولكننا نريد غزو عبد الملك"[١٤٢]. كما انضم إلى تمرد إبن الأشعث طائفة القراء والفقهاء الساخطين على سياسة الحجاج وشكلوا كتيبة سميت القراء، وكانت من خطورتها أن الناس كانوا تبعا لهم يحرضونهم على القتال، وبهم يقتدون[١٤٣].

دخل تمرد إبن الأشعث مرحلة حاسمة وخطيرة عندما وصل إلى البصرة واستولى عليها، حيث اتخذ التمرد أبعادا سياسة جديدة تمثلت في خلع عبد الملك وأبعادا عسكرية لما انضمت إلى الجيش قوى جديدة أخرى فزادته قوة إلى قوته، وأبعادا اجتماعية لما انضم إلى التمرد إلى طبقة والموالي[١٤٤] فكانوا الجمهور الأكبر

(١٤٠) تاريخ خليفة ٢٧٩/١، تاريخ الطبري ٦١٧/٣، الكامل في التاريخ ١٩٢/٤، البداية والنهاية ٣١/٩.

(١٤١) تاريخ الطبري ٦٢٤/٣، الكامل في التاريخ ٢٠٠/٤، البداية والنهاية ٣٦/٩.

(١٤٢) تاريخ الطبري ٦٢٥/٣، المنتظم ٢٢٦/٦.

(١٤٣) تاريخ الطبري ٦٣١/٣، البداية والنهاية ٤٧/٩.

(١٤٤) الموالي من والى القوم أي انتسب إليهم، والمولى هو الحليف الذي انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعك، والمولى العبد المعتق الذي انتسب بنسبك ولهذا يقال للمعتقين الموالي، والموالي موالي رق قد أعتقوا وموالي اصطناع وحلف كالأتراك مثلا في الدولة العباسية وبني برمك قبلهم، ولفظ الموالي له ستة أوجه: المولى إبن العم والأخ والابن والعصبات كلهم، والمولى هو الناصر، والمولى الولي الذي يلي عليك أمرك، والمولى مولى الموالاة هو الذي يسلم على يديك ويواليك، والمولى مولى النعمة المعتق أنعم عليه سيده فأعتقه، والمولى المعتق لأنه ينزل منزلة إبن العم فتجب نصرته، ويرثه سيده إن مات وليس له وارث، النهاية في غريب الأثر ٢٢٧/٥، لسان العرب ٤٠٩/١٥، إبن خلدون ١٣٥/١.

وقرر الحجاج أمام هذا التحدي الكبير مواجهة إبن الأشعث قبل دخولهم العراق فلم يفلح فدخل إبن الأشعث البصرة و قد خرج منها الحجاج ونزل بالزاوية[154]، وهنا أدرك أن المهلب كان ينصحه ولا يغشه فقال: (لله أبو المهلب، أي صاحب حرب هو، أشار علينا بالرأي فلم نقبل) [155] ونزل بالغرب من البصرة في الزاوية والتقى مع جيش إبن الأشعث فانهزم الحجاج في أول المعركة ثم كانت النهاية في صالحه لما استطاعت فرقة من فرق جيشه أن تلحق الهزيمة بإحدى فرق إبن الأشعث، فاستغل الحجاج الفرصة وكثف الهجوم على خصمه، فاضطره للتراجع إلى الكوفة التي بايعه أهلها سنة ٨٢هـ/٧٠١م، وقتل الحجاج في معركة الزاوية من جيش إبن الأشعث أحد عشر ألفا خدعهم بالأمان لما أمر مناديا فنادى لا أمان لفلان إبن فلان فسمى رجالا فقال العامة عندها: قد أمن الناس فحضروا عنده فأمر بقتلهم فقتلوا[156].

وصل إبن الأشعث الكوفة وزاد حجم جيشه بانضمام أهل الكوفة وأهل الثغور واستعدوا لملاقاة الحجاج في موضع بظاهر الكوفة يسمى دير الجماجم[157] في حين نزل الحجاج بمكان يسمى دير قرة[158]. وخندق كل منهما على نفسه، وكانت الأخبار تصل عبد الملك بن مروان في دمشق أولا بأول لاسيما وأن الحجاج كان دائم الطلب للمدد منه، ولما ناقش هذا الخطر الداهم للدولة الذي كاد أن يخرج العراق من حوزته تماما – مع مستشاريه وخرج بمبادرة إلى أهل العراق حيث رأوا أن الحجاج هو المشكلة الكؤود لأهل العراق، فإن رضي أهلها بعزل الحجاج عزل حقنا لدماء المسلمين[159]، واتقاء لشر جيش إبن الأشعث الذي عرض عليه أن ينزل بأي بلد شاء من بلاد العراق وله خراجها ما دام حيا وعبد الملك خليفة، وإن أبى أهل العراق هذا العرض فيستمر الأمر على ما هو عليه، وأرسل بهذه المبادرة أخاه محمداً بن مروان وابنه عبد الله، على رأس جيش كثيف، وكانت هذه المبادرة مع أشد شيء نزل على سمع الحجاج فأوجع قلبه لاسيما وهو يوقن أن العراقيين سوف يقبلونها لا محالة، فكتب إلى الخليفة قائلاً: (والله لو أعطيت أهل العراق نزعي لم يلبثوا إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك

(١٥٤) الزاوية موضع قرب البصرة، معجم البلدان ١٢٨/٣. (سبقت معركة الزاوية معركة بالأهواز في منطقة تستر وانتصر فيها إبن الأشعث على الحجاج) المعارف ٣٥٧/١، البدء والتاريخ ٣٦/٦.

(١٥٥)الطبري ٦٣٥/٣، البداية والنهاية ٣٧/٩.

(١٥٦) الكامل في التاريخ ٢٠٣/٤.

(١٥٧) يبعد عن الكوفة سبعة فراسخ معجم البلدان ٥٠٣/٢.

(١٥٨) دير قرة بإزاء دير الجماجم، معجم ما استعجم ٥٩٢/٢.

(١٥٩) تاريخ الطبري ٦٣٠/٣، الكامل في التاريخ ٢٠٤/٤.

إلا جرأة عليك)(١٦٠). وأصر عبد الملك على مبادرته، التي اغتنمها إبن الأشعث ووجد فيها الأمل المفقود، وحث أتباعه على قبولها فهي فرصة يجب أن تنتهز، وهنا تتضح لنا أكثر قسمات شخصية إبن الأشعث فسرعان ما ينسى أنه القحطاني المبشر به، وأنه أمير المؤمنين، وأنه يطمح إلى كرسي الخلافة بدمشق ويبايعه عشرات الألوف على ذلك، ويرضى بولاية بلدة بالعراق مدى حياته وحياة عبد الملك، ما دام أزاح الحجاج من أمامه

المقصود أن إبن الأشعث لما عرض مبادرة الخليفة على أتباعه رفضوها رغم أنه زينها لهم ورغبهم فيها فقال: "لقد أعطيتم أمر انتهازكم اليوم له فرصة... أنتم اليوم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون، وأنتم لهم منتقضون، فوالله لا زلتم عليهم جراء، وعندهم أعزاء أبدا ما بقيتم إن أنتم قبلتم"(١٦١).

التقى الفريقان بدير الجماجم واستمرت المواجهات مائة يوم حلت في نهايتها الهزيمة بابن الأشعث بعد ثمانين موقعة كانت الغلبة في معظمها له إلا في المعركة الأخيرة التي هزم فيها في جمادى الأخرى سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، ثم التقوا بعدها في مسكن(١٦٢) التقوا بالسوسي(١٦٣)، وحلت الهزيمة بابن الأشعث في آخر موقعتين، لما حل بالجيش من فرقة وشتات وانطفاء حماس الجنود، فأصابهم بالوهن والضعف لنقص الإمدادات حتى إنهم رقعوا ثيابهم فلم يجد إبن الأشعث بدا من الهروب إلى رتبيل عدوه، حيث كان قد تصالح معه لما عزم على الرجوع(١٦٤) عن بلاده والتوجه لحرب الحجاج على أن يسقط عنه الخراج إن هو ظفر بالحجاج، وإن هزمه الحجاج يأوي إليه ويحميه، ولما ذهب إليه إبن الأشعث أنزله وأكرمه، فأرسل الحجاج إليه يتوعده ويهدده، فما كان

---

(١٦٠) المنتظم ٦(٣٢) الكامل في التاريخ ٢٠٤/٤، البداية والنهاية ٤١/٩ (حدث هذا في الوقت الذي كان الحجاج قد جهز جيشا كبيرا أنفق عليه خراج العراق حتى خشي على نفاذ الخراج بمبلغ قدره (البداية والنهاية) بخمسين ألف ألف (خمسين مليون) درهم، وكان واثقا من القضاء على إبن الأشعث في هذا الوقت فقط كان أمر عبد الملك بعزله إن كان هذا سينهي التمرد) انظر/ أسلم بن سهل الرزاز الواسطي – عالم الكتب – بيروت – سنة ١٤٠٦ ط١ تحقيق – كوركيس عواد/ ١٧١، البداية والنهاية ٣٧/٩.

(١٦١) الكامل في التاريخ ٢٠٤/٤.

(١٦٢) مسكن: بفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف، موضع بالعراق قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، معجم ما استعجم ١٢٢٧/٤، معجم البلدان ١٢٧/٥.

(١٦٣) السوسي اسم لبلاد كثيرة في المغرب والمشرق، والمقصود هنا هي السوس بالعراق كورة بالأهواز بالقرب من بلدة تستر والأيلة. وهي ضمن سبع كور يتألف منها الأهواز انظر/ معجم ما استعجم ٢٩٧/١، معجم البلدان ٢٨٠/٣.

(١٦٤) بعد الهزائم المتلاحقة لجيش إبن الأشعث بعد دير الجماجم، فقد الجيش كثير من قوته وأكثر من ثلثي أفراده، وبلغ من السوء ما وصفه لنا الزمخشري (قال البعض للحجاج يصف فرسان إبن الأشعث وهم على خيولهم رأيت قوما بقعًا. قال الحجاج: ما البقع؟ قال: رقعوا ثيابهم من سوء الحال التي انتهوا إليها). محمود بن عمر الزمخشري – الفائق في غريب الحديث – دار المعرفة – لبنان – ط٢، تحقيق/ علي محمد البجاوي وآخرين، ١٢٤/١.

منه إلا أن أوثقه وأرسله مع رسل الحجاج، فلما سار مع الرسل إلى موضع يسمى الرحج[١٦٥] رمى بنفسه من فوق سطح بيت كان فيه هو ورجل كان معه في السلسلة فماتا معاً، فاحتزوا رأسه وحملوه إلى الحجاج الذي حمله بدوره إلى عبد الملك بن مروان وكان ذلك سنة ٨٥هـ/٧٠٤م[١٦٦].

وانتهى ابن الأشعث وانتهى تمرده الذي كان يحوي أطيافاً متعددة من المجتمع العراقي على رأسهم العلماء كأنس بن مالك – رضي الله[١٦٧] عنه الذي كان يحرض بلسانه لكبر سنه، وسعيد بن جبير[١٦٨]، الذي كان له شأن آخر مع الحجاج قبل ذلك فقد ولاه الحجاج قضاء الكوفة وهو من الموالي فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربي، وكان الحجاج يتعهده بالمال والنفقة، وعهد إليه بأموال جيش الطواويس أميناً عليه[١٦٩]. إلا أن سعيداً أعرض عن هذا واتجه إلى ابن الأشعث سندا له وعضدا، حتى قتل ابن الأشعث فتوارى سعيد عنه وفي النهاية تم القبض عليه وجيء به إلى الحجاج، ودارت بينهما مناظرة جلى فيها سعيد موقفه لما سأله الحجاج (ما أخرجك؟ قال: بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي، قال الحجاج أكانت بيعة أمير المؤمنين التي في عنقك أولى بك، لأقتلنك)[١٧٠]. فاعتذر سعيد -رضي الله عنه- وتضرع وترحم الحجاج بصغار بناته،

---

(١٦٥) الرحج/ كورة ومدينة من نواحي كابل، بأرض سجستان فتحت سنة ٤١هـ انظر نزهة المشتاق ٤٦٨/١، معجم البلدان ٣٨/٣، العبر ٥١/١، تاريخ الخلفاء ٣٨/٣.

(١٦٦) تاريخ خليفة ٢٨١/١، المعارف ٣٥٧/١، تاريخ الطبري ٦١٨/٣، شذرات الذهب ٩٠/١، سمط النجوم ٢٦٨/٣.

(١٦٧) الوافي بالوفيات ٢٣٥/٩، بغية الطلب ٢٠٥٢/٥.

(١٦٨) هو سعيد بن جبير ابن هشام، إمام حافظ مقرئ مفسر قتل شهيداً، كان مولى أباعبد الله الأسدي الوالي الكوفي أحد الأعلام، قرأ القرآن على ابن عباس، وروى عنه وعن عائشة أم المؤمنين، وأبي موسى الأشعري وغيرهم قتل سنة ٨٤هـ وهو ابن خمسين سنة ولما ذبح سال منه دم كثير هال الحجاج كثرته فأحضر طبيبه (تياذوق) وسأله عن سر الدم الكثير فقال: لاجتماع نفسه عند الموت لأنه لم يجزع ولم يهاب، بعكس من يقتل وهو مفرق النفس فيقل دمه) انظر أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي – عيون الإنباء في طبقات الأطباء – دار مكتبة الحياة بيروت. تحقيق نزار رضا ١٨٠/١، وعن ترجمة سعيد بن المسيب انظر/ بن أحمد بن عثمان الذهبي – معرفة القراء الكبار – مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة ١٤٠٤هـ تحقيق بشار معروف وآخرين ٦٨/١ – ٦٩، أيضا: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – طبقات الحفاظ – دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٤٠٣هـ/ ٣٨/١، محمد بن علي أحمد بن محمد الداودي – طبقات المفسرين – مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ط١ سنة ١٩٩٧ تحقيق سليمان الخزي ١٠/١.

(١٦٩) المعرفة والتاريخ ٤٠٢/١، المحن ٢٢٢/١، ٢٣٢، حلية الأولياء ٢٧٤/٤، ٢٩٠.

(١٧٠) عن نص المواجهة بين الحجاج وسعيد بن جبير، انظر المعارف ١٢٧/١، الكامل للمبرد ٧٧/٢، المعرفة و التاريخ ٤٠٢/١، البدء والتاريخ ٣٩/٦، وعن المزيد مما وقع بين الحجاج وسعيد بن جبير وعلماء آخرين، انظر عبد الله بن جعفر بن حيان – طبقات المحدثين بأصبهان – مؤسسة الرسالة بيروت – ط٢ سنة ١٩٩٢م –تحقيق / عبد الغفور حسين البلوشي ٣١٧/١؛ إبراهيم بن علي الشيرازي – طبقات الفقهاء – دار القلم بيروت – تحقيق/ خليل الميس ١ ٨٢ – ٨٣.

ولكن سيف الحجاج كان أصم أمام توسلات إبن جبير فسقط على عنقه شهيدا ليلحق بكتيبة القراء الذين سبقوه لهذا المصير(١٧١). حتى أنه لم يبق من العلماء بالعراق بعد فتنة بن الأشعث سوى أربعة نصفهم بالكوفة والنصف الآخر بالبصرة، أما بقية العلماء فكان منهم المتوارون ومن قتل في المعارك ومن فقده أهله. (١٧٢) حيث تفرغ الحجاج بعد النصر لقتل أصحاب عبد الرحمن ويعفو عن بعضهم(١٧٣).

وبذلك تنتهي حركة تعتبر من أخطر الحركات العسكرية التي قامت في الدولة الأموية بشكل عام وفي بلاد العراق على وجه الخصوص عرّضت قوة الدولة وسلطانها للخطر في هذا القطر الكبير، حين استعرت الحرب بين إبن الأشعث والحجاج حتى وكاد أن يغلب على العراق بعدده وعدته وكان له الغلبة في كثير من الوقعات، لولا لطف الله بالخلافة الأموية، وهناك جملة أسباب أدت إلى هزيمة إبن الأشعث وجيوشه القوية، من بينها:

أولاً: أسباب تتعلق بشخصية عبد الرحمن بن الأشعث:

فقد ورثت هذه الشخصية حب الزعامة والاعتداد بالنفس والعجب بها، وضحت في سبيل ذلك بأبسط المبادئ – حتى الجاهلية – وهي الحفاظ على العهد والوفاء بالوعد، وورث عبد الرحمن ذلك الغدر بالحجاج عن والده محمد بن الأشعث الذي غدر بأهل طبرستان لما ولاه عبيد الله بن زياد عليها وصالح أهلها على أن لا يدخلها ثم غدر بهم فدخلها فقتلوا ابنه أبا بكر، وورث محمد ذلك الغدر عن والده الأشعث بن قيس حتى في الجاهلية لما غزا بني الحارث بن كعب، فأسروه، ففدا نفسه بمائتي بعير أعطاهم مائة مقدماً وأجّل مائة مؤخراً، فلم يف لهم بها حتى أسلم، واحتج بأن الإسلام يجب ما قبله، وورث الأشعث ذلك الغدر عن والده قيس بن معدي يكرب، الذي غدر ببني مراد، وكان بينهم عهد وميثاق إلى أجل مسمى فلما كان آخر يوم غزاهم فيه وكان يوم جمعة فاستحملوه للسبت، فقاتلهم فقتلوه وأفنوا جيشه، وورث قيس ذلك الغدر عن والده معد كرب الكندي، الذي كان بينه وبين بني مهرة عهد وميثاق، فنقضه وغزاهم فقتلوه، ومثلوا بجثته لما بقروا بطنه وملأوها حصى(١٧٤). هذا الإرث الذي ورثه عبد الرحمن جعله ينظر للحجاج على أنه أفضل منه وأكرم وأولى منه بما هو فيه، وما ينتج عن هذه النظرة من كره وبغض وحسد،

---

(١٧١) عن كثير من أسماء العلماء الذين خرجوا مع سعيد بن جبير انظر فتوح البلدان ١٢٧/١ وما بعدها، أيضاً/ المتوارين من الحجاج ص٤٠ وما بعدها، بغية الطلب في تاريخ حلب ٥٠٥٢/٥، معرفة القراء الكبار ٦٨/١ وما بعدها، الوافي بالوفيات ١٣٤/٨

(١٧٢) طبقات المحدثين ٣١٧/١.

(١٧٣) الكامل للمبرد ١٤٤/٢.

(١٧٤) الوافي بالوفيات ٣٤/١٨ – ١٣٥.

نجح عبد الرحمن في ترجمته إلى واقع بأن أخذ في تأليب أهل الكوفة وخاصة القراء على الحجاج، وكان للقراء الدور الكبير في حشد الموالي الذين – هم نصف الجيش – بالقول وبالفعل لما تقدموا الصفوف(١٧٥)، وعبد الرحمن يفصح عن ذلك قبل بداية التمرد ويقول للحجاج (والله لأجهدن في قطع خيط عنقه) وكان يحضض الناس على الحجاج(١٧٦). مستغلا في ذلك طبيعة الشخصية العراقية التي كثيرًا، ما يميل أكثرهم إلى التمرد والخروج على الحاكم والشغف بالتمردات، وفي الوقت الذي عبأ فيه إبن الأشعث الناس بالعراق للخروج، كان هو نفسه لا يمتلك المؤهلات القيادية لمثل هذا التمرد الواسع الكثيف العدد الراقي في العدة المتعدد الطوائف والمتنوع المشارب فلم يمتلك إبن الأشعث صفات قيادية من بعد نظر، وثاقب فكر، وتقدير للأمور، وقراءة المستقبل، وثبات في الموقف، وظهر ذلك عندما اشترى ود رتبيل الكافر بولائه لقائده المسلم الحجاج(١٧٧).

وفشل أيضا في قيادة جيش قوي العدد وكامل العدة، فإن إبن الأشعث رغم عراقته وشرف نسبه، لم يكن قرشيا ولا مضريا، وخاصة أن المضرية آنذاك كانوا عصبية العرب ومركز قوتها. ولم يكن من أصحاب الزعامات الدينية التي يستعذب الناس الموت في سبيلها(١٧٨).

ثانيا: غياب الهدف المشترك الذي يجمع كافة طوائف التمرد:

كان من جوهر أسباب فشل التمرد غياب الهدف العام المشترك الذي يطوي هذه الطوائف المتباينة تحت جناحيه(١٧٩)، فهذه الجموع وإن جمعها الصف، فإن الصف

(١٧٥) انظر دور القراء في ثورة إبن الأشعث: دراسات في العصر الأموي – الرفاعي ص ١٨٣، ٢١٤، المعارضة في العصر الأموي ص١٨٩.

(١٧٦) عن أمثلة من تلك التحريضات انظر الأخبار الطوال ٣١٦ – ٣١٧.

(١٧٧) يجوز للمسلم أن يستعين بالكافر المؤتمن الثقة التي تتوافر فيه الأخلاق الأساسية في المسائل التقديرية الذي تقدر بقدرها وفق معايير وضوابط معينة منها: تحقق مصلحة للمسلمين أو رجحانها بهذه الاستعانة، أن يكون المستعان به تابعًا لقيادة المسلمين، لا متبوعا، ومقودا فيها لا قائدا، وأن لا تكونَ هذه الاستعانة مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة، وبمن يستعان به، فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، كما استعان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق بعبد الله بن أريقط المشرك ليدلهما على طريق الهجرة. انظر/ عبد الكريم زيدان – المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة – مؤسسة الرسالة ط١ سنة ١٩٩٧ ٢/١٠٨، د/ علي محمد الصلابي – السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة – ط١ سنة ٢٠٠١م ١/٣٤٠ والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لمشرك استأذنه في اللحاق بجيش المسلمين ((ارجع فلن أستعين بمشرك)). انظر/ د/إكرام العمري، السيرة النبوية الصحيحة – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط١ سنة ١٩٩٢م ١/٣٥٥ المستفاد من القصص القرآني ١/١٤٤ -١٤٥، السيرة النبوية للصلابي ٢/٧٥.

(١٧٨) دراسات في العصر الأموي ص١٥٢.

(١٧٩) تتمثل هذه الطوائف في القائد عبد الرحمن بن الأشعث ورفاقه والعلماء والشيعة والموالي والجند.

وحده لا يكفي لأنه يجمع الأبدان، ولابد له من رؤية كاملة وهدف واحد عام مشترك يجمع القلوب كما جمع الصف الأجسام، لذلك تفرقت الأهداف بتفرق طوائف التمرد، فالقائد العسكري إبن الأشعث هدفه شخصي بحت إزالة الحجاج من طريقه، وإيجاد مكان قيادي يرى فيه نفسه، لذلك وافق على مبادرة عبد الملك فورا، أما القيادة الروحية وهم ثلة العلماء فكان هدفهم بسيطاً وقصيراً وهو الانتصار على الحجاج، ولكن لم تكن لهم رؤية مستقبلية واضحة المعالم فيما بعد الانتصار على الحجاج، وما هي معالم التعاطي مع عبد الملك بعد الحجاج؟، هل سيكون إبن الأشعث هو الخليفة؟، وهل سيوافق على ذلك سائر الولايات الإسلامية لاسيما أهل الشام؟(١٨٠). أما الشيعة الذين انضووا تحت هذا التمرد فكانوا يهدفون إلى نصرة مذهبهم فقط دون النظر إلى الأهداف الأخرى للتمرد، وأما الموالي فكانوا يرنون إلى تحسين أوضاعهم ولو على حساب أي شيء آخر، ورأوا أن تحقيق ذلك يتم بالانضمام إلى التمرد للتخلص من الحجاج ومظالمه، أما الجند فكان هدفهم إحراز نصر سريع على الحجاج والعودة إلى نسائهم وأولادهم سالمين غانمين، فإن لم يتحقق شيء من ذلك انحازوا ولاذوا بالفرار إلى أهليهم وذويهم كما أشار المؤرخون(١٨١).

ثالثا: غياب عنصر التخطيط في مراحل التمرد المختلفة:

فما من عمل يرجى له النجاح والتوفيق، بدون أن يكون القائمون عليه قد أخذوا بكافة الأسباب المتاحة أمامهم لإنجاح العمل ثم حددوا أهدافه ومراحله وأولوياته، بل وسائله كذلك، ثم التوكل على الله تعالى، وهذا هو التخطيط، فهو الأسلوب الأمثل في إدارة أي تنظيم قوي ناجح، فالتخطيط هدفه استخدام الموارد المتاحة بشرية ومادية على أفضل وجه ممكن وفي أقصر زمن ممكن، وبأقل تكلفة ممكنة(١٨٢). ولكي يكون التخطيط متكامل العناصر يجب أن تتوافر له عناصر أساسية، منها: تحديد الأهداف، تحديد الوسائل، تحديد الأفراد، تحديد الأعمال تحديد التكاليف، تحديد الزمان والمكان والبدائل والمرونة في التنفيذ(١٨٣). هذه العناصر وغيرها لم يتوافر كثير منها لتمرد إبن الأشعث. (فلم يكن هناك وجود تنظيم قوي يتحكم في توجيه الثوار وفق الأهداف

---

(١٨٠) الدولة الأموية للصلابي ٦٩١/١.

(١٨١) تاريخ الطبري ٦٢٤/٣، الكامل في التاريخ ٢٠٠/٤، البداية والنهاية ٣٦/٩، دراسات في العصر الأموي ص١٥١.

(١٨٢) د/ علي عبد الحليم محمود – فقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء – المنصورة ط١ سنة ١٩٩٠ ٥٦٣/٢.

(١٨٣) عن مبادئ التخطيط وعناصره، وفاعلياته، وأهدافه، وملفاته. انظر/ هشام الطالب – دليل التنمية البشرية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ١٩٩١م ص١٠٥: ١٢٠.

المرسومة من القادة[١٨٤]. ودليل ذلك أن التمرد مر بمنعطفات خطيرة لم يكن مخطط لها ولا موضوعة أصلاً في الحسبان، فالمراحل التي مر بها التمرد كانت تتغير تبعا لما يحدث من تطورات، فالمرحلة الأولى اعترض ابن الأشعث فيها على أمر الحجاج بالتوغل في بلاد الترك، ثم تهديد الحجاج بعزله وتولية أخيه بدلاً منه، ثم يعرض إبن الأشعث سوء رأي الحجاج على الجيش حتى يفوز برضاه وبيعتهم له[١٨٥]، ثم هو التمرد[١٨٦] بمرحلة ثانية لم يكن زمانها ولا مكانها الآن وجاءت أوسع وأكبر من إمكانات المتمردين وهي خلع الحجاج[١٨٧]، ثم مر التمرد بمرحلة أخرى لم تكن في الحسبان وجاءت أوسع وأكبر من إمكانات المتمردين، وهي خلع عبد الملك لما استولى المتمردون على فارس[١٨٨]، وكانت هذه المرحلة أخطر من مراحل التمرد، ولم يكن هذا في حسبان المتمردين بل جاءت لما قوى أمرهم وزاد عددهم، ونظرا لخطورة الموقف، دخل التمرد مرحلة فاصلة للطرفين لمّا أعلن عبد الملك بن مروان استعداده لتلبية مطالب المتمردين بخلع الحجاج، وتولية إبن الأشعث ما شاء من بلاد العراق، أيضا لم تكن هناك خطط موضوعة لمثل هذه التطورات المهمة التي تمثل مفاصل التمرد[١٨٩].

رابعًا: أسباب تعود إلى الجيش العراقي بقيادة إبن الأشعث:

فلم تكن هناك قيادة واحدة منظمة تتحكم في توجيه المتمردين وفق خطط مرسومة تنفذ وتتابع وتقوم الأخطاء وتسدد الثغرات أولا بأول والسبب هو أن الجيش كان يحوي طوائف متعددة لكل منهم قيادة خاصة وإن كانت تسير تحت القيادة العامة لإبن الأشعث ولكن كان ولكل منهم وجهة هو موليها، فتحكم في الجيش أصحاب الدوافع الإقليمية والميول المذهبية بالحركة تحت ستار الهدف العام وهو التخلص من الحجاج بن يوسف وسطوته[١٩٠]. نتج عن ذلك تناقضات وارتباكات وقعت في سير المعركة كما حدث في دير الجماجم حين حملت ميمنة الحجاج على ميسرة بن الأشعث بزعامة الأبرد بن قرة الذي فر بدون قتال منهزما بميسرته فظن الناس أنه كان قد تواطأ مع الحجاج على أن

---

(١٨٤) الدولة الأموية للصلابي ٢/ ٦٩١.

(١٨٥) تاريخ الطبري ٣/ ٦٢٢، المنتظم ٦/ ٣٢٥، الكامل في التاريخ ٤/ ١٩٨، البداية والنهاية ٩/ ٣٥، سمط النجوم العوالي ٣/ ٢٦٩.

(١٨٦) تاريخ الطبري نفسه، المنتظم - نفسه.

(١٨٧) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧٧، تاريخ الطبري ٣/ ٦٢٤، المنتظم ٦/ ٣١٨، الكامل في التاريخ ٤/ ١٩٨، البداية والنهاية ٩/ ٣٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٦١.

(١٨٨) البدء والتاريخ ٦/ ٣٥.

(١٨٩) تاريخ الطبري ٣/ ٦٣٠، الكامل في التاريخ ٤/ ٢٠٤.

(١٩٠) الدولة الأموية للصلابي ٦/ ٣٥.

ينهزم بالناس، لأنه كان شجاعا، ولم يكن الفرار له بعادة، فلما فر الأبرد تقوضت الصفوف من جهته وركب الناس بعضهم على بعض ولاذوا بالفرار في كل وجه، وفشلت جهود عبد الرحمن في لم شعثهم(١٩١).

خامسًا: أسباب تعود إلى الدولة الأموية ذاتها:.

لقد تضافرت ثلاثة عوامل أسهمت في نصرة الدولة الأموية على تمرد إبن الأشعث وسحقه أولها:- جند الشام أنفسهم الذين سيَّرهم عبد الملك إلى الحجاج كانوا أكثر طاعة والتزاما من جند العراق وأقوى تدريبا، وأحسن قيادة، وأحكم تدبيرا، فكانوا قوة واحدة، وليسوا كجيش إبن الأشعث تيارات متعددة الطوائف متباينة الأهداف(١٩٢).

ومن هذه العوامل شخصية الحجاج القوية وصموده الدائم رغم هزيمته في أكثر المواقع العسكرية إلا أنه كان يمتص الصدمة ويستوعب الدرس ويستفيد منه لغيره وسرعان ما يفيق إذا أخطأ ويستفيد من خطئه كما استفاد من نصيحة المهلب بالخروج من البصرة وتركها لجيش إبن الأشعث بعد أن رفضها قبل ذلك، فلم يصبه اليأس من كثرة الهزائم التي نالها من إبن الأشعث (ومع أن أهل العراق كسروا أصحاب الحجاج بضعًا وثمانين مرة، إلا أن الحجاج كان ثابتا في مكانه صابرا ومصابراً، لا يتزحزح عن موضعه الذي هو فيه، إذا ظفر في يوم من الأيام فينفذ بجيشه نحو عدوه، وكان له خبرة بالحرب)(١٩٣).

ويأتي على قمة هذه العوامل شخصية الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فكان يتمتع بصفات القيادة من بعد نظر وفكر ثاقب وسعة صدر، وذكاء سياسي لاحتواء الخلافات، فقد مال للصفح والمسالمة والمسامحة، حين نزل عن رغبة أهل العراق بعزل الحجاج حقنًا للدماء وتوحيدا للجبهة الداخلية، فكان هذا العرض منه لأهل العراق ولابن الأشعث سببا في حدوث البلبلة واختلاف الآراء في صفوف إبن الأشعث ومن ناحية أخرى كان قد أعد جيشين من أهل الشام كحل آخر للمشكلة وسلم قيادته لأقرب الناس إليه، أخيه محمد وولده عبد الله وأمرهما بالتقييد بأوامر والي العراق(١٩٤).

---

(١٩١) تاريخ الطبري ٦٣٨/٣، الكامل في التاريخ ٢١٢/٤، البداية والنهاية ٤٧/٩.

(١٩٢) دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص١٥٢.

(١٩٣) البداية والنهاية ٤٧/٩.

(١٩٤) شهادة الناظور – تجديد الدولة الأموية – دار الكندي – إربد – الأردن – ط١ سنة ١٩٩٦م ص١٣٢، الدولة الأموية للصلابي ٦٩١/١.

تمرد/ قتيبة بن مسلم الباهلي[195] سنة ٩٦هـ/٧١٤م في خراسان:

يُعد قتيبة بن مسلم الباهلي الأمير أبو حفص، بحق من أعظم القادة الفاتحين، الذين عرفهم التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ الدولة الأموية خاصة، حيث كان من الأبطال الشجعان ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء[196]. ففي عشر سنين فتح أقاليم شاسعة من آسيا الصغرى، وهدى الله على يديه خلقًا كثيرًا أسلموا ودانوا لله عز وجل[197]. فكان يحرص على بناء المساجد في البلاد المفتوحة، ويقوم بتسكين المسلمين الفاتحين وسط السكان الأصليين لنشر الإسلام وسطهم عن طريق التعليم والاحتكاك بهم كما فعل في بخارى[198] سنة ٩٠هـ/٧٠٨م على سبيل المثال – كما كان يحرص على أن يكون في جيشه العلماء العاملون وأصحاب الصلاح والخير[199]، ومن اشتهر من هؤلاء، معه وارتبط اسمه باسمه هو محمد بن واسع أحد العلماء الربانيين المجاهدين المشهورين بالزهد والورع والخشوع[200]، فلما ضاق قتيبة بحصار الترك وهاله أمرهم، وقد أخذ

(١٩٥) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد بن قضاعي الباهلي، يكنى أبا حفص، ولد سنة ٤٩ هـ كان أبو مسلم يقاتل مع مصعب بن الزبير بالعراق، وكان قتيبة أحد أبطال الفتح الإسلامي الشجعان فقد فتح الله على يديه خوارزم وبخارى وسمرقند بالمشرق، ثم افتتح فرغانة بالصين وكذلك بلاد الترك، وقد ولي خراسان عشر سنين، وله رواية عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، ونال أعلى المراتب لا بنسبه – فقبيلته في مكانة متواضعة بين القبائل العربية – بل بكمال حزمه وعزمه وإقدامه ورجاحته ووفور هيبته، وقتل سنة ٩٦ ودفن بفرغانة بالصين وقبره هناك. انظر الأنساب ٢٧٥/١، سير أعلام النبلاء ٤١٠/٤، الوافي بالوفيات ١٩٤/١٥، مرآة الجنان ١٩٩/١.

(١٩٦) عبد الشافي محمد عبد اللطيف – العالم الإسلامي في العصر الأموي – ط٣ سنة ١٩٩٦م الناشر دار الاتحاد التعاوني – مصر ص٣٤١.

(١٩٧) البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(١٩٨) بخارى بالضم بخراسان وأصلها بخاراء وهي من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر (ميجون) وأجلها وبينها وبين جيجون يومان وبينها وبين مرو اثنتا عشرة مرحلة وإلى خوارزم خمسة عشر يوما وبينها وبين سمرقند سبعة أيام و٣٧ فرسخا بينها وبين بلاد الصغد وإليها نسب إليها الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، انظر معجم ما استعجم ٢٢٩/١، معجم البلدان ٣٥٣/١.

(١٩٩) كان أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي سنة ٥٩٥هـ بالمغرب والأندلس يتشبه بقتيبة فكان يخرج مع جيش أهل الصلاح والخير ويشير إليهم ويقول: "هؤلاء هم الجند ويشير إلى العلماء لا هؤلاء ويشير إلى العسكر" انظر: عبد الواحد بن علي المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين – مطبعة الاستقامة – القاهرة ط١ سنة ١٣٦٨هـ - تحقيق: محمد سعيد العريان وآخرون ٢٨٦/١٠.

(٢٠٠) هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن عابد بن خارجه بن زياد بن شمس من ولد عمر بن نصر ابن الأزد يكنى أبو عبد الله، ويقال أبا بكر عابد البصرة احد الأئمة العباد من الطبقة الثالثة، كان لا يقدم عليه أحد من أهل زمانه في العبادة والزهد والورع كان يصوم صيام الدهر ويخفي ذلك، كان الحسن البصري يسميه سيد القراء وكان يعرف بزين القراء، روى عن أنس بن مالك وغيره، وروى عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، مات سنة ١٢٠هـ بعد موت الحسن البصري بعشر سنين. طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤١ – ٢٤٢، المعارف ١/ ٤٧٧، تاريخ دمشق ١٣٨/٥٦، ١٤١، صفة الصفوة ٣/ ٢٦٧، المنتظم ٢٠٤/٧، الوافي بالوفيات ٥/ ١١٣، النجوم الزاهرة ١/ ٢٨٥.

بأسباب النصر المادية المتاحة، فلم يكن أمامه سوى التوكل على الله سبحانه وتعالى والتوسل إليه بالصالحين، فأخذ يسأل عن أصحاب الصلاح والخير والورع في جيشه ليتوسل إلى الله بهم حتى يتنزل عليهم نصره، فسأل عن محمد بن واسع، فوجده مستغرق في مناجاة الله يسأله النصر، فاطمأن قلبه، وقوي أمله في النصر وقال كلمته المشهورة "إن هذه الإصبع أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير(٢٠١) وشاب طرير"(٢٠٢).

هذا هو قتيبة بن مسلم الرجل الذي قيل عنه: "ما انكسرت له راية، فكان من المجاهدين في سبيل الله، اجتمع له من العسكر ما لم يجتمع لغيره"(٢٠٣). وكان من نتائج فتوحاته العظيمة انتشار الإسلام في آسيا الصغرى، عن طريق بخارى وسمرقند(٢٠٤) سنة ٩٣هـ/٧١١م وإقليم خوارزم(٢٠٥)، التي كانت مركز إشعاع الإسلام والعربية، فظهر بينهم عدد من الكتاب والمحدثين والفقهاء والمؤرخين، ممن لا يزال ذكرهم خالدا وآثارهم عظيمة في تاريخ الإسلام(٢٠٦).

وكان من نتائج فتوحات قتيبة وجهوده في نشر الإسلام أن ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي خراسان سنة ٨٦هـ فبعد موت المهلب بن أبي صفرة واليها سنة ٨٢هـ/٧٠١م، كان قد استخلف ابنه يزيداً بن المهلب عليها، وأقره (عبد الملك بن مروان ٧٣ – ٦٩٢/٨٦ – ٧٠٥م) وفي سنة ٨٦هـ/٧٠٥م عزل الحجاج يزيداً بن المهلب عن خراسان،

---

(٢٠١) تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – هجر للطباعة والنشر – ط٢ سنة ١٤١٣هـ - تحقيق/ د/محمود الطناحي وآخر ١٨٠/٣.

(٢٠٢) طرير/رجل طرير أي ذو هيئة حسنة وجمال، وهي أيضا تقال للرجل جميل الوجه، انظر النهاية في غريب الأثر ١١٩/٣، لسان العرب ٤٩٩/٤.

(٢٠٣) البداية والنهاية/ ١٦٧/٩.

(٢٠٤) سمرقند: من مدن خراسان بل من أكثرها وأحسنها جمالا مبنية على شاطئ وادي القصارين، يشتهر أهلها بالمشاغبات على الأمراء، انظر: محمد بن أحمد المقدسي ت سنة ٣٩٠هـ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – وزارة الثقافة – دمشق سنة ١٩٨٠م – تحقيق غازي طليمات ٢٢٣/١، نزهة المشتاق ٤٩٧/١، رحلة إبن بطوطة ٤٢٠/١.

(٢٠٥) خوارزم: هي اسم لإقليم يشمل عدداً من مدن وقرى، وهي تتبع بلاد خراسان تقع خارج نهر جيجون وتعد من أكبر مدن الأتراك وأعظمها فأرضها سهله لا جبل فيها ولذلك تسمى خوارزم ويقال سميت بذلك لأنهم يسمون اللحم خوار والحطب رزم فأدمجوهما فسميت خوارزم، أما أهلها فهم أهل فهم وعلم وفقه وأدب يمتاز فقهاؤها أن أقلهم كان له تلاميذ، كانت لهم عادة حسنة في صلاة الجماعة مستمرة من قديم الزمان وصفها إبن بطوطة حيث أن جميع المؤذنين في مساجدها يطوف كل منهم على دور جيران المسجد ليعلمهم بحضور الصلاة، ومن لم يحضر الجماعة مع الإمام بالمسجد يضربه بالدرة أمام جمع من المصلين حيث كان بكل مسجد درة مخصصة لذلك ثم يغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح الجامع أو يطعم بها الفقراء والمساكين، وكانوا يسمون الدراهم طازجة والخبز بكند. انظر عن ذلك أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد سنة ٣٥٠هـ رحلة إبن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ - مديرية إحياء التراث – دمشق سنة ١٩٧٩ ط ٢ – تحقيق د/سامي الدهان – ١١١/١، أحسن التقاسيم ٢٢٥/١، ٢٢٧، رحلة إبن بطوطة ٤٠٠/١.

(٢٠٦) الدولة الأموية للصلابي ٤٧/٢.

وولى إخوة المفضل بن المهلب، ثم سرعان ما عزله أيضا [٢٠٧]، وولى مكانه على خراسان قتيبة بن مسلم الذي كان عاملا للري، وولى على سجستان أخاه عمر بن مسلم، وواصل قتيبة فتوحاته في إقليم الشاس[٢٠٨] وفرغانة[٢٠٩] وتم فتحها سنة ٩٥هـ/٧١٣م، وعندئذ جاءته الأخبار بموت الحجاج في شوال من تلك السنة، فاغتم لموته، لما له من أفضال عليه فقد كان يجد من التأييد والتشجيع والمساندة، وأبطأ قتيبة من مواصلة الغزو منتظرا ما تأتي به الأقدار بعد موت الحجاج، كان الخليفة الوليد يعرف طبيعة العلاقة بين الحجاج وقتيبة[٢١٠]، وأن للحجاج دورًا كبيرًا في نجاح قتيبة في مهمته، فقدَّر وقوع نبأ موته عليه، فأرسل إليه يواسيه ويشجعه ويثني عليه ويحثه على استكمال مسيرة الفتوحات[٢١١]، وقد وقعت هذه الرسالة في نفس قتيبة موقعا عظيما دفعه لقصد الصين وتم له فتح بعض مدنها مثل فرغانه وكاشغر[٢١٢] في أوائل سنة ٩٦هـ/٧١٤م، حتى أرسل له ملك الصين يطلب وفدا يعرف منه خبرهم فأرسله إليهم وأقسم أن لا ينصرف حتى يطأ أرض ملك الصين، يختم ملوكهم، ويأخذ الجزية منه، ففاوض ملك الصين الوفد على الرجوع عن أرضه بعد أن كان قد هددهم بالانصراف، ولكن أمام شجاعة قائد الوفد هبيرة بن المشمرج الكلابي[٢١٣]، وعزته، تراجع عن تهديده وعرض عليه أن يُخرِّج قتيبة من يمينه، بأن يرسل له تراباً من أرضه يطؤه، ويبعث بعض أبنائه لقتيبة فيختمهم، ويبعث له الجزية التي يرضاها، وهنا وصل نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك إلى سمع قتيبة فانكسرت همته وقبل عرض ملك الصين عليه[٢١٤]. وحينئذ بدأ قتيبة بن مسلم يفكر مليا في التمرد على الخليفة الجديد (سليمان بن عبد الملك ٩٦: ٩٩هـ/٧١٤ –

---

(٢٠٧) وقعت نفرة بين الحجاج وآل المهلب، كان من آثارها أن استطاع الحجاج أن يأخذ موافقة الخليفة عبد الملك ابن مروان على عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، بعد أن اتهم آل المهلب بأنهم على طاعة ابن الزبير وقد كانوا حاربوا معه، ومن ثم فإن الحجاج خوف عبد الملك من غدره، فعزله سنة ٨٥هـ وولى مكانه أخاه الفضل ثم عزله وولى مكانه قتيبة بن مسلم تاريخ ابن خلدون ٦٩/٣.

(٢٠٨) إقليم الشاس: تقع فيه وراء نهر سيجون وهي متاخمة لبلاد الترك وهي من كور خراسان، معجم ما استعجم ٧٧٥/٣، معجم البلدان ٣ ١٠٨.

(٢٠٩) فرغانة/ مدينة وكورة وسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان بينها وبين سمرقند مسافة خمسون فرسخا، معجم البلدان ٤ ٢٥٣.

(٢١٠) ويذكر ابن عساكر أن قتيبة سمي ولدا من أولاده باسم الحجاج، وذلك لحبه له، تاريخ دمشق ١٢ ١١٢، وكان الحجاج قد أوصى قتيبة عند وفاته بطاعة الوليد ولزوم الجماعة، تاريخ ابن خلدون ٨٣/٣.

(٢١١) تاريخ الطبري ٤ ٣:.

(٢١٢) كاشغر: تقع وسط بلاد الترك من المدن العظام في تخوم الصين وأهلها مسلمون، معجم البلدان ٤ ٤٣٠، وفيات الأعيان ٥ ٥٧.

(٢١٣) تاريخ الطبري ٤ ٣٠

(٢١٤) البداية والنهاية ٩ ٢٤٠.

٧١٧م) وعزم على ترك مبايعته[٢١٥]، وذلك لأسباب كثيرة تجمعت كلها عنده فخاف من سليمان وعزم على أن يخرج عليه ومن ذلك:

أولاً: موقفه من الخليفة الوليد بن عبد الملك قبل وفاته، لما عزم على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد، ليولي مكانه ابنه عبد العزيز بن الوليد، فوافقه قتيبة والحجاج وبعض رجال الدولة والشعراء على ذلك، ولكن الله لم يمهل الوليد حتى يتمكن من تحقيق تلك الخطوة فوافته المنيّة في جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ/٧١٤م، فتولى سليمان بن عبد الملك زمام الخلافة، فتعجل قتيبة مخافته[٢١٦].

ثانياً: بلغ قتيبة أن سليمان بدأ في عزل عمال الوليد وعمال الحجاج عن ولاياتهم، وولى غيرهم عليها[٢١٧]، ولكن وحتى هذا الوقت لم يصل إلى قتيبة ما يفيد بأنه سيعزل عن خراسان، بل العكس هو الصحيح فقد كان سليمان يرغب في رأب الصدع، ولأم الجرح، والبعد عن حدوث فتنة، وهو يعلم مكانة وقدر قتيبة، ويثمن له ما بذله من جهد في سبيل الفتح ونشر الإسلام، لذلك لم يطلع قتيبة أحداً قط على ما نوى عليه قتيبة من خلفه! خلع سليمان، إلا أنه في أول ولاية سليمان خطب قتيبة الناس قائلاً: "أنه قد وليكم هبنقة العائشي" [٢١٨].

خلاصة القول، أنه لما بلغه ولاية سليمان كتب إليه كتابا يعزيه في موت أخيه الوليد، ويهنئه بالخلافة، ويذكر سليمان فيه ببلائه وعنائه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء وفتوحاته وأنه له على مثل ما كان من الوليد من الطاعة والنصيحة ما لم يعزله عن خراسان، ثم نال في هذا الكتاب الأول من يزيد بن المهلب، حيث ذكر غدره وقلة شكره وكفره[٢١٩]. ولما فرغ قتيبة من كتابة هذا الكتاب أردفه بكتاب ثان ذكر فيه ما في الكتاب الأول من فضله وفتوحاته وهيبته في صدور الأعداء إلا أنه كما يذكر الطبري أثنى على يزيد بن المهلب[٢٢٠]، ولكنه أقسم على سليمان لئن عزله عن خراسان

---

(٢١٥) تاريخ خليفة ٣١٨/١، المعارف ٤٠٦/١ ـ ٤٠٧، تاريخ اليعقوبي ٢٨٩/٢، وفيات الأعيان ٣٩٥/٦ ـ ٣٩٦.

(٢١٦) امتدح بعض الشعراء فعل الخليفة وراحوا يضعون القصائد في مدح عبد العزيز ابنه ومن ذلك قول بعضهم:

إذا قيل أي الناس خير خليفة * أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلهم بها * وما ظلموا فبايعوه وسارعوا

انظر تاريخ الطبري ٣٤/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤، وفيات الأعيان ٢٩٥/٦، تاريخ ابن خلدون ٨٦/٣.

(٢١٧) تاريخ اليعقوبي ٢٩٥/٢، وفيات الأعيان ٣٩٥/٦ ـ ٣٩٦.

(٢١٨) هبنقة العائش ذو الودعات: هو يزيد بن ثروان كان رجلا أحمق، يضرب به المثل في الحمق بنو قيس بن ثعلبة يؤثر سمان الإبل بالعلف والمرعى ويقول أنا لا أصلح ما أفسد الله، وكان سليمان بن عبد الملك يعطي ويصطنع أهل النعم واليسار ويدع من سواهم، فكنى مثله هبنقة، فتوح البلدان ٤١١/١ ـ ٤١٢، تاريخ الطبري ٣٥/٤، وفيات الأعيان ٣٢١/٤، لسان العرب ٣٦٥/١٠، مرآة الجنان ٢١١/٣.

(٢١٩) تاريخ الطبري ٣٥/٤، البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(٢٢٠) تاريخ الطبري ٣٥/٤. إلا أن البداية والنهاية يذكر أنه ذم يزيدا أيضا في هذا الكتاب ١٦٧/٩.

ليخلعنّه عن الخلافة ويتمرد عليه، ثم تابع هذا الكتاب بثالث يخبره فيه بأنه قد خلعه بالفعل بالكلية، على حد قول إبن كثير[٢٢١]، في حين ينقل لنا الطبري أنه قال له (إن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل، ولأملأنها عليك خيلا ورجلا)[٢٢٢]. ثم بعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة قبيلته وقال له: ادخل على سليمان وادفع إليه الكتاب الأول، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه بالكتاب الثاني وهو ما حدث بالفعل حيث قرأه سليمان ودفع به ليزيد فأعطاه الرجل الكتاب الثاني فقرأه أيضا ودفع به إلى يزيد، فأعطاه الرجل الكتاب الأخير، فتغير وجه سليمان وأمسك الكتاب بيده ولم يدفعه إلى يزيد، ثم ختمه حتى لا يفتح، ثم أمر بالرسول فأنزل دار الضيافة، فلما كان الليل أرسل إليه فأحضره، ودفع إليه ذهبا وقيل دنانير، وأعطاه كتابا يسلمه إلى قتيبة فيه ولايته على خراسان، ثم أرسل مع الباهلي رسولاً من جهته حتى يطمئن قتيبة على تثبيته بخراسان[٢٢٣].

إلا أن قتيبة لما بلغه فعل سليمان بنظرائه وقصده عمال الوليد وعمال الحجاج، جمع إخوانه وأهل بيته يستشيرهم في خلع سليمان من الخلافة[٢٢٤]، فأشار عليه أخوه عبد الرحمن بن مسلم أن يوجه جيشا فيه كل من يخافه، ويوجه قوما إلى مرو[٢٢٥]، وأن يسير قتيبة حتى ينزل سمرقند ويقول لمن نزل معه: (من أحب المقام فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء، فلا يقيم معك إلا مناصح ولا يختلف عليك)[٢٢٦]، في حين أشار عليه أخوه عبد الله بن مسلم أن يخلع سليمان في المكان الذي هم فيه بفرغانة (اخلع مكانك فلا يختلف عليك رجلان)[٢٢٧]. فسمع قتيبة لمشورة عبد الله وخلع سليمان مكانه ودعا الناس إلى خلعه، وكان معه في هذا المقام عبد الله بن الأهتم التميمي[٢٢٨]، الذي سرعان ما هرب من معسكر قتيبة إلى سليمان يرفع إليه الأمر على

---

(٢٢١) البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(٢٢٢) تاريخ الأمم والملل ٣٥/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤.

(٢٢٣) تاريخ الطبري ٣٥/٤، وفيات الأعيان ٢٩٥/٦، البداية والنهاية ١٦٧/٩/ إبن خلدون ٧٤/٣.

(٢٢٤) إيمان محمود الشراكي – الدور السياسي والحضارة لقبيلة باهلة – رسالة ماجستير آداب طنطا سنة ٢٠٠٧م – رقم ١٢٣٩ – ص ٢١١.

(٢٢٥) مرو هي مدينة مرو الروز بفارس تقع على نهر عظيم. واختلف في تفسير الاسم فالبكري يقول إن مرو معناها بالفارسية المرج والروز الوادي فتكون معناها (وادي المرج)، في حين يقول ياقوت الحموي إن مرو تعني الحجارة البيض التي تقدح بها النار، والروز بالفارسية النهر (مدينة النهر)، وهي غير مرو الشاهجان الكبيرة، وبالروز مات المهلب بن أبي صفرة – انظر معجم ما استعجم ٢١١٦/٤، معجم البلدان ١١٢/٥.

(٢٢٦) تاريخ الطبري ٣٥/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤.

(٢٢٧) الكامل في التاريخ ٤ ٢٩٤.

(٢٢٨) هو عبد الله بن سنان (الأهتم) بن خالد بن منقر ينتهي نسبه الى زيد بن تميم أبي معمر المنقري. تاريخ دمشق ٢٧ ١٠٧.

عجل، فما كان من قتيبة إلا أن انتقم من أهل بيته[٢٢٩] وأمر قتيبة أن ينادي في الناس حتى يجتمعوا عنده في المكان والوقت المحددين حتى يدعوهم إلى ما عزم عليه، وهنا يذكر خليفة بن خياط أن بعض الناس لما سمعوا دعوة قتيبة لهم تنبأوا له بالمصير الذي آل إليه أخيرًا فيقول (لما سار الناس إلى قتيبة لما جمعهم لخلع سليمان قال الحضين بن المنذر[٢٣٠] لعبد الله بن حاضر الأسيدي، ما صنع القوم؟ قال له: ما أراه إلا قاتليه إن هم وصلوا إلى قتله)[٢٣١].

وحقا جمع قتيبة الجند جيش والجيوش، وخطب فيهم يذكرهم همته وفتوحاته وعدله فيهم وبذله إليهم الأموال الجزيلة، وأثره الحسن فيهم وسوء أثر من تقدمه[٢٣٢]. فلما فرغ من مقالته لم يجبه أحد إليها، فغضب قتيبة وشرع في تأنيبهم وذمهم قبيلة قبيلة، وطائفة طائفة، فغضب الناس لشتمة إياهم[٢٣٣].

فنفروا عنه وتفرقوا من حوله وعملوا على مخالفته، وكرهوا خلع سليمان، وأجمعوا على خلع قتيبة وسعوا في التخلص منه، ويأتي على رأس هؤلاء قبيلة الأزد الذين أتوا حصيناً بن المنذر فقالوا:

"إن خلع الخليفة فيه فساد الدين والدنيا، إلى جانب أنه شتمنا، فما ترى[٢٣٤]؟ فقال: إن مضر بخراسان كثيرة وتميم أكثرها وهم فرسان، ولا يرضون أن يسير الأمر في غير مضر، فقالوا: فمن ترى أحق بالأمر؟ قال: وكيع بن أبي الأسود التميمي"[٢٣٥]. في وقت كانت القبائل قد انفضت من حول قتيبة فلم يبق معه سوى أهل بيته وخواص أصحابه وثقاته، مما جعل قتيبة يأمر مناديا أن ينادي على القبائل: أين بني كذا؟ أين بنو كذا؟ فيرد مناديهم: هم حيث وضعتهم، فناشدهم قتيبة الله والرحم، قالوا: أنت قطعتها، فأمر أن يقول المنادي: لكم العقبى؟ قالوا: لا أقاء الله لنا إذن. فأنشد قتيبة يقول:

---

(٢٢٩) تاريخ اليعقوبي ٢٩٥/٢.

(٢٣٠) هو الحصين بن المنذر بن وعلة بن ذهلة بن شيلان لقبه أبو ساسان الرقاش، ويكنى أبا مجد، سمع من عثمان وعلي – رضي الله عنهما – وروى عنه الحسن البصري، تاريخ دمشق ٣٩٠/١٤، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٨٣٦/٦.

(٢٣١) تاريخ خليفة ٣١٣/١.

(٢٣٢) انظر نص تلك الخطبة في فتوح البلدان ٤١٢/١ تاريخ الطبري ٣٦/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤.

(٢٣٣) لما غضب الناس من قتيبة اعتذر لهم من ذلك وقال: (إني غضبت فلم أدر ما قلت، وما أردت لكم إلا الخير فتكلموا وقالوا إن أذن لنا في القفول كان خيرا له وإن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه) فتوح البلدان ٤١٢/١.

(٢٣٤) كان الحصين هذا محل استشارة قتيبة في أموره، في حين كان الحصين ينطوي على بغض لقتيبة، انظر بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٨٣٦/٦.

(٢٣٥) هو أبو المطرف وكيع بن حسان بن قيس بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك التميمي من غدانة، انظر الإصابة ١٩٤/٧، سمط النجوم ١٣٣/٣، وفيات الأعيان ٨٧/٤-٨٨.

يا نفس صبرا على ما كان من ألم * إذ لم أجد لفضول العيش أقرانا[٢٣٦]

انفض الجمع من حول قتيبة وولوه الدبر ليجتمعوا حول وكيع بن أبي الأسود، الذي كان يجالس قتيبة ويسامره[٢٣٧]، ويخرج معه في مواكبه مسبحا لله آلاف المرات على أصابعه ولا يعلم تسبيحه إلا من دنا منه[٢٣٨]. فلما تطورت الأحداث على ما أصبحت عليه بالنسبة إلى قتيبة واختلف عليه جيشه، انقلب عليه وكيع ابن الأسود وألب عليه الناس، لاسيما وأن قتيبة كان قد عزله عن رياسة تميم فحقد عليه وسعى في تأليب الجند سرا عليه بعدها[٢٣٩]، ناهيك عن أن قتيبة كان قد انتقم من أهل بيت عبد الله بن الأهتم التميمي "فقتل بعضهم وقطع أيدي آخرين وأرجلهم من بني تميم"[٢٤٠]، إذن حانت الفرصة لوكيع كي ينتقم لنفسه ولبني تميم ولسليمان من قتيبة، فجمع له الجموع الكثيرة، ثم ناهضه فلم يزل به حتى شد عليه في عشرة فرسان من تميم فقتله في ذي الحجة سنة ٩٦هـ/٧١٤م وهو ابن ثمانية وأربعين سنة[٢٤١] وقتل معه أحد عشر رجلا من إخوته وأبناء إخوته، ولم يبق منهم سوى أخيه لأبيه ضرار بن مسلم[٢٤٢]، وأخيه عمرو بن مسلم حيث كان عاملا على الجوزجان[٢٤٣]. بينما قتل من أبناء مسلم الباهلي: قتيبة، وعبد الرحمن، وعبد الله، وعبيد الله، وصالح، وبشار، ومن تبقى من القتلى كانوا من أبنائهم، فتلهم كلهم وكيع

---

(٢٣٦) الكامل في التاريخ ٢٩٦/٤، البداية والنهاية ١٦٧/٩، ابن خلدون ٧٤/٣.

(٢٣٧) سأل قتيبة وكيعا بن الأسود ذات مرة: ماذا يعني السرور عندك؟ قال (لواء منشور، وجلوس على السرير، والقاء السلام عليكم أيها الأمير) سمط النجوم العوالي ١٣٣/٣.

(٢٣٨) النجوم الزاهرة ٢٣٣/١.

(٢٣٩) مرآة الجنان ١٩٩/١، وفيات الأعيان ٨٨/٤.

(٢٤٠) تاريخ اليعقوبي ٢٩٥/٢.

(٢٤١) تاريخ خليفة ٣١٣/١، المعارف ٨١/١، ٤٠٦، البدء والتاريخ ٣٧/٦، الأنساب ٢٧٥/١، المنتظم ٧ ٢٢، العبر للذهبي ١١٥/١. (نعي شعراء ذلك العصر وعلى رأسهم الفرزدق مقتل قتيبة وهو بالمدينة المنورة ووصف النبأ بأنه كالفجعة التي أقعدت كل قائم فقال:

أتتني ورحلي بالمدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم

انظر: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – دار الكتب العلمية بيروت – ط١ سنة ١٩٨٣ – تحقيق/ د/مفيد محمد قميحة ٢٤٨/٤.

(٢٤٢) حيث حمته أخواله من زرارة، حيث كانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن سعيد بن سعيد بن زرارة. البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(٢٤٣) الجوزجان اسم يطلق على ناحية كبيرة من نواحي خراسان تجمع عدة مدن منها الأنبار والفاريات والطالقان وكلار واشبورقان وغيرها. وبالجوزجان قتل يحيى بن زيد بن علي العلوي. انظر نزهة المشتاق ٤٧٨/١، معجم البلدان ١٨٢/٢.

بن أبي الأسود[٢٤٤]، يذكر المؤرخون أنه في أثناء المعركة بين قتيبة ووكيع كان الرسول الذي بعثه إلى سليمان بالكتب الثلاثة، قد استكمل مهمته بنجاح وعاد محملا بكتاب سليمان إلى قتيبة بولايته على خراسان، وأرسل معه من عنده رسولا ليستقين قتيبة من الأمر وتكريما له. يقول إبن كثير عن هذين الرسولين: (فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع سليمان، فرفع بريد سليمان كتابه إلى بريد قتيبة، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان)[٢٤٥]. ولكن كان قتيبة قد تعجل الأمر قبل أوانه فعوقب بحرمانه، بل إنه قد حُرم الحياة كلها.

انتهى تمرد قتيبة بن مسلم، وانتهت حياة قتيبة، ولكن إنجازاته وفتوحاته وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين لم ولن تنتهي إن شاء الله وستظل يؤخذ منها جانب العظة إلى يوم القيامة. ولكي تكتمل استفادتنا من هذه الجهود العظيمة لقتيبة بن مسلم علينا أن نتعرف على الجانب الآخر لهذه الشخصية التي خُتمت حياتها بهذه النهاية المؤلمة حتى نأخذ منها جانب العبرة، وذلك يقتضي أن نقف على جملة الأسباب التي حملت قتيبة على التمرد، وما هي أسباب فشل ذلك التمرد؟

أما عن الأسباب التي اضطر قتيبة معها أن يخلع يد الطاعة: فكان أبرزها: الشك والتوجس من سليمان بن عبد الملك أن يعزله عن خراسان، فكان حرصه على أن يظل عليها هو الذي حرمه منها، فلما عزل سليمان ولاة الوليد والحجاج، تربّص به قتيبة أن يحل به نفس المصير، وكان خوفه أكثر أن يسند سليمان ولاية خراسان إلى مبغضه يزيد إبن المهلب، فيكون هذا نذيرا لنهايته، فأخذته العجلة القاتلة عندما سارع بإرسال الكتب الثلاث التي أعلن فيها خلع سليمان[٢٤٦]، والاستعداد لمواجهته واستخدم في هذه الكتب ما في جعبته من وسائل تبدأ باللين فإن لم يُجد يتخذ وسيلة التهديد والوعيد، أملا أن يتغاضى سليمان له عن زلته مع أخيه الوليد رغبة أو رهبة. ثم يأتي عامل الشورى حيث كانت استشارته لأعوانه وأهل بيته وخاصته من الأسباب التي شجعته على التمرد[٢٤٧]. فلم

(٢٤٤) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٤، الوافي بالوفيات ١٩٤/١٥، شذرات الذهب ١١٢/١ ينقل إبن حجر – عن إبن دريد في الاشتقاق – أن وكيعاً بن الأسود كان الرأس المدبرة للقتل لما كان بينه وبين قتيبة منذ أن دعا الناس إليه فتمارض عنه وكيع، لكن الذي باشر القتل بنفسه هو نجد بن الصامت بن عابدين الدوسي ومعه جهم بن زحر الحفصي. انظر الإصابة ٤٩٤/٦.

(٢٤٥) البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(٢٤٦) تاريخ الطبري ٣٠٥/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤، البداية والنهاية ١٦٧/٩.

(٢٤٧) ذكر الطبري أن بعض أهل بيته لما سمع خطبته أتاه معاتبا (ما رأيت كاليوم قط والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك، حتى تناولت بكرا وهم أنصارك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تميما وهم إخوانك. ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك. فقال قتيبة: لما تكلمت فلم يجبني أحد منهم: غضبت فلم ادر ما قلت...) تاريخ الطبري ٣٠٦/٤.

يجد قتيبة من استشارته لهم إلا الدفع في اتجاه المواجهة، دون أن يناقشوا خطورة خلع الخليفة شرعًا، وعواقبه المدمرة لاسيما وأن كل من تمرد قبله لم يكتب له النجاح ولقي حتفه مهما كانت قوته. كل هذا يظهر أن هذا المجلس لم يكن أهلا لمشورة قتيبة فلم يقدر الأمر حق قدره لذلك كانت عاقبة الجميع القتل.

ونأتي إلى عامل مهم وبارز حمل قتيبة على التمرد وهو عامل الغرور، فقد اغتر بتاريخه المفعم بالجهود والفتوحات، واغتر بما تحت يده من جيوش (فقد اجتمع له من العسكر ما لم يجتمع لغيره)[٢٤٨]. واغتر بما يسيطر عليه من أرض شاسعة، جعلته في منأى ومأمن من خطر سليمان حسب ظنه[٢٤٩]. وكان توافر عوامل الاغترار هذه هي التي دفعته إلى أن يعتد بنفسه فيراها أهلا لأن يكون أميرا للمسلمين دون سليمان بن عبد الملك على حد قول إبن كثير: "وأراد قتيبة الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العسكر"[٢٥٠].

أمَّا أسباب فشل تمرد قتيبة بن مسلم، فكان على رأسها غياب الأهداف الجامعة لمن حوله للتمرد، فقد أحس هؤلاء أنه لا توجد دواع ذات بال للتمرد تحملهم على خلع الطاعة للخليفة سليمان، الذي لم يروا منه ما يستدعي الخروج عليه، والمسألة كلها لا تتعدى أن تكون خلافاً شخصيًّا بينه وبين قتيبة، وهذا سبب لا يرقى لدرجة أن يقاتل الناس حول قتيبة من أجله، وهذا يدفعنا للقول بأنه لم تكن لقتيبة في تمرده خطة متكاملة العناصر لمراحل التمرد على رأسها أهدافه ووسائله المتاحة، وتجهيز البدائل، واستشراف التوقعات المستقبلية المحتملة ووضع الترتيبات اللازمة لها، وهو ما يحتاج قيادة عسكرية على رأسها قائد عسكري يعني بالمخطط ويشرف على خطواته ويتابع مراحل التنفيذ ويتلافى الأخطاء التي قد تظهر أولا بأول، وهو ما لم نلمسه في تمرد قتيبة[٢٥١].

ومن أسباب فشل تمرد قتيبة أنه كان قائدا سياسيا وعسكريا بحثًا في فتوحاته، إلا أنه لم يكن كذلك في تمرده بدليل أنه أخفق في جمع قبائل العرب التي كانت معه، فبدلا من أن يجمعهم على أهداف جامعة يعود تحقيقها عليهم بالنفع ويكسب ودهم وقربهم، نجده يحط من شأنهم قبيلة قبيلة، فنفروا عنه، ولما عاد إلى رشده وأفاق لم يجد حوله إلا

---

(٢٤٨) البداية والنهاية ٩/ ١٦٧.

(٢٤٩) الدولة الأموية - محمود شاكر ٢٣٥/١.

(٢٥٠) البداية والنهاية ٩/ ١٤٢.

(٢٥١) كانت هذه الخطط السياسية والعسكرية كلها وغيرها يستخدمها قتيبة في فتوحاته في آسيا، إلا أنه قد غاب عنه الكثير منها أثناء مراحل تمرده، وهذا لا يمنع أنه كان في فتوحاته من الأبطال الشجعان ذوي الحزم والدهاء و[illegible] والفطنة، عبد الشافي عبد اللطيف - العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٣٤٢.

إخوته وفلول القبائل فناداهم: "يا بني فلان أين أنتم يقولون حيث وضعتنا"(٢٥٢) ونسي قتيبة عامل العصبية وقوته في جمع الجموع وتجيّش الجيوش لاسيما وأن قبيلته باهلة ضعيفة العصبية، قليلة العدد منذ الجاهلية(٢٥٣)، وبدلا من أن يقوي قتيبة هذا الضعف ويزيد العدد بإنشاء تحالفات قبلية مثل قيس والتي كان منها تميم والذين يمثلون خمس سكان خراسان من العرب حينئذ، نجد قتيبة وثرهم بقتل بعض عشيرة عبد الله إبن الأهتم التميمي وقطّع أيدي وأرجل البعض منهم(٢٥٤). وتجلي ضعف الجانب السياسي لقتيبة أثناء تمرده في قضية ثانية هي قسوته في معاملته لبعض جنوده الذين علم أنهم قد ارتكبوا خطأ، ولما تم له فتح سمرقند، أشاع بعض من رجاله أنه قد فتحه غدرا بأهلها، ولما سمع قتيبة هذه الإشاعة لم يتبين من صحتها، بل سارع بإنزال العقاب عليهم وحلق رءوسهم، مما وترّهم منه(٢٥٥).

وكان موقف قتيبة بن مسلم من الموالي من أشد الأسباب التي أدت إلى فشل تمرده، وهو الذي كان يأمل فيهم جبر كسره الذي لحق به من العرب الذين انفضوا من حوله، فحاول أن يعّول على الموالي فكان مما قال في خطبته "والله، لأنا بمن معي من العجم أعز أمرا منكم" (٢٥٦). فلم يجد من استجاب منهم له. ومن سبب نفرة الموالي عنه أن زعيم الموالي (حيان النبطي) (٢٥٧) كان من بين الذين نالهم عقاب قتيبة بالضرب والحلق بعد فتح سمرقند، فنادى حيان في الموالي "يا معشر العجم لم تقتلون أنفسكم لقتيبة؟ ألحسن بلائه فيكم؟" (٢٥٨). ثم تفرغ حيان ليكون بعد هذه الحادثة

---

(٢٥٢) الكامل في التاريخ ٢٩٦/٤.

(٢٥٣) قبيلة باهلة/ تنسب إلى باهلة ابنة أود بن صعب بن سعد العشيرة وينتهي نسبها إلى يعرب بن قحطان، وهي امرأة معن بن زيد بن أعصر بن قيس بن علان – وليس كما ينسبها بعض المؤرخين مثل السمعاني وعبد القادر القرشي وغيرهم أنها نسبة إلى باهلة بن أعصر – وكان العرب يستنكفون من الانتساب إليها لأنها ليست فيما بينهم من الأشراف، حتى قال بعضهم: (وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة) انظر: طبقات خليفة بن خياط ٤٧/١، الأنساب ٢٧٦/١، سير أعلام النبلاء ٤١٠/٤، عبد القادر بن أبي الوفا القرشي – سنة ٧٧٥ – طبقات الحنفية – دار نشر: منير محمد كتب خانه – كراتشي ١٨٦/١.

(٢٥٤) تاريخ اليعقوبي ٢٩٥/٢.

(٢٥٥) (أمر قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم في خراسان أن يقوم بضرب إياس بن عبد الله بن عامر عامل الحرب في خراسان، وضرب النبطي زعيم الموالي مائة جلدة ويحلقهما). انظر تاريخ الطبري ١٩/٤، الكامل في التاريخ ٢٧٧/٤.

(٢٥٦) تاريخ اليعقوبي ٢٩٥/٢.

(٢٥٧) هو حيان النبطي قيل إنه من الديلم وقيل إنه من خراسان مولى لبكر بن وائل بن ربيعة، ويقال مولى لبني تيم الله، ويقال مولى لبني شيبان، والنبطي لقبه قيل سببه لأنه جاء من العراق، وقيل لأنه كانت عنده لكنه في كلامه، وكان يكنى أبا الهياج، صاحب قتيبة في فتوحاته وكان رسولا له إلى الترك، تاريخ الطبري ٣٧/٤، ٥٩، الأنساب ٤٥٤/٥، تاريخ دمشق ١٠١/٦٠-١٠٤، الكامل في التاريخ ٢٩٥/٤.

(٢٥٨) فتوح البلدان ٤١٣/١، تاريخ الطبري ٣٩/٤، تاريخ ابن خلدون ٨٧/٣.

من العقول المدبرة للتخلص من قتيبة، وقد لاحظ بعض أنصار قتيبة ذلك الأمر وقالوا له (ليس يفسد أمر الناس عليك إلا حيان) (٢٥٩) فاستدعاه قتيبة ليتبين صحة ذلك، وتوخى حيان الشر من قتيبة عن طريق عيون كانت له ينقلون إليه ما يدبر ضده، فتظاهر بالمرض ولم يلب النداء(٢٦٠) ومن تلك اللحظة بدأ حيان يوجه أنظار الموالي إلى وكيع بن أبي الأسود كشخصية عربية قوية ذات عصبية قبلية أصيلة تصلح لأن تكون ندا قويا لقتيبة بن مسلم، ثم تحالف حيان مع وكيع في وضع خطة حكيمة للتخلص من قتيبة، فاتفق معه على أن ينحاز إليه في الوقت المناسب إذا ما وقع القتال بين وكيع وقتيبة، على أن يكون لحيان خراج الجانب الشرقي من نهر بلخ وذلك إذا صار الأمر إلى وكيع والذي وافق على هذا الشرط، ولما نشبت المعركة تظاهر حيان بمن معه من الموالي بمناصرة قتيبة، وكان قد أضمر شرا حين أسر إلى ابنه مقاتل بن حيان فقال: "إذا رأيتني حولت قلنسوتي ومضيت نحو معسكر وكيع فصل بمن معك من العجم إليّ" (٢٦١). بدأت المعركة واستعرت نيران الحرب، وأعطى حيان لابنه الإشارة المتفق عليها فانسلخت الأعاجم من صفوف قتيبة، وانحازت إلى صفوف وكيع مكبرين، فانهزم قتيبة وقتل هو وإخوته وأبناءهم الإحدى عشر سنة ٩٦هـ/٧٤١م، وتخلصت الدولة الأموية بفضل موقف العرب بزعامة وكيع بن الأسود والموالي بزعامة حيان النبطي من هذا التمرد وقائده وأعوانه قبل أن تتحول إلى فتنة عارمة تكلفهم الكثير كما حدث في تمرد عبد الرحمن بن الأشعث.

نتج عن مقتل قتيبة بن مسلم أن أرسل وكيع بن أبي الأسود برأسه إلى سليمان بن عبد الملك بدمشق، فحظي عنده، وكتب له بامرأة خراسان. ولكن بعد مرور عشرة أشهر فقط، أصدر سليمان أمرا بعزل وكيع والتحقيق معه في ما نسب إليه من أنه قد دبّر مؤامرة ضد قتيبة وادعى عليه كذبًا أنه خلع الطاعة ولم يكن قتيبة قد خلعها، ثم أن وكيعًا قد جيّش الناس ضده وقتلوه مظلوما. وذلك حسب شكاية تقدمت بها قيس في خراسان(٢٦٢) ضد وكيع إلى الخليفة سليمان بدمشق والذي أمر يزيد بن المهلب بالتحقيق في هذه الشكوى، ومما قاله له: "وإن كان وكيع قد تعرض لقتيبة ظلمًا وثار عليه بحجة أنه قد خلع ولم يكن قد خلع؟ وابعث به إليّ بدمشق"(٢٦٣) وفي رواية لابن خلدون يأمر سليمان بن عبد الملك يزيداً بن المهلب بأن يقيم حد القتل على وكيع إن تبين أنه ادعى

(٢٥٩) تاريخ الطبري ٣٧/٤.

(٢٦٠) الكامل في التاريخ ٢٩٥/٤.

(٢٦١) تاريخ الطبري ٣٩/٤، الكامل في التاريخ ٩٧/٤، تاريخ ابن خلدون ٨٧/٣.

(٢٦٢) تاريخ الطبري ٤٦/٤.

(٢٦٣) تاريخ الطبري ٦٢٥/٣، الكامل في التاريخ ٢٠٠/٤، البداية والنهاية ٣٧/٩.

على قتيبة الخلع ظلما وعدوانا: (كانت قيس في خراسان تطلب من سليمان أن يأخذ بثأر قتيبة، وتزعم أنه لم يخلع، فأوصى سليمان يزيداً بن المهلب إن أقامت قيس البيّنة أن قتيبة لم يخلع، أن يقيد به من وكيع) (٢٦٤) وفي رواية:

(إن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يدا من طاعة أن يقيد وكيعا)(٢٦٥).

فشرع يزيد وأرسل ابنه مخلد بن يزيد إلى خراسان، ولما نزل مَرْوًا أرسل إلى وكيع أن ألقني، فأبى وتثاقل عن الخروج – كما تثاقل عن قتيبة قبل ذلك – فأخرجه عنوة عمرو الأزدي، فأخذه مخلد وعذبه، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدومه(٢٦٦).

ويرى الباحث – حسب ما تيسر له من مصادر – أن قتيبة قد خلع بيعة سليمان – وتأكد له ذلك بالأدلة الظاهرة، إلا أنه لا يستبعد أن يكون قتيبة قد قتل مظلوما نتيجة لمؤامرة دبرها له وكيع الذي يشهد تاريخه بأنه – رغم أن له دورا في حروب قتيبة لا ينكر – رجل غدر، وهو ما شهد به رجل من أهله هو عبد الله بن الأهتم التميمي، والذي يدعي وكيع بأنه أخذ ثأره من قتيبة. فيقول عبد الله بن الأهتم عن وكيع أمام يزيد بن المهلب "ما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع، لقد أدرك بثاري وشفاني من عدوي"(٢٦٧). هذا الرجل يشهد على وكيع عند سليمان بن عبد الملك ويقول: "إن وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلا وحدث نفسه بغدرة خامل في الجماعة نابه في الفتنة"(٢٦٨).

ويذكر قتيبة الدينوري: أن وكيعا كان بسجستان فشغب هناك فحبسه واليها عبد العزيز بن عامر فأمسك بطفل للوالي وأمسك بسكين، وهدده بذبحه إن لم يطلق سراحه، فأطلق وكيع فذهب إلى خراسان "فكان بها رأسا"(٢٦٩). فكان يأتي دار عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده الخمر ويسكر ويشلح في ثيابه "أي يتعرى" ويأتي قتيبة فيقول له: احذر فلانا فإني لا آمنه عليك(٢٧٠). فكتب الحجاج إلى قتيبة في أثناء ولايته على خراسان أن يقتله، ولكن قتيبة عفا عنه لبلائه معه في حروبه، واكتفى فقط بعزله عن رياسة تميم(٢٧١). فما كان من وكيع إلا أن بدأ في السعي إلى تأليب الجند سرًا على

(٢٦٤) تاريخ الطبري ٤٦/٤، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤، تاريخ ابن خلدون ٨٨/٣.
(٢٦٥) تاريخ الطبري – نفسه، الكامل في التاريخ – نفسه، البداية والنهاية ١٧٠/٩.
(٢٦٦) تاريخ الطبري – نفسه، الكامل في التاريخ – نفسه.
(٢٦٧) تاريخ الطبري ٤٦/٤، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤.
(٢٦٨) تاريخ الطبري – نفسه، الكامل في التاريخ – نفسه.
(٢٦٩) ابن قتيبة – المعارف ٤١٦٦١.
(٢٧٠) تاريخ الطبري ٣٧/٤.
(٢٧١) مرآة الجنان ١ ١٩٩.

قتيبة، ثم عمد إلى عقد تحالفات مع الموالي بزعامة حيان النبطي الذي ذهب مع من ذهب إلى الحضين بن المنذر يشكون قتيبة إليه ويسألونه فيمن يولونه عليهم بعد أن يخلعوا قتيبة،؟ فقال حضين: ما أرى غير وكيع فقال حيان "إن أحدا لا يتقلد هذا الأمر فيصلي نحره ويبذل دمه ويتعرض للقتل فإن أقدم أمير أخذه بما جنى وكان المهنأ لغيره. إلا هذا الأعرابي وكيع، فإنه مقدام لا يبالي ما ركب ولا ينظر في عاقبة وله عشيرة كثيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها إلى ضرار بن حصين الضبي. فمشى الناس بعضهم إلى بعض سرا في تحقيق ذلك"[٢٧٢] فوثبوا بقتيبة فقتلوه، وقام وكيع بخراسان وولى عماله ثم قيل لسليمان إن وكيعًا رجل ترفعه الفتنة وتضعه السنة، وليس لخراسان بموضع فولاها يزيد بن المهلب الذي حبس وكيع بن أبي الأسود وقيده وأخذ عماله الذين كان ولاهم البلدان، بعد مقتل قتيبة فطالبهم بالأموال التي صارت إليهم[٢٧٣]، وكان ممن حُبس مع وكيع إدريس بن حنظلة العمي، فجاءه عبد الله بن الأهتم وقال له: "أتريد أن تنجو؟ قال: نعم. قال: أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليد العبسي[٢٧٤]، وخريم بن عمرو المري[٢٧٥] إلى قتيبة بخلع سليمان... أن الوليد بن عبد الملك قد مات وسليمان باعث هذا المزوني[٢٧٦] – يعني يزيداً بن المهلب – على خراسان فاخلعه"[٢٧٧]. وكان القعقاع خال الوليد بن عبد الملك وكاتبه بدمشق وكان عبد الله بن الأهتم بها قبل موت قتيبة، فما مصلحته في إرسال كتب إلى قتيبة بخلع سليمان، وهل هذا ادعاء من الأهتم عليه وعلى خريم – كما يفهم من الشق الثاني من الرواية – أم كانت هناك خيوط مؤامرة تحاك ضد قتيبة من الخارج في دمشق، ومن الداخل في خراسان حيث وكيع وحيان، هذه كلها علامات استفهام تحتاج إلى إجابة لا تتوافر لنا أدلتها، وإنما سقناها للأمانة العلمية. عسى أن تجد يوما من يجيب عنها ويجلي حقيقتها!!

---

(٢٧٢) تاريخ الطبري ٣٧/٤، الكامل في التاريخ ٢٩٥/٤، تاريخ ابن خلدون ٨٧/٣.

(٢٧٣) تاريخ اليعقوبي ٢٩٦/٢.

(٢٧٤)هو القعقاع بن خليد (ويقال ابن جبلة) بن جزد بن الحارث بن جزيمة بن روحة بن الحارث العبسي، خال الوليد وسليمان ابني عبد الملك من أخته (ولادة بنت خليد) كان شاعرا وفارسًا وكاتب للوليد الذي أقطعه حيارًا (أي حمى أو شبه حظيرة) قرب قنسرين. فتوح البلدان ١٥٢/١، تاريخ دمشق ٣٤٧/٤٩، معجم البلدان ٣٢٧/٢، بغية الطلب في تاريخ حلب ١٢٥/١، ٥٣٩.

(٢٧٥)هو خريم بن عمرو بن الحارث بن خارجة المري ويلقب (خريم الناعم) لأنه كان يلبس الثياب الخلقة في الصيف والجديدة في الشتاء. المعارف ٦٠٩/١، تاريخ الطبري ٣٧/٤، تلقيح فهوم أهل الأثر ٥٢٤/١.

(٢٧٦) نسبة إلى مازون وهي أرض عمان، فمازون اسم من أسماء عمان بالفارسية وكانت العرب تسمي عمان المزون، وهم من مضر، لسان العرب ٤٠٧/١٣.

(٢٧٧) تاريخ الطبري ٤٦/٤.

وأخيراً: وإن كان قد اجتهد قتيبة بن مسلم فخلع طاعة الخليفة فأخطأ فقتل[٢٧٨]، فهذا لا يقلل من أنه كان من القادة النجباء الشجعان، ذوي الحروب والفتوحات السعيدة، والآراء الحميدة، وأن الله تعالى قد هدى على يديه خلقا كثيرا لا يحصيهم إلا الله سبحانه، فأسلموا ودانوا بالإسلام لله عز وجل، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئا كثيرا، لذلك كله: فإن الله تعالى لن يضيع سعيه ولن يخيب تعبه وجهاده وتضحياته في سبيله تعالى، وإن كان قد زل زلة كان فيها حتفه، وفعل فعلة رغم فيها أنفه، وخلع الطاعة فبادرت إليه المنية، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية، لكنه مع كل قد سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته، ويضاعف به حسناته، والله بعفوه يسامحه، وبفضله يعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء[٢٧٩]، ويعرضه للموت في كل لحظة في مواجهاته مع أعدائه، وأن يجعله في الجنة مع من سبقه من الفاتحين، فإن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، فيجوز أن يذنب الرجل منهم ذنبا صغيرا، أو كبيرا ويتوب منه، ولو لم يتب فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر، بل عند الأكثر من أهل السنة والجماعة[٢٨٠]: أن الكبائر قد تمحى بالحسنات الماحية التي هي أعظم من الكبائر وبالمصائب المكفرة[٢٨١] وغير ذلك[٢٨٢].

---

(٢٧٨) قال جرير الشاعر يلوم بني تميم على قتل قتيبة:

ندمتم على قتل الأعز ابن مسلم * وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
لقد كنتم من غزوه في غنيمة * وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حور جنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

وفيات الأعيان ٨٨/٤، الوافي بالوفيات ١٤٦/٢٤، مرآة الجنان ١٩٩/١، البداية والنهاية ١٦٨/٩، وفي ذلك قال رجل من عجم خراسان لعربها (قتلتم قتيبة – ملك العرب – والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذ غزونا، وما صنع أحد قط بخراسان، ما صنع قتيبة) تاريخ الطبري ٤١/٤.

(٢٧٩) البداية والنهاية ١٦٨/٩.

(٢٨٠) أهل السنة والجماعة: هم الفرقة التي تتمسك بما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته، رضوان الله عليهم أجمعين – وأي حق برزت فيه طائفة أخرى موجود عندهم، ومصدر تلقيها وانطلاقها هو الكتاب والسنة وآثار الصحابة، وبه تتمايز عن غيرها من الطوائف، فكانت أحكامهم على الأشخاص والأحداث والمواضع أحكامًا شرعية معتدلة ترضي الله ورسوله. والسنة تعني: النص. والجماعة: تتضمن الاجماع، فيكون أهل السنة والجماعة هم المتبعون للنص والاجماع، فالسنة ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في عهده مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو. والجماعة هم المجتمعون على ما سبق والذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعًا. الأشعري مقالات الإسلاميين ص٢٩٠، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٢: ٢٧٤، الفصل في الملل والنحل ١١٣/٢، منهاج السنة النبوية ٢٢١/٢، ٤٥٧/٣.، ابن تيمية مؤرخا ص٤٧٠.

(٢٨١) وضع ابن تيمية مكفرات عشر للذنوب، انظر منهاج في السنة النبوية ٨٣/٥.

(٢٨٢) المصدر السابق نفسه، ابن تيمية مؤرخا ٤٨٤.

تمرد/ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة[٢٨٣] في البصرة سنة ١٠١هـ/٧٢٩م.

كان أول ظهور لآل المهلب بن أبي صفرة عندما هرع إليه أشراف البصرة ليقودهم إلى محاربة الخوارج الذين اشتد خطرهم على البصرة وهددوها، فانتشر الخوف والرعب بين أهلها في الفترة التي تلت تنازل معاوية الثاني بن يزيد عن الخلافة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وحتى انضمام العراق إلى حوزة إبن الزبير، الذي أرسل كتابا إلى المهلب بن ابي صفرة يستعفيه من ولاية خراسان، ويأمره بقيادة الجيوش لقتال الأزارقة[٢٨٤]، فاستجاب المهلب بشروط أمضاها له إبن الزبير[٢٨٥]. واتجه المهلب بمن انتخبه لحرب الخوارج فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه، ذلك لأنه قد اتبع معهم سياسة حربية فريدة من نوعها في تاريخ حروب الخوارج أدت في النهاية إلى استئصال شأفتهم وزوال خطرهم[٢٨٦].

وكان المهلب -مع كفاءته وقوته وحب الناس له من حوله- مخلصًا لولاة أمره من الأمويين. فلما قدم عبد الرحمن بن الأشعث بتمرده سنة ٨١هـ وأرسل إليه ليساعده في تمرده، فرفض المهلب رغم أنهما يمنيان، بل أرسل المهلب إلى الحجاج

---

(٢٨٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (ظالم) بن سراق بن صبيح بن كندة الأزدي القحطاني اليمني ولد سنة ٥٢هـ وكان من النجباء الكرماء العظماء والفرسان، تكنى بأبي خالد، تزوج من عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، كان يزيد من الفاتحين حيث فتح الله على يديه جرجان ودهستان وطبرستان، وكان أيضا من رواة الحديث عن أنس بن مالك وحدث عنه عيسى بن موسى، وقال (كان يزيد بن المهلب أشرف من ان يكذب في الحديث). كان يضرب به المثل في الإمارة والكرم وتولى خراسان والعراق ثم عزل عنهما، وفي ولاية يزيد بن عبد الملك تمرد عليه ومات مقتولا في معركة العقر سنة ١٠٢هـ. (يذكر القضاعي في التكملة أنه يوجد في ق ٦هـ عالم جليل تسمى بسمه وكنيته هو ابو خالد يزيد بن المهلب بن عامر الأنصاري من أهل قرطبة، كان من علماء الآداب واللغة). انظر ترجمة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في: طبقات إبن سعد ١٢٩/٧، عبد الله بن جعفر بن حيان – طبقات المحدثين بأصبهان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ سنة ١٩٩٣ تحقيق عبد الغفور البلوشي. ٥٦٥/٣. حمزة بن يوسف الجرجاني ت سنة ٣٤٥ – تاريخ جرجان – عالم الكتب بيروت ط٣ سنة ١٩٨١ – تحقيق محمد عبد المعيد خان ٤٩/٤. عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – دار الكتب العلمية بيروت – ط١ سنة ١٩٨٣ تحقيق/ د/ مفيد قميحه ٥١٨/٤. وفيات الأعيان ٢٧٨/٦، سير أعلام النبلاء ٥٠٣/٤، الوافي بالوفيات ٣١٧/١٦، مرآة الجنان ٢١٢/١. وعن يزيد بن المطلب القرطبي انظر: محمد بن عبد الله القضاعي – التكملة الكتاب الصلة – دار الفكر لبنان سنة ١٩٩٥. تحقيق عبد السلام الهراس ٢٣٢/٤. (وكتاب الصلة ألفه إبن بشكوال القرطبي ت سنة ٥٧٨هـ ليكون ذيلا على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ت سنة ٤٠٣: انظر الديباج المذهب ١١٤/١، أحمد بن محمد المقري التلمساني – نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب – دار صادر بيروت سنة ١٣٨٨هـ تحقيق د/ إحسان عباس ١٢٩/٢).

(٢٨٤) تاريخ الطبري ٤٢١/٣.

(٢٨٥) اليعقوبي ٢٦٤/٢، تاريخ الطبري ٤٣٦/٣.

(٢٨٦) عن سياسة المهلب الحربية تجاه الخوارج والتي بلغت نحو سبعة عشر نوعا ذكرناها في فصل تمرد الخوارج الأزارقة في هذا البحث.

يحذره منه، وأسدى إليه بعض النصائح التي رفضها الحجاج ثم قبلها بعد ذلك وعمل بها وأثنى على المهلب في غيابه حيث قال: (لله در أبو المهلب، أي صاحب حرب هو أشار علينا بالرأي فلم نقبل) (٢٨٧).

وكان المهلب عاملا على خراسان قبل الحجاج بن يوسف سنة ٧٧هـ/٦٩٦م حتى سنة ٨٢هـ/٧٠١م، حتى مات ابنه المغيرة بن المهلب في حرب الخوارج، فكانت بدء علة المهلب، حيث حزن على مقتله ثم مات على إثرها بمرو سنة ٨٢هـ/٧٠١م(٢٨٨). فاستخلف قبل موته على خراسان ابنه يزيداً بن المهلب وكان إبن ثلاثين سنة، فأقره عبد الملك بن مروان، ووافق الحجاج(٢٨٩).

وقام يزيد بن المهلب بأداء مهام ولايته على خراسان، ففتح سنة ٨٣هـ قلعة ينزل باذغيس(٢٩٠) (٢٩١) وكان يزيد في فتحه يكتب أولاً بأول إلى الحجاج بكافة التفاصيل (إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل رأسه وأعلاه) (٢٩٢).

ظل يزيد عاملا على خراسان حتى سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، فكتب الحجاج بن يوسف ـ الذي كان متزوجا من هند بنت المهلب بن أبي صفرة وأخت يزيد، وقد طلقها عندما نكّب بأهلها(٢٩٣)ـ إلى عبد الملك بن مروان بذم يزيد وآل المهلب واتهمهم بأنهم كانوا من الموالين لابن الزبير في تمرده، ويرد عليه عبد الملك بأنهم على ولائهم له وحسن وفائهم، وكتب إليه الحجاج يخوفه عذرهم وألح عليه في ذلك حتى كتب إليه عبد الملك "قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلا يصلح لخراسان، فسمي له الحجاج رجلا اسمه مجاعة بن سعر (٢٩٤)، فرد عليه عبد الملك ـ إن رأيك الذي دعاك إلى استفاد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعد، فانظر إلى رجلٍ صارمٍ ماضي لأمرك فسمى له قتيبة بن مسلم" (٢٩٥).

---

(٢٨٧) تاريخ الطبري ٦٣٥/٣، البداية والنهاية ٣٧/٣.

(٢٨٨) كان المغيرة بن المهلب أبرع ولد المهلب وأوفاهم وأعفهم وأسخاهم: بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٩٢٣/٩.

(٢٨٩) طبقات بن سعد ٣٨١/٥، فتوح البلدان ٤٠٧/١، وفيات الأعيان ٢٧٨/٦.

(٢٩٠)تاريخ الطبري ٦٥٠/٣.

(٢٩١)باذغيس ناحية تشمل عدة قرى من أعمال هراة ومرو الروز وقصبتها بون - معجم البلدان ٣١٨/١.

(٢٩٢) محمد بن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعرآء – دار المدني جدة – تحقيق محمود شاكر ١٤/١، الفائق للزمخشري ١٨٧/٣.

(٢٩٣) وفيات الأعيان ٢٧٨/٦، تاريخ إبن خلدون ٨١/٣.

(٢٩٤) هو مجاعة بن سعر السعري التميمي، كان قد شارك في حرب الأزارقة مع عمر بن عبيد الله بن معمر والي فارسي سنة ٦٨هـ وقتل جماعة بعمود معه أربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر أن يهلك في هذه فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم، فتوح البلدان ٤٣٣/١، تاريخ الطبري ٦٥٥/٣، الكامل في التاريخ ٢٥/٤، ١٤٢، تاريخ إبن خلدون ٥٤/٣، سمط النجوم العوالي ٢٦٥/٣.

(٢٩٥) تاريخ الطبري ٦٥٥/٣.

تعددت الأسباب التي أدت بالحجاج إلى عزل يزيد نسوق منها إلى جانب اتهامه لآل المهلب بالزبيرية أن الحجج في طريق عودته من دمشق قد مر بدير به شيخ من أهل الكتاب، فسأله عن العراق "فمن يليه بعدي – العراق – قال: رجل يقال له يزيد. قال: في حياتي أم بعد مماتي؟ قال: لا أدري، قال: أفتعرف صفته؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا، فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب.. فأجمع على عزله"[٢٩٦]. إن الباحث لا يرى هذا سبباً مقنعاً لعزل يزيد، وما كان لخليفة مثل عبد الملك أن يقتنع بنبوءة راهب فيعزل عامله ظلما دون أن يقترف سببا يقتضي عزله، ونميل إلى ما رواه الطبري بأن الحجاج لما فرغ من تمرد عبد الرحمن بن الأشعث، بدأ ينظر إلى يزيد بن المهلب بعين الريبة على أنه الوجه الآخر لابن الأشعث لما يتمتع به من نجابة وطموح تخيفه خشية أن يثب عليه[٢٩٧]، "فلم يتخوف في العراق إلا آل المهلب" [٢٩٨] حتى إن ابن الجوزي يؤكد هذا قائلا : "كان الحجاج يظن أن يزيداً يريد ما أراد عبد الرحمن ابن الأشعث "[٢٩٩] – يعني التمرد عليه –.

كان من نتائج تمرد عبد الرحمن بن الأشعث وهو الأزدي اليمني، أن فقد الحجاج الثقة في الأزد بسببه، وأخذ منهم موقفا معاديا، وبدأ ينظر إلى يزيد بن المهلب على أنه صورة أزدية أخرى من عبد الرحمن بن الأشعث، لذلك أخذ الحجاج في مواربة يزيد حتى يستخرجه من خراسان، فكان يبعث إليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان، فمكث بذلك حتى آخر سلطان عبد الملك، فكتب إليه يستشيره في عزل ابن المهلب متهما إياه بالزبيرية[٣٠٠]، وثمة سبب آخر يعضد هذا أن الحجاج كتب إلى يزيد أن اغزو خوارزم فرفض يزيد متعللا: "إنها قليلة السلب شديدة الكلب[٣٠١]، فكتب إليه استخلف وأقدم علي بالعراق، فكتب إليه يزيد أغزو إذا خوارزم. فكتب إليه الحجاج: لا تغزوها فإنها كما وصفت، فغزاها يزيد ولم يطعه" [٣٠٢]. إضافة إلى أن الحجاج بوجه عام كان ينظر إلى يزيد بن المهلب على أنه من بيت نابه أصيل وأكثر عراقة منه، ويتمتع بسلطان ونفوذ قوي في قومه الأزد اليمانية فحسده الحجاج على ذلك، وأبغضه وسعى في إقصائه. هذا إلى جانب السبب الذي يطفو على السطح في

---

(٢٩٦) المصدر السابق ٦٥٤/٣.

(٢٩٧) وفيات الأعيان ٢٧٨/٦.

(٢٩٨) تاريخ الطبري ٦٥٦/٣. الكامل في التاريخ ٢٢٨/٤.

(٢٩٩) المنتظم ٢٩٦/٦.

(٣٠٠) تاريخ الطبري ٦٥٦/٣.

(٣٠١) شديدة الكلب: أي شديدة الفقر والقحط والجدب، لسان العرب ٧٢٣/١.

(٣٠٢) تاريخ الطبري ٦٥٦/٣.

شتى المصادر التاريخية وهو أن الحجاج علم أن يزيداً بن المهلب قد استولى على أموال كثيرة أصابها من جرجان، فطالبه بها[٣٠٣].

كانت هذه من أبرز الأسباب التي أدت بالحجاج إلى عزل يزيد، وتولية أخيه المفضل بدلا منه وهذه تعد سياسة من الحجاج بحيث يتم عزل آل المهلب تدريجيا ولذلك وبعد تسعة أشهر عزل المفضل وولى قتيبة بن مسلم، وطلب من جميع آل المهلب الشخوص إليه في العراق، وقدم يزيد وأهل بيته على الحجاج (فلم يمر ببلدة إلا فرشوا له الرياحين)[٣٠٤]. في وقت فتح الحجاج لهم السجون في أول خلافة (الوليد بن عبد الملك ٨٦هـ - ٩٦هـ/٧٠٥ - ٧١٤م) وطالبهم بستة الف ألف درهم، وعذبهم في ذلك أشد العذاب[٣٠٥]، ومن فرط خوفه منهم أن يهربوا فينقلبوا عليه كان الحجاج يأخذهم معه في حروبه بفارس ضد الأكراد مكبلين في قيودهم، وكان يزيد يصبر صبرا حسنا، فكان ذلك يغيظ الحجاج كثيرا، ثم بعث يزيد إليّ قومه في البصرة أن يهيئوا لهم خيلاً بالقرب من السجن تمكنهم من الهروب وذلك عندما احتالوا على الحجاج في حبسهم وقالوا له: ادخل علينا التجار حتى نبيع لهم أموالنا وضياعنا حتى نوفي لك بالمبلغ، فأدخل عليهم التجار وخلقاً كثيراً معهم، وضع لهم يزيد طعاما كثيرا بالسجن فاختلط آل المهلب بغمار الناس وقد بدلوا ملابس السجن وخرجوا في وسط الناس، إلى سفن قد أعدها لهم قومهم بالبطائح[٣٠٦]، حيث ركبوا السفن إلى الشام ولحقوا بولي العهد سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٠هـ ولما علم الحجاج في الصباح نبأ هروبهم فزع منهم، وظن أنهم ذهبوا إلى خراسان للتمرد فيها، فكتب الحجاج يحذر قتيبة منهم، في حين أمر الوليد بن عبد الملك الناس بالتهيؤ استعداداً للتوجه إلى خراسان لسحق تمرد آل المهلب، وكتب الحجاج يعلم الناس أن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني. ولما علم الوليد أنهم ذهبوا إلى سليمان هان عليه الأمر[٣٠٧]، وكتب سليمان إلى أخيه الوليد بن عبد الملك يطلب منه الأمان ليزيد وأهل

---

(٣٠٣) البدء والتاريخ ٦/٦٤.

(٣٠٤) لما عزل الحجاج يزيدا عن خراسان وولى قتيبة قال الشاعر كعب الأشعري:

ذهب الكرام المفضلون فهذا العلم لا رعد ولها برق.

تاريخ الطبري ٦٥٦/٣، تاريخ دمشق ٢١٣/٥.

(٣٠٥) المعارف ٤٠٠/١، الكامل في التاريخ ٢٢٨/٤، وفيات الأعيان ٢٧٨/٦، البداية والنهاية ٦١/٩.

(٣٠٦) البطائح في اللغة أصلها البطيحة أو البطحاء بمعنى واحد، وهي من تبطح السيل إذا اتسع في الأرض، وسميت بطائح واسط بالبطائح لأن المياه تبطحت فيها سالت واتسعت في الأرض. والمقصود بالبطائح هنا هي تلك الأرض الواسعة بين واسط والبصرة، وهي عبارة عن عدة قرى مجتمعة وسط الماء متصلة ببعضها وأرضها عامرة، فتوح البلدان ١/٢٩٢، معجم البلدان ١/٤٥٠، الأنساب ١/٣٦٦.

(٣٠٧) تاريخ اليعقوبي ٢٨٨/٢، المنتظم ٦/٢٩٣.

بيته، ورفض الوليد طلب سليمان وطلب منه إرسال يزيد إليه، فسأله سليمان أن يحضر معه ليعفو عنه، فقال له الوليد حتى لو حضرت معه[٣٠٨]! فسأله أن يرسل معه أيوب ابنه، فذهب أيوب بن سليمان مع يزيد بن المهلب عند عمه الوليد الذي رق لابن أخيه، ولشفاعة سليمان فعفا عن آل المهلب وأسقط عنهم نصف المبلغ – كما اقترح عليه سليمان ثلاثة ملايين درهم – فاستعان آل المهلب بقومهم من اليمانية في الشام على دفعها دفعت نجمًا منها – أي جزءًا – وتحمل سائر أهل الشام النجم الباقي وأوصلوا المبلغ لباب الوليد، الذي كتب إلى الحجاج أن اكفف عن آل المهلب، وأن يتخلى عما كان في محبسهم منهم فخلاهم الحجاج جميعًا[٣٠٩].

عاد يزيد بن المهلب سالما إلى سليمان بن عبد الملك، وعلمه علم الهيئة[٣١٠]، وكان يصنع له بنفسه أنواعا من أطايب الأطعمة ويهدي له الهدايا العظام[٣١١]، ويهدي له سليمان بعض الهدايا، فكان يزيد عنده من أحسن الناس منزلة[٣١٢]، ومكث عنده تسعة أشهر وحتى الحجاج بن يوسف يوم الجمعة في ثلاث وعشرين من رمضان سنة ٩٥هـ، وبعده بأشهر توفي الوليد بن عبد الملك في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ/٧١٤م وولي الخلافة (سليمان بن عبد الملك ٩٦ – ٩٩هـ/٧١٤ – ٧١٧م) فعزل سليمان يزيداً بن أبي مسلم عن العراق وولاها يزيداً بن المهلب سنة ٩٦هـ/٧١٤م، ولما تمرد قتيبة بن مسلم والي خراسان على سليمان وخلعه وقتل قتيبة على يد وكيع بن أبي الأسود الذي تولى خراسان تسعة أشهر ثم عزله سليمان بن المهلب أمر يزيد بتولي خراسان وحبس وكيع لشكوى من بني قيس بخراسان أن وكيعًا قتل قتيبة مظلوما حيث ادعى عليه أنه قد خلع ولم يخلع، فحبسه يزيد[٣١٣]. وتولى خراسان بجانب العراق[٣١٤]. ويشير بعض المؤرخين إلى أن يزيد بن المهلب قد سعى إلى ذلك عند سليمان بوساطة عبد الله بن الأهتم الذي حقّر عنده من أمر وكيع واتهمه ورشح له يزيداً بن المهلب وزكاه له فكتب له عهدًا ليزيد بخراسان[٣١٥].

---

(٣٠٨) المنتظم ٢٩٦/٦.

(٣٠٩) تاريخ اليعقوبي ٢٨٨/٢.

(٣١٠) هو علم تعيين الأشكال للأفلاك، وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من الكواكب السيارة، ومعرفة تلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة، مقدمة ابن خلدون ٤٨٧/١، أبجد العلوم ٢٥٩/١.

(٣١١) حمزة بن يوسف الجرجاني – تاريخ جرجان – عالم الكتب بيروت ط٣ سنة ١٩٨١م. تحقيق: محمد عبد المعيد خان ٤٩/١ – ٥٣.

(٣١٢) عن انواع هذه الهدايا المتبادلة انظر: تاريخ الطبري ٦٨٧/٣، تاريخ دمشق ١٠٥/١٠.

(٣١٣) انظر الفصل الخاص بتمرد قتيبة بن أبي مسلم في هذا البحث.

(٣١٤) المعارف ٣٦٠/١، المعرفة والتاريخ ٢٩٨/٢، البدء والتاريخ ٤١/٦، المنتظم ١٨/٧.

(٣١٥) تاريخ الطبري ٤٥/٤ – ٤٧، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤، البداية والنهاية ١٧٠/٩، ابن خلدون ١٠/٣

وفي أثناء ولاية يزيد على خراسان قام بفتح دهستان[٣١٦]، وطبرستان وجرجان[٣١٧] [٣١٨]. في آخر سنة ٩٨هـ/٧١٦م، وفي أثناء عودته من جرجان بلغه وهو بالري خبر موت سليمان وتوليه "عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧ - ٧١٩م" وكان عمر -رضي الله عنه- ينظر إلى آل المهلب على أنهم جبابرة، وكان يزيد ينظر إلى عمر على أنه مُراءٍ[٣١٩]، وعندما كتب سليمان عهدا ليزيد بتولية خراسان والعراق قبله، وكان قد ودعه عمر بن عبد العزيز عندها قائلا له: "يا يزيد اتق الله فإني كنت وضعت الوليد في لحده إذ هو يركض الآن في أكفانه"[٣٢٠]. ويعلق يزيد على ذلك قائلا "روّعني عمر لما قال: اتق الله"[٣٢١]، فلما ولي عمر الخلافة راجع يزيداً نفسه في ظنه السيىء بعمر، وعلم أن عمر -رضي الله عنه- بعيد تمامًا عن الرياء[٣٢٢].

ولما ولي عمر الخلافة سنة ٩٩هـ/٧١٧م، أرسل إلى يزيد بن المهلب بأن استخلف على خراسان واشخص إليّ فاستخلف يزيد ابنه مخلداً بن يزيد[٣٢٣]، وحمل كل ما كان له مخافة من أهل خراسان، وقد أشار عليه قوم ألا يبرح خراسان فلم يفعل[٣٢٤] - ويذكر الطبري في أحداث سنة ٨٥هـ أنه لما عزل الحجاج يزيداً وأمره بالقدوم إليه في العراق، استشار يزيد الحضين بن المنذر بخراسان في ذلك، فأشار عليه أن أقم في خراسان واعتل فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك، فقال له يزيد: "إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف"[٣٢٥]- وسار إلى البصرة فلقيه عدي بن أرطأة[٣٢٦] والي البصرة

---

(٣١٦) دهستان بلدة مشهورة قرب خوارزم وجرجان، نزهة المشتاق ٤٧٤/١، معجم البلدان ٤٩٢/٢.

(٣١٧) جرجان/ مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان البعض يعدها من طبرستان والبعض يعدها من خراسان، أحسن التقاسيم ٢٤٢/١، نزهة المشتاق ٦٨٨/٢، معجم البلدان ١١٩/٢، (وعن فتح يزيد لجرجان انظر: أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني - تاريخ جرجان - عالم الكتب بيروت - ط٣ سنة ١٩٨١م - تحقيق د/ محمد عبد المعيد خان ٤٤/١ - ٥٣).

(٣١٨) عن هذه الفتوحات ليزيد بن المهلب انظر/ تاريخ خليفة ٣١٥/١، المعارف ٥٦٨/١، تاريخ الطبري ٤٩/٤، ٥٣، تاريخ جرجان ٤٩/٤، المنتظم ٧ ٣٧، الكامل في التاريخ ٣٠٥/٤، وفيات الأعيان ٢٨٥/٦، البداية والنهاية ٩ ١٧٥، طبقات الحنفية ١٤٣/١، ٢٩٥، شذرات الذهب ١١٣/١.

(٣١٩) تاريخ الطبري ٦٣/٤.

(٣٢٠) طبقات ابن سعد ٣٨١/٥، تاريخ دمشق ١٨١/٣.

(٣٢١) سمط النجوم ٢٩٢/٣.

(٣٢٢) تاريخ الطبري ٦٣/٤.

(٣٢٣) هو مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أبو خداش الأزدي، أحد الأسخياء الممدوحين فاتح حصن البتم بناحية فرغانة. انظر: فتوح البلدان ٤٠٧/١، معجم ما استعجم ٢٢٤/١، تاريخ دمشق ١٦٥/٥٧.

(٣٢٤) تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢.

(٣٢٥) تاريخ الطبري ٦٥٥/٣ - ٦٥٦ (كان يزيد رغم خروجه وتمرده له مكارم ومحامد أحصاها الجرجاني في تاريخ جرجان ٥٣/١).

– ذلك بعد أن عزل عمر يزيداً عن العراق – فأوصل إليه كتاب عمر بالقبض عليه وإرساله إليه بدمشق، فقال يزيداً سمعًا وطاعة، فحمله إلى عمر مستوثقًا منه(٣٢٧). وهذه الرواية تبدو متمشية مع طبيعة سير الأحداث، حيث أن يزيد جاء طواعية ليقابل عمر بنفسه. بخلاف رواية الطبري: أن عديًا بن أرطأة لما علم بقدومه أرسل إليه موسى ابن الوجيه الحميري الكلاعي فلحق به في نهر معقل عند جسر البصرة فأوثقه وأرسله إلى عمر(٣٢٨)، ولما وقف يزيد أمام عمر قال له: وجدت لك كتابا أرسلته إلى سليمان تذكر فيه أنه قد اجتمع لك عشرون ألف ألف درهم. فأين هي؟ فأنكرها يزيد وقال: إنما كتبت له ذلك من قبل المباهاة ثم قال: دعني أجمعها. قال عمر: أين؟ قال: أسعى إلى الناس فأجمعها. قال عمر: تأخذها منهم مرة أخرى لا ولا نعمى عين(٣٢٩). ولما لم يقتنع كلام يزيد عمر أمر بحبسه(٣٣٠). وأرسل إلى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي(٣٣١) عاملا عليها، فخرج منها مخلد بن يزيد متوجها إلى الشام ليشفع في والده عند عمر، ولا يمر بكورة في طريق إلى الشام إلا وأجزل لهم العطاء(٣٣٢). ثم قابل عمر بن عبد العزيز وخاطبه في إطلاق سراح والده وقال: "علام تحبس هذا الشيخ؟ أقم عليه البينة"(٣٣٣). ولما خرج مخلد من أمامه قال عمر: هذا خير عندي من أبيه، فما لبث قليلا إلا ومات مخلدا بعدها(٣٣٤)، وكان مخلد سيدا شريفا يُقدم على أبيه على حداثة سنه، وقد سار وهو صبي(٣٣٥). ولما مات مخلد وقف عمر بن عبد العزيز على قبره وأنشد:

---

(٣٢٦) هو عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو بن عنبسة وأبي أمامة الباهلي، ويقال إن الدارقطني يحتج بحديثه. قتله معاوية بن يزيد بن المهلب وجماعة معه صبرا سنة ١٠٢هـ في واسط ثأرًا لمقتل أبيه يزيد. تاريخ دمشق ٦٠/٤٠، الوافي بالوفيات ٣٤٨/١٩.

(٣٢٧) تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢.

(٣٢٨) تاريخ الطبري ٦٣/٤، الكامل في التاريخ ٣١٦/٤ – ٣١٩.

(٣٢٩) تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢، تاريخ الطبري ٦٣/٤، البدء والتاريخ ٤٦/٦، المنتظم ٤٥/٧.

(٣٣٠) الكامل في التاريخ ٣٠٥/٤، وفيات الأعيان /٢٩٦، البداية والنهاية ١١٥/٩، تاريخ ابن خلدون ٩٤/٣.

(٣٣١) هو الجراح بن عبد الله بن جعاد بن أفلح: من ولد سلهم بن الحكم. والحكم هو ابن سعد العشيرة بن مالك بن عمرو بن طيء من ولد يعرب بن قحطان، أصله من اليمن وسكن الشام فهو شامي الأصل، الأمير أبو عقبة مقدم الجيوش وفارس الكتائب، ولي البصرة من جهة الحجاج ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، كان الجراح بطلا شجاعاً مهيبا عابدا قارئا كبير القدر طويل القامة جدا، روى عن ابن سيرين وروى عنه صفوان بن عمرو، قتل سنة ١١٢هـ، طبقات فحول الشعراء ٦٥٨/٣ – ٦٥٩، طبقات خليفة بن خياط ١٥٦/١، المعرفة والتاريخ ٣٣/١، الأنساب للسمعاني ٢٤٢/٢، تاريخ بغداد ٧٥/٩، تاريخ دمشق ٩٩/١٢، سير أعلام النبلاء ١٨٩/٥ – ١٩٠، الوافي بالوفيات ٤٩/١١.

(٣٣٢) تاريخ الطبري ٦٣/٤، وفيات الأعيان ٢٨٦/٦.

(٣٣٣) تاريخ بغداد ٧٥/٩، تاريخ دمشق ٩٩/١٢، سير أعلام النبلاء ١٨٩/٥، الوافي بالوفيات ٤٩/١١.

(٣٣٤) يذكر ابن قتيبة أن مخلد قد ساد وهو ابن سبع سنين: المعارف ٥٩١/١، ٤٠٠.

(٣٣٥) تاريخ دمشق ١٧١/٥٧.

على مثل عمرو تهلك النفس حسرة * وتضحى وجوه القـوم مغبـرة(٣٣٦)

ولما لم يؤد يزيد ما عليه من أموال أمر عمر أن ينفي إلى جزيرة دهلك(٣٣٧)، ولما حمل في طريقه إلى هناك كان كلما مر على قوم يصيح قائلا: "أما لي عشيرة؟ مالي يذهب بي إلى دهلك؟ إنما يذهب إليها الفاسق المريب المحارب. سبحان الله. أما لي عشيرة؟" (٣٣٨). فاستثار بكلامه هذا غضب قومه فذهب عمر بن نعيم الخولاني إلى عمر يطلب رده إلى حبسه، مخافة أن ينتزعه قومه فوافق عمر، ورده إلى محبسه وظل فيه حتى مرض عمر مرض الموت سنة ١٠١هـ/٧١٩م(٣٣٩). وقبل وفاة عمر بأيام قليلة علم يزيد بأن عمر في أيامه الأخيرة، فأرسل إلى مواليه أن أعدوا لي إبلاً للهروب، واستطاع مغافلة الحراس وفر هاربًا، وكتب إلى عمر في مرضه: إنني لو أعلم أنك تبقى ما هربت، ولكن خفت يزيداً إبن عبد الملك. فقال عمر: اللهم إن كان يزيد بن المهلب يريد بأمة محمد شرا فاكفهم شره، واردد كيده في نحره)(٣٤٠)، وأمر عمر بإرسال الرسل لتقتفي أثره ففاتهم ولم يلحقوا به، حيث كان قد لحق بالبصرة، وعليها عدي بن أرطأة الذي كان قد قبض على آل المهلب وحبسهم(٣٤١) وتولى [يزيد بن عبد الملك ١٠١ ـ ١٠٥هـ/٧١٩ ـ٧٢٣م] الخلافة فكتب إلى ولاته بالبصرة

---

(٣٣٦) دهلك بفتح الدال جزيرة تقع على ساحل بحر عيذات (الأحمر) غرب اليمن تعد مرسى بلاد اليمن للحبشة، وهي جزيرة ضيقة حرجة مناخها حار، كان خلفاء بني أمية يحبسون فيها من نقموا عليه، قيل فيها: (أقبح بدهلك من بلدة)

فكل امـــــرئ حلها هالــــك * كفاك دليلا على أنها جحيم وخازنها مالك

انظر: علي بن بسام الشنتريني ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ دار الثقافة بيروت سنة ١٩٩٧، تحقيق إحسان عباس ٣٦٠/٦، معجم البلدان ٢٩٢/٣، وفيات الأعيان ٣٠٠/٦.

(٣٣٧) تاريخ الطبري ٦٢/٤، الكامل في التاريخ ٣٢٠/٤، وفيات الأعيان ٣٠٠/٦.

(٣٣٨) يروي الطبري أن قوم يزيد بن المهلب من الأزد أراد بعضهم أن ينتزعوه من أيدي حراسه عندما أمر عمر عدي بن أرطأة أن يرسل يزيد إلى الجند بعين التمر. فأوكله عدي إلى وكيع بن أبي الأسود فأوثقه وحمله إلى سفينة كانت ترسو بنهر أبان، وحينئذ عرض لوكيع قومه من الأزد ليأخذوا يزيدا، فحلف عليهم وكيع بطلاق امرأته إن لم ينصرفوا ويتركوه ليذبحنه، فناداهم يزيد ـ وكان يعرف قوة يمين وكيع ـ أن يتفرقوا عنه فتفرقوا، فمضى به وكيع إلى عين التمر وسلمه للجند الذين مضوا به إلى عمر بالشام وعاد وكيع إلى عدي بن أرطأة بالبصرة: تاريخ الطبري ٦٧/٤.

(٣٣٩) كان سبب العداء بين يزيد بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب، أن الأخير لما كان واليا على العراق وخراسان في عهد سليمان بن عبد الملك قد نكب بآل أبي عقيل أصهار يزيد بن عبد الملك، حيث كان الأخير متزوجًا من أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخت الحجاج بن يوسف، والتي ولدت ليزيد ابنه الوليد الخليفة المقتول فيما بعد، فكان يزيد قد عاهد الله لئن أمكنه الله من إبن المهلب ليقطعن منه طابقا. تاريخ الطبري ٦٧/٤، تاريخ إبن خلدون ٩٨/٣.

(٣٤٠) تاريخ اليعقوبي ٣٠٨/٢، تاريخ الطبري ٦٧/٤.

(٣٤١) كان وراء تسمية يزيد بن المهلب لنفسه بالقحطاني مغزى هو أن يضفي صبغة دينية على تمرده مستغلا حديثا رواه أبو هريرة ـرضي الله عنهـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ فيه ((لا تقوم الساعة حتى يقتل القافل من رومية، ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان)) انظر البدء والتاريخ ١٨٣/٢ ـ ١٨٤.

والكوفة بالتحرز من بن المهلب. الذي كان كرمه الزائد في توزيعه قطع الذهب والفضة على الناس سببا في أن مالوا إليه، فاستطاع التغلب على البصرة، وحبس واليها عدي بن أرطأة بعد مواجهة حربية عنيفة بينهما أسر على إثرها عدي وجماعة معه، واستوثقت له البصرة وأعلن خلع يزيد وأرسل عماله على الأهواز، وفارس وكرمان وخراسان وخطب في الناس معلنا أنه القحطاني الذي سيكون النصر على يديه[٣٤٢]، ورفع الرايات السود وأنه سيسير فيهم سيرة العمرين[٣٤٣] وكان ذلك ليلة القدر رمضان سنة ١٠١هـ/٧١٩م[٣٤٤]. وقد أراد يزيد برفع هذا الشعار استقطاب طائفة القراء والفقهاء الذين كانوا دائما الوقود الذي يشعل حماس الناس إذا خفت، وهكذا دائما كان يحرص زعماء التمردات على كسب ودهم واصطحابهم معهم – كما فعل عبد الرحمن بن الأشعث من قبل – وفعلا عندما رفع يزيد بن المهلب هذا الشعار انبهر به القراء والفقهاء والتفوا حوله وكان فيهم النضر بن أنس بن مالك، والذي قال (أيها الناس ما تنقمون أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز[٣٤٥].

وبهذه السياسة التي أعلنها إبن المهلب استطاع أن يجذب إليه بعض الساخطين على الحكم الأموي في البصرة[٣٤٦]. كما مالت إليه بعض القبائل لاسيما ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس[٣٤٧] ومعه ناس من أهل

---

(٣٤٢) العبر للذهبي ١٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٥٠٦/٤، مرآة الجنان ٢١٢/١.

(٣٤٣) تاريخ خليفة ٣٣٢/١.

(٣٤٤) تاريخ الطبري ٨٠/٤.

(٣٤٥) الكامل في التاريخ ٣٠٥/٤، وفيات الأعيان ٢٩٩/٦، البداية والنهاية ١٨٥/٩، تاريخ إبن خلدون ٩٤/٣.

(٣٤٦) كان على رأس هؤلاء (عمران بن عامر بن مسمع) الذي نزع منه عدي بن أرطأة رايته راية بكر بن وائل. تاريخ الطبري ٧٦/٤.

(٣٤٧) برزت العصبية القبلية بين عرب الشمال من القيسية (المضرية) وعرب الجنوب من اليمنية (الربعية) في معركة مرج راهط ٦٥هـ وهي التي أذكت نار العصبية بن قيس واليمن في سائر البلاد فكانت تلك العصبية من الأسباب التي أدت في النهاية إلى سقوط الدولة الأموية، وإن كانت قد خمدت في عهد عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – حيث دعا رجال دولته إلى نبذ التعصب، ثم جاء بعده يزيد بن عبد الملك فانحاز إلى القيسية ضد اليمنية التي كان يمثلها يزيد بن المهلب، ثم جاء هشام بن عبد الملك فخشي تفوذ المضرية فأحل محلهم اليمنية ثم مال إلى المضرية مرة أخرى ولم تكن له سياسة ثابتة مع أحدهما فكان يقف بجانب الضعيف فيهم حتى يتعادلا فيمسك بميزان القوة، ثم عادت العصبية إلى التطاحن في عهد الوليد بن يزيد لتعصبه للمضرية، فاستثمر ذلك يزيد بن الوليد فاستعان باليمنية لخلع الوليد وقتله، ثم جاء مروان بن محمد فانحاز إلى القيسية ضد اليمنية حتى أدت تلك العصبية في النهاية إلى سقوط الدولة الأموية. إبن طباطبا – الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية – مصر طبعة ١٣١٧هـ ص ١٢٠، أبو الحسن علي المسعودي – كتاب التنبيه والإشراف – طبعة القاهرة ١٩٣٨م ص ٢٨٠، المسعودي – كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر – مصر طبعة ١٣٤٦هـ ١٩٧/٢، إحسان النص – العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي – رسالة دكتوراة – جامعة القاهرة – ص ٧٣ – ٧٤، هاشم محمد المشهداني – العصبية في ضوء الإسلام – دار الثقافة الدوحة ط ١ سنة ٢٠٠٢م ص ٣١، أحمد الشايب – تاريخ الشعر السياسي – مكتبة النهضة المصرية – د. ت ص ٢٧، أحمد الشايب – تاريخ النقائض – طبعة الاعتماد سنة ١٩٤٦م ص ١٨٠.

الشام[٣٤٨]، وبكل هؤلاء وبكرم يزيد – حيث كان عدي بن أرطأة لا يعطي إلا درهمين درهمين، ويقول لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك[٣٤٩] – كثر أتباعه واستطاع بهم السيطرة على البصرة.

وأمام هذا التمرد الذي كان يخشاه يزيد ويخاف عقباه، أراد أن يعالجه بالسلم قبل الحرب، فبعث إلى إبن المهلب أمانا مقابل فض التمرد، ولكن إبن المهلب رفض هذا العرض[٣٥٠]، ربما كان سبب الرفض هو توقيت هذا العرض حيث أتاه وهو في ذروة قوته بما انضم إليه من قومه يمنيين ومضريين، ولما رأى يزيد بن عبد الملك ازدياد اتباع إبن المهلب بالبصرة، أراد أن يقطع عليه طريقه اكتساب أنصار جدد له، فأرسل رجالاً إلى الكوفة من أهل الشام يمنونهم الزيادات في الأعطية، ويسكتونهم، ويثنونهم عن طاعة إبن المهلب[٣٥١] الذي كان يحث الناس على الجهاد - وإن كان جهادا يصب في مصلحته هو- حيث زعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثوابًا من جهاد الترك والديلم، واتجه إلى واسط واستولى عليها[٣٥٢]. بعد أن استخلف على البصرة أخاه مروان بن المهلب[٣٥٣]. ثم عزم على التوجه إلى الكوفة، فكلف الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف مقاتل لملاقاة إبن المهلب، وخيم الحزن على البيت الأموي تحسب النتائج المواجهة غير المعروفة النتائج نظر لخطورة التمرد والمتمرد الشجاع الصارم – كما وصفه أنصار إبن الأشعث[٣٥٤]- وهو ما عبر عنه مسلمة لأخيه يزيد إبن عبد الملك قبل توجهه لقتال إبن المهلب[٣٥٥].

وفي أول أيام شهر صفر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م سار مسلمة وجيشه إلى العراق وهو يقول: أخشى أن يتعبأ إبن المهلب ويهرب فتطلبه، فرد عليه زعيم الموالي – الذي كان في هذه الجولة مع الدولة الأموية – حسان النبطي: إن إبن المهلب لا يحسن

---

(٣٤٨) تاريخ الطبري ٧٦/٤، الكامل في التاريخ ٣٣٩/٤.

(٣٤٩) تاريخ الطبري ٧٦/٤.

(٣٥٠) المصدر السابق نفسه.

(٣٥١) تاريخ الطبري ٧٨/٤.

(٣٥٢) تاريخ خليفة ٣٣٢/١، الكامل في التاريخ ٣٣٩/٤.

(٣٥٣) اليعقوبي ٣١٠/٢، الطبري ٨١/٤، إبن خلدون ٩٨/٣.

(٣٥٤) طبري ١٤٣/٣.

(٣٥٥) يروي ابن خلكان: أن مسلمة بن عبد الملك دخل على يزيد بن عبد الملك أخيه حين خلعه يزيد بن المهلب، وكان مسلمة يلبس ثوبا مصبوغا، فقال له أخوه يزيد: أتلبس هذا وأنت ممن قيل فيهم:

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء لو باتت بأطهار

فقال مسلمة: ذاك ونحن نحارب أكفاءنا من قريش، فأما إن نعق ناعق فلا ولا كرامة. انظر وفيات الأعيان ٣٠٩/٦.

الهروب، وبالفعل التقى الجمعان بمسكن في موضع يقال العقر(٣٥٦)، وقبيل المعركة تمثل أبياتا من الشعر وكأنه قرأ مصير المعركة قبل أن تبدأ(٣٥٧). وبعد مناوشات ومعارك بسيطة التقى بعدها الجمعان، وإبن المهلب يتذكر نهاية عبد الرحمن إبن الأشعث ويقول لمن حوله: "ويح عبد الرحمن بن الأشعث غلب على البصرة، أيغلب على الصبر، ما ضره لو ألقى طرف ثوبه على وجهه أو أغمض عينيه ثم تقدم حتى قتل، ولم يكن قتيل نفسه" (٣٥٨).

استمرت معركة العقر ثمانية أيام منذ أوائل شهر صفر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. وكان يزيد بن المهلب خلالها مبطوناً شديد العلة، في حين كان مسلمة بن عبد الملك يسمى يزيد إبن المهلب "الجرادة الصفراء" (٣٥٩). واشتدت رحى المعركة وإبن المهلب لم يبرح أرض المعركة مع مرضه حتى "وجد مقتولا بلا طعنة ولا ضربة، فقد انسددت أذناه ومنخاره، وامتلأ فمه بغبار العسكر فمات فلا يعرف مثله قتيل غبار" (٣٦٠). وهذه الرواية تتماشى مع رواية اليعقوبي التي تقول بأن إبن المهلب كان مريضا شديد المرض فلم يشترك بسيف. بخلاف رواية السمعاني أن يزيداً بن المهلب قتله الفحل بن عياش إبن عرين العريني، وقتله يزيد في نفس الوقت فكلاهما قتل صاحبه(٣٦١).

في حين نجد إبن خلكان يجعل الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي هو الذي قتل يزيداً(٣٦٢). وكلتا الروايتين لا تتماشى مع الحالة الصحية المتردية التي كانت تنتاب يزيداً بن المهلب قبيل وأثناء المعركة، وأسفرت معركة العقر التي انتهت يوم الجمعة الرابع عشر من صفر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م بمقتل إبن المهلب وهزيمة جيشه وسحق

---

(٣٥٦) العقر موضع يقع ببابل بين واسط وبغداد قرب كربلاء، كان قد نزل به الحسين بن علي – رضي الله عنه– قبل كربلاء فتشاءم منه فتركه إلى كربلاء. معجم ما استعجم ٣/٩٥٠، معجم البلدان ٤/١٣٦.

(٣٥٧) هذه الأبيات لفروة بن مسيك المرادي التميمي، يقول فيها:

إن نغلب فغلابون قدما ... وإن نهزم فغير مهزومينا
وما إن طبنا ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا
ومن يغرر بريب الدهر يوما ... يجد ريب الزمان له خؤونا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقي الشامتون كما لقينا

انظر: الوافي بالوفيات ٢٤/٧.

(٣٥٨) الكامل للمبرد ١/٢١١، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١١.

(٣٥٩) تاريخ اليعقوبي ٢/٣١١.

(٣٦٠) معجم الأدباء ٥/٦٣٨.

(٣٦١) الأنساب للسمعاني ٤/١٨٦.

(٣٦٢) الكامل في التاريخ *٢/٣٤٢، وفيات الأعيان ٦/٣٠٨، تاريخ إبن خلدون ٣/٩٩.

تمرده[٣٦٣]، وتتبع الجيش الأموي فلول آل المهلب وصودرت أموالهم، وحملت رأس يزيد بن المهلب إلى الشام حيث يزيد بن عبد الملك[٣٦٤]، الذي أمر بحصر أموال آل المهلب وقبضها فيروى البلاذري: أن يزيداً أصاب من هذه الأموال على سبيل المثال أربعة آلاف جاموسة[٣٦٥] كانت لهم بكور دجلة كسكر[٣٦٦] فوجهها يزيد إلى المصيصية[٣٦٧]. ويعلق البعض على مقتل يزيد قائلا: "ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء – يوم أن قتل الحسين -رضي الله عنه- وضحى بنو مروان بالمروءة والكرم يوم العقر" [٣٦٨].

نتج عن تمرد يزيد بن المهلب أن وقف يزيد بن عبد الملك من اليمنيين قوم إبن المهلب موقفا معاديا، فقام بتولية عمر بن هبيرة الفزاري القيسي[٣٦٩] على العراق، فلقيت قبائل الأزد خاصة و اليمنية بوجه عام على يديه عنتًا شديدا، فأبعدوا وأهينوا، وعُذب

(٣٦٣) تاريخ خليفة ٣٣٢/١، فتوح البلدان ١٧٢/١، تاريخ الطبري ٨٢/٤، ٨٣، ٨٥، البدء والتاريخ ٤٨/٦، المنتظم ٧٩/٧ الكامل في التاريخ ٣٤٠/٤، مرآة الجنان ٢١٤/١، البداية والنهاية ٢٢١/٩، إبن خلدون ٣ ٩٩-١٠٠ (لما قتل يزيد بن المهلب كان معاوية ابنه عاملا من قبل أبيه على واسط وكان في محبسه عدي بن أرطاة الفزاري القيسي وجماعة معه كان يزيد نقلهم معه من البصرة إلى واسط فأقدم معاوية على قطع رقابهم ثم هرب وأهل بيته وأنصاره إلى كرمان وقنابيل بالسند فأرسل إليه مسلمة من قتلهم جميعا، وأسر مجموعة منهم أخذهم إلى دمشق وقتلهم هناك) المعارف ٤٠٠/١، تاريخ اليعقوبي ٣١١/٢، مرآة الجنان ٢١٤/١.

(٣٦٤) يذكر اليافعي أنه لما حملت رأس يزيد بن المهلب أمام يزيد بن عبد الملك في مجلسه، نال أحد جلسائه من إبن المهلب، فقال يزيد بن عبد الملك له (مه إن يزيد بن المهلب طلب جسيما، فركب عظيما، فمات كريما) مرآة الجنان ٢١٢/١، وهذه الرواية عكس ما رواه محمد بن سلام الجمحي في طبقاته (... أن يزيد بن عبد الملك لما قتل إبن المهلب بعث إلى الشعراء يأمرهم بهجاء يزيد وأهل بيته، فاستعفى منه بعضهم وعلى رأسهم الفرزدق بحجة أنه كان دائما يمدح آل المهلب فكيف يذمهم،... وكان يزيد بن المهلب بعد فتح جرجان قد كتب إلى أخيه مروان: (احمل إلينا الفرزدق ليقول في آثارنا وأعطه كذا وكذا.) محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) طبقات فحول الشعراء – دار المدني – جدة – تحقيق: محمود شاكر ٣٣٨/٢، ٦٥٨، تاريخ جرجان ٥٥/١.

(٣٦٥) فتوح البلدان ١٧٢/١، تاريخ حلب ١٥٩/١.

(٣٦٦) كسكر: كورة واسعة من كور العراق، قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة، كان قد بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، معجم ما استعجم ١١٢٨/٤، نزهة المشتاق ١ ٣٨٢، معجم البلدان ٤٦/٤.

(٣٦٧) المصيصة: ثغر من ثغور الشام ومدينة تقع على شاطئ جيجان بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، بناها صالح بن علي عم أبي جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ معجم ما استعجم ١٢٣٥/٤، معجم البلدان ٥ ١٤٥، وفيات الأعيان ١٢٧/١.

(٣٦٨) الكامل للمبرد النحوي ٣، ٢٣٧، معجم ما استعجم ٩٥٠/٣، وفيات الأعيان ١٠٩/٤، الوافي بالوفيات ٢٤٨/٣٤، تاريخ الخلفاء ٢٤٧/١.

(٣٦٩) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي بن فزارة، يكنى أبا المثنى، جده من قبل أمه هو كعب بن حسان بن شعبان رأس بني عدي، ولي عمر العراقيين ليزيد بن عبد الملك بن مروان ست سنين وقتل سنة ١٣٢هـ. المعارف ٤٠٨/١، فتوح البلدان ٢٨٥/١، تاريخ الطبري ٩٧/٤، تاريخ دمشق ٣٧٣،٤٥، وفيات الأعيان ٦ ٣١٣، الوافي بالوفيات ١٥/٢٨.

منهم من اتهم بمولاته لآل المهلب، فأخذت أموالهم، وكأن المنتصر كانت قيس العراق وليست الدولة الأموية، ذلك لأن يمنية الشام كانوا بمنأى عن هذا الاضطهاد، حيث أن يزيداً بن عبد الملك لم يفرق بينهم وبين القيسين إذ إن جزءًا كبيراً من جيشه كان منهم(٣٧٠).

ونختم هذا التمرد بإلقاء وميض من الضوء على عوامل فشل تمرد يزيد بن المهلب فنجد أنه يشترك مع من سبقه من التمردات في عوامل كثيرة، منها: أن التمرد لم يكن له هدف عام ينضوي تحته جموع متفرقة من الناس بحيث يتحول هذا الهدف إلى خطوات طبقا لخطة عملية يقوم على تحقيقها ويسعى لتنفيذها وتنجح في ذلك. ولكن تمرد ابن المهلب كان ذا هدف شخصي يبحث عن مجد وجاه وسلطان شخصي، كما كان ابن الأشعث وقتيبة من قبله(٣٧١).

ثم كان العامل الثاني هو عدم كسب أنصار له من أهل الكوفة، الذين لهم تاريخ طويل في العداء للأمويين، ولكنهم هنا لم يخرجوا مع ابن المهلب لأن هدفه الشخصي في التمرد لا يخدم مصالحهم وأهدافهم الطموحة، وربما كان هناك سبب آخر لعدم اشتراكهم في التمرد هو أن يزيد بن عبد الملك أرسل رجالا من أهل الشام إلى الكوفة يمنونهم الزيادات في الأعطية، ويسكتونهم، ويثنونهم عن طاعة ابن المهلب(٣٧٢). فلم يخرج إليه إلا فلولٌ قليلة، حيث أن مسلمة بن عبد الملك وعبد الحميد بن عبد الرحمن جعلا الأرصاد على أهل الكوفة حتى لا يفزعوا إلى ابن المهلب(٣٧٣) وكان العامل الثالث هو موقف بعض العلماء من تمرد ابن المهلب وعلى رأس هؤلاء يأتي الحسن البصري الذي كان ينصح الناس ويحذرهم من الانضمام لتمرد ابن المهلب ويقول بترك الدخول في هذه الفتنة وينهاهم أشد النهي، ويذكرهم بفتنة ابن الأشعث، ويعظ الناس ويأمرهم بالكف ويقول: "أيها الناس الزموا رحالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض، إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء. وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي، والمعروف التقي، فما كان خفيا فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا فكفاه.. ومن كان معروفا شريفا فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك فواها لهذا ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله، فهذا غدا القرير عينا

(٣٧٠) المعارضة في الدولة الأموية ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – مكتبة الأنجلو طبعة ١٩٥٧-٢: ٩٠.

(٣٧١) انظر تمرد عبد الرحمن بن الأشعث وقتيبة بن مسلم في هذا البحث.

(٣٧٢) تاريخ الطبري ٤: ٧٨.

(٣٧٣) تاريخ ابن خلدون ٩٨/٣.

الكريم عند الله مآبا" (٣٧٤). ولما بلغ ذلك عبد الملك بن المهلب نائب البصرة، قام يخطب الناس ويحثهم على عكس ما يقوله الحسن ويتهمه بالضلال والمراء، ويتوعده إن لم ينته، فلما بلغ الحسين ذلك التهديد قال:

"أما والله ما أكره أن يكرمني بهوانه" (٣٧٥). ولما بلغ الحسن البصري أن يزيد يرفع شعار السير على هدى الكتاب والسنة وسيرة العمرين تعجب قائلا: "كان ابن المهلب بالأمس يضرب رقاب هؤلاء استرضاء لبني أمية، فلما غضب نصب هؤلاء وقال ادعوكم إلى كتاب الله وسنة العمرين، إن من سنة العمرين أن يوضع في قدمه القيد ثم يرد إلى محبس عمر" (٣٧٦).

ويضاف إلى تلك العوامل عامل اغترار ابن المهلب بجيشه الذي بلغ نحوا من مائة وعشرين ألفا، في حين أنه قبل ذلك بقليل لما أحس بضعف موقفه، يحكي ابن عساكر: أنه بعث ابن أخيه حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد يطلب منه الأمان، ويعتذر إليه من هروبه من سجن عمر، حيث كان حميدًا بليغا خطيبا(٣٧٧)، فأرسل يزيد مع حميد خالد ابن عبد الملك القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته، ولكن يزيد لم يحتج إليه حيث كان قد قوّى معسكره واشتدت جبهته فرفض ذلك الأمان ولم يستثمره ويفاوض عليه ويخرج من أزمته فقتل(٣٧٨).

أما العامل الخامس وهو من أقوى هذه العوامل جميعًا فهو قوة الدولة الأموية، وعزيمة الخليفة يزيد الأكيدة في القضاء على ابن المهلب، فقد اتسمت سياسة الأمويين عامة أمام كافة التمردات بين السلام المتمثل في رفع راية الأمان، فإن لم يقبلها المتمرد كانت له القوة المسلحة لأنه لم يعد هناك أي بديل عنها. لاسيما وأن بعض الشعراء لم يعجبه أن يرسل يزيد بن عبد الملك أمانا لابن المهلب بدلا من أن يرسل إليه السيوف، فتأسف الشاعر على أيام الحجاج قائلا: (٣٧٩).

لا يصلح الناس إلا السيف إذا فتنوا ... لهفي عليك ولا حجاج للدين
لو كان حيا غداة الأزد إذ نكثوا ... لم يحص قتلاهم حساب ديرين(٣٨٠)

---

(٣٧٤) تاريخ الطبري ٤/ ٨٤.

(٣٧٥) المنتظم ٧/ ٧٩، الكامل في التاريخ ٤/ ٣٤٠، وفيات الأعيان ٦/ ٣٠٤، البداية والنهاية ٩/ ٢٢٠-٢٢١.

(٣٧٦) المنتظم ٧/ ٦٨.

(٣٧٧) تاريخ دمشق ١٥/ ٢٨٤.

(٣٧٨) تاريخ الطبري ٤/ ٧٦.

(٣٧٩) الشاعر هو محمد بن إدريس. انظر: تاريخ دمشق ٦٥/ ٦٤.

(٣٨٠) ديرين: لم أقف لها على معنى بعينه إلا على أشباهها: مثل تيارة، ديارات، ديران: حذف سيبويه في باب جمع الجمع في قسمة السلامة. انظر لسان العرب ٤/ ٢٩٨.

ونضيف إلى هذه العوامل عاملاً لا يخفى أثره في فشل تمرد إبن المهلب، هو أن يزيداً بن المهلب فشل في أن يكسب مساندة أهل خراسان إلى جانبه، حيث أن أهل خراسان منعوا أخاه مدركاً بن المهلب من دخول خراسان، ولعل سبب ذلك هو أن أهل خراسان لم يأملوا خيرا في تمرد إبن المهلب، حيث أنه واحد من سلسلة تمردات قبله باءت بالفشل، لاسيما إبن الأشعث ومن قبله قتيبة فكانت نهاية الجميع هي الفشل حيث أن زعماء هذه التمردات هم من صناعة الأمويين، فكانوا قوادا تابعين للحكم الأموي الذي رفعهم من لا شيء، فسقطوا دون أن يبكي عليهم أحد من أهل خراسان[٣٨١].

(٣٨١) خالد عبد الهادي يحيى – العرب في خراسان – رسالة ماجستير القاهرة - اشراف د.حسين مونس سنة ١٩٨٣ ص٢٥٨.

الفصل الرابع

حركات تمرد وعصيان من أجل الخلافة

يشمل هذا الفصل حركات التمرد والعصيان التي خرجت من أجل أن أصحابها يرون في أنفسهم أنهم أهل للخلافة من الخليفة الحاكم، وشملت هذه التمردات تمردات في الدولة الأموية ومنها:

- تمرد عمرو بن سعيد الأشرق بدمشق سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م.
- تمرد الحارث بن سريج بخراسان سنة ١١٦هـ/٧٣٤م.
- تمرد جديع الكرماني بخراسان سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م.
- ويحتوى هذا الفصل أيضا على حركات تمرد وعصيان تطالب بعودة الخلافة من العباسيين إلى الأمويين، وكان من أبرزها:
- تمرد السفياني المنتظر في حلب سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م.
- تمرد إسحاق بن مسلم العقيلي بالجزيرة في العراق سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م.
- تمرد إبان بن معاوية بن هشام في سمسياط سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م.
- تمرد على بن عبد الله السفياني بالشام سنة ١٩١هـ/ ٨٠٩م.

أولا حركات التمرد والعصيان من أجل الخلافة ضد الأمويين

تمرد/ عمرو بن سعيد[١] الأشدق[٢] في دمشق سنة ٧٠هـ/٦٨٩م:

كان عمرو بن سعيد الأشدق من سادات المسلمين، ومن الكرماء المشهورين، يعطي الكثير ويتحمل العظائم[٣] لذلك اتخذه معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- ويزيد ابنه من بعده – وفي عهد مروان بن الحكم من بعد – نائبا على المدينة، ثم جمع له

(١) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، يكنى أبو أمية ويلقب بالأشدق، لأنه كان أفقم أي: عظيم الشدق. كان أحد أشراف بني أبا أمية ويطلقون عليه لطيم الشيطان، حيث كان جبارا شديد البأس قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٠هـ وهو غير عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، صحابي مات بمعركة أجنادين سنة بالشام وهو عم الأشدق ويحدث خلط بينهما، طبقات ابن سعد ١٠٠/٤. الأحاد والمثاني ٣٨٧/١، الأنساب ٢٠٩/١، تاريخ دمشق ٢٣:٤٦ -٢٩. تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢٦/١، الوافي بالوفيات ١٥٨/٩، ٣٠٢/٢٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٤/٥، التحفة اللطيفة ٣٢/٢.

(٢) الأشدق في اللغة من الشدق وهو جانب الفم، والأشدق العريض الشدق الواسع المائل، ورجلٌ أشدق إذا كان متفوها ذا بيان مثل عمرو بن سعيد الأشدق، لأنه كان أحد خطباء العرب، ويقال كان متشدقا في منطقه، إذ كان عمرو يتوسع فيه ويتفيهق فقد دخل على معاوية بعد موت أبيه سعيد، فاستنطقه معاوية فقال عمرو: إن أول كل مركب صعب وإن مع أمس اليوم، فقال معاوية له: من أوصى بك أبوك؟ فقال عمرو: أوصى إليّ ولم يوص بي – فقال معاوية: إن ابن سمية هذا لأشدق، فسمي عمرو الأشدق من تلك اليوم. لسان العرب ١٧٢/١٠ – ١٧٣، فوات الوفيات ١٩٨/٢، سمط النجوم العوالي ١٣١/٣.

(٣) من أقواله: "ما شتمت رجلا منذ كنت رجلا، ولا كلفت من قصدني أن يسألني لهو أمَنُّ عليَّ مني عليه" البداية والنهاية ٣٠٩/٨.

يزيد مكة إلى جانبه أيام ظهور الحسين وابن الزبير في مكة سنة ٦٠هـ/٦٧٩م[٤]. وبعد موت يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م وعقد مؤتمر الجابية[٥] وكانت من أهم قراراته، عدم مبايعة ابن الزبير بالخلافة، واستبعاد خالد إبن يزيد بن معاوية[٦] لأنه غلام والعرب لا تحب مبايعة الأطفال، والناس في أزمة الآن تحتاج إلى رجل مختلف مجرب خبير عله يقودهم إلى النصر وينقذهم من وضعهم المتدهور، فبايعوا مروان بن الحكم، على أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد الأشدق من بعد خالد[٧].

إلا أن مروان تجاوز خالد وعمرًا وبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز من بعده، وكان عمرو يدعي أن مروان وعده أن يجعل إليه ولاية العهد بعد عبد الملك، ثم نقض مروان ذلك الوعد وجعله لابنه عبد العزيز بن مروان[٨]، ويروي إبن الجوزي أن السبب الذي حمل مروان لبيعة ولديه، أنه سمع الناس تتناقل فيما بينها أن ولي العهد لمروان والخليفة من بعده عمرو بن سعيد، فأمر مروان أهل الشام بقصد البيعة لابنيه[٩]. ويروي اليعقوبي أن مروان بن الحكم لما عاد من مصر سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ونزل بالأردن سمع أن أميرها حسان بن مالك بن بجدل الكلبي، قد بايع بولاية العهد من بعد مروان لعمرو بن سعيد الأشدق، فأحضره مروان وواجهه بذلك فأنكر فطلب منه أن يبايع أمامه لولديه عبد الملك وعبد العزيز فبايع[١٠] إلا أن مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بطريق عودته من مصر مات وهو بالأردن. وقيل بدمشق، أقبل (عبد الملك بن مرون ٦٥ – ٨٦هـ) إلى دمشق مسرعًا خوفا من وثوب عمرو بن سعيد الأشدق[١١]، لأنه كان – كما يقول إبن سعد – يعرف أن عمرًا بن سعيد الأشدق أطوع الناس عند أهل الشام[١٢]. وكان عمرو الأشدق يطلب من عبد الملك بصراحة أن يجعل

---

(٤) تاريخ خليفة ١/٢٥٤، اخبار مكة ٣/١٧٨، المنتظم ٥/٣٢٤، ٣٢٩، البداية والنهاية ٦/٢٣٢.

(٥) الجابية بلدة من اعمال دمشق من ناحية الجولان، معجم ما استعجم ١/٣٥٥، نزهة المشتاق ١/٣٦٨، معجم البلدان ٢/٩١.

(٦) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكنيته أبو هاشم، لما شب عن الطوق فيما بعد أصبح من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة والشعر، وكان علامة خبيرا بالطب ولاسيما علم الكيمياء، انظر معجم الأدباء ٣/٢٨٠، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس – موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين – دار الجيل بيروت – ط ١ سنة ٢٠٠٥م – ٢/٣٤٧.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٨٣، الكامل في التاريخ ٣/٤٧٧، البداية والنهاية ٨/٢٤٠، سمط النجوم ٣/٢١٨.

(٨) المنتظم ٥/٢٩٩.

(٩) المصدر السابق ٦/٣٧، البداية والنهاية ٦/٢٣٢.

(١٠) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٧.

(١١) المصدر السابق ٢/٢٥٨.

(١٢) الطبقات الكبرى ٥/٢٢٧.

له ولاية العهد من بعده، ويقول له إن أباك جعل لي هذا الأمر من بعده، ولذلك جاهدت معه، فكان عبد الملك يسمعه ولا يجيبه إلى ما يقول[١٣].

ظل عمرو بن سعيد يتوق إلى أن يتولى ولاية العهد. فإن لم يظفر بها سلمًا عزم في نفسه على التمرد على عبد الملك والتخلص منه حتى يكون هو الخليفة للمسلمين، ولكنه كتم هذا ولم يبد به إلا لخالد بن يزيد بن معاوية، والذي كان أيضا له عهد من مروان بولاية العهد حسب مقررات مؤتمر الجابية، وقد أطمعه مروان في العقد له بعده، فكان – كما يقول إبن سعد – مع عبد الملك على الطمع[١٤]، ولكنه لم يشغل نفسه كثيرا بهذا الأمر كما شغل به الأشدق حيث تفرغ فيما بعد خالد إلى تحصيل العلم، لاسيما على الكيمياء[١٥].

في سنة ٦٩هـ خرج عبد الملك بن مروان بجيش يريد أولاً قرقيسياء[١٦] التي ساعد أميرها زفر بن الحارث الكلابي، الذي أعان سليمان بن صرد في تمرده على جيش مروان لما التقوا في عين الوردة[١٧]، فإذا ما تخلص منه اتجه ثانيا إلى مصعب بن الزبير والي العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير بمكة[١٨]. وقد استخلف عبد الملك على دمشق إبن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي[١٩]، وليس عمرو بن سعيد كما نقل

---

(١٣) المنتظم ٩٠/٦.

(١٤) الطبقات الكبرى ٢٢٧/٥، تاريخ دمشق ٤٠/٤٦.

(١٥) علم الكيمياء: علم يبحث في خواص العناصر وتفاعلاتها. انظر كشف الظنون ١٥٢٦/٢، أبجد العلوم ٤٥٦/٢.

(١٦) قرقيسياء: مدينة تقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات، فهي مثلث بين الخابور والفرات معجم البلدان ٤ ٣٢٨.

(١٧) عين الوردة: هو رأس عين المدينة المشهورة بالعراق في أرض الجزيرة، معجم البلدان ٤/(*)، وعن هذه الوقعة. انظر تمرد سليمان بن صرد في هذا البحث.

(١٨) التقى عبد الله بن مروان بن مصعب بن الزبير في دجيل من أرض مسكن سنة ٧٢ وانهزم فيها مصعب واحتز رأسه عبيد الله بن زياد بن ظبيان بأخيه نابي بن زياد وقدمها لعبد الملك، عن ذلك انظر: تاريخ خليفة ٢٦٨/١، المعارف ١ ٣٥٦، المعرفة والتاريخ ٣٣٦/٣، تاريخ الطبري ٥٢٠/٣، تاريخ بغداد ١٠٧/١٣، تاريخ دمشق ٢٢٢/٥٨.

(١٩) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث من ولد جثم بن ثقيف نسبة إلى أمه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب، وخاله معاوية بن أبي سفيان، ولد في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وتولى لمعاوية الكوفة سنة ٥٧هـ ثم مصر سنة ٥٨هـ بعد أن طرده أهل الكوفة وكان جده عثمان يحمل لواء المشركين في غزوة حنين سنة ٨هـ وكان يكره قريشا وقد قتله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في حنين، في حين كان عبد الرحمن حفيده من أصحاب عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ومات عبد الرحمن سنة ٨٣هـ، الأحاد والمثاني، مشاهير علماء الأمصار ١٠٦/١، تاريخ دمشق ٤٨/٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة (*) وعن استخلاف عبد الملك بن مروان لعبد الرحمن بن أم الحكم على دمشق انظر: طبقات ابن سعد ٢٢٧/٥، تاريخ الطبري ٥١٠/٣، الكامل في التاريخ ٤ ٨٧، سمط النجوم ٢٤٦/٣.

البعض[20]، لأن عبد الملك كان يتوجس خيفة منه على الدوام، فلا يتركه على دمشق وهو يعلم أنه أطوع الناس عند أهل الشام[21].

ولما بلغ عبد الملك منطقة (طنان حبيب) بقنسرين، جلس خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد فتذاكرا أمر عبد الملك معهما، وكيف أنه خدعهما، وأصبحت وعوده لهما باطلة، وهنا أعلن عمرو بن سعيد لخالد عن عزمه في الرجوع إلى دمشق وخلع عبد الملك، فشجعه خالد على ذلك ودفعه إليه[22].

رجع عمرو بن سعيد ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بجدل الكلبي[23]، وزهير بن الأبرد الكلبي[24]، فإذا بسور دمشق يومئذ وثيق يمنعه فلا يستطيع دخول دمشق منه، فاستعان بأهل الشام فكانوا سراعا إليه[25]، فدخلها وتحصن بها، وأخذ ما في بيت المال من أموال، وقد فر والي دمشق من قبل عبد الملك ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم ـ وفراره هذا دليل على صحة الرواة القائلين بخروج عمرو ابن سعيد مع عبد الملك ـ فبحث عنه عمرو فلم يجده، فأمر بهدم بيته ثم دعا إلى نفسه بالبيعة وتسمى بخليفة المسلمين[26] وصعد المنبر بعد اجتماع الناس إليه ووعدهم ومناهم بحسن المواساة والعطية[27]، يحدث هذا وعبد الملك مازال بطنان حبيب لم يعلم عن الأمر شيئا حتى سأل: أين أبو أمية؟ فقيل له قد رجع، فانكفأ راجعا بالناس إلى دمشق، وحاصرها ستة عشر ليلة يتقاتلان فيهما. كان عمرو بن سعيد يخرج فيها لعبد الملك حميد بن حريث الكلبي على الخيل، فيخرج إليه عبد الملك بن سفيان بن الأبرد الكلبي، وإذا أخرج عمرو بن سعيد قائده زهير بن الأبرد الكلبي، أخرج إليه عبد الملك قائده حسان بن مالك بن بجدل الكلبي[28].

ولما رأى عبد الملك أن موقف عمرو بن سعيد قوي، حيث كان متحصنًا بقلعة رومية المنيعة، فمال إلى سياسة المصالحة حتى يكسب بها ما لم يكسبه بسياسة المواجهة العسكرية، ويحُسب لعبد الملك بن مروان قدرته على استخدام أكثر من سياسة في

---

(٢٠) تاريخ اليعقوبي ٢ ٢٧٠، تاريخ الطبري ٣/ ٥١٠، البداية والنهاية ٨ ٣٠٧.

(٢١) طبقات ابن سعد ٥ ٢٢٧.

(٢٢) طبقات بن سعد ٥/٢٢٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٧ ١٨٤.

(٢٣) هو حميد بن حريث بن بجدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن هبل بن كنانة بن ثور بن كلاب الكلبي، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٩٦٩/٦.

(٢٤) تاريخ الطبري ٣ ٥١٠، الكامل في التاريخ ٨٧/٤.

(٢٥) طبقات ابن سعد ٥ ٢٢٧.

(٢٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧٠.

(٢٧) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري ٣ /٥١٣، الكامل في التاريخ ٤ ٨٧، البداية والنهاية ٣٠٧/٨.

(٢٨) هو سفيان بن الأثير بن أبي امامة بن قابوس ابو يحيى الكلبي من بني جبار، كان هواه مع بني أمية وولي بعض الشام لهم، وكان مع عبد الملك حين حاصر عمرو بن سعيد في دمشق، تاريخ دمشق ٢١ ٣٤١.

مواجهة خصمه، ويحسب له قدرته على استخدام الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب لاستخدامها. فعرض عبد الملك الصلح على عمرو فوافق على ذلك بشروط وعهود ومواثيق، وكتب بينهما كتاب الصلح وكانت تنص على:

أن يكون لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك، ويكون لعمرو عامل من طرفه مع كل عامل لعبد الملك، وأن يستشير عبد الملك عمرو بن سعيد في كل شأن، وأن يتولى عمرا بن سعيد الديوان وبيت المال[٢٩]. على إثر هذا الصلح فتح عمرو أبواب دمشق أمام عبد الملك وجيشه فدخلها وبايعه، فصفح عنه عبد الملك، وقد أجمع أمراً؟[٣٠]، استقر عبد الملك في دمشق أربعة أيام كلها تفكير وتدبير وتخطيط للتخلص من عمرو بن سعيد، ولما استوت عنده خيوط الخطة ونضجت بدأ في تنفيذها، فأرسل إلى عمرو بن سعيد أن ائتني بدار الإمارة فوقع في نفس عمرو أنها رسالة شر، فلما كان بعد الظهر لبس درعًا مكفراً[٣١] بين ثيابه، وتقلد سيفه، ونهض للمسير فعثر في البساط، فتشاءمت امرأته ومن كان حاضرا عنده، وقالوا: إنا لا نرى أن تذهب إلى عبد الملك[٣٢]. فلم يهتم كثيرا بهم، وركب فيمن معه من عبيده، وكان عبد الملك قد أمر بعض بني مروان بالحضور عنده، وأمر حاجبه أن يُدخل عمرا بن سعيد أولا ثم يغلق الباب دون من معه، وقد كان ودخل سعيد فغُلقت الأبواب وأدنى إليه عبد الملك عمرو، فأجلسه معه على سريره، وأخذ يرحب به، ويحدثه طويلا، ثم أمر غلامه بأخذ السيف عن عمرو فاندهش عمرو واسترجع وبدأ شكه في الأمر يستحيل إلى واقع، فقال لعبد الملك: إنا لله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: أو تطمع يا أبا أمية أن تتحدث معي متقلدا سيفك؟[٣٣] ثم تحدثا ساعةً، ثم قال عبد الملك: يا أبا أمية. قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إنك حيث خلعتني آليت بيميني إن ملأتُ عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة[٣٤]. فقال الحاضرون من بني مروان. ثم تطلقه يا

(٢٩) هو حسان بن مالك بن بجدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة من ولد ثور بن كلاب، يكنى أبا سليمان الكلبي كان له وجاهة ومنزلة عند بني أمية، وكان مقدم بني كلب ورئيسهم، وهواه في بني أمية حيث عمته ميسون بنت بجدل زوجة معاوية بن أبي سفيان وأم يزيد وشهد مع معاوية صفين، وظل الناس يسلمون عليه بالخلافة بعد موت يزيد أربعين ليلة ثم سلمها الى مروان بن الحكم.، تاريخ دمشق ٤٤٨/١٢، تاريخ حلب ٢٢٣٥/٥، تاريخ ابن خلدون ١٩٨/٢.

وعن دور حسان بن بجدل في حصار عمرو بن سعيد في دمشق انظر: تاريخ الطبري ٥١٣/٣، العبر للذهبي ٧٧/١ – ٧٨، شذرات الذهب ٧٧/١.

(٣٠) طبقات ابن سعد ٢٢٧/٥.

(٣١) المكفر في صلاق/ أي الداخل فيه، ومكفرا بين ثيابه أي فخفي تحت ثيابه.، لسان العرب ١٤٨/٥.

(٣٢) تاريخ الطبري ٥١٢/٢، البداية والنهاية ٣٠٨/٨.

(٣٣) تاريخ اليعقوبي ٢٧٠/٢، الكامل في التاريخ ٨٧/٤.

(٣٤) الجامعة هي: القيد او الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق، لسان العرب ٥٩/٨.

أمير المؤمنين؟ قال: ثم أطلقه(٣٥)، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية؟ فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: فأبر قسمك يا أمير المؤمنين. فأخرج عبد الملك من تحت فراشة جامعة فطرحها إليه، ثم قال: يا غلام قم فأجمعه فيها. فجمعه الغلام فيها، وعبد الملك يقول في نفسه متمثلاً أبياتاً للبهي الشاعر:

أدنيته مني ليسكن روعه فأصول صولة حازم مستمكن
غضبًا ومحمية لديني إنه ليس المسيء كالمحسن(٣٦)

وتعددت الروايات التاريخية في صفة القتل وكيفيته لعمرو فمنها من يقول بأن عبدالملك هو الذي تولى بنفسه عملية القتل، حيث اجتذبه وهو في الجامعة جذبه ناحية سريره فأصاب السرير فمه فكسرت عظمة ثناياه، فاستغاثه عمرو أناشدك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك، أو توكب مني أكثر من ذلك، أو تخرجني إلى الناس فيروني على هذه الصورة، وإنما أراد أن يستفزه فيخرجه حيث كان على الباب من شيعة عمرو نيف وثلاثين ألفا(٣٧)، منهم أخوه عنبسه بن سعيد، فقال له عبد الملك: "أمكرا يا أبا أمية وأنت في الأنشوطة(٣٨)؟ وليس بأول مكر! (٣٩) والله لو أعلم أن تبقى، وتصلح قرابتي(٤٠)، لفديتك بدم النواظر(٤١)، ولكنه قلما اجتمع فحلان لإبل إلا أخرج أحدهما صاحبه"(٤٢)، ثم قام عبد الملك فذبحه.

وهناك روايات أخرى تقول: إن عبد الملك، كلف أخاه عبد العزيز بقتله بعد أن جمعه في الجامعة وخرج لصلاة العصر، فلما رجع لم يجد أخاه قتله، فلامه وسبه وسب أمه – فلم تكن أمه هي أم عبد العزيز(٤٣) – فقال: ناشدني الله والرحم. فقام عبد الملك

(٣٥) تاريخ الطبري ٣ ٥١٢، المنتظم ٩٠/٦، الكامل في التاريخ ٨٧/٤.

(٣٦) تاريخ خليفة ٢٦٦/١.

(٣٧) هذا الرقم أتى به اليعقوبي مبالغا فيه. حيث خرج عمرو من بيته ومعه مائة فقط من عبيده هم الذين كانوا بالباب، ولو كان هذا العدد الكثيف أمام دار الإمارة لعلم به عبد الملك ولانزعج منه، وخاف أن يقدم بسوء على عمرو فتنقلب عليه هذه الأعداد الضخمة، ولو كانت هذه الأعداد على الباب واستبطأوا عمراً، فشكوا في الأمر لاقتحموا على عبد الملك دار الإمارة وأخرجوا صاحبهم، ولكن الذي أراه أنه لم يكن مع عمرو سوى عبيده يترأسهم أخوه عنبسة بن سعيد على الباب. الباحث.

(٣٨) الأنشوطة: هي العقدة التي يسهل حلها، والمقصود بها في السياق هنا هو الجامعة. مختار الصحاح ٢٧٥/١.

(٣٩) تاريخ اليعقوبي ٢٧١/٢.

(٤٠) كان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان في النسب إلى أمية، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم بن أبي العاص عمة عبد الملك بن مروان، وقد نشأ عمرو وعبد الملك في الصغر معًا، عن ذلك انظر تاريخ الطبري ٥١٤/٣.

(٤١) دم النواظر: هما عرقان في مجرى الدمع على الأنف من جانبيه، لسان العرب ٥ ٢١٦.

(٤٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢٦٦/١، تاريخ اليعقوبي ٢ ٢٧١، تاريخ الطبري ٥١٣/٣، الكامل في التاريخ ٤ ٨٧.

(٤٣) كانت أم عبد الملك هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة، في حين كانت أم عبد العزيز هي: ليلى ابنة الأصبغ بن زبان. تاريخ الطبري ٥١٣/٣، المنتظم ٩١/٦، تاريخ دمشق ٩/٢١.

فنادى بحربه وصوبها إلى صدر عمرو فلم تفعل به شيئا، فثنى بأخرى فلم تغن شيئًا، فضرب بيده على صدر عمرو فوجد سن الدرع فضحك وقال: ودارع أيضا، إن كنت لمعدًا، فنادى غلامه فأتاه بالصمصامة[٤٤]، فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع، فجلس على صدره، فذبحه وهو يقول:[٤٥]

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اشقوني[٤٦]

ثم انتفض من عليه بعد ذبحه كما تنتفض القصبة[٤٧]، برعدة شديدة، بحيث إنهم رفعوا عبد الملك من فوق صدره محمولا، فوضعوه على سريره وهو يقول: ما رأيت مثل هذا قط قبله، صاحب دنيا ولا طالب آخره[٤٨]، ويروي إبن سعد أن عمراً لما حضر إلى عبد الملك جالسه وحادثه وقد عهد إلى (يحيى بن الحكم) أن يضرب عنقه إذا خرج إلى الصلاة، وقبل أن يخرج سأله: ما هذه الغوائل والزبى[٤٩] التي حفرت لنا يا أبا أمية، ثم ذكره ما كان منه وخرج للصلاة، ورجع فوجد يحيى لم يقتله، فأقدم هو ومن معه على قتله[٥٠]، ويروى ابن كثير أن عبد الملك عهد قبل أن يخرج للصلاة بقتله إلى مولاه (أبو الزعيزعة)[٥١].

ورفعت رأس عمرو إلى عبد الرحمن بن أم الحكم، فخرج به للناس فألقاه بين أظهرهم، في الوقت الذي أخرج فيه عبد العزيز بن مروان ببدر[٥٢] الأموال فألقاها بين الناس يختطفونها، وجاء أهل عمرو بن سعيد وعلى رأسهم أخوه يحيى وجماعة فاقتتلوا عند دار الإمارة، فجاءته صخرة في رأسه فأصابته، فأمر به عبد الملك ليقتل

---

(٤٤) الصمصامة: اسم لسيف عمرو بن معد يكرب وكان عند خالد بن سعيد بن العاص بن أمية -رضي الله عنه- ذكر ابن قتيبة في المعارف عن سخيم بن حفص أن خالدا بن سعيد العاص أسلم قبل أبي بكر في رؤيا رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - واستعمله الرسول على صدقات بني زبيد فصارت إليه الصمصامة، فلم يزل عند آل سعيد بن العاص حتى اشتراه منهم المهدي بعشرين ألف درهم. وصار اسم الصمصامة يطلق على كل سيف يشبه سيف عمرو بن معد يكرب من حيث قوة القطع وصارمة السيف وصلابته. انظر المعارف ٢٩٦/١، لسان العرب ٣٤٨/١٢.

(٤٥) تاريخ الطبري ٥١٣/٣، تاريخ دمشق ٤٢/٤٦، الكامل في التاريخ ٨٨/٤.

(٤٦) يقول المتنبي: إن الناس يغلطون في هذا البيت ويقولون (وتقول الهامة اسقوني) بالسين والصواب (اشقوني) بالشين، من شقأت رأسه بالمشقاة وهو المشط معجم الأدباء ٥٤١/٣، الوافي بالوفيات ٩٩/٢٠.

(٤٧) للقصبة أكثر من معنى لمنها عظمة الأنف تسمى قصبة، وتسمى أصابع اليدين والرجلين القصب، والقصبة الشيء المصوت من الرعد، والقصبة هي زمارة الزامر. لسان العرب ٦٧٥/١ – ٧٦، مختار الصحاح ٢٢٤/١.

(٤٨) تاريخ الطبري ٥١٣/٣، الكامل في التاريخ ٨٨/٤، البداية والنهاية ٣٠٩/٨.

(٤٩) الغوائل: هي الدواهي والمهالك والشرور، لسان العرب ٥٠٩/١١، مختار الصحاح ٢٠٣/١، والزبى: هي الحفر التي تحفر لصيد الأسود ويغطي رأسها بما يسترها، النهاية في غريب الأثر ٢٩٥/٢.

(٥٠) طبقات ابن سعد ٢٢٧/٥.

(٥١) البداية والنهاية ٣٠٩/٨.

(٥٢) كيس يضع ليوضع فيه من ألف إلى عشرة آلاف درهم، لسان العرب ٤٩/٤، الصحاح ١٨/١.

فشفع فيه عبد العزيز بن مروان، فخفف الحكم إلى الحبس شهرا، ثم أشار البعض على عبد الملك بحملهم إلى مصعب بن الزبير بالعراق، فحملوا فأكرمهم مصعب وأنزلهم منزلا كريما منه، وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب، واجتماع الناس على عبد الملك عاد بنو عمرو بن سعيد إلى عبد الملك فأنزلهم منه وأكرمهم وأحسن إليهم(٥٣).

وهكذا تخلص عبد الملك من منافس قوي له، ولم يبال بنقض عهد الأمان الذي كتبه له، وسفك دمه، ورحل قومه من الشام. وما كان ليحدث ذلك لولا دهاء عبد الملك الذي اضطر إلى مصالحة عمرو بدمشق حيث كان لا يملك شيئا فعمرو متحصن بدمشق وهي العاصمة وبها أهم شرايين حياة الدولة بيت المال وديوان الجند خاصة، وبنو كلب اليمانية الذين كان لهم التأثير فيها والقوة منقسمين بينه وبين عمرو الذي كان معه حميد بن حريث الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي وغيرهم من سادات قبيلة كلب(٥٤).

أما بقية القبائل فكانت على الحياد تنتظر ما ستسفر عنه الأحداث، إضافة إلى القبول الذي كان لعمرو عند الناس في الشام(٥٥). فكان دهاء عبد الملك العامل الأول في فشل تمرد عمرو بن سعيد.

أما العامل الثاني من عوامل فشل التمرد فيكمن في نصوص الاتفاق والتي تحمل في بنودها الفشل، هذه البنود أن تكون الخلافة من بعد عبد الملك لعمرو، فعمرو يعلم أن هذا البند كان من حقه قبل ذلك مع مروان ولم يراع له ذمة، وحريا بعبد الملك أن ينهج نهج أبيه، من البنود: يكون له عامل مع كل عامل لعبد الملك فهذا لا يصلح أبدا أن يلي ولاية عاملان، فلابد أن يتخلص أحدهما من الآخر حتى تسير دفة الأمور، فهذا شرط غير واقعي وصعب تطبيقه، منها: يستشير عبد الملك عمرا ابن سعيد في كل صغيرة وكبيرة فهذا لن يحدث ولم يحدث خاصة وأن عبد الملك كان منذ صغره يبغض عمراً ويحسده حسب الروايات فكيف يستشيره؟(٥٦). خاصة وأن عمرو كان شخصية عظيمة الكبر على أقرانه جبارا شديد البأس حتى إن عبد الملك كان يخافه على ملكه لذلك احتال عليه(٥٧)، ولم يرحمه حتى في قتلته، وتذكر

---

(٥٣) تاريخ الطبري ٣/ ٥١٤. البداية والنهاية ٨/ ٣٠٩. سمط النجوم ٣/ ٢٤٧.

(٥٤) تاريخ الطبري ٣/ ٥١٠، تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٦٩، الكامل في التاريخ ٤/ ٨٧.

(٥٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٧.

(٥٦) تاريخ الطبري ٣/ ٥١٤.

(٥٧) التحفة اللطيفة ٢/ ٣٢٢. (يروي ابن كثير والسخاوي حديثا لأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((لكأني بجبار من بني أمية يرعف على منبري هذا حتى يسيل الدم إلى أسفله)). فلما رعف عمرو بن سعيد وهو والي المدينة على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخطب عند الناس أن الخبر منطبق عليه) البداية والنهاية ٦/ ٢٣٥، التحفة اللطيفة ٢/ ٣٢٢.

الروايات أن عمرو بن سعيد الأشدق قال لعبد الملك وهو فوقه: (أذكرك ملح فلانة؟)(٥٨)، فلم يرق له قلب عبد الملك وقتله(٥٩).

أما البند الأخير من الاتفاق يقضي بأن يتولى عمرو بيت المال وديوان الجند اللذين يعدان عصب الحياة ومصدر كسب الأنصار والمؤيدين آنذاك(٦٠). فهل يعقل أن عبد الملك الخصم القوي الذي يملك مفاتيح القوة في الدولة – بعد الاتفاق – أن يقبل بأن يضع حاجته تحت سيف عطاء عمرو للمال والجند؟ إن بنود هذا الاتفاق بهذه الصورة صعبة التطبيق على أرض الواقع ولذلك قبلها عبد الملك، لأن شيئًا من هذا يعلم أنه لن يحدث مطلقا، ولكن قبله عبد الملك لحل النزاع سلميا، وليخرج من هذه المعضلة التي وقع فيها، وعلم أنه قد تسرع في خروجه من دمشق ولم يقض على بؤر الاضطرابات فيها وأهمها طموح إبن الأشدق إلى منصب عبد الملك نفسه، ونظرته إليه أنه هو صاحب هذا المكان والأحق به منه "فأدرك عبد الملك أنه أخطأ في خروجه عن دمشق فانكفأ راجعا"(٦١).

وإنني أرى أنه كان بالأحرى على عمرو بن سعيد أن يعد بنود اتفاق آخر تماما غير الذي تم، يقتسم بمقتضاه له أجزاء من الدولة يستقل بها بعيدا عن عبد الملك حتى ولو حيناً، وأن يبحث عمرو لنفسه في الاتفاق عن مكاسب مستقلة تماما له عن نفوذ عبد الملك حتى لا تتعارض معه فينقلب عليه، وكان على عمرو أن يكون في إعداده لصحيفة الاتفاق قائدا سياسيا ومفاوضا محنكا ينظر إلى عواقب الأمور، خاصة وأنه في حالة قوة وقد تمكن من قلب الدولة وقصبتها دمشق، إما أن يطلب مطالب خيالية لا تصلح للتطبيق في الواقع الفعلي، ويفرح بموافقة عبد الملك عليها، فهذا يدل على أن عمرًا لم يملك من القدرات التفاوضية والنظرة المستقبلية لما ستؤول إليه الأمور القدر الكافي، وكان لزاما عليه أن يعلم أن عبد الملك لن يتركه دون أن ينال منه على غدرته له، وأنه لزاما سيردها له، وإلا كان على عمرو أن لا يفتح دمشق ويستمر في المقاومة، رجاء أن يحدث في الأمور جديد ويستطيع التغلب على عبد الملك(٦٢)، أو

---

(٥٨) يقال (أذكرك ملح فلانة) أي المرأة التي أرضعت، لأنه رضع هو وعبد الملك من امرأة واحدة كما ذكر الزمخشري، الفائق ٣/ ٣٨٤.

(٥٩) طبقات ابن سعد ٤/ ١٠٠، الآحاد والمثاني ١/٣٨٧، الأنساب ١/٢٠٩، تاريخ دمشق ٤٦/٢٣، تلقيح فهوم أهل الأثر ١/٣٢٦، الوافي بالوفيات ٩/١٥٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٢٩٤، التحفة اللطيفة ٢/٣٢.

(٦٠) أنساب الأشراف ٤/ ١٣٩.

(٦١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧٠.

(٦٢) خاصة وأن كثيرا من أهل الشام كانوا قد بايعوا عمرًا على المقاومة، وسجل المبايعين في كتب عنده، وقد وجدت هذه الكتب وفيها أسماء من بايعه من أهل الشام، عندما أرسل عبد الملك عمر بن علي الفهري، إلى دار عمرو بعد قتله ليفتشها، فمزقها عمرو وأحرقها ولم يطلع عليها عبد الملك، فلما علم سأله عبد الملك عما حمله على ذلك فقال له (لو قرأتها لم يصح لك قلب شامي، ولا استقامت طاعته، إذا علم انك قد علمت بخلافه إياك) فصوب عمر رأيه وحمده وأقطعه داراً له. انظر: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن أعين، القرشي المصري – فتوح مصر وأخبارها – دار الفكر – بيروت ط١ سنة ١٩٩٦م – تحقيق/ محمد الحجيري ١/٢٤٠.

يتغلب عبد الملك ويدخل عليه دمشق فيموت عمرو مدافعا عنها أشرف له من أن يموت مذبوحًا صبرًا بعد أن دخل بنفسه في دار عبد الملك ووثق له نفسه ودخل في الجامعة دون مقاومة[٦٣].

وأخضأ عمرو لما أرسل إليه عبد الملك بعد أربعة أيام من الاتفاق فقط، وينهاه أهله عن ذلك. فهل كان متسرعًا لكسب ود عبد الملك، مثلما كان عبد الملك متسرعا لدمه حيث كان عبد الملك يرى أن العجلة في التخلص من عمرو خير من التأني[٦٤]، ولذلك يروي إبن عبد الحكم أن عبد الملك كان همه الأول بعد تمرد عمرو عليه هو التخلص منه، ولم يستشر أحد من بني أمية في ذلك إلا بعد أن قتله لما قتل عبد الملك عمرًا إبن سعيد الأشدق، دخل على خاصته وعمرو مقتول، فاستشارهم في قتله، فكلهم هاب قتله ولم يؤيده إلا واحد من القوم يدعى: عمر بن علي الفهري. قال: اقتله يا أمير المؤمنين - قتله الله- فإنه لا يزال في خلاف إن عاش. فقال عبد الملك: ها هو ذا[٦٥]. فكان قتله عمرًا أول غدرة في الإسلام[٦٦].

ولقد احتفظ عبد الملك بالجامعة التي قتل فيها عمرو وظل يخوف بها من تسول له نفسه التمرد عليه، ويسوق المبررات التي جعلته يقدم على قتل عمرو، ففي سنة ٧٥هـ/٦٩٤م لما استقامت له الأمور ذهب للحج ونزل المدينة وخطب الناس (لقد قمت في هذا الأمر - أمر الخلافة - وما أدري أحدًا أقوى عليه مني، ولا أولى به، ولو وجدت ذلك لوليته، إن ابن الزبير لم يصلح أن يكون سائسًا، فكان يعطي من مال الله كأنه يعطي من ميراث أبيه. وإن عمرو بن سعيد أراد الفتنة وأن يستحل الحرمة، ويذهب الدين، وما أراد صلاحا للمسلمين، فصرعه الله[٦٧]، وإني محتمل لكم كل اللغوية[٦٨] ما لم يك عقد راية، أو وثوب على منبر، هذا عمرًا بن سعيد حقه ما حقه وقرابته ما قرابته، قال برأسه هكذا، فقلنا لسيفنا هكذا، وإن الجامعة التي وضعتها في عنقه عندي، وإني أقسم بالله لأضعها في عنق فأنزعها إلا صعدا)[٦٩].

---

(٦٣) العبر في زمن من غبر ٧٧/١-٧٨.

(٦٤) طبقات ابن سعد ٥ ٢٣٤، تاريخ الطبري ٦٦٤/٣، الكامل في التاريخ ٢٣٤/٤.

(٦٥) فتوح مصر وأخبارها ٢٣٩/١ ــ ٢٤٠.

(٦٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢١٨/١.

(٦٧) تاريخ اليعقوبي ٢ ٢٧٤.

(٦٨) اللغوية: بفتح اللام والعين، من اللغو وهو سقط القول وغيره، وما لم يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع. ومنها لغا يلغو إذا حلف يمين بلا اعتقاد، واللغو في القرآن من قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ سورة الفرقان (٧٢) واللغو في الحديث من قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صه فقد لغا ــ أي خاب ــ ومن لغا فلا جمعة له). لسان العرب ١٥ ٣٥٠ ــ ٣٥١.

(٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ١ ٢٧٣، القلقشندي ت سنة ٨٢١هـ ــ صبح الأعشى ــ سلسلة الذخائر رقم ١٣٠ لسنة ٢٠٠٤م ص ٢٠٨.

تمرد/ الحارث بن سريج[٧٠] بنواحي خراسان سنة ١١٦هـ/٧٣٤م:

كان أول ظهور للحارث بن سريح على سطح الأحداث في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، كواحد من أعضاء جماعة القراء الذين يقومون على تعهد القرآن الكريم حفظا وتلاوة ومدارسة، ويشتغلون بالعبادات، ويرون أن ذلك يفرض عليهم القيام بمهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بين الناس، ثم إلزام أولي الأمر من العمال والولاة والحكام بذلك، وكانوا يعرفون في المجتمع باسم (أهل البصائر)[٧١].

وقد بدأ دور هذه الجماعة مبكرا كقوة معارضة في الكوفة سنة ١٨هـ/٦٣٩م وكان أكثرهم من اليمنية والربيعية[٧٢]، ولذلك كانوا ينظرون إلى قريش أنها تسعى بالانفراد بالسلطة و الزعامة دونهم، ولاسيما بني أمية من قريش لأنهم عصبيتها فسخطوا عليها وعلى الخليفة (عثمان بن عفان- رضي الله عنه- كأحدهم. وكان هؤلاء القراء هم وقود الفتنة. في عهد الخليفة عثمان – رضي الله عنه-حيث أمر والي الكوفة سعيد بن العاص[٧٣] بنفيهم إلى الشام[٧٤]، وأمر والي الشام معاوية بن أبي سفيان هناك قائلا: إن آنست منهم رشدا فاقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم[٧٥].

---

(٧٠) هو الحارث بن سريج بن يزيد بن سواد التميمي، ويسميه البعض الحرث بن شريح أبو حاتم: فيسميه خليفة بن خياط والطبري وابن عساكر والذهبي وابن كثير (الحارث بن سريح)، أما ابن الأثير فيسميه عليه (الحرث بن سريح)، في حين نجد ابن خلدون يسميه (الحرث بن سريح)، انظر ابن الأثير ٣٨٦/٤، ابن خلدون ١١٠/٣. الحارث بن سريج الذي نتحدث عنه هنا هو غير الحارث بن سريج الخوارزمي الذي سكن بغداد وروى الحديث ومات سنة ٢٣٦، وكنيته أبو عمرن ويلقب بالنقال. انظر الأنساب للسمعاني ٥١٩/٥، طبقات الشافعية الكبرى ١١٢/٢، طبقات الشافعية ٦٠/٢.

(٧١) تاريخ الطبري ٤١٥/٤، الكامل في التاريخ ٢٨٧/٤.

(٧٢) ترجع أصول قبائل العرب إلى اليمنية والمضرية والربيعية والحميرية فمن مضر على سبيل المثال: قريش وكنانة وخزاعة وغيرها، ومن ربيعة بنو ثعلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وعامر بن صعصعة وغيرها، ومن اليمنية الأوس والخزرج والأزد وهمذان وغيرهم، ومن حمير قضاعة وغيرها من بطونها، عن تفاصيل تلك القبائل والأفخاذ والأحلاف، انظر: البدء والتاريخ ١٢٠/٤، تاريخ ابن خلدون ٤٠٦ – ٥.

(٧٣) المنتظم ٢٤٠/٥، الكامل في التاريخ ٣٠/٥، البداية والنهاية ١٦٦/٧.

(٧٤) هو سعيد بن العاص (أبو أحيحة) بن سعيد بن العاص بن عبد شمس بنعبد مناف بن قصي بن كلاب، كان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قد قتل أباه العاص بن سعيد أبو أحيحة يوم بدر وابنه سعيد هذا غلام فكساه النبي – صلى الله عليه وسلم – جبة فسميت الثياب السعيدية، وولد له أكثر من عشرين ابنا وعشرين بنتا، وكان من عباد قريش وساداتها ذا عقل وحسم وجود يصلح لأن يلي الخلافة، وولي المدينة عدة مرات لمعاوية بن أبي سفيان والكوفة لعثمان -رضي الله عنه- واعتزل الفتنة، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث مات سعيد سنة ٥٨هـ، طبقات ابن سعد ٣٠/٥، المعارف ٦١٤/١، الآحاد المثاني ٣٨٥/١، معجم الصحابة ٢٦١/١، مشاهير الصحابة ٦٦/١، المنتظم ٢٩٦/٥، سير أعلام النبلاء ٤٤/٣ – ٤٥، العبر للذهبي ٦٤/١، الوافي بالوفيات ١٤٣/١٥، التحفة اللطيفة ٣٩٩/١، شذرات الذهب ٦٥/١.

(٧٥) الفتنة ووقعة الجمل ٣٧/١، تاريخ الطبري ٦٣٥/٢، تاريخ دمشق ٩٥/٢٤.

وحاورهم معاوية، وأوضح لهم مغبة الجدل العقيم، وأن السياسة لا يصلح لها إلا أهل الكفاية والخبرة وقال: (إنما طلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأعمال اهل الجزاء من المسلمين والغناء، ولم يطلب لها أهل الاجتهاد، والجهل بها، والضعف عنها)[٧٦].

وخاف معاوية على أهل الشام منهم أن يفسدوهم عليه إذا تأثروا بأفكارهم، فاستأذن الخليفة في إخراجهم، فأذن له، فتعرض لهم والي حمص عبد الرحمن إبن خالد بن الوليد، واشتد عليهم وأعنتهم شهرا كلما ركب أمشاهم حتى أظهروا له التوبة فقبل منهم فسمح لهم بمفارقته، فرجع بعضهم إلى الكوفة ليثيروا أهلها، ورجع البعض الأخر إلى المدينة فشاركوا في الثورة على عثمان – رضي الله عنه.[٧٧].

وبعد استشهاد عثمان -رضي الله عنه- تعلقت آمالهم بعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-أنه أقدر الصحابة على إحداث التغيرات السياسية التي ينادون بها، فكانوا أشد الناس حماسة لبيعته وعلى رأسهم الأشتر بن مالك[٧٨]، وكان القراء أشد الناس بأسا في قتال معاية وأهل الشام في صفين سنة ٣٧هـ وهم أنفسهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عند قبوله التحكيم بعد أن أشاروا عليه به وحملوه عليه، ثم عارضوه وقالوا لا حكم إلا لله[٧٩]. مما يدلل على تناقض مواقفهم، وعدم وضوح الرؤية لديهم، وتسرعهم في الحكم على الأشياء، وبقى منهم فريق آخر مع علي -رضي الله عنه- تمسكوا بما هو

---

(٧٦) الفتنة ووقعة الجمل ٣٩/١. تاريخ الطبري ٦٣٦/٢، الكامل في التاريخ ٣٣/٣.

(٧٧) الفتنة ٤٠/١، تاريخ الطبري ٦٣٦/٢، مقتل الشهيد عثان ٧٢/١، الكامل في التاريخ ٣٤/٣.

(٧٨) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن قيس بن سعد بن مالك بن النخع لقب بالأشتر، روى عن عمر وعلي وخالد وأم ذر – رضي الله عنهم – وشهد معه المشاهد كلها. وكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سيره من الكوفة إلى دمشق وفي خلافة علي -رضي الله عنه- ولاه مصر فمات على حدودها قيل أن يدخلها قيل وراء شربة عسل سنة ٣٩٨هـ، طبقات إبن سعد ٦ ٢١٣، تاريخ دمشق ٥٦ ٣٧٣ – ٣٧٥، تاريخ حلب ١٨٧٥/٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٦٨/٦.

(٧٩) كان جملة من خرج على علي -رضي الله عنه- من هؤلاء القراء على حد رواية الطبري ثمانية آلاف، ولقد تعددت تأويلات قول الخوارج (لا حكم إلا لله)، فكان علي بن أبي طالب عندما يسمعها يقول (كلمة حق أريد بها باطل)، والمحكمون في اللغة بفتح الكاف، هم الذين يقعون في يد العدو فيخيرهم بين معتقده الفاسد أو القتل، فيختارون القتل، كما فعل بأصحاب الأخدود وغيرهم على مر الزمان، وفي الحديث الشريف عن مثل هؤلاء قال – صلى الله عليه وسلم – (إن الجنة للمحكمين). وقولهم لا حكم إلا لله غير مسلم به على الإطلاق، فمن حكم الله أن يجعل الحكم لغيره فيما قال وفيما أخبر به، ولذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إذا حاصرت اهل حصن. فلا تنزلهم على حكم الله فإنك لا تدري ما حكم الله؛ ولكن أنزلهم على حكمك). تاريخ الطبري ٣ ١٠٩، الكامل في التاريخ ٣ ٢٠٢، الدولة الأموية للرفاعي ص ١٨٣.

عليه وأخلصوا له، ولم يرضوا بموقف إخوانهم وقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، وأصبحوا نواة لحزب الشيعة[٨٠].

وعندما خلص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ/٦٦١م، أذعن كثيرا من القراء للحكم الأموي، ودخلوا في طاعة بني أمية وعلى رأس على هؤلاء خطيبهم والمتحدث بلسانهم، صعصعة بن صوعان العبدي وغيره[٨١]. في حين كانت طاعة البعض الأخر يشوبها الدخن فلم تكن عن رضا واقتناع، فظلوا يتحينون الفرصة للخروج من خلال حركات التمرد والعصيان ضد الدولة الأموية، فقد شاركوا في تمرد حجر بن عدي، وسليمان بن صرد، والمختار بن أبي عبيد الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث، ويزيد بن المهلب[٨٢]، حيث توسموا فيهم وحدة الهدف، ولكنهم في النهاية أدركوا أنهم عجزوا بالعمل تحت راية غيرهم عن تحقيق أهدافهم، فاتجهوا إلى تكوين تنظيم مستقل بهم يؤلف بينهم ويعبر عن مبادئهم وأفكارهم وحدهم، فالتحقوا بالجيش الأموي الخراساني بدءا من نهاية العقد الأول من القرن الثاني الهجري، خاصة في ولاية أشرس بن عبد الله بن السلمي على خراسان وما وراء النهر سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م[٨٣]. لما توسموا فيه الخير عندما أبدى رغبة صادقة في نشر الإسلام بالدعوة والموعظة الحسنة، وطلب من جماعة القراء من يعينه على ذلك، فقدموا له زعيمهم أبو الصيداء صالح بن طريف[٨٤]، الذي اشترط عليه أن يعافي من يعتنق الإسلام من الجزية، فوافق أشرس على ذلك وأشهد صالحًا عليه، ولكن أشرس لم يف له بعد ذلك لما كثر دخول الناس في الإسلام، وقل الخراج[٨٥]، فثار القراء عليه،

(٨٠) هو صعصعة بن حجر بن الحارث بن الهجرين صبرة بن عبد القيس بن ربيعة، كان يكنى أبا طلحة من أهل الكوفة ومن أصحاب الخطط بها، كان خطيبا مفوها من أصحاب علي بن أبي طالب – رضي الله عنه— شهد معه الجمل وحمل الراية فيها بعد مقتل أخواه سيحان ثم زيد في المعركة، وكان سيحان الخطيب قبله، كان يكنى أبا عكرمة، مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه، العباسي بن بكار الضبي (ت ٢٢٢هـ) – أخبار الوافدين من الرجال على معاوية بن أبي سفيان – مؤسسة الرسالة بيروت – ط ١ سنة ١٤٠٣هـ - تحقيق: سكينة الشهابي ٢٩/١، طبقات ابن سعد ٢٢١/٦، الوافي بالوفيات ١٧٩/٦، الإصابة ٤٣١/٣.

(٨١) انظر تراجم حجر وسليمان والمختار وابن الأشعث في تمرد كل منهم على حدا في هذا البحث.

(٨٢) تاريخ خليفة ٢٥٨/١، فتوح البلدان ٤١٧/١، تاريخ الطبري ١٢٧/٤، تاريخ دمشق ٣١٥/٨.

(٨٣) تاريخ خليفة ٢٥٨/١، فتوح البلدان ٤١٧/١، تاريخ الطبري ١٢٧/٤، تاريخ دمشق ٣١٥/٨.

(٨٤) هو صالح بن طريف كان من موالي بنها ضبة – كان ورعا فاضلا في دينه، يكنى أبا الصيداء، تاريخ الطبري ٤ ٦٤ ١٢٩، الكامل في التاريخ ٣٨٤/٤.

(٨٥) فتوح البلدان ٤١٧/١.

فحبس جماعة، منهم أبو الصيداء وثابت قطنة[٨٦]، ثم عفا عنهم بعد ذلك فاتجهوا إلى جهاد الترك أملا في الشهادة التي رأوا فيها خلاصا من واقع أصابهم بالإحباط وخيبة الأمل، وسأل ثابت ربه الشهادة فقال: "اللهم اجعلني ضيفك الليلة" [٨٧]. وكان معه جماعة من القراء منهم الحارث بن سريج والتقى الجمع مع الترك في قرية كمرجة[٨٨] سنة ١١٠هـ/٧٢٨م فاستشهد ثابت كما تمنى، واستبسل الحارث في القتال ونجح – بفضل تحميسه للمسلمين وحضهم على المقاومة – على إزالة حصار الترك حتى كادوا أن يموتوا عطشًا فقال لهم الحارث "القتل بالسيف أكرم في الدنيا، وأعظم عند الله من الموت عطشًا" [٨٩]. كانت مدة الحصار ثمانية وخمسين يوما لم يسق أهل كمرجة إبلهم ماءً خمسة وثلاثين يومًا[٩٠].

استمر الحارث في جيش أشرس السلمي حتى قتل صاحبه ثابت قطنة، ثم انحاز مع بعض القراء إلى سمرقند[٩١]، التي كان أهلها غير راضين عن عمال بني أمية لاشتطاطهم في أخذ الخراج، فكان الحارث بعد سنة ١١٠هـ/٧٢٨م يحمس الناس على المطالبة بحقوقهم، ثم بدأ يغير من وسائله في تحقيق أهدافه، حتى وإن كانت الوسيلة غير مشروعة، فبعد أن كان يحارب الترك مع أشرس السلمي بدأ يتصل بهم سرا لعله يتقوى بهم في تحقيق أهدافه، واتخذ من الفاريات[٩٢] وبلخ[٩٣] قاعدتين يتمركز فيهما مستعينا بعناصر متعددة من ترك وفرس إلى جانب رفاقه في جماعة القراء[٩٤].

أعلن الحارث بن سريج سنة ١١٦هـ/٧٣٤م خلعه لعاصم بن عبد الله الهلالي والي خراسان وخلع هشام بن عبد الملك الخليفة، ولبس السواد، ودعا إلى كتاب الله

---

(٨٦) هو ثابت بن كعب أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك، شاعر شجاع، كان يرى رأي المرجئة، وقد جاهد ضد الترك حتى فقد إحدى عينيه في المعارك فوضع مكانها قطنة، فعرف بها. انظر: فتوح البلدان ٤١٨/١، تاريخ الطبري ١٢٠/٤، وفيات الأعيان ٣٠٨/٦، فوات الوفيات ٢٧٥/١، الوافي بالوفيات ٢٨٣/١٠.

(٨٧) تاريخ الطبري ١٣٢/٤، الكامل في التاريخ ٣٨٦/٤.

(٨٨) كمرجة: قرية من قرى صغد سمرقند. الأنساب ٩٣/٥، معجم البلدان ٤٧٩/٤.

(٨٩) تاريخ الطبري ١٣١/٤، الكامل في التاريخ ٣٨٦/٤.

(٩٠) تاريخ الطبري ١٣٥/٤، الكامل في التاريخ ٣٨٨/٤.

(٩١) سمرقند: مدينة تابعة لخراسان، وهي قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه. أحسن التقاسيم ٢٢٣/١، معجم ما استعجم ٧٥٤/٣، نزهة المشتاق ٤٩٨/١، معجم البلدان ٢٤٦/٣.

(٩٢) الفاريات ناحية من نواحي خراسان، وهي مدينة من الجوزجان، نزهة المشتاق ٤٧٨/١.

(٩٣) بلخ: من مدن خراسان، تقع شمالها مرو والجوزجان، وجنوبها تقع طخارستان. نزهة المشتاق ٤٨٣/١، معجم البلدان ٤٧٩/١، رحلة ابن بطوطة ٢٣١/١.

(٩٤) عن ذلك انظر: المعارضة في العصر الأموي ص١٩٣.

وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والبيعة للرضا[٩٥]، والتي يسميها إبن الجوزي البيعة البيضا[٩٦]، وأقبل على الفارياب، فجاءته رسل عاصم الهلالي، وكان على رأسهم مقاتل بن حيان النبطي، والخطاب بن محرز السلمي، اللذان كانا يريان أن يأخذا لأنفسهما ولأصحابها معًا الأمان أولاً من الحارث ولكن أصحابهما رفضوا، فلما أقبلوا إلى الحارث قيدهم وحبسهم، ووكل بهم رجلا يحفظهم، فاستطاعوا أن يفكوا قيدهم، ويكبلوا به حارسهم، وهربوا إلى دواب البريد فركبوها، ومروا بالطالقان[٩٧] وأراد صاحبها أن يمسك بهم ولكنه تراجع عن ذلك الأمر، وعادوا إلى مرو حيث عاصم ومعهم حقد وبغض على الحارث لغدره بهم، فاستغل عاصم الهلالي هذا الحدث إعلاميا لتعبئة الناس لقتال الحارث، فأمر الرسل أن يخطبوا الناس ويتناولوا ذم الحارث وغدره وخبث سريرته.

سار الحارث من الفاريات إلى بلخ وكان عليها نصر بن سيار[٩٨]، فالتقوا على القتال، وكان الحارث معه عشرة آلاف رجل ونصر بأربعة آلاف فقط، فدعا الحارث نصرًا إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والبيعة للرضا، فرد عليه أحد رجال نصر وهو قطن بن عبد الرحمن بن جزي الباهلي فقال: "والله لو أن جبريل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك ما أصدقك" [٩٩]. فبدأ به الحارث فقتله فاشتعل القتال وألهبه حماس الحارث وأصحابه، فهزموا نصر وجنوده، وملك بلخًا واستعمل عليها سليمان بن عبد الملك بن خازم، وسار إلى الجوزجان[١٠٠] فغلب عليها إضافة إلى الفاريات والطالقان، ثم سار إلى مرو قصبة خراسان، ونمى إلى عاصم أن أهل مرو من فرط خوفهم بمصيرهم من الحارث، راسلوه ليؤمنهم، فعزم

---

(٩٥) تاريخ خليفة ٣٤٦/١، تاريخ الطبري ١٥٤/٤، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص٢١٤. (لعل هذه المرة الأولى التي يبرز فيها شعار البيعة للرضا، حيث كان شعار الدعوة العباسية فيما بعد تلك الرضا من آل البيت) الباحث.

(٩٦) المنتظم ١٦٩/٧.

(٩٧) الطالقان: مدينة من مدن طخارستان بخراسان بين مرو الروز وبلخ، وتقدر مساحتها بثلث مساحة بلخ، وبين الفاريات والطالقان ستون ميلا، والطالقان اسم لمدينتين إحداهما في خراسان والتي نحن بصددها والأخرى في قزوين. نزهة المشتاق ٤٧٨/١، معجم البلدان ٦/٤.

(٩٨) هو نصر بن سيار الأمير أبو الليث المروزي متولي خراسان لمروان بن محمد بن مروان روى عن عكرمة وابن الزبير، وهو الذي خرج عليه أبو مسلم الخراساني وحاربه وعجز عنه فاستصرخ بمروان غير مرة فلم يجبه لانشغاله بقتال الخوارج بالجزيرة، فلما يئس من نصرته هرب ثم مات بعد أيام بعد أن قتل أبو مسلم الخراساني ابنه تميم بن نصر. الوافي بالوفيات ٤٢,٢٧.

(٩٩) تاريخ الطبري ٤: ١٥٤.

(١٠٠) الجوزجان اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان بين مرو المروز وبلخ، ومن مدنها الأنبار والفاريات وكلار، وبها قتل يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين. نزهة المشتاق ٤٧٩/١، معجم البلدان ٢: ١٨٢.

عاصم على الخروج إلى أبرشهر – نيسابور – ويكاتب الخليفة ليرسل له جيشا من أهل الشام عدته عشرة آلاف(١٠١)، وفي رواية عشرين ألف(١٠٢)، فما كان من أهل مرو أن أقسموا له أن يقاتلوا معه فاستوثق، منهم بالقسامة – اليمين بالطلاق –فخرج بهم عاصم وعسكر قريبا من مرو، وقطع الجسور. وأقبل الحارث في ستين ألف ومعه فرسان الأزد وتميم ودهاقين(١٠٣) الجوزجان والفاريات وسهرب ملك الطالقان، واقاموا على إصلاح الجسور والقناطر التي خربها عاصم. وقبل بدء القتال دعى الحارث عاصمًا إلى الكتاب والسنة، وهو يلبس السواد، ودارت المعركة فاقتتلوا، وكتب الله النصر لعاصم وصحبه فانهزم الحارث وغرق كثير من أصحابه في نهر مرو وقتلوا قتلا ذريعًا(١٠٤).

كتب عاصم في سنة ١١٧هـ/٧٣٥م إلى هشام بن عبد الملك نصيحة في صورة اقتراح، كان فيه عزله عن خراسان حيث قال له الرائد لا يكذب أهله، وأن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوب، لبعد دمشق عن خراسان، فأخذ هشام بنصيحة عاصم، وضم خراسان إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري(١٠٥)، وكتب إليه أن يبعث أخاه أسد بن عبد الله(١٠٦). ليصلح ما أفسد في خراسان، فسارع أسد في الذهاب إليها، ولما علم عاصم بعزله ومجيء أسد، ارتأى أن يصالح الحارث(١٠٧)، وتم الصلح على شروط منها: أن ينزل الحارث أي كور خراسان

---

(١٠١) تاريخ الطبري ١٥٥/٤–١٥٦، الكامل في التاريخ ٤١١/٤، ابن خلدون ١١٥/٣.

(١٠٢) المنتظم ١٦٩/٧.

(١٠٣) الدهقان في اللغة تعني التاجر، وتعني مقدم القرية أو رئيسها، وتطلق على الرجل القوي في تصرفاته مع حدة تعتريه. النهاية في غريب الأثر/ ١٤٥، لسان العرب ١٠٧/١٠، ١٦٣،١٣.

(١٠٤) تاريخ خليفة ٣٤٦/١، الكامل في التاريخ ٤١٠/٤، تاريخ ابن خلدون ١١٠/٣.

(١٠٥) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كوز بن عامر بن عبيد الله بن عبد شمس بن جرير بن صعب بن يشكر ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. البجلي ثم القسري كان أمير العراقيين من جهة الشام بن عبد الملك الأموي، وكانت أمه نصرانية، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان خاله معدودا من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، كان جوادا كثير العطاء، يكنى أبا الهيثم وأبا يزيد الدمشقي، ولى مكة للوليد بن عبد الملك سنة ٨٩هـ ثم لسليمان، مات في المحرم سنة ١٢٦هـ ودفن بالحيرة ليلا، وكان قد عزله هشام عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي وأمره بمحاسبة خالد وسجنه وسبه وعذبه ثم قتله، المعارف ٣٩٨/١، تاريخ الطبري ١٨٥/٤، تاريخ دمشق ١٦ ٢٨٥، وفيات الأعيان ٢٢٦/٢ – ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٥، الوافي بالوفيات ١٥٥/١٣.

(١٠٦) تاريخ الطبري ١٥٧/٤، المنتظم ١٧٤/٧، الكامل في التاريخ ٤١٢/٤.

(١٠٧) هو أسد بن عبد الله بن يزيد أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس البجلي القسري، أخو خالد امير العراق الذي ولاه خراسان مرتين وغزا عدة غزوات وافتتح البلاد وبني المدن فيها بلخ وقيل بيهق، وتوفي قبل عزل أخيه خالد سنة ١٢٠هـ (*) كان جوادا ممدوحا شجاعا، الأنساب للسمعاني ١٣٧/١، تاريخ دمشق ٨ ٣١٢ – ٣١٣، النجوم الزاهرة ٢٨٤/١.

شاء، وأن يكتبا جميعا إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة، فإن أبى اجتمعا جميعا عليه، إلا أن أحد أعوان عاصم، وهو يحيى بن حصين وبعض أهل خراسان رفضوا التوقيع على معاهدة الصلح ورأوا خلعًا للخليفة، فانتقض الصلح واقتتلوا فانهزم الحارث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم(١٠٨).

وصل أسد بن عبد الله إلى خراسان، وبعث إلى عاصم وطالبه بمائة ألف درهم ثم حبسه، ولم يكن لعاصم من خراسان إلا مرو ونيسابور، وكان الحارث في مرو الروز، وكان عامل آمد(١٠٩) خالدًا بن عبيد الله الهجري، وكان على رأي الحارث ومناصرًا له، فاستشار أسد أصحابه بأي المدينتين يبدأ مرو أم آمد، فكانت الشورى أن يبدأ المدينتين معًا، بحيث يوجه أسد قائده عبد الرحمن بن نعيم الغامدي إلى مرو الروز حيث الحارث، بينما يبدأ هو بآمد التي يحاصرها ونصب حولها المجانيق، وضيق على أهلها حتى طلبوا منه الأمان فأمنهم واستعمل عليها يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني، وسار أسد إلى بلخ التي وجد أهلها قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم، فدخلها أسد وسار منها إلى ترمذ(١١٠) التي كان الحارث محاصرها، فخرج أهلها لما علموا بوصول أسد واستطاعوا أن يفكوا الحصار عن مدينتهم، وهزموا الحارث وقتلوا أكثر أصحابه، منهم أبو فاطمة الأزدي وجماعة من أهل البصائر(١١١).

خرج أسد يريد سمرقند فمر بطريقه بحصن زم(١١٢)، وعليه الهيثم الشيباني من قبل الحارث، فأرسل إليهم أسد، إن كنتم أنكرتم منا سوء السيرة، فلم يبلغ سوء السيرة ما يفعله الحارث وأنتم من النساء واستحلال الفروج ومظاهرة المشركين على المسلمين، وإني ذاهب إلى سمرقند، وأعطيك الأمان على أن لا تتعرض لنا ونحن إلى سمرقند، وإن قاتلت لا أؤمنك أبدا وهدده بذلك، فخرج معه على الأمان وسار معه إلى سمرقند وأنزلهم على الأمان(١١٣).

رجع أسد إلى بلخ وسرح جديعا الكرماني(١١٤) إلى طخارستان حيث القلعة التي بها ثقل ومتاع الحارث وأصحابه، فحاصرها الكرماني وفتحها وقتل مقاتلهم من أصحاب

(١٠٨) تاريخ دمشق ٣١٧/٨، ابن خلدون ١١٦/٣، الكامل في التاريخ ٤١٣/٤.

(١٠٩) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهي كورة باردة لقربها من الجبال، فتحها عياض بن غنم، في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ: أحسن التقاسيم ١٣٢/١، معجم البلدان ٥٧/١.

(١١٠) ترمذ: مدينة كبيرة حسنة العمارة كثيرة الأنهار: وقريبة من سمرقند، وتقع على شاطئ نهر جيجون من جهة المشرق: معجم البلدان ٢٦/٢، رحلة ابن بطوطة ٤٢٢/١.

(١١١) تاريخ الطبري ١٦٢/٤، المنتظم ١٧٤/٧، الكامل في التاريخ ٤١٢/٤.

(١١٢) زم: قرية من قرى خراسان، وهي بليدة على طرف جيجون من ترمذ وآمل: معجم البلدان ١٥١/٣.

(١١٣) تاريخ خليفة ٣٤٧/١، تاريخ الطبري ١٦٢/٤، المنتظم ١٧٤/٧، الكامل في التاريخ ٤٣٤/٤.

(١١٤) هو جديع بن علي بن شبيب بن براري بن صنيم الأزدي المعنى نسبة إلى قبيلة معنى الأزدية ويكنى أبا علي، ويلقب بالكرماني لأنه ولد بكرمان، تاريخ الطبري ٢٦٦/٤، الكامل في التاريخ ٤٩٥/٤ – ٤٩٨، البداية والنهاية ١٠ *.

الحارث وباع سبيهم في سوق بلخ(١١٥)، وانتفض حينئذ على الحارث جماعة من أصحابه بلغوا أربعمائة وخمسين على رأسهم جرير بن ميمون القاضي، فنصحهم الحارث إن كنتم مفارقي ولابد، فاطلبوا الأمان من الكرماني قبل رحيلي، فإن رحلت وطلبتموه، فلن يجيبكم إليه، فرفضوا ورحل الحارث، فطلبوا الأمان من الكرماني فلم يجبهم(١١٦). وحاصرهم في ستة آلاف حتى نزلوا على حكمه، فحمل خمسين منهم إلى أسد على رأسهم إبن ميمون القاضي، فقتلهم، وكتب إلى الكرماني بإهلاك الباقين، واتخذ أسد مدينة بلخ دارا له ونقل إليها الدواوين(١١٧).

غزا أسد بن عبد الله بلاد الختل(١١٨) سنة ١١٩هـ/٧٣٦م، فافتتح منها قلاعًا، وامتلأت أيدي العسكر من السبي، فكتب صاحب الختل (كثب بن السائحي) إلى خاقان الترك(١١٩)، يشكو له ما حل ببلاده، ويستعينه على العرب ويستنصره، ويقلل له من قوة المسلمين، فاغتر خاقان واقتنص الفرصة وتجهز على عجل ليفاجئ المسلمين بالهجوم، ولما أحس إبن السائحي بجدية خاقان للهجوم على المسلمين خاف على نفسه منهم، فأرسل إلى أسد يخبره، فلم يصدقه أسد، فأعاد عليه وأخبره أنه هو الذي استمده لأنك معرت(١٢٠) بلادي، ولا أريد أن يظفر بك خشية معاندتك، وخوفا من استطالة خاقان عليّ فيما بعد(١٢١) صدّق حينئذ أسد إبن السائحي وأرسل إلى ولاته بالاستعداد، وتجهز هوا وخرج حتى أتى نهر بلخ ومعهم أمتعتهم وشياههم التي كانت مشكلة أمامهم في عبور النهر، فبدا لهم فكرة وحمل الناس على تنفيذها طوعا وكرها، حيث أمر كل واحد بحمل شاتين واحدة على الكتف والأخرى على يديه، وحذر من لا يأتي له على الشاطئ الآخر بشاتين يقطع يده، فمن أطاع الأمر حمل وعبر ونجا ومن عصى أو ضعف فلم يعبر، كان جزاؤهم أن أدركهم خاقان الترك فقتلهم جميعا، وكانت هذه القتلة جزاءً لشؤم المعصية في مثل هذه المواطن(١٢٢).

عبر أسد ومن أطاعه النهر من ثلاثة وعشرين موضعا وحمل هو أمام الجنود شاة عبر بها، وأدركهم خاقان عقب العبور مباشرة فحمل عليهم فانكشفوا، فرجع أسد وخندق على نفسه وأصحابه، والترك محيطون بهم ومعهم الحارث بن سريح، ثم رحل الترك

---

(١١٥).

(١١٦) تاريخ الطبري ١٦٤/٤، تاريخ إبن خلدون ١١٧/٣.

(١١٧) الكامل في التاريخ ٤٢١/٤، تاريخ إبن خلدون ١١٧/٣.

(١١٨) الختل: في اللغة الخديعة، والختل: كورة واسعة كثيرة المدن خلف جيحون، والختل أكبر مدنا وأكثر خيرا، تقع على تخوم السند. انظر لسان العرب ٢٠٠/١١، معجم البلدان ٣٤٦/٢.

(١١٩) خاقان من رأس، وخقنوا الرجل أي رأسوه، وخاقان رئيس، وكلمة خاقان ليست عربية بل تركية، وتعني اسم لكل ملك من ملوم الترك: لسان العرب ١٤٢/١٣.

(١٢٠) معرت: أي سلبت، ومعره أي سلبه ماله فأفقره، أو أفنى زاده فأفقره: لسان العرب ١٨١/٥.

(١٢١) تاريخ إبن خلدون ١١٧/٣.

(١٢٢) تاريخ دمشق ٢١٨/٨، المنتظم ١٩٢/٧، الكامل في التاريخ ٤٢٥/٤، البداية والنهاية ٣٢٢/٩.

بأثقالهم، فشاور أسد أصحابه باتباعهم أو يظلون في خندقهم، فأشار عليه نصر بن سيار باتباعهم لقطع شقة لابد من قطعها، فوافقه أسد، وتتبعوهم حتى وصلوا الصغد(١٢٣) فأمر أسد أهلها بقتال خاقان والحارث فهزمهم مسلحة المسلمون، فصعد خاقان تلاً مرتفعًا عند الصغد، فرأى أن المسلمين من خلفهم، فأمر الترك أن يأتوهم من الخلف، فخالطوهم في معسكرهم، فقتلوا كثيرا من أهل الصغد الذين أحسوا بالهلاك، وإذا بالغبار سلاح يسلطه الله على الترك، "وقد رهج(١٢٤) بهم الغبار فانتحى الترك قليلا عن الصغد من الغبار"(١٢٥).

وقف أسد على نفس التل الذي كان خاقان قد وقف عليه، فرأى الترك يمضون ومعهم أسرى المسلمين وإبلهم وجواريهم، ونادى الحارث أسدًا معيرًا ومتشفيا، ومستفزا له وهو يقول: "قد كانت لك عن الختل مندوحة، وهي أرض آبائي وأجدادي، وقد كان لك ما رأيت، ولعل الله ينتقم منك"(١٢٦) فأراد المسلمون أن يعترضوا خاقان وسبيه فمنعهم أسد، ومضى إلى بلخ، ولما انقضى الشتاء، وكان الحارث بطخارستان، فلحق بخاقان، وأغراه على غزو المسلمين بخراسان، وطمع خاقان بكلامه فزحفا إلى بلخ، وعلم أسد بذلك وكان ذلك في عيد الأضحى من نفس العام فخطب أسد العيد وعرف المصلين بأن الحارث بن سريج، استجلب الطاغية خاقان ليطفئ نور الله ويبدل دينه، وحرضه على غزو المسلمين، فأثار أسد حمية الإيمان في قلوب المسلمين، وحرضهم على الاستنصار بالله، واستمداد العون والنصر منه سبحانه، وحثهم على الإلحاح في الدعاء كأحد أسلحة النصر الماضية خاصة أثناء السجود حيث قال لهم: (أقرب ما يكون العبد لله ساجدا، ثم سجد وسجد الناس، وأخلصوا الدعاء)،(١٢٧) وقاموا وهم لا يشكون في نصر الله قيد أنملة واحدة، واستعدوا للقاء الأعداء الترك والحارث وخرج أسد واستخلف على بلخ جديعًا الكرماني، وعهد إليه أن لا يخرج أحدا من المدينة، وصلى أسد بالناس ركعتين وطالبهم بإطالة السجود ليكثروا من الدعاء، وأصبحوا وقد تراءى الجمعان، وحملت الترك على ميسرة أسد فتراجعت إلى أسد، فشد المسلمون على الترك من الميمنة فانكشفوا وهربوا(١٢٨) إلى خاقان وقد انهزم هو والحارث وهربوا على بعد ثلاثة فراسخ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون نحوا من مائة وخمسين ألف شاة ودابة(١٢٩).

---

(١٢٣) الصغد: كورة كبيرة قصبتها سمرقند، وقيل الصغد صغدان: صغد سمرقند، وصغد بخارى وهي من أطيب ارض الله، معجم البلدان ٤٠٩/٣.

(١٢٤) رهج: الرهج هو الغبار، ومعنى رهج الغبار هو أثار الغبار، لسان العرب ٢٨٤/٢.

(١٢٥) تاريخ خليفة بن خياط ٣٤٨/١، البداية والنهاية ٢٢٣/٩، موسوعة التاريخ الإسلامي للترمانيني ٧٤٩/١.

(١٢٦) تاريخ الطبري ١٦٩/٤، الكامل في التاريخ ٤٢٦/٤.

(١٢٧) تاريخ الطبري ١٦٩/٤، المنتظم ١٠٩/٢٧، البداية والنهاية ٢٢٣/٩.

(١٢٨) موسوعة التاريخ الاسلامي للترمانيني ٧٣٧/١ – ٧٤٩.

(١٢٩) الكامل في التاريخ ٤٢٦/٤، البداية والنهاية ٢٢٣/٩.

وعسكر خاقان والحارث بعيدا عن المسلمين فغشيهم المسلمون وهم آمنون وقدورهم تغلي فهربوا وركب خاقان والحارث يحميه ويمانع عنه حتى وصل إلى بلاده، وأخذ في الاستعداد للمواجهة مع أسد، وخرج هو والحارث بن سريج وأصحابه لحصار سمرقند(١٣٠)، وأثناء الحصار سلط الله الترك بعضهم على بعض، فانقض رجل خاقان وساعده ويدعى (كورصول) عليه فقتله بسبب مشاجرة دبت بينهما على لعب النرد، وتفرقت الترك وتركوا خاقان مقتولا بالعراء، ثم حمله بعض عظمائهم فدفنوه(١٣١)، وكان أسد عندئذ ببلخ، فكتب بالنصر إلى هشام فلم يصدق في البداية الخبر، حتى أتاه مقاتل بن حيان(١٣٢) فأكد له الخبر، فسأله حاجاته فقال: مائة ألف درهم تردها عليّ كان يزيد بن المهلب قد أخذها من أبي(١٣٣).

مات أسد بن عبد الله سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م(١٣٤)، وعزل هشام أخاه خالدًا عن العراق(١٣٥)، وولاها يوسف بن عمر الثقفي(١٣٦)، وولى نصرًا بن سيار على خراسان في رجب من نفس العام(١٣٧).

---

(١٣٠) سمرقند: مدينة من مدن خراسان، تقع في إقليم الصغد وهي قصبته، انظر أحسن التقاسيم ٢٢٣/١، معجم ما استعجم ٧٥٥/٣، معجم البلدان ٢٤٧/٣، رحلة ابن بطوطة ٤٢٠/١.

(١٣١) تاريخ الطبري ١٦٩/٤، المنتظم ١٩٢/٧.

(١٣٢) هو مقاتل بن حيان بن دوال دوز النبطي أبو معان أبو بسطام البلخي، مولى بني بكر بن وائل ويقال مولى بني تميم، كان يسكن مرو مدة بلخ زمانا وكانت له بمرو خطة كان مقاتل ممن غني بعلوم القرآن الكريم، وصاحبه الورع سرا وعلنا، وكان يعمل خرازا، وقد هرب من خراسان أيام أبي مسلم الخراساني وتوجه إلى كابل فدعاهم إلى الإسلام وأسلم على يديه خلق كثير، وقد وفد مقاتل على الخليفة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، ثم مات بكابل، طبقات ابن سعد ٣٧٤/٧، مشاهير علماء الأمصار ١٩٥/١، الأنساب للسمعاني ٣٣٥/٢، تاريخ دمشق ١٠١/٦٠، سير أعلام النبلاء ٢٤٠/٦، المعين في طبقات المحدثين ٥٧/١، طبقات الحفاظ ١/*.

(١٣٣) ابن خلدون ١١٩/٣.

(١٣٤) حاز أسد بن عبد الله القسري صفات حميدة لازمة للقائد عددها له دهقان من دهاقين الترك حين قال له: إنا معشر العجم، أكلنا الدنيا أربعمائة سنة، بالحلم والعقل والوقار، ليس فينا كتاب ناطق، ولا نبي مرسل، فكانت الرجال عندنا ثلاثة رجل ميمون النقيبة أينما توجهه يفتح الله على يديه، ورجل تمت مروءته في بيت، فإن كان كذلك رجي وعظم وقود وقدم ورجل رحب صدره، وبسط يده، فرجي، فإن كان كذلك قدم وقود. ثم قال الدهقان لأسد: وهذه الصفات وأنواع الرجال توافرت في شخصك. ثم اخذ يبرهن له على كل صفة ونوع بمواقف كان أسد قد اجتازها، انظر: تاريخ دمشق ٢١٩/٨.

(١٣٥) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي يجتمعان في الحكم بن عقيل، ويخلط البعض بينهما أحيانا وقد ولاه هشام بن عبد الملك اليمن سنة ١٠٦هـ ثم تولى بعدها العراق من سنة ١٢١هـ حتى سنة ١٢٤هـ وإلى يوسف هذا ينسب سوق الحيرة ويقال بالكوفة المسمى بسوق يوسف، مات يوسف بالسجن في خلافة يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ المعارف ٣٩٨/١، فتوح البلدان ٢٨٠/١، معجم البلدان ٢٨٥/٣، وفيات الأعيان ١٠١/٧ – ١١١، مرآة الجنان ٢٥٧/١، تاريخ ابن خلدون ٣٦٩/٢.

(١٣٦) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، الكامل في التاريخ ٤٤٨/٤، تاريخ ابن خلدون ٢٢٢/٣.

(١٣٧) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، الكامل في التاريخ ٤٤٨/٤، ابن خلدون ٢٢٢/٣.

افتتح نصر ولايته على خراسان بثلاثة غزوات متتالية لبلاد ما وراء النهر ثم لسمرقند ثم إلى بلاد الشاش[138] التي سار نصر إليها قادمًا من مرو في عشرين ألفا، واراد عبور نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول، فعسكر في ليلته وكانت ظلماء فحذر نصر جنوده من الخروج فيها، إلا أن عاصمًا بن عمر[139] خرج يتحسس الناس في جماعة من أهل سمرقند، فاصطدم ليلا بمؤخرة جيش كورصول ودارت مناوشات بينما كانت الغلبة فيها للسرية المسلمة، التي استطاعت أن تأسر المؤخرة وقائدها، الذي اكتشف المسلمون أنه كورصول نفسه، فجاء به عاصم إلى نصر إبن سيار، فعرض عليه فدية فلم يقبلها نصر، وأثر إلا قتله فقتله وصلبه على شاطئ نهر الشاش، فحزنت الترك لقتله، وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذناب خيولهم[140]. عقب هذا الانتصار أرسل يوسف بن عمر والي العراق إلى نصر بن سيار يأمره بأن يسير إلى الحارث بن سريج الغادر دينه بالشاش، فإن أظفره الله به وبأهل الشاش، يخرب بلادهم، وفي الختام حذره من توريط المسلمين في تلك البلاد[141].فتجهز نصر في عشرين ألفا وتوجه بهم إلى الشاش حيث الحارث، فالتقى بأهل الشاش والحارث، واستطاع أن يتغلب عليهم، وأن يقتل عظيما من عظماء الترك، مما اضطر ملك الشاش إلى عقد هدنة صلح مع نصر، فقبل نصر بشرط أن يقوم ملك الشاش بطرد الحارث من أرضه فوافق فأخرج الحارث إلى الفارياب[142].

الفتنة في خراسان بين نصر بن سيار وجديع الكرماني ومقتل الحارث بن سريج:

عهد الخليفة هشام بولاية العراق إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[143] بدلا

(١٣٨) بلاد الشاش: تقع فيما وراء نهر سيجون، متاخمة لبلاد الترك، وتقع في وادي الشاش بحيرة خوارزم، وأهلها شافعية المذهب. انظر معجم ما استعجم ٧٧٥/٣، معجم البلدان ٣٠٨/٣.

(١٣٩) هو عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحاجب بن أمية القرشي الأموي قتل سنة ١٢٨هـ تاريخ خليفة ١ ٣٧٧، تاريخ الطبري ٢٨٣/٤، تاريخ دمشق ٢٧١/٢٥، البداية والنهاية ٣٥/١٠.

(١٤٠) تاريخ الطبري ٤ ٢٠٠، المنتظم ٢١٥/٧، الكامل في التاريخ ٤٤٨/٤ -٤٤٩.

(١٤١) الكامل في التاريخ ٤٤٨/٤ -٤٤٩، البداية والنهاية ٢٢٣/٩، إبن خلدون ٢٢٢/٣.

(١٤٢) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، المنتظم ٢١٥/٧.

(١٤٣) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان أخو عاصم، ولاه يزيد بن الوليد بن عبد الملك العراق سنة ١٢٦ بدلا من منصور بن جمهور، لأن أهل العراق كانوا يميلون الى عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- وحفر عبد الله نهرا للناس بالبصرة سمي نهر إبن عمر، ثم عزل عن العراق سنة ١٢٨هـ بيزيد بن عمر ابن هبيرة. وحبسه الخليفة مروان بن محمد مع ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن هيم الإمام بحران وقتلهما في سنة نيف وثلاثين ومائة. تاريخ الطبري ٢٦٨/٤، معجم البلدان ٣١٥/٥، الكامل في التاريخ ٤ ٤٩٢، وفيات الأعيان ٤٦١/٣، العبر للذهبي ١٦٧/١، الوافي بالوفيات ٢٧ ٢٤٧، مآثر الإنافة ١ ١٤٩.

من منصور بن جمهورسنة ١٢٦هـ/٧٤٣(١٤٤) لأن أهل العراق كانوا يحبون عمر بن عبد العزيز، ثم قدم عهد عبد الله بن عمر إلى نصر بن سيار بولاية خراسان، فخطب نصر الناس وقال إنه قد تولى العراق الطيب بن الطيب، وأزاح منصور بن جمهور صديق جديع بن علي الكرماني فأغضب هذا الكلام بن الكرماني، واشتكى أهل خراسان إلى نصر قلة العطاء، وحدثت مقالات ومداولات ومناظرات حول ذلك مع نصر وأصحابه بخراسان، فخطب فيهم نصر وحذرهم الفتنة والفرقة، ولاسيما وأنهم أهل مرابطة وأهل مسلحة في نحور العدو(١٤٥)، وكان وراء هذه الفتنة جديع بن علي الكرماني، الذي كان بينه وبين نصر تحاسد، فحشد الكرماني أصحابه وأخبرهم أن الناس في فتنة فانظروا لأموركم رجلاً، فقالوا له أنت لنا(١٤٦). قد كان للكرماني يد على نصر، حيث كان قد أحسن إليه أثناء ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان، ولما تولى نصرا خراسان عزله عن رياسة الأزد وولاها غيره، فتباعد ما(١٤٧)، فقالت المضرية قوم نصر – له: "إن الكرماني يفسد الناس عليك ولابد من قتله أو حبسه"(١٤٨)، فما كان من نصر السياسي الخبير أن اقترح عليهم حلولا سياسية سلمية منها أنه قال لهم:

إن لي أولادًا وبناتٌ فأزوجهم من بنات وأولاد الكرماني، فالمصاهرة تذهب سخيمة القلب، فرفض قومه، فاقترح حلا آخر في غاية الدهاء، ويدل على معرفة نصر بصفات وأخلاق خصمه، عندما قال لهم: أعطيه مائة ألف درهم، الكرماني بخيل فلن يعطي أصحابه منها شيئا فيختلفون عليه، فيتفرقون عنه، فأبى قوم نصر، وقالوا: لا لأن ذلك قوة له، والكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود(١٤٩). وألحت المضرية على نصر بحبس الكرماني فحبسه في سجن القهندز(١٥٠)، في رمضان سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، فاحتالت الأزد وأخرجت

---

(١٤٤) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن بكر بن عامر بن عوان بن ثور بن كلب بن وبرة بن حلوان بن قضاعة بن مالك بن حمير الكلبي، من أهل قرية المزة، خرج مع يزيد بن الوليد فولاه يزيد العراقين وجمع له المصريين الكوفة والبصرة، وكان ممن سعى في قتل الوليد بن يزيد، وإليه تنسب مدينة المنصورة بالسند، وقد عزله يزيد بن الوليد عن العراق سنة ١٢٦هـ وولي مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز. تاريخ خليفة ٣١٩/١، المعارف ٣٦٧/١، تاريخ اليعقوبي ٣٤٠/٢، تاريخ الطبري ٢٣١/٤، تاريخ دمشق ٦٠/*، معجم البلدان ٢١١/٥.

(١٤٥) الكامل في التاريخ ٤٩٤/٤، ١٧/٥.

(١٤٦) تاريخ خليفة ٣٨٣/١، تاريخ الطبري ٢٦٩/٤، المنتظم ٢٥٢/٧.

(١٤٧) الكامل في التاريخ ٤٩٤/٤ – ٤٩٥، البداية والنهاية ٢٦/١٠، ابن خلدون ١٤٤/٣.

(١٤٨) حسين عطوان – الدعوة العباسية تاريخ وتطور – دار الجيل- بيروت سنة ١٩٨٤م- ص٢٧٢.

(١٤٩) تاريخ الطبري ٢٢٦/٤، الكامل في التاريخ ٤٩٥/٤.

(١٥٠) القهندز: بضم القاف والهاء والدال، كلمة فارسية تتكون من كهن أي عتيق، ودز أي قلعة (القلعة العتيقة)، وتطلق على الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وتنسب إلى مدن كثيرة منها قهندز بخارى، سمرقند، نيسابور، مرو، بلخ، هراة. والذي نعنيه هنا هو قهندز بخارى الذي كان سجنا للمحكوم عليهم. انظر: معجم البلدان ٤١٩/٤، طبقات الحنفية ٤٠٥/١.

الكرماني بحيلة عن طريق توسيع مجرى مائي كان يمر بالسجن إلى الخارج، وسعى الناس في الصلح بين الاثنين، فأمر نصر الكرماني بأن يلزم بيته، ثم ظهر له أن وجود الكرماني في خراسان إفسادا لمن يحتك به ويختلف عليه حيث قال: إن الذي أتخوفه من الكرماني إذا خرج من خراسان، أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم. فالرجل إذا نفى عن بلده صغر أمره، وضعف[١٥١].

مظاهر تمرد الكرماني على نصر بخراسان سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م:

بدأ الكرماني في إظهار الخلاف على نصر، حيث جمّع حوله جمعًا من الناس بلغ نحوا من ألف وخمسمائة أو يزيد، كان يحضر بهم صلاة الجمعة مع نصر، ثم يسلم عليه بعد الجمعة ولا يجلس كما تعود الناس، ثم ما لبث أن ترك المصافحة والمجالسة لنصر بعد الصلاة تماما، ثم أظهر العداء، فأرسل إليه نصر يخطب وده ويوضح له إن كان خلافك بسبب حبسك من قبل، فإنه كان حلاً ودرءًا لفتنة كادت أن تقع. خرج الكرماني من خراسان وأرسل إلى نصر، قال: "خروجي ليس خوف منك، ولكنه خوفًا على أهل خراسان، من الفتنة وسفك الدماء"[١٥٢] وخرج إلى جرجان المعني[١٥٣].

الحارث يعود إلى ديار المسلمين بأمان [يزيد بن الوليد[١٥٤] جمادى الآخرة ١٢٦- ذي الحجة ١٢٦هـ]

كان الحارث بن سريج قد انضم إلى خاقان الترك سنة ١١٨هـ/٧٣٦م وحارب المسلمين بعد تحالفه مع الأتراك، وقد ظل هناك حتى سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م حيث وقعت الفتنة بين نصر والكرماني، أو بين العصبيتين المضرية بزعامة نصر إبن سيار واليمنية بزعامة جديع بن علي الكرماني، وهنا وجد نصر نفسه مضطرا إلى خطب ود الحارث بن سريج المضري، لخوفه من خطره الخارجي إذا ما قامت حرب بينه وبين الكرماني في الداخل، ومن أن يرسل الكرماني إلى الحارث يستعين به عليه، أو أن نصرا أراد أن يتقوى بالحارث المضري على جديع اليمني، أو للأسباب مجتمعة، أرسل نصرا إلى الخليفة الجديد يزيد بن الوليد يستشيره في

(١٥١) تاريخ الطبري ٢٦٦/٤، الكامل في التاريخ ٤٩٥/٤.

(١٥٢) تاريخ الطبري ٢٦٩/٤، الكامل في التاريخ ٤٩٧/٤.

(١٥٣) نسبة إلى قبيلة معنى بفتح الميم وسكون العين وهي الأزد، الكامل في التاريخ ٩٧/٤.

(١٥٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، يلقب بالشاكر لأنعم الله، الخليفة الثاني عشر لبني أمية بويع في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ وبقى في الخلافة حتى توفي بدمشق في ذي الحجة من نفس العام. كان حسن السيرة، الا أنه نقص ما زاده الوليد بن يزيد قبله في العطايا وردها إلى ما كانت عليه زمن هشام فلقب بالناقص. انظر مآثر الإنافة ١ ١٥٨.

خضب ود الحارث وعودته إلى ديار المسلمين، فاستحسنه الخليفة وبعث أمانا إلى الحارث بالعودة إلى ديار الإسلام[١٥٥].

دخل الحارث مرو سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، قادمًا من بلاد الترك، فسار إلى نصر ابن سيار، الذي أكرمه ونعمه وأجرى عليه ومن معه عطاءً يوميا، وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار، ولكن الحارث لم يقبل منه ذلك، وأرسل إلى نصر يقول: "إني لست من هذه الدنيا، ولا من هذه اللذات.. وإنما أسألك كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة، واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوك"[١٥٦]. وكثر أتباع الحارث حوله حتى بلغوا نحو من ثلاثة آلاف[١٥٧].

وأرسل الحارث إلى الكرماني: "إن أجابني نصر إلى ما أرسلت به إليه من العمل بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – أعنته، وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل أستعن بالله عليه، وأعنتك، إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة"[١٥٨].

في هذه الأثناء جاء على عرش الخلافة بالحرب [مروان بن محمد بن مروان بن عبد الحكم ١٢٧ – ١٣٢هـ/٧٤٤ – ٧٤٩م][١٥٩] فخرج عليه الحارث بن سريج بحجة أن الذي أعطاه الأمان يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيز أمان يزيد، ولذلك لم يأمنه الحارث، فلما عرض عليه نصر أن يبايع لمروان رفض الحارث، وقال ما لي أمان من مروان[١٦٠]. وكأنه يريد أن يعطيه مروان أمانا من لدنه، أو يجدد له أمان يزيد، فأرسل إليه نصرا رسولا يلومه على عدم مبايعته لمروان، ويعرض عليه أن يوليه بلاد ما وراء النهر، وجري عليه ثلثمائة ألف درهم مقابل طاعته، فرفض، وأرسل إلى نصر يشير إليه بتغيير بعض العمال، وتولية الأصلح، ووافقه نصر في بعض من ذلك، وأمر الحارث

(١٥٥) تاريخ الطبري ٢٦٩/٤، المنتظم ٢٥٣/٧، الكامل في التاريخ ٤٩٧/٤، البداية والنهاية ٢٦/١٠، تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٣.

(١٥٦) تاريخ الطبري ٣٧٩/٤، تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٣.

(١٥٧) تاريخ الطبري ٢٧٩/٤، المنتظم ٢٥٨/٧، الكامل في التاريخ ٧/٥.

(١٥٨) تاريخ الطبري ٢٧٩/٤، الكامل في التاريخ ٨/٥، تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٣.

(١٥٩) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، يكنى أبا عبد الملك، يلقب القائم بحق الله، تعلم على يد الجعد بن درهم، ملقب بالجعدي، ويلقب أيضا بحمار الجزيرة، أو حمار بني أمية لكثرة تحمله من مشاق وعنت في سبيل حماية الخلافة الاموية من السقوط، قتله العباسيون في قرية بوصير بمصر في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، وكان قد استونى على الخلافة من ابراهيم بن الوليد في مصر سنة ١٢٧هـ: مآثر الإنافة ١٦٢/١.

(١٦٠) تاريخ الطبري ٢٩٣/٤، المنتظم ٢٦٥/٧، الكامل في التاريخ ١٧/٥، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص١٢٦.

الجهم بن صفوان(١٦١) مولى راسب وهو رأس الجهمية، أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه الحارث من مبادئ على الناس فرضوا بذلك وكثر جمعه، وأمر الحارث نصر بالرجوع إلى الشورى فاحتكموا إلى جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان ليحكما بينهما، فكان حكمهما: أن يعزل نصر عن الولاية، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين يولون من يشاء، فرفض نصر الحكم، فخالفه الحارث، فأشار عليه نصر إن كنت ولابد خارجا فابدأ بالكرماني فاقتله وأنا في طاعتك(١٦٢).

وأمر الحارث أن تقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، وكان هذا العمل بمثابة الدعاية الإعلامية، وكانت في غاية النفع، حيث كان يجمع من ورائها الأنصار ويكسب الأعوان، مما يدلل على أهمية الجانب الإعلامي في الحروب، حتى إن أحد هؤلاء أخذ يقرأ سيرة الحارث على باب نصر بن سيار فضربه غلمان نصر، فاشتعلت الحرب بينهما(١٦٣).

ونقب الحارث سور مرو ليلا ودخله أنصاره نهارا، ودارت المعارك في شوارع مرو، وأرسل الحارث إلى الكرماني ابنه حاتما يستجيشه، فقال محمد بن المثنى أحد جلساء الكرماني له: (هما عدواك فدعهما يضطربان)(١٦٤)، لكن الكرماني آثر التدخل ضد نصر، فأمر أصحابه بقتاله، ولكن الدائرة كانت عليه وعلى أصحابه من الأزد الذين انهزموا ورجعوا إليه، فحمل الكرماني الراية بنفسه وقاتل حتى انهزم أصحاب نصر بفضل ظهور إشاعة، خطط لها ونفذها أحد أصحاب الكرماني الخليل بن غزوان(١٦٥) حيث أشاع كذبا أن الحارث بن سريج قد دخل سوق مرو وقتل إبن الأقطع نصر إبن سيار، ففت ذلك في أعضاء المضرية، فانهزموا، وخرج نصر من مرو، ودخلها الكرماني على فوره(١٦٦).

---

(١٦١) هو الجهم بن صفوان الخزري ويقال الترمذي، أخذ ما عليه من شطط من الجعد بن درهم أول من قال بخلق القرآن، حيث أخذ الجعد من بيان بن سمعان، الذي أخذ عن طالوت الزنديق بن أخت لبيد بن الاعصم زوجه ابنته، ولبيد يهودي كان يقول بخلق التوراة، ويقال إنه الذي سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- واخذ لبيد ذلك عن يهودي باليمن.. وكان الجهم بن صفوان يكنى أبا محرز، كاتبا للحارث بن سريج، وإليه تنسب فرقة الجهمية احد فرق الجبرية، والجهمية ظهرت على يديه بترمذ وكان يقول بأن الله لا يوصف بأنه شيء، ولا بأنه حي عالم، فلا يوصف بما يجوز إطلاق بعضه على غيره، فتسميته شيئا يوجب التشبيه بينه وبين غيره، وتسميته حيا عالما، تسمية غيره بذلك يعد تشبيها. مقالات الإسلاميين ١٤١/١، ٢٧٩، الفرق بين الفرق ٢٨٦/١، الفصل في الملل والنحل ٢٠٤/٤، الملل والنحل ٨٦/١، الأنساب ١٣٣/٢.

(١٦٢) تاريخ الطبري ٢٩٣/٤، الكامل في التاريخ ١٨/٥، البداية والنهاية ٢٦/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣ ١٤٥.

(١٦٣) المنتظم ٧ ٢٦٥، البداية والنهاية ١٠ ٢٦ - ٢٧، تاريخ إبن خلدون ١٤٥/٣.

(١٦٤) تاريخ الطبري ٤ ٢٩٥، الكامل في التاريخ ١٨/٥.

(١٦٥) تاريخ الطبري نفسه، الكامل في التاريخ ١٩/٥.

(١٦٦) تاريخ الطبري ٤ ٢٩٥، الكامل في التاريخ ٥ ١٩ المعارضة في العصر الأموي ص١٩٥.

كتب الحارث إلى نصر أن المضرية تعيّرني بانهزامك أمام الكرماني والأزد اليمنية، وعرض عليه أن يكف عنه مقابل أن يجعل حُماته بإزاء الكرماني، فأخذ عليه نصر العهود بذلك[(١٦٧)] وهنا نرى أن الحارث بدأ يتحول تدريجيا عن مبادئه شيئا قليلا، لما خاطب نصرا وعيَّره بهزيمته، معتبرا ذلك هزيمة للمضرية التي ينتمي إليها الحارث، ثم عرض على نصر الكف عنه والتصدي للكرماني من قبيل الانتصار للمضرية، وليس لمبادئ الكتاب والسنة، والشورى والعدل تلك التي نادى بها هو وأصحابه[(١٦٨)].

غلب الكرماني على مرو وأخذ الناس منه الأمان على أرواحهم، ولكنه هدم كثيرا من دورها ونهب الأموال، مما حدا بالحارث لأن يتخذ من ذلك وسيلة للتدخل في العراق ضد الكرماني الذي هزم المضرية، فأرسل إلى الكرماني ينكر عليه ما فعله بمرو، فهَمّ الكرماني به ثم عدل عن ذلك[(١٦٩)].

لما لاحت بوادر العصبية القبلية في تصرفات الحارث لاحظها أتباعها، وعلى رأسهم بشر بن جرموز الضبي[(١٧٠)]، في خمسة آلاف فانتقد الحارث لتنازله عن مبادئه، فتغيرت موازين الصراع مع نصر والكرماني من نطاق المبادئ إلى نطاق العصبيات، فأرسل إلى الحارث قائلا: "إنما قاتلت معك طلبا للعدل، فأما إذا أنت مع الكرماني، فما تقاتل إلا ليقال غلب الحارث، وهؤلاء يقاتلون عصبية، فلست مقاتلا معك، فنحن الفئة العادلة، لا نقاتل إلا من يقاتلنا"[(١٧١)].

أتى الحارث مسجد عياض، وأرسل إلى الكرماني يدعوه إلى الشورى، فأبى، فارتحل عنه الحارث، ثم ثلم سور مرْوًا ودخلها، فقاتله الكرماني قتالا شديدا، فانهزم الحارث وأصحابه، وقتل الحارث تحت زيتونة، ومعه أخوه سوادة وغيرهما[(١٧٢)].

---

(١٦٧) تاريخ خليفة ٣٨٣/١، تاريخ الطبري ٢٩٦/٤، المنتظم ٢٦٧/٧.

(١٦٨) تاريخ الطبري ٢٩٦/٤، الكامل في التاريخ ١٩/٥، تاريخ ابن خلدون ١٤٥/٣.

(١٦٩) تاريخ الطبري نفسه، الكامل في التاريخ نفسه، دراسات في العصر الأموي للرفاعي ص ٢٢٠.

(١٧٠) تاريخ ابن خلدون ١٧/٥ ـ ١٩، تاريخ ابن خلدون ١٤٤/٣.

(١٧١) تاريخ الطبري ٢٩٧/٤، الكامل في التاريخ ١٩/٥، تاريخ ابن خلدون ١٤٥/٣.

(١٧٢) تاريخ خليفة ٣٨٣/١، تاريخ الطبري ٢٩٨/٤، المنتظم ٢٦٥/٧، الكامل في التاريخ ١٩/٥ـ٢٠، البداية والنهاية ٢٧/١٠، تاريخ ابن خلدون ١٤٤/٣، لما قتل الحارث بن سريج المضري هجاه نصر بن سيار المضري – سبق للحارث أن عيّر نصر لما هزم من الكرماني عند مرو سنة ١٢٧هـ - فقال يهجوه

يا مدخل الذل على قومه * بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرًا كلها * وحز من قومك بالحارك
ما كانت الأزد وأشياعها * تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بني سعد إذا ألجموا * كل طمر لونه حالك

يقصد بعمرو ومالك وبنو سعد: هي قبائل من بطون تميم، ومعنى طمر: الثوب الخلق، انظر: تاريخ خليفة ٣٨٤/١، تاريخ الطبري ٢٩٨/٤، الكامل في التاريخ ٢٠/٥، البداية والنهاية ٢٧/١٠.

وفي رواية أن الحارث والكرماني خرجا معًا لقتال بشر بن جرموز الخارج على للحارث، ثم بدا لحارث وهو في الطريق أنه على غير هدى وصواب من أمره في سيره هذا، فندم على اتباع الكرماني، فاعتزله وانضم إلى عسكر بشرا بن جرموز، فأقام معهم، وبعث إلى مضر الذين في معسكر الكرماني فساروا إليه، وكانوا يقتتلون كل يوم مع الكرماني، ويرجعون إلى خنادقهم، حتى استطاع الحارث ذات ليلة نقب سور مرو ودخلها نهارا فتبعه الكرماني، واقتتلوا فقتل الحارث، وأخاه سوادة، وبشر بن جرموز، وجماعة من بني تميم، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فانهزم الباقون، وصفت مرو للكرماني واليمن وهدموا دور المضرية سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م(١٧٣).

أرسل نصر بن سيار سالمًا بن أحوز قائد شرطته ومعه جماعة إلى مرو، فالتقى بأصحاب الكرماني وفيهم محمد بن المثنى فتلاحى معه سالم، فشتم سالم الكرماني فقاتلوه وهزموه وقتلوا من أصحابه نحو مائة(١٧٤)، فأرسل نصر جماعة أخرى بإمرة عصمة بن عبد الله الأسدي(١٧٥) فانهزموا وقتل منهم مثل ما قتل للجماعة الأولى، فرجع إلى نصر، فبعث مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك وانهزم مالك وقتل من أصحابه سبعمائة، ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة(١٧٦).

في هذا الوقت تدخل أبو مسلم الخراساني في الصراع بين نصر والكرماني، خاصة وأن كليهما قد أثخن الآخر، ولا مدد لأي منهما، فأشعل فتيل الفتنة بينهما بكتب كان أبو مسلم يكتبها زورًا على لسان اليمنية بذم المضرية، وأخرى للمضرية بذم اليمنية، حتى صار هوى الفريقين معه، فنزل أبو مسلم بين خندق الكرماني وخندق نصر، حتى هابه الفريقان، وبعث إلى الكرماني أني معك ضد نصر، فوافق فانضم أبو مسلم إليه، ولما علم نصر بذلك كتب إلى الكرماني، يحذره من خطر أبي مسلم وأنه عدو مشترك، ويشير عليه بالتصالح ودخول مروًا، فأذن له ودخل نصر مرو في مائتي فارس، إلا أن نصرا غدر بالكرماني عندما لاحت له فرصة فأرسل إليه ثلثمائة فارس فقتلوا الكرماني(١٧٧)، فانضم علي بن جديع الكرماني إلى أبي مسلم الذي كان قد دخل مروًا وبايعه عليّ، وكتب نصر إلى مروان بن محمد يخبره بخطر

(١٧٣) تاريخ الطبري ٢٩٨/٤، الكامل في التاريخ ٢٠/٥، ابن خلدون ١٤٦/٣.

(١٧٤) تاريخ ابن خلدون ١٤٨/٣.

(١٧٥) هو عصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف من بني طية، وكان من البررة، تاريخ الطبري ٣٢٦/٢.

(١٧٦) تاريخ ابن خلدون ١٤٨/٣.

(١٧٧) الكامل في التاريخ ٥ ٣٢-٣٣، تاريخ ابن خلدون ١٤٩/٣.

أبي مسلم[١٧٨]، فيئس من مدده، ونشب القتال بين نصر وعلي بن الكرماني الذي استنصر بأبي مسلم على نصر فوافقه في المحرم سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، إلا أن المضرية و اليمنية توادعوا فيما بينهم لما شعروا بخطر أبي مسلم المشترك عليهما، وتعاقد نصر وابن الكرماني على قتال أبي مسلم، فعظم على أبي مسلم ذلك الصلح، فدس إلى إبن الكرماني من يذكره بثأر أبيه من نصر، فأفسد العقد بين نصر وابن الكرماني، فما كان من نصر إلا أن أرسل إلى أبي مسلم بموافقة مضر على ما يدعو إليه، وأرسل إبن الكرماني بمثل ذلك إليه، فاستدعى أبو مسلم وفد الفريقين ليختار الركون إلى إحدهما، وبعد استشارة شيعته اختار أبو مسلم عليًا بن الكرماني، وأمره بنشوب الحرب مع نصر في مَرْوًا، ودخل أبو مسلم مَرْوًا فوجد المضرية واليمنية ـ بزعامة نصر بن الكرماني ـ يقتتلان فدخل قصر الإمارة وهو يتلو {وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ}[١٧٩].

فأمر أبو مسلم الفريقين كلاً إلى معسكره وصفت له مرو وأخذت له البيعة، وأرسل إلى نصر بالبيعة، فوعده أن يأتيه ليلاً، وهرب نصر قبل الليل هو وأهله،[١٨٠] فقبض أبو مسلم على أصحابه وخرج هو وإبن الكرماني في طلبه، وفي نهاية الأمر اتفق أبو مسلم مع شيعته على قتل علي بن الكرماني وأخيه عثمان، فقتل أبو مسلم عليا وهو يسير معه في طريق نيسابور بينما قتل خالد بن إبراهيم الشيباني، عثمان إبن الكرماني[١٨١].

ولما هرب نصر وصل إلى نيسابور، فحاصره جيش أبي مسلم عليه قحطبة إبن شبيب، فخرج منها إلى جرجان ثم إلى الري، فحاصره فيها الحسن بن قحطبة إبن

---

(١٧٨) أنشد نصر بن سيار حين أبطأ عنه مدد مروان بن محمد يقول:

أرى خلال الرماد وميض جمر * يوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالزيت تروى * وإن الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أيقاظ بني أمية أم نيام

انظر/ تاريخ خليفة ٣٩٦/١، تاريخ اليعقوبي ٣٤١/٢، تاريخ الطبري ٣١٤/٤، تاريخ دمشق ٢٥/٥٢، معجم الأدباء ٢٤٠/٥.

(١٧٩) سورة القصص (١٥): انظر: تاريخ اليعقوبي ٣٤٢/٢، تاريخ الطبري ٣٢١/٤.

(١٨٠) أرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ في جماعة إلى نصر بن سيار لأخذ البيعة ولإحضاره، ثم تلا لاهز قول الله تعالى {إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ} سورة القصص (٢٠)، ففهم نصر أنه سيقتل فهرب من باب آخر من بيته وهم جالسون، تاريخ اليعقوبي ٣٤٢/٢، تاريخ الطبري ٣٢١/٤، الكامل في التاريخ ٤٤/٥.

(١٨١) تاريخ الطبري ٣١٥/٤، ٣١٩، ٣٢٠، المنتظم ٢٥٧/٧ ـ ٢٧٧، وفيات الأعيان ١٥٠/٣، الوافي بالوفيات ١٦٣/٨، البداية والنهاية ٣٤/١٠.

شبيب[١٨٢]، فأقام نصر فيها يومين ثم دب المرض إلى جسده فارتحل منها إلى ساوة[١٨٣] فمات فيها في اثني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة، وصفت هذه البلاد للعباسيين على أيدي أبي مسلم الخراساني[١٨٤].

أسباب فشل تمرد الحارث بن سريج:

انتهى تمرد الحارث بن سريج الذي يعده بعض المؤرخين والباحثين امتدادًا لحركة القراء والدعاة (أهل البصائر)، الذين كانوا يحمسون الناس في المعارك، ويتقدمون الصفوف، فكان فعلهم يتقدم قولهم، كما قاد الحارث المسلمين في جيش أشرس أمام الترك سنة ١١٠هـ/٧٢٨م وهو يحمسهم ويحضهم قائلاً: "القتل بالسيف أكرم في الدنيا، وأعظم أجرا من الموت عطشًا"[١٨٥]، ويرى الدكتور/ محمد عبد الحميد الرفاعي: أن الحارث بتمرده كان يهدف إلى إعادة نشاط جماعة القراء بالقوة بعد أن فشلت محاولات التعاون السلمي مع عمال بني أمية[١٨٦].

وإذا حاولنا أن نتلمس الأسباب التي أدت إلى فشل تمرد الحارث بن سريج ويأتي عمومية الأهداف التي نادى بها الحارث بن سريج وعلى رأسها: كان الهدف الأول للحارث هو: العمل بالكتاب والسنة. وهو شعار فيه كثير من التعميم والإبهام، حيث أن جميع المسلمين إذا سألت أحدهم يخبر أنه يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، لذلك كان على الحارث وجماعته أن يوضحوا تفصيليا حدود هذا الهدف، ويحددوا بيانًا عمليًا لخطوات التنفيذ[١٨٧].

ومنها: ضرورة استعمال أهل الخير والصلاح في الأعمال والولايات، ولم يحدد الحارث صفات ومعايير لهذا المتولي، ولم يبين المنهج الذي يجب عليه اتباعه والتزامه، ومنها: الشورى، وهي أن يختار المسلمون من يرضون لحكمهم (كان الحارث بن سريج يدعو إلى الكتاب والسنة، وطاعة الإمام)[١٨٨]، ولكن الحارث جعل طاعة الإمام كلمة

---

(١٨٢) هو الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان أبو الحسن وهو اخو حميد بن قحطبة، والحسن أحد قادة الدولة العباسية، وكان من رجالات الناس روى عنه بعض الأحاديث وقد مات سنة ١٨١هـ وهو ابن ٨٤ سنة. تاريخ بغداد ٤٠٣,٧، المنتظم ٥٨/٩.

(١٨٣) ساوة: مدينة تقع بين همذان والري، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن قديما وحديثا. يقال إن ذا القرنين نزل بها واوذي فيها، رحلة ابن فضلان ١٠٤/١، نزهة المشتاق ٢١٧/١، الأنساب للسمعاني ٢٠٦/٣.

(١٨٤) المعارف ١ ٢٧٠، ٤٠٩، تاريخ الطبري ٣٢٠/٤، البدء والتاريخ ٦٤/٦، المنتظم ٧ ١٦٩. سير أعلام النبلاء ٦ ٤٩، الوافي بالوفيات ١٨ ١٦٢، ٤١/٢٧.

(١٨٥) تاريخ الطبري ٤ ١٣١، الكامل في التاريخ ٤ ٣٨٦.

(١٨٦) دراسات في العصر الأموي ص٢٠٩.

(١٨٧) حول هذا الشعار انظر: تاريخ خليفة ١ ٣٤٦، البدء والتاريخ ٦ ٦٤، المنتظم ٧ ١٩.

(١٨٨) البداية والنهاية ١٠ ٣٦، النجوم الزاهرة ١ ٢٧٤ – ٢٧٥.

مبهمة مطلقة دون أن يقيدها بشروط اختيار هذا الإمام، ولم يحدد خطوات عملية واضحة لطريقة اختيار الإمام وتوليته، ولم يحدد أساليب تعامل الحاكم مع رعيته، ولم يضع طرق محاسبة الرعية للحاكم، ولا شيئاً من ذلك[١٨٩]، وكان من أهداف الحارث التي دعا إليها، البيعة للرضا، وكما يسميها ابن الجوزي: البيعة البيضا[١٩٠]: فلم يوضح ما المقصود بالرضا: هل الرضا من آل البيت من أولاد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أم أن الرضا من المسلمين عامة؟ أم الرضا من طائفة من الطوائف؟ لم يحدد ولم يوضح الحارث هذا الشعار. ولذلك نجد أحد الباحثين يقول: يكتنف الغموض حركة الحارث ابن سريج، في مراحل كثيرة من تمرده[١٩١] ويرى آخر أن وجود الجهم بن صفوان مؤسس الجهمية، كان وراء مناداة الحارث بهذه الأهداف الدينية، حيث أن الجهم صبغ حركة الحارث بهذه الصيغة، التي كان ينقصها الإيضاح والتفصيل، والشرح والتحليل للأهداف التي كان يدعو إليها[١٩٢].

وكان ثاني أسباب فشل تمرد الحارث هو لجووه إلى الترك أعداء المسلمين، بل واستعانته بهم على حربهم كان رغبة في الانتقام من المسلمين، ويهزم الحارث وأعوانه الترك مرتين سنة ١١٦هـ/٧٣٤م أمام عاصم الهلالي وسنة ١١٧هـ/٧٣٥م أمام جيش الكرماني، فكان والي المسلمين الذي يقاتل الحارث يثير حماس الجند بقتال الحارث الذي يصفه: بالغادر دينه[١٩٣]، وآخر يقول له: "والله لو أن جبريل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك ما أصدقك"[١٩٤].

والحارث هنا هو رجل يدعو إلى الإصلاح والتغيير، وصاحب دعوة إصلاحية، نجده يستعين بالكفرة على المسلمين، ويستقوي بهم على إخوانه في الدين، فهل كان الحارث عنده في ذلك مبرر من الدين، أم كانت عنده الغاية مبررة للوسيلة؟ كان الحارث قد يعذر لو لجأ من ظلم مسه من المسلمين ولم ينصفه أحد من الترك، أما وأنه يستعين بهم ويستقوي على إخوانه المسلمين، فهذا ما لا يقبله مسلم يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – نبيا ورسولا. والحارث هنا ربما أعاد ما قد فعله عبد الرحمن بن الأشعث مع رتبيل عندما عزم على التمرد على الحجاج، فعقد معه اتفاقية مزدوجة في حالة نجاح تمرده، يسقط عنه الجزية، وفي حالة فشل تمرده يلجأ إليه فيحميه

---

(١٨٩) عن دعوة الحارث بن سريج انظر: تاريخ دمشق ٢٥ ص٢٥٥، تاريخ ابن خلدون ٣ ص١٥٧.
(١٩٠) المنتظم ٧ ص١٦٩.
(١٩١) عبد الباري محمد الطاهر – الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير كلية دار العلوم - سنة ١٩٨٩م ص٩٢.
(١٩٢) خالد عبد الهادي يحيى - العرب في خراسان - رسالة ماجستير جامعة القاهرة سنة ١٩٨٣ ص١٣٩.
(١٩٣) الكامل في التاريخ ٤ ص٤٠٨، ٤٠٩، البداية والنهاية ٩ ص٢٢٣، ابن خلدون ٣ ص٢٢٢.
(١٩٤) تاريخ الطبري ٤ ص١٥٤.

وكانت الأخرة، فحماه رتبيلا، لكن لما رأى أنه لن يستطيع أن يحمي نفسه أمام تهديد الحجاج، سلم إبن الأشعث إلى رسل الحجاج ومات عبد الرحمن بالطريق مقتولا(١٩٥). فهل كان إبن الأشعث لو لم يسلم رتبيل، أكان يستعين به على حرب المسلمين؟ لعل الله أخذه حتى لا يقع مثل ذلك.

وقضية لجوء بعض رموز المسلمين خاصة المتمردين منهم إلى الأعداد، واستعانتهم بهم قد تكررت في التاريخ الإسلامي، فعلى سبيل المثال: فهذا الحارث إبن سريج، ومن قبله عبد الرحمن بن الأشعث، ومن قبلهما جبلة بن الأيهم(١٩٦) في عهد عمر إبن الخطاب -رضي الله عنه- الذي ارتد عن الإسلام وتنصر ولجأ إلى هرقل ثم ندم على ما كان منه، أيام عمر، ثم تمنى أن يعود للشام في عهد معاوية على أن يعطيه معاوية منازله في غوطة دمشق، فوافق معاوية على كل ما طلب في كتاب أرسله مع البريد إليه، فما أدركه البريد إلا وقد مات(١٩٧).

أما السبب الثالث: فكان جمود الحارث في طريقة تفكيره وتعامله مع تطورات الأحداث، فهو مثلا يرضى أن يتنازل عن أصول عقائدية في أهدافه، عندما تحالف مع الترك ضد المسلمين، ثم تجده يرفض التحالف مع نصر بن سيار، أو حتى الكرماني،

---

(١٩٥) تاريخ خليفة ٢٨٢.١، المعارف ٢٥٧/١، تاريخ اليعقوبي ٢٧٨/٢، المحن ٢٤٣/١، تاريخ الطبري ٦٢٩/٣، مولد العلماء ٢٠٦/١، البدء والتاريخ ٣٩/٦، تاريخ دمشق ٤٨٧/٣٤، وفيات الأعيان ٣٥/٢، الوافي بالوفيات ١٢٩/١٥.

(١٩٦) هو جبلة بن الأبهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر واسمه المنذر بن الحارث، وهو إبن مارية ذات القرطين، وهو بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، كان آخر ملوك الغساسنة نصارى العرب أيام هرقل، وغسان أولاد عم أنصار المدينة أوسها وخزرجها، أسلم ايام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقيل أيام عمر بن الخطاب. أبو عبد الله بن عمر الواقدي – فتوح الشام – دار الجيل – بيروت. د.ت ١٠٦/٢، طبقات بن سعد ٣٦٥/١، المعارف ٦٦٤/١، المنتظم ٣٥٦/٥، سير أعلام النبلاء ٥٣٣/٣، الوافي بالوفيات ٤٠/١١.

(١٩٧) أبدى جبلة ندمة لرسول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى هرقل وبكى حتى وضع يده على وجهه وابتلت لحيته بمجموعه وهو يقول:

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت على ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسير في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة ... وقد يصبر العود الكبير على الدبر

انظر/ فتوح البلدان ١٤٢/١، تاريخ اليعقوبي ١٤٧/٢، البدء والتاريخ ١٨٤/٥، تاريخ دمشق ٨٣/١١، عبد الرحمن بن محمد عماد الدين محمد العمادي الدمشقي ت سنة ١٠٥١هـ - الروضة الريا بمن دفن بداريا – دار المأمون للتراث - دمشق - ط١ سنة ١٤٠٨هـ - تحقيق/ عبده علي الأشعث ١ ٦١.

وهما مسلمان، أما ما نقصده في هذه النقطة بالتحديد، فإن الحارث لما عرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه آلاف الدراهم رفض، بحجة أنه ليس من أهل هذه الدنيا في ملذاتهم، إذاً كيف للداعية المصلح أن ينفذ مشروعه الإصلاحي دون قنوات مشروعة ومتاحة بل وتعرض عليه، وجماعة القراء إنما أرادت أن تنفذ مشروعها الإصلاحي بوسائل شتى كان منها العمل تحت إمرة ولاة الأمويين كأشرس بن عبد الله السلمي مثلا في بلاد ما وراء النهر، أما حين يُعرض على أحدهم وهو الحارث أن يكون هو والي بلاد ما وراء النهر سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م[١٩٨] يرفض، فهذه كانت فرصة سانحة لو أبدى الحارث أمامها مرونة السياسي المصلح الذي يرى أن الحكمة ضالته.

وكان من أسباب فشل تمرد الحارث هو انحرافه عن أهدافه الكلية إلى أهداف فرعية لا قيمة لها في دين الله وهي العصبية القبلية، ويبدو من سريرته أنه كان معجبًا أشد العجب بنفسه فخورا بما يمتلكه من قدرات، فها هو تجده لم يجد نفسه بعد أشرس، فلم يجد له دورا يرى نفسه كما يجب أن يراها فيلجأ إلى الترك يبحث له عن دور حتى ولو كانت الوسيلة غير مشروعة، ثم إنه استجاب لدعوة نصر بن سيار المضري له بالقدوم، لأن دعوة نصر كانت مفعمة بالعصبية القبلية ضد الكرماني الأزدي، فالوفد الذي أرسله نصر للحارث كان يهدف إلى: إقناعه بأن يرجع إلى مرو لكي يتقوى به نصر المضري ضد حزب اليمنين بزعامة الكرماني[١٩٩]. ثم نجد بعد عودته يأمر الجهم بن صفوان بأن يقرأ سيرته في المجالس والأسواق حتى تكون مصدر جذب لكثير المريدين والأنصار، ثم نجده يعير نصر بن سيار المضري لما انهزم أمام الكرماني ويقول إن اليمنية تعيّرني بانهزامك، ويعرض عليه مساعدته ضد الكرماني[٢٠٠]. ثم تكون الطامة الكبرى للحارث عندما يتحول تماما إلى قتال الكرماني عصبية لمضريته على حساب أهدافه الإصلاحية الكبرى، وينفصل عنه رفيق دربه في الجهاد والنضال بشر بن جرموز بخمسة آلاف معه بسبب أن الحارث قد أغفل الأهداف الرئيسة التي ناضل من أجلها أهل البصائر، وأصبحت حركته وتمرده تابعًا لهواه القبلي[٢٠١] وهوى من اتبعه من المضرية الذين دفعوا الحارث إلى قتال الكرماني وقالوا: لم نكن نرضى بشيء دون لقاء الكرماني[٢٠٢]. وبالتالي أصبحت الحركة تابعة أيضا لهوى أتباعه، فلم يتحقق شيء من البرنامج الإصلاحي

---

(١٩٨) تاريخ الطبري ٤/ ٢٧٩، المنتظم ٧/ ٢٥٨، الكامل في التاريخ ٥/٧.

(١٩٩) العرب في خراسان ص١٣٩.

(٢٠٠) تاريخ خليفة ١/ ٣٨٣، تاريخ الطبري ٤/ ٢٩٦، المنتظم ٧/ ٢٦٧.

(٢٠١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٩٧.

(٢٠٢) دراسات في العصر الأموي للرفاعي. ص٢٢٠.

لضعف التخطيط، وسوء التنفيذ، وعدم تمكن الأهداف والمبادئ الكلية من نفوس الغالبية من أتباع الحارث سوى طائفة القراء والتي انفصلت عنه(٢٠٣).

إذا كان تغيّر الأنصار مع الحارث من القراء الخلص أهل البصائر، إلى أنصار من المضريين وغيرهم من ترك وفرس وعرب مضر خاصة من تميم، إضافة إلى تغير ميدان الدعوة من بلاد ما وراء النهر وأطراف خراسان، والتي كانت مصدر قوة الحارث – حيث كان هناك يجاهد في سبيل إبلاغ دعوة الإسلام إلى شعوب تلك المنطقة، ويدعو إلى مساواة من أسلم منهم بالمسلمين، ويعفيهم من الأعباء المالية – وميدان انطلاق حركته سنة ١١٦هـ/٧٣٤م، أما في نهاية تمرده الثاني سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، كان الميدان مَرْواً، والأنصار غير الأنصار فكان الفشل نصيبه.

ثم يأتي عامل آخر هو أن الحارث عاصر ظهور أبي مسلم الخراساني في نفس المناطق التي كان فيها تمرده الثاني، ولم يستطع أن ينسق معه من قريب أو بعيد رغم توافق الأهداف وتشابه الشعار من لبس السواد، ورفع الرايات السود، والدعة للرضا وغير ذلك(٢٠٤)، فلم ينجح الحارث في ذلك، رغم نجاحه في التنسيق مع الترك، كما لم ينجح في استغلال مناخ(٢٠٥) الفتنة بين نصر والكرماني في بلاد خراسان كما نجح أبو مسلم الخراساني الذي كان أحكم من الحارث تخطيطا، وأدق تنفيذا، وأكثر تمكنا في قلوب أتباعه، فاستطاع أن يستثمر مناخ الفتنة وجو الانقسام في خراسان فاستطاع أن يجني كل الثمار لصالحه.

ولعل من أسباب فشل تمرد الحارث أيضا، أن بواعثه كانت أكبر من إمكاناته، فكان الحارث يطمع في أن يسير إلى دمشق ليهدم أسوارها، ويزيل ملك بني أمية(٢٠٦).

ولكن أنصاره لم يشاركوه هذا الرأي، لصعوبة تحقيقه، وأشاروا عليه بالاقتصار على خراسان ومحاولته السيطرة عليها(٢٠٧)، فلم يفلح حتى في هذه، ولعل الظروف ساعدته في تمرده سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م حيث ضعفت الخلافة الأموية بعد موت يزيد إبن الوليد سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، واعتبر البعض أن خلافة مروان بن محمد غير شرعية لأنه يعد في نظرهم متغلبا متسلطا، حيث تولى بغير عهد ولا مشورة من المسلمين، إضافة

---

(٢٠٣) الكامل في التاريخ ١٩/٥.

(٢٠٤) تاريخ خليفة ٣٤٦/١، تاريخ الطبري ١٥٤/٤.

(٢٠٥) يتساءل أحد الباحثين عن غموض كان يكتنف حركة الحارث فيقول (هل كان وراء حركة الحارث العباسيون؟ أم خرج من نفسه؟ مع أنه قد ثبت أن الحارث قد اتصل بأحد نقباء العباسيين الذين بعثهم إبراهيم الإمام الى خراسان) وإنما أرى أن خروج الحارث كان من تلقاء نفسه، ولكن تلاقت مصلحته مع مصلحة العباسيين، فكان تمرده من العوامل المساعدة التي أدت إلى انتشار الدعوة العباسية هناك . عبد البارئ محمد الطاهر – الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول – رسالة ماجستير – كلية دار العلوم القاهرة سنة ١٩٨٩م ص ٩٢.

(٢٠٦) تاريخ ابن خلدون ١٤٥/٣.

(٢٠٧) دراسات في العصر الاموي للرفاعي ص٢١٨.

إلى اضطراب أمر خراسان حينئذ بين المضرية واليمنية، مما ساعد الحارث على تفجير تمرده، ناهيك عن أن عوامل الخروج والتمرد والرغبة في التغيير كانت تعتمل في نفس الحارث، ولكنه كان يتحين الفرصة لتنفيذ ذلك، فلما أتته لم يحسن استغلالها، فاقتنصها منه أبو مسلم الخراساني صاحب الرايات السود في ثورة أخرى كانت نتاج جهد طويل يعود إلى عشرات السنين من التربية والتكوين، والتخطيط والتنظيم، والتنفيذ المحكم الخطوات، والمستثمر للفرص والأوقات، تلك هي الثورة العباسية.

ثانياً: حركات التمرد والعصيان من أجل الخلافة ضد العباسيين

آلت الخلافة إلى العباسيين سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وبويع لأبي العباس السفاح فكانت أولى مهامه هي تعقب الأمويين، لاستئصال شأفتهم، حتى تتم لهم السيطرة على زمام الأمور تماما(٢٠٨). ولما كانت بلاد الشام هي محل إقامة بعض زعماء الأمويين، فكانت هي الجهة التي وجه إليها العباسيون جل اهتمامهم، فتعقب عبد الله بن علي عم السفاح(٢٠٩)، آخر خليفة أموي [مروان بن محمد ١٢٧ ـ١٣٢هـ] حتى اضطره إلى الالتجاء إلى مصر، فقتله العباسيون في صعيدها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م(٢١٠). كما شدد عبد الله الحصار على دمشق حتى ضاق الناس به ذرعا فاستغاثوا بأحد أفراد آل البيت ويدعى (يحيى بن بحر)، فطلب الأمان من عبد الله بن علي، فوافقه على ذلك ثم ما لبث أن حنث في أمانه لما رأى جنوده يجتازون سور دمشق، فتوقف عن كتابة الأمان، وقال ليحيى "قد دخلتها قسرا" فرد عليه يحيى "لا والله ولكن غدرا"(٢١١) فأغضب هذا القول عبد الله بن علي الذي نهر بحرا وهدده بالقتل، إلا أنه ندم وتراجع عن ذلك وأمر برفع السيف عن أهل دمشق، وخطبهم خطبة ضمنها جور بني أمية وعدد مظالمهم وجورهم ثم ختم خطبته بقوله: إن الله قد سلط عليهم سيف الحق لينتقم منهم ثم نزل (٢١٢).

أقام عبد الله بدمشق خمسة عشر يوما ثم اتجه إلى فلسطين، حيث قتل خلقا كثيرا من بني أمية على نهر أبي فطرس(٢١٣)، بعد أن استدعاهم فاجتمعوا إليه وعدهم ومناهم

---

(٢٠٨) Julius wellhousen – Des Arabische Reich und sein sturg ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده تحت عنوان: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ـ القاهرة سنة ١٩٥٨م، ص ٥٢٢، الدعوة العباسية لحسين عطوان ص٤٦٠.

(٢٠٩) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أحد دهاة الرجال الشجعان الأبطال، انتدب لحرب مروان، ولجج في طلبه وطوى الممالك حتى بلغ دمشق ونازلها وحاصرها وفتحها، وعمل بعمل التتار في الإسراف في القتل والإفساد، ولم يرقب في بني أمية إلا ولا ذمة. الوافي بالوفيات ١٧٣/١٧.

(٢١٠) الأنساب للسمعاني ٤٢٠/٤، البداية والنهاية ٤٦/١٠، مآثر الإنافة ١٦٢/١، سمط النجوم ٣ ٣٤٧.

(٢١١) تاريخ اليعقوبي ٣٥٦/٢.

(٢١٢) المصدر السابق نفسه.

(٢١٣) المعارف ٣٧٢/١، الكامل في التاريخ ٥ ٧٤، تاريخ ابن خلدون ٣ ١٦٤.

بالعطايا والهبات ثم قتل منهم بضعًا وثمانين رجلا[٢١٤]. وبهذه السياسة الدموية العباسية إزاء الأمويين، استطاعوا أن يقضوا على فلول الأمويين في مراكزهم الحصينة، غير أن أنصار الأمويين استمروا في معارضتهم للعباسيين لذلك برزت حركات تمرد أموية قوية تمثلت في ثورات أهل الشام، وحركات أخرى نورد منها ما يلي:

حركة أبي محمد بن عبد الله الأسوار[٢١٥] (السفياني المنتظر)[٢١٦] في حلب سنة ١٣٣هـ، ٧٥٠م:

في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، خلع حبيب بن مرة المري[٢١٧]، طاعة بني العباس في البلقاء والبثينة وحوران[٢١٨]، وذلك خوفا على نفسه وقومه، وقد بايعته قيس وغيرهم من أهل هذه الكور الذين اجتمعوا إليه، إلى جانب من معه من أهل الشام، وبيضوا[٢١٩] ونصبوا الرايات البيض، مخالفين بذلك شعار العباسيين وهو السواد[٢٢٠].

في هذا الوقت كان الخليفة العباسي السفاح بالحيرة في العراق، وقد بلغه أن أهل قنسرين[٢٢١] بزعامة أبي الورد مجزأة بن الكوثر[٢٢٢] قد تمردوا عليه، ويرجع المؤرخون سبب هذا التمرد إلى شهامة ومروءة مجزأة بن الكوثر الذي استنجد به ولد

(٢١٤) تاريخ الطبري ٣٥٤/٤، البدء والتاريخ ٧/١٦، المنتظم ٣٠٥/٧.

(٢١٥) هو زياد بن عبد الله الأسوار بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كنيته أبو محمد، ولقبه البيطار لأنه كان صاحب صيد. تاريخ دمشق ١٥٣/١٩، تاريخ حلب ٣٩٢٧/٩ – ٣٩٢٨، سير أعلام النبلاء ٧٥/٦، الوافي بالوفيات ٩/١٥، مآثر الإنافة ١٧٤/١، التحفة اللطيفة ٣٦٢/١.

(٢١٦) يروي الخطيب البغدادي حديثا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - - يقول فيه (يخرج السفياني حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين: جيشا إلى المدينة خمسة عشر ألفا، ينتهبون المدينة ثلاثة أيام ولياليهن، ثم يسيرون فيتوجهون إلى مكة) تاريخ بغداد ٤٠/١، ويروي المقدسي حديثا آخر يقول فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - (خراب الكوفان على يد رجل من آل عنبسة بن أبي سفيان) يعني السفياني. البدء والتاريخ ١٠٣/٤، ٧٣/٦.

(٢١٧) هو حبيب بن مرة المري، مرة غطفان، كان أحد قادة مروان بن محمد وفرسانه، تاريخ دمشق ٦١/١٢.

(٢١٨) البلقاء والبثينة وحوران، ثلاث كور من أعمال دمشق، معجم ما استعجم ٢٢٦/١، نزهة المشتاق ٢٧٠/١، ٣٧٧، معجم البلدان ٣٣٨/١، ٤٨٩، ٣١٧/٢.

(٢١٩) بيضوا معناه لبسوا الملابس البيضاء، تاريخ الطبري ٣٥٨/٤، الكامل في التاريخ ٧٩/.

(٢٢٠) تاريخ اليعقوبي ٣٥٧/٢، تاريخ الطبري ٣٥٨/٤، تاريخ ابن خلدون ٢١٨/٣، العصر العباسي الأول لعبد العزيز سالم ص٥٧.

(٢٢١)قنسرين كورة من كور الشام تقع بالقرب من حلب وحمص، فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلس – رحلة ابن جبير – دار الكتاب اللبناني – بيروت – القاهرة – تقديم د/ محمد مصطفى زيادة ١٧٩/١، معجم البلدان ٤٠٣/٤، رحلة ابن بطوطة ٩١/١.

(٢٢٢) هو مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، يكنى أبو الورد، من سادات قيس، كان من قادة مروان ولما انهزم مروان، قدم عليه بقنسرين عبد الله بن علي فبايعه مجزأة ودخل في دعوة بني العباس. تاريخ دمشق ٤٧/٥٧، تاريخ ابن خلدون ٣ ٢١٨.

مسلمة بن عبد الملك بن مروان الذين يجاورنه ببالس[٢٢٣] والناعورة[٢٢٤]، حيث جاء قائد من قادة عبد الله بن علي إلى بالس في مائة وخمسين فارسًا، فأساء معاملة ولد مسلمة ونسائه، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد، فخرج من مزرعته فقتل ذلك القائد ومن معه، وأظهر التبييض والخلع للسفاح، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فبيضوا جميعهم[٢٢٥].

كان عبد الله بن علي مشتغلا بحرب حبيب بن مرة، فلما علم بتمرد أبي الورد صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء أبي الورد الذي اجتمع حوله إلى جانب أهل قنشرين من القيسية، قبائل كلب في تدمر[٢٢٦] كما انضم إليه عرب حمص، وأصبحوا قوى معارضة وكونوا جبهة متحدة في مواجهة جند العباسيين، وبايعوا لأبي محمد زياد بن عبد الله السفياني المنتظر، وبايعه أبو الورد على أنه الوارث الشرعي للخلافة، واعتبره أهالي الشام أنه هو المهدي المنتظر، فعلقوا عليه آمالهم السياسية[٢٢٧] حيث كانوا يسمونه السفياني، ولم يضعف شأنه بموته بل ظلت فكرة السفياني المنتظر راسخة لدى أهالي الشام[٢٢٨].

دعا عبد الله بن علي حبيب بن مرة إلى الصلح، فصالحه وأمنه ومن معه وسار نحو أبي الورد، ومر بدمشق حيث أهله وأمهات أولاده، وترك بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف عاملا عليها فلما قدم حمصًا خرج عليه أهل دمشق وبيضوا ورفعوا الرايات البيض، وقدموا عليهم عثمان بن سراقة الأزدي[٢٢٩]، فلقوا أبا غانم ومن معه فهزموه، وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما كان عبد الله خلف من ثقله[٢٣٠].

ولكنهم لم يعرضوا لأهله وأجمعوا على الخلاف، وكاتبوا أهل حمص وتدمر، فقدم منهم ألوف، عليهم السفياني المنتصر، وهم نحو أربعين ألفا، فعسكروا بمرج

(٢٢٣) بالس بلدة بالشام غرب الفرات تقع بين حلب والرقة. معجم ما استعجم ٢٢٢/١، معجم البلدان ٣٢٨/١.

(٢٢٤) الناعورة: موضع بين حلب وبالس بينها وبين حلب ثمانية أميال. معجم البلدان ٥ ٢٥٣.

(٢٢٥) تاريخ الطبري ٣٥٧/٤، الكامل في التاريخ ٥ ٧٩. البداية والنهاية ٥٢/١، تاريخ ابن خلدون ٢١٨٠٣.

(٢٢٦) تدمر: مدينة بالشام بينها وبين حلب مسيرة خمسة أيام. قال النابغة الذبياني: إن الجن قد بنتها لنبي الله سليمان بالصفاح والعمد. معجم البلدان ١٧/٢، رحلة ابن بطوطة ٢ ٧٤٦.

(٢٢٧) سامية محمود نصار - الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق الإسلامي - رسالة ماجستير سنة ١٩٨٣ جامعة القاهرة سنة ١٩٨٣ ص٤٢.

(٢٢٨) فلهوزن - الدولة العربية ٥٢٥-٥٢٦.

(٢٢٩) هو عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الأزدي، كان قد تولى قضاء دمشق في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٢٥ - ١٢٦هـ) وتوفي سنة ١٣٩هـ في خلافة ابي جعفر المنصور. المعرفة والتاريخ ٣٦٨/٣، النجوم الزاهرة ١ ٣٣٩.

(٢٣٠) تاريخ اليعقوبي ٢ ٣٥٤، وابن الأثير ٥ ٧٩-٨٠، تاريخ حلب ٦ ٢٩٧٤، ٢٩٢٧/٩ - ٢٩٢٨ - ٢٩٣١، تاريخ ابن خلدون ٣ ٢١٠.

الأخرم من نواحي حلب[٢٣١] وتحرج موقف عبد الله بن علي، فآثر لقاء السفياني والقضاء على تمرده، ووجه أخاه عبد الصمد بن علي[٢٣٢] إليهم في عشرة آلاف جندي، كان أبو الورد هو المدبر لجيش المتمردين ومتولي القتال، فناهض جيش العباسيين، وكثر القتل بين الفريقين، حتى انكشف جيش عبد الصمد بن علي. ودارت الدائرة عليه فقتل منهم ألوف فلحق بأخيه عبد الله الذي أقبل في جماعة من كبار القادة العباسيين، فعزز من قوة جيش العباسيين، فالتقوا ثانية بمرج الأخرم واقتتلوا قتالا عنيفا ثبت فيه عبد الله ومن معه، فانهزم جيش المتمردين وقتل أبو الورد في خمسمائة من أصحابه القيسية انتهى تمرد أبو الورد بهزيمته ومقتله، وهروب السفياني في رهط من أنصاره الكلبيين متوجها إلى تدمر، ولم يزل متغيبا هاربا حتى لحق بأرض الحجاز وظل كذلك إلى أيام المنصور حتى قتل[٢٣٣].

أمن عبد الله بن علي أهل قنسرين فسودوا ودخلوا في الطاعة، ثم توجه إلى دمشق فلما دنا منها هرب الناس منها، فأمنهم عبد الله فبايعوه، ولم يأخذهم بما كان منهم[٢٣٤]. وبعد أن أحبط عبد الله بن علي تمرد أبي الورد عاد إلى حبيب بن مرة المري فناجزه، حتى قضى على حركته[٢٣٥]. التي كان ينقصها التنسيق مع المعارضين للحكم العباسي من حوله، وكان عليه بدلاً من أن يضع يده في يد عبد الله إبن علي للتصالح، أن يمد هذه اليد إلى أبي الورد والسفياني اللذين قادا حركة تمرد قوية ضد العباسيين، بدلا من أن يعطي الفرصة لعبد الله بن علي أن ينفرد بقوى المعارضة وكان من نتيجة ذلك أن هزم حبيب وفشلت حركته، قبل هزيمة أبي الورد والسفياني وذلك عندما مد يد الصلح إلى العباسيين، وانطبق عليه المثل الشائع "أكلت يوم أكل الثور الأبيض".

وكان على أبي الورد أن يحاول جمع فلول المعارضين للعباسيين حوله، وكان حري به أن يعمل على التنسيق مع حبيب بن مرة حتى يقطع الطريق على عبد الله إبن

---

(٢٣١) تاريخ الطبري ٣٥٧/٤، تاريخ دمشق ٤٧/٥٧، تاريخ حلب ٢٩٧٤/٦، ٣٩٣١/٩.

(٢٣٢) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة ١٠٥هـ وروى عن أبيه، وكان عظيم الخلق، وكانت له عجائب كثيرة – ذكرها إبن الجوزي – ويروى الزمخشري أنه لم تسقط له أسنان الصبا ودخل قبره سنة ١٨٥هـ بأسنان الصبا فما نقص له سن حتى فارق الدنيا مع ما بلغ من العمر، الفائق للزمخشري ٦٦٧/١، المنتظم لابن الجوزي ١١٢/٧، ١٠٤/٩ – ١٠٥.

(٢٣٣) تاريخ الطبري ٣٥٧/٤ – ٣٥٨، الكامل في التاريخ ٧٩/٥ – ٨٠، البداية والنهاية ٥٢/١٠، تاريخ ابن خلدون ٢١٨/٣، الدعوة العباسية الحسين عطوان ص٤٧١.

(٢٣٤) تاريخ اليعقوبي ٣٥٤/٢ – ٣٥٧، تاريخ الطبري ٣٥٨/٤، الوافي بالوفيات ٩/١٥ إبن خلدون ٢١٨/٣. التحفة اللطيفة ٣٦٢/١.

(٢٣٥) الدعوة العباسية لحسيين عطوان ص٤٧١.

علي بالتصالح معه حتى وإن كانت حركة حبيب قبل حركة ابي الورد، ولعل مرد ذلك الى أن حركة أبي الورد كان منتبها أخلاقيا بحت بدافع المروءة ونصرة المظلوم(٢٣٦)، ثم تحولت إلى قضية رأي عام معارض اكتسب أنصارا له في قنسرين وتدمر وحمص وغيرها، ثم كانت محاولة جريئة وبعيدة النظر من أبي الورد أن يبايع لأبي محمد زياد ابن عبد الله بن معاوية بن يزيد بن معاوية، ويكون هو المحرك الرئيسي للتمرد وأبي محمد في الواجهة، واكتسب أبو الورد بذلك مكاسب منها: تكوين جبهة معارضة قوية ومتحدة تجمع ألوان الطيف المعارضة للعباسيين، حتى أنها جمعت بين اليمنية والقيسية لأول مرة في مواجهة العباسيين لإعادة حكم بني أمية(٢٣٧) ومما يلفت النظر، أن المعارضين قد انصرفوا عن تأييد الفرع الأموي المرواني إلى تأييد الفرع السفياني من جديد بعد عقود من الزمن مديدة، وذلك عندما بايعوا لأبي محمد زياد بن عبد الله ولم يشهروه باسمه بل بلقبه السفياني نسبة إلى بيت أبي سفيان(٢٣٨)، وأضفوا عليه صفات الشرعية على أنه الوارث الشرعي للخلافة الأموية، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا أن يلبسوه مسوحًا وهالات معنوية، فادعوا أنه المهدي المنتظر أو السفياني المنتظر الذي سيتحقق فيه نبوءة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أسلفنا(٢٣٩)، وذلك حتى تجتمع حوله القلوب وتتعلق به الآمال وتضحي من أجله الأموال والأنفس، وهذا بعد قوى له في حركات التمرد والثورات أثر كبير لا يقل شأنا عن الجانب المادي تمخضت حركة أبي الورد في نهاية المعركة عن فرار القبائل الكلبية مع أبي محمد السفياني إلى تدمر، بينما صمدت قيس بمفردها في الميدان حتى حلت بها الهزيمة مع أبي الورد(٢٤٠)، وبالتالي لم تحقق حركة أبي الورد ما كانت تبغيه بسبب الانقسامات القبلية التي فتت في وحدة الجيش الأموي(٢٤١). إلا أن هذه الثورة رغم فشلها فقد أحيت الآمال في نفوس المعارضين للحكم العباسي خاصة في مدن الجزيرة.

(٢٣٦) تاريخ اليعقوبي ٣٥٤/٢، تاريخ الطبري ٣٥٧/٤، الكامل في التاريخ ٥ ٧٩، البداية والنهاية ١٠ ٥٢، تاريخ بن خلدون ٣/ ٢١٨.

(٢٣٧) التاريخ الاسلامي للترمانيني ٧٤٨/٢، ٨٧٠.

(٢٣٨) فلهوزون. الدولة العربية ص٥٢٥ - ٥٢٦، الحركات المناهضة للدولة العباسية ص٤٢.

(٢٣٩) تاريخ بغداد ١ ٤٠، البدء والتاريخ ١٠٣/٤، ٦ ٧٣.

(٢٤٠) تاريخ الطبري ٣٥٨/٤، الكامل في التاريخ ٥ ٨٠، البداية والنهاية ١٠ ٥٢.

(٢٤١) فاروق عمر العباسيون الأوائل بيروت ١٩٧٠م ص٣٥ ١٣٦.

تمرد/ إسحاق بن مسلم العقيلي[٢٤٢] بالجزيرة سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م:

لما علم أهل الجزيرة بتمرد أبي الورد ومعه أهل قنسرين، خلع أهل الجزيرة طاعة السفاح وبيضوا ونقضوا البيعة، وساروا إلى حران، حيث والي العباسيين عليها موسى ابن كعب في ثلاثة آلاف جندي، فحاصروه وهم مبيضون من كل وجه، وكان أمر أهل الجزيرة حينئذ مشتتا ليس عليهم رأس يجمعهم[٢٤٣].

في هذه الأثناء، كان إسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان على أرمينية، لما بلغه هزيمة مروان سار عنها، واتجه إلى الجزيرة فولوه عليهم وهم محاصرين لموسى بن كعب بحران واستمر الحصار لمدة شهران بقيادة اسحاق بن مسلم، ثم رحل من حران إلى الرها[٢٤٤]، فبعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور لقتال اسحاق ابن مسلم، بالرها حيث انضم إليه أخيه بكار بن مسلم، فبعثه إسحاق الى ماردين[٢٤٥] حيث قبائل ربيعة بزعامة برمكة الحروري[٢٤٦]، فتصدى لهم أبو جعفر فهزمهم وقتل برمكة في المعركة، فانصرف بكار إلى أخوه إسحاق بالرها فاستخلفه عليها ثم توجه إسحاق في عدد كبير من جنده إلى سمساط[٢٤٧] حيث أقام إسحاق عليها خندقا، وأعد العدة لمواجهة العباسيين[٢٤٨].

ونجح إسحاق وأصحابه في أن يضموا إلى صفوفهم أحد أمراء بني أمية وهو محمد بن مسلم بن عبد الملك الذي حاصر حران وضربها بالمنجنيق وأحرق أبوابها وكان ذلك سببًا في ازدياد "الأنصار والموالين لبني أمية، ونتج عن ذلك اتساع

---

(٢٤٢) هو إسحق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن حزن بن عامر بن عوف بن عقيل بن بكر بن هوازن. يلقب ابا صفوان العقيلي، كان جليل الأمر كبير القدر، ولي أرمينية، كان من قادة مروان بن محمد بن مروان وكان مصاحبا له وفيا على ولائه حتى تأكد أنه قد قتل فبايع للعباسيين وكان اثيرًا عند أبي جعفر المنصور حتى أنه سأله يوما: "يا إسحاق قد أفرطت في وفائك لبني أمية؟" فقال له: (من وفى لمن لا يرجى، كان لمن يرجى اوفى) قال المنصور: (صدقت) تاريخ دمشق ٢٨٠/٨ ـ٢٨١، تاريخ حلب ١٥٠٨/٣ ـ١٥٠٩ ـ ١٥١٠.

(٢٤٣) تاريخ الطبري ٣٥٨/٤، الكامل في التاريخ ٨٠/٥، البداية والنهاية ٥٣/١٠.

(٢٤٤) الرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام في بقعة تتصل بحران، كان الغالب على اهلها النصارى لكثرة البيع والأديرة، وبينها وبين حران اثنى عشر ميلا. نزهة المشتاق ٦٦٣/٢، معجم البلدان ١٠٦/٣.

(٢٤٥) ماردين كورة من كور ديار ربيعة إلى جانب نصيبين وقرقيسياء وسميساط وغيرها الواقعة بين الشام والحيرة، وماردين مدينة عظيمة في العمارة، والأسواق، وبها قلعة ماردين الشهيرة الواقعة على جبل ماردين البالغ ستة أميال، بناها حمدان بن الحسن وسماها البازي الأشهب أو الشهباء، فتحها عياض بن غنم اواخر سنة ١٩هـ وبداية سنة ٢٠هـ أيام خلافة عمر بن الخطاب، معجم ما استعجم ٥٦٨/٢، رحلة إبن بطوطة ٢٥٧/١، ٨١٨/٢، نزهة المشتاق ٦٦٢/٢، رحلة ابن جبير ١٧١/١.

(٢٤٦) الكامل في التاريخ ٨١/٥، تاريخ إبن خلدون ٢١٩/٣.

(٢٤٧) سميساط كورة من ديار ربيعة الواقعة بين الجزيرة والشام، وهي مدينة تقع على الشاطئ الغربي لنهر الفرات. بها قلعة حصينة وتحفها جبال كثيرة، معجم ما استعجم ٧٥٧/٣، نزهة المشتاق ٦٥١/٢، معجم البلدان ٢٥٨/٣.

(٢٤٨) تاريخ الطبري ٣٥٩/٤، تاريخ ابن خلدون ٢١٩/٣، سمط النجوم ٣٦٤/٣.

جبهة التمرد ضد العباسيين[٢٤٩]. بلغ أبو العباس السفاح خبر تمرد إسحاق بن مسلم، ارسل إلى عمه عبد الله بن علي بالشام يأمره بالمسير إلى إسحاق على رأس جيش كبير، فأقبل عبد الله إلى سمساط ونزل بإزاء إسحاق يفصل بينهما الفرات، في حين أقبل ابو جعفر المنصور من الرها. وحاصروه جمعيًا سبعة أشهر داخل سمساط، وشددوا عليه الحصار فما زاده ذلك إلا تمسكا بموقفه وهو يقول: لا أخلع البيعة من عنقي لمروان بن محمد حتى أتيقن من موته، ولما تيقن له موت مروان، طلب الأمان، فاستأذنوا له السفاح فأمرهم بتأمينه، وخرج إسحاق إلى معسكر أبي جعفر فكان من آثر أصحابه عنده[٢٥٠].

ولعل يكون تشتت أهل التمرد بالجزيرة مع إسحاق هو الذي حمله على التسليم بعدما رأى ما ساد في صفوفهم من الفوضى وعدم النظام[٢٥١]. ورغم استسلام إسحاق للعباسيين وفشل تمرده، إلا أننا نلمح في شخصيته صفات القائد المؤهل لقيادة الحركة الجماهيرية لأهل الجزيرة، فنجده عندما علم بهزيمة الخليفة مروان بن محمد، وكان هو عاملا له على أرمينية، كان بوسعه أن يظل فيها ويستسلم للعباسيين عسى أن يستبقوه واليا لهم عليها، أو ينزلوه منزلاً مباركاً - كما أنزلوه فيما بعد- ولكنه سار عنها واتجه إلى أهل الجزيرة المتمردين الذين علموا فيه مخايل القيادة وصفاتها فولوه عليهم قائدًا لتمردهم[٢٥٢]. وكان إسحاق على دراية واسعة بحركات التمرد حوله فقد استفاد من تمرد أبي الورد قبله في تحفيز أنصاره على التصدي للعباسيين، ثم أنه يرسل أخاه بكار إلى متمرد آخر هو برمكة الذي لم يكن على مذهبه بل كان حروريا ولكن أيقن إسحاق أن الأهداف العامة المشتركة هي التي تجمع وتوحد، بغض النظر عن الانتماءات الفكرية والمذهبية التي تخص معتقد كل فصيل معارض، وهذا بعد نظر جيد من إسحاق في العمل السياسي والعسكري[٢٥٣]. ثم يتطلع إلى مكسب أقوى فيخطو خطوة حكيمة عندما نجح مع أهل الجزيرة في ضم محمد بن مسلم بن عبد الملك أحد أمراء بني أمية، وإن كان من الفرع المرواني هذه المرة إلى صفوف المتمردين، حتى يكون عامل جذب للمعارضين والمتمردين من بني أمية يلتفون حوله ويجتمعون إليه[٢٥٤].

---

(٢٤٩) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٥٤، تاريخ دمشق ٥٥/٢٩٠.

(٢٥٠) الكامل في التاريخ ٥/٨١، البداية والنهاية ١٠/٥٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٢١٩.

(٢٥١) الحركات المناهضة للخلافة العباسية ص٤٤.

(٢٥٢) تاريخ الطبري ٤/٣٥٨، الكامل في التاريخ ٥/٨٠، البداية والنهاية ١٠/٥٣.

(٢٥٣) الكامل في التاريخ ٥/٨١، تاريخ ابن خلدون ٣/٢١٩، سمط النجوم ٣/٣٦٤.

(٢٥٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٥٤، تاريخ دمشق ٥٥/٢٩٠.

تمرد/ إبان بن معاوية بن هشام[٢٥٥] في سميساط سنة ١٣٦هـ/٧٣٥م:

انتهى تمرد إسحق بن مسلم فما لبث أهل سميساط إلا أن عاودوا تمردهم مرة أخرى ضد الخلافة العباسية، وتزعمهم في هذه المرة إبان بن معاوية بن هشام، والذي استطاع أن يجمع أربعة آلاف جندي من خيرة جند إسحاق بن مسلم العقيلي وقدم بهم سميساط وهو عازم على مواصلة طريق التمرد والخروج على العباسيين[٢٥٦].

لما علم العباسيون بهذا التمرد وجهوا إليه القائد حميدًا بن قحطبة[٢٥٧]، والذي كان قد نزل بعد هزيمة أبي الورد مع عبد الله بن علي إلى دابق[٢٥٨]، فسيره عبد الله إلى أبان بن معاوية، وقد قرب منه يريد أن يبيت به، فلقيه حميد بن قحطبة في فريق من الجند، فكان حميد والعباس بن زيد على مقدمة جيش عبد الله بن علي، فانهزم أصحاب أبان وتحصنوا في حصن كيسوم[٢٥٩]، فتوجه إليهم عبد الله بن علي، فطلبوا منه الأمان، فأمنهم، وهرب إبان، ثم أحضره عبد الله بن علي وقطع أطرافه ثم قتله[٢٦٠].

أمعن العباسيون وولاتهم في ملاحقة الأمويين ومطاردتهم أنّى تمكنوا من ذلك مما اضطر بعضهم إلى التخفي والبعض الآخر إلى الهروب نجاة بأنفسهم، حتى صاروا ينزلون الجبال والبوادي بين الأعراب. ولم يستطع الإفلات من قبضة العباسيين من وجوه الأمويين سوى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[٢٦١]. والذي استطاع أن ينجو بنفسه عندما أتيحت له فرصة الهروب إلى الأندلس، حيث تمكن أن يعيد

---

(٢٥٥) هو أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وأمه امرأة من تيم تسمى راح البربرية، كان مع عمه سليمان بن هشام حين هرب من مروان بن محمد ثم دخل أبان خراسان، وبايع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، تاريخ الطبري ٢١٧/٤ تاريخ دمشق ١٦٠/٦، تاريخ حلب ٢٩٧٤/٦.

(٢٥٦) تاريخ دمشق ١٦٠/٦، تاريخ حلب ٢٩٧٤/٦.

(٢٥٧) هو حميد بن قحطبة اياد بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن كليب بن نبهان الطائي، كان أحد السبعين الذين هم دعاة بني العباس الذين اختيروا لإقامة الدعوة العباسية بخراسان، بعد العشرين الذين هم بعد النقباء الاثني عشر، وكان ابوه قحطبة ضمن الاثنى عشر، وكان حميد من القادة المذكورين من قادة بني العباس – مات سنة ١٥٩هـ تاريخ دمشق ٢٨٩/١٥، تاريخ حلب ٢٩٧٣/٦.

(٢٥٨) دابق قرية من قرى حلب تقع في أقاسي فارس، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، معجم ما استعجم ٥٣١/٢، معجم البلدان ٤١٦/٢.

(٢٥٩) كيسوم قرية مستطيلة من أعمال سميساط بها حصن كبير مشهور، معجم البلدان ٤٩٧/٤.

(٢٦٠) تاريخ دمشق ١٦٠/٦، تاريخ حلب ٢٩٧٤/٦، الدعوة العباسية لحسن عطوان ص٤٧٧. الحركات المناهضة للعباسيين ص٤٤.

(٢٦١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، يكنى أبا المطرف، ويلقب بالداخل، لدخوله الأندلس، ولقبه ابو جعفر المنصور صقر قريش لما تحمله من الصعاب في الاستيلاء على الأندلس بدون أنصار. ولد بدمشق سنة ١١٣هـ وتوفي بالأندلس سنة ١٧٢هـ - تاريخ دمشق ٤٤٥/٣٥، المنتظم ٢٢/٨، سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٨، مآثر الانافة ١٦٨/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥٢٢/١.

فيها ملك أجداده البائد بالمشرق، فكان عبد الرحمن أول من ملك الأندلس من بني أمية، بعد رحلة شاقة تفلت من بين يدي بني العباس[٢٦٢]، ففر إلى المغرب وأقام ببرقة قرابة ست سنوات، كان يرسل بدرا مولاه إلى الأندلس يتحسس له الأخبار، حتى خاطب المضرية ذات يوم قائلا: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه، فقالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية، فأتوا إليه فبايعوه، وتمت له البيعة وولي عليهم عبد الرحمن ثلاث وثلاثين سنة[٢٦٣]، وكان دخوله الأندلس في تسع وثلاثين ومائة، وكان في سيرته محمودا عادلا في قضائه حتى توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة[٢٦٤].

ولم تكن هذه الرحلة سهلة ميسورة، بل واجه عبد الرحمن كثيرا من الصعاب بدون أنصار، ولاقى كثيرا من الشدائد والخطوب، أثناء مقامه في أفريقية من قبل الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وفي الأندلس من قبل يوسف الفهري أمير البلاد، أو حتى من رؤساء العرب الذين ثاروا عليه ونافسوه في ملكه، ولاقى خطوبا عظيمة، إلا أن العاقبة كانت من نصيبه[٢٦٥].

تمرُّد/ علي بن عبد الله السفياني[٢٦٦] بالشام سنة ١٩١هـ/٨٠٩م

واصل العباسيون منذ أبي العباس السفاح سياسة الإسراف في إفناء بني أمية (قتلا وتشريد معرضين عن قول العذال فيهم واللوام)[٢٦٧]. وفي المقابل واصل

---

(٢٦٢) أحمد بن محمد المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – دار صادر – بيروت – سنة ١٣٨٨هـ – تحقيق د. إحسان عباس ١/ ٢٤٩، ٣٢٧، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى – دار الكتاب الدار البيضاء – سنة ١٩٩٧ – تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري ١٧٧/١.

(٢٦٣) الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي – تاريخ العلماء بالأندلس – مطبعة المدني – القاهرة سنة ١٩٨٨ – ط٢ تحقيق عزت العطار الحسيني ١/ ١١، عبد الواحد المراكشي – المعجب في تلخيص أخبار المغرب – مطبعة الاستقامة – القاهرة سنة ١٣٦٨هـ ط١ تحقيق/ محمد سعيد العريان وآخر ١٦/١.

(٢٦٤) الحلة السيراء ١/ ٣٥، ابن سعيد المغربي – المغرب في حلى المغرب – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٥٥ ط٣ – تحقيق د. شوقي ضيف ٢٤٦/٢.

(٢٦٥) عن هذه الأخطار التي واجهت عبد الرحمن الداخل، وحجم المصاعب التي لاقاها رجع إلى المقري في نفح الطيب ٣٢٧/١ – ٣٣٣.

(٢٦٦) هو الأمير أبو الحسن علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي الدمشقي ويعرف بأبي العميطر، وأمه نفيسة بنت عبيد الله بن علي بن أبي طالب، لذلك كان يقول: أنا ابن شيخي صفين يعني عليا ومعاوية، وكان من بقايا بني أمية في الشام وخرج وهو في التسعين من عمره سنة مائة وخمس وتسعين هجرية، تاريخ دمشق ٣٣/٢، ٢١٥، ٤٣٥، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٨٤، مرآة الجنان ٤٤٨/١، شذرات الذهب ١/ ٣٤٢.

(٢٦٧) بدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي – جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار – مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٧٢٥ ص١٥.

الأمويون وأشياعهم من العرب الذين كانوا عماد دولتهم التمرد ضد العباسيين منذ خلافة السفاح وحتى عهد [محمد الأمين ١٩٣ ـ ١٩٨هـ/٨١١ ـ ٨١٦م]، حيث قام أحد بقايا الأمويين بالشام بحركة تمرد واسعة على العباسيين، ويدعي علي إبن عبدالله السفياني، والذي استغل الاضطرابات التي سادت عهد الخليفة الأمين، وكان عمره حين تمرد تسعون سنة، ويروي إبن هبة الله عن الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- أن السفياني قد أراده الكثير على الخروج مرارا فكان يأبى، حتى دفعه إلى ذلك رجل ذو طموح جارف يدعى أبا الخطاب الدمشقي بن وجه الفلس، فاحتال على السفياني حتى يقنعه بطريق غير مباشر بالخروج وأن هذا أوانك، فقال: هذا شيطان، ثم أتوه في الليلة الثانية فوقع في نفسه، ثم أتوه في الثالثة، فلما أصبح يأكد وخرج فأفسدوه[٢٦٨].

كان المناخ العام في الوسط الأموي مهيأ حينئذ لظهور السفياني، فكان بنو أمية يروون عن علي بن عبد الله السفياني الروايات[٢٦٩]، ويذكرون فيه علامات السفياني، وأن أموره لا تتم له إلا بكلب فإنهم سيكونون أنصاره، فمالت إليه كلب وتوددهم[٢٧٠] في ذي الحجة سنة١٩٥هـ/٨١٣م خرج علي بن عبد الله السفياني ودعا إلى نفسه بالخلافة، وبالفعل أعانه على ذلك حتى يحقق طموحه أبو الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية، والمتغلب على صيدا في ذلك الوقت، واستطاعوا حصار دمشق ونجحوا في طرد عامل الأمين عليها سليمان بن المنصور فلم يفلت سليمان إلا بعد اليأس[٢٧١].

إن على تمرد السفياني كان يحمل بين طياته بذور فشله، ومن ذلك اعتماده على شطر العرب اليمني دون الشطر القيسي، فكان أنصار السفياني يعتقدون أن أمره لا يتم إلأ بجهود قبائل كلب اليمنية، وليت الأمر انتهى عند ذلك، بل أفرط هؤلاء في اعتقادهم عندما زعموا أن تمام أمر السفياني إنما يكون بسباء نساء قيس وسفك دمائهم[٢٧٢]. ولذلك أيقنوا أنه لا يتم لهم أمر مع وجود أمير عرب الشام وفارس قيس وزعيمها إبن بيهس[٢٧٣].

---

(٢٦٨) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/٤٣.

(٢٦٩) عن هذه الروايات انظر: تاريخ حلب ٥٠٣/١، ٣١٨٤/٧، الوافي بالوفيات ١٦٥/١٣، النجوم الزاهرة ٢٢١/١.

(٢٧٠) تاريخ دمشق ٢٩،٤٣.

(٢٧١) تاريخ الطبري ٥٥/٥، البدء والتاريخ ١٧٦/٢، العبر للذهبي ٣٢٨/١.

(٢٧٢) تاريخ دمشق ٥٢٩/٤٣.

(٢٧٣) هو/ محمد بن صالح بن بيهس بن زميل بن عمرو بن أمير كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي عرب الشام وفارس قيس وزعيمها وشاعرها، وقد ولاه المأمون إمرة دمشق، فكان من خيرة عماله توفي سنة ٢١٠هـ تاريخ دمشق ٥٣ ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٢٩/٣.

ويذكر إبن عساكر أن أنصار السفياني قد مهدوا الطريق لخروجه في دمشق بأن احتالوا على أن بيهس عند والي دمشق سليمان بن أبي جعفر، والذي كان قد وليها عقب فتنة وعصبية في دمشق بين قيس واليمن، فقالوا له: إن هذا الفساد في عملك بسبب هذه الزواقيل(٢٧٤)، وإن رؤساءهم وصناديدهم ومن معهم من الضباب(٢٧٥) – وهم عشيرة إبن بيهس – تحميهم، واحتالوا له حتى أخذه سليمان فاحتبسه(٢٧٦)، وبذلك تخلصوا من عقبة إبن بيهس، وفي الوقت نفسه شغلوا والي دمشق عن تحركاتهم حتى اجتمعوا على السفياني وبايعوه، ولم يشعر بهم سليمان إلا وهم محاصرون، فأرسل إلى إبن بيهس في محبسه في قصر الحجاج خارج دمشق يستشيره في ذلك ولكن الأمر كان أعجل من ذلك فسقطت دمشق في يدي أبي العميطر وهرب سليمان بن المنصور ومن في القصر بما فيهم إبن بيهس، ولما علم محمد الأمين بذلك وجه إلى السفياني قائده الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، فلم ينفذ إليه ولكنه صار إلى الرقة فأقام بها(٢٧٧).

وأرسل أبو العميطر كتابا إلى إبن بيهس، يعجب فيه من تخلفه عن بيعته كأمير للمؤمنين، ويذكره بنعم بني أمية عليه وعلى آبائه، ويقسم له لئن دخل في الطاعة ليولينه ما يتمنى ولئن عصى ليبعثن إليه جيوشا لا قبل له بها وذيل الكتاب بالشعر ليتدبره(٢٧٨). لم يجبه إبن بيهس على كتابه، فقصد أبو العميطر القيسية يدعوهم إليه، فكتبوا إلى إبن بيهس يستنجدونه فأقبل إليهم في ثلاثمائة فارس من الضباب مواليه، وأرسل إليه السفياني يزيداً بن هشام في اثني عشر ألفا، واشتعلت الحرب بينهما وحمل أصحاب إبن بيهس على جيش يزيد فانكشفوا وقتل منهم ألفي رجل، وأسر ثلاثة آلاف، ولم يزل القتل بهم حتى دخلوا أبواب دمشق(٢٧٩).

اشتدت شوكة إبن بيهس في حين وهن أمر السفياني بعد هذه الموقعة، فكان إبن بيهس يغير عليه كل يوم حتى اضطره إلى إغلاق أبواب دمشق(٢٨٠)، على أن السفياني ما لبث أن استعاد عافيته واسترد نفوذه، فجمع فريقا من أتباعه من أهل

---

(٢٧٤) الزواقيل قوم بناحية الجزيرة وما ولاها: لسان العرب ١/ ٣٠٥.

(٢٧٥) الضباب اسم لبطون من قبائل العرب تعود نسبتها إلى ضب ومضب وضباب وحسيل، أولاد عمرو بن معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحملي، المعارف ١/ ٨٨، يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي – الإنباه على قبائل الرواة – دار الكتاب العربي بيروت ط١ سنة ١٤٠٥هـ تحقيق إبراهيم الإبياري ١/ ٧٤، الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٦٦.

(٢٧٦) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٩.

(٢٧٧) تاريخ الطبري ٥/ ٦٦، تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٩.

(٢٧٨) عن نص ذلك الكتاب انظر تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٥٨.

(٢٧٩) البدء والتاريخ ٢/ ١٧٦ – ١٠٩، تاريخ دمشق ٣٣/ ٤٣٥، الكامل في التاريخ ٥/ ٣٧٨.

(٢٨٠) تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٥٩.

السواحل والبقاع وبعلبك وحمص فعقد للقاسم ابنه عليهم وخرج للقاء إبن بيهس، فحلت الهزيمة بابن السفياني وقتل في المعركة واحتزوا رأسه، ووهن أمر السفياني مرة أخرى[٢٨١]. إلا أنه جمع جموعًا أخرى تحت زعامة مولاه المعتمر بن موسى، في وقت كان قد مرض فيه ابن بيهس وأتته بنو نمير يحثونه على المواجهة، فخرج لمواجهة المعتمر ووقعت الحرب بين الفريقين واقتتلوا اقتتالا شديدا، وليس لأحد من الفريقين سبق على الآخر، حتى وصل مدد لابن بيهس فهزموا جيش المعتمر واحتزوا رأسه، وضعف أمر السفياني فاجترأت عليه قبيلة هوازن وطمعت فيه، في حين اشتدت علة إبن بيهس[٢٨٢]. الذي رأى بعد أن اعتراه المرض أن يجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم خيرا ببني مروان، وأشار عليهم بمبايعة مسلمة بن يعقوب بن عبد الملك[٢٨٣]، نكاية في السفياني[٢٨٤].

نفذ بنو نمير ما أوصاهم به زعيمهم إبن بيهس فاجتمعوا إلى مسلمة بن يعقوب وبايعوه بالخلافة، فقبل منهم مسلمة، ثم توجه إلى السفياني، وكان يدخل عليه قبل ذلك، فسلم عليه ثم أوثقه وقبض عليه، كما قبض على رؤساء بني أمية، في حين قرب إليه القيسية واختار منهم خاصته، وجعل لكل رجل منهم ضياعا ومنزلا وولاهم[٢٨٥]، في هذه الأونة عوفي إبن بيهس من علته وطمع في الاستيلاء على دمشق من مسلمة بن يعقوب، حيث هو الذي صنعه لما حث بنو نمير على مبايعته نكاية في السفياني[٢٨٦]، وغدر مسلمة بالسفياني وأوثقه بالحديد، وكادت الأمور تستقر له، لولا أن إبن بيهس قد سبقه فحرمه مما استولى عليه غدرا، وانفضت قيس عن مسلمة وسارعوا إلى إبن بيهس

---

(٢٨١) الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥، تاريخ إبن خلدون ٢٩٤/٣، شذرات الذهب ٣٤٧/١، ٣٥٦.

(٢٨٢) تاريخ دمشق ٢٦٢/٥٣ ـ ٢٦٣.

(٢٨٣) هو مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، ويقال له هو مسلمة بن يعقوب بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ـ توفي بالمزة سنة ١٩٨هـ وصلى عليه السفياني وقال: "رحمك الله وإن كنت قد ظلمتني وظلمت نفسك" ولحقه السفياني بعد قليل ودفن بالمزة أيضا وأخفوا قبره حتى لا ينبش. تاريخ دمشق ٦٨/٥٨ ـ٧١، تاريخ ابن خلدون ٣ ٢٩٥.

(٢٨٤) تاريخ إبن خلدون ٢٩٥/٣.

(٢٨٥) تاريخ دمشق ٦٩/٥٨، الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥.

(٢٨٦) لما مرض ابن بيهس أراد أن يضعف من أمر السفياني بان يحول ولاءات الناس من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني حيث مسلمة بن يعقوب والتي كانت أمة من بني نمير وقال إبن بيهس: قد كان من علتي ما تروم فارقوا بني مروان بن الحكم والطفوا بهم وعليكم بمسلمة بن يعقوب فإنه ركيك وهو إبن أختكم فاعلموه أنكم لا تثقون ببني أبي سفيان وأنكم تثقون به ثم وضع معهم خطة لذلك لخصها في ابيات من الشعر تقول:

كيدوا العدو بأن تبدوا مباعدتي ... ولا تنوا في الذي فيه لهم تلف

وكاتبوني بما تأتون من هنة ... حتى تكونوا إلى الرسل تختلف

تاريخ دمشق ٦٩/٥٨.

وسلموه دمشق وغدروا بمسلمة الذي لاذ مع السفياني بالفرار في ملابس النساء خارج دمشق(٢٨٧) وسكنوا قرية المزة(٢٨٨) وماتوا بها.

وفي المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٦م دخل ابن بيهس دمشق واستقر بها وملكها إلى أن قدم قائد الخليفة [المأمون ١٩٧ ـ ٢١٨هـ/٨١٥ ـ ٨٣٦م] عبد الله بن طاهر إلى دمشق ثم تركها متوجها إلى مصر ثم ما لبث أن عاد إليها واصطحب إبن بيهس معه إلى العراق حيث مات بها(٢٨٩). هكذا انتهت حركة أبي العميطر السفياني بالفشل، إلا أن حركة السفياني توافرت لها بعض الظروف الإيجابية التي أحسن السفياني وأتباعها استثمارها، ومن ذلك:

إنهم استغلوا فكرة السفياني المنتظر أحسن استغلال، وفي التوقيت المناسب للروايات، ففي سنة ١٩٥هـ/٨١٣م كان الناس ينتظرون ظهور السفياني ويقولون: "لو لم يبق من سنة خمس وتسعين ومائة إلا يوم واحد لخرج السفياني"(٢٩٠) ورواية أخرى يتناقلها الناس حينئذ تقول: "ليخرجن السفياني سنة خمس وتسعين ومائة(٢٩١)، ووالله ليلين قضاعود إبن أبي درامة"(٢٩٢).

ولما تم الأمر للسفياني ولي قضاءه أبو مسهر حتى يصدق ظن الناس فيه، ويثبت صحة روايات السفياني المنتظر(٢٩٣). ورغم هشاشة هذه الروايات وضعفها(٢٩٤). إلا أن

---

(٢٨٧) تاريخ دمشق ٧٠/٥٨، الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥.

(٢٨٨) المزة: قرية كبيرة غناء وسط بساتين دمشق، وتعرف بميزة كلب نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكانت المزة إقطاعا لهم، رحلة ابن بطوطة ١١٧/١، معجم البلدان ٥ ١٢٢، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٣م ١,٣٩٦.

(٢٨٩) تاريخ دمشق ٢٦٥/٥٣، الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥، العبر الذهبي ٣٢٧/١ ـ ٣٣٨ شذرات الذهب ٣٥٦/١.

(٢٩٠) تاريخ دمشق ٢٧/٤٣.

(٢٩١) هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني شيخ الدمشقي يكنى بأبي درامة كنية جده عبد الأعلى ولد سنة أربعين ومائة وتوفي سنة ثمان ومائتين في محنة خلق القرآن أمام المأمون. تاريخ دمشق ٢٧/٤٣، الوافي بالوفيات ٧/١٨.

(٢٩٢) تاريخ دمشق ٢٧/٤٣.

(٢٩٣) ذكر بعض المؤرخين أن خالدا بن يزيد بن معاوية هو الذي وضع حديث السفياني وعظمه وأراد أن يكون للناس في بني سفيان مطمع وذلك لما غلب مروان بن الحكم على الخلافة دون فرع بني سفيان وتزوج من أم خالد (أم هاشم). ويقال إنه وضعه لما سمع بحديث المهدي المنتظر. تاريخ حلب ١ ٥٠٣، ٥٠٦، ٣١٨٤/٧، الوافي بالوفيات ١٣ ١٦٥، النجوم الزاهرة ١ ٢٢١.

(٢٩٤) يذكر الحافظ ابن كثير أن أحاديث السفياني وأمثالها لا يصح إسناد شيء منها لأن في كل منها نكارة، وأقرب ما يكون فيها عن كعب الأحبار. وقد جاء في آثار عن كتب متقدمة أن بانيها يقال له مقلاص وذو الدوانيق لبخله. البداية والنهاية ١٠ ١٠٢.

هذه الفكرة بقيت عقوداً وقروناً بعد السفياني كمظلة يرفعها بعض المتمردين ضد الحكام حتى يضفوا على حركاتهم صفة الشرعية فيكسبوا ولاء الناس(٢٩٥).

إلى جانب أن الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون ساعدت في ظهور السفياني على مسرح الأحداث، حيث كانت قوة الدولة ضعيفة لانشغال الأمين بحرب المأمون. فلا يصل للولاة في ولاياتهم الدعم المناسب والمدد الكافي لدحر حركات التمرد، فسرعان ما هرب سليمان بن جعفر من دمشق وخلفها للسفياني(٢٩٦)، حتى لما أرسل الأمين جيشا بقيادة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان لم ينفذ إلى السفياني بل اتجه إلى الرقة وأقام بها(٢٩٧).

وكانت سيرة السفياني الذاتية ومناقبه قبل إعلانه التمرد سيرة جميلة، حيث أنه كان معتزلاً للشر(٢٩٨)، وقد أخذ الناس عنه علما كثيرا، فكان حسن السيرة من أهل العلم والدراية (٢٩٩) إلى جانب مؤهلات أخرى كان يحوزها فكان يجمع في نسبه بين البيت الأموي والبيت العلوي وكان يفتخر بذلك ويقول إنه ابن شيخي صفين علي ومعاوية(٣٠٠)، وابن العير والنفير(٣٠١).

وكان السفياني ذا خبرة وحنكة نظراً لنشأته وعلمه وسنه الذي تجاوز التسعين عاما، هذه الخبرة أكسبته شيئاً من التخطيط لظهور حركته، حيث كان يعلم أن إبن بيهس سيكون من العقبات الكؤود في ظهور حركته، لذا احتال عليه عند والي دمشق سليمان بن جعفر حتى حبسه، وخلا له الجو حتى يخرج على الأمين ويدعو لنفسه بالخلافة(٣٠٢) إلى جانب أن هذه الخبرة والحنكة أكسبته قوة في الشكيمة وعدم التنازل

---

(٢٩٥) سنة ١٢٧هـ خرج بفلسطين المبرقع اليماني وزعم أنه السفياني المنتظر، وسنة٢٩٤هـ ظهر رجل بالشام وادعى أنه السفياني، فأخذ وبعث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس فترك، في سنة ٨١٦هـ خرج رجل في عجلون بالشام يدعى عثمان بن أحمد بن عثمان ويلقب بابن ثقالة وادعى أنه السفياني، وفي سنة ٨٤٨ خرج رجل في نابلس بفلسطين يدعى عبد الله محمد بن مسافر المعافري وادعى أنه السفياني. تاريخ الطبري ١٦٨/٥، الكامل في التاريخ ٦ ٦٩، ٤٣٥، البداية والنهاية ٢٩٥/١٠، ٢٠١١، ١٠، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي – الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – منشورات دار مكتبة بيروت – ٦٨/٧٠ – ٦٩، شذرات الذهب ١١٥/٧.

(٢٩٦) تاريخ الطبري ٥٥/٥، البدء والتاريخ ١٧٦/٢، العبر للذهبي ٣٢٨/١.

(٢٩٧) تاريخ الطبري ٥٦/٥، تاريخ دمشق ٢٩/٤٣.

(٢٩٨) تاريخ دمشق ٢٧/٤٣.

(٢٩٩) الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥.

(٣٠٠) الكامل في التاريخ ٣٧٧/٥، الوافي بالوفيات ١٣١/٢١، تاريخ إبن خلدون ٢٩٤/٣.

(٣٠١) أول من قال بها من البيت السفياني هو خالد بن يزيد بن معاوية: قالها ردا على الوليد بن عبد الملك في حضرة عبد الملك بن مروان، ويقصد بالعير أبو سفيان بن حرب، وبالنفير عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، تاريخ دمشق ٢٦/٤٣، ٣٣ ٣٨٩، سير أعلام النبلاء ٩ ٢٨٥.

(٣٠٢) تاريخ الطبري ٥٦/٥، تاريخ دمشق ٢٩/٤٣.

عما يدعو إليه حتى وهو مكبل بالحديد، وقد أخرجه مسلمة بن يعقوب من حبسه ليشاهد عرضا مسلحًا للقيسيين وهم يلبسون ثيابا حمرا ويرفعون أعلاما حمرا، ومسلمة يلبس ملابسهم، ويتجه إلى أبي العميطر ليتعرف على رأيه فيما يرى فيقول له أبو العميطر: "أرى لو حمرت استك يا مسلمة، لكان خيرا لك" فاغتاظ مسلمة وأمر به فسحب فورا من ساحة العرض[٣٠٣]. ويقدر الله بعد ذلك أن يصلي على مسلمة لما مات بالمزة ويسامحه علي قد فعل به ويقول "رحمك الله، وإن كنت قد ظلمتني وظلمت نفسك"[٣٠٤].

ومن الأمور التي ساعدت السفياني في جمع الأنصار وكسب القلوب إلى حركته، رفعه لشعارات وجدت في قلوب البعض سبيلا من ذلك (يا علي يا مختار، يا من اختاره الجبار على بني العباس الأشرار)[٣٠٥]. وكان أصحابه يدعونه بمهدي الله ويقولون للناس (قوموا بايعوا مهدي الله)[٣٠٦]. ويطالبون الناس بالبيعة للرضا من آل محمد، فيسألهم البعض من بني هاشم؟ فيضربونهم ويقولون: لا ولكن من بني حرب[٣٠٧].

ورغم هذه الظروف الإيجابية التي توافرت للحركة السفيانية، إلا أنها فشلت وذلك لأسباب منها:

- أن أبا العميطر سرعان ما تغيرت أخلاقه بعد أن تم له الأمر وسيطر على دمشق أساء السيرة، فقد قسى على من لم يبايعه وظلم وتعسف (لما خرج السفياني وصف بالظلم)[٣٠٨] وربما كان السبب في ذلك تلك العصابة التي أحاطت به، والحاكم دوما على دين بطانته، فيذكر إبن عساكر أن من شجع السفياني على الخروج هم الذين أفسدوه[٣٠٩]. ويذكر إبن الأثير حال أبي العميطر قبل الخروج وبعد خروجه فيقول: "كان الناس قد أخذوا عنه علما كثيرا، وكان حسن السيرة. فلما خرج ظلم وأساء السيرة فتركوا له ما نقلوا عنه"[٣١٠].

وكان اعتماد السفياني على أبي الخطاب إبن وجه القلس، وهو رجل من الطامعين أصحاب المصالح والأهواء، من الأسباب التي أضعفت من حركته، في حين نجد مسلمة بن يعقوب، كان يعرف حقيقته، فلما سيطر مسلمة على دمشق طلب منه إبن وجه القلس

(٣٠٣) تاريخ دمشق ٢٦٣/٥٣، ٦٩/٥٨.
(٣٠٤) المصدر السابق ٧١/٥٨.
(٣٠٥) تاريخ دمشق ٣١/٤٣، ٢٦٠/٥٣ سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩.
(٣٠٦) تاريخ دمشق ٣١/٤٣، ٩٩/٥٥.
(٣٠٧) المصدر السابق ٣١/٤٣.
(٣٠٨) المصدر نفسه ٢٧/٤٣.
(٣٠٩) نفسه
(٣١٠) الكامل في التاريخ ٣٧٨/٥.

أن يأخذ البيعة له على أنه خليفة المسلمين، فقال له مسلم: "إن خلافة لا تقوم إلا بتدبيرك خلافة لا تتم"[٣١١].

- كما كان اعتماد السفياني على قبيلة كلب دون قيس من عوامل فشل حركته[٣١٢]، ويا ليت الأمر ظل إلى هذا الحد، بل طفح الكيل عندما صب السفياني جام غضبه على قبائل قيس قتلا وسبيا. في حين نجد مسلمة بن يعقوب يقطعهم الإقطاعات ويبتني لهم المنازل ويجري عليهم العطايا والأرزاق، ويولهم الولايات، ويتخذ منهم بطانته، دون أن ينكل بأحد من القبائل كلب[٣١٣].

- وكان ينقص حركة السفياني – كمثيلاتها من حركات كثيرة سابقة – التنظيم الدقيق، وأقرب مثال لذلك كان على السفياني أن يستوثق في حركته هذه من رؤساء بني أمية وأولهم مسلمة بن يعقوب الذي ناصبه العداء وكان سببا في فشل حركته، إلى جانب أن السفياني كان يدير حركته بتلقائية وعشوائية بحيث يدخل عليه مسلمة بمجموعة من الأعوان فيكبله بالحديد ويقبض عليه فيذكر إبن عساكر: (وقد أعد مسلمة لحجاب أبي العميطر عدادهم، فلما سلم عليه وجلس معه في الخضراء قبض عليه وشده في الحديد) [٣١٤]. فأين إذا الأعوان والحراس؟ أين الأنصار والمؤيدون؟ مما يلصق الحركة السفيانية بأنها كانت سطحية لا أساس ولا جذور لها تحميها من عواصف السياسة وزلازل الأحداث.

أضف إلى ذلك أن رؤساء بني أمية أنفسهم يقعون في الشراك الذي نصبه لهم مسلمة فقد أرسل إليهم الواحد تلو الآخر بأمرهم بالحضور على لسان أبي العميطر، فجعل كل من دخل عليه يرفع على رأسه السيف، ويطلب منه البيعة فيبايع[٣١٥].

وكان وجود إبن بيهس على مسرح الأحداث أثناء حركة أبو العميطر من أبرز أسباب فشل حركته، فلا هو استطاع أن يقضي على إبن بيهس أو يبعده، ولا هو استطاع أن يتخلص منه، وكان الأولى بالسفياني لما تم له الأمر أن يجاهد في كسب ولاء إبن بيهس، وهو الذي يعرف قوته وقدراته حتى من قبل خروجه، وكان عليه بدلا منه أن يرسل إليه يتوعده ويتهدده، أن يلاطفه بالسياسة والعطايا ويوليه ولاية تليق بمكانه، ثم ينسق معه في مواجهة العباسيين، وهو ما لم يتم وكانت نهاية حركة السفياني على يديه[٣١٦].

(٣١١) تاريخ دمشق ٧١/٥٨.

(٣١٢) المصدر السابق ٢٩/٤٣.

(٣١٣) المصدر السابق ٦٩/٥٨، الكامل في التاريخ ٥ ٣٧٨.

(٣١٤) تاريخ دمشق ٢٦٣/٥٣.

(٣١٥) المصدر السابق نفسه.

(٣١٦) تاريخ دمشق ٢٥٨/٥٣.

وأخيرا: وكان جديرا بأبي العميطر أن يقدم نفسه للناس على أنه رجل إصلاحي له رسالة ذات أهداف إصلاحية، بوسائل ميسورة ومشروعة، ويعري في نفس الوقت سوءات الحكم ومشكلاته وآثارها الضارة على الرجل العادي الذي يهمه أن يكسب ولاءه، ثم يقدم الحلول لهذه المشكلات على كافة الأصعدة، ويخاطب الناس على أن يمدوا له يد المساعدة، وساعد العون حتى يتمكن من تحقيق ما يهدف إليه، ولكن مع ما كان يتمتع به السفياني من علم ودراية وخبرة، فإن عجز على أن يقدم نفسه للناس كصاحب مشروع إصلاحي بديل، واعتمد على أنه السفياني الذي انتظره الناس حتى يخلصهم مما هم فيه، وأنه مهدي الله الذي لا يخطئ، وكيف وهو في نظر الناس الرجل الملهم، وعلى هذا تصرف تصرف من لا يسأل، فهو السفياني المعصوم، وأحاط نفسه بهذه الأوهام التي لا تستر ولا تنصر، فأتته الخطوب من الخارج فكان إبن بيهس، وأتته من الداخل فكان مسلمة بن يعقوب الأموي، فكان أمام كل واحد منهما كالقشة في مهب الريح، فأهلك نفسه ومن معه، والعجيب والغريب أن إبن عساكر ساق لنا حادثة فريدة للسفياني لما دخل دمشق منتصرًا يزهو في نصره، صعد منبر المسجد الأموي بدمشق يخطب في الناس، يعدد مناقبه ومناقب قومه، ويتوعد ويتهدد، إذ قام إليه رجل مجنون كان في المسجد، وكأنه قرأ نهاية حركة السفياني ونهاية من معه سريعا قبل أي عاقل، فقال للسفياني: "أسحق الله عينك يا أبا العميطر، فقد ألقيت نفسك، وألقيتنا معك في حفرة سوء"[٣١٧].

وهكذا فشلت حركة السفياني وذهبت جهوده سدى لغياب الأهداف والتنظيم الدقيق والرسالة التي يقدمها للناس ويجمعهم عليها، ولم يبق للأمويين بعد السفياني في عهد المأمون إلا الشعر يتغنون به بأمجادهم فهذا علوية الشاعر في حضرة الخليفة المأمون وهو يذكر بني أمية وينتقص منهم، فأقبل علوية على العود واندفع يغني:

أولئك قومي بعد عز وثروة تفانوا فإذا أذرف العين أكمدا[٣١٨]

فضرب المأمون الطعام برجله ووثب وقال لعلوية: يا بن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا في هذا الوقت، فقال علوية: مولاكم زرياب عند موالي يركب في مائة غلام، وأنا عندكم أموت جوعا؟ فغضب عليه المأمون وطرده من مجلسه عشرين يوما ثم رضي عنه[٣١٩].

---

(٣١٧) المصدر السابق ٤٣ ٣٢.

(٣١٨) تاريخ الطبري ٥ ٢٠١، تاريخ دمشق ٤٣ ٣٥.

(٣١٩) تاريخ الطبري ٥ ٢٠١، تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٥.

الفصل الخامس

حركات تمرد وعصيان الزنادقة

يشمل هذ الفصل على مقدمة تحتوى على تفسيرات لمصطلح الزنادقة وأهمية دراسة هذا الموضوع وعلاقة الزندقة الشعوبية وظهور الزندقة في بداية الدولة العباسية وموقف الخلفاء منها، واحتوى الفصل على أبرز تمردات الزنادقة ومنها:

- تمرد بها فريد في نيسابور سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م.
- تمرد سنباذ بالرى سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م.
- تمرد جهور بن مرار العجلي بالري سنة ١٢٧هـ/ ٧٥٤م.
- تمرد الرواندية بالهاشمية على المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م.
- تمرد أستاذسيس بخراسان سنة ١٥٩هـ/ ٧٦٧م.
- تمرد المقنع الخراساني في خراسان ١٦٠هـ/ ٧٧٨م.
- تمرد بابك الخرمي في أذربيجان سنة ٢٠١هـ/ ٨١٩م.
- تمرد حنكجور الأشروسنى في طبرستان سنة ٢٢٤هـ/ ٨٤٢م.
- تمرد المازبار بطرستان سنة ٢٢٤هـ/ ٨٤٢م.
- تمرد الأفشين على المعتصم ببغداد سنة ٢٢٤هـ/ ٨٤٢م.

مقدمة

تعددت تفسيرات كلمة الزندقة في المصادر والمراجع العربية والأجنبية[١]، فيشير مجملها إلى أن الزنديق اسم يقع على كل من لا يثبت للمصنوعات صانعا، ومن لا يثبت الرسالة أصلا وإن أثبت الصانع، وعلى كل من يتترس فيستتر بالشهادتين ولا يعتقد شيئا، وأن الله ليس مكونا ولا مديرا، وأن هذا الخلق بمنزلة النبات يموت منه شيء ويحيى منه شيء وإنما تغلب عليه الطبائع الأربع[٢] في أبدانهم، فإذا غلبت عليه إحداهن قتلته، وأن

(١) الزنديق في اللغة تعني: كل من يقول ببقاء الدهر، وهي كلمة فارسية معربة عن الكلمة الفارسية (زندكراي)، والزنديق من لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، فهو ملحد دهري ثنوي. لسان العرب ١٤٧/١٠، ونقل الذهبي عن سهيل بن عبد الله البصري المتوفى سنة٢٨٠هـ: سمي الزنديق زنديقا لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الأثر والاقتداء بالسنة وتأول القرآن بهواه، سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٣، وارتبطت الزندقة عند المسلمين بالإلحاد، فسمي الملحد زنديقا، وظهرت لأول مرة في الإسلام زمن الأمويين سنة ١٢٥هـ - ٧٤٢م حين اتهم بالإلحاد رجل اسمه الجعد بن درهم، وقيل أنها تطلق على كل من يتبع (الزند) وهو شرح كتاب الفرس المقدس (الأفستا)، عن هذه التفسيرات وغيرها انظر العصر العباسي الأول لعبد المنعم ماجد ص١٥٩ -١٦٧، السيد عبد العزيز سالم – العصر العباسي الأول ص٦٩، ١٤٧، أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي ص٢١٦، محمد جمال سرور - الحياة السياسية في الدولة العربية - دار الفكر العربي – ط٣ سنة١٩٧٦م ص٩٦، اندري كلو – هارون الرشيد وعصره، تعريب، محمد الرزقي- دار سارس للنشر، تونس ١٩٩٧م ص٤٠.

(٢) الطبائع الأربع هي/ النار والهواء والأرض والماء وهي ذات صفات أربعة هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، تاريخ اليعقوبي ١/ ٨٩، ١١٣، البدء والتاريخ ٩/٢.

اباه هو الذي خلقه، وغالوا في ذلك حتى توهموا أن آدم له أب – تعالى الله عن قولهم وكرم دينه عن إفكهم[٣] –.

ودراسة موضوع الزندقة في التاريخ الإسلامي من الصعوبة بمكان، لأنه موضوع يكتنفه كثير من الغموض[٤]، نظرا لقلة المصادر المتاحة، وبعض المتاح لا يتحرى كثير من أصحابها التحري الدقيق، وبعض هذه المصادر قد أصابه الاضطراب والتشويش بسبب أن بعض خصوم الزنادقة أدخلوا النصوص من التبديل والتغيير ما يوافق هواهم ويلائم طريقتهم في الحجاج إلى جانب غيرة بعض الأتقياء من المسلمين الذين اجتهدوا فأتلفوا بعض هذه المصادر خشية انتشار الإلحاد بين المسلمين، وأخيرا نجد أن ضمن هذا القليل المتاح من تلك المصادر لا يزال معظمه مخطوطا، الأمر الذي يجعل البحث في هذا الموضوع بحثا شائكا على الدوام[٥].

علاقة الزندقة بالشعوبية[٦].

وترجع أصول حركة الزندقة إلى الشعوبية[٧]، التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا، حتى أصبحت الواحدة منهما متممة للأخرى ومرادفة لها، بدليل أننا كثيراً ما نجد بعض المصادر عندما تترجم لشخص ما ينتمي إلى أحدهما – الزندقة والشعوبية – توصمه بأنه (من زنادقة الشعوبية)[٨]. حتى أمست الشعوبية في العصر العباسي الأول دليلاً على

(٣) إبن دحية – النبراس في تاريخ بني العباس – مكتبة الثقافة الدينية ط سنة ٢٠٠١هـ – تحقيق مديحة الشرقاوي ص٣٤.

(٤) عبد العزيز الدوري – مقدمة في تاريخ الإسلام – طبعة بغداد سنة ١٩٤٩م، ص ٨٨.

(٥) زاهية مصطفى قدورة – الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في العصر العباسي الأول – رسالة دكتوراة جامعة القاهرة سنة ١٩٥١م إشراف د حسن إبراهيم حسن ص١٨.

(٦) الشعوبية اصلها في اللغة من الشعب وهي الفرقة أو التفريق، والشعب ما تشعب منه قبائل العرب أو العجم فخص بأحدهما، والشعب بمعنى القبيلة أيضا، وكلمة شعوب اسم من أسماء المنية وسميت بذلك لأنها تفرق والشعوبية في حديث لمسروق تضنق على العجم أن رجلا من الشعوب أسلم فكانت لا تؤخذ منه جزية)، والشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يدري لهم فضلا على غيرهم، انظر النهاية في غريب الأثر ٤٧٨/٢، لسان العرب ٤٩٧/١ – ٥٠٠، مختار الصحاح ١٤٠/١ ويقول إبن قتيبة (الشعوبية تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بها كل رذيلة، تغلو في القول وتسرف في الذم وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف..) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – كتاب العرب أو الرد على الشعوبية – رسائل البلغاء – جمع ونشر كرد علي مطبعة مصر سنة ١٣٣١هـ ص ٢٦٩ – ٢٧٠. ويعرف الحنابلة الشعوبية بأنها (هم الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل وهم أهل بدعة ونفاق وخلاف)، طبقات الحنابلة ٣٠/١.

(٧) عبد الرحمن بدوي – الإلحاد في الإسلام – مطبعة مصر سنة ١٩٤٥م ص٢٣ – ٢٤.

(٨) الأغاني ٣٩٢/٢، عبد العزيز الدوري – الجذور التاريخية للشعوبية – بيروت ١٩٦٢م ص ١٥.

الزندقة، وداعيا لاتهام صاحبها بضعف دينه، ولا يستطيع باحث أن يبحث الشعوبية بحثا عميقا صحيحا دون أن يدخل في حساباته الزندقة[٩].

وإن كانت الشعوبية هي أصل الزندقة، فإن العصبية هي أصل الشعوبية فالعصبية عمياء لا تبقى دينا إلا أفسدته ولا دنيا إلا أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية[١٠]. والعصبية نتجت عن اصطدام العصبية العربية بالعصبية الفارسية فأنبت هذا الاصطدام بذرة الشعوبية التي نمت في العصر الأموي وأتت أكلها في العصر العباسي الأول حيث ظهرت سافرة لا يسترها حجات ولا يحميها نقاب، ولعل السبب الرئيسي يعود إلى أن الموالي كان لهم دور كبير في نشر الدعوة العباسية وساهموا بنصيب لا بأس به في قيام الدولة، مما جعلهم أصحاب حظوة ونفوذ وبأس ومنصب في فترات كثيرة من العصر العباسي الأول[١١].

وقد استغل ثلة من هؤلاء (السفلة والحشوة والأوباش وأبناء أكرة القرى[١٢]) من العجم[١٣] هذا النفوذ فحسدوا العرب وحملوا لواء الشعوبية ضدهم تدريجيا حيث نادوا أولاً بمبدأ الإسلام في المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب، ثم كانت الخطوة الثانية وهي أكثر جرأة وأبعد تطاولاً وهي: تفضيل الفرس على العرب، بعد أن كانوا لا يستطيعون أن يجهروا بالشعوبية دفعة واحدة باحتقارهم للعرب[١٤]، حيث كان المجتمع لا يزال يدين بأفضلية العرب لقربهم من العصر الأموي،[١٥] وهذا لا يمنع أن هناك كثرة كثيرة من أشراف العجم وذوي الأخطار منهم وأهل الديانة يعرفون ما لهم وما عليهم، ويرون خلاف ما يراه هؤلاء السفلة والحشوة، فيرون الشرف نسبا ثابتًا لأهل التقوى من العرب و العجم، وأن الشرف نسب، فالشريف من

---

(٩) زاهية قدوره الشعوبية ص٩٧، سميرة الليثي – الزندقة والشعوبية – طبعة القاهرة ١٩٦٨ ص ٢١.

(١٠) عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ – رسالة الجاحظ في بني أمية – طبعة القاهرة سنة ١٩٣٣م – ص٢٩٩، النزاع والتخاصم ص١٠١.

(١١) زاهية قدوره الشعوبية ص٥٨.

(١٢) ابن قتيبة – الرد على الشعوبية – ص٢٧٠.

(١٣) كان العرب يسمون الموالي بالعجم وقد اشتقوا هذا الاسم من لفظ الأعجم وهو الأخرس، أو في اللغة العجم تعني النوى وكل ما كان في جوف مأكول، ويطلق على البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم، وكل ما لا يقدر على الكلام أصلا فهو أعجم، ولا يفصح ولا يبين كلامه، والعجم ضد العرب، النهاية في غريب الأثر ١٨٧/٣، لسان العرب ١٢ ص٣٨٥، مختار الصحاح ١٧٥/١، علي حسن الخربوطلي – تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي – رسالة دكتوراة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧م ص١١٥.

(١٤) عرف الزمخشري الشعوبي بأنه الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم. الفائق ٢٥٣/٢.

(١٥) زاهية قدورة - الشعوبية ص ٥٩-٦٠.

كل قوم نسيب الشريف من كل قوم[١٦]. ولذا لا يمنع بأن الكثير من حملة العلم في الإسلام كان أكثرهم من العجم[١٧].

ولعل الذي حمل هؤلاء السفلة والحشوة على استخدام سلاح الشعوبية ضد العرب هو حسدهم إياهم على الإسلام الذي هو عصب العروبة إذ نزل القرآن بلسان عربي مبين وعلى رسول عربي أمين، وهؤلاء الفرس كانوا بالأمس في سعة من الملك وعلو اليد على جميع الأمم، حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم بالأحرار، والأبناء[١٨] وغيرهم من سائر الناس يعتبرونهم عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال دولتهم على أيدي العرب أقل الأمم قدرا عندهم، تعاظمهم هذا الأمر، فاشتعلت لديهم نار العصبية العمياء التي لا تحرق إلا حاملها فراحوا يكيدون للإسلام بالفكرة حينا وبالحربة أحيانا شتى[١٩].

---

(١٦) ابن قتيبة – الرد على الشعوبية – ص٢٧٠.

(١٧) يذكر ابن خلدون في مقدمته – ونقل عنه ابن الرومي والقنوجي دون أن يشير أيهما إلى ابن خلدون كمصدر – من الغريب أن حملة العلم في الإسلام كان أكثرهم من العجم بحكم أن العرب في أول الرسالة لم يكن فيهم علم ولا صناعة لمقتضى أحوال البداوة. وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مصدرها من الكتاب والسنة، ولم يعرفوا حينئذ صناعة التعليم والتأليف والتدوين لأن الحاجة لم تدعو إلى تلك زمن الصحابة والتابعين وكان أولئك يسمون المختصين بحمل العلم إلى القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا الأميين لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة، فسمي حملة القرآن قراء لفهمهم لكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد احتيج إلى وضع التفاسير وتقييد الحديث ومعرفة الأسانيد وتعديل الرواة واستخراج الأحكام وفسد اللسان، فاحتيج إلى قوانين للنحو وقوانين أخرى كالاستنباط والقياس والتنظير وكلها علوم حضرية والعرب أبعد الناس عنها، والعجم حضر وأصحاب صناعة وحرف لأن الحضارة راسخة فيهم منذ دولة الفرس، فكان صاحب النحو سيبويه، والطبري في التفسير، وأبي حنيفة في الفقه، والبخاري والترمذي والسجستاني في الحديث، والواقدي والمدائني وابن إسحاق وابن معشر السندي والبلاذري والدينوري وغيرهم، مقدمة ابن خلدون ٥٤٤/١، كشف الظنون ٤١، أبجد العلوم ٢٣٠/١، الدولة الأموية بن بين التحريف والإنصاف ص٢ شاكر مصطفى – التاريخ العربي والمؤرخون – بيروت – ط١ سنة ١٩٧٨م ٨٧/١، ٤٤٧ – ٤٤٨.

(١٨) يقال لأولاد فارس الأبناء، وقيل أبناء فارس قوم من أولادهم ارتهنتهم العرب باليمن وغلب عليهم اسم الأنباء. ويقال الأبناء هم أولاد فارس الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتجوا في العرب فقيل لأولادهم الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم فمن خرج إلى اليمن تسموا بالأبناء، ومن خرج من أهل فارس إلى البصرة سموا بالأساورة، وبالكوفة الأحامرة، وبالشام الخضارمة، وبالجزيرة الجراجمة، والموصل الجرامقة، انظر لسان العرب ١٨٦/١٢، ٩١/١٤.

(١٩) زاهية قدورة - الشعوبية ص٩٨.

ومن هنا ارتبطت الشعوبية بالزندقة ارتباطا وثيقا، وكانت كلمة الزندقة تطلق في بادئ الأمر على من يعتنقون مذهب المانوية[٢٠]، ثم اتسع معناها ليشمل كل ذي بدعة، وكل ملحد.

ثم أطلقت أخيرا على كل من يحيا حياة ماجنة من الشعراء والكتاب[٢١]. وبذلك انقسمت الزندقة إلى ثلاثة أقسام: رؤساء المناينة في الإسلام[٢٢]. وهؤلاء من يؤمنون بالمانوية عن إخلاص وعقيدة دينية. والثاني: طائفة المتكلمين، ومن هؤلاء من تزندق احتفاظا بدين آبائه وإرضاء للنعرة القومية والنزعة الشعوبية، والأخير: طائفة الأدباء الماجنين من كتاب وشعراء، ومنهم من اتخذ الزندقة وسيلة من وسائل البعث الفكري التي يلجأ إليها الشكاك[٢٣].

ويرجع البعض تاريخ الزندقة إلى أواخر العصر الأموي حيث كان مربي الخليفة [الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥ ـ ١٢٦هـ/٧٤٢ ـ ٧٤٣م] وهو عبد الصمد إبن عبدالأعلى زنديقا[٢٤]. ويرجع البعض تاريخها إلى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٢هـ حينما اتهم بالإلحاد رجل اسمه الجعد بن درهم[٢٥]. الذي كان مؤدب [مروان بن محمد ١٢٧ ـ

(٢٠) نسبة إلى ماني بن حماد ـ ويقال بن فاتك الحكيم ـ أول زنديق ظهر على الإطلاق في عهد الملك سابور بن أردشير وكان ماني راهبا بحران، وادعى النبوة ودعا إلى الثنوية النور والظلمة كأصلين لم يزالا يتقاربان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير والشر ـ وهذه من عقيدة زرار شت بن يورشب التي كانت منتشرة بإيران عند الفتح الإسلامي لفارس والذي وحرم النكاح على أتباعه ليستعجل فناء العالم، وكان لا يرى الذبائح ولا إيلام الحيوان، وأباح لأصحابه اللواط وجمع كتابا سماه الزند، وكتبا أخرى كتبها مثل (كنز الأحياء ـ الشابر ـ الهدى والتدبير ـ وألف اثني عشر ابخيلا وسمى كل ابخيل بحرف لأنه كان لا يعترف إلا بنبوة عيسى -عليه السلام- وكتاب سفر الأبرار ـ سفر الجبابرة) وقد قتله الملك بهرام وسلخه وحشاه تبنا وعلقة على باب نيسابور فسمى باب ماني. انظر/ تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١: ١٦١، تاريخ الطبري ٣٩٦/١، الفهرست ٤٦٠/١، الفصل في الملل والنحل ٣٥/١: ٤٠ الملل والنحل ١ ٢٤٤، الأنساب للسمعاني ١٨٧/٢، ١٧٣/٣ ـ ١٧٤، الكامل في التاريخ ١ ,٢٩٩.

(٢١) عبد الرحمن بدوي ـ الإلحاد في الإسلام ـ ص٢٤.

(٢٢) ذكر إبن النديم أن الجعد بن درهم كان أول رؤساء المنانية في دولة بني العباس، الفهرست ٤٧٢/١.

(٢٣) زاهية قدورة - الشعوبية ص٩٩، عبد الرحمن بدوي ص٣٤.

(٢٤) هو عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة يكنى أبا وهب، ويقال أبو بكر الشيباني، كان شاعرا متهما بالزندقة واللواط كان من ندماء يزيد بن الوليد فبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب إلى الوليد بطرده فطرده، ويقال أنه كان مؤدب الوليد في صغره وهو الذي أفسد بعض أخلاق الوليد بن يزيد لاسيما شرب الخمر. إلا أن نفس المصادر قد أوردت أن الذي شنّع بالوليد هو عمه هشام الذي كان يعيبه وينتقصه ويكثر من إلصاق العيوب والعبث به وبمن حوله ويشيع تقصيرهم، حتى ضاق الوليد وترك دمشق، ونزل بمنطقة الأزرق، انظر تاريخ الطبري ٢٢٢/٤ -٢٢٣، الكامل في التاريخ ٤٦٧/٤ ـ ٤٦٨، تاريخ دمشق ٣١٨/٢١، ٣٦، ٢٣٧، الوافي بالوفيات ١٤٦/١٥.

(٢٥) الجعد درهم أصله من خراسان، ويقال مولى لبني مروان، وقيل مولى سويد بن غفلة، أقام بدمشق حتى أظهر أن الله لا يتكلم لأنه ليس كمثله أحد، وقال بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وأن القرآن بذلك ليس كلام الله بل هو مخلوق، فطلبه بنو امية فهرب وسكن الكوفة، فتتلمذ على يديه الجهم بن صفوان فأخذ عنه هذه=

١٣٢هـ/٧٤٢ - ٧٤٩م] آخر خلفاء بني أمية، وكان الجعد يرمي بالزندقة، وقد نسب مروان إلى الجعد فسمي بالجعدي عن طريق الذم لمروان[٢٦]. ثم وجدت الزندقة لها منفذا في تمرد الحارث بن سريج في خراسان، وبلاد ما وراء النهر[٢٧]. حيث كان من أسبابه كثرة الضرائب التي فرضت في عهد [هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥هـ/٧٢٣ - ٧٤٢م] على الموالي من الفرس، وقد خرج الجهم بن صفوان مع الحارث في تمرده، وقد تلقى مذهبه عن الجعد بن درهم[٢٨]، وإلى الجهم تنسب طائفة الجهيمة التي تقول بالجبر والتأويل، وفناء الجنة و النار وهو ما أخذه عن الجعد، وهذه الآراء منها تولد القول بخلق القرآن[٢٩].

=المقالة. ثم علم بذلك الخليفة هشام بن عبد الملك فأمر خالد بن عبد الله القسري بحبسه فحبسه ثم قتله بعد صلاة عيد الأضحى بالكوفة. أما الجهم فقد قتله نائب مرو وقيل أصبهان وهو مسلم بن أحوز رحمه الله. ويذكر أن الجعد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذ بيان عن طالوت ابن أخت الساحر اليهودي لبيد بن أعصم وزوج ابنته، وقد أخذ لبيد عن يهودي باليمن. وأخذ الجهم عن الجعد وأخذ بشر المريسي عن الجهم وأخذ أحمد بن أبي داود عن بشر.

- الفهرست ٤٧٢/١، الكامل في التاريخ ١٢١/٦، سير أعلام ٤٣٣/٥، الوافي بالوفيات ٦٧/١، البداية والنهاية ٣٥١/٩، تاريخ ابن خلدون ١٦٥/٣، طبقات الشافعية ٧١/٩، شذرات الذهب ١٦٩/١، عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول ص ١٥٩.

(٢٦) إن قيام دولة وسقوط أخرى لا ينتهي بسقوط خليفة أو ظهور آخر، لأن التبدل في شخص الحاكم إنما يمثل نهاية مرحلة الإعداد التلميح للثورة، وتأتي بعد مرحلة الإعداد مرحلة الهدم للدولة السابقة، ثم تأتي مرحلة البناء الخاص بها على أسس فكرية وشعورية جديدة، وهذا ما فعله العباسيون مع الأمويين وقد قيل: ويل للدولة المهزومة حين يكتب تاريخها المنتصرون عليها، فقد كتب تاريخ الدولة الأموية العباسيون كتبوه كتاريخ دولة مهزومة، يحيط بتدوين تاريخها مناخ فكري معاد لها، ومناخ سياسي متسلط ضدها وقد كان لمروان بن محمد النصيب الأوفر من عداء العباسيين بحكم أنه آخر خليفة أموي، فلقبوه بالحمار وبالجعدي في حين كان شهرته بين قومه والناس حوله (مروان الفرس) فأطلق عليه شيعة بني العباس خاصة الخراسانيين مروان الحمار بدلا من الفرس - حسب ما أورد السمعاني - وقال الذهبي في سير الأعلام أنه سمي بالحمار لأن العرب كانت تسمي كل مائة عام حمارا، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار، وتلك له أصل مأخوذ عندهم من موت نبي الله عزير-عليه السلام- مدة مائة عام ثم بعثه الله تعالى. ولختلف في لقبه بالجعدي فيرجع البعض ذلك إلى أن مؤدبه كان الجعد ابن درهم، ويرجعه البعض إلى أن أمه كانت من بني جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة - حسب قول ابن دحية - فنسب إلى أخواله بالجعدي، وعلى كل حال كان مروان شهما حازما لبيبا مطلقا بأعباء الخلافة حق له أن يتقلدها دون بني أمية كلهم إذ لم يكن فيهم كفؤا لها غيره، فكان عالما بطرق السياسة ومذاهبها عارفا بتصرف الأمور كلها، ولولا دقة التنظيم العباسي وقوة الأنصار من الشيعة لاستمرت الدولة الأموية على يد مروان عقودا كثيرة، الأنساب للسمعاني ٦٦/٢، النبراس ٢٥ -٢٦، سير أعلام ٧٤/٦، منتخبات التواريخ ١٠٣/١ -١٠٥.

(٢٧) عبد الباري محمد الطاهر - الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول. رسالة ماجستير سنة ١٩٨٩م - دار العلوم القاهرة - إشراف د/أحمد شلبي ص٩٢.

(٢٨) جمال الدين القاسمي الدمشقي - تاريخ الجهمية والمعتزلة - مطبعة المنار القاهرة سنة١٢٩٢هـ ص٦، ٩، ٢٧: ٢٩، ٤٥: ٤٩. خالد عبد الهادي يحيى - العرب في خراسان - رسالة ماجستير القاهرة سنة ١٩٨٣م - إشراف د/حسين مؤنس ص١٣٩.

(٢٩) المحن ١/ ٤٤٩، طبقات الحنابلة ١٦٣/١ - ١٦٤، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٤٥.

ثم كان عمار بن يزيد الذي وجهه بكير بن ماهان إلى خراسان ليكون واليا على شيعة بني العباس، فما كان منه إلا أن أجهر بزندقته وغير اسمه إلى خداس وأظهر دين الخرمية[٣٠]، ولما سمع بزندقته أسد بن عبد الله القسري الوالي الأموي قبض عليه سنة ١١٨هـ/٧٣٦م[٣١]. ثم ختم العصر الأموي بظهور زنديق آخر يدعى الأبلق الأبرص زعم أن روح عيسى -عليه السلام- – حلت في علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ثم إلى الأئمة بعده حتى حلت في إبراهيم الإمام، واستحل الحرمات، وبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتل كثيرا من أتباعه[٣٢].

وفي العصر العباسي الأول بزغ بوضوح نجم الزندقة، بسبب ما تمتع به الموالي[٣٣] لاسيما الفرس من مكانه نظرا للدور الذي قاموا به في نشر دعوة بني العباس خاصة في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وتفشت حركة الزندقة في عهد الخليفة [المهدي] فأمر بوضع الكتب للرد عليهم ومناظرتهم، ثم أنشأ ديوانا للزندقة وعهد به إلى رجل أسموه صاحب الزنادقة وكان أول من تقلد هذا المنصب رجل يسمى (الكلواذاني)[٣٤]، فكان يبحث عنهم ويفتش ويحاكمهم، ولما لم تجدِ كثيرا هذه الوسائل كان يلجأ إلى العنف فيسرف في قتل الملحدين الزنادقة[٣٥]. وأوصى المهدي ابنه الهادي بتتبع هذه السياسة معهم حتى إن [الهادي ١٦٩ – ١٧٠هـ/٧٨٧ – ٧٨٨م] قال: "لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها"[٣٦].

---

(٣٠) نسبة إلى قرية خرمة بأرض فارس التي منها أصحاب بابك الخرمي، وقيل إنها كلمة فارسية تطلق على الذميين يتبعون الشهوات ويستبيحونها، معجم ما استعجم ٤٩٣/٢، معجم البلدان ١٦٢/٢، لسان العرب ١٧٢/١٢، مختار الصحاح ٧٣/١.

(٣١) تاريخ الطبري ١٦٤/٤، البدء والتاريخ ٦١/٦، تاريخ دمشق ٣٨٩/١٠، المنتظم ١٨٦/٧، الكامل في التاريخ ٤٢٠/٤.

(٣٢) الأبلق كان رجلا أبرصيًا يتكلم بالغلو ويدعو إلى الرواندية، فزعم أن الروح انتقلت من عيسى إبن مريم – -عليه السلام- – وحلت في علي بن أبي طالب – ثم في الأئمة حتى إبراهيم بن محمد وزعم أنهم آلهة، انظر تاريخ الطبري ٥٢٩/٤.

(٣٣) كان المسلمون إذا فتحوا قطرا من الأقطار دخل في الإسلام طائفة، وطائفة رضيت بدفع الجزية ولم تسلم، وأخرى أبت هذا وذاك واختارت القتال حتى تغلب عليهم المسلمون فوقع جزء كبير منهم في الأسر ومن ثم أصبحوا رقيقا للمسلمين، واعتبر الإسلام عتق الرقيق تكفيرا للذنوب، فشجع ذلك المسلمين على عتق اعداد كبيرة منهم، وأصبحوا موالي لمن أعتقوهم، وهذا نوع من الموالي. إلى جانب نوع آخر هم الذين أسلموا وانضموا إلى العرب ودخلوا في خدمتهم وتحالفوا معهم فأصبحوا موالي بالحلف. وهذان النوعان هما أعظم أنواع الموالي عددا وانتشارا، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه – العقد الفريد – لجنة التأليف والنشر – طبعة سنة ١٩٤٨م ٤٣٤/٤. تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ص١١٥.

(٣٤) هو عمر بن محمد بن عيسى من أهل ميسان، المنتظم ٢٩٧/٨، تاريخ الطبري ٥٨٢/٤، الكامل في التاريخ ٢٥٥/٥، ٢٥٨، النجوم الزاهرة ٥٦/٢.

(٣٥) تاريخ اليعقوبي ٤٠٠/٢، البدء والتاريخ ٩٨/٦ -١٠٠، العبر في زمن من غبر ٢٤٠/١، ٢٤٨، تاريخ ابن خلدون ٢٦٥/٣، تاريخ الخلفاء ٢٧١/١، ٢٧٣، شذرات الذهب ٢٥٧/١، ٢٦٢.

(٣٦) سير أعلام النبلاء ٤٤٣/٧، تاريخ إبن خلدون ٢٦٩/٣، تاريخ الخلفاء ١ ٢٧٩، ٣٨٩، سمط النجوم ٣ ٢٦٩.

وجاء الرشيد [١٧٠ – ١٩٣هـ/٧٨٨ – ٨١١م] ورغم مهامه الضخام التي قام بها[٣٧]، لم يهمل أمر الزنادقة، فأبقى صاحب الزنادقة، وعاقب كل من تثبت عليه تهمة الزندقة سواء كان عربيا أم فارسيا[٣٨]، بل قيل إنه من بين أسباب نكبته بالبرامكة اتهامهم بالزندقة[٣٩].

أما [الأمين ١٩٣ -١٩٨هـ/٨١١ – ٨١٦م] فلم يذكر المؤرخون شيئا عن اضطهاد الزنادقة في عهده، سوى أنه أبقى على السجن الخاص بهم من زمن المهدي والمسمى (حبس الزنادقة)[٤٠] وربما كان ذلك بسبب انشغاله بالفتنة الكبرى مع أخيه المأمون، إضافة إلى بعض حركات التمرد في عهده والتي حالت دون ذلك.

أما في زمن [المأمون ١٩٨ – ٢١٨هـ/٨١٦ – ٨٣٦م] فإن الزنادقة كانوا في بداية عهده أسعد حظا نظرًا لتسامحه ورحابة صدره وحرية الفكر في عهده، إلا أن هذا الوضع السعيد للزنادقة ما لبث أن تبدل بعد أن حذره بعض المحيطين به من مستشاريه من خطر الزنادقة فأخذته الغيرة على الإسلام والحمية له، فتصدى لهم، وأخذ منهم موقف العالم الغيور على دينه، الذي ينتصر على خصمه بالحجة والبيان، أحيانا، ثم بقوة السيف أحيانا أخرى[٤١].

وقد توافرت عوامل عدة لقيام حركات تمرد الزنادقة من بلاد فارس وامتدت إلى كثير من نواحي الدولة العباسية. ومن بين هذه العوامل:

---

(٣٧) بدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي ت سنة ٧٧٩هـ - جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار – دار الكتب المصرية – مخطوط رقم ٣٥٧٤٥.

(٣٨) نشأ المأمون نشأة ولي العهد العباسي وعهد به أبيه إلى جعفر بن يحيى البرمكي لتدريسه السياسة وإعداده لمواجهة مثل هذه المواقف والأحداث الضخام، حتى كان الرشيد أسوس بني العباس وأرحمهم بالرعية فيروي إبن الشيخ سراج الدين أن الرشيد في بعض غزواته في الشتاء والثلوج تتنزل عليهم فقال له بعض أصحابه "ما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية والدعة؟" فقال له الرشيد "اسكت على الرعية المنام وعلينا القيام، ولابد للراعي من حراسة رعيته" أبو محمد بن الشيخ سراج الدين – بغيته الإرب ورياض الأدب – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٧ مجاميع بن ٦٠أ، عبد الأعلى مهدي الطحاوي – الخليفة المأمون بين السياسة والثقافة – رسالة دكتوراة – كلية دار العلوم القاهرة سنة ١٩٨٣ ص ٤٦٠.

(٣٩) تاريخ الخلفاء العباسيين لابن السباعي ٣٨ -٤٣، النبراس في تاريخ بني العباس ٤٣ -٤٤، عبد الغني إبراهيم أحمد رمضان – قصر الخلافة في العصر العباسي الأول – رسالة ماجستير جامعة القاهرة – سنة ١٩٤٩م – ص١٣٣ - ١٣٩، ١٥٠ -١٥١، فليب حتى تاريخ العرب ص٣٦٣ – ٣٦٤، حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام ٢١٨/٢، عبد العزيز سالم - العصر العباسي الأول - ص١٣٣، بدر محمد بدر – الدولة العباسية – مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٦م ص٦٠.

(٤٠) أشار الطبري وابن كثير أن الأمين حبس الشاعر أبو نواس في حبس الزنادقة وأطال حبسه، تاريخ الطبري ١١٥/٥، البداية والنهاية ٢٤٢/١٠، الشعوبية ص١٠٢.

(٤١) من ذلك ما فعله المأمون مع الحرانيين الزنادقة وهو يمر بديار مضر في طريقه إلى حرب الروم وقد رآهم لبسوا الأقبية وطولوا شعورهم كثيرا، فسألهم: أنصاري أم يهود أم مجوس أنتم فقالوا لا هذا ولا ذاك ولا تلك، فقال: أنتم إذا زنادقة، وخيرهم بين أمرين إما أن يختاروا دين الإسلام أو أي دين سماوي وإما القتل، فتنصر كثير منهم ولبسوا الزنانير، وأسلم منهم طائفة، وبقيت شرذمة منهم على حالها بالاحتيال. الفهرست ٤٤٥/١. وعن موقف المأمون من بعض زنادقة البصرة انظر: تاريخ دمشق ١٧٨,٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٥١٩,٦.

أولا : ظهور حركات التمرد والعصيان التي نشأت في كثير من أنحاء الخلافة العباسية وعلى رأسهم حركات العلويين والأمويين والخوارج وبعض الطامعين في الخلافة من العباسيين وغيرهم(٤٢).

ثانيا : سوء معاملة بعض عمال العباسيين لأهل خراسان وإثقال كاهلهم بالضرائب لاسيما الوالي علي بن عيسى بن ماهان(٤٣).

ثالثا : انقلاب بعض الخلفاء العباسيين على بعض كبار رجال الدولة ورموزها من أصل فارس وبعض الأسر الفارسية ذات النفوذ الكبير والتي كان لها الفضل في إقامة الدولة، وتسيير دفة أمورها مثل قتل السفاح لأبي سلمة الخلال(٤٤)، والمنصور لأبي مسلم(٤٥)، ونكبة الرشيد بالبرامكة(٤٦).

---

(٤٢) زاهية قدورة الشعوبية ص١٠٣.

(٤٣) ذكر المؤرخون أن الرشيد استشار يحيى بن خالد البرمكي في تولية علي بن عيسى خراسان، فأشار عليه ألا يفعل. فخالفه الرشيد وولاه، فظلم الناس وعسر عليهم وجمع مالا جليلا، وكان ذلك سنة ١٨٠هـ واستمر فيها حيث سنة ١٩١هـ حيث عزله الرشيد واستصفى ماله فبلغت ثمانين ألفا ألف. تاريخ خليفة ٤٦١/١، تاريخ اليعقوبي ٤٢٥/٢، تاريخ الطبري ٦٧٣/٤، الكامل في التاريخ ٣٠٩/٥.

(٤٤) عن تفاصيل مقتل أبي سلمة الخلال انظر: محمد أحمد برانق – الوزراء العباسيون – المطبعة النموذجية القاهرة ٨٠/١، إبراهيم سليمان الكروي – نظام الوزارة في العصر العباسي الأول – دار كاظمة للنشر ط١ الكويت سنة ١٩٨٣ ص٢٨، ٢٩، وعن أسباب الاغتيال انظر: حسن مجيب المصري –صلات بين العرب والفرس والترك – دراسة تاريخية أدبية – الدار الثقافية للنشر ط١ القاهرة سنة ٢٠٠١ ص٥٣، محمد ماهر حمادة – دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره منذ عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لمصر – مؤسسة الرسالة – ط١ القاهرة سنة ١٩٨٨ ص٩٤.

(٤٥) عن تفاصيل مقتل أبي مسلم الخراساني انظر: مخطوط –برهان الكمال وكمال البرهان – مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٦٧٥ ميكروفيلم رقم ١٤٧٧ ص١٤٨، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (أبو الفدا) ت سنة ٧٢٥هـ - المختصر في أخبار البشر – مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٥٣ – ميكروفيلم ١٤٦٨٢ – أحداث سنة ١٣٧هـ ابن ظافر الأزدي ت سنة ٦١٣هـ - أخبار الدول المنقطعة – تحقيق عصام هزايمه ط سنة ١٩٩٩م، ٣٦١/٢، أبو الفرج الملطي ابن العبري سنة ٦٨٤هـ - تاريخ مختصر الدول – دار الرائد اللبناني – تحقيق أنطوان صالحاني اليوسفي – بيروت سنة ١٩٨٣، ٢٠٨/٢، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت سنة ٧٣٣هـ - نهاية الأرب في فنون الأدب – تحقيق محمد جابر عبد العال – المجلس الأعلى للثقافة – ط سنة ١٩٨٤ القاهرة، ٦٩/٢٢ – ٧٠ وما بعدها، أبو طالب علي بن أنجب ابن الساعي ت سنة ٦٧٤هـ - مختصر أخبار الخلفاء – المطبعة الأميرية – القاهرة ط١ سنة ١٣٠٩هـ ص١٢. جمل نحلة المدور – حضارة الإسلام في دار السلام – دار الاعتماد سنة ١٩٣٢م ص٣٢.

(٤٦) عن نكبة البرامكة انظر: ابن أيبك الدواداري ت سنة ٧٢٢هـ - كنز الدرر وجامع الغرر – (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية) – دار صادر بيروت سنة ١٩٩٢م ١٣٦/٥ وما بعدها، محمد المعروف بدياب الاتليدي – إعلام الناس لما وقع للبرامكة مع بني العباس – تحقيق أيمن البحيري – دار الآفاق العربية. ط سنة ١٩٩٨م ص٢٤٣، شوقي أبو خليل – التاريخ الإسلامي – دار الفكر ط١ بيروت سنة ١٩٩٦م ص٣٣٩، محمد صابر محمد دياب – الدولة الإسلامية في العصر العباسي – دار الفكر العربي القاهرة ط سنة ٢٠٠١م ص ٩٦. هولوا جودت فرح – البرامكة – دار الفكر العربي بيروت ط سنة ١٩٩٠م ص٨١.

رابعاً : حركة الترجمة الواسعة التي ظهرت في الدولة العباسية والتي نقلت كثيرا من الكتب الفارسية إلى اللغة العربية، فانتشرت ثقافة الفرس بين العرب(٤٧).

خامساً : أن بعض الخلفاء في بعض الأحيان يتصدون لدفع الزندقة إذا وجدوا منها خطر على ملكهم، أما إذا لم يظهر منهم خطراً وكانوا مسالمين، فكانوا يتركونهم في بعض الأحيان، مما ساعد على انتشار الزندقة لاسيما وأن دعاتها كانوا يستترون وراء مبادئ مغرية لأهلها كالمساواة بينهم في المال، وإباحة المحرمات والكبائر كالزنا والخمر. بحجة أنها ديمقراطية ولكنها ديمقراطية فاسدة على حد قول الدكتور حسن إبراهيم حسن(٤٨).

كل ذلك وغيره أثر على أولئك الذين لم يكن الإسلام قد تغلغل في قلوبهم، ولم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه، وجهلوا جوهره ورسمه، لاسيما وأن أغلب حركات التمرد للزنادقة ظهرت في بعض جهات إيران التي لم يكن الإسلام قد تغلغل في نفوس أهلها مثل طبرستان وشواطئ بحر قزوين وبعض أقاليم ما وراء النهر وهي الجهات التي كان أغلب قادة تمردات الزنادقة من أهلها(٤٩).

أبرز حركات تمرد الزنادقة في العصر العباسي الأول:

أولاً : حركة بها فريد في نيسابور سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م:

تتابعت الحركات الفارسية المناوئة للخلافة العباسية خلال العصر العباسي الأول خاصة في الفترة ١٣٦هـ/٧٥٣م – ٢٢٧م/٨٤٥م ما بين خلافة المنصور وخلافة المعتصم، وتركزت في أطراف إيران وخراسان وما وراء النهر حيث غلبت المجوسية

(٤٧) لعب خلفاء الدولة العباسية لاسيما عصر هارون الرشيد وخاصة عصر ابنه المأمون دورا بارزا في حركة الترجمة لدرجة أن الذي كان يترجم كتابا يمنح وزنه ذهبا فلقد بلغت في عهد المأمون حركة النقل والترجمة ذروتها لحرصه على نقل العلوم اليونانية والسريانية إلى العربية، وبالغ في تشجيع العلماء والمترجمين والمؤلفين، لدرجة أنه أنشأ في بغداد سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م (دار الحكمة أو دار العلم) وألحق بها الوقت، وخصص لها عددا كبيرا من أشهر علماء وقته، حتى أمسى عصر المأمون أزهى عصور الحركة الحضارية في الدولة الإسلامية حيث انتقلت من الترجمة دراسة علوم القدماء إلى درجة جديدة في سلم الإنسانية هي درجة التجديد والابتكار والإبداع، ابن صاعد الاندلسي – كتاب طبقات الأمم – مطبعة السعادة مصر (د. ت) – ص ٣٧، أحمد الشامي – الحضارة الإسلامية وتأثيرها في الحضارة الأوروبية – مطبعة الهداية سنة ١٩٩٨م – نشر سلسلة تاريخ العرب والاسلام ص ١٥٦، أيضا انظر:

- Meyerhof: transmission of science to Arabs; (isl. Cult) vol. VI, London 1930.
- Meyerhofund profer: Die Augenneilkunde des juhanna ibn Masa walh (derIs/am) B. VI. 1915, p. 217 – 256.

(٤٨) حسن ابراهيم حسن تاريخ الإسلام – ٩٦/٢ - ٩٨.

(٤٩) راهية قدورة - الشعوبية - ص ١٠٣.

هناك على سائر الملل حسب ما أشار إليه الأصطخري بقوله (وليس المجوس ببلد أكثر منهم بفارس لأن بها ملكهم وأديانهم وكتبهم) (٥٠).

وكان أول زنديق ظهر في بدء الدولة العباسي (بها فريد) ومن رستاق نيسابور وكان مجوسيا زمزميا(٥١)، يقدس النار(٥٢)، خرج أيام أبي مسلم، وادعى أنه يوحى إليه بالسر(٥٣)، ووضع كتابا لأتباعه أمرهم بإرسال الشعور، وأمرهم أن يجعلوا الشمس قبلتهم عند سجودهم وهم على ركبة واحدة، وحرم عليهم الخمر والميتة وذبح الحيوان حتى يهرم(٥٤)، ووضع لهم شرائع اجتماعية حرم بموجبها زواج الأمهات والأخوات وبنات العم والأخت، وأن لا يزيد مهر المرأة على أربعمائة درهم، وكان يجبي من أتباعه سبع أموالهم وقفًا – حسب قول إبن الوطواط – على الأعمال العامة(٥٥). وأمرهم أن يتخذوا الرباطات. ولأنهم ناصبوا الزمازمة المجوس العداء، فإن مويذ المجوسي(٥٦) سعى به إلى أبي مسلم فقتله على باب جامع نيسابور، وزعم أتباعه أنه صعد إلى السماء

(٥٠) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (الكرخي) – توفي في النصف الول من ق٤هـ - المسالك والممالك – مطبعة بريل ط سنة ١٩٦٧م – ص٣٩.

(٥١) الزمزمة: كلام المجوس وقراءتهم على صلواتهم وطعامهم، وهي عبارة عن صوت خفي بالشفاه لا يكاد يفهم، ولد المجوس كتاب يسمى الزمزمة فسره زرادشت وسماه زند ثم فسر التفسير وسماه زنديه، وهذه اللفظة – على حد قول إبن خلدون – هي التي عربتها العرب إلى كلمة زنديق، ويحوي الكتاب ثلاثة أقسام: ماض ومستقبل والقسم الأخير فيه شرائعهم. وقد أمر عمر بن الخطاب سنة ٢٢هـ بنهي المجوس عن الزمزمة و التفريق بينهم وبين محارمهم، انظر: معجم البلدان ١٤٨/٣، لسان العرب ٢٧٤/١٢، مختار الصحاح ١١٦/٦، سير أعلام ٧٠/١، تاريخ إبن خلدون ١٩٠/٢.

(٥٢) ذكر الشهرستاني أن بها افريد يسمى سيسان، وقد أمر المجوس بترك الزمزمة وعبادة النار وتركهما، الملل والنحل ٢٣٨/١.

(٥٣) محمد بن أحمد البيروني ت سنة ٤٤٠هـ - الآثار الباقية في القرون الخالية – طبعة ليبزك سنة ١٨٧٨م – ص٢١٠.

(٥٤) الشهرستاني ٢٣٩/١، وذكر المقدسي: أن البها فريدية فرقة من المجوس، وأنه بنفسه قد حاجّ رجلاً منهم في قضية دفن المسلمين لموتاهم في باطن الأرض، حيث زعم هذا الرجل أن الجمادات ومنها الأرض ما هي إلا ملائكة، وأن المسلمين يلقمون هذا الملك موتاهم، وتعجب متساءلا: فكيف يستحسن المسلمون ذلك؟ البدء والتاريخ ١٧٦/١

(٥٥) برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الوطواط الكتبي الوراق ت سنة ٧١٨هـ - غرر الخصائص الواضحة وغرر النقايص الفاضحة – مطبعة بمصر سنة ١٣٨٤هـ ص٢١١ – ٢١٢.

(٥٦) الموبذ عند الفرس تعني: القاضي، وموبذ الموبذان أي قاضي القضاة. الطبقات الكبرى ١٨٣/٧، حلية الأولياء ٢٨٤/٢، لسان العرب ٥١١/٣.

على برذون أصفر[٥٦]، وأنه سينزل على البرذون فينتقم من أعدائه، ويطلق على طائفته السيسانية أو البهافريدية[٥٨].

وبالنظر إلى حركة بها فريد هذه يلاحظ أنه أراد بها الرجوع إلى عقائد زرادشت الأصلية، وإحياء الديانة الزرادشتية القديمة وتحريرها مما علق بها من بدع دخيلة عليها، ولا تمت إلى أصولها بصلة[٥٩]. إلا أنه ورغم فشل حركته، فإن تعاليم بها افريد ظلت باقية بين مؤيديه الذين اعتقدوا أنه صعد إلى السماء، وسيعود لينتقم من أعدائه[٦٠].

تمرد سنباذ (فيروز) بالري سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م

نجم عن مقتل أبي مسلم سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م اضطرابات عديدة قاست منها الخلافة العباسية كثيرا[٦١]، فظهرت جماعات من الفرس في شكل فرق دينية، سعت أن تعود إلى عقائدها القديمة، لاسيما في مواطن الفرس القديمة حيث كان لا يزال بعض الفرس في هذه المواطن لا يزالون مقيمين على دينهم القديم. ففي العام الذي قتل فيه أبو مسلم سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م. خرج رجل اسمه فيروز، وإن عرف بسنباذ أو سنفاذ، وله تسمية أخرى هي أصبهذ[٦٢]. وينتمي إلى قرية من قرى نيسابور تسمى (أهن)[٦٣]، ويقال إن اسمها (أهروانه)[٦٤]. وكانت تربط سنباذ بأبي مسلم صحبة قديمة، وله في عنقه حق صداقة وخدمة سالفتان، فأبو مسلم هو الذي قربه ورقاه إلى درجة قائد جيش[٦٥]، بعد أن أعلن إسلامه، وكان موضع ثقة أبي مسلم ومن صنائعه، حتى أنه قد سلمه خزائنه قبل رحيله عن خراسان[٦٦].

---

(٥٧) البرذون: نوع من الخيل، وهو ما كان من غير نتاج عرب العراب أي الخيل العربيات الخلص، أي نوع مهجن، لسان العرب ٥١/١٣، الفائق للزمخشري ٢/٢٠٠.

(٥٨) الملل والنحل – الشهرستاني – ٢٣١/١.

(٥٩) الشعوبية ص١٠٥.

(٦٠) البيروني – الآثار الباقية ص٢١١، الحركات المناهضة للخلافة العباسية ص٨٥.

(٦١) إن ظهور هذه الفرقة الفارسية في الاسلام لا يقلل من قيمة أبي مسلم الذي كان مسلما حقا، ولا نعتقد أنه مرق قط عن الدين، حتى وإن وصفه بعض أعدائه انه مجوس، فإنا نربأ به عن ذلك والله حسيبه، عبد المنعم ماجد العصر العباسي الأول ص٦٨.

(٦٢) أصبهذ: تعني القائد. وهو لقب ملوك طبرستان. فكان لا يعزل حتى يموت ثم يلي مكانه ابنه، فإن لم يكن له نصبوا أصبهذ آخر. معجم البلدان ١٥/٤، النجوم الزاهرة ٢٣٧/٣، عبد المنعم ماجد ص٦٨.

(٦٣) تاريخ الطبري ٣٨٨/٤.

(٦٤) الكامل في التاريخ ١١٣/٥.

(٦٥) سياسة نامه ٢٥٤/١.

(٦٦) تاريخ الطبري ٣٨٨/٤، الكامل في التاريخ ١١٣/٥، البداية والنهاية ٧٣/١٠.

ولما قتل أبو مسلم غضب سنباذ لمقتل زعيمه وآلمه مصرعه، فأعلن تمرده وعصيانه وبلغ من حقده على العباسيين أن كره ما يمثلونه من عروبه وإسلام، فرجع عن إسلامه وأعلن ارتداده عنه وعودته إلى المجوسية مرة أخرى، فدعا مجوس الري وطبرستان إلى حركته حيث أن قرابة نصف أهل قوهستان(٦٧) والعراق كانوا من غلاة الشيعة الروافض والمزركيين، فاستثمر سنباذ ذلك بذكاء واسع، وزعم أن أبا مسلم لم يقتل حيث أنه لما هم أبو جعفر بقتله دعا أبو مسلم اسم ربه الأعلى فصار حمامة بيضاء طارت من بين يديه، وأنه الآن في حصن من نحاس، وأن المهدي الذي تنتظره الشيعة ومزدك معه وسيظهرون ثلاثتهم يتقدمهم أبو مسلم ومزدك وزيره. فلما سمعت الرافضة اسم المهدي وسمعت الخرمية اسم مزدك التفوا حول سنباذ، فتبعه خلق كثير حتى وصل أتباعه إلى مائة ألف ما بين راجل وخيّال، فتعاظم أمره، وأعلن عن مبادئه القديمة(٦٨).

وكان سنباذ إذا اختلى بالمجوس يقول لهم: لقد أذنت دولة العرب بالأفول، وهذا ما قرأته في أحد كتب الساسانيين، وعزم على أنه لن يعود إلى موطنه حتى يدمر الكعبة بمكة المكرمة، وأن سيجعل الشمس قبلة بدلا منها، وكان إذا اختلى بالخرمية يقول لهم: إن مزدك شيعي ويأمركم أن تضعوا أيديكم في أيدي الشيعة، وظل سنباذ يضرب للمجوس والرافضة على هذا الوتر حتى استطاع بمهارة أن يكسبهم إليه ويستميل قلوبهم(٦٩).

لما قوي أمر سنباذ خرج مدعيا أنه رسول أهل خراسان والعراق للثأر من العباسيين، فأشهر السيف وأعلن الكفر وقتل بعض عمال المنصور وأولهم كان عامل الري أبا عبيدة الحنفي، فأسرع أبو جعفر المنصور بردعه والقضاء على تمرده مبكرا، فأرسل نحو عشرة آلاف مقاتل على رأسهم جهور بن مرار العجلي(٧٠) وولاه الري

---

(٦٧) قوهستان كلمة فارسية معناها: موضع الجبال، وقوه معناها الجبل وستان تعني موضع، وأكثر بلاد العجم لا تخلو من موضع يسمى قوهستان. وقوهستان التي نقصدها هنا تقع بين هراة ونيسابور من نواحي خراسان، وقد فتحها عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٢٩هـ في خلافة عثمان – رضي الله عنه – انظر/ الأنساب للسمعاني ٤/٥٦١، ٥٦٤. معجم البلدان ٤/٤١٦.

(٦٨) الكامل في التاريخ ٥/١١٣، سياسة نامه ١/٢٥٤، عبد المنعم ماجد المرجع السابق ص٦٨؛ التاريخ الإسلامي لعلي إبراهيم حسن ص٣٥٠، العصر العباسي الأول للسيد عبد العزيز سالم ص١٤٤.

(٦٩) سياسة نامة ١/٢٥٤.

(٧٠) أشار خليفة بن خياط في تاريخه، نقلا عن أبي عبيدة معمر بن المثنى – أن أبا جعفر المنصور بعث إلى سنباذ الري (محمد بن الأشعث فقتلهم وسبى ذراريهم) تاريخ خليفة ١/٤١٦ – ٤١٧ والصحيح الذي عليه جمهرة المؤرخين: أن محمدا بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي الذي ولاه المنصور مصر سنة ١٤١هـ وأقطعه محله زرارة بالكوفة، أرسله المنصور حقا إلى الري في نفس العام، لكن للقضاء على تمرد جهور بن مرار وليس

لاسيم و ن سنبذ . بي النساء المسلمات ونهب الأموال ولم يعرض للتجر . فالتقاه جهور ببن همذان والري بطرف المفازة[٧١]، وعزم جهور على مطاولته، فقدم سنباذ في بداية المعركة سبايا النساء المسلمات على الجمال، فلما رأين عسكر المسلمين قمن في المحامل وناديـن (وا محمداه! ذهب الإسلام) ووقعت الريح في أثوابهن فنفرن الإبل فعادت على عسكر سنباذ، فتفرق العسكر، ووقعت به الهزيمة حيث تتبع المسلمون إبل جيش سنباذ، وأوضعوا فيهم السيوف، فقتلوهم كيف شاؤوا، حتى بلغ قتلى جيش سنباذ نحوا من ستين ألفا غير سبي النساء والذراري، وقتل سنباذ نفسه بعد ذلك، فكانت ايامه سبعين يوما، وأخذ جهور بن مرار ما كان استحوذ عليه سنباذ من أموال أبي مسلم التي كانت بالري[٧٢].

تمرد جهور بن مرار العجلي بالري سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م:

والمرء ليعجب من أنه بعد قضاء جهور بن مرار على تمرد سنباذ على الخلافة العباسية لأسباب دينية وعصبية واقتصادية وغيرها، أن يقوم جهور بن مرار مقام سنباذ في التمرد على الخليفة المنصور، وربما السبب الظاهر الذي ساقته المصادر التاريخية أن جهوراً لما حوى ما في عسكر سنباذ من أموال وخزائن أبي مسلم الخراساني والتي خلفها بالري، كان المفترض أن يرسل بها إلى أبي جعفر، إلا أنه طمع بها ولم يوجهها إليه، وأعلن التمرد ووزع الأموال على جنده وخلع المنصور بالري[٧٣]. وكان طبيعيا أن يوجه إليه المنصور من يردعه عن فعلته وخيانته، فأرسل إليه محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم إلى الري ففارقها جهور إلى أصبهان[٧٤]، فدخل محمد الري فملكها، في حين ملك أصبهان جهور، فأرسل إليه

سنباذ، المعرفة والتاريخ ٧/١، فتوح البلدان ٢٨١/١ تاريخ الطبري ٣٩٠/٤، المنتظم ٨ ٢٠، الكامل في التاريخ ١١٦/٥، النجوم الزاهرة ٣٤٦/١.

(٧١) المعرفة والتاريخ ٦/١، اليعقوبي ٣٦٨/٢، تاريخ دمشق ٦٠/٣١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٣٢، فليب حتى تاريخ العرب ص٣٥٨، عصام عبد الرؤف الشعراء الصعاليك ص٤٤. محمد السيد الوكيل الدولة العباسية ص٧٢.

(٧٢) البدء والتاريخ ٨٣/٦، الكامل في التاريخ ١١٣/٥، سير أعلام النبلاء ٧١/٦، شاكر مصطفى -- دولة بني العباس – الكويت طبعة سنة١٩٧٣م ٢٥٠/١، السيد عبد العزيز سالم ص١٤٤، محمد عبد الحميد الرفاعي تاريخ الإسلام في العصر العباسي الأول ص٦٤، ١٢٦، نقود الخارجين على الخلافة العباسية ص٤٤، زامباور – معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - ترجمة زكي محمد حسن وآخرون بيروت سنة ١٩٨٠م ص٧٠.

(٧٣) المعرفة والتاريخ ٧/١، تاريخ الطبري ٣٩٠/٤، عبد المنعم ما بعد العصر العباسي الأول ص٦٩.

(٧٤) اصبهان او أصبهان مدينة عظيمة من مدن الجبل الذي هو إقليم كبير بين بلاد العراق وخراسان وتطلق العامة عليه عراق العجم، ويضم همذان واصبهان والري وزنجان وغيرهم، وأصبهان كلمة فارسية من مقطعين (أصب) وتعني ... و(هان) وتعني فرس. ومعناها بلاد الفرسان، بينها وبين الري خمسون فرسخا وبين البصرة ثمانون

محمد عسكرا وبقي هو في الري، وقد أشار على جهور بعض أصحابه أن ينتقي نخبه من جيشه يتوجه بها إلى الري حيث محمد في قلة من أصحابه، فإن هو ظفر به قضي الأمر الذي عليه يقتتلان ولم يكن لمن بعده بقية، فأعجب جهور بالمقترح وسار في نخبة مختارة من أصحابه مجدا إلى محمد، إلا أن الخبر قد طار مسرعا إلى الري، فاحتاط محمد وأخذ حذره واستنجد بعامل خراسان الذي أمده بعسكر تقوى بهم وسار إلى جهور فالتقاه بقصر الفيروزان بين الري وأصبهان(٧٥).

فاقتتلوا قتالا شديدا، اضطر جهور بسببه إلى ترك العراق ولجأ إلى الهروب صوب أذربيجان، بالرغم من أنه كان يقاتل معه بعض فرسان العجم الذين كانوا مع سنباذ في تمرده وظلوا بعد مقتله على عصيانهم، إلا أن جهوراً هزم وهرب بعد أن قتل من أصحابه خلق كثير وأسر إبن الأشعث نخب فرسان العجم الذين كانوا مع جهور، ولم يمهله محمد بن الأشعث باللجوء إلى أذربيجان فقد قتله بعض أصحابه وحملوا رأسه إلى المنصور(٧٦). وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومائة في قرية أسباذرو(٧٧).

ولعل الغرور قد دخل إلى نفس جهور بن مرار فأورده هذا المورد السيئ وهو رجل الدعوة العباسية الذي بذل وضحى في سبيل نصرتها، وولاه العباسيون كثيراً من الولايات لاسيما رصافة هشام، وهو الذي قبض على عبد الصمد بن علي لما فر منهزما هو وأخوه عبد الله إليها، فأوثقه جهور وأرسله مع أبي الخصيب مولى أبي جعفر المنصور(٧٨). وتشير بعض المصادر إلى أن جهوراً كانت تبدو عليه مخايل الزعامة والقيادة مبكرا، وذلك لما أراد أبو العباس السفاح أن يرسل أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب ابن هبيرة، جعل غيلان بن عبد الله الخزاعي على شرطته فأشار عليه غيلان بأن جهوراً بن مرار أجلد منه وأنسب لهذه المهمة(٧٩). فلما استطاع جهور سحق تمرد سنباذ (قويت نفسه بذلك، وظن أنه لا يقدر عليه أحد بعد ذلك)(٨٠). فكان الغرور هو السلاح الذي قتل جهور بن مرار بعد بلائه الحسن في خدمة الدعوة العباسية، حتى أنه استقل تماما عن الخلافة بل وضرب نقودا باسمه أثناء تمرده(٨١).

ومائة فرسخ، فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ، سفر نامه ٨٦/١، ١٥٤، معجم ما استعجم ٤١٢/١، رحلة ابن بطوطة ٢٢٠/١، معجم البلدان ٢٠٦/١ - ٢٠٧، وفيات الأعيان ٤ ،٧٩ ،٥ ٣٤١.

(٧٥) البداية والنهاية ٧٣/١٠.

(٧٦) المنتظم ٢٠/٨، الكامل في التاريخ ١١٦/٥، النجوم الزاهرة ٣٤٧/١، نقود الخارجين على الخلافة العباسية ص٤٤.

(٧٧) أسباذرو: وردت بهذه الحروف في الطبري وابن الأثير، ولكنها وردت أسبار عند ياقوت الحموي، وابن تغري بردي. وهي قرية على باب مدينة جي قصبة أصبهان. تاريخ الطبري ٣٩٠/٤، معجم البلدان ١٧١/١، الكامل في التاريخ ١١٦/٥، النجوم الزاهرة ٣٤٧/١.

(٧٨) تاريخ الطبري ٣٨٠/٤.

(٧٩) المصدر السابق ٣٦٢/٤.

(٨٠) البداية والنهاية ٧٣/١٠.

(٨١) نقود الخارجين على الخلافة الإسلامية ص٤٤-٤٥.

تمرد الراوندية[٨٢] بالهاشمية[٨٣] ١٤١هـ/ ٧٥٨م

يصعب على الباحث المدقق تحديد عقائد هذه الفرقة لاختلاف تصوير المؤرخين لها فيرى البعض أنهم جماعة من أهل خراسان يمثلون شيعة بني العباس، يزعمون أن أحق الناس بالإمامة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمه العباس بن عبد المطلب لأنه وارث النبي- صلى الله عليه وسلم - بالعصب لقول الله تعالى {وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ}[٨٤]. والناس منعوه حقه وظلموه إلى أن رده الله إلى ولده. ويتبرؤون من الشيخين وعثمان – رضي الله عنهم – ويجيزون بيعة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لقول العباس له: (يا بن أخي هل أبايعك فلا يختلف عليك اثنان؟ ولقول داود ابن علي[٨٥] على منبر الكوفة: يا أهل الكوفة إنه لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا علي بن أبي طالب، وهذا القائم فيكم يعني السفاح[٨٦].

ويرى آخرون: أن الراوندية جماعة من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم الخراساني صاحب دعوة بني هاشم، ويقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم -عليه السلام- حلت في عثمان بن نهيك – صاحب حرس المنصور ومسئول الخاتم[٨٧]- وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور[٨٨].

وخلاصة الأمر أن الراوندية حركة تعود إلى أواخر الخلافة الأموية، عندما ظهر رجل منهم يقال له الأبلق وكان أبرص فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم -عليه السلام- صارت في علي بن أبي طالب -رضي الله

(٨٢) نسبة إلى قرية روائد قرب أصبهان، ومعناها في الأصل راهاوند أي الخير المضاعف، معجم ما استعجم ٦٣٠/٢، الأنساب للسمعاني ٣١/٣، معجم البلدان ١٩/٣، وفيات الأعيان ٩٤/١، مرآة الجنان ١٤٤/٢.

(٨٣) بناها السفاح بجانب الأنبار بالعراق، معجم البلدان ٣٨٩/٥، وفيات الأعيان ١٥٣/٢، فوات الوفيات ٥٦٧/١، مآثر الإنافة ١٧٢/١.

(٨٤) الأنفال ٧٥.

(٨٥) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو سليمان الهاشمي العباسي أمير مكة والمدينة واليمن واليمامة والكوفة، وكانت الكوفة أولا، ولد داود سنة ثمان وسبعين ومات في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائة، تاريخ خليفة ٤١٢/١، أخبار مكة للفاكهي ٨٢/٢، اليعقوبي ٣٥١/٢، التحفة اللطيفة ٣٨١/١، شذرات الذهب ١٩١/١.

(٨٦) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي الشيعي ت سنة ٣٠٢هـ - ٩١٤م – كتاب فرق الشيعة، النجف العراق طبعة سنة ١٣٥٥هـ - سنة١٩٣٦م – تصحيح محمد صادق ص٤٦: ٥٢، أبو الحسن علي ابن أبي الحسن المسعودي، سنة ٣٤٥هـ - مروج الذهب ومعادن الجوهر – طبعة مصر سنة ١٣٤٦هـ ١٩٩/٢ – ٢٠٠، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي ت سنة ٣٨٧هـ - مفاتيح العلوم – طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢هـ ص٢١ -٢٢. طبقات الحنفية ٤٦٩/١، سمط النجوم ٣٥٩/٣.

(٨٧) تاريخ ٤٣٦/١.

(٨٨) الطبري ٤ ٣٩٥، البدء التاريخ ٦ ٨٣، الكامل في التاريخ ٢٩/٥، الوافي بالوفيات ١٨ ١٦٥، البداية والنهاية ١٠ ٧٥، مآثر الإنافة ١ ١٧٩، النجوم الزاهرة ٣٤٥/١، شذرات الذهب ٢٠٩/١.

عنه. ثم في الأئمة على التوالي حتى انتهت إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله إبن عباس. وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات، فسمع بهم أسد بن عبد الله القسري، فأخذهم وقتلهم وصلبهم[٨٩]، فاستخفوا ومارسوا نشاطهم سرا حتى وجدوا ضالتهم في بداية قيام الدولة العباسية لاسيما سنة خمس وثلاثين ومائة بزعامة رجل منهم يكنى أبا إسحق الذي تمرد في الطالقان بجموع الراوندية فقتلوا قائد جيوش العباسيين هناك نصراً بن راشد، فأرسل إليهم أبو داود خالد بن إبراهيم قائد أبي مسلم الخراساني، عيسى بن ماهان فتتبع القتلة من الراوندية فقتلهم[٩٠].

ظهرت خطورة تعاليم هذه الفرقة بعد مقتل أبي مسلم الخراساني، فقالت بألوهية أبي جعفر المنصور ونبوة أبي مسلم، فزجرهم المنصور واستتابهم وأمرهم بالرجوع فلم يعدلوا وقالوا: "المنصور ربنا هو يقتلنا شهداء كما قتل أنبياءه ورسله"[٩١]. ولما رآه رجل من الراوندية قال: هذا رب العزة هذا الذي يطعمنا ويسقينا، فلما بلغ ذلك المنصور قال: "يا هذا لأن يدخلهم الله النار في طاعتنا ويقتلهم، أحب إلي من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا"[٩٢]. إلا أن أبا جعفر المنصور سارع بالقبض على نحو مائتين من زعمائهم وذوي الرأي فيهم وأودعهم السجن، ليقضي على حركتهم في مهدها قبل أن يستفحل خطرهم. لاسيما أن جموع الراوندية قد خرجت إلى قصر الخليفة بالهاشمية[٩٣]، فصاروا يطوفون به ويقولون (هذا قصر ربنا)[٩٤]. فأظهرت جموع الراوندية غضبها لسجن زعمائهم. فأعملوا الحيلة لإطلاقهم ومهاجمة المنصور نفسه، فأعدوا نعشا فارغا وساروا وراءه كأنهم يشيعون جنازة ثم مروا بالمدينة حتى صاروا على باب السجن، فأخرجوا أصحابهم، ثم قصدوا قصر الخليفة وهم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى الناس وغلقت أبواب

(٨٩) تاريخ الطبري ٥٢٩/٥، فان فلوتن: السيادة العربية ص١٧، الحركات المناهضة ص٩٤.

(٩٠) تاريخ الطبري ٣٧١/٤، الكامل في التاريخ ٩٦/٥، تاريخ إبن خلدون ٢٢٦/٣، النجوم الزاهرة ٣٣٠/١، الشعوبية ص١٠٧، الأوضاع السياسية والاجتماعية في البصرة والكوفة ص٣٣٧، العصر العباسي الأول لمحمد عبد الحميد الرفاعي ص٦٤، ١٢٦، الدولة العباسية لعصام عبد الرؤوف ص٣٩.

(٩١) فرق الشيعة ص٣٧.

(٩٢) تاريخ الطبري ٣٩٦/٤، الحركات المناهضة للخلافة العباسية ص٩٥.

(٩٣) زعم بن تغري بردي أن وقعة الراوندية سنة ١٤١هـ كانت ببغداد فقال: (وفي سنة إحدى وأربعين ومائة كانت وقعة الراوندية ببغداد؟ والصحيح أنها بالهاشمية، لأن بغدادا قد شرع المنصور في بنائها ١٤٥هـ لما كره سكنى الهاشمية لسبب تمرد الراوندية بها ولقربها من أهل الكوفة الذين كان المنصور لا يأمن أهلها على نفسه، ولا على جنده، وفرغ من بنائها سنة ١٤٩هـ تاريخ الطبري ٤٦٠/٤، تاريخ الخلفاء ٢٦٢/١، سمط النجوم ٣٨١/٣، وقيل فرغ من بنائها المنصور سنة ١٤٦هـ، تاريخ بغداد ٦٦/١، المنتظم ٩٦/٨، الكامل في التاريخ ٧٧/٥، البداية والنهاية ١٠٣/١٠.

(٩٤) البدء والتاريخ ٨٤/٦، المنتظم ٣٠/٨، تاريخ الطبري ٣٩٥/٤، الكامل في التاريخ ١٢٥/٥، البداية والنهاية ٦٠/١٠، تاريخ الدولة العباسية لحسن الباشا ٢٤، ٥٢، تاريخ العرب لفليب حتى ص٣٥٨.

البلد وخرج المنصور من القصر ماشياً لعدم وجود دابة حينئذ، وجاءه الناس من أهل الأسواق لعدم وجود جند معه[٩٥]، وركب المنصور دابة وجدت له، فقاتل الخليفة بهؤلاء الناس، وكادت الراوندية أن تقتله لولا معن بن زائدة[٩٦]، الذي رأى المنصور وليس معه من الجند ما يكفي فترجل وأخذ بلجام الدابة وقال: يا أمير المؤمنين ارجع نحن نكفيهم، فأبى المنصور والتقى الناس على الراوندية من كل حدب وصوب، وجرح قائد حرس المنصور عثمان بن نهيك بسهم في كتفه فمات بعد أيام، وحصدت الناس جموع الراوندية عن آخرهم فلم يبق منهم بقية[٩٧].

غير أن ما أصابهم على يد أبي جعفر المنصور ورجاله الأشداء – مثل معن بن زائدة الشيباني وعثمان بن نهيك رئيس حرسه والهيثم بن شعبة والقعقاع بن ضرار رئيس الشرطة وعيسى بن موسى وخازم بن خزيمة التميمي وغيرهم – لم يكن رادعا لهم عن التمرد مرة أخرى، ففي سنة اثنتين وأربعين ومائة انتهزوا فرصة وجود الخليفة في البصرة[٩٨]، وشقوا عصا الطاعة وتمردوا، مطالبين بثأر أبي

---

(٩٥) كانت جيوش المنصور خارج الكوفة منذ وقت طويل لحرب سنباذ ثم جهور بن مرار العجلي، وحرب الخوارج بالجزيرة بزعامة ملبد بن حرملة الشيباني، وفي خراسان وغيرهما، لذلك قال المنصور: أخطأت ثلاث مرات: الأولى: قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة، الثانية: حين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة، ويوم الراوندية لو أصابني سهم أغرب لذهبت ضياعًا. تاريخ الطبري ٣٩٦/٤، البداية والنهاية ٧٦/١٠، ويقول القضاعي في الخطأ الأول للمنصور ((تشييع يزيد بن حاتم أرأيت لو نكث أكان يحسن بي أن أرجع؟)). وذلك عندما خرج المنصور من العراق إلى الشام سنة١٥٣هـ لما همه استيلاء الخوارج على المغرب، فسار إلى الشام وزار القدس، وجهز يزيداً بن حاتم المهلبي بجيش من خمسين ألف فارس، وأنفق عليه ثلاثة وستين ألف ألف دينار، وعقد له على المغرب، اليعقوبي ٣٨٦/٢، الحلة السيراء ٧٤/١، مرآة الجنان ٣٢٣/١، شذرات الذهب ٢٢٦/١، الاستقصاء ١٨٨/١٤.

(٩٦) كان معن بن زائدة متخفيا من المنصور لأنه كان ممن حارب مع ابن هبيرة ضد المسودة من العباسيين، ويقال إنه كان مختفيا عند أبي الخصيب صاحب المنصور حتى يتسنى الشفاعة له عنده، ويطلب له الأمان، فكان موقف معن يوم الراوندية سببًا في رضا الخليفة عنه. تاريخ الطبري ٣٩٦/٤، الكامل في التاريخ ١٢٠/٥، البداية والنهاية ٧٦/١٠.

(٩٧) تاريخ الخلفاء العباسيين لابن السباعي ص١٩، النبراس في تاريخ بني العباس ص٢٩، مآثر الإنافة ١٧٨/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٦١، العصر العباسي الأول لعبد العزيز سالم ص٦٢، ضحى الإسلام ص٢٩١، العصر العباسي الأول لعبد المنعم ماجد ص٧٠، تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم ٨٨/٢، الدولة العباسية للوكيل ص٧٥، المجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيد ص٧٤.

Lestrange; Guy: Baghdad during the 'Abbasid caliphate from contempory Arabic and persian. Oxford 1900.p.8.

(٩٨) خرج المنصور سنة ١٤٢هـ إلى البصرة يريد الحج، فأتاه بها خبر تمرد وعصيان أهل اليمن وهروب عاملها عبد الله بن الربيع، فرس إليهم المنصور معن بن زائدة في جيش، ثم أتاه خبر تمرد عامل السند عيينة بن موسى بن كعب التميمي، فوجه اليه المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة في جيش للقضاء على تمرده، تاريخ اليعقوبي ٣٧٢/٢.

مسلم[٩٩]، فلما بلغ نبأهم أبو جعفر المنصور وجه إليهم خازم بن خزيمة أحد أبطال مدينة الهاشمية فهزمهم وشتت شملهم، كما يروي الدينوري في أخباره[١٠٠].

في حين يروي الطبري وابن كثير أن خازماً بن خزيمة قال للمنصور بعد هزيمة الراوندية في الهاشمية إن لهم بقية تحت إمرة زعيم لهم يسمى رزام[١٠١] كان المنصور قد منحه الأمان بعد هزيمة الهاشمية، فولى المنصور خازم قتال رزام وأتباعه، واستأذنه خازم في أن يقتل رزام الذي استعاذ بالمنصور فأعاذه وأمنه[١٠٢]، وإن باشرت فرقته العمل السري لنشر معتقداتها[١٠٣].

هكذا غالى الراوندية في بني العباس، كما غالى بعض الشيعة في العلويين، حتى أنهم اتخذوا أبا جعفر المنصور إلهًا فصاروا يطوفون بقصره ويقولون: "هذا قصر ربنا" [١٠٤] إلا أن أبا جعفر المنصور عامل هؤلاء على أنهم زنادقة شعوبيون من جهة، وأنهم أعداء سياسيون لدولته لأنهم أتباع عدوه السابق أبي مسلم الخراساني[١٠٥]. وإن دل هذا يدل – كما يقول الأستاذ ميور – على أن الحكم العباسي لم يكن يتفق تمام الاتفاق مع دعوة غلاة العباسيين[١٠٦]، من الفرس العلوج[١٠٧].

---

(٩٩) افترقت الراوندية في أمر أبي مسلم على مقالتين: أولاهما: الرزامية أصحاب رجل يدعى رزام، وتقول بمقتل أبي مسلم. والأخرى أبو مسيلمة نسبة إلى أبي مسلم وتقول إنه حي لم يمت وأنه إله، وهو خير من جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة، وهم ينتظرونه، ويرجع الشهرستاني أصولها إلى أصحاب مزدك، مقالات الإسلاميين ص٢١-٢٢، الفرق بين الفرق ص٢٢٦، الملل والنحل ٢٥٠/١.

(١٠٠) الأخبار الطوال ص٣٢٤، الشعوبية ص١٠٧-١٠٨.

(١٠١) هو رزام بن رزم وإليه تنسب فرقة الرزامية وكان قد ظهر بخراسان في عهد أبي مسلم، وبعد موته ساقوا الإمامة إليه، وقالوا: لا حظ له فيها، وادعوا حلول روح الإله فيه، بدليل أن الله أيده على بني أمية حتى قتلهم على بكرة أبيهم واصطلمهم، وقالوا بتناسخ الأرواح، ويجعله الشهرستاني وفرقته ضمن الكيسانية، أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه-، مقالات الأشعري ص٢١-٢٢، الفرق بين الفرق ص٢٢٦، الملل والنحل ص١٥٣-١٥٤.

(١٠٢) تاريخ الطبري ٣٩٦/٤، البداية والنهاية ٧٦/١٠.

(١٠٣) العصر العباسي الأول لعبد ماجد ص٧١، تاريخ الإسلام في العصر العباسي الأول لمحمد عبد الحميد الرفاعي ص١٢٦.

(١٠٤) البدء والتاريخ ٨٤/٦، المنتظم ٣٠/٨، تاريخ الطبري ٣٩٥/٤، الكامل في التاريخ ١٢٩/٥، العباسية لعصام عبد الرؤوف ص٣٩.

Syke s, percy: "Ahistory of persia" (London 1930) Vo/.I. p.561.

(١٠٥) تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ٨٨/٢ وما بعدها، زاهية قدورة: الشعوبية ص١٠٨.

(3) Muir, willias jemple: the caliphate, its Rise, Decline and fall. Revised by weir. (Edinburgh 1924) p. 452.

(١٠٧) تاريخ الطبري ٣٩٦/٤، البدء والتاريخ ٦ ٨٢، الكامل في التاريخ ١٣٠/٥، والعلج في اللغة هو الرجل الشديد الغليظ، وقيل هو كل ذي لحية. وفي الاصطلاح هو الرجل القوي الضخم من كفار العجم، لسان العرب ٣٢٦/٢، مختار الصحاح ١ ١٨٨. وقيل العلوج نسبة الى علجان بن يافث بن نوح عليه السلام، تاريخ ابن خلدون ٢ ٢١٨.

تمرد أستاذسيس في خراسان ١٥٠هـ - ٧٦٧م

لم تكن حركة الراوندية الأخيرة التي قامت بعد مقتل أبي مسلم، بل استمرت تلك الحركات طوال حكم أبي جعفر، بل طوال العصر العباسي الأول. وكانت حركت أستاذسيس التي قامت سنة مائة وخمسين من الهجرة ضمن هذه الحركات، بل كانت من الحركات العنيفة التي خرجت من هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من نواحي خراسان(١٠٨)، وتزعمها أستاذسيس الذي ادعى النبوة ليخلص الناس في الطاعة، وليجذب إليه عوام أهل خراسان(١٠٩).

وجدت هذه الدعوة السيسانية في نواحي خراسان آذانا صاغية، حيث استجاب لها نحو ثلثمائة ألف مقاتل، مما يدل على أن أهل نواحي خراسان التي كانت قد شهدت ميلاد الدعوة العباسية أولا، أصبحت الآن على استعداد لتقبل أي دعوة تمرد وعصيان ضد العباسيين(١١٠)، مما يبرهن على أن نزوات العواطف كانت عند كثير من أهل هذه النواحي كانت تسيطر على نظرات العقول، حتى أصبح من يسيطر على عواطف هؤلاء ويستجيشها لصالح أي دعوة يملك إلى حد ما زمام الأمور هناك. استطاع أستانسيس بهذا العدد الوفير أن يهزم أهل مرو الروز الذين خرجوا لمقاومتهم بزعامة الأجشم المروزوري الذي قاتلهم قتالا شديدا حتى قتل وفر أصحابه واستطاع أستانسيس أن يهزم قادة آخرين للعباسيين منهم على سبيل المثال: معاذ بن مسلم وجبرائيل بن يحيى وغيرهم، واستولى أستانسيس على أكثر مدن خراسان(١١١).

علم المنصور بهذا التمرد وهو بالبردان(١١٢)، فوجه خازم بن خزيمة التميمي إلى ابنه المهدي بخراسان ليوليه حرب تلك البلاد ويضم إليه من الأجناد، ما يقاوم به أولئك المتمردون، فنهض المهدي في ذلك نهضة هاشمية – كما يقول إبن كثير-(١١٣) فجمع المهدي لخازم الإمرة على تلك النواحي والجيوش التي أرسلها معه وكانت نحوا من عشرين ألف ويزيد من العرب، وضم خازم إليه اثنين وعشرين ألفا ممن كان انهزم من

---

(١٠٨) تاريخ الطبري ٤٩٥/٤، الكامل في التاريخ ١٩٠/٥، العبر ٢١١/١، البداية والنهاية ١٠٦/١٠.

(١٠٩) تاريخ اليعقوبي ٣٨٠/٢، الشعوبية ص١٠٨.

(١١٠) الشعوبية ص١٠٨.

(١١١) تاريخ اليعقوبي ٣٨٠/٢، الكامل في التاريخ ١٩٠/٥، تاريخ العرب لسيد أمير علي ص١٩٤، تاريخ العرب لفليب حتى ص٣٥٩، العصر العباسي الأول لعبد المنعم ماجد ص٧٢.

(١١٢) توجد أماكن كثيرة يطلق عليها البردان. والمقصود بالبردان التي نحن بصددها هنا: هي قرية من قرى بغداد على بعد سبعة فراسخ منها، وهي قرب الصريفين من نواحي دجيل، معجم ما استعجم ٢٤٠/١، معجم البلدان ٣٧٥/١.

(١١٣) البداية والنهاية ١٠٦/١٠، شذرات الذهب ٢٢٦/١، التاريخ الإسلامي لعلي إبراهيم حسن ص٣٥٠، الدولة العباسية لعصام عبد الرزوف ص٤٠.

الجنود الذين كانوا مع الأجشم والقادة من بعده، وجعل خازم هؤلاء في أخريات الناس، ولم يقدمهم لما في قلوب المغلوبين من روعة الهزيمة، وانتخب خازم ستة آلاف من الجند وضمهم إلى اثني عشر ألف كانوا مختارين من قبل(١١٤). وخرج خازم إلى أستاذسيس في جيش عظيم وصفه السيوطي بأنه: جيش عرمرم يسد الفضاء(١١٥).

التقى الجمعان وصبر الفريقان، وبعد اشتداد القتال أمام خندق خازم ذي الأبواب الأربع التي كان يحرس كل باب ألف من جنود خازم، دارت الدائرة على جيش أستاذسيس وقائده الحريش، فقتل المسلمون منهم نحوا من سبعين ألفا وأسروا أربعة عشر ألفا آخرين، وفر أستاذسيس إلى الجبال مع أهل بيته ومعه نحوا من ثلاثين ألفا من جيشه(١١٦). وحكّم فيهم خازم المحكمون فحكموا بأن يقيد أستاذسيس وأهل بيته في الحديد ثم يقتل، وأن يطلق سراح الثلاثين ألفا ممن معه فنفذ خازم الحكم فقتل أستاذسيس، وأطلق سراح من معه من الجند بعد أن أنعم عليهم بالعطايا والهبات(١١٧).

إلا أن اليعقوبي يروي أن خازماً أسر أستاذسيس وحمله إلى أبي جعفر المنصور ببغداد فقتله المنصور هناك(١١٨). وتشير بعض المراجع الأجنبية أن المهدي بن المنصور استصفى من سبايا أستاذسيس ابنةً له هي الخيزران، التي أعتقها فيما بعد وضمها إلى حريمه وأولدها موسى وهارون الرشيد(١١٩).

والمتواتر أن الخيزران جارية مولدة لسلمة بن سعيد اشتراها من قوم قد قدموا من جرش(١٢٠) باليمن(١٢١)، فهي يمنية جرشية(١٢٢)، اشتراها المهدي من سوق النخاسة وأعتقها وتزوجها وأولادها موسى وهارون الرشيد(١٢٣). في حين

---

(١١٤) تاريخ الطبري ٤٩٥/٤، الكامل في التاريخ ١٩٠/٥، العبر للذهبي ٢١١/١.

(١١٥) تاريخ الخلفاء ٢٦٢/١.

(١١٦) تاريخ الطبري ٤٩٥/٤، الكامل في التاريخ ١٩٠/٥، العبر للذهبي ٢١٣/١، البداية والنهاية ١٠٦/١٠، شذرات الذهب ٢٦/١، الشعراء الصعاليك لحسين عطوان ص٤٥.

(١١٧) تاريخ الطبري ٤٩٦/٤، البداية والنهاية ١٠٧/١٠، الدولة العباسية للوكيل ص١٠٠.

(١١٨) تاريخ اليعقوبي ٣٨٠/٢.

(3) Muir,: the caliphate.. (oxford 18).p. 459, Browne (v): Edward G: Aliterary History of persia, (from the Earliesttimes until firdamsi) vol/.I. (cambridge 1929).p. 317, sykes: percy: Ahistory of persia. (london 1930) vol. I.562.

(١٢٠) جُرش: بضم أوله قرية كبيرة المقدار والعمارة باليمن من جهة مكة قرب بيشة وتبالة تقول العرب ناقة جرشية أي حمراء جيدة، معجم ما استعجم ٣٧٦/١، نزهة المشتاق ١٤٦/١، ١٥١، معجم البلدان ١٢٦/٢.

(١٢١) معجم البلدان ٥/٤.

(١٢٢) تاريخ بغداد ٤٣٠/١٤، الكامل في التاريخ ٢٧٧/٥.

(١٢٣) تاريخ بغداد نفسه، تاريخ دمشق ٤٢٦,٥٣، المنتظم ٣٤٧/٨، البداية والنهاية ١٥٣/١٠.

تشير بعض المصادر أنها الخيزران بنت عطاء الكندي، وأخوها الغطريف إبن عطاء الكندي الذي ولاه خاله الرشيد خراسان سنة مائة وخمس وسبعين بدلاً من العباس بن جعفر(١٢٤) في حين يشير السيوطي أن الخيزران أم ولد بربرية(١٢٥). ولكن هذا الرأي يبدو ضعيفا أمام من يقولون إنها جرشية يمنية، الأمر الذي تعددت المصادر في سرده.

أما كون أن الخيزران ابنة أستانسيس فإن الحقائق التاريخية ترفض هذا الرأي بحساب السنين فكان تمرد سيس وعصيانه سنة خمسين ومائة للهجرة ومولد هارون الرشيد سنة تسع وأربعين أو خمسين ومائة على الكثرة(١٢٦)، وبهذا لا يكون لهذا الرأي سند تاريخي، ولو اتضح لهذا القول سند تاريخي وأدلة تؤيده فلربما استفاد منه الباحثون في دور الخيزران مع البرامكة(١٢٧)، لاسيما وأنها إحدى نساء ثلاث ولدت كل منهن خليفتين(١٢٨).

تمرد المقنع الخراساني(١٢٩) بخراسان سنة ١٦٠هـ - ٧٧٨م

كان المقنع يعمل في بداية أمره قصارا(١٣٠) بمرو، ثم قال بقول الرواندية الذين اختلفوا في مقتل أبي مسلم فقالوا إنه لم يقتل(١٣١)، في حين يذكر الطوسي: أن المقنع كان

(١٢٤) تاريخ خليفة ٤٦١/١، تاريخ اليعقوبي ٤٠٤/٢، تاريخ بغداد ٨٣/١، المنتظم ١٠/٩، معجم البلدان ٥/٤، تاريخ إبن خلدون ٢٧٤/٣، مآثر الإنافة ١٨٩/١.

(١٢٥) تاريخ الخلفاء ٢٧٩/١.

(١٢٦) تاريخ خليفة بن خياط ٤٤٦/١، المعارف ٣٨١/١ -٣٨٣، تاريخ بغداد ٥/٤ مآثر الإنافة ١٨٩/١ – ١٩٢.

(١٢٧) عبد الغني إبراهيم أحمد رمضان – قصر الخلافة في العصر العباسي الأول – رسالة ماجستير جامعة القاهرة سنة١٩٤٩م، بإشراف د/ حسن إبراهيم حسن. ص١٢٥ -١٢٨.

(١٢٨) الأولى: ولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان وأنجبت الوليد وسليمان، الثانية أشباه فرند ابنة فيروز بن يزدجرد (آخر أكاسرة الفرس) تزوجها الوليد بن عبد الملك وأنجبت له يزيداً الثالث وإبراهيم، والثالثة الخيزران تزوجها المهدي وأنجبت له موسى وهارون، عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي ت سنة ٤٢٩هـ - لطائف المعارف – طبعة ليدن ١٨٦٧ ص٥٤ إبن كثير ١٦٣/١٠، مآثر الإنافة ٣٦١/٣. يضيف السيوطي إليهن ثنتين: باي خاتون سرية الخليفة المتوكل الأخير، ولدت له العباس وحمزة ووليا الخلافة، ثم كزل سرية المتوكل أيضا ولدت له داود وسليمان ووليا الخلافة. تاريخ الخلفاء ٢٨١/١.

(١٢٩) اسمه عطاء وقيل حكيم والأول أشهر، وقيل هاشم ولا يعرف اسم أبيه، من قرية كاره من قرى مرو، كان مشوه الخلقة أعور ألكن قصيراً ذميم المنظر، لذلك كان يضع على وجهه قناعا من ذهب يتقنع به كالقناع فسمي به، سياسة نامة ٢٨٣/١، الأنساب للسمعاني ٥٩/٣، وفيات الأعيان ٢٦٣/٣، سير أعلام النبلاء ٣٠٦/٧، الوافي بالوفيات ٨٠/٣، البداية والنهاية ١٣٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ٢٥٩/٣، شذرات الذهب ٢٤٨/١، محمد بن محمد بن عبد اللطيف محب الدين المحبي الدمشقي سنة ١١٠٠ – خلاصة الأثر طبعة دار صادر – بيروت – د. ت ٣٨٥/٢٠، وجيه فارس الكيلاني – الدعاة من المتألهين والمتنبئين – طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣م – ص ١٢، أيضا انظر:

Browne. E. G. A Liter any History of Persia. Vol I Cambridge, 1929. p 319.

(١٣٠) القصار: هو من يخيط الثياب، أي من يحوره ويدقه بالمقصرة الخشبية التي يستخدمها وإليها نسب عمله. لسان العرب ١٠٤/٥.

يقول بقول الباطنية(١٣٢) لاسيما وأنه كان يكاتب ويراسل أبا سعيد الجنابي وأبا سعيد المغربي وهما من دعاة الباطنية في عصره(١٣٣). ثم قال المقنع بتناسخ الأرواح وأن الله – تعالى عما يقول علوا كبيرا – ظهر في صورة آدم، لهذا سجدت له الملائكة ثم حلت روحه في صورة نوح ثم في الأنبياء واحداً بعد الواحد ثم تحولت في أبي مسلم ثم تحولت فيه أي المقنع(١٣٤).

كان يعتقد أن أبا مسلم الخراساني أفضل من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وينكر قتل يحيى بن زيد ويدعي أنه سيقتل قاتليه(١٣٥). ادعى المقنع إحياء الموتى وعلم الغيب، فضل به خلائق شتى من أهل تلك البلاد من ضعاف العقول، فأباح لهم كافة المحرمات ونهاهم عن القول بتحريم شيء، وأسقط عنهم جميع الفروض والعبادات(١٣٦). حتى تمكن من إخراج سكان تلك البلاد عن دائرة الإسلام وقوى شأنه بهم ثم ادعى الربوبية والألوهية فنصب نفسه إلهاً لهم، فسجد أتباعه له من أي النواحي كانوا، ويقولون في الحروب: "يا أبا هاشم – أي المقنع – أعنا"(١٣٧). ومن أقواله في الحلول قوله لأتباعه: (إني إنما أتنقل في الصور لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها، فمن رآني فيها احترق بنوري)(١٣٨). كان يعرف كثير من أعمال السحر ويدعي الإتيان بالخوارق ومن ذلك أنه استخرج من الجبال العالية حول قلعته أشياء من أحجار أو معادن لامعة تضيء كضوء القمر، حتى أطلق

---

(١٣١) الأنساب للسمعاني ٥٩/٣، تاريخ الخلفاء العباسيين لابن السباعي ص٢٩.

(١٣٢) الباطنية: هم أصناف وفرق شتى، ويظهر علامتهم الإمامة ويدعون أن للقرآن تأويلا باطنا، ويرى المقدسي أن أول من بدأ ببذر بذرة الباطنية في الأرض كان خداش الذي زعم زورا أن تعاليمه الباطلة بأمر من الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأن هذا هو دينه وشريعته، ويقول البغدادي نقلا عن أصحاب المقالات: أن الذين أسسوا دعوة الباطنية هم جماعة: منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح الذي مات سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، وكان مولى لجعفر بن محمد بن الصادق وكان من الأهواز ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، حيث اجتمعوا كلهم مع ميمون في سجن والي العراق وهناك أسسوا مذاهب الباطنية، للمزيد انظر الفرق بين الفرق ص ٢٤٧، البدء والتاريخ ٦/٤، ٥١/٥، ٦١/٦.

(١٣٣) سياسة نامه ٢٨٣/١.

(١٣٤) البدء والتاريخ ٩٨/٦، الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥، العبر للذهبي ٢٤١/١، البداية والنهاية ١٤٦/١٠.

(١٣٥) الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥، تاريخ إبن خلدون ٢٦٠/٣.

(١٣٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦، البدء والتاريخ ٩٨/٦،الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥.

(١٣٧)الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥.

(١٣٨) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦ – ٢٢٧، وعن الكثير من أقواله في الحلول انظر: علي بن منصور بن الفارح ت سنة ٤٣١هـ - رسالة إبن الفارح – رسائل البلغاء – جمع ونشر كرد علي – طبعة دار الكتب سنة ١٩١٣م ص ١١٨، خلاصة الأثر ١٨٤/٢، سمط النجوم ٣٩١/٣.

عليه الناس قمر المقنع[١٣٩]. فكان أهل تلك النواحي يرون ذلك الشكل عند كل يوم في موعد ظهور القمر تماما[١٤٠].

إلى جانب أنه كان على دراية بعلوم السيمياء[١٤١] والنيرنجات[١٤٢]، حتى غلب على عقول أصحابه بتلك التمويهات[١٤٣] فضل به خلائق كثيرة فكانوا كأنهم الصم والبكم[١٤٤]، من أهل العقول الضعيفة والقلوب المريضة[١٤٥]. من أهالي تلك النواحي لاسيما من العوام وسفهاء الناس بها[١٤٦].

تحصن المقنع بقلعة سنام بقرية كش[١٤٧] فيما وراء النهر، وجمع بها الطعام والأعلاف وبعث دعاته لاستغواء الناس، فالتف حوله كثير من الخلائق الذين وصل عددهم قرابة الاثنين والثلاثين ألفا من المعظمين له المعتقدين فيه في غضون ثلاثة أعوام فأمدوه بالسلاح والمؤونة[١٤٨]، بل وصل الأمر بأتباعه بأن عبدوه بعد أن قال بألوهيته وربوبيته وإن لم يظهر ذلك إلى جميع أصحابه مع ما عاينوه من قبح صورته وعوره ولكنته وقصره، فكانوا يسجدون له من أي النواحي، ويستنصرون به في الحروب

---

(١٣٩) يعلق الشاعر أبو العلاء المعري علي قمر المقنع فيقول:

أفق إنما المقنع رأسه ... ضلال وغي مثل بدر المقن

بينما يقول فيه الشاعر إبن سناء الملك:

إليك فما بدر المقنع طالعا ... بأسحر من الحاظ بدر المعمم

انظر/ وفيات الأعيان ٢٦٤/٣، العبر في زمن من غبر ٣٤١/١، سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٧، الوافي بالوفيات ٨١/٣، مرآة الجنان ٣٥١/١، شذرات الذهب ٢٤٩/١، خلاصة الأثر ٣٨٤/٢، سمط النجوم ٣٩١/٣.

(١٤٠) سياسة نامه ٢٨٣/١، مآثر الإنافة ١٨٦/١، حسن الباشا – تاريخ الدولة العباسية ص٥٣، علي إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي ص ٣٦٨، إبراهيم العدوي – تاريخ العالم الإسلامي ص ٢١١، حسين عطوان – الدعوة العباسية ص ١٤٦.

(١٤١) يطلق هذا الاسم على ما هو غير الحقيقي من السحر وهو المشهور، وهو عبارة عن أحداث خيالية في الجو لا وجود لها في الحس، كأن يُركب الساحر أشياء معينة، أو كلمات بعينها توجب بعض التخيلات للحواس كبعض المأكول أو المشروب مثلا، ولا حقيقة له في الواقع، ولفظ سيما عبراني معرب أصله سيم به، ومعناه اسم الله، أبجد العلوم ٣٣٢/٢ – ٣٣٣..

(١٤٢) النيرنجات: هو علم من فروع السحر، يعتمد على الكتابة، فإن استحداث الحوادث إن كان بمجرد التأثير النفساني فهو السحر، وإن كان بالاستعانة بالخواص الطبيعية فنوعان: إن كان بالقراءة فهو علم الخواص، وإن كان بالكتابة فهو علم النيرنجات، كشف الظنون ١٥/١، أبجد العلوم ٦٦/١، ١٥/٢.

(١٤٣) شذرات الذهب ٢٤٨/١، خلاصة الأثر ٣٨٥/٢، سمط النجوم ٣٩٢/٣.

(١٤٤) سير أعلام النبلاء ٣٠٦/٧.

(١٤٥) البداية والنهاية ١٣٣/١٠.

(١٤٦) وفيات الأعيان ٢٦٤/٣، مرآة الجنان ٣٥١/١.

(١٤٧) كش: قرية من قرى أصبهان على ثلاثة فراسخ من جرجان، معجم البلدان ٢٦٠/٣، ٤٦٢/٤.

(١٤٨) البدء والتاريخ ٩٨/٦،الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥، البداية والنهاية ١٣٣/١٠.

فيقولون: "يا هاشم أعنا"[149]. وكان من أعوانه أيضا المبيضة[150] ببخارى، والصغد[151] وكفار الترك[152].

خرج المقنع في سنة ستين ومائة ٧٧٨م في خراسان يدعي الربوبية، ويطالب بدم أبي مسلم الخراساني وأثخن العسكر قتلا، وأغار على أموال المسلمين، وتوثب على بعض أعمال ما وراء النهر[153]، واستولى على بعض قصور سجستان، وتحصن في حصن عظيم وثيق بقلعة سنام كان عرض جدار الحصن مائة أجرة وأمام الجدار خندق كبير يصعب اختراقه[154]، وكان قد حصن الخندق لما علم بأن [الخليفة المهدي ١٥٨ – ١٦٩هـ/٧٧٥ – ٧٨٧م] جهز الجيوش لحربه الواحد تلو الاخر، كجيش الليث بن نصر سيار وأخيه محمد وابن أخيهما حسان بن تميم بن نصر بن يسار، وقد قتل الاخران في الحروب مع أتباع المقنع[155]. فأنفذ المهدي إليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيداً لقتال المبيضة، واستطاع جبريل وجيشه قتالهم وحصارهم في حصن بو مجكث ببخارى حتى استولى عليها عنوة وقتلوا منهم سبعمائة، ولحق فل المنهزمين بالمقنع، في حين لم يقنع جبريل بذلك، بل سارع الخطا في تتبعهم وحربهم[156].

وسارع المهدي بإرسال معاذ بن مسلم بن معاذ والي خراسان[157]، وضم إليه جبريل بن يحيى والليث مولى المهدي وجعل معاذ على مقدمته سعيداً الحرشي أمير

(١٤٩) الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥.

(١٥٠) المبيضة: طائفة من الشيعة اتخذوا من البياض شعارا لهم امعانا في مخالفة العباسيين في شعارهم السواد، فتسموا بالمبيضة، ومنهم جماعة ببخارى ويطلق عليهم اسم سبيد جامكان، الأنساب للسمعاني ١٨٩/٥. الا أننا نجد ابن منظور يقول (المبيضة بكسر الباء فرقة من الثنوية أصحاب المقنع سموا بذلك لتبيضهم ثيابهم خلافا للمسودة من أصحاب الدولة العباسية)، لسان العرب ١٢٨/٨. انظر ايضا عن المبيضة: محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي ت سنة ٣٨٧هـ - مفاتيح العلوم - طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢هـ ص ٢٠، (والثنوية يزعمون أن الإنسان مادام يحسن العمل فهو يعمل بروح اللاهوت، وإذا ساء عمله فهو يعمل بروح الشيطان. وان الخير من الله والشر من الشيطان والنفس. وكذبوا والله فهو من خالق غير الله) ابن دحية – النبراس في تاريخ ابن العباس ص ٣٥.

(١٥١) الصغد: اقليم يقع بالقرب من بخارى، وقاعدته سمرقند. والصغد من بلاد الترك، معجم البلدان ٣٥٣/١، مقدمة ابن خلدون ١٢/١: ٦٤.

(١٥٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧، الكامل في التاريخ ٢٣٠/٥: ٣٦١.

(١٥٣) المعرفة والتاريخ ٢٨/١، المنتظم ٣٤٧/٨، النجوم الزاهرة ٣٨/٢.

(١٥٤) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(١٥٥) البدء في التاريخ ٩٨/٦، البداية والنهاية ١٣٣/١٠، تاريخ ابن خلدون ٢٦٠/٣.

(١٥٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧، الكامل في التاريخ ٢٣/٥، تاريخ ابن خلدون ٢٦٠/٣.

(١٥٧) وليها في عهد المهدي سنة ١٦٠هـ لمدة ثلاث سنوات ثم عزل عنها سنة ١٦٣هـ تاريخ خليفة ٤٤١/١، تاريخ الطبري ٥٦٠/٤، المنتظم ٢٣٧/٨: ٢٦٤، الكامل في التاريخ ٣٥٥/٤.

هراة(١٥٨) على أن يأتي إلى معاذ من بلدة زم(١٥٩) عقبة بن مسلم بمن معه، فقابل معه بالطواويس(١٦٠)، وهناك استطاعوا أن يوقعوا ببعض أصحاب المقنع الهزيمة، فلحق المنهزمون بالمقنع في سنام وتخندقوا فيها معه، فتتبعهم معاذ لحربهم، فحاصرهم، وأثناء الحصار وقعت نفرة بين معاذ وقائد المقدمة سعيد الحرشي الذي كتب إلى المهدي أن يخصه دون معاذ بقتال المقنع وعليه أن يقضي على تمرده فأجابه المهدي إلى طلبه، فتنحى معاذ له عن القيادة دون أدنى حرج، بل إنه أمده بجيش من خراسان بقيادة ابنه وأرسل معه كل ما التمسه منه سعيد الحرشي(١٦١).

ومع كل ذلك وقف سعيد أمام ضخامة حصن المقنع، واتساع الخندق بفكر ثاقب وتخطيط عسكري وتنفيذ محكم، فاستدعى من مولتان(١٦٢) عشرة آلاف جلد جاموس، ثم حشاها بالرمل وكبس بها خندق المقنع ليستطيع الجيش العبور عليها إلى الحصن(١٦٣).

طال الحصار بالمقنع وأصحابه حتى تضايقوا جميعا واشتكوا من شدة الحصار وأحكامه حتى أرسل أصحابه سرًا إلى سعيد الحرشي يطلبون منه الأمان مقابل التسليم(١٦٤) فأجابهم إلى ذلك وكانوا ثلاثين ألفا تسللوا من الحصن إلى معسكر الحرشي ولم يتبق مع المقنع سوى ألفين اثنين وأهله(١٦٥).

أحس المقنع بفرار أنصاره من حوله، وأنه قد أشرف على معانقة الهلاك فشق عليه ذلك، وأخذ في تجميع أهله ونسائه حوله ثم سقاهم سماً مميتاً أتى عليهم جميعاً، ثم شرب هو منه فمات(١٦٦). وقيل إنه سم أهله ونساءه ثم أمر هو أن يحرق

---

(١٥٨) المنتظم ٢٤٧/٨، الكامل في التاريخ ٢٣٨/٥، محمد بن عبد الحميد الرفاعي – العصر العباسي الأول ص ١٢١ – ١٢٢، عصام عبد الرؤوف – الدولة العباسية ص ٤٠ – ٤٢، وهراة.

(١٥٩) زم: بليده على طريق نهر جيجون بين ترمذ وآمل، معجم البلدان ١٥١/٣.

(١٦٠) الطواويس: قرية من قرى بخارى، معجم البلدان ٣٥٣/١، تاريخ إبن خلدون ١٣/٥.

(١٦١) الكامل في التاريخ ٢٣٨/٥.

(١٦٢) مولتان: بلد بالهند على سمت غزنة وتسمى فرج بيت الذهب، وفيها صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بلدانها، ويتقرب إليه بمال كثير ينفق كل عام على بيت الصنم وعلى المعتكفين إليه، معجم البلدان ٥/ ٢٢٧.

(١٦٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(١٦٤) كان هؤلاء الذين طلبوا الأمان مقابل الاستسلام في الأصل من قبائل الغز، انتقلوا من نواحي الثغر من أقاصي بلاد الترك إلى ما وراء النهر في أيام المهدي وأسلموا، ولما كانوا حديثي عهد بإسلام أرسل إليهم المقنع مستنصرا بهم فأجابوه حتى تم أمره وتحصنوا معه، فلما اشتد بهم الحصار ضجروا فاستسلموا وخذلوه وأسلموه، وهذه عادتهم في كل دولة كانوا فيها، الكامل في التاريخ ٣٨٥/٩، تاريخ إبن خلدون ٨٢/٥.

(١٦٥) الكامل في التاريخ ٢٣٨/٥، تاريخ إبن خلدون ٢٦٠/٣، حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – ٨٩/٢، السيد عبد العزيز سالم- العصر العباسي الأول ص ٦٧.

(١٦٦) تاريخ خليفة بن خياط ٤٣٧/١، تاريخ الطبري ٥٦٦/٤، البدء والتاريخ ٦ ٩٧، المنتظم ٢٦٣/٨، الوافي بالوفيات ٥٦/١، العبر في زمن من غبر ٣٤٠/١، مرآة الجنان ٣٥٠/١، البداية والنهاية ١٤٦/١٠، النجوم الزاهرة ٤٥/٢، محمد السيد الوكيل – الدولة العباسية ص ١٤٦، حسين عطوان – الشعراء الصعاليك ص ٤٥.

بالنار(١٦٧). وقيل إنه أحرق نفسه معهم(١٦٨)، وقيل أيضا أنه أحرق كل ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال لأتباعه: "من أحب أن يرتفع معي إلى السماء فليلق نفسه معي في هذه النار، ثم ألقى بنفسه مع أهله ونساؤه وخواصه فاحترقوا"(١٦٩) ويفصل البغدادي طريقة الاحتراق، بأن المقنع أشعل تنورا بالحصن قد أذاب فيه النحاس مع القطرن حتى ألقى نفسه بعد أهله فيه فذابوا جميعًا(١٧٠).

دخل جيش سعيد الحرشي الحصن فوجدوه خاويا، مما دفع ببعض ممن تبقى من أنصار المقنع بأن يفتتن بموته كما افتتن بحياته، حيث كان قد قال لهم قبل هلاكه (أن روحه ستتحول إلى قلب رجل أشمط على برذون أشهب، وأنه سيعود إليهم بعد كذا من السنوات وسيملكهم الأرض، وما عليهم إلا أن ينتظرونه(١٧١). وأنه – ينتقل في الصور متخفيا فلا يراه أحد)(١٧٢). كل ذلك جعل أصحابه ممن تبقى منهم يفتتن به خاصة لما لم يجدوا له أثرا، فقالوا إنه قد صعد إلى السماء وهؤلاء يسمون المبيضة(١٧٣).

أتت الخليفة المهدي بشرى هلاك المقنع وهو بحلب سنة ١٦٣هـ/٧٨١م، فشجعه ذلك على أن يرسل المحتسب ويدعى عبد الجبار للبحث عن الزنادقة بنواحي حلب، ففتش عنهم عبد الجبار واستخرجهم من تلك النواحي، وجمعهم وأرسل بهم إلى المهدي بدابق(١٧٤)، فقتل منهم جماعة وصلب جماعة، ثم أتى بكتب لهم فمزقت بالسكاكين(١٧٥).

وبمقتل المقنع وهلاكه انتهت فتنة عظيمة، دامت أربع عشرة سنة، وكانت أول فتنة في عهد المنصور(١٧٦)، حتى كان هلاكه سنة ١٦٣هـ/٧٨١م في عهد ابنه المهدي، بعد أن كادت الخلافة العباسية تفقد بسببها حدودها الشرقية في بلاد ما وراء النهر(١٧٧).

---

(١٦٧) الكامل في التاريخ ٢٣٨/٥.

(١٦٨) تاريخ ابن خلدون ٢٦٠/٣.

(١٦٩) البدء والتاريخ ٩٨/٦، الكامل في التاريخ ٢٣٨/٥، البداية والنهاية ١٤٥/١٠.

(١٧٠) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(١٧١) البدء والتاريخ ٩٨/٦.

(١٧٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

(١٧٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(١٧٤) دابق: قرية من قرى حلب بينهما أربعة فراسخ، معجم ما استعجم ٥٣١/٢، معجم البلدان ٤١٦/٢.

(١٧٥) تاريخ الطبري ٤١٦/٢.

(١٧٦) تاريخ الطبري ٣٠/٥.

(١٧٧) العصر العباسي الأول – عبد المنعم ماجد ١٧٤/١.

تمرد بابك[١٧٨] الخرمي[١٧٩] بأذربيجان[١٨٠] سنة ٢٠٠ ـ ٢٠١هـ/٨١٨ ـ ٨١٩م

(١٧٨) بابك الخرمي: حملت به أمه وتسمى رومية العلجة، سفاحا من رجل نبطي من أهل المدائن كان يعمل دهانا يسمى مطران، ويقال عبد الله بن منبه، رحل إلى أذربيجان يبيع الدهن على ظهره فهوى امرأة عوراء فكان يفجر بها في غيضة بالقرب من القرية التي يسكنها (بلال أباذ)، وذات مرة خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين في تلك الغيضة فسمعن صوتا نبطيا يترنم ـ حيث كان هذا الرجل من الأنباط وهم قوم كانوا ينزلون بين البصرة والكوفة - فهجمن عليه فهرب الرجل وأمسكن بالمرأة وفضحنها، ثم تقدم ذلك الرجل الى والد المرأة فخطبها منه فولدت له بابكا ويقول ابن خلدون إنه كان لبابك إخوة غيره منهم عبد الله ومعاوية ولم يذكر أكانوا أشقاء ام غير أشقاء، حيث يذكر ابن النديم: أن والد بابك مات بعد مولده مقتولا في بعض سفراته، فعملت امه مرضعة للقوم بالأجر حتى بلغ بابك سن العاشرة فاشتغل عن القوم في جبال البذ بسياسة الدواب، حتى سن الثامنة عشرة، وكان بجبال البذ رجلان من الخرمية متنافسان متحاربان على تملك الرياسة على تلك النواحي يسمى أحدهما: جاويدان ابن سهل أو إبن سهرك، والأخر غلبت عليه الكنية فعرف بأبي عمران، وكان بابك تلميذا عند جاويدان استأثر به وتبناه، ثم استطاع أبو عمران قتل جاويدان، فأمّرته امرأة جاويدان على جماعته لأنها كانت ـ حسب ما تشير المصادر ـ تتعشقه وكان يفجر بها في حياة جاويدان، وأعلنت للقوم أن جاويدان امرها بان تنصب بابك عليهم وأن روحه ستحل فيه، وأنه سيملك الأرض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية، وكان أول أمر أصدره بابك لاتباعه أن يخرجون في جوف الليل فيقتلون من يقع تحت أيديهم من رجال ونساء وشباب وشيبة، فقتلوا الألاف فلما أصبح النهار فزع الناس لما رأوا من كثرة القتل والهرج ولم يعلموا من فعل بهم هذا فهرب أكثرهم من تلك النواحي نجاة بأرواحهم وأولادهم وأموالهم، وانضم إلى بابك بعد ذلك الذعار وقطاع الطرق وأرباب الزيغ من الباطنية والخرمية، فكثر جمعه وأغار على المدن والقرى وحرق وقتل واستباح المحظورات، الفهرست ٤٨١/١، المنتظم لابن الجوزي ٥١/١١، النهاية في غريب الأثر ٧/٥، لسان العرب ٤١٢/٧، مختار الصحاح ٢٦٨/١، سير أعلام النبلاء ١٠, ١٩٦، الوافي بالوفيات ٢٩٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣٢/٣.

(١٧٩) الخرمي: بضم الخاء وفتح الراء المشددة، وقد سمي بذلك لأنه دعا الناس إلى مقالة الخرمية، وهو لفظ أعجمي يدل على أكثر من معنى من ذلك: أنه يطلق على من يعتقدون إباحة كل شيء محرم من مأكل ومشرب ومنكح وملبس فلا تكليف عندهم بل يتبعون كل ما يشتهونه من المحرمات. ويطلق على أصحاب التناسخ والإباحة، وقيل لفظ فارسي معناه السرور. ويطلق هذا اللقب على المزدكية أيضا وهم أهل الإباحة من المجوس أتباع مزدك حيث كان بابك من أتباع مزدك. والخرمية أيضا طائفة من الباطنية يقال لهم الخرمدينية أي الذين يدينون بما يريدون ويشتهون، مثلهم مثل المزدكية فيطلق عليهم خرمدينية، ويطلق على بابك وأتباعه البابكية الخرمدينية، ويرى إبن عساكر أن خداش اظهر بخراسان دين الخرمية فأباح المحارم ودعا إليه، حيث كان خداس نصرانيا بالكوفة فأسلم ولحق بخراسان وحدث له ما حدث فقال فيه الشاعر:

تفرقت الظباء عن خداس ... فما يدري خداش ما يصمي

وكان الخليفة المنصور يتمثل هذا البيت عندما يسمع من المخبرين له نبأ تمرد متمرد. وخرمة أيضا هي زوجة مزدك، وخرمة أيضا موضع من أرض فارس، ينسب إليه أتباع بابك، وخرمة رستاق في أردبيل، الفرق بين الفرق ص ٢٣٣، معجم ما استعجم ٤٩٣/٢، الأنساب للسمعاني ٣٥٢/٢، ٢١٨/٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٨٩/١٠، ٥٦/ ٥١٨، إبن الجوزي ت ٥٩٧هـ - تلبيس ابليس ـ دار عمر بن الخطاب ـ الإسكندرية (د. ت) ص ١٠٥. معجم البلدان ٣٦٢/٢، لسان العرب ١٧٢/١٢، مختار الصحاح ٧٣/١، الوافي بالوفيات ٤١/١٠، مرآة الجنان ٣/٤، شذرات الذهب ٤٤/٢.

(١٨٠) أذربيجان وقزوين وزنجان كور تلي الجبل من بلاد العراق، وتلي كور أرمينية من جهة الغرب، وأذربيجان تتكون من مقطعين الأول: أذر ومعناه: خازن أو بيت. والثاني بيجان ومعناه النار. أي خازن النار أو بيت النار، حيث أن بيوت النار كانت منتشرة في تلك البلاد لتعبد. وقصبة أذربيجان هي أردبيل، وقد فتحت سنة عشرين هجرية على يد المغيرة بن شعبة، وقيل حذيفة بن اليمان في عهد عمر بن الخطاب عنوة ثم صلحا، أحسن التقاسيم ٢٥٦/١، معجم ما استعجم ١٢٩/١، معجم البلدان ١٢٨/١ ـ ١٢٩.

إن الدين دعامة من أقوى وأصلب الدعامات التي يقوم عليها المجتمع – أيا كان – فإذا ما دب إليه الفساد، ونخر فيه سوس الانحلال شاعت في ذلك المجتمع الفوضى، وعمه الانقسام، وانفصمت عرى وحدته، وذهبت ريحه، وهان على أعدائه[١٨١] وهذه حقيقة تاريخية ثابتة ومجربة أدركها نفرا من المجوس الذين كانوا يرون أنفسهم أنهم هم الأحرار أو الأبناء أو الناس وغيرهم العبيد، فلما زالت دولتهم على أيد المسلمين تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم نار العصبية، وراحوا يكيدون للإسلام بالفكر والمكر والخداع تارة كما يقول السمعاني: إن نفرا من المجوس – في ابتداء دعوتهم – يقال لهم (الجهار بختيارية) اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك الذي غلب عليه المسلمون فقالوا: لا سبيل لنا إلى دفعهم عن هذا الملك بالسيف، لكثرتهم وقوتهم – ولكن نحتال عليهم بتأويل شرائعهم على وجوه يعود أمرها إلى موافقة أديان أسلافنا - المجوس[١٨٢].

وتارة أخرى صدعوا بعداوتهم للإسلام وشهروا سيف التمرد والعصيان في وجه المسلمين – كما مر بنا -[١٨٣] وتمرد بابك الخرمي وعصيانه ما هو إلا حلقة من حلقات تمرد الخرمية والباطنية على دولة الإسلام، فأصل مذهبهم واحد، في موضوعه وفي فساده وفي موقعه من الإسلام، فكلما خرجت الخرمية متمردة على المسلمين كان الباطنية ينضمون إليهم ويشدُّون من أزرهم، وكلما تمردت الباطنية انضمت إليها الخرمية تمدها بالمال والرجال والسلاح[١٨٤]، ففي خلافة [المهدي ١٥٨ – ١٦٩هـ/٧٧٥ – ٧٨٧م] خرجت عليه -باطنية جرجان[١٨٥] وهم المحمرة أو أصحاب الرايات الحمر[١٨٦]، واتحدوا مع الخرمية سنة ١٦٢هـ/٧٨٠م- زاعمين أن أبا مسلم الخراساني حي وسيخلصون هم الملك له ويعيدونه إليه ثانية، بل ونصبوا حفيداً لأبي مسلم يسمى إبن أبي العز عليهم ومضوا إلى الري فأحلوا المحرمات كلها

(١٨١) زاهية قدورة – الشعوبية – ص ١٨.

(١٨٢) الأنساب للسمعاني ٢١٨/٥.

(١٨٣) مثل تمرد: بها افريد وسنباذ والراوندية، وإسحاق الترك في بلاد ما وراء النهر عقب مقتل أبي مسلم بن سنة ١٣٧ هـ و سنة ١٤٠هـ، وأستاذ سيس والمقنع الخراساني، ثم بابك.

(١٨٤) سياسة نامه ٢٨٥/١.

(١٨٥) جرجان/ بضم الجيم، مدينة عظيمة تقع بين طبرستان وخراسان، يغلب عليها الجبال وكثرة القلاع التي تصل إلى سبعمائة قلعة، وهي تشبه من البلدان رملة فلسطين في كثرة فواكهها وبساتينها، وسميت بهذا الاسم لأن أول من نزلها كان جرجان بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، فسميت باسمه، أحسن التقاسيم ٢٤٢/١، معجم ما استعجم ٣٧٥/١، نزهة المشتاق ٦٨٨/٢، معجم البلدان ١١٩/٢.

(١٨٦) المحمرة: قيل سموا بذلك لأنهم كانوا يلبسون الحمر من الثياب، وقيل لأنهم كانوا يطلقون على المسلمين أنهم حمر، والتأول الأول هو الصحيح، والمحمرة هم بابكية في المعتقد والسلوك، انظر الأنساب للسمعاني ٢٤٣/١..

وأباحوا نساءهم فيما بينهم، فكتب المهدي إلى والي طبرستان عمر بن العلاء(١٨٧) يأمره بحربهم فشتتهم وفرق شملهم(١٨٨) وخرجت الخرمية في عهد الخليفة [هارون الرشيد ١٧٠ – ١٩٣هـ/٨١١م] بنواحي أصبهان، وكان الرشيد عندها بخراسان سنة ١٩٢هـ/ ٨١٠م، والتحق بالخرمية أعداد غفيرة من أهالي تلك البلاد حتى زادوا على مائة ألف، فندب الرشيد لحربهم عبد الله بن مالك(١٨٩) في عشرين ألفا من خراسان فخافته الخرمية وعاد كل قوم منهم إلى مكانه، ثم تكاتبوا مرة أخرى وجمعوا الجموع وخرجوا وأفسدوا فأمر الرشيد أبا دلف العجلي(١٩٠) بحربهم على أن يعاونه عبد الله إبن مالك، فهاجموا الخرمية بغتة، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وحملت نساؤهم وأولادهم إلى بغداد فبايعوا هناك(١٩١).

بعد تسع سنوات خرجت الخرمية معلنة التمرد والعصيان على الخليفة [المأمون ١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٦ – ٨٣٦م] بزعامة بابك الخرمي سنة ٢٠٥ – ٢٠٨هـ/ ٨٢٣ - ٨٢٦م. وكان خروجه أبرز نتائج اغتيال أبي مسلم الخراساني الذي أمسى في عيون أتباعه بطلا شعبيا نسجت حوله الأساطير، وصورت الروايات الفارسية أبا مسلم على أنه المنقذ لهم مما هم فيه(١٩٢). ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوا من نسل أبي مسلم نفس الأمر، فباتوا ينسبون زعماءهم من بعده إليه، فنسبوا بابك إلى (مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني)(١٩٣).

وقد حمل بابك عقيدة الخرمية كرسالة عليه أن يؤديها بكل الوسائل المتاحة لديه، ولو كانت الوسيلة هي التمرد والعصيان على سلطان الخلافة الإسلامية، فلقد أعلن بابك

---

(١٨٧) كان عمرو بن العلاء من موالي عمرو بن حريث المخزومي – وكان جوادا شجاعا، كان المهدي قد أرسله لقتال المحمرة لما خرجوا بخراسان بزعامة رجل منهم يسمى عبد الوهاب الذي غلب على خراسان ونواحيها وقتل من أهلها الكثير، فتصدى له عمرو بن العلاء وفض جموعه، فقال فيه بشار الشاعر:

إذا أرقتك حسام الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم
دعاني إلى عمرو جوده ... وقول العشيرة بحر خضم
ولولا الذي زعموا لم أكن ... لأمدح ريحانة قبل أن أشم

المعارف ٢٩٢/١، البدء والتاريخ ٩٨/٦.

(١٨٨) سياسة نامه ٢٨٦/١.

(١٨٩) هو عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي، ولاه الرشيد طبرستان والري وهمدان وغيرها سنة ١٨٩هـ المنتظم ١٦٢/٩.

(١٩٠) هو الأمير أبو دلف عيسى بن إدريس بن معقل بن عمر بن شيخ بن دلف بن جشم بن قيس بن سعيد بن عجل التميمي، أحد قادة الرشيد والمأمون والمعتصم مات سنة ٢٢٥هـ. البداية والنهاية ٢٩٣/١٠ - ٢٩٤.

(١٩١) سياسة نامه ٢٨٧/١، المنتظم ١٩٧/٩.

(١٩٢) فاروق عمر – التحدي الفارسي – دار الشئون الثقافية ط١ سنة ١٩٨٧م ص ٨٠، حسن مجيب المصري – صلات بين العرب والفرس والترك – دراسة تاريخية أدبية – الدار الثقافية للنشر ط ١ سنة ٢٠٠١م ص ٦٩.

(١٩٣) الدينوري – الأخبار الطوال ص ٤٠٢.

هدفه من التمرد (وهو إحياء دين المجوس بتلك المناطق التي خرج فيها[١٩٤]، ثم أعلن عن عقيدته التي يؤمن بها ودعا الناس إليها، ومن ذلك: -زعم أن روح جاويذان[١٩٥] بن سهل أو سهرك قد حلت فيه[١٩٦]، حيث أنهم يعتقدون بتناسخ الأرواح، وأنها تنتقل من جوف إلى جوف غيره[١٩٧].

- اشتط بابك في كفره حتى أنه كان يقول لمن استغواهم من الأنصار والأتباع أنه إله من دون الله[١٩٨].

- كان بابك يستحل نكاح المحارم من البنات والأخوات والأمهات وغيرهن من المحارم[١٩٩]، وزعموا أن الناس شركاء في النساء[٢٠٠] والأموال[٢٠١]. ولم يكتفوا بذلك بل كان بابك إذا علم عند أحد بنتاً جميلة طلبها فأتته وإلا بيَّت أهلها وأخذت من بينهم عنوة[٢٠٢]. وقد لخص المقدسي عقائد الخرمية في أنهم: أصناف كثيرة إلا أنه يجمعهم أموراً منها:

أن الرسل مع اختلاف شرائعهم يحملون روحًا واحدة، وأن الوحي لم ينقطع بموت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ويجمعهم تعظيم أبي مسلم وذريته ولعن المنصور قاتله، لذلك يكثرون من الصلاة على نسل أولاد فاطمة ابنته خاصة ابنها (مهدي بن فيروز)، وأن لهم أئمة يرجع إليهم في الأحكام، ورسلاً يدورون بينهم يطلقون عليهم (فريشتكان)[٢٠٣]. كما أنهم يتبركون بالخمور والأشربة، وأن أصل

---

(١٩٤) العبر في زمن من غبر ٣٨٤/١.

(١٩٥) تفسير جاويذان عند الخرمية يعني: الدائم الباقي، الكامل في التاريخ ٥ ٢٣٢، تاريخ ابن خلدون ٣ /٣٢٠.

(١٩٦) تاريخ الطبري ١٣٩/٥، البدء والتاريخ ١١٢/٦، المنتظم ١٠٠/١٠، الكامل في التاريخ ٤٣٢/٥، النجوم الزاهرة ١٦٩/٢.

(١٩٧) بيبرس المنصور الداودي في سنة ٧٢٥هـ - ١٣٢٥م – زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة – مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨، ص ٩٣، النجوم الزاهرة ٦٩/٢.

(١٩٨) الفهرست لابن النديم – ١/ ٤٨٠.

(١٩٩) قال الله تعالى في سورة النساء ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الآية: ٢٣].

(٢٠٠) تفسر الخرمية لفظ (الخرم) بالفرج، ولذلك يسمون دين الخرمية بدين الفرج لأن الخرمي ينكح أمه وأخته وابنته وغيرهن من المحارم التي حرمها الله تعالى، الكامل في التاريخ ٤٣٣/٥، تاريخ ابن خلدون ٣٣٠/٣، النجوم الزاهرة ١٦٩/٢.

(٢٠١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣.

(٢٠٢) المنتظم ٥٢/١١.

(٢٠٣) تعني عندهم الملائكة، زاهية قدورة – الشعوبية. ص ١١٢.

دينهم أصلان النور والظلمة[٢٠٤]. وما لخصه لنا المقدسي نجده مطابقاً تماما لما عليه فرقة الثنوية أتباع ماني ومزدك[٢٠٥].

بعد أن نشر بابك مبادئه بين أتباعه واكتسب الصحب والأنصار، بدأ في تنفيذ مشروعة المجوسي الخرمي على الأرض ليعلن تمرده وعصيانه على الخليفة المأمون.

وقد تضافرت جملة من العوامل ساعدت بابك على أن يعلن تمرده وعصيانه منها:

-أن دعوة بابك لقيت رواجا واسعا وانتشارا سريعا بين الفرس في تلك المناطق، والذين كانوا ينتظرون ظهور زعيم منهم، ينصر دينهم القديم، ويسترد ملكهم المسلوب من قبضة المسلمين[٢٠٦]، ويشير الدكتور حسن إبراهيم إلى أنه من مبادئ الخرمية الأساسية كانت تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس وهم بذلك قد أثاروا حربا شعواء على الإسلام والعرب[٢٠٧]. ولذلك نجد بابك قد عاث وأفسد في البلاد وأهلك العباد نيفا وعشرين سنة، أراد فيها أن يقيم ملة المجوس في تلك المناطق التي نبغ فيها[٢٠٨]، لتحقيق الغاية التي نذر نفسه من أجلها، وأوقف كل ما يملك في سبيلها، حتى كان يضرب بفرط شجاعته الأمثال، مع ما هو عليه من عقيدة باطلة وشريعة فاسدة ومفسدة[٢٠٩].

كما أن بابك قد استغل الوضع السياسي العام في دار الخلافة، والذي كان يغلي بالفتن والدسائس جراء الفتنة التي اشتعل أوراها بين الأمين والمأمون سنة

---

(٢٠٤) البدء والتاريخ ٤/٣٠ - ٣١.

(٢٠٥) الثنوية: زعموا أن النور والظلمة أزليان قديمان متساويان في القدم وإن اختلفا في الجوهر والطبع والخير والمكان والأجناس وغير ذلك. بخلاف قول المجوس بالظلمة فقط وقالت الثنوية بقدم الأفلاك والنجوم السبعة المديرة للكون، ولعنوا السلف وادعوا الربوبية. ومن فرق الثنوية: المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى بن مريم - -عليه السلام- - وكان ماني قد أحدث دينا يجمع بين المجوسية والنصرانية، يقول فيه بنبوة عيسى ويكذب بموسى - -عليه السلام- - ومن فرق الثنوية أيضا: المزدكية، أصحاب مزدك الذي ظهر أيام قباذ والدأنوشروان، ودعا مزدك قباذ إلى مذهبه الذي دعا فيه إلى أن الناس شركاء في النساء والمال كاشتراكهم في الماء والهواء، لأن القتل والشر يقع بين الناس بسبب النساء والمال فأصلهما للجميع، وقد أجابه قباذ إلى مذهبه، إلا أن أنوشروان عرف حقيقة مزدك وخزيه وافترانه فطلبه حتى أتى به ثم قتله، الشهرستاني الملل والنحل ١/٢٤٤، ٢٤٩، البدء والتاريخ ٤/٢٤، السمعاني - الأنساب ١/٢٤٣، ٥/٢٨٤، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٣٥، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٦، ١٥/٢٨٤، الوافي بالوفيات ١٠/٤١، النجوم الزاهرة ٤/٢٣٠، سمط النجوم العوالي ٣/٥٦١.

(٢٠٦) زاهية قدورة - الشعوبية ص ١١٣.

(٢٠٧) حسن إبراهيم تاريخ الإسلام ص ٦٧، ٩١.

(٢٠٨) العبر في زمن من غبر ١ ٣٨٤.

(٢٠٩) سير أعلام النبلاء ١٣ ٤٦٩.

١٩٤هـ/٨١٢م، والتي كان وراءها الفضل بن الربيع[٢١٠] وزير الأمين الذي أشار عليه بخلع المأمون من ولاية العهد، وتولية موسى بن الأمين[٢١١]- بدلا منه، فحلت الوحشة والعداوة بين الأخرين، انتهت بمقتل الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٦[٢١٢].

وكانت الخلافة في بدء حكم المأمون تغلي بالفتن والمؤامرات، لاسيما وأن الجيش كان خائر القوى نتيجة للإزهاق الذي عاناه في الحرب بين الأمين والمأمون.

قد جاء حاتم بن هرثمة بن أعين[٢١٣]، والياً علي أرمينية من لدن الخليفة المأمون، ليشعل أول شرارة نار في شعلة بابك ليعلن عن مشروعه الخرمي متمردا وعاصيا على سلطان

---

(٢١٠) هو أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروه كيساني مولى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- كان من خيرة رجال دهره رأيا وحزما ودهاء ورياسة ومن أفضل رجال العالم حشمة وسؤددا، يضرب به البريهي في تاريخه المثل فيقول (ولفلان في المحاورة والحجج الدامعة ما يعجز عنها الفضل بن الربيع)، كان وزيرا للرشيد وللأمين وأبوه وزيرا للمنصور والرشيد الذي تمكن منه حتى كانت زوال سلطان البرامكة على يديه، حيث كان بينه وبينهم حسدا وإحن وشحناء، مع أنه كان يروم التشبه بهم ويتشبهون هم به أيضا، ولكن الفضل لم يستطع اللحاق بهم، لأنه لم تكن لديه القدرة على أن يلحق بهم مع ما اوتيه من قدرات وإمكانيات وسلطات، وأخوه يعقوب بن الربيع، كان حاجبا أيضا للمنصور، وكان أحد الأدباء الشعراء، حسن الافتنان في العلوم، ولكنه في أخلاقه عكس الفضل فكان ماجنا خليعا. وقد مات الفضل وهو إبن ثمان وستون سنة وذلك سنة مائتين وثمانية هجرية، مولد العلماء ووفياتهم ٤٦٨/٢، تاريخ بغداد ٣٤٣/١٢، ٢٦٧/١٤، المنتظم ١٨٥/١٠، معجم الأدباء ١٣٦/٢ وفيات الأعيان ٣٧/٤ - ٤٠، سير أعلام النبلاء ١٠٩/١٠، البداية والنهاية ٣٦٣/١٠، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٠/٢، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السككي اليمني ت سنة ٩٠٤هـ - طبقات صلحاء اليمن (تاريخ البريهي)- مكتبة الإرشاد - صنعاء - طبعة سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م - تحقيق: عبد الله محمد الحبشي ٢٨٠/١.

(٢١١) يشير إبن شاكر الكتبي في تراجمه أن الرشيد كان يستشرف بفراسته ما قد يقع بين ولديه الأمين والمأمون، ولذلك توجه الى الأمين بالنصيحة يقول:

محمد لا تبغضن أخاك فإنه ... يعود عليك البغي إن كنت باغيا
فلا تعجلن فالدهر فيه كفاية ... إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا

الوافي بالوفيات ٩٣/٥، فوات الوفيات ٤٤٣/٢.

(٢١٢) عن هذه الفتنة انظر: تاريخ خليفة ٤٦٦/١، تاريخ الطبري ٣٢/٥، المنتظم ٣/١٠، الكامل في التاريخ ٣٥٨/٥، ٣٦٣، وفيات الأعيان ٣٩/٤، العبر في زمن من غبر ٣١٣/١، سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٣، البداية والنهاية ٢٣٥/١٠، تاريخ إبن خلدون ٢٩١/٣، شذرات الذهب ٣٤٠/١.

(٢١٣) هو حاتم بن هرثمة بن أعين الهاشمي - وقيل مولى بني ضبة - كان أبوه هرثمة موطن ثقة الرشيد فولاه مصر سنة ١٧٨هـ وظل محمود السيرة عند الخلفاء حتى غضب عليه المأمون وحبسه ومات في محبسه سنة ٢٠٠ - ٢٠١هـ وكان حاتم موضع ثقة الأمين الذي ولاه مصر سنة ١٩٤هـ ثم ولاه المأمون أرمينية سنة ٢٠٠ - ٢٠١هـ وذلك لما كان يتمتع به من حسن السيرة وموطن للثقة عند الخلفاء فكان حاتم ممن لا يعرف إلا بالطاعة ولا يدين إلا بها. حتى سنة ٢٠١هـ انقلبت حاله تماما فمات على العصيان. تاريخ خليفة ٤٧١/١، تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢، ٤٦٣، تاريخ الطبري ٢٩/٥، المنتظم ٢٢٢/٩، وفيات الأعيان ٦٨/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٨٣/٤، مآثر الإنافة ٢٠٦/١. (ونشير هنا ان حاتم هذا هو غير حاتم بن هرثمة بن نصر الجبلي، الذي تولى والده هرثمة إمرة مصر في عهد المتوكل سنة ٢٣٣هـ ثم تولاها حاتم ابنه من بعده سنة ٢٣٤هـ) النجوم الزاهرة ٢٦٩/٢ - ٢٧٠، ٢٧٤.

المسلمين، فلم يلبث حاتم واليا على أرمينية سنة ٢٠٠ ـ ٢٠١هـ/٨١٨ ـ ٨١٩م، حتى أن أتاه نبأ موت أبيه في محبسه سرا، بسبب مشادة حادة بين هرثمة وبين الفضل بن سهل(٢١٤) وزير المأمون في حضرته، ثم طلب المأمون هرثمة بن أعين بعد ذلك، ليتبين منه بعض التهم التي يلصقها به خصومه(٢١٥)، فيتحقق منها وفي النهاية أغلظ له المأمون القول، ثم أمر بحبسه الذي مات فيه بعد أيام، فلُف في خيش ودفن في خندق كان لأهل السجن بمرو(٢١٦).

سرعان ما تيقن حاتم من موت أبيه، حتى استبق بابك إلى التمرد والعصيان، فخرج على المأمون وخلعه، وبدأ في استغلال مناخ العصيان في المنطقة، فبدلا من أن يصلح من هذا المناخ كوالٍ للمسلمين أرسلوه لهذه المهمة، نجده يتحالف مع المتمردين الزنادقة وغيرهم على حرب المسلمين، فقد كاتب أهل أرمينية وبطارقتهم وأحرارهم وملوكهم، وكاتب بابك الخرمي، ودعا الجميع إلى التمرد والعصيان، وهوَّن لهم من قوة المسلمين، وقلل من شأنهم، وضعَّف من أمرهم عندهم، واقتنص بابك هذه الفرصة السانحة ليسرع في خروجه، في حين لم يمهل القدر حاتم بن هرثمة على تنفيذ مخططه في لبث أن فاجأه الموت بغتة، بعد أن زين لأعداء الدين الخروج على سلطان المسلمين(٢١٧).

كل هذه العوامل وغيرها ساعدت بابك على العصيان على المأمون فخرج عليه نهاية سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م وبداية ٢٠١هـ/٨١٨م في مدينة البذ(٢١٨) بأذربيجان، ودعا الناس إلى مبادئه التي

---

(٢١٤) هو الفضل بن سهل بن زادان بن فروخ السرخسي، أبو العباس، كان من أولاد المجوس وأسلم والده سهل زمن الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي، واتصل ولداه الفضل والحسن بابني يحي الفضل وجعفر وغلب الفضل بن سهل على المأمون لصفات جميلة كان يتمتع بها ولقدراته الفذة ومنها اختراعه القلم الرياسي بفروعه، وقد لقبه المأمون بذي الرياستين لتدبيره أمر السيف والقلم، قتله بعض أعضائه من مسلمة المجوس في حمام بسرخس سنة ٢٠٢هـ فأخذهم المأمون به، المنتظم ١١٠/١٠، وفيات الأعيان ٤١/٤، سير أعلام النبلاء ٩٩/١٠، العبر في زمن من غبر ٣٣٨/١، البداية والنهاية ٢٤٩/١٠، كشف الظنون ٧١١/١، أبجد العلوم ٢٦٩/٢.

(٢١٥) من هذه التهم: رفضه أمر المأمون بولاية الشام، وممالأته لأهل الكوفة والعلويين، وأنه هو الذي دفع أبا السرايا الى التمرد وغيرها، تاريخ الطبري ١٣١/٥، المنتظم ٨٥/١٠، الكامل في التاريخ ٢٢٤/٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٠، تاريخ ابن خلدون ٢١٢/٣.

(٢١٦) المعارف ٣٨٩/١، مولد العلماء ووفياتهم ٤٥٠/٢، المنتظم ٨٦/١٠، العبر في زمن من غبر ٣٣٢/١، شذرات الذهب ٣٥٨/١.

(٢١٧) المعارف ٣٨٩/١، تاريخ اليعقوبي ٤٦٢/٢، طـ ث. بندلي جوزي من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام – مطبعة بيت المقدس طبعة سنة ١٩٢٦ ـ ص ٦٦.

(٢١٨) البذ: بفتح الباء وتشديد الذال: كورة من كور أذربيجان تقع على نهر الرس في جبال القوقاز، وتذكر كتب الرحالة أنه كان على هذا النهر مئات المدن التي بعث الله إليهم نبي لهم يسمى موسى وهو غير موسى بن عمران عليه السلام، فكذبوه، فأطبق عليهم جبلين هما الحارث والحويرث فهم تحته للآن، وهذا تصديق لقول الله تعالى في سورة ق {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ} الآية [١٢]، والبذ بلدة لم تكن مشهورة قبل تمرد بابك، ولكنها أخذت شهرتها من بابك ولذلك قرنت باسمه حينا فسميت (بذبابك) وباسم الخرمية حينا آخر فسميت (بذ الخرمية) وكان أهلها قبل بابك يؤمنون بأن مهديا منتظرا سيخرج من البذ، فاستغل بابك هذا الاعتقاد واستثمره لصالحه. أحسن التقاسيم ١ ٣٥٨، معجم ما استعجم ٢٣٥/١، نزهة المشتاق ٢ ٨٣٠، معجم البلدان ١ ٣٦١، ٢ ٤٠٥، ٣ ٤٤، ٢٩٧، ٤ ٤٧٥، عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الأول ١ ٤٠٢.

تبيح كل شيء بين الناس فلا ملكية لحائز ولا حرمة لأحد، وكان يستميل الناس بذلك، وبتوزيع كل ما يستولي عليه من أراض عليهم[٢١٩].

تمرد بابك في خلافة المأمون سنة ٢٠٠ – ٢٠١هـ/٨١٨ – ٨١٩م حتى سنة ٢١٨هـ/٨٣٦م.

ارتاع المأمون لنبأ خروج بابك، لفرط بغيه وإفساد في الأرض وإهلاكه للحرث والنسل، فأسرع بإرسال جيش بقيادة يحيى بن معاذ[٢٢٠] سنة ٢٠١هـ لردع بابك والحد من بغية وإفساده وواقع يحيى بابك في مواقع كثيرة، خلال الفترة من ٢٠١ – ٢٠٤هـ ولكن لم يظفر أحدهما بالاخر، إلا أن بابك استطاع أسر بعض أمراء جيش يحيى بن معاذ[٢٢١].

أرسل الخليفة المأمون جيشا ثانيًا بقيادة القائد المحارب عيسى بن محمد بن أبي خالد[٢٢٢] وولاه أرمينية وأذربيجان سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م وأمره أن يجهز الجيش من ماله الخاص، وكان جل الجيش من الجند الحربية[٢٢٣]، ولما وصل عيسى تلك البلاد جمع رؤساءها واحتشدوا لقتال بابك، وواقعة بابك عند مضيق ضيق فهزمه، فمر عيسى موليا لا يقف على شيء حتى صاح به بعض شطار[٢٢٤] الحربية إلى أين يا أبا موسى؟ قال:

---

(٢١٩) عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الأول ٤٠٢/١.

(٢٢٠) هو الأمير يحيى بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل أرمينية، قائد جيوش الرشيد، وقد عقد له الرشيد على الشام سنة ١٩١هـ، ثم ولاه المأمون الجزيرة وأمره بحرب بابك ثم عزل عنها وتولاها سنة ٢٠٥هـ بدلا من طاهر ابن الحسين، فأقام بالرقة ومات بها سنة ٢٠٦هـ. ويحيى الأمير هذا غير ثلاث عباد حملوا نفس الاسم وهم: يحيى إبن معاذ بن مسلم النيسابوري ويحيى بن معاذ بن جعفر الرازي وأبو زكريا الواعظ ويحيى بن معاذ بن الحارث التستري، تاريخ اليعقوبي ٤٥٥/٢، ٤٦٢، تاريخ الطبري ١٥٣/٥، طبقات الصوفية ١ ٧٩، المنتظم ١٤٩/١٠، تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٦١/١، الكامل في التاريخ ٤٥٧/٥، تاريخ إبن خلدون ٣١٥/٣، النجوم الزاهرة ١٣٧/٢.

(٢٢١) المعارف ٣٩٠/١، تاريخ الطبري ١٥١/٥، الكامل في التاريخ ٤٥٣/٥- ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٠، البداية والنهاية ٢٦٣/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣١٧/٣، محمد عبد الحميد الرفاعي. تاريخ الاسلام في العصر العباسي الأول ص ١٢٢ – ١٢٣، عصام عبد الرؤوف – الدولة العباسية ص ٤٥ - ٤٩.

(٢٢٢) كان أبوه محمد بن أبي خالد من قادة الحربية وشيخهم والمطاع فيهم، وكان من خيرة قادة المأمون، مات مقتولا في بعض المواقع سنة ٢٠١هـ وقام بعده ابنه عيسى باستكمال مهمته، تاريخ اليعقوبي ٢ ٢٣٩، تاريخ الطبري ١٣٣/٥، الكامل في التاريخ ٤٢٨/٥.

(٢٢٣) الحربية: هم الجند المحاربون، كانوا يسكنون موضعا ببغداد، بالقرب من مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل تسموا بهذا الاسم نسبة إلى حرب بن عبد البلخي المعروف بالراوندي رئيس شرطة المنصور والذي قتلته الترك سنة ١٤٧هـ وكانوا يتصفون بالشجاعة الزائدة التي تدفع إلى التهور وافتعال الشغب في بغداد لاسيما إذا تأخرت رواتبهم وأرزاقهم، وقد تمردوا سنة ٢٠١هـ علي الحسن بن سهل وعزموا على طرده وعماله من بغداده بسبب محنة هرثمة بن أعين، تاريخ الطبري ٤٨٢/٤، المنتظم ١٠٢/٨، رحلة إبن جبير ١٦٢،١، معجم البلدان ٢٣٧/٢، الكامل في التاريخ ٤٢٥/٥، ٢١/٦، العبر للذهبي ٢٠٧/١.

(٢٢٤) الشاطر في اللغة: هو من تباعد عن الاستواء، أي نحى منحا بعيدا عنه، وفي الاصطلاح هو الذي أعيا مؤدبه وأهله خبثا ومكرا، لسان العرب ٤٠٩/٤، مختار الصحاح ١٤٢/١.

"ليس لنا في قتال هؤلاء بخت، إنما تخشى قتل المسلمين"[٢٢٥] وانصرف من أذربيجان إلى أرمينية[٢٢٦].

استعظم أمر بابك بالبذ حينئذ، فأمر الخليفة المأمون بتولية زريق بن علي إبن صدقة[٢٢٧] أرمينية وأذربيجان، سنة ٢٠٩هـ/٨٢٧م وأمره بحرب بابك، فلم يستطع أن يصنع مع بابك شيئا، فانتدب إبن صدقة أحمد بن الجنيد فرزندي الإسكافي للقيام بقتال بابك فهزمه بابك وأسره، فانتدب إبن صدقة مكانه إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي أذربيجان، فلم يضف شيئا[٢٢٨].

اشتد عزم المأمون على القضاء على فتنة بابك، فما لبث أن وجه محمداً بن حميد الطوسي[٢٢٩] سنة ٢١٢هـ/٨٣٠هـ إلى بابك، فجهز إبن حميد الجيش من ماله الخاص - كان عيسى بن محمد بن أبي خالد قبله قد جهز جيشه من ماله سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م أيضًا - وأمره المأمون بحرب بن صدقة الذي تمرد واستولى على ما بين أذربيجان والعراق، ومنها بدأ يغير منها على القوافل ويستولي عليها، فمضى إبن حميد لحربه دون أن يطلب من خزانة المأمون شيئا، فقبض عليه وأهلك قومه وشتت جمعهم، فولاه المأمون قزوين

(٢٢٥) تاريخ اليعقوبي ٤٦٢/٢.

(٢٢٦) تاريخ الطبري ١٥٢/٥، المنتظم ١٠٠٤٢/١٠، الكامل في التاريخ ٤٦٧/٥، العبر للذهبي ٣٤٨/١، تاريخ إبن خلدون ٣١٧/٣، النجوم الزاهرة ١٧٥/٢، شذرات الذهب ١٤/٢، حسن الباشا، تاريخ الدولة العباسية، ص ٤٤ – ٤٥، ٥٤.

(٢٢٧) هو زريق بن علي بن صدقة بن دينار مولى الأزد الموصلي ويسميه البلاذري صدقة بن علي بن صدقة وأن زريقا لقب له -: تمرد على المأمون عندما علم بعزله وتولية محمد بن حميد، فخرج على أمير الموصل السيد إبن أنس الذي كان في أربعة آلاف جندي وزريق في أربعين ألفا بعد أن تغلب على منطقة الجبال ما بين الموصل وأذربيجان، ولما التقى الجمعان حمل رجل من أصحاب زريق على السيد بن أنس فقتل كل منهما صاحبه، فلما أمر المأمون محمد بن حميد بحرب زريق أولا، دعاه إبن أحمد إلى الطاعة فابى زريق فحمل عليه إبن حميد فهزمه وجمعه حتى طلب الأمان من محمد بن حميد، فأمنه وأهله وأرسله على المأمون. فتوح البلدان ٣٢٦/١، تاريخ اليعقوبي ٤٦٣/٢، الكامل في التاريخ ٥ ٤٨٤، ٤٨٧، تاريخ إبن خلدون ٣١٨/٣.

(٢٢٨) تاريخ الطبري ١٦٦/٥، المنتظم ٤٦٣/٢، ١٩٨/١٠، الكامل في التاريخ ٤٧٤/٥، تاريخ ابن خلدون ٣ ٣١٨، النجوم الزاهرة ١٧٨/٢.

(٢٢٩) هو الأمير محمد بن حميد الطوسي الطائي، ولاه المأمون أرمينية وأذربيجان وأمره بحرب المتمردين هناك قبل لقاء بابك، فقضى على فتنتهم وظهر البلاد مما يخاف منهم، إلا أنه قتل بعد عامين في بعض المواقع مع بابك سنة ٢١٤هـ فرثاه الشاعر أبو تمام شعرا قال فيه من سمعه (ما مات من رثى بهذه الأبيات). ومن بينها:

كذلك فليجل الخطب وليفدح الأمر فقلت ... فليس العين لم يفض ماؤها غدر يجري
والدمع جار ومنكسب ... وقد خد الخدين منسجمه
ألم تمت يا شقيق النفس مذ زمن ... فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

تاريخ الطبري ١٨٠/٥، سياسة نامه ٢٨٧/١، تاريخ دمشق ١٧ ٢٥٣، المنتظم ١٠ ٢٦٤، تاريخ حلب ٧ ٣٥٢٦، وفيات الأعيان ٢ ١٠٤، الوافي بالوفيات ٢٤/٣.

وأذربيجان(٢٣٠)، ثم تجهز محمد بن حميد إلى قتال بابك فدارت بينهما معارك قاسية وعنيفة استمرت ستة أشهر، قتل محمد بن حميد في نهايتها سنة ٢١٤هـ دون أن يحرز على البابكية نصراء، وبمقتله تفاقم أمر بابك، وتعاظم شأنه وزاد إفساده وطغيانه، وعلا شأن الخرمية في تلك المناطق(٢٣١).

عز على المأمون مقتل قائده محمد بن حميد، فندب في الحال عبد الله ابن طاهر(٢٣٢) الدينور(٢٣٣) لحرب بابك، وولاه قوهستان(٢٣٤) كلها، بجانب ما فتحه واستولى عليه من أذربيجان، فلم يستطع بابك الصمود أمام عبد الله، ففر إلى قلعة حصينة وتشتت جموع الخرمية(٢٣٥)، ثم خير المأمون عبد الله بن طاهر نيابة خراسان وقوهستان وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك، فاختار خراسان لاحتياجها إلى الضبط وللخوف من ظهور الخوارج فيها(٢٣٦).

---

(٢٣٠) سياسة نامه ٢٨٧/١، البدء والتاريخ ١١٢/٦، المنتظم ٢٤٨/١٠، الكامل في التاريخ ٤٨٧/٥، العبر للذهبي ٣٦١/١، ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/١٠.

(٢٣١) المعارف ٢٩١/١، تاريخ اليعقوبي ٢ ٤٦٦، تاريخ الطبري ١٧٨/٥، سياسة نامه ٢٨٧/١، مرآة الجنان ٥٨/٢، البداية والنهاية ٢٦٦/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣١٨/٣، شذرات الذهب ٢٧/٢، ٣١.

(٢٣٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن مهان، وزريق كان مولى لعبد الله بن خلف الخزاعي كاتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على ديوان الكوفة والبصرة، وكان طاهر والد عبد الله من أكبر أعوان المأمون فهو الذي تولى قتل الأمين، وقد تولى للمأمون إمرة العراق وخراسان بكاملها، ولذلك يقال أنه لقب بذي اليمنيين، وقيل أيضا السبب أنه كان أعور العين اليسرى، فسماه المأمون ذي اليمنين لأن كلتا عينيه يمين، قال له عمرو بن نباتة:

يا ذا اليمنيين وعين واحدة ... نقصان عين وعين زائدة

مات طاهر مقتولا في فراشه فجأة بخراسان قيل لأنه كان قد عزم على قطع الدعوة للمأمون والتمرد عليه سنة ٢٠٧هـ فولى المأمون ابنه عبد الله مكانه وأضاف إليه زيادة عما كان قد ولاه أبوه نيابة عنه الجزيرة والشام، وكان عبد الله شاعرا مترسلا بليغا مثل أبيه ولكل منهما مجموع رسائل، وأشهر ما كتب في السياسة الشرعية رسالة طاهر إلى ابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، فوصاه أبوه طاهر بما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية والشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقه. تاريخ خليفة ٤٧٢/١، المعارف ٤١٩/١، الفهرست ١٧٠/١، الأنساب للسمعاني ١٦/٣، وفيات الأعيان ١٨٤/٣، سير أعلام النبلاء ١٠٨/١٠، البداية والنهاية ٢٦١/١٠، مقدمة ابن خلدون ٣٠٤/١.

(٢٣٣) الدينور: بكسر الدال وفتح النون والواو، كورة من كور الجبل التي تقع بين العراق والري، كثيرة الزروع والثمار، وأهلها أرق طبعا من أهل همذان، سماها المقدسي (الدينور الظريفة) فتحت في عهد عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ بعد نهاوند على يد أهل البصرة، حيث كانت نهاوند على يد أهل الكوفة، فتوح البلدان ٢٠٣/١ - ٢٠٤، أحسن التقاسيم ٢٦٠/١، معجم ما استعجم ٦٠٧/٢، نزهة المشتاق ٦٧٣/٢، معجم البلدان ٥١٥/٢.

(٢٣٤) قوهستان: كلمة فارسية من مقطعين الأول: كوه تعني الجبال وستان وتعني موضع فمعناها موضع الجبال، لأنها هي منطقة الجبال الواقعة بين هراة ونيسابور، وتتصل بنهاوند وهمذان وبروجرد، فتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سنة ٢٩هـ معجم البلدان ٤١٦/٤.

(٢٣٥) سياسة نامه ٢٨٧/١.

(٢٣٦) تاريخ اليعقوبي ٤٦٣/٢، الكامل في التاريخ ٤٩٢/٥، البداية والنهاية ٢١٨/١٠.

امر المأمون عليًا بن هشام[٢٣٧] بحرب بابك في سنة ٢١٤هـ ٨٣٢م، وولاه كور الجبل وقم[٢٣٨] وأصبهان وأذربيجان، حيث تمرد اهل قم وعصوا المأمون عندما لم يلب طلبهم بخفض الخراج أسوة بأهل الري، فأمر المأمون علي بن هشام وعجيف ابن عنبسه[٢٣٩] بالقضاء على تمردهم فظفروا بأهل قم وقبضوا منهم الخراج[٢٤٠]، إلا أن عليًا ابن هشام ظلم في ولايته وتعسف في أخذ الأموال وسفك الدماء، فأمر المأمون عجيف ابن عنبسه بالقبض عليه، فلما طلبه ثار عليه بن هشام وأراد قتله وعزم على اللحاق ببابك الخرمي، إلا أن عجيفًا استطاع الظفر به والقدوم به على المأمون فقتله قصاصًا[٢٤١].

تمرد بابك في خلافة المعتصم من سنة ٢١٨هـ حتى سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦ — ٨٤٠م

استمر بابك الخرمي في تمرده وعصيانه في عهد الخليفة المعتصم ٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/٨٣٦ ـ ٨٤٥م فأتى وخرب الحصون فيما بين أردبيل[٢٤٢] وزنجان[٢٤٣]، فكان أول عمل قام به المعتصم، أن بعث قائدا من قادته هو أبو سعيد محمد بن يوسف، إلى أردبيل وزنجان فبنى الحصون التي خربها بابك وشحنها بالرجال والأقوات وذلك لحفظ السبيل ولتأمين جلب المدد والميرة إلى تلك المناطق، حتى يتمكنوا من حصار بابك والقضاء على تمرده[٢٤٤].

(٢٣٧) هو علي بن هشام بن خسرو المروزي الخرساني، كان المأمون قد استقدمه معه من خراسان هو وأخاه أحمد ابن هشام، فكان حامل لواء الحرب للفضل بن سهل ثم ولي بغداد ثم الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان، ويقال إنه هو الذي سم علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ولي عهد المأمون، ولما خلع علي بن هشام قتله المأمون سنة ٢١٦هـ تاريخ اليعقوبي ٤٥٣/٢، تاريخ الطبري ١٨٢/٥، تاريخ حلب ١٢١٦/٣، الوافي بالوفيات ١٧٨/٢٢.

(٢٣٨) قم مدينة قريبة جدا من مدينة قاشان تقع بين أصبهان وساوه، وهي كبيرة وحسنه طيبة، وأهلها كلهم شيعة إمامية، فتحت بعد نهاوند سنة ٢٣هـ أحسن التقاسيم ٢٦١/١، نزهة المشتاق ٤٥٢/١، معجم البلدان ٣٩٧/٤، مقدمة ابن خلدون ١٧٠/١.

(٢٣٩) كان عجيف بن عنبسة من أكابر القادة في الدولة العباسية نجدة وبأسا في الجهاد، وكان من كبار قادة المأمون، وهو الذي دخل معه إلى بلاد الروم، المنتظم ٨٦/١١، تاريخ حلب ٢٠٩/١.

(٢٤٠) تاريخ الطبري ١٧٤/٥، المنتظم ٢١٨/١٠، الكامل في التاريخ ٤٨١/٥، تاريخ ابن خلدون ٣١٩/٣، النجوم الزاهرة ١٩٠/٢.

(٢٤١) تاريخ خليفة ٤٧٥/١، المعارف ٣٩١/١، فتوح البلدان ٣١١/١، تاريخ الطبري ١٨٠/٥، الكامل في التاريخ ٤٩٨/٥، تاريخ حلب ١٢١٦/٣، النجوم الزاهرة ٢١٠/٢.

(٢٤٢) أردبيل: مدينة من أشهر مدن أذربيجان وقصبتها، وتمتاز بكبرها وحسنها، أحسن التقاسيم ٢٥٦/١، معجم ما استعجم ١٣٧/١، نزهة المشتاق ٦٨٠/٢، معجم البلدان ١٤٥/١.

(٢٤٣) زنجان: من مدائن ثغور قزوين في نواحي الجبل بأذربيجان. فتحت في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ سنة ٢٤هـ بينها وبين الدينور تسعون ميلا، يوصف أهلها عامة بالجهل والغفلة. الفهرست ٨١/١، معجم ما استعجم ٧٠٣/٢، نزهة المشتاق ٦٧٨/٢، معجم البلدان ١٥٣/٣.

(٢٤٤) تاريخ الطبري ٢١٠/٥، الكامل في التاريخ ١٨/٦، تاريخ ابن خلدون ٣٢٢/٢.

وقد أغارت بعض سرايا بابك على أبي سعيد أثناء بنائه لتلك الحصون، فخرج إليهم أبو سعيد في طلبهم، واستطاع أن يخلص منهم ما قد استولوا عليه، بل وقتلوا كثيرا من منهم وأسروا آخرين، وبعث بالرؤوس والأسرى إلى المعتصم، فكانت هذه أول هزيمة لبابك منذ أن تمرد(٢٤٥).

واستطاع المعتصم أن يستدل على عورات بلاد بابك التي كان يتحصن بها، ويغير منها على جيوش المسلمين، وذلك عن طريق أحد قادة بابك واسمه عصمة، وكان أحد أعوان المسلمين بأذربيجان واسمه محمد بن البعيث بن حلبس الربعي على علاقة مع بابك فكان يستضيف سرايا بابك في حصنه بأذربيجان، وكان من بين تلك السرايا البابكية سرية عصمة التي احتال عليها إبن البعيث فقتل أفرادها، وقبض على عصمة وأرسل به إلى المعتصم فحبسه واستنطقه فدل على عورات بابك(٢٤٦).

اختار المعتصم قائدا من أكفأ قادته هو الأفشين(٢٤٧)، لحرب بابك، وولاه إقليم الجبال، فسار إليها ونزل في برزند(٢٤٨) فضبط الطرق ما بين برزند وأردبيل وبنى الحصون الثلاثة بينهما وهي: حصن النهر، وحصن أرشق، وحصن خشن، وجعل في كل حصن حامية وعلى كل حامية قائد من أكفأ قواده، واتفق معهم على خطة أمنية تؤمن مرور الإمدادات من والي برزند وأردبيل بمرافقة البذرقة(٢٤٩)، بحيث من شذ عما اتفق

---

(٢٤٥) المنتظم ٥٣/١١، الوافي بالوفيات ٣٩/١٠، النجوم الزاهرة ٣٩/١٠.

(٢٤٦) تاريخ اليعقوبي ٤٧٣/٢، تاريخ الطبري ٢١٠/٥، المنتظم ٥٣/١١، الكامل في التاريخ ١٩/٦.

(٢٤٧) هو حيدر بن كاوس بن صار خره بن حاناخره ابغره ويسمى بالأفشين، يقول البيروني – أن لقب الأفشين كان يطلق على ملوك أشروسنة، مثلما كان يطلق لقب الأخشيد على ملوك فرغانة المجاورة، كان أبوه كاوس ملكا لمملكة أشروسنة فيما وراء النهر بين سيحون وسمرقند، وقد نقض الصلح الذي بينه وبين المأمون، ثم تركه ابن حيدر وذهب إلى بغداد وأعلن إسلامه هناك، وسهل للمأمون أمر فتح اشروسنة وهوّن عليه ما يهوله الناس من خبرها، ثم وصف له طريقا مختصرا لتيسير عملية الفتح، فأرسل المأمون جيشا استولى على هذا الطريق وفاجأ كاوس مجيء المسلمين من هذه الطريق فسقط في يده ولم يفلح في الاستفادة من مساعدة الترك له بالجيوش والتي ماتت عطشا في الطريق إليه، فاستسلم، كاوس ودخل في الطاعة، وقدم بغداد فأعلن إسلامه، وملكه المأمون على بلاده ثم ملك حيدر من بعده، فتوح البلدان ٤١٩/١، الآثار الباقية ص ١٥٢، نزهة المشتاق ٥٠٤/١، معجم البلدان ١٩٧/١، الكامل في التاريخ ٤٢٦/٤، ٤٦٩/٥، العبر للذهبي ٣٩٥/١، شذرات الذهب ٥٨/٢، محمد ماهر حمادة – دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي – مؤسسة الرسالة – ط١ القاهرة د.ت – ص ١٣٤، السيد عبد العزيز سالم – العصر العباسي الأول – ص ٩٢، ١٥٥، ١٦١، محمد السيد الوكيل – الدولة العباسية – ص ٣٧٤، حسن الباشا – الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار – دار النهضة العربية ط١ – القاهرة سنة ١٩٥٧م ص ١٤٠، سهيل زكار – التاريخ العباسي والأندلسي – جامعة دمشق – ط٥ سنة ١٩٩٨م ص ٤٣ - ٤٤.

(٢٤٨) برزند: بلدة من نواحي أذربيجان – وقيل تفليس – كانت خرابا فاتخذها الأفشين معسكرا له، فكان أول من عمرها، وبين برزند وأردبيل خمسة وأربعون ميلا، نزهة المشتاق ٨٢٣/٢، معجم البلدان ٢٨٢/١.

(٢٤٩) البذرقة كلمة فارسية [illegible] العرب ومعناها الخفارة، حيث تقول العرب (بعث السلطان بذرقة مع القافلة، والبذرقة هي العصمة التي يعتصم بها، لسان العرب ١٤/١٠

عليه، يكون عدوا أو جاسوسا[٢٥٠]، وكان إذا اكتشف جاسوسا أكرمه الأفشين وأعطاه أضعاف ما كان يعطيه بابك ثم يطلقه[٢٥١].

وقد نجحت خطة الأفشين الأمنية لتأمين الإمدادات فيما بين برزند وأردبيل، عندما بعث المعتصم قائده بغا الكبير[٢٥٢] بقافلة إمدادات إلى الأفشين، فسمع بابك بها فاعتزم اعتراضه، فعلم الأفشين بعزم بابك عن طريق جواسيسه، فكتب إلى بغا أن تظاهر بالارتحال ميلا من حصن النهر القريب من أردبيل، ثم أرجع إلى أردبيل بالإبل التي تحمل الأموال، على أن تواصل بقية القافلة السير تلقائياً إلى حصن أرشق حيث يكمن بابك والذي خرج على القافلة فلم يجد فيها بغا ولا الأموال، فقتلوا من فيها من الجند، ولقوا في طريقهم قائد حصن أرشق الهيثم الغنوي فهزموه وحاصروه في حصنه، وإذ بالأفشين قد حاصر بابك عند حصن أرشق، فهزمه وقتل الكثير من جنده، ونجا بابك إلى مدينة قريبة تسمى موقاناً ثم إلى البذ[٢٥٣].

عسكر الأفشين على بعد عدة أميال من بذ بابك، مما مكن سرايا بابك من قطع الإمدادات عنه، حتى ساء حال عسكره، إلى أن استطاع بغا الكبير أن يخلص إلى معسكر الأفشين بما معه من المال الذي كان قد رجع به إلى أردبيل[٢٥٤]، فأمر الأفشين قادته بحصار البذ، وعسكر هو على بعد ستة أميال منها، ودارت أثناء الحصار المناوشات بين الطرفين، استطاع المسلمون أن يقتلوا بعض أنصار بابك، مما حدا ببغا الكبير أن يقترب من البذ بمن معه محاولاً دخولها، دون إذن من الأفشين فكانت الهزيمة من نصيبه، فخرج إليه رجال بابك وتتبعوهم ونهبوا ما معهم من مال

---

(٢٥٠) عن تفاصيل تلك الخطة الأمنية المحكمة والتي كانت سببا من أسباب الانتصار على بابك: أنظر: تاريخ اليعقوبي ٤٧٤/٢، تاريخ الطبري ٢١٢/٥، ٢٢٣، تاريخ ابن خلدون ٣٢٣/٣.

(٢٥١) تاريخ الطبري ٢١١/٥، المنتظم ٥٤/١١.

(٢٥٢) بغا الكبير كان مملوكا للحسن بن سهل الوزير، من أتراك المعتصم ثم أصبح أميرا جليلا من أمراء المعتصم والواثق والمتوكل، لأنه كان يتمتع بصفات جليلة منها: الهمة العالية، والإقدام والشجاعة في المواطن التي تحتاجها، وكان صاحب فتوحات، وقائد لحروب كثيرة في ويؤثر عنه: إنه كان لا يلبس درعا في الحروب ومع ذلك لم يجرح قط ولما سئل عن سر ذلك قال (كفى بالأجل جوشن) ـ أي الدرع الحديدية التي يلبسها المقاتل في الحروب ـ وكانت له بعض الصفات التي كان يؤاخذ عليها كشيء من الحماقة والجهالة في الرأي أحياناً، إلا أنها بجانب صفاته الأخرى تغتفر له، ومع ما كان يتمتع به من تدين عال وإسلام حقيقي، وقد مات بغا الكبير سنة ٢٤٨هـ المنتظم ١٦/١٢، لسان العرب ٨٨/١٣، العبر للذهبي ٤٥١/١، الوافي بالوفيات ١٠٩/١٠، البداية والنهاية ٣٠٢/١٠، ٢/١١، النجوم الزاهرة ٣٢٧/٢.

(٢٥٣) تاريخ الطبري ٢١٢/٥، المنتظم ٥٤/١١، الكامل في التاريخ ٢٥/٦، العبر للذهبي ٣٧٨/١، البداية والنهاية ٢٨٣/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣٢٣/٣.

(٢٥٤) تاريخ ابن خلدون ٣٢٤/٣، النجوم الزاهرة ٢٣٢/٢.

ومتاع وسلاح، إلا أن بغا ورجاله قد استطاعوا الهروب والنجاة بأنفسهم(٢٥٥)، إلا أن بعض قادة الأفشين استطاعوا أن يأسروا كبير قادة بابك ويدعي طرخان، ويقتلوه ويبعثوا برأسه إلى بغداد(٢٥٦).

أرسل الخليفة المعتصم في ربيع سنة مائتين واثنين وعشرين هجرية قادته جعفر الخياط(٢٥٧) وإتياخ(٢٥٨) التركي في مدد عظيم إلى الأفشين، فلما سمع بابك بذلك أرسل إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل بن نقفور، يستغيث به حتى يخفف من وطأة المسلمين عليه، وليشغلهم بأعداء آخرين(٢٥٩)، لاسيما وأن توفيل هذا اشتهر بالغطرسة والتعصب الديني، وكثرة فساده وهجومه على حدود المسلمين(٢٦٠). ثم تحالف بابك مع ملك أرمينية أيضا واستطاع مع حلفائه مهاجمة حدود الدولة الإسلامية بشدة وضراوة(٢٦١).

لما وصلت الإمدادات إلى الإفشين تجهز واستعد للقاء بابك، فرحل إلى اتجاه البذ، وخندق على نفسه بالقرب منها، فأرسل له بابك قائده أذين ليعسكر إزاء الأفشين وأمره بابك أن يرسل أولاده إلى أحد حصون البذ فرفض، وأرسلهم إلى أحد الحصون الأخرى في أعالي الجبال، فوقعوا أسرى في قبضة المسلمين(٢٦٢). وأمر الأفشين جيوشه بالزحف وأن تدق الطبول وأن ترفع الأعلام (٢٦٣)، وكان بابك على قدر عال

(٢٥٥) البدء والتاريخ ١١٧/٦، البداية والنهاية ٢٨٢/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣٢٤/٣، الوافي بالوفيات ٣٩/١٠، أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي – ٢٢٠.

(٢٥٦) تاريخ الطبري ٢١٨/٥، المنتظم ٦٤/١، تاريخ ابن خلدون ٣٢٤/٣.

(٢٥٧) هو جعفر بن دينار بن عبد الله، وكان خياط المعتصم يخيط له الثياب، تاريخ الطبري ٢٣٦/٥، الكامل في التاريخ ٦ ٤٠، النجوم الزاهرة ٢٣٢/٢.

(٢٥٨) إتياخ: معناها عند الترك: الغلام، وكان إيتاخ مملوكا من الخزر، يعمل طباخا لرجل يسمى سلام الأبرش، فاشتراه المعتصم لما رأى فيه مخايل الذكاء والشجاعة والبأس، فقربه ورفعه ثم ولاه الواثق أعمال جليلة، وكذا المتوكل من بعده، فكان إيتاخ – كما يصفه الصفدي – سيف النقمة للخلفاء، لأن المعتصم والواثق والمتوكل كان إذا أراد أحدهم قتل أحد سلمه إلى إيتاخ فقتله، الأنساب للسمعاني ٢٣٤/١، الوافي بالوفيات ٢٧٠/٩، النجوم الزاهرة ٢٧٦/٢.

(٢٥٩) تاريخ الطبري ٢٣٥/٥، المنتظم ٧٨/١١، الكامل في التاريخ ٣٩/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٢٧/٣.

(٢٦٠) اندري كلو- هارون الرشيد وعصره – تعريب محمد الرزقي – دار سارس للنشر – تونس سنة ١٩٩٧م ص ٣٤.

(٢٦١) الاغتيالات السياسية في الدولة العباسية ص ٢٥٣.

(٢٦٢) قال بابك لقائده أذين: (أدخل عيالك الحصن، فقال له: أنا أتحصن من هؤلاء اليهود – ويشير الى المسلمين – والله لا أدخلنهم حصنا أبدا) ونقلهم إلى أعلى الجبل، تاريخ الطبري ٢٢٠/٥.

(٢٦٣) كان من خطط الأفشين في الحرب دق الطبول الكبار وعددها واحد وعشرين طبلا، ورفع الأعلام السود الكبار وعددها اثنا عشر علما تحملها اثنا عشر بغلا لا خيلا لئلا تنزع، إضافة إلى نحو من خمسمائة علم صغار، وكانت تدق الطبول، وترفع الأعلام دليلا على المسير وكان سكوتها وخفض الاعلام دليل على الوقوف، و ستخدم الأفشين هذه الوسائل لكثرة الناس ومسيرهم في الجبال والأزقة على مصافهم، تاريخ الطبري ٢٢٣/٥.

من التخطيط العسكري لعلمه بمسالك ودروب تلك النواحي التي نشأ فيها، فكان يدوّخ المسلمين في البحث عن المواقع التي يكمن فيها، حتى إن الأفشين كلف علياً بن هشام ومعه جماعة الكوهبانية[٢٦٤] بالبحث في رءوس الجبال عن المواقع التي يكمن فيها رجال بابك، بينما كان الأفشين يستطلع ميدان المعركة حول البذ من أعالي الجبال المطلة عليها من بعد صلاة الفجر مباشرة حتى أذان الظهر، ويقدم بين يديه ثلاثة كراديس[٢٦٥] إلى وادي البذ للمناوشة يتقدمهم كردوس جعفر الخياط، بينما كان بابك يفرق رجاله في أكمنة متفرقة وسرية لا يعلم المسلمون عنها إلا اليسير، ويجلس هو في قلة من أصحابه يشربون الخمر بالبذ تجاه الأفشين حتى يطمعه في الهجوم عليه لاسيما إذا استقل رجاله ظل الأمر أياما على هذه الحال حتى ضجرت الخرمية، وخرجت من البذ على كردوس جعفر الخياط، ونشبت الحرب بينهما وكان أبو دلف ومعه جماعة المتطوعة[٢٦٦] من كردوس جعفر، وقد ضيقوا على أصحاب بابك، واستطاعوا تسلق مواضع ضعيفة من سور البذ ويدخلونها، فخرجت عليهم كمائن بابك من الخرمة ورموا المطوعة الذين يتسلقون الأسوار بالحجارة فنالت منهم، وهنا عرف الأفشين من أعلى الجبل مواقع كمائنهم السرية، وكشف خططهم الخادعة، فأمر الأفشين جعفر الخياط أن يأمر الناشبة[٢٦٧] والنفاطين[٢٦٨] أن يعتلوا سفح الجبل المطل على البذ ثم يرموا بالسهام والنار، في حين أمر الأفشين عسكره أن يكمنوا تحت نفس الجبل، ثم أمر الأفشين جعفرا أن يحيط بجيشه هذا الجبل، ثم بقي هو في نفر قليل من أصحابه بعدما فرق جيشه أكمنة، ثم أرسل إلى بابك ليرسل له رسولا للتفاوض وإيثار السلامة، فأرسل بابك رسولا إليه، فعرض عليه الأفشين إيثار

---

(٢٦٤) الكوهبانية: هي الجماعة التي مهمتها جمع الأخبار، ويسمون أصحاب الأخبار، تاريخ الطبري ٢٢٠/٥، الكامل في التاريخ ٢٩/٦.

(٢٦٥) كردوس: تعني كل شيء جمعته وضممته إلى بعضه فقد كردسته، والكردوس تعني الفرقة من الخيل العظيمة أي الكتيبة الكبيرة، الفائق للزمخشري ٢٣٠/٢، لسان العرب ١٩٥/٦، حسن إبراهيم – تاريخ الإسلام ٦٧/٢، ٩١ - ٩٢.

(٢٦٦) المطوعة: بضم الميم وتشديد الطاء وفتحها وكسر الواو والعين المهملة، وأصلها المتطوعة بالتاء قبل الطاء فأدغمت التاء في الطاء، ومنها قول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة التوبة: ٧٩]، وهم من فرغوا أنفسهم للطاعات، محتسبين أجورهم على الله وهم من تجردوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم الذين يتطوعون بالجهاد وفرغوا أنفسهم للغزو ورابطوا في الثغور في بلاد الكفر، الأنساب للسمعاني ٣٢٧/٥، معجم الأدباء ٨٩/١، الكامل في التاريخ ٤٣٠/٥، لسان العرب ٢٤٣/٨، مختار الصحاح ١٦٨/١، البداية والنهاية ١٧٥/٩، طبقات الحنفية ٣٤٧/١.

(٢٦٧) الناشبة: فرقة من فرق الجيش ترمي بالنشاب أي بالسهام، لسان العرب ٧٥٧/١، مختار الصحاح ٢٧٥/١.

(٢٦٨) النفاطون: فرقة من فرق الجيش ترمي بأدوات من النحاس يرمي فيها بالنفط والنار على معسكر ومدن وحصون الأعداء، لسان العرب ٤١٧/٧، مختار الصحاح ٢٨٠/١.

السلامة. وأوهمه الأفشين بأنه لم يبق معه سوى هذه الثلة القليلة من الجند، وعاد الرسول إلى بابك وقص عليه ما رأى، وتأكد لبابك صحة ما نقله الرسول، لاسيما وأن عيونه أكدت له كلامه[٢٦٩]، فاتفق بابك مع رجاله أن يشعلوا الحرب بعد ثلاثة أيام، وفي اليوم الموعود خرجت مقدمة بابك تجاه الأفشين فاشتبك معها، وتظاهر الأفشين بالانسحاب، فطمع فيه بابك وتوغلوا وراءه، فخرج عليهم جيش الأفشين من أعلى وأسفل ومن حول الجبال، في حين انضم إليهم الأفشين فمزقوهم قتلا وأسرًا وسبيا، ولما رأى بابك ذلك طلب الأمان من الأفشين وبينما تجري بينهما المفاوضات، طارت الأخبار سريعا إلى الأفشين بدخول المسلمين البذ، وأن أعلام الفراغنة[٢٧٠] تعلو قصور بابك، فهرب بابك، واتجه الأفشين إلى البذ فأمر الكلغرية[٢٧١] بهدم قصور بابك وحرقها[٢٧٢].

وكان فتح البذ في العاشر من رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة[٢٧٣].
في حين هرب بابك مع أهله وولده في أودية البذ وهو يتخفى في زي التجار فأرسل إليه الأفشين أماناً قد أتاه من المعتصم، مشفوعاً بتوسلات من ابن بابك الذي كان قد وقع في أسر المسلمين أن يقبل الأمان، فما كان من بابك إلا أن رفض الأمان وسبَّ ابنه ولعنه وتبرأ منه[٢٧٤]، في حين كان الأفشين قد كتب إلى ملوك أرمينية وبطارقتهم، أن يذكوا

(٢٦٩) سياسة نامه ٢٨٩/١، البدء والتاريخ ١١٧/٦، الكامل في التاريخ ١٨/٦، سير أعلام النبلاء ١٠ ٢٩٣ _ ٢٩٧، البداية والنهاية ٢٨٢/١٠.

(٢٧٠) الفراغنة: جماعة من سمرقند وأشروسنة وفرغانة، اصطنعهم المعتصم وسماهم الفراغنة، وكان عندهم من الاستعداد ما يوصف، فالواحد منهم عنده من الدواب العشرات والمئات، ومع ذلك هم أحسن الناس طاعة لأمرائهم وكبرائهم، وألطفهم خدمة لعظمائهم، لذلك حرص الخلفاء أن يستدعوا منهم رجالا شحنت بهم دار الخلافة، وصاروا من قادة وحاشية الخلفاء، إلا أنهم قد تغيرت طاعتهم فغلبوا على الخلفاء مثل الافشين وآل أبي الساج من أشروسنة والأخشيد من سمرقند، ويذكر ابن الأثير: أن المعتصم اصطنعهم وسماهم الفراغنة كما اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة، تاريخ الطبري ٢٢٧/٥، معجم الأدباء ٤٧/٥، الكامل في التاريخ ٦ ٤٠٦.

(٢٧١) الكلغرية: هم الفعلة بالفؤوس والحمالة للأثقال والأحجار، كان يستخدمون في تحصين الطرق وبناء الحصون، تاريخ الطبري ٢٢١/٥، ٢٢٨.

(٢٧٢) تاريخ خليفة ١ ٧٧، فتوح البلدان ٣٢٥/١، تاريخ الطبري ٢١٠/٥، المنتظم ٥٣/١، العبر للذهبي ١ ٣٧٨، الوافي بالوفيات ٣٩/١٠، البداية والنهاية ٢٨٢/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣ ٣٢٤، سيد أمير علي – تاريخ العرب – ص ٢٢٣ _ ٢٢٤.

(٢٧٣) استصفى الأفشين من قصور بابك أربعة عشر عمد صفر، كانت في صحن قصره توضع عليها المصابيح، ثم أرسلت الى بغداد، فاستبقى المعتصم منها أربعة في قصر الخلافة، بينما أرسل العشر الصفر الآخر الى المسجد الحرام، فجعلت حول منطقة الطواف ووضعت عليها المصابيح للطائفين سنة مائتين ونيف وثلاثين، الأزرقي – أخبار مكة – ٢ ٢٨٨.

(٢٧٤) العبر للذهبي ١ ٣٨٤، تاريخ ابن خلدون ٣ ٣٢٦.

العيون على بابك من نواحيهم، ففعلوا وجدوا في ذلك لاسيما وان المعتصم قد جعل لمن جاء ببابك حيا ألفي الف درهم، - اي اثنين مليون – وألف ألف – اي مليون – لمن جاء براسه، فعرفه سهل بن سنباط النصراني أحد بطارقة أرمينية[٢٧٥]، فقبض عليه بالحيلة والخداع[٢٧٦] وبعثه إلى الأفشين، فحمل إليه الأفشين الالفي ألف وسوغ له أعمال ناحيته[٢٧٧].

ووقف بابك أمام الأفشين في شهر شوال سنة ٢٢٢هـ/٨٤٠م، فسجنه وكتب إلى المعتصم بالفتح، وقرئ كتاب الفتح في الآفاق[٢٧٨]. وكتب المعتصم إلى الأفشين بإرسال بابك وأخيه عبد الله إليه في سامراء[٢٧٩]، واستنقذ الأفشين من أسر بابك سبعة آلاف وستمائة من المسلمين، وتوجه الأفشين إلى بابك وسأله عما يشتهيه قبل أن يرحلوا إلى بغداد؟ فاشتهى النظر إلى البذ، فوجهه الأفشين مع جماعة داروا به في البذ، وهو ينظر إلى جموع القتلى وخراب البيوت والقصور ثم رد إلى محبسه، ثم تجهز الأفشين بالسفر إلى بغداد بصحبة بابك وأخيه نهاية سنة ٢٢٢هـ/٨٤٠م[٢٨٠].

---

(٢٧٥) يروي المقدسي أن سبب معرفة سهل بن سنباط ببابك: أن بابكا قد أغار على حصن سهل وأسره وأهانه عندما ركب من أمه وأخته وامرأته الفاحشة بين يديه وأمام ناظريه، وكذلك كان يفعل الملعون بمن يأسرهم مع حرمهم، ولم يطلق بابك سراح سهل وأهله إلا بعد أن افتدى نفسه منه بمال عظيم، البدء والتاريخ ١١٧/٦.

(٢٧٦) تتلخص هذه الحيلة في أن سهلا بن سنباط لما عرف ببابك، وتأكد له أنه هو هو، ذهب إليه وأوهمه أنه من أنصاره، وعرض عليه أن يأويه ويتستر عليه، وبابك في تردد من القبول، ولكن أمام الوضع المتردي الذي وصل إليه بابك وأهله، ونفاذ ما معهم من مؤن ونفقات، وأمام إلحاح سهل وتزيينه له الأمر، قبل العرض، فلم يزل به سهل حتى أدخل حصنه – الذي كان قد أغار عليه سابقا – ثم أجرى عليه العطايا، في ذات الوقت الذي أرسل فيه إلى الأفشين أن يرسل إليه أميرين يكمنان في طريق الصيد الذي يسلكه سهل ومعه بابك خارج الحصن، فإذا خرجا هجما عليهما واعتقلا بابك، وقد كان ما تم الإتفاق عليه بحذافيره.

(٢٧٧) تاريخ اليعقوبي ٤٧٤/٢، تاريخ الطبري ٢٣٠/٥، البدء والتاريخ ١١٧/٦، الكامل في التاريخ ٣٥/٦، البداية والنهاية ٢٨٣/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٩٥/١٠.

(٢٧٨) عن نص كتاب الفتح انظر مآثر الإنافة ٢٣٩/٣.

(٢٧٩) هي سرمن رأى: مدينة بناها المعتصم سنة ٢٢٠هـ ونزلها بأتراكه، وتعددت التفسيرات لمعناها فمن ذلك: أنها من قولك سرور من رأى، ومنها أنها ساء من رأى، فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وتركت همزة رأى ثم أدغمت النون في الراء فسميت سامرا، ومنها أنها سميت باسم مدينة قديمة كانت مكانها اول من نزلها سامير بن نوح – عليه السلام – ومنها أن سامرا كلمة فارسية تعني طريق سام، إلا أن هذه المدينة العظيمة اندثر معظمها بعد المعتصم والواثق والمتوكل حتى سماها الناس (عبرة من رأى)، معجم ما استعجم ٧٣٤/٣، رحلة ابن بطوطة ٢٥٣/١، نزهة المشتاق ٦٥٨/٢، رحلة ابن جبير ١٦٦/١، معجم البلدان ٢١٥/٣.

(٢٨٠) تاريخ الطبري ٢٢٨/٥، البداية والنهاية ٢٨٥/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣٢٦/٣، مآثر الإنافة ٢٣٩/٣، شذرات الذهب ٥١/٢

دخل الأفشين وبابك وأخيه مقيّدان بالحديد ويركب بابك فيلا[٢٨١]، فانقلبت بغداد بالتكبير والضجيج، ويروي الذهبي أن المعتصم وقاضيه أحمد بن أبي دؤاد[٢٨٢] قد دخلا على بابك متنكرين في أول دخوله ببغداد[٢٨٣].

ويرون الطوسي أن بابك لما دخل على المعتصم قال له: "هل أنت بابك؟ فرد عليه بعد تردد: نعم أنا بابك! فسجد المعتصم شكرا لله[٢٨٤] فقال المعتصم أضرمت نار الفتنة في الأرض، وقتلت آلاف المسلمين؟ فلم ينبس ببنت شفة"[٢٨٥].

وهنا توجه عبد الله أخو بابك وكان أشجع منه قائلا له: "يا بابك إنك قد عملت ما لم يعمله أحد، فاصبر صبرا لم يصبره أحد. فقال له بابك: سترى صبري"[٢٨٦] ثم

---

(٢٨١) دخل بابك بغدادا على فيل قد خضب بالحناء كان قد أرسل هذا الفيل ملوك الهند هدية للمأمون، وامتطى أخوه ناقة أحضرت له، فأنشد محمد بن عبد الملك الزيات شعرا قال فيه:

قد خضب الفيل كعاداته ... ليحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه ... إلا الذي شأن من الشان

تاريخ الطبري ٥ ٢٣٣، الكامل في التاريخ ٦ ٣٨، الوافي بالوفيات ٢٩/١٠، البداية والنهاية ٢٨٤/١٠، وقال أيضا – ويقال ان القائل هو المعتصم –:

لم يزل بابك حتى ... صار للعالم عبرة

ركب الفيل ومن يركب فيلا فهو شهرة

الوافي بالوفيات ٥ ٩٥، ٣٩/١٠، فوات الوفيات ٤٤٥/٣.

(٢٨٢) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان من قرى قنسرين نشأ في طلب الفقه والكلام، وكان من أصحاب واصل بن عطاء فلزم الاعتزال، وكان أحد قضاة المعتزلة المشهورين وكان رأس الفتنة في مسألة خلق القرآن، أوصى المأمون به أخاه المعتصم، فجعله قاضيا وكان عنده بالمحل الاسنى والمكان الرفيع وكان قاضيا للواثق من بعده الذي اعتمد على رأيه، وكان أحمد وراء أن حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، وكان كل من يأبى القول بخلق القرآن في الأمصار يرسلوه إلى ابن أبي دؤاد، والذي قد استولى على الواثق فحمله على التشدد في محنة خلق القرآن فدعا الناس إليها حتى أنه كان يمتحن الأسرى المسلمين الذين يفرج عنهم من الروم يمتحنوا فمن قال بخلقه خلصوه وأعطوه دينارين، ومن أبى تركوه في الأسر، إلا أنه قد تغير حال بن أبي دؤاد في عهد المتوكل الذي أغلق ملف مسألة خلق القرآن، وأفرج سنة ٢٣٧هـ عن الامام أحمد بن حنبل، وغضب على أحمد بن أبي دؤاد ونفاه وحبس أولاده، وصادر ضياعه وأملاكه وأخذ منهم ستة عشر ألف ألف درهم، فمرض من ذلك ومات بالفالج عن ثمانين عاما سنة ٢٤٠هـ المحن ٤٠٦/١، البدء والتاريخ ١٢١/٦، الحلة السيراء ٨٧/٢، الوافي بالوفيات ١٨٥/٧، ١٩٣/١٤، البداية والنهاية ٣١٩/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣٤٥/٣، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ت سنة ٨٤٥هـ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة. د. ت. ١٩١/٢، تاريخ الخلفاء ٣٤١/١، شذرات الذهب ٩٣/٢.

(٢٨٣) سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١.

(٢٨٤) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت سنة ٧٤٨هـ ١٣٤٧هـ - تاريخ دول الإسلام (المغازي) – تحقيق شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت ط ١ سنة ١٩٩٦م – ١٠٤/١.

(٢٨٥) سياسة نامه ١ ٢٨٩.

(٢٨٦) الوافي بالوفيات ٣٩/١٠، شذرات الذهب ٥١/٢.

أمر المعتصم بقطع يدي بابك ورجليه، وجز رأسه وشق بطنه، فلما قطعت يمناه أخذ الدم بيسراه فمسح به وجهه، فسأله المعتصم عن سر ذلك؟ فقال: "لئلا يرى في وجهي صفرة، فيظن أحد أنني قد جزعت من الموت، وأنها لذلك لا من خروج الدم، فغطيت وجهي لذلك حتى لا تظهر الصفرة، فقال المعتصم: لولا أن فعاله لا توجب العفو عنه لكان حقيقا بالاستبقاء لهذا الفضل، وأمر بإمضاء أمره"[٢٨٧]. ثم قطعت يسراه ورجلاه فسقط فأمر المعتصم بذبحه ثم وجه برأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامراء عند العقبة[٢٨٨]، وموضعه مشهور، أما أخوه عبد الله فأمر المعتصم بحمله إلى إسحاق بن عبد السلام خليفته ببغداد، وأمره أن يفعل به مثلما فُعل بأخيه وصلبه، بعد أن قدم له ما طلب من طعام وشراب، وصلب جسده في الجانب الشرقي من بغداد[٢٨٩]، واستصغى المعتصم بنتاً من بنات بابك جارية له[٢٩٠]. وكافأ المعتصم الأفشين بتاج من الذهب وألبسه وشاحين من الجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم، على أن يفرق نصفها على عسكره، ثم عقد له على السند[٢٩١].

انتهى تمرد بابك الخرمي وعصيانه على المأمون والمعتصم، والذي استغرق ما يزيد على عقدين من الزمان (من ٢٠١ – ٢٢٢هـ/٨١٩ – ٨٤٠م)، استطاع بابك خلاله أن يكسب ولاء أهل أذربيجان وما حولها من فلاحين ودهاقين[٢٩٢]، إلى جانب توسيع دائرة تمرده إلى عقد تحالفات مع الروم للإغارة على حدود الدولة الإسلامية[٢٩٣]، وقتل من المسلمين خمسة وخمسين ومائتين ألف مسلم[٢٩٤]، وأنفق المأمون والمعتصم في سبيل القضاء على هذا التمرد القناطير

---

(٢٨٧) المنتظم ٨٧/١١، شذرات الذهب ٥١/٢.

(٢٨٨) لما رأى الشاعر البحتري بابك مصلوبا، قال للمعتصم يمتدحه:

مازلت تقرع باب بابك بالقنا ... وتزوره في غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة ... منه الذي أعيا على الخلفاء
أخليت منه البذ وهي قراره ... ونصبته علما بسامراء

الأنساب للسمعاني ٢٤٣/١.

(٢٨٩) تاريخ اليعقوبي ٤٧٥/٢، المنتظم ٧٧/١١، مرآة الجنان ٥٨/٢، النجوم الزاهرة ٢٣٨/٢.

(٢٩٠) معجم الأدباء ٢٩٧/١.

(٢٩١) المنتظم ٧٧/١١، الوافي بالوفيات ٢٩/١٠، شذرات الذهب ٥١/٢.

(٢٩٢) مفردها دهقان: من التدهقن: أي التكيس، ودهقان لفظ فارسي معرب يعني التاجر صاحب الضياع، القوي على التصرف مع حدة في الطبع، وكانت تتسم حياتهم بالرفاهية والتنعم، ويتصف اولادهم بالرقة والرخاوة والنعومة، حتى كان الناس يسمونهم: عبقر – وهي صفة تطلق على المرأة النترة الجميلة – وذلك لترارة هولاء الأولاد ونعومتهم، معجم البلدان ٤٩٢/٢، لسان العرب ٤ ٥٣٦، ١٦٣/١٣ – ٦٤.

(٢٩٣) اندري كلو – هارون الرشيد وعصره – ص٣٤.

(٢٩٤) البدء والتاريخ ٦ ١١٦.

المقتضرة من الذهب والفضة[٢٩٥]. وكان من فرط عناية المعتصم بتمرد بابك أن رتب البريد فيما بينه وبين الأفشين بحيث يأتيه الخبر في أربعة أيام بدلا من مسيرة شهر[٢٩٦]، واتبع الأفشين مع بابك سياسة المماطلة والتطويل والكمائن والدوريات، واهتم المعتصم بتزويد الجيوش إلى بابك بالأطباء لعلاج المرضى والصيادلة لتركيب الأدوية[٢٩٧].

في حين امتازت حركة بابك بالتنظيم المحكم والقيادة القادرة التي استطاعت أن تصمد أمام جيوش الخلافة الإسلامية عقدين من الزمان، فقد كان بابك ذا مواهب قيادية عسكرية عظيمة[٢٩٨]، وكان يضرب المثل بفرط شجاعته حتى أصبح من أبطال زمانه وشجعانهم[٢٩٩]، إلى جانب أن (بابك) قد استفاد من ميراث سيده جاويدان عندما تزوج بامرأته، التي ساندته على قيادة جماعة زوجها بعد أن قدمته لهم على أنه البديل الشرعي لجاويدان لقيادة الجماعة حسب ما أوصى به، وبذلك أضفت على بابك مسوح الشرعية لقيادة الخرمية بعد جاويدان، فكثر أتباع بابك وازداد نفوذه[٣٠٠]. كما كان اتخاذ بابك لأذربيجان مركزا لحركته سمح له بشن الغارات على القرى المجاورة وسلب أموال الناس وسبى نسائهم، وإلحاق الدمار والخراب بأهالي تلك البلاد البعيدة عن مركز الخلافة[٣٠١]، كما استفاد بابك من تحالفاته مع الروم وملك أرمينية بالمدد والسلاح والرجال، وسمح له أن يستفيد من أراضيهم كملجأ في وقت الشدة[٣٠٢]. كما كان أخذ بابك لزمام المبادرة بالانتصار على أول جيوش العباسيين بقيادة يحيى بن معاذ ثم عيسى بن محمد بن أبي خالد ثم محمد بن حميد الطوسي، أكبر الأثر في أن يزرع الثقة في نفس بابك وأتباعه وقدرتهم على مواجهة جيوش الخلافة[٣٠٣].

(٢٩٥) سير أعلام النبلاء ٢٩٤/١٠.

(٢٩٦) سير أعلام النبلاء ٢٩٥/١٠، النجوم الزاهرة ٢٣٧/٢.

(٢٩٧) رزق الله منقريوس بن الصدفي – تاريخ دول الإسلام – الدار العالمية للنشر – ط٢ سنة ١٩٨٦ /١ ١٤٠.

(٢٩٨) من بين تلك الصفات: قوة النفس، وشدة البطش، وصعوبة المراس، العبر للذهبي ٣٨٤/١.

(٢٩٩) سير أعلام ٣ ٤١٩، النجوم الزاهرة ١٦٨/٢، بندلي جوزي – الحركات الفكرية – ص ٥٨.

(٣٠٠) رفيق المهايني – الدولة الأموية والعباسية – دار الكتب ط ٢ سنة ١٩٥١م ص ١١٣.

(٣٠١) العبر للذهبي ٣٨٤/١.

(٣٠٢) العراق والتحدي الفارسي ص٨٨، الترمايتني – أحداث التاريخ الإسلامي ١٢٣٦/٢، حاول الخليفة المأمون أن يضرب التحالف البابكي الرومي ويحد من حظورته، بأن عقد تحالف مع الأمير توماس الصقلبي الذي تمرد سنة ٢٠٥هـ ٨١٩ على الإمبراطور ليون الخامس وميخائيل الثاني طمعا في الملك، فأمده المأمون بالمدد والسلاح والرجال ردا على قيام ميخائيل بعون بابك، عسى أن ينجح تمرد توماس ويصبح إمبراطورا على الروم، مقابل أن يساعده توماس في القضاء على بابك، إلا أن هذا الحلف فشل، لإخفاق توماس في الوصول للحكم، مما قوي عزم ميخائيل الثاني في مساعدة بابك بتسليح جنوده وتدريبهم من أجل هزيمة الجيوش العباسية سنة ٢٠٩هـ - ٨٢٣م، الترمتيني – احداث التاريخ الاسلامي ١١٨٠/٢.

(٣٠٣) المعارف ١ ٣٩٠ – ٣٩١، تاريخ اليعقوبي ٢ ٤٦٦، تاريخ الطبري ١٧٨/٥، سياسة نامه ١ ٢٨٧، المنتظم ١٠ ٢ ١٤، مرآة الجنان ٥٨/٢.

وكانت طبيعة ميدان المعركة بين المسلمين والخرميين، في صالح بابك فقد كان أتباعه يتمركزون في الجبال الشاهقة التي لهم معرفة كبيرة بمسالكها ودروبها، فكانوا يحسنون صنع الكمائن والإغارة ليلا، وحفر الحفر الواسعة في الطرق حتى يعيقوا سير الجيش العباسي، إلى كثرة مهاجمة خطوط الإمدادات للمسلمين بصورة مستمرة[٣٠٤].

إلا أن قوة التنظيم وحدها لا تكفي في نجاح الحركات، فلابد من قوة الفهم للغاية التي ترمي إليها في عقول وقلوب أنصارها، فإن كانت حركة بابك قد نجحت تنظيمياً فانتشرت بسرعة فائقة، وصمود أنصارها عقدين من الزمان، وزاد إقبال الناس عليها، إلا أنها فشلت في أن تحمل أنصارهم كلهم على اعتناق الفكرة الخرمية – الاشتراكية كما يرى بندلي جوزي – ممن التف حول راية بابك وحارب معه، ولم يكن همهم إلا النكاية بالسلطة الحاكمة والانتفاع منها، وإما طمعاً في الحصول على منافع مادية لم يكونوا ينالونها إلا من وراء حركات التمرد والعصيان والحروب الأهلية[٣٠٥].

إلى جانب أن البابكيين حصروا دعوتهم في الفرس فقط، ولم يشركوا فيها العرب ولا الترك، وهما –أي العرب، والترك- يومئذ أعظم الأمم الإسلامية وأعلاهم شأناً[٣٠٦].

تمرد منكجور[٣٠٧] الفرغاني[٣٠٨] الأشروسني[٣٠٩] بطبرستان[٣١٠] سنة ٢٢٤هـ - ٨٤٢م

(٣٠٤) فاروق عمر – العراق والتحدي الفارسي ص ٨٩.

(٣٠٥) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ٨٨/ ٨٩.

(٣٠٦) المرجع السابق نفسه.

(٣٠٧) لم أقف على اسم ابيه وأجداده – فيما تيسر لي من مصادر – إلا شذارات أوردها اليعقوبي بأنه كان على صلة قرابة للأفشين وكذلك صلة مصاهرة ونسب حيث كان الأفشين متزوجا من أخت منكجور، الذي كان من قادة الأفشين، وأورد الطبري في أحداث سنة ٢٢٤هـ أنه منكجور الأشروشن، ثم ذكر في أحداث سنة ٢٥٠ – ٢٥١هـ اسم منكجور بن قارن ومرة منكجور بن خيدر، أما بقية المصادر والمراجع فلم تشر إلى نسبه بالكامل واكتفت باسمه ولقبه وصفته فقط وأنه كان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم من فرغانة وأشروسنة وسمرقند وغيرها، وذلك لسمات طيبة كانوا يتمتعون بها من قوة أبدان وحسن استعداد وطاعة مطلقة وقيادة سلسة، ولطف في خدمتهم كانوا يتصفون به، وسماهم المعتصم الفراغنة، وشحن بهم دار الخلافة، وبهذه السمات تبوأوا مناصب عليا في الدولة العباسية مثل الأفشين ومنكجور والأخشيد السمرقندي فيما بعد، إلا أنهم لما تمكنوا تغيرت تلك الصفات وانقلبوا على الدولة و تمردوا عليها كالأفشين ومنكجور، تاريخ اليعقوبي ٤٧٤/٢، تاريخ الطبري ٢٢٧/٥، ٣٨١، ٣٩٦، معجم الأدباء ٤٧/٥، الكامل في التاريخ ٣٤/٦.

(٣٠٨) نسبة إلى فرغانة: بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الغين، كورة واسعة من بلاد ما وراء النهر متاخمة لتركستان، وهي ضمن ست كور تتكون منها بلاد الهياطلة الاسم العربي للمغول، وهي: فرغانة واسبيجاب والشاش واشروسنة والصغد وبخارا وسمرقند. وهي أخصب بلاد الله وأكثرها خيرا وعمارة وعلما واستقامة في الدين وشدة البأس، وأغلظ رقاب، وادوم جهادا وأسلم صدورا وأرغب لحب العمل الجماعي، مع ما اشتهروا به من يسار وعفة ومعروف وصيانة وتعظيما لأهل الفهم – يقول المقدسي – فرغانة فقيهها ماهر، وغنيها سالم، ومحترفها عالم، وفقيرها غانم، ومن مدنها سميا العليا ونسيا السفلى، وقبا وأوس وغيرها، وبين فرغانة وسمرقند خمسون فرسخا. احسن التقاسيم ٢٢٣، نزهة المشتاق ١ ٥٠٧، ٣ ٧٠٧، معجم البلدان ٤ ٢٥٢.

نجح الأفشين في القضاء على تمرد بابك الخرمي سنة ٢١٣هـ/٨٣١ م، وقبض عليه وأهله، واستعد للرحيل بهم إلى المعتصم بسامراء، فاستتاب على أذربيجان محله، منكجور خال أولاده، والذي استطاع بعد رحيل الأفشين أن يظفر بخزائن بابك التي كان يخفيها في بعض البلدان، فأخذها لنفسه واستأثر بها دون المعتصم فأخفاها وكتم خبرها، فعلم بذلك رجل من مدينة ورثان على حدود أذربيجان[٣١١]، فكتب إلى الخليفة يعلمه ما فعل واليه، ولما علم منكجور أن المعتصم علم بخبره، أسرع بالكتابة إليه يكذب ما وصله وينفيه تماما، وعقد منكجور مع هذا الرجل مناظرة لتبرير موقفه، وبعدها هم بالرجل أن يقتله، فاعتصم الرجل بأهل أردبيل فأجاروه، فقام منكجور بقتالهم[٣١٢].

تحقق المعتصم من كذب منكجور فكتب إليه بكذبه ويأمره برد الأموال، فلم يمتثل، بل إنه توجه إلى ورثان وقتل منهم جماعة من أولياء السلطان، وكان من بينهم الرجل الذي أخبر عنه عند المعتصم، ثم جمع حوله ما تبقى في هذه البلاد من أصحاب بابك الخرمي، وعزم على إحياء دعوة بابك حتى يضمن ولاء من تبقى من أتباعه[٣١٣]، فأصدر المعتصم أمرًا إلى الأفشين بعزل منكجور واحتواء التمرد، فأرسل الأفشين قائده أبا الساج[٣١٤]، في جيش عظيم للقبض على منكجور وإحضاره، فلما علم منكجور بذلك أفرط في عصيانه وأقبل على جمع الصعاليك حوله من ذيول بابك، وخرج من أردبيل وتوجه إلى حصن مهدم من حصون بابك فأصلحه وتحصن به في مواجهة جيش أبي الساج الذي أرسله

(٣٠٩) نسبة إلى أشروسنة: بضم الألف وسكون الشين وضم الراء وسكون الواو وفتح السين، كورة ضمن إقليم الهياطلة يقع جزء من فرغانة شرقها، وتقع خراسان غربها، والشاش شمالها، وبقية فرغانة جنوبها، وأعظم مدنها مدينة بومجكث، نزهة المشتاق ٥٠٤/١، معجم البلدان ١٩٧/١.

(٣١٠) طبرستان: بفتح الطاء والباء وكسر الراء، وتتكون من مقطعين طبر ومعناها الأداة التي تشق بها الأحطاب كالفأس، وستان تعني موضع أو ناحية أي (ناحية أو موضع الفؤوس). وطبرستان كورة من خمس كور يتكون منها إقليم الديلم (قومس وجرجان وطبرستان والخزر والبحيرة)، وطبرستان بلاد كثيرة وعامرة بالمياه والثمار ومن أشهر مدنها (آمل وسارية وطميس وجيلان وموقان والطالقان وغيرها) وقد خرج من طبرستان جمهرة لا تحصى من العلماء والأدباء والفقهاء، أحسن التقاسيم ٢٤١/١، نزهة المشتاق ٦٧٨/٢، معجم البلدان ١٣/٤ - ١٥.

(٣١١) اسم هذا الرجل محمد بن عبيد الله الورثاني، وكان على عداء مع منكجور. عندما قدم الأفشين أذربيجان لحرب بابك، كان محمد الورثاني هذا قد أعلن تمرده وعصيانه، فأرسل إليه الأفشين منكجور فردعه وطلب منه الورثاني الأمان حتى أمنه، تاريخ اليعقوبي ٤٧٥/٢.

(٣١٢) البداية والنهاية ٢٩٠/١٠.

(٣١٣) تاريخ اليعقوبي ٤٧٨/٢.

(٣١٤) هو ابو الساج ديوداد بن ديودست الأشروسني، كان من قادة الأفشين في حربه مع بابك وكان قائد الفرقة التي كنت تبحث عن بابك بعد هروبه واستطاع القبض على أم بابك وامرأته وأخوه معاوية – ويقال عبد الله - بعد هروب بابك ثم ارسل بهم الى الافشين، تاريخ اليعقوبي ٥٠٧/٢، تاريخ الطبري ٥ ٢٢٩، ٣٩٤، الكامل في التاريخ ٦ ٣٥.

الأفشين(٣١٥) إلا أنه كان للأفشين خصوم حول الخليفة اوشوا به عنده، أن الأفشين انما هو الذي اوعز إلى منكجور بالتمرد، وإلا فمثل منكجور بإمكاناته وشخصيته لا يستطيع كل ذلك الخراب والإفساد لولا موازرة الأفشين. وأضافوا أنه مما يعضد اتهامهم له هو ارساله ابا الساج الأشروسني لسحق تمرد منكجور، فمثل أبي الساج الأشروسني انما هو مدد لمنكجور الأشروسني وليس حربا عليه(٣١٦).

لذلك أمر المعتصم على الفور بإرسال قائده بغا التركي – أو بغا الكبير – في جيش لمواجهة تمرد منكجور، واستطاع بغا أن يوقع الهزيمة به مبكرا، ثم ما لبث أصحاب منكجور أن وثبوا به وأوثقوه وأسلموه إلى بغا التركي فطلب منه الأمان وتضرع إليه في ذلك، فأجابه بغا لطلبه، وحمله موثقا إلى المعتصم بسامراء، فأمنه فبذل له منكجور الطاعة والولاء سنة ٢٢٥هـ ٨٤٣م(٣١٧). ويذكر اليعقوبي أن موقف الأفشين من تمرد منكجور، كان أول شرارة أشعلت غضب المعتصم عليه، وغيرت قلبه من ناحيته، فبدأ يتوجس منه الشك والريبة، ويراه بعين السخط وهي مرآة المساوئ والمثالب(٣١٨).

تمرد المازيار(٣١٩) بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ. ٨٣٩م

(٣١٥) تاريخ الطبري ٢٦٠/٥، الكامل في التاريخ ٥٧/٦.

(٣١٦) تاريخ اليعقوبي ٤٧٨/٢.

(٣١٧) تاريخ الطبري ٢٦٠/٥، الكامل في التاريخ ٥٧/٦ البداية والنهاية ٢٩٠/١٠ – ٢٩٣، تاريخ إبن خلدون ٣٣٥/٣.

(٣١٨) تاريخ اليعقوبي ٤٧٨/٢.

(٣١٩) المازيار: بفتح الميم والزاي المكسورة وفتح الياء، هو المازيار بن قارن بن شروين بن ونداهرمز إبن قارن حيث كان عسكر المعتصم يضم كثيرا من الموالي والغلمان أمثال الأفشين، وقارن، وكان لقارن ثلاثة أولاد هم: شهريار وكوهيار ومازيار. وكان الأخير من أخبثهم عقيدة وسلوكا، ويشير الطبري وابن الأثير في أحداث سنة ١٦٧هـ أن طبرستان كانت مقسمة بين شقيقين – أو أبناء عمومة – هما شروين ونداهرمز جد المازيار، وأنه في سنة ١٨٩هـ كتب الرشيد وهو بالري أمانا إلى شروين صاحب جبال شروين المسماة باسمه، وأمانا إلى ونداهرمز بن قارن صاحب جبال قارن المسماه أيضا باسمه، وأمانا إلى صاحب جبال الديلم مزريان بن جستان، ويذكر اليعقوبي، أنه في عهد المأمون، استولى شهريار بن شروين على جبال إبن عمه قارن بعد وفاته، فاستغاث مزربان وهو المازيار بن قارن بالمأمون فأرسل معه موسى بن حفص بن عمر بن العلاء فاستولى على جبال قارن ثم قتل شهريار بحربه واجتمعت له طبرستان موحدة وأسلم المازيار وسماه المأمون محمد وجعل له مرتبة الأصبهبذ أو الأصبهبذان – لقب حاكم طبرستان وتعني رئيس الجنود – وكان يلقب جيل جيلان – بلغة أهل الجبل بطبرستان – ولم يزل المازيار على ولايته للمأمون حتى مات فأقره المعتصم على طبرستان، وظل على ولايته حتى خروجه سنة ٢٢٤هـ فتوح البلدان ٣٣٤/١، تاريخ اليعقوبي ٤٧٦/٢، تاريخ الطبري ٦٧/٤، ٣٥٩/٥، الأنساب للسمعاني ١٦٧/٥، معجم البلدان ٣٤٠/٣، ١٥/٤، الكامل في التاريخ ٣٣٨/٥، نهاية الأرب ١٣٥/١١، سير أعلام ٣٩٤/١٠، ٣٠١، الوافي بالوفيات ٢٤٠/٤، مرآة الجنان ٨٢/٢، تاريخ ابن خلدون ٢٠٩/٢، النجوم الزاهرة ١٩٠/٢، شذرات

أقر المأمون المازيار على طبرستان وظل على ولائه له حتى مات، ثم أقره المعتصم عليها ولم يعزله، فأقام المازيار على الطاعة له ست سنوات ثم قلب له ظهر المجن[٣٢٠] ويذكر البغدادي أن المازيار كان من أتباع بابك، وكان له جماعة تسمى بالمازيارية الذين كانوا يعملون على إحياء دين الخرمية[٣٢١]، ويذكر إبن كثير: أنَّ المازيار كان يكاتب بابك ويعده بالنصرة[٣٢٢]، وأظهر ملة المجوس بطبرستان[٣٢٣].

بدأ المازيار تمرده داخلياً بصورة قاسية اقتصاديًّا واجتماعيًّا وعسكريًّا، فقد فرض على الناس أموالا تفوق طاقتهم ثم صادر ممتلكاتهم وجبى أموالا عسفاً، ومن لم يدفع من أرباب الضياع خاصة، كان يأمر الأجراء لديهم أن يتمردوا عليهم ويستولوا على الأراضي التي يعملون فيها عند أسيادهم بالقوة المسلحة تحت حمايته لهم[٣٢٤]. وكان جزاء من يعترض من الأهالي وغيرهم أن يزج بهم في السجون، ويضع الأغلال في أعناقهم، منها يسحبون، فأذل الناس، مما أدى بالكثير منهم إلى الهروب إلى المناطق المجاورة لاسيما خراسان ونيسابور، ثم أمر جيوشه بهدم أسوار مدن آمل والري وجرجان وتخريبها حتى هرع منها الناس وخرجوا إلى الكور المجاورة[٣٢٥]. بل إنه صعَّد من حدة الصراع عندما حرض أتباعه بقتل العرب[٣٢٦]، فيذكر السمعاني أن المازيار كتب إلى الأفشين: "إنه لم يبق على الدين القديم. وفي رواية الدين الأبيض، أي المجوسية – الذي لنا، إلا أنا وأنت وبابك[٣٢٧] وقد مشى بابك – أي هلك –" أما عن تمرد المازيار على المستوى الخارجي، فقد كان تابعاً لعبد الله بن طاهر بخراسان فمنع إرسال الخراج إليه، بحجة أنه لا يريد أن يحمله إلا

الذهب ٢/٥٢، عبد العزيز الدوري – العصر العباسي الأول – طبعة بغداد سنة ١٩٤٢م ص ٢٤٠ – ٢٤١، عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الاول ٤٠٨/١.

(٣٢٠) قلب له ظهر المجن: مثلا يضرب عند العرب لمن كان لصاحبه على مودة أو رعاية ثم تغير، والمجن هنا تعني أنه أسقط الحياء وفعل ما شاء فملك امره واستبد به، والمجن أيضا تعني الترس الذي يتترس به المحارب، وكتب علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى عبيد الله بن عباس (قلبت لابن عمك ظهر المجن)، لسان العرب ١٣ : ٩.

(٣٢١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٤.

(٣٢٢) البداية والنهاية ١٠ : ٣٨٩، تاريخ ابن خلدون ٣٣١/٣.

(٣٢٣) سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢٩٤، مرآة الجنان ٨٢/٢.

(٣٢٤) تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٠، سير اعلام ٣٠١/١٠، مرآة الجنان ٨٣/٢، النجوم الزاهرة ٢٤٠/٢، وعن نص الخطاب الذي أرسله مازيار الى عامل الخراج شاذان بن الفضل بمسح طبرستان وجبى الخراج بالزيادة: تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٩.

(٣٢٥) الكامل في التاريخ ٦ : ٥٠، الوافي بالوفيات ٢٤٠/٢، تاريخ ابن خلدون ٣٣١/٣، شذرات الذهب ١٩٠/٢.

(٣٢٦) زبدة الفكرة – مخطوط ٤ : ١٥٨ – ١٥٩، تاريخ ابن خلدون ٣٣١/٣، محمد جمال سرور – الحياة السياسية في الدولة العربية – دار الفكر العربي ط ٣ سنة ١٩٧٦م ص ٣٠، فاروق عمر العراق والتحدي الفارسي ص ٩٢.

(٣٢٧) الأنساب ٥ : ١٦٧.

لأمير المؤمنين المعتصم، فكان الأخير يأمر رجلاً من قبله أن يستوفي خراج المازيار إذا وصل همذان[٣٢٨]، ثم يسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر بها ليرده إلى خراسان، حتى تستقيم الأمور بين المازيار وابن طاهر[٣٢٩].

ثم كانت المرحلة الأخرى من تمرد المازيار على المعتصم، أن منع الخراج نهائيا عنه، واحتج بأنه يستخدم الخراج في إخضاع خصومه من أهل الديلم المجاورين، الذين كان قد قاتلهم قبل ذلك زمن المأمون[٣٣٠]. أرسل المعتصم إلى مازيار رسولا من قبله يتبين حقيقة موقفه، ولعله أن يردعه ويرده إلى صوابه دون مواجهة وقتال تقع خسارته على الطرفين، وهذه سياسة حكيمة من المعتصم استخدمها معه من قبل لما كان يقبل منه الخراج بهمذان ثم يرده إلى ابن طاهر. إلا أن المازيار أعرض عن مساعي المعتصم السلمية، فرفض مقابلة رسوله[٣٣١]، ثم ما لبث أن قبض على قادة العرب بطبرستان[٣٣٢]، وأمر رجاله بحبس الأبناء[٣٣٣] من أنصار العباسيين، ثم اتجه إلى صبغ حركته بصبغة شرعية عندما دعا الناس في طبرستان إلى نبذ بيعة المعتصم والبيعة له شخصيا، فبايعوه مكروهين حتى يضمنوا سلامة أبنائهم الذين انتزعهم المازيار منهم كرهائن لضمان بقاء آبائهم على ولائهم بيعتهم له[٣٣٤]. حتى قيل إنه حبس في سجن آمل من مدن طبرستان عشرين ألفا، وحرض الناس

(٣٢٨) همذان، مدينة من أكبر مدن إقليم الجبال (همذان والدينور وأصبهان وقم)، فتحها المغيرة بن شعبة في خلافة عثمان بن عفان وبعد استشهاد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بستة أشهر سنة ٢٤هـ وبين همذان وأصبهان واحد وعشرين ميلا، وبينها وبين الري تسعون ميلا، وتتصف بشدة البرودة العالية وتجمد المياه فيها، أحسن التقاسيم ٣٦٤/١، معجم ما استعجم ٥٥١/٣، نزهة المشتاق ٦٧١/٣ – ٦٧٢، معجم البلدان ٤١٠/٥.

(٣٢٩) تاريخ الطبري ٣٤٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٠/٦، الوافي بالوفيات ٢٤٠/٤، تاريخ إبن خلدون ٣٣٢/٣ – ٣٣٣، السيد عبد العزيز سالم – العصر العباسي الأول ص ١٦١ - ١٦٢.

(٣٣٠) فتوح البلدان ٣٣٤/١، تاريخ الطبري ٢٤٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٠/٦، معجم البلدان ١٥/٤.

(٣٣١) محمد بن الحسن إبن اصفنديار الكاتب ت ق ٧هـ/٢١٣ – تاريخ طبرستان – تصحيح عباس إقبال طبعة إيران ١٣٢٢، ١٥٥/١.

(٣٣٢) تاريخ الطبري ٢٥٠/٥ – ٢٥١، حسن الباشا تاريخ الدولة العباسية ص ٥٥.

(٣٣٣) الأبناء: هم أبناء الفرس الذين أرسهم كسرى مع ملك اليمن سيف بن ذي يزن عندما أتاه مستغيثا به ومستنصرا على الاحباش الذين احتلوا بلاده، فارسل معه كسرى لليمن سبعة آلاف فارسي لينصروه ويعيدوا له ملكه، ثم إنهم استوطنوا اليمن بعد ذلك ولم يعودوا إلى بلادهم وأصبح لهم دور هام في إدارة اليمن، وتزوجوا في العرب، فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم بسبب أن أمهاتهم من غير جنس آبائهم، ولذا قيل أن الأبناء هم كل من ولد باليمن من الفرس وليس بعربي، وقيل ان الأبناء قوم من أولاد الفرس ارتهنتهم العرب باليمن وغلب عليهم اسم الأبناء، كالأنصار، والنسب اليه أبناوي، الأنساب للسمعاني ١ ٧٦، لسان العرب ١٤ ٩٠ – ٩١، وفيات الأعيان ٣٥/٦.

(٣٣٤) تاريخ الطبري ٥ ٢٤٨، الكامل في التاريخ ٦ ٥٠، بدر عبد الرحمن محمد – الدولة العباسية ص ١٢١، عصام عبد الرؤوف – الدولة العباسية – ص ٤٧ – ٤٨، حسين عطوان – الشعراء الصعاليك ص ٤٥.

على قتلهم لولا أن الناس ترددت في ذلك[٣٣٥]. ثم هدم عددا آخر من أسوار المدن التي يكثر فيها العرب والأبناء مثل طميس وسارية من مدن طبرستان، وأباح هذه المدن لأتباعه[٣٣٦]، ثم أقام أبو صالح سرخستان (شرحاسيان) خليفة المازيار على مدينة سارية، سورا من مدينة طميس حتى البحر مقدار ثلاثة أميال[٣٣٧]، وجعل له خندقا وثيقاً وأبراجا للحراسة مما أفزع أهالي تلك المدن لاسيما جرجان[٣٣٨] الذين هرب بعض أهلها إلى نيسابور القريبة[٣٣٩].

فاض الكيل بالمعتصم من تمرد المازيار وعصيانه وفشلت محاولاته السلمية لاحتواء التمرد، فلم يبق أمامه سوى استخدام القوة المسلحة لسحق تمرده، فأمر واليه على خراسان عبد الله بن طاهر، أن يوجه جيشا إلى جرجان لحفظها من غارات المازيار فأرسل إبن طاهر عمه الحسن بن الحسين في جيش من خراسان استطاع هزيمة سرخاستان وقتله، ثم بعث إبن طاهر جيشا بزعامة مولاه حيان بن جبلة لحفظ مدينة قومس[٣٤٠] في أربعة آلاف، ووجه المعتصم عدة جيوش دخلت طبرستان من جهات متعددة، إحدها بزعامة القائد محمد بن إبراهيم بن مصعب وثان بقيادة منصور إبن الحسن صاحب دبناوند وبعثه إلى الري، وآخر بقيادة أبي الساج من قادة المعتصم إلى دنباوند[٣٤١]. ومعهم صاحب خبر يدعى يعقوب بن إبراهيم البوشنجي مولى الهادي وكان يلقب بقوصرة[٣٤٢].

(٣٣٥) تاريخ الطبري ٥/٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣٣٦) تاريخ الطبري: نفسه، عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الأول ١/٤١٠.

(٣٣٧) هذا السور كان مقاما من قبل فقد أقامته الأكاسرة الفرس لتمنع الترك من الغارة على طبرستان، ولكنه تهدم فجدده سرخستان بأمر المازيار، تاريخ الطبري ٥/٢٥١، الكامل في التاريخ ٦/٥١.

(٣٣٨) جرجان بضم الميم وسكون الراء مدينة تقع بين طبرستان وخراسان، وسميت نسبة إلى جرجان بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، ويكثر على أعمال جرجان الجبال والقلاع حيث بها أكثر من سبعمائة قلعة، وبين طبرستان وجرجان بضعة أميال، وكلتاهما من أعمال خراسان، أحسن التقاسيم ١/٢٤٢، معجم ما استعجم ١/٣٧٥، نزهة المشتاق ٢/٦٨٦، معجم البلدان ٢/١١٩.

(٣٣٩) تاريخ الطبري ٥/٢٥١، الكامل في التاريخ ٦/٥١.

(٣٤٠) قومس بضم القاف إحدى خمس كور يتألف منها إقليم الديلم، ومن أشهر مدنها سمنان والدمغان وبسطام وبيار، وجبالها متوسطة الارتفاع. أحسن التقاسيم ١/٢٤١، معجم ما استعجم ٣/١١٠٣، نزهة المشتاق ٢/٦٨٥، ٦٨٨، معجم البلدان ٤/٤١٥.

(٣٤١) دبناوند بضم الدال، وتنطق أيضا دباوند ودماوند ودنباوند، وهي كورة من كور الري، تقع بين طبرستان والري، وتشتهر بعلو جبالها الشاهقة المنيعة التي يصعب الوصول إلى أعلاها، وبها قلعة حصينة بجانب تلك الجبل ويشتهر باسم حصن دنباوند وتشتهر دبناوند بالفواكه والبساتين، معجم ما استعجم ٢/٥٥٨، نزهة المشتاق ٢/٦٨٩، معجم البلدان ٢/٤٣٦، تاريخ ابن خلدون ٣/٣٣١ - ٣٣٤.

(٣٤٢) تاريخ الطبري ٥/٢٥٨، تاريخ بغداد ١١/٥٣، المنتظم ١١/٢٠٨، عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الأول – ١/٤١١.

في ذلك الوقت أمر المازيار ابن عم له – كانت بينهما عداوة مدفونة – كان على جبال طبرستان، أن ينزل من الجبل ويتركه ويأتي إليه ليقف ببابه، ويسلم جبله إلى قائد يسمى (درى)[٣٤٣].

اتجهت جيوش إبن طاهر والمعتصم صوب طبرستان لتطبق عليها من شتى الجهات، فلما أحس المازيار أنه قد أحيط به، وأنه سيقع تحت وطأة حصار شديدة، فكر أن يستميل ابن عمه قوهيار مرة أخرى ويعيد إليه جبله الذي انتزعه منه عنوة، لأن قوهيار هو أكفأ من يحمي جبلة ويدافع عنه، لأنه أعلم بدروبه ومسالكه من (درى) وغيره، فاستدعاه وخاطبه قائلا: "أنت أعرف بجبلك من غيرك[٣٤٤].. فصر إلى الجبل فاحفظه علي"[٣٤٥]، ثم أظهره على بعض المكاتبات التي تمت بينه وبين الأفشين، ويذكر السمعاني أن المازيار هو الذي كتب إلى الأفشين[٣٤٦] وتذكر مصادر أخرى أن الأفشين هو الذي كتب إلى مازيار يحثه على الصمود في وجه جيوش عبد الله بن طاهر حتى يعجز عن مقاومته إبن طاهر، فيعزله المعتصم ثم يعقد للأفشين على ولاية خراسان ويكلفه بالقضاء على تمرد المازيار[٣٤٧]، لاسيما وأن المازيار كان يحسد عبد الله بن طاهر على اهتمام المعتصم به وتقديمه عليه، والأفشين كان ينظر إلى نفسه – لاسيما بعد القضاء على تمرد بابك الخرمي – أنه أولى باهتمام المعتصم من إبن طاهر، وأنه أحق منه بولاية خراسان، ومن هنا حسده الأفشين، فتولدت عنده لابن طاهر المنافرة والمنافسة ثم الحقد عليه والعمل على التخلص منه[٣٤٨].

ويروي القرماني في أخباره، أن الأفشين نتيجة لكثرة انتصاراته، ازداد نفوذه وطمع أن يكون له حكم مستقل في الولايات الشرقية، وبدأ يتصل بأصحاب الطموح الذين يريدون الخروج على الدولة له أمثال منكجور والمازيار[٣٤٩]. ولعل المعتصم نفسه قد ساهم دون – قصد منه – في أن يفرط الأفشين بالثقة في نفسه بعد قضائه على تمرد بابك الخرمي، حين بالغ المعتصم في الاحتفاء به والإفراط في تكريمه

---

(٣٤٣) تاريخ الطبري ٢٥٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٦/٦.

(٣٤٤) الكامل في التاريخ ٥٦/٦.

(٣٤٥) تاريخ الطبري ٢٥٨/٥.

(٣٤٦) سيق المازيار أن بدأ وكتب إلى الأفشين (لم يبق على الدين القديم الذي لنا إلا أنا وأنت وبابك)، السمعاني – الأنساب ١٦٧/٥.

(٣٤٧) تاريخ اليعقوبي ٤٧٦/٢، المسعودي – مروج الذهب ٤٤٦/٣، سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٠، البداية والنهاية ٣٨٩/١٠، النجوم الزاهرة ١٩٠/٢.

(٣٤٨) تاريخ الطبري ٥ ٣٤٨، الكامل في التاريخ ٥٠/٦، الوافي بالوفيات ٢ ٢٤٠، تاريخ إبن خلدون ٣ ٣٣٩.

(٣٤٩) أبو العباس أحمد بن يوسف القرماني – أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ – تحقيق: أحمد خطيط – عالم الكتب ط١ سنة ١٩٩٢م ١٢٦/٦، كارل بروكلمان – تاريخ الشعوب الإسلامية والامبراطورية وانحلالها – ترجمة بثينة امين – دار القلم ط٣ ص ٤٩، حسن محمود وابراهيم الشريف – العالم الاسلامي في العصر العباسي – دار الفكر العربي ط د القاهرة ٣٢٧/١.

ماديا ومعنويا[٣٥٠]، مما جعل الأفشين لا يستطيع أن يسيطر على نفسه من الاعتداد بها والمبالغة في زيادة الثقة فيها فقادته نفسه إلى التمرد بدلا من أن يقودها هو إلى المزيد من بذل الجهد وإفراغ الوسع في خدمة من ساهم في وصوله إلى هذه المرتبة الرفيعة ماديا وأدبيا[٣٥١].

إجمالاً أعاد المازيار الجبل المسلوب إلى صاحبه قوهيار، لأنه الأجدر على حمايته ثم أطلعه على المكاتبات التي بينه وبين الأفشين، ثم أمر (درى) أن يتوثق من المواضع التي يتخوف أن يدخل المسلمون منها[٣٥٢]، وكان الحسن بن الحسين قائد جيش إبن طاهر على علم على العداء المدفون بين المازيار وبين قوهيار، فبدأ بتحسس ما في قلب قوهيار تجاه مازيار فكاتبه وأشعل نار العداء القديم بينهما، وذلك بتذكيره بما فعله به مازيار، بل إن قوهيار نفسه قد بادر – عندما رأى أي جيوش المسلمين تحيط بالمازيار وأنه لا محالة هالك– وكتب إلى الحسن بن الحسين يخبره بعدائه للمازيار، وأمده بأسرار معسكره، وأوقفه على سر المكاتبات بين المازيار والأفشين، فأنفذ الحسن هذا الكتاب إلى عبد الله بن طاهر بخراسان، الذي أنفذه بدوره إلى المعتصم[٣٥٣]، فوعد إبن طاهر قوهيار إن هو سلم الجبل للمسلمين، ووثب بالمازيار أن يضمن له سيادته على الجبل فلا ينازعه عليه أحد، وكتب له كتابا بذلك، فوافى الحسن القوهيار في الجبل فسلمه الجبل حسب الاتفاق، ثم أمر إبن طاهر بعدها الحسن أن يزحف إلى (درى)، إلا أن بعض مماليك المازيار قد أحسوا بصفقة قوهيار مع الحسن، فلم يمهلوه حتى يجني ثمرة صفقته، فقتلوه[٣٥٤]. وأخيرًا دبرت خطة

---

(٣٥٠) رفع المعتصم قدر الأفشين بعد انتصاره على بابك فتوجه بتاج من الذهب، وألبسه وشاحين منظومين بالدرر والجواهر، وسوره سوارين، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، وكتب له بولاية السند، وأمر الشعراء بمدحه وجعل صلتهم عنده، فمما قال فيه الشعراء:

كـل مجـد غيـر مـا أثلـه	لبنـي كـاووس أولاد العجـم
إنمـا الأفشـين سـيف سـله	قـدر الله بكـف المعتصـم
لم يـدع في البـذ من سـاكنه	غيـر أمثـال كـأمثـال إرم

تاريخ الطبري ٢٣٤/٥، البدء والتاريخ ١١٨/٦، المنتظم ٧٧/١١، الكامل في التاريخ ٣٩/٦، البداية والنهاية ٢٨٥/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣٢٦/٣.

(٣٥١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٣م) – نهاية الأرب في فنون الأدب – تحقيق: محمد جابر عبد العال – المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٨٤، ٢٥٨/٢٢، إبن أيبك الدوداري (ت ٧٣٢هـ - ١٣٣٣م) – كنز الدر وجامع الغرر – دار صادر بيروت سنة ١٩٩٢م ٢٣٣/٥، سهيل زكار – التاريخ العباسي والأندلسي – ص٤٣.

(٣٥٢) تاريخ الطبري ٣٥٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٦/٦.

(٣٥٣) تاريخ الطبري ٣٥٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٦/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٣١/٣.

(٣٥٤) سأل الحسن المازيار عن أمواله فذكر له أنها عند قوم من وجوه مدينة سارية، وسماهم له فأمر الحسن القوهيار هذه الأموال إليه، فلما ذهب ليأخذها، وثبت به مماليك المازيار وكانوا من الديلم وعددهم ألف ومائتين فقتلوه، تاريخ الطبري ٣٥٨/٥، الكامل في التاريخ ٥٦/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٣٣/٣.

محكمة التنفيذ للإمساك بالمازيار نفسه، فلم يشعر وهو في قصره "هرمز اباد" حتى وقفت الرجالة والخيل من جيش الحسن على باب قصره فحصروه، ودخلوا القصر عنوة، وفي رواية للطبري أيضا أنه كان في رحلة صيد فوافوه فأخذوه أسيراً، في حين حاول من كان معه الفرار إلى بلاد الديلم، إلا أن عساكر الحسن أحاطت بهم. ودخلت جيوش الحسن قصر هرمز آباد فأباحته، وأخذوا منه أشياء كثيرة من بينها: تاج وسيف وخنجر كلها من الذهب الخالص[٣٥٥].

وقف المازيار أمام الحسن بن الحسين بغير عهد أو عقد، مكبلا في حديده فحمله الحسن بدوره إلى سامراء، وأبى المازيار أن يدخلها وهو يركب الفيل فأركبوه بغلاً بإكاف[٣٥٦]، فجلس المعتصم في دار العامة لخمس خلون من ذي القعدة سنة ٢٢٥هـ، وأمر فجمع بين المازيار والأفشين الذي كان قد حبس قبلها بأيام بسبب تمرد منكجور الأشروسني صهره[٣٥٧]، وجمع بينهما أحمد إبن دؤاد[٣٥٨]، الذي قال للمازيار: "هذا الأفشين الذي زعمت أنه حملك على المعصية، فقال الأفشين للمازيار: والله إن الكذب بالسوقة لقبيح فكيف بالملوك؟! والله ما ينجيك كذبك من القتل، فلا تجعل الكذب خاتمة أمرك؟ فقال المازيار: والله ما كتب إلي ولا راسلني إلا أن أبا الحارث وكيلي أخبرني أنه لما قدم على الأفشين بره وأكرمه" [٣٥٩] ويروي الطبري أن المعتصم نفسه سأل المازيار عن الكتب التي كانت بينه وبين الأفشين، فلم يقر بها المازيار[٣٦٠].

وفي رواية لابن الأثير: أن محمدًا بن عبد الملك الزيات[٣٦١] أحد قضاة المحكمة التي حاكمت الأفشين وكان معه في هيئة المحكمة إبن أبي دؤاد وإسحاق إبن إبراهيم[٣٦٢] – سأل

---

(٣٥٥) الكامل في التاريخ ٥٤/٦ – ٥٦، البداية والنهاية ٣٨٩/١٠، تاريخ إبن خلدون ٣٣٤/٣، النجوم الزاهرة ٢٤٣/٢، عبد المنعم ماجد – العصر العباسي الأول – ٤١٢/١.

(٣٥٦) إكاف ووكاف والجمع أكف، وهي ما يوضع على الحمار أو البغل أو البعير ليركب عليه الراكب ويضع من ليف أو غيره، ويسمى أيضا قتيب، وتصغيره قتيبة، فلما حاصر قتيبة بن مسلم الباهلي خوارزم أتاه رسولهم وسأله عن اسمه فقال: قتيبة، فقال لست أنت فاتحها، إنما يفتحها رجل اسمه إكاف، فقال قتيبة: إذن أنا فاتحها إنما اسمي إكاف، لسان العرب ٦٠/١، مختار الصحاح ٨/١.

(٣٥٧) تاريخ الطبري ٢٦١/٥، ٣٠١، الكامل في التاريخ ٦٠/٦.

(٣٥٨) سبقت ترجمته في تمرد بابك الخرمي.

(٣٥٩) تاريخ اليعقوبي ٤٧٧/٢.

(٣٦٠) تاريخ الطبري ٢٥٩/٥.

(٣٦١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق والمتوكل، كان أديبا شاعرا محسنا كامل الأدوات جميعا، كان ذكيا في كل شيء حتى صار نابغة وقته عقلا وفهما، قبض عليه المتوكل فيما بعد لما تهم بالزندقة فعذبه وسجنه حتى هلك، الفهرست ٤٧٣/١، الأنساب للسمعاني ١٨٤/٣، تاريخ دمشق ١٤١/٥٤، المنتظم ١٨٩/١١، العبر للذهبي ٤١٤/١.

(٣٦٢) هو إسحاق بن ابراهيم بن مصعب الخزاعي ابن عم عبد الله بن طاهر بن الحسين، ولاه المأمون بغداد، وكان يمتحن الناس بخلق القرآن في خلافة المأمون والمعتصم والواثق، العبر للذهبي ٤٠٨/١، البداية والنهاية ٣١٤/١٠.

المازيار: "أنت كاتبت الأفشين فقال: كتب أخوه إلى أخي قوهيار أنه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك الخرمي، فأما بابك فقد قتل نفسه بجمعه... فقال الأفشين: هذا يدعي أن أخي كتب إلى أخيه فما يجب عليَّ، ولو كتبت! فأنا أستميله إلى مكراً ليثق بي ثم أخذه بقفاه وأحظى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر به الآن"[٣٦٣].

ومن ظاهر الروايات السابقة لليعقوبي والطبري وابن الأثير وابن خلدون يبدو منها أن الأفشين براء من تهمة المكاتبات التي بينه وبين المازيار، إلا أننا نجد روايات أخرى تشير إلى أن المازيار أقر بتلك المراسلات، واعترف أن الأفشين راسله وزين له التمرد وحسنه إليه[٣٦٤]، فغضب المعتصم على الأفشين وسجنه وبنى له مكاناً كالمنارة من دار الخلافة تسمى الكوة تكاد تسعه فقط[٣٦٥]، ثم أدخل المازيار على المعتصم وكان عليه شديداً غليظاً، فقيل للمعتصم لا تعجل عليه فإن عنده أموالاً جمة، فلم يبال بهم المعتصم وقال:

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا في السلب[٣٦٦]

ثم أمر المعتصم بضرب المازيار وأربعمائة خمسين سوطا، وطلب ماء فسقى ثم مات من ساعته، وصلب إلى جانب بابك سنة ٢٢٥هـ - ٨٤٠م[٣٦٧] واستصفى المعتصم ابنة المازيار جارية له[٣٦٨]. وعلق الشاعر أبو تمام على مشهد الصلب قائلاً:

ولقد شفيت القلب من برحائها[٣٦٩] ... إن صار بابك جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان إذ هما في الغار[٣٧٠]

ويروي إبن الجوزي أن المعتصم كان حزينا على موقف الأفشين من المازيار وغير مصدق له، حتى أشار عليه أحمد بن أبي دؤاد أن يستدعي سرا كاتب الأفشين ويتأكد منه، وبعد أن رغَّب المعتصم الكاتب ورهبَّه أقر بالكتابة إلى المازيار[٣٧١]، بل وأن الأفشين كان قد أعد خطتين: إحداهما للتخلص من المعتصم وقادته بدعوتهم إلى طعام عند الأفشين به سم قاتل،

---

(٣٦٣) الكامل في التاريخ ٩٣/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٣٦/٣.
(٣٦٤) تاريخ الطبري ١٦١/٥، البدء والتاريخ ١١٩/٦، الكامل في التاريخ ٦٠/٦، العبر للذهبي ٣٩٥/١.
(٣٦٥) البداية والنهاية ٢٩٢/١٠.
(٣٦٦) وفيات الأعيان ٢٢/٢.
(٣٦٧) مؤلف مجهول – العيون والحدائق – دار المثنى بغداد – د. ت – ٢٦٣/٣، أميمة بيطار – تاريخ العصر العباسي – ط٤. دمشق. د. ت – ص ١٧٢.
(٣٦٨) معجم الأدباء ٢٩٧/١.
(٣٦٩) البرحاء: تعني الجهد والألم، وشدة الأذى، وتقال عند الحمى الشديدة التي تصيب البدن فيشتد كربه، لسان العرب ٤١٠/٢، مختار الصحاح ١٥/١.
(٣٧٠) الوافي بالوفيات ٢٤٠/٤، وعلق الصفدي على ابي تمام فقال (غلط في قوله: ((كاثنين ثان)) حيث أن الصحيح ن يقال ((ثاني اثنين))، المصدر السابق – نفسه، ولعل أن ابو تمام قصد أن لا يأتي بآية قرآنية في شطر بيت شعر فقل مـ قـ. والله أعلم.. الباحث.
(٣٧١) المنتظم ١١ ٩٩.

والأخرى تحتوي على خطة للهروب إلى ارمينية عن طريق الموصل بعبور نهر الزاب إلى بلاد الخزر ثم بلاد الترك ثم بلاد اشروسينة، بعد ان يستميل الخزر على المسلمين(٣٧٢).

في النهاية، رأى المعتصم في مواقف الأفشين خطورة على سلطته ونفوذه، فخافه على مكانته، فزج به في السجن، ومنع عنه الطعام إلا من رغيف يوميا، حتى مات في محبسه، وقيل بل قتله وصلبه، وقيل إنه لما مات في محبسه صلبه مع بابك، وقيل أحرق مع أصنام كانت في منزله في حفرة(٣٧٣). ولعل الأفشين قد ذهب ضحية مؤامرة قد دبرت له من خصومه لاسيما ابن طاهر وابن أبي دؤاد بسبب – كما يقول الذهبي – (أن عبد الله بن طاهر وابن أبي دؤاد ألقيا في ذهن المعتصم أن الأفشين يريد قتله)(٣٧٤). وإن كان الباحث يميل إلى أن الأفشين راح ضحية مؤامرة خصومه، إلا أن ذلك لا ينفي أن بعض الفرس قد دخلوا في الإسلام واعتنقوه ظاهرا، بينما هم على ولائهم لدينهم القديم، له متعصبون، وإنما ادعوا الإسلام حتى ينفذوا إلى قلب الدولة الإسلامية كالمازيار وغيره(٣٧٥)، إلا أن هذه المشاريع الزنادقية كلها قد باءت بالفشل والخذلان مثل سنباذ وأستاذسيس والمقنع وبابك والمازيار والتي كانت ترمي إلى إقامة حكم فارسي مجوسي ثم مناوأة الخلافة العباسية، وذلك بفضل إيمان الخلفاء الحي اليقظ وحرصهم الشديد على حماية بيضة الدين، وغيرتهم على الإسلام، خاصة الخليفة المعتصم الذي تمت على يديه ثلاثة فتوحات وانتصارات كانت كلها قوة للإسلام وحصناً: كان أولها: فتوحاته في بلاد الروم، وثانيها: قضاؤه على حركة بابك الخرمي، وآخرها: انتصاره على مازيار المجوسي بطبرستان، ولو أن أحدها لم يتم لفت في عضد الإسلام كثيراً(٣٧٦). فلم تكن حركة الزندقة أقل خطورة من حركة الردة في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه(٣٧٧).

(٣٧٢) الكامل في التاريخ ٦٣/٦، تاريخ ابن خلدون ٣٣٥/٣.

(٣٧٣) المنتظم ١١٢/١١.

(٣٧٤) سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٠.

(٣٧٥) زبدة الفكرة – مخطوط ١٥٨/٤ – ١٥٩، محمد جمال سرور – الحياة السياسية في الدول العربية – دار الفكر العربي ط ٣ سنة ١٩٧٦م ص ٢٩٤.

(٣٧٦) سياسة نامه ٢٩٠/١.

(٣٧٧) د. أحمد الحفناوي – حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام – دار الوفاء المنصورة – طبعة سنة ١٤٠٦، ١٩٨٦، ص ٨ – ١٦ – ١٨.

الفصل السادس

حركات التمرد والعصيان بمصر في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول

وقد شمل هذا الفصل مقدمة أثبت فيها أن مصر لم تكن من قبل – ومن بعد – في يوم ما بمعزل عن الأحداث التي تجري في حاضرة الخلافة وما حولها، ثم أوردت حركات التمرد والعصيان في مصر على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ودور المصريين وغيرهم في استشهاده مظلوما -رضي الله عنه- وكذلك في عهد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-وكرم الله وجهه.

ثم اشتمل هذا الفصل على أبرز حركات التمرد والعصيان في مصر على الأمويين من مسلمين وأقباط وخوارج وقبائل وأفراد، ثم احتوى الفصل على حركات التمرد والعصيان في مصر على العباسيين في العصر الأول كالعلويين والأقباط بسخا وتمرد دحية بن مصعب والسري بن الحكم وعبد العزيز الجروي وعبيد الله السري ويحيى بن عبد العزيز الجروي وغيرهم مما احتواه هذا الفصل. وإذا كانت طبيعة دراسة كل موضوع من الموضوعات في الأبحاث التاريخية هي التي تحدد نوعية مصادره؛ لأن لكل موضوع نوع من المصادر التي ترفده من مناح شتى، لتلبي غرضه وتحقق أهدافه، فإن موضوع حركات التمرد والعصيان منذ قيام الدولة الأموية حتى نهاية العصر العباسي الأول، اقتضى دراسته أن تتنوع مصادرها تنوعا كبيرا من كتب التاريخ العام والتراجم والطبقات وكتب الجغرافية والرحلات والسياسة والأدب والحسبة والفقه واللغة، ومن ثم كان الرجوع إلى هذه المصادر جميعاً.

عرف الإنسان المصري دائما بميله إلى الاستقرار والهدوء وحبه وإيثاره للسلام، وصبره على تعاقب الحكام وتوالي الأيام، واتصف ببعده عن الميل إلى العنف، فتلقف بعض الذين لا يتعمقون في بواطن الأمور، ولا يستقصون أصول البحث التاريخي(١)، هذه الخصائص وأولوها إلى أنها ضعف في التركيبة الشخصية للإنسان المصري وخوار في عزيمته، حتى قال عنهم إبن القرية(٢) "إن المصريين عبيد لمن غلب"(٣)، أو كما نقل البكري في معجمه عن بعضهم(٤)

---

(١) علاء الدين عبد الغفار منصور – إبن تيمية مؤرخا – رسالة ماجستير آداب طنطا سنة ٢٠٠٤م – ص ٩٠ وما بعدها.

(٢) هو أبو سليمان أيوب بن زيد قيس ينتهي نسبه إلى عدنان، والقرية هي أمه وقيل جدته، كان أعرابيا أميا، ولكنه كان لسنا معدودا من خطباء العرب المشهوريين بالفصاحة والبلاغة، رافق الحجاج بن يوسف الثقفي ثم انقلب عليه وانضم إلى تمرد عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٨١هـ فقتله الحجاج، ويتضح من ترجمته أنه كان خطيبا ولم يكن مؤرخا حتى يؤخذ بكلامه في مثل هذه الأحكام، المعارف ٤٠٤/١، وفيات الأعيان ٢٥٠/١، الوافي بالوفيات ٢٥/١٠.

(٣) النجوم الزاهرة ٥١/١.

(٤) هو أرطاة بن سهية، وكان يحرص بني ذبيان ويحثهم على الدفاع عن أوطانهم، معجم ما استعجم ٥١٤/٢.

قوله لقومه "ذودوا عن دمائكم ولا تكونوا لقوم أم خنور[٥]، ينالكم من أراد، يأخذ منكم من أحب"[٦].

إلى غير ذلك من الشبهات التي تلصق بأهل مصر وهم عنها براء، خاصة بعد دخولهم في الإسلام سنة ٢١هـ/٦٤١م[٧].

فمنذ هذا التاريخ المجيد لم تكن مصر قط بمعزل عن الأحداث التي تجري في ساحة الخلافة الإسلامية – بما فيها حركات التمرد والعصيان – فمنذ الفتنة الأولى في الإسلام في عهد الخليفة [عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ٢٣ – ٣٥هـ/ ٦٤٣ – ٦٥٥م] كان للمصريين فيها دور بارز ليس به خفاء، فليس هو بالدور المنعزل ولا المتفرج، وإنما دور القائم فيها بوافر النصيب – وإن كان دوراً خالفه الصواب – فإنه لا يقل عن دور أي شريك آخر فيها، إن لم يكن يفوقه في بعض مراحل الفتنة، وما إن قامت الدولة الأموية سنة [٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م] حتى كان للمصريين دور فعال وموجه في سياسة الأمويين بها فلقد تمردوا عليها في أكثر من ستة عشر تمردا وعصيانا كبيرا، وما إن حل العباسيون محلهم في عصرهم الأول [١٣٢ – ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ – ٨٤٧م] حتى قام المصريون بنفس الدور بل وزيادة فكان لهم في ذلك العهد ما يزيد على اثنين وعشرين تمردا وعصيانا كبيرا، وفي الدولتين كان الخلفاء الأمويون والعباسيون يقدرون تماما دور مصر ومكانتها وموقعها وأهميتها، حتى لخصه وأجمله محمد بن زياد الحارثي في رسالة إلى [الخليفة الرشيد ١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٦ – ٨٠٨م] يحثه على معالجة تمردات أهل مصر بالحكمة التي يقتضيها الموقف وذلك لأهميتها للخلافة

(٥) أم خنور: اسم من أسماء مصر – صانها الله تعالى – حيث كانت العرب على مصر عليها أم خنور أي أم النعمة وأم الخير، وكان أبو هريرة – رضي الله عنه – يسأل حجاج مصر في مكة عن مصر فيقول لهم (كيف تركتم أم خنور؟)، فتوح مصر وأخبارها ٣٥٦/١، معجم ما استعجم ١٩٥/١، ٥١٤/٢، معجم البلدان ٢٥١/١، ٣٥٩/٤، لسان العرب ٣٥٩/٤.

(٦) معجم ما استعجم ٥١٤/٢.

(٧) يرى الباحث أن هذه الشبهات وأمثالها التي تلصق بالمصريين – وحتى إذا سلمنا بصحة بعضها جدلا – يمكن أن تكون في فترة ما قبل الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢١هـ تلك الفترة التي تقلب على المصريين فيها أكثر من محتل صبوا عليهم فنون الاضطهاد وصنوف العذاب – لاسيمًا أباطرة الرومان – أما بعد الفتح الإسلامي سنة ٢١هـ فقد تغير وجه الأمر فاصطبغ المصريون بالإسلام وبالمسلمين العرب، وتغلغلت في نفوسهم عقيدة التوحيد، فأنبتت فيهم روح الحرية والحياة بكرامة الإسلام، والجهاد في سبيل ذلك والتضحية من أجله رفعا للظلم ومجاهدة للظالمين، إضافة إلى مخالطة المصريين لإخوانهم المسلمين من العرب الفاتحين، مما جعل المصري علامة بعد دخول الإسلام إنسانا آخر يأبى الضيم ويكره الظلم ويجاهد في سبيل مقاومته بنفسه وماله، حتى إننا رأينا المصري القبطي بعد الفتح الإسلامي يسافر من مصر إلى الحجاز ليشتكي ابن عمرو بن العاص والي مصر – الذي كان له شرف أن يمارس معه رياضة ركوب الخيل ويدخل معه السباق – من ضربه له لما سبقه بالدرة، فيقتص له عمر بن الخطاب – وأين درة ابن عمرو من سيوف وقيود وسجون الرومان؟ - ويقول لعمرو بن العاص قولته المشهورة: (مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا). فتوح مصر وأخبارها ٢٩٠/١.

فيوضح له الأمر قائلا: "ومصر خزانة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل مؤنة ثغوره وأطرافه، ويقوت بها عامة جنده ورعيته، مع اتصالها بالمغرب، ومجاورتها لأجناد الشام وبقية من بقايا العرب، ومجمع عدد الناس فيما يجمع من ضروب المنافع والصناعات، فليس أمرها بالصغير، ولا فسادها بالهين، ولا ما يلتمس به صلاحها بالأمر الذي يصير له على المشقة وإنما يأتي صلاحها بالرفق" (٨).

تمرد/محمد بن أبي حذيفة(٩) على الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سنة ٣٥هـ - ٦٥٥م

نشأ محمد بن أبي حذيفة في بيت عثمان بن عفان -رضي الله عنه- صغيرا حيث عهد أبوه به إلى عثمان عند توجهه إلى قتال مسيلمة الكذاب باليمامة سنة ١٢هـ/٦٣٣م والتي قتل فيها، فتربى محمد في كنف عثمان -رضي الله عنه- فنشأ في عبادة وزهادة(١٠)، إلا أنه كان دائما ما يسأل عثمان أن يوليه ولاية فيقول له عثمان -رضي الله عنه- "متى صرت أهلا لذلك وليتك" (١١)، ويذكر بعض المؤرخين أن محمد قد اقترف شيئا من شراب فحده عثمان ثم تاب محمد من ذلك وأظهر عبادة وتنسكاً وزهادة(١٢)، ثم استأذن عثمان أن يخرج في بعث من بعوث المسلمين فأذن له، حيث كان كثير التعتب على عثمان -رضي الله عنه- في ذلك، فقصد الديار المصرية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي عثمان بن عفان من الرضاعة(١٣).

ويذكر المؤرخون أن أول تمرد محمد بن أبي حذيفة على عثمان -رضي الله عنه- كان في معركة ذات الصواري ضد الروم سنة ٣١هـ/٦٥١م، وكان معه محمد

---

(٨) معجم البلدان ١٣٧/٥ - ١٣٨.

(٩) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو، كان أبو حذيفة ممن سبق إلى الإسلام من بني عبد مناف وهاجر إلى الحبشة، وولد له محمد هذا بها ولقبوه بفرخ قريش، ويكنى أبا القاسم العبشمي، ثم لقب بعد ذلك بمشؤوم قريش، وكان محمد خطيبا مفوها لسنا، وكان من أقرأ الناس للقرآن، يسميه الذهبي بالثائر على عثمان، قتل في ذي الحجة سنة ٣٦هـ انظر: طبقات ابن سعد ٦٢/١، أخبار المدينة لابن شبه ١٩٢/٢، المعارف ٢٧٢/١، المعرفة والتاريخ ٢٩٤/٢، البدء والتاريخ ٩٩/٥، تاريخ دمشق ٤١/٢٩، سير أعلام النبلاء ٤٧٩/٣، الوافي بالوفيات ٢٤٣/٢، البداية والنهاية ٦٧/٣، الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/٦، النجوم الزاهرة ٤١/٢٩.

(١٠) أخبار المدينة ١٣٥/٢، المعارف ٢٧٢/١، تاريخ دمشق ٣٠١/٣٩، المنتظم ٥٩/٥، الكامل في التاريخ ٥٤/٣، البداية والنهاية ٢٢٨/٧.

(١١) البداية والنهاية ٢٥١/٧، ٣١٢.

(١٢) الكامل في التاريخ ١٥٠/٣، تاريخ ابن خلدون ٦٢٢/٢.

(١٣) هو عبد الله سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو يحيى القرشي العامري، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، له صحبة وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عنه بعض الرواة، وقد ولاه عثمان - رضي الله عنه - ولاية مصر في خلافته فخرج عليه محمد بن أبي حذيفة فسار إلى عسقلان ومات بها سنة ٣٦هـ وقيل بالرملة سنة ٥٩هـ المعرفة والتاريخ ١٠٢/١، تاريخ الطبري ١٩/٢٩، تاريخ دمشق ١٩/٢٩، ٢٦، ٤٤.

بن أبي بكر الصديق، فكان يخالف عبد الله بن سعد بن أبي سرح في الصلاة، ويعيب على عثمان بعض الأمور[١٤]، ويذكرون أنه قد خالف أبا بكر وعمرو، ويقول مع محمد إبن ابي بكر للناس "والله لقد تركنا الجهاد خلفنا فيقال له: وأي جهاد؟ فيقول: جهاد عثمان بن عفان فعل كذا وكذا، حتى أفسد الناس، وقدموا بلدهم وقد أفسدوا وأظهروا من القول ما لم يكن أن يظهروه قبل ذلك" [١٥]، ولما سمع عبد الله بن سعد أبو سرح هذا الكلام بذات الصواري قال له: لا تركب معنا. فركب في مركب آخر يمتلكه القبط وعاد إلى مصر[١٦].

كان محمد بن أبي حذيفة يظهر التعبد والزهادة في مصر، إضافة إلى أنه كان خطيبا وقارئا للقرآن، فعظمه الناس لما رأوا من عبادته، وكان يتعرض لعثمان-رضي الله عنه- بالقدح وفي واليه على مصر عبد الله بن أبي سرح، وكان يعاضده ويشاركه في ذلك محمد بن أبي بكر، فشكاهما إبن أبي سرح إلى عثمان -رضي الله عنه- فأمره عثمان بأن يتجنبهما ويغض الطرف عنهما، كرامة لأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنها –[١٧] بل وأرسل إلى محمد بمصر ثلاثين ألف درهم وكسوة، فما كان من محمد بن أبي حذيفة إلا أن وضع ذلك المال بين الناس في المسجد، وقال: "يا معشر المسلمين كيف أخادع عن ديني وأخذ الرشوة عليه من عثمان"[١٨] فازداد أهل مصر له تعظيمًا وطعنًا على عثمان -رضي الله عنه- ثم بايعوا إبن حذيفة على رياستهم[١٩]، وكتب أهل مصر كتاباً بمآخذهم على عثمان

---

(١٤) من هذه الأمور على سبيل المثال إنه محمدا كان يقول عن عثمان -رضي الله عنه- (استعمل عثمان عبد الله إبن سعد بن أبي سرح على مصر وهو الذي أباح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دمه ونزل القرآن بكفره)، وكان يعيب على عثمان عطاءه الأموال على البعض بسخاء فكان يقول عن عثمان -رضي الله عنه- (ما جعل هؤلاء أحق بالماء مني؟) انظر: أخبار المدينة ١٩١/٢، الكامل في التاريخ ١٤/٣. هذا وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم ثم ارتد مشركاً، فأباح النبي – صلى الله عليه وسلم – دمه، ففر إلى أخيه عثمان بن عفان فتاب على يديه وعاد إلى الإسلام، حتى كان يوم فتح مكة أتى به عثمان -رضي الله عنه- إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يطلب له الأمان، فصمت النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد الوقت ثم أمنه، تاريخ الطبري ١٦٠/٢، منهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٢٤٠ – ٢٤١، إبن تيمية مؤرخا ص ٢٩١ – ٢٩٢. وعن هذه المظالم والمناكير التي أخذت على عثمان ورد عليها وفندها إبن العربي في العواصم من القواصم ص ٧١/١ وما بعدها، إبن تيمية، منهاج السنة النبوية ٢٩٦/٦، إبن تيمية مؤرخا ٢٨٦

(١٥) تاريخ الطبري ٦٢٠/٢، المنتظم ١٣/٥، الكامل في التاريخ ١٤/٣.

(١٦)تاريخ الطبري ٦٢٠/٢، المنتظم ١٣/٥، الكامل في التاريخ ١٤/٣، البداية والنهاية ١٥٨/٧.

(١٧) كانت عائشة – رضي الله عنها – لا ترضى بما يقوم به أخوها محمد بن أبي بكر ضد عثمان -رضي الله عنه- فكانت ترسل إليه تنهاه عن ذلك، ولما لم يمتثل لها، كانت تدعو عليه وتدعو سنة، ولم تكف عن ذلك حتى ماتت. مقتل الشهيد عثمان ٩٣/١.

(١٨) تاريخ ابن خلدون ٦٢٢/٢.

(١٩) الإصابة في تمييز الصحابة ١١/٦، تاريخ ابن خلدون ٦٢٢/٢

ومطالبهم له، فكتب إليهم عثمان كتابا يرد على مآخذهم ويلبي لهم مطالبهم، ولكن ذلك لم يزد ابن حذيفة إلا تحريضا على عثمان[٢٠].

استغل ابن أبي حذيفة خروج عبد الله بن أبي سرح والي مصر إلى عثمان – رضي الله عنه– بالمدينة المنورة، وجمع الناس وخرجوا إلى عقبة بن عامر الجهني[٢١] خليفة ابن أبي سرح على مصر، وأخرجوه من الفسطاط، ثم دعا الناس إلى خلع عثمان –رضي الله عنه– وسعى إلى ذلك بكل شيء قدر عليه حتى سعَّر البلاد وأحنق على عثمان صدور الناس، ثم أمَّر ابن أبي حذيفة نفسه على مصر وبايعه كثير من أهلها على ما قدم عليه [٢٢]، ثم اتجه إلى وضع خطة واضحة المعالم، محكمة، التنفيذ، محبوكة الإخراج، لتنفيذ تمرده وعصيانه وكان من بينها:

أن محمداً بن أبي حذيفة كتب الكتب التي ترمي عثمان -رضي الله عنه- بالتبديل والتغيير عما كان عليه أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – ويحرض الناس على خلعه ثم يدّعي زورًا هذه الكتب على لسان أمهات المؤمنين بالمدينة – رضي الله عنهن جميعًا – وأنهن أرسلن بها إلى أهل مصر، وحتى يتأكد أهل مصر أنها حقا منهن، احتال على ذلك فكان يعد الرواحل ثم يضمرها[٢٣] حتى يظهر عليها آثار السفر، ثم يأتي بالرجال الذين من المفترض أن يركبوا تلك الإبل، فيجعلهم على ظهور البيوت، يستقبلون الشمس بوجوههم لتلوحهم تلويح المسافرين، ثم يأمرهم بركوب تلك الإبل المضمرة وأن يتجهوا إلى طريق المدينة خارج حدود مصر، ثم يرسلوا رسلا منهم يسبقونهم إلى مصر يخبرون الناس بقدوم رسل أمهات المؤمنين إليهم ليخرجوا لاستقبالهم، وكان ابن حذيفة قد أمرهم سلفًا أن يقولوا للناس عند لقائهم: ليس عندنا خبر، والخبر في الكتب ويخرج ابن أبي حذيفة ومعه الناس ليستقبلوا وفد رسل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – والوفد يقولون للناس: الخبر في المسجد عليكم بالمسجد، فيتجه الناس للمسجد، ويُقرأ

---

(٢٠) عن كتاب أهل مصر إلى عثمان – رضي الله عنه– وكتابه إليهم انظر: أخبار المدينة ١٩٣/١.

(٢١) هو عقبة بن عامر بن عبس عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن قيس بن جهينة الجهني، له أكثر من كنية منها: أبو أسد المصري، أبو أسيد، أبو عبس، أبو حماد، أبو عمرو، كان صاحب النبي – صلى الله عليه وسلم – وحدث عنه، وكان من أهل الصفة، أسلم بعد قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة. وقد ولي مصر لمعاوية بن أبي سفيان وكان إماما قارئا، كان له فضل وسابقة وله مصحف مشهور عنه قد كتبه بيده، وكان يجيد الرمي وشهد صفين مع معاوية ثم تحول الى مصر ونزل بها وتوفي سنة ٥٨هـ طبقات ابن سعد ٤٩٨/٧، المعارف ٢٧٩/١، مشاهير علماء الأمصار ١٥٥، الأنساب للسمعاني ٢/*، حلية الأولياء ٨/٢، تاريخ دمشق ٤٩٠/٤٠، سير أعلام النبلاء ٤٦٧/٢، الاصابة في تمييز الصحابة ٥٢٠/٤، الوافي بالوفيات ٦٢/٣٠، النجوم الزاهرة ٨١/١، ٩٢.

(٢٢) أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت سنة ٣٥٠هـ - تاريخ ولاة مصر وقضاتها - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت لبنان - ط١ سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ١٩، مآثر الإنافة ٩٨/١.

(٢٣) يضمرها من الضمر: وهو الهزال ولحاق البطن وخفة اللحم، وهي صفات تتوافر للإبل والخيل المسافرة. لسان العرب ٤٩١/٤، مختار الصحاح ١٦١/١.

عليهم كتب أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيها "انا لنشكو إلى الله واليكم ما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام"[٢٤]، ثم يقوم جماعة من الشيوخ ينتشرون في جنبات المسجد فيضجون بالبكاء، ثم ينزل ابن أبي حذيفة من فوق المنبر ويحرض الناس على خلع عثمان -رضي الله عنه-.

وقف شيعة عثمان بمصر يترأسهم معاوية بن أبي حديج[٢٥] في وجه محمد بن أبي حذيفة فاعتزلوه إبن أبي حذيفة وأرسلوا إلى عثمان -رضي الله عنه- سلمة بن مخرمة التجيبي أحد بني زميلة ليعلمه بموقف إبن حذيفة في مصر وما قام به، فأرسل عثمان -رضي الله عنه- إلى أهل مصر سعد -رضي الله عنه- ليصلح أمرهم ويعطيهم ما سألوا، فخطب إبن أبي حذيفة أهل مصر قائلا: "ألا إن الكذاب – يقصد عثمان -رضي الله عنه- قد بعث إليكم سعداً بن مالك[٢٦] ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التخاذل فيكم فانفروا إليه" [٢٧]، وخرج إبن أبي حذيفة أمامهم في مائة من الجند، فلقوا سعدا بن أبي وقاص وقد ضرب فسطاطة بمرحلة بني سعد وهو قائل، فمزقوا فسطاطه وسبوه وشجوه، فركب راحلته وعاد راحلا من حيث جاء وهو يدعو على المتمردين عليه من أهل مصرويقول: "ضربكم الله بالذل والفرقة وشتت أمركم، وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمير ولا أرضاه بكم" [٢٨]، ثم انصرف سعد -رضي الله عنه- وقد أقبل من عند عثمان بن عفان -رضي الله عنه- والي مصر عبد الله بن أبي سرح، فلما بلغ بحر القلزم وجه إليه إبن أبي حذيفة خيلا تمنعه وهو يصرخ فيهم (ويلكم: دعوني أدخل على جندي فأعلمهم بما جئت به، فإني قد جئتهم بخير – وهم يمنعونه وهو يقول لهم -.. والله لوددت

(٢٤) تاريخ ولاة مصر ص ١٩، الإصابة في تمييز الصحابة ١١/٦، النجوم الزاهرة ٩٤/١.

(٢٥) هو معاوية بن حديج الكندي إبن خرمة بن جبيرة بن الحارث بن عبد شمس بن معاوية بن أشرس الكندي السكوني، يكنى قائد الكتائب أبو نعيم وأبو عبد الرحمن، وفد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشهد فتح مصر، وهو الوحيد من السكونيين الذين رووا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان الوافد على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بفتح الإسكندرية، وشهد اليرموك وشهد حرب النوبة مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٣١هـ وذهبت عينه فيها، ثم ولي مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان وغزا المغرب عدة مرات بدءاً منذ سنة ٣٤هـ وسنة ٥٠هـ، وتوفي -رضي الله عنه- سنة ٥٢هـ طبقات بن سعد ٥٠٢/٧، فتوح مصر ٨٦/١، الأحاد والمثاني ٢١٢/٥، ٤٠٣/٤، معجم الصحابة ٧٦/٣، مشاهير علماء الأمصار ٥٦/١، الأنباه على قبائل الرواة ١١٥/١، سير أعلام النبلاء ٣٧/٣.

(٢٦) يقصد سعد بن أبي وقاص لأن اسمه: سعد بن مالك بن وهب ويقال بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ويكنى أبا إسحاق، فضائل الصحابة للنسائي ٣٤/١، معجم الصحابة ٢٤٧/٦، طبقات المحدثين بأصبهان ٢٧٧/٢، السنة والتاريخ ص٨٤، التحفة اللطيفة ٣٩١/١.

(٢٧) تاريخ ولاة مصر ص ٢٠، الاصابة في تمييز الصحابة ١١/٦.

(٢٨) الاصابة في تمييز الصحابة ١١/٦، النجوم الزاهرة ٩٤/١.

أني دخلت عليهم فأعلمتهم بما جئت به ثم مت) (٢٩) فلما لم يسمحوا له انصرف إلى عسقلان(٣٠) وكره أن يرجع إلى عثمان – رضي الله عنه-(٣١).

وعزم محمد بن أبي حذيفة بالتواطؤ مع عبد الله بن سبأ على إرسال بعث من خمسمائة – أو ستمائة – إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بالمدينة، وجعلا على كل مائة رجل رئيسًا وعلى الجميع كان عبد الرحمن بن عديس البلوى(٣٢)، وصحب البعث محمد بن أبي بكر الصديق، وكتب ابن أبي حذيفة كتبا إلى عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وعمار بن ياسر – رضي الله عنهم جميعا – بالمدينة، وكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان في حقيقة البعث أنهم في ظاهرهم يرفعون شعار العمرة، أما في الحقيقة (أنهم خرجوا إلى إمامهم – حسب قول ابن أبي حذيفة – فإن نزع وإلا قتلوه) (٣٣).

في حين فرض ابن أبي حذيفة على شيعة عثمان بمصر الإقامة الجبرية بدورهم ثم أرسل إلى زعيمهم ابن جديج ليكرهه على البيعة وهو أرمل(٣٤)، فكره له ذلك زعيم الشيعة بمصر كنانة بن بشر، فدفع عن معاوية ما كره، ثم أنه لما قتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في ذي الحجة سنة ٣٥هـ/٦٥٥م، وعاد بعث ابن أبي حذيفة من المدينة إلى مصر فدخلوا الفسطاط وارتجز مرتجزهم مزهوًا بقتلهم لعثمان -رضي الله عنه-

خذها إليك واحذرن أبا الحسن | إنا نمر الأمر إمرار الرسن(٣٥)

بالسيف تخمد نيران الفتن(٣٦)

---

(٢٩) تاريخ ولاة مصر ص ٢٠.

(٣٠) عسقلان: في اللغة اعلى الرأس، وسميت بذلك لأنها أعلى الشام، وهي مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر، بينها وبين غزة عشرين ميلا، ويطلق عليها عروس الشام، معجم ما استعجم ٩٤٣/٣، نزهة المشتاق ٣٥٦/١، معجم البلدان ١٢٢/٤.

(٣١) الإصابة ١١/٦، تاريخ ابن خلدون ٣٨١/٤.

(٣٢) هو عبد الرحمن بن عديس بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذهل بن بلى بن عمرو البلوي، يكنى أبا عمرو، بايع النبي – صلى الله عليه وسلم- تحت الشجرة، وشهد فتح مصر واختط بها الدار البيضاء، كان أحد فرسان مصر، بل المعدودين بها، وكان على رأس الخيل التي توجهت من مصر إلى عثمان بالمدينة، وكان صنم الرهن الذين أخرجهم معاوية من مصر، ثم حبسهم في موضع بجبل الجليل بالشام -وهو المكان الذي كان معاوية يحبس فيه من يظفر بمن قتلة عثمان -رضي الله عنه- ثم قتله جماعة من الأعراب لما اعترف بقتل عثمان -رضي الله عنه- وكان قتله في خلافة معاوية، انظر: طبقات ابن سعد ٥٠٩/٧، فتوح مصر ١ ٢٠٢، الأحادث والمثاني ٧٤/٥، مشاهير علماء الأمصار ٥٦/١، الأنساب ٣٩٦/١، معجم البلدان ١٥٨/٢.

(٣٣) تاريخ الطبري ٢ ٦٥٧، ٦٣/٣، تاريخ دمشق ٣٦٠/٣٩، المنتظم ٩٧/٥، الكامل في التاريخ ١٥١/٣، البداية والنهاية ٢٥١/٧.

(٣٤) أرمل: كلمة تطلق على كل جماعة من رجال ونساء ورجال دون نساء أو نساء دون رجال، وأرمل القوم إذا نفذ زادهم فاحتاجوا. لسان العرب ٢٩٦/١١.

(٣٥) أبو الحسن هنا هو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ومعنى الرسن: هو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره، النهاية في غريب الاثر ٢٣ ٢٢٤، لسان العرب ١٨٠/١٣، مختار الصحاح ١ ١٠٢.

(٣٦) سيف بن عمر الضبي الاسدي ت سنة ٢٠٠هـ- الفتنة ووقعة الجمل – دار النفائس بيروت – ط ١ سنة ١٣٩١هـ – تحقيق/ أحمد راتب عرموش ٩٦/١، تاريخ الطبري ٧٠١/٢، الكامل في التاريخ ٣ ٨٥، البداية والنهاية ٢٢٨/٧.

ثم دخلوا المسجد صائحين "إنا لسنا قتلة عثمان، ولكن الله قتله" [٣٧].

عقد شيعة عثمان -رضي الله عنه- في مصر لمعاوية بن حديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فخرج بهم إلى صعيد مصر ثم بعث خيلاً إلى أصحاب محمد بن أبي حذيفة فالتقوهم في دقناس من كور البهنسا، فهزموا أصحاب بن أبي حذيفة، وبعدها مضى ابن أبي حذيفة إلى برقة [٣٨]، ثم عاد إلى الإسكندرية، وأمر بجيش عليه قيس بن حرملة اللخمي أن يخرج لمواجهة شيعة عثمان بخربتا [٣٩] وقد أووا إليها وأجمعوا على الاقتصاص من قتلة عثمان، فاقتتلوا أول رمضان سنة ٣٦هـ وهزم فيها جيش ابن حرملة وقتل [٤٠].

وأراد معاوية بن أبي سفيان الخروج إلى صفين فبدأ بمصر أولًا حتى لا يترك مصر في حوزة محمد بن أبي حذيفة، فنزل بكورة سلمنت في عين شمس في شوال سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، وكان بصحبته عمرو بن العاص، فخرج إليهم بن أبي حذيفة في جمع من أهل مصر ليمنعوه عنها بالقوة فأرسل إليه معاوية يقول: "إنا لا نريد قتال أحد وإنما نطلب قتلة عثمان" [٤١] وحددوهم بالاسم [٤٢]. فرد عليهم إبن أبي حذيفة "لو طلبت منا جديًا أرطب السرة – أي حديث الولادة – بعثمان ما دفعناه إليك" [٤٣] وأمام إصرار إبن أبي حذيفة على عدم تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وأمام قوته المتمثلة في كثير من جموع عرب مصر معه بصفته أنه قد أصبح الوالي عليهم من قبل الخليفة الجديد علي إبن أبي طالب -رضي الله عنه- [٤٤] رأى معاوية أن يحتال عليه ويخادعه لعدم تكافؤ ميزان القوة والمنعة، فأرسل إليه معاوية يقول: "اجعل بيننا وبينكم رهنًا فلا يكون بيننا

---

(٣٧) تاريخ ولاة مصر ص ٢١.

(٣٨) برقة مدينة متوسطة تقع بين الإسكندرية وإفريقية وبينهما مسيرة شهر، وهي تعد أول كور المغرب من جهة مصر، بينها وبين القيروان مائتان وخمسة عشر فرسخا وبينها وبين الفسطاط مائتان وعشرين فرسخا، فتحها عمرو بن العاص صلحا سنة ٢١هـ أحسن التقاسيم ٢٠١/١، معجم ما استعجم ٢٠٠/١، نزهة المشتاق ٣١٠/١، معجم البلدان ٣٨٩/١ ـ ٣٩٠.

(٣٩) خربتا: بكسر الخاء كوره من كور الحوف الغربي بالقرب من الإسكندرية، كان أهلها أهل شدة وعدة، لجأ إليه شيعة عثمان -رضي الله عنه- الذين يطلبون القصاص من قتلته، طبقات إبن سعد ٧/ ٥٠٤، معجم البلدان ٣٥٥/٢.

(٤٠) تاريخ ولاة مصر ص٢٢، تاريخ دمشق ٢٥٨/٥٠ ـ ٢٥٩، النجوم الزاهرة ٩٤/١.

(٤١) الاصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٢.

(٤٢) منهم عبد الرحمن بن عديس وكنانه بن بشر وأبو شمر بن أبرهة بن الصباح، تاريخ ولاة مصر ص٢٢، الاصابة ١٢/٦.

(٤٣) تاريخ ولاة مصر ص ٢٢، تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٥٩.

(٤٤) حيث ولى علي بن ابي طالب -رضي الله عنه- في أول خلافته على مصر محمدا بن أبي حذيفة ثم عزله وولاه قيس بن سعد بن عبادة ثم عزله وولى الأشتر مالك بن الحارث النخعي فمات على حدودها قبل ان يصلها فولاها محمد بن ابي بكر فقتل بها، ثم غلب عليها عمرو بن العاص بعده. تاريخ خليفة بن خياط ٢٠١، فتوح البلدان ١/ ٢٢٩.

وبينكم حرب حتى يستخلف الله ويجمع الأمة على من يشاء" (٤٥)، ووافق إبن أبي حذيفة على ذلك خوفاً وجبنًا منه (٤٦)، ثم عزم على المسير مع الرهن إلى معاوية مستخلفا على مصر الحكم بن الصلت (٤٧) خرج معه في الرهن إبن عديس وعدة من قتلة عثمان منهم كنانة بن بشر وأبو شمس بن أبرهة الصباح وغيرهم، فلما وصلوا إلى معاوية على حدود مصر مع فلسطين، قبض عليهم وحبسهم ثم عاد إلى دمشق، فهربوا من السجن (٤٨)، فتتبعهم أمير فلسطين فقبض عليهم ثم عزم على قتلهم، وأحس بذلك محمد بن أبي حذيفة فقال لأصحابه: "هذه الليلة التي قتل في صباحها عثمان بن عفان، فإن يكن القصاص لعثمان سنقتل في الغد" (٤٩)، وصح ما توقعه إبن أبي حذيفة فقتلوا من الغد في يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين للهجرة (٥٠).

وحزن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- على مقتل واليه على مصر محمد إبن أبي حذيفة، وعقد لقيس بن سعد بن عبادة (٥١) مكانه، وهو الذي كان يميل إلى

---

(٤٥) تاريخ ولاة مصر ص٢٢، تاريخ دمشق ٢٥٩/٥٠ قال عثمان -رضي الله عنه- لما علم بتمرد محمد إبن أبي حذيفة عليه: "ألا تعجبون لابن أبي حذيفة؟ ضممت الرجل لرحمه وكنت أحس بطنه من الليل، أجائع هو أم شبعان؟ ثم يسعى في خلعي ومفك دمي، اللهم فاجزه جزاء من كفر النعمة وفجر" أخبار المدينة ١٩٢/٢. وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما سمع بمقتل عثمان -رضي الله عنه- قد استرجع، ولما سمع بولاية علي -رضي الله عنه- من بعده، استرجع أيضا، فقيل له: أيستوي قتل عثمان مع ولاية عليّ عندك؟ فقال: "أبعد الله محمد بن أبي حذيفة، فإنه بغى على إبن عمه عثمان وسعى عليه، وهو الذي كفله ورباه وأحسن إليه، فأساء جواره ووثب على عماله وجهز الرجال إليه حتى قتل ثم ولي عليه من هو أبعد منه ومن عثمان، ولم يمتعه بسلطان بلاده حولاً ولا شهراً ولم يره لذلك أهلا" تاريخ الطبري ٦٣/٣، تاريخ دمشق ٤٢/٢٩، الكامل في التاريخ ١٥٢/٣.

(٤٦) تاريخ دمشق ٢٥٩/٥٠.

(٤٧) هو الحكم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وقيل حكيم وقيل الصلت بن حكيم، له رواية وشهد خيبر وكان من رجال قريش، معجم الصحابة ٢٠٧/١، الإصابة ١٠٣/٣.

(٤٨) لم يرض أبو شمس بن أبرهة الهروب معهم وقال لهم (لا أدخل السجن أسيرا وأخرج منه آبقا) تاريخ ولاة مصر ص٢٢.

(٤٩) تاريخ ولاة مصر ص ٢٢.

(٥٠) تاريخ الطبري ٦٢/٣، ١٣٣، تاريخ دمشق ٤٩/ ٤٢٧، ٢٦٠/٥٠، المنتظم ٩٧/٥، الإصابة في تمييز الصحابة ١٠٣/٢ ـ ١٠٤، ١٢/٦، تاريخ ابن خلدون ٣٨١/٤، النجوم الزاهرة ٩٥/١، يذكر الكندي أثناء تنفيذ حكم القتل في قتلة عثمان، أن الرجل الذي كان قد وكل بقتل عبد الرحمن بن عديس البلوي، كان رجلا فارسياً فقال له عبد الرحمن (اتق الله في دمي فإني بايعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت الشجرة) فقال الفارس: (الشجر في الصحراء كثير) ثم قتله، تاريخ ولاة مصر ص ٢٢.

(٥١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيم بن ثعلبة بن طريف بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، يكنى أبا عبد الملك، خدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين طوال المرحلة المدنية فكان منه بمنزلة الشرط من الأمير، تزوج أخت أبي بكر الصديق ثم كان على مقدمة جيش علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في صفين. ولما ولي معاوية الخلافة غض الطرف عنه حتى سنة ٥٨هـ فطلبه فهرب منه إلى تفليس وأقام بها بعيدًا عن اعين معاوية، ولما علم بمكانه معاوية سكت عنه ولم يطلبه وظل في تفليس مختفيا حتى مات سنة ٨٥هـ في خلافة عبد المطلب بن مروان فكان قيس وقتها آخر مشاهير الصحابة ـ رضوان الله عليهم جميعا ـ، طبقات إبن سعد ٦: ٥٢، المعارف ٢٥٩/١، معجم الصحابة ٣٤٨/٢، مشاهير علماء الأمصار ٦١/١، البدء والتاريخ ٧٧/٥، صفة الصفوة ٧١٥/١، تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٨٩/١، المعين في طبقات المحدثين ٢٥/١.

الحلول السياسية السلمية، لذا عالج مشكلة شيعة عثمان بخربتا بسياسة السلم والحلم حتى استمالهم وبعث إليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن إليهم، فأمن شرهم في الداخل، أما في الخارج فقد استطاع أن يمتنع من بأس معاوية وعمرو ابن العاص، اللذين لم يستطيعا أن يلجأ مصر في ظل حب الناس كلهم لقيس بن سعد ابن عبادة، فاحتالا عليه معاوية وعمرو بالمكايدة و الحيلة والدهاء، فكتب معاوية إلى بني أمية بالمدينة والعراق وإلى أهل الشام يشكر لهم قيساً على معاملته لشيعتهم بمصر ويأمرهم قائلاً: "لا تسبوا قيسًا ولا تدعوا إلى غزوه فإن قيسًا لنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم النازلين بخربتا .. وأكتموا ذلك عن عليٍّ فإن بلغه فأخاف أن يعزله"[٥٢]. شاع ذلك الخبر في الناس وأوصله محمد بن أبي بكر إلى عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- في مجلس رؤساء أهل العراق والمدينة فقالوا "بدّل قيس وتحوّل" ويرد عليّ عليهم "معاذ الله قيس لا يبدل"[٥٣] وفي رواية "ويحكم إنه لم يفعل فدعوني"[٥٤] فلم يزالوا به حتى كتب إليه "أني احتجت إلى جوارك فأقدم واستخلف" فلما قرأ الكتاب قال قيس: "هذا مكر من معاوية والله لولا الكذب لمكرت بمعاوية مكرًا يدخل عليه بيته"[٥٥]، وأرسل عليّ الأشتر مالك بن الحارث[٥٦]، واليا على مصر فنزل بالقلزم وصلى ركعتين سأل الله فيهما أن يدخله مصر إن كان دخوله خيرا له، ثم شرب شربة عسل فمات منها[٥٧]. فتندر معاوية وعمرو فقالا: "إن لله

---

(٥٢) تاريخ ولاة مصر ص ٢٣- ٢٤، البدء والتاريخ ٢٢٦/٥.

(٥٣) البدء والتاريخ ٢٢٦/٥.

(٥٤) تاريخ ولاة مصر ص ٢٤.

(٥٥) المصدر السابق نفسه، البدء والتاريخ ٢٢٦/٥، كان قيس بن سعد يقول (لولا أني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس). وكان معاوية بن أبي سفيان يحدث رجالا من ذوي الرأي من قريش فقال: (ما ابتدعت مكايدة قط أعجب إليّ من مكايدة كدت بها قيساً بن سعد حين امتنع مني، فقلت لأهل الشام (لا تسبوا قيسًا...)، تاريخ ولاة مصر ص ٢٣ – ٢٤ – ٢٥، ويقول إبن خلدون عن الخداع في الحروب (... الخداع من أرفع ما يستعمل في الحروب وأكثر ما يقع به الظفر، وفي الحديث ((الحرب خدعة)) المقدمة ٢٢٦/٥، وكان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول (إن الله قد جعل الحرب خدعة على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم) وكان الحسن ابنه يقول (إني رجل محارب وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ((الحرب خدعة))، عن ذلك وعن الحديث الذي رواه أبو هريرة وعمرو وجابر وأنس بن مالك انظر: طبقات ابن سعد ٢٤٤/٦، طبقات المحدثين بأصبهان ٣٤٢/٣، تاريخ أصبهان ٢٠٢/١، تاريخ دمشق ١٦٢/٥، ٥٨، ١٩٤، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت سنة ٦٢٠هـ التوابين – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٣هـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ٩٥/١.

(٥٦) هو الأشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن قيس بن مالك ابن النخع مات بعد سنة ٣٨هـ كان من أصحاب عليّ – رضي الله عنه– شهد معه موقعة الجمل وصفين ومشاهده كلها، طبقات ابن سعد ٢١٣/٦، طبقات خليفة بن خياط ١٤٨/١.

(٥٧) طبقات ابن سعد ٢١٣/١، تاريخ الطبري ٦٥/٣، تاريخ دمشق ٣٧٥/٥٦، المنتظم ٩٩/٥، سير أعلام النبلاء ٣/٥٥، الإصابة ٢٦٩/٦، شذرات الذهب ٤٨/١، ويقال إن معاوية أمر دهقان القلزم أن يقتل الأشتر بالعسل الذي مات منه، معجم البلدان ٤٥٤/٤، النجوم الزاهرة ١٥٣/١.

جنودا من عسل"(٥٨) وفي رواية (إن لله جنودا في العسل) (٥٩)، فحزن عليه عليّ - رضي الله عنه- وولّيّ مكانه على مصر محمد بن أبي بكر الصديق قد قابله بالطريق قيس إبن سعد، فنصحه وأسدى إليه نصائح ثمينة ورسم له ملامح سياسة حكيمة مع أهل مصر (٦٠). فعمل محمد بخلاف ذلك تماما، واصطدم مع شيعة عثمان بخربتا، فقد أرسل إليهم عمرو بن بديل بن ورقاء (٦١) فهدم دورهم ونهب أموالهم وسجن ذراريهم، فعزمت شيعة عثمان على مواجهته بحزم جعل إبن أبي بكر يمسك عنهم ويصالحهم بشرط أن يخرجوا إلى معاوية بالشام وكان رسول محمد بن أبي بكر إلى شيعة عثمان حجر إبن عدي الكندي وكان يحمل معه أمانا لمعاوية بن حديج، فوافقوا على الشروط ولحقوا بمعاوية الذي بعث عمرًا بن العاص – عقب قرار الحكمين بدومة الجندل – في جيش من أهل الشام وفلسطين والأردن ومعهم معاوية بن حديج والشيعة العثمانية معه إلى مصر في صفر سنة ٣٨هـ/٦٥٨م فالتقوا بجيش محمد بن أبي بكر في موضع يسمى المسناة(٦٢)، وقد استعر القتل في الفريقين، انتصر بعدها جيش بن العاص وقال: "شهدت أربعة وعشرين زحفا فلم أر يوما كيوم المسناة، ولم أر الأبطال إلا يومئذ"(٦٣). ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلا فانهزم واختبأ عند أحد المصريين ويدعى جبلة إبن مسروق، فدل عليه معاوية بن حديج فأحاط به فخرج إليهم محمد فقاتل حتى قتل، وجعلوا جثته في جيفة حمار وأحرقوه بالنار (٦٤).

ودخل عمرو بن العاص مصر واليا عليها للمرة الثانية في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين من قبل معاوية بن أبي سفيان الذي جمع إليه الصلاة والخراج معًا في ولايته التي ظل فيها حتى مات سنة ٤٣هـ ٦٦٣م (٦٥).

(٥٨) تاريخ الطبري ٦٥/٣، البدء والتاريخ ٢٢٦/٥، سير أعلام النبلاء ٣٥/٤.

(٥٩) تاريخ دمشق ٣٩١/٥٦.

(٦٠) انظر هذه النصائح في تاريخ ولاة مصر ص ٢٨.

(٦١) هو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، كان له صحبة، وكان أحد الرؤوس الأربعة الذين سعوا في قتل عثمان – رضي الله عنه– بل كان ثاني اثنين مع كنانة بن شرا التجيبي دخلا عليه فقتلاه، أخبار المدينة ٣٠٢/٢، المحن ١٢٩/١ – ١٣٠، الإصابة ٦٠٦/٤.

(٦٢) المسناة: مكان يبنى حتى يحجز السيل ويرد الماء، وسميت مسناة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما يحتاج إليه، لسان العرب ٤٠٦/١٤.

(٦٣) فتوح مصر ٢٢٣/١، تاريخ اليعقوبي ١٩٤/٢، تاريخ الطبري ١٣٣/٣، تاريخ ولاة مصر ص ٢٩، البدء والتاريخ ٢٢٦/٥، البداية والنهاية ٣١٥/٧.

(٦٤) تاريخ اليعقوبي ١٩٤/٢، تاريخ الطبري ١٣٢/٣، البدء والتاريخ ٢٢٦/٥، تاريخ دمشق ٤٢٧/٤٩ – ٤٢٩، الكامل في التاريخ ٢٣٠/٣، مقتل الشهيد عثمان ٢١٩/١، البداية والنهاية ٣١٥/٧، النجوم الزاهرة ١١٠/١، سمط النجوم العوالي ١٥/٣.

(٦٥) تاريخ خليفة ١٩٢/١، تاريخ الطبري ١٣٣/٣، الكامل في التاريخ ٢٣٦/٣، البداية والنهاية ٣١٣/٧، شذرات الذهب ٤٨/١.

حركات التمرد والعصيان في خلافة معاوية بن أبي سفيان

٤١ — ٦٠هـ/ ٦٦١ — ٦٨٠م

عصيان/ المصريين على واليهم عتبة بن أبي سفيان (٦٦) سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م.

عقد معاوية بن أبي سفيان لأخيه عتبة على ولاية مصر – الصلاة دون الخراج – سنة ٤٣هـ فأقام بمصر شهرا ثم استخلف عليها عبد الله بن قيس بن الحارث(٦٧)، وخرج وافدًا على أخيه معاوية بدمشق. وكانت شخصية عبد الله بن قيس تتسم بالشدة والغلظة، فكرهه الناس وكرهوا ولايته عليهم، عصوه فلم يلبوا له أمرًا، فكتب من فوره إلى عتبه في دمشق بعصيان عرب مصر له، فعاد عتبة مسرعاً إلى مصر ودخل المسجد ورق المنبر وخطب في المصريين، والتمس لهم العذر في عصيانهم وتمرُّدهم إذا كان قد وقع عليهم جور، أما وإنه لم يكن جور فليس لكم إلا السيف، ثم عدد وحقوق وواجبات الراعي والرعية فقال: "إن البيعة شائعة لنا، عليكم السمع والطاعة ولكم علينا العدل، فأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه، فناداه المصريون من جنبات المسجد: سمعا سمعًا، فناداهم من فوق المنبر: عدلًا عدلًا. ثم نزل"(٦٨).

---

(٦٦) هو عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أخو معاوية لأبويه، ولد في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – روى الحديث عن أخته حبيبة أم المؤمنين ورواه عنه ابنه الوليد، وحديثه في مسند الإمام أحمد، كان ثاني اثنين بعد عبد الملك بن مروان وكان من أبلغ بني أمية فكان خطيبا مفوها بليغا، وكان أصلع الرأس كعمر بن الخطاب وعثمان إبن عفان وعلي بن أبي طالب ومروان بن الحكم، وقد ولاه عمر الطائف واستعمله على كنانة، ولما قدم منها ومعه مال وفير فسأله عنه عمر، فقال له: مالي قد خرجت هناك فتاجرت فيه. فقال له عمر: مالك تخرج المال معك في هذا الوجه؟ صيره في بيت المال فصيره. وفي خلافة عثمان عرض عثمان -رضي الله عنه- على أبي سفيان إن كان يرغب في رد مال ابنه عتبة؟ فقال له أبو سفيان إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأي الناس فيك، إياك أن ترد من كان قبلك، فيرد عليك من بعدك. وشهد عتبة يوم الدار مع عثمان ثم شهد الجمل مع أم المؤمنين عائشة وذهبت عينه فيها ثم شهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٣هـ ومات بمصر سنة ٤٤هـ الفتنة ووقعة الجمل ٣٤٥/١، فتوح مصر ٣٠٧/١، المعارف ٥٨٦/١، تاريخ الطبري ٧٥٦/٢، تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢٦/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠/٥، النجوم الزاهرة ١ ١٢٣، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢٣٨/٢، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١١٤/١.

(٦٧) هو عبد الله بن قيس بن الحارث بن عياش بن ضبيع الزميلي التجيبي، حيث أن زميله بطن من بطون تجيب، تاريخ ولاة مصر ص ٣٤، الأنساب ٣/ ١٦٥.

(٦٨) تاريخ ولاة مصر ص ٣٤، تاريخ دمشق ٣٨ ٢٦٩، النجوم الزاهرة ١ ١٢٤، لسان العرب ٦ ٦٨٦. ويذكر ابن عبد الحكم أن معاوية كان قد سأل وفد مصر عن عتبة عند قدومهم عليه فقالوا (حوت بحر ووعل بر) – كناية عن أنه لا يظهر لهم مع علو شرفه – فقال له معاوية: انظر ما تقول فيك رعيتك؟ قال صدقوا يا أمير المؤمنين. [illegible] حدثني عن الخراج ولهم علي حقوق، واكره ان احتجبهم فيسألوا فلا اعطي. فضم اليه معاوية ديوان الخراج. فتوح مصر ١ [illegible]، تاريخ دمشق ٢٦ ٢٠٩، لسان العرب ١١ [illegible].

عقد عتبة بن أبي سفيان لعلقمة بن يزيد الغطيفي (٦٩) على الإسكندرية في اثني عشر ألفا من أهل الديوان (٧٠) حتى يكوّنوا بها رابطة، فخرج علقمة بجيشه الذي اشتكى من قلته إلى عتبة والي أخيه معاوية وكتب علقمة إلى معاوية أن عتبة غرر به فأمده معاوية بعشرة آلاف من أهل الشام وخمسة آلاف من أهل المدينة، وخرج إليه عتبة في ذي الحجة سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، فرابط هناك، ثم ابتنى في حصن الإسكندرية القديم دارًا للإمارة، ثم ما لبث أن مات بها(٧١)، ثم دفن بمنية الزجاج(٧٢)، وكان قد استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني، ثم عزله معاوية سنة ٤٧هـ/٦٦٧م وولى مكانه مسلمة ابن مخلد بن صامت الأنصاري(٧٣)، وأمره معاوية أن يدخل مصر سرا فلا يعلم أحدا بإمرته على مصر، وأمره أن يرسل إلى عقبة بن عامر أن يتجه إلى جزيرة رودس ببحر الروم، فلما خرج عقبة سائرا استوى مسلمة على سرير إمرته، فلما بلغ عقبة ذلك قال: "أخلعانا وغربة معًا؟!"(٧٤).

---

(٦٩) شهد معركة ذات الصواري مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وربطت مراكب الروم مركب ابن أبي سرح وهو القائد بسلسلة، وكادوا أن يسحبوه إليهم لولا أن قام عبد الله بن قيس فضرب السلسلة بسيفه فاستطاع أن يقطعها، فأطلقت عليه امرأة بن أبي سرح صاحب السلسلة – حيث كان الناس يغزون بنسائهم في المراكب – لما سألت عن أشد الناس قتالا؟ قالت. صاحب السلسلة، فتوح مصر ٣٢٢/١.

(٧٠) هم الذين يفرض هم عطاء ثابت في سجلات الدولة، والديوان كلمة معربة وأصلها دوان وهي جريدة الحساب، وأول من أنشأ ديوان الجند في الإسلام كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بمشورة خالد بن الوليد لما رآه عند ملوك الشام – وقيل بمشورة الهرمزان – فقبل عمرو المشورة، وأمر بالديوان فكتب ديوان العساكر على ترتيب الأنساب مبتدأ من قرابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم الأقرب. وهكذا كان ابتداء ديوان الجيش، وكان إنشائه في المحرم سنة ٢٠هـ ويذكر ابن عبد الحكم ان الديوان في خلافة معاوية في مصر كان يستفيد منه أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين)، فتوح مصر واخبارها ١٩٥/١، لسان العرب ٢٠٣/٧، تاريخ ابن خلدون ٢٤٤/١، التعاريف ٣٤٤/١.

(٧١) فتوح مصر ٣٢٤/١، تاريخ دمشق ٢٠٢/٤١.

(٧٢) منية الزجاج، تقع بالإسكندرية، وبها قبر عتبة بن أبي سفيان، معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٧٣) هو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار بن لوزان بن عبدود بن ثعلبة بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، ولد في السنة الأولى للهجرة وله صحبة ورواية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا صحبة لأبيه، يكنى أبا معن وأبا سعيد وأبا معاوية، وشهد صفين مع معاوية، وسكن مصر ثم وفد على معاوية فولاه مصر ثم وليها في خلافة ابنه يزيد ومات بها سنة ٦٢هـ أثناء ولايته عليها. الآحاد والمثاني ٣٢٤/٥، معجم الصحابة ٨٣/٣، مشاهير علماء الأمصار ٥٦/١، سير أعلام النبلاء ٤٢٤/٣، المعين في طبقات المحدثين ٢٦/١.

(٧٤) تاريخ ولاة مصر ص ٣٦، يذكر المؤرخون أن مسلمة أول من أحدث المنارات بالمساجد والجوامع وأمر المؤمنين ان يكون اذانهم في الفجر في وقت واحد، بحيث يؤذن مؤذنو المسجد الجامع للفجر، فإذا فرغوا من التأذين أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد، وظل الامر على ذلك حتى دخل العباسيين مصر. تاريخ ولاة مصر ص ٣٧. النجوم الزاهرة ٣٢٤/١.

تمرد الخوارج في مصر على واليهم سعد بن يزيد الأزدي (٧٥) سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م.

ظل مسلمة بن مخلد الأنصاري واليا على مصر حتى مات سنة ٦٢هـ/٦٨١م فعقد الخليفة يزيد بن معاوية لسعيد بن يزيد الأزدي بولاية مصر، فلما قدم إليها تلقاه أهل مصر يقودهم عمرو بن قحزم الخولاني في مستهل رمضان سنة ٦٢هـ/٦٨١م، فلما رأى عمرو الوالي الجديد بادره بالقول: "يغفر الله لأمير المؤمنين يزيد، أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم؟" ولم يزالوا معه بصور من العصيان كالتكبر عليه والإعراض عنه، والهجر والشنآن له [٧٦]، حتى آتاهم خبر موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وقد دعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته، وقامت الخوارج من عرب مصر بدعوته فأظهروها، على زعم أنه منهم وعلى مذهبهم، وأخرجوا من مصر وفدا إليه بمكة بزعامة حوشب بن يزيد [٧٧] وأبي الورد حجر بن عمرو، وغيرهم من أهل مصر من غير الخوارج أمثال أبي عبيدة وعياض ابني عقبة بن نافع الفهري وآخرين، فسألوا إبن الزبير أن يرسل إليهم بأمير يقومون معه ويؤازرونه، فبعث إليهم عبد الرحمن بن جحدم الفهري [٧٨]، الذي عاد بوفد المصريين من الخوارج وغيرهم فدخلوا مصر في شعبان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ووثبوا على واليها الأموي سعيد بن يزيد فخلعوه فاعتزلهم، وأظهر الخوارج مبدأ التحكيم وهو، لا حكم إلا لله – أي إلا إلى السيف – فاستعظم ذلك الناس والجند فبايعوا على كره لابن جحدم وخوارجه مع ما في قلوبهم من الحب الباطن لبني أمية [٧٩] حتى قال قائلهم: "ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتتمة أمرها تأمر فينا وتنهي ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم"[٨٠]. ولما بويع مروان بن الحكم بعد مؤتمر الجابية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بالخلافة دعاه هؤلاء الساخطون على الخوارج إلى دخول مصر، فتوجه مروان بجيش عليه ابنه عبد العزيز إلى إيله بمصر واصطدم بابن جحدم فهزمه في يوم سمي بيوم التراويح[٨١] فطلب إبن جحدم الصلح، فصالحه مروان وأمنه وأحسن إليه وعزله، وكتب له كتاب أمان، ودخل مروان بن الحكم مصر صلحًا في

---

(٧٥) هو سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الفهري من أهل فلسطين، تاريخ ولاة مصر ص ٣٥، النجوم الزاهرة ١/١٥٧.

(٧٦) تاريخ ولاة مصر ص ٣٨، النجوم الزاهرة ١ ١٥٨.

(٧٧) هو حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم بن عبد الله بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، طبقات ابن سعد ٥/٥٥٩، سير أعلام النبلاء ٨/٢٨٤.

(٧٨) هو عبد الرحمن بن عقبة بن إياس بن الحارث بن عبد بن أسد بن جحدم – بفتح الجيم وسكون الحاء وفتح الدال – الفهري القرشي، سير أعلام النبلاء ٣ ٣٧٢، ٥٤٧، النجوم الزاهرة ١ ١٥٨.

(٧٩) النجوم الزاهرة ١ [illegible].

(٨٠) تاريخ ولاة مصر ص ٣٨ – ٣٩.

(٨١) سمي هذا اليوم بيوم التراويح لأن كلا الفريقين كانوا يتناوبون القتال لشدة الحرب وضراوتها وكثرة القتل فيه، فكانوا يستريحون ثم يعودوا فيقتتلون، البداية والنهاية ٨ [illegible].

جمادى الأولى سنة خمس وستين هجرية، وابتنى بمصر دارا، ووضع فيها العطاء، فبايعه الناس، ودخلت مصر تحت مظلة الخلافة الأموية مرة أخرى سنة ٦٥هـ/٦٨٤[٨٢].

عصيان بني المعافر[٨٣] على مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ - ٦٨٣م

عادت مصر إلى ظلال الخلافة الأموية على يد مروان بن الحكم في جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وعزل والي ابن الزبير عنها عبد الرحمن بن جحدم – وقيل اغتاله فيما بعد[٨٤] – بعد ولاية مصر تسعة أشهر وبضعة أيام، ونزل مروان دار الفلفل الواقعة بقبلة المسجد الجامع ثم قال: "لا ينبغي لخليفة أن يكون ببلد ليس له فيها دار"[٨٥]، ثم أمر ببناء دار له على صحن فسيح من الأرض كان يقع بين المسجد الجامع ودار عمرو بن العاص، كان المسلمون يستخدمونه موقفا للخيل على باب المسجد، واستغرق بناء الدار شهرين وسماها مروان الدار البيضاء[٨٦]- والتي ملأها بالعطايا والهبات ووهبها للناس، فبايعوه كلهم بالخلافة ما سوى نفر من بني المعافر، رفضوا بيعته وقالوا محتجين (لا نخلع بيعة ابن الزبير)[٨٧] وفي رواية للكندي قالوا فيها (إنا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته)[٨٨]. فقدمهم مروان كلهم رجلا رجلا فضربت أعناقهم وقد بلغوا من العدد ثمانين رجلا، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٨٩].

ولعل المرء يتساءل هل ضاق صدر مروان بن الحكم بثمانين رجلا لم يبايعوا في دولة كبيرة مثل مصر وهو الذي عفا عن ستمائة من أهلها من بني لخم عندما أرسلهم ابن جحدم في أسطول من المراكب البحرية، وذلك ليغيروا على أطراف الشام أثناء حصار مروان له بمصر حتى يضطره إلى رفع الحصار والعودة إلى الشام لحمايتها، فهبت عليهم العواصف فحطمت المراكب عند سواحل فلسطين واستطاع موسى بن نصير الذي كان قد أرسله مروان ليمنعهم عن الشام فيأسرهم ويقدم بهم موسى إلى مروان، ثم يشير ابن نصير على مروان فيعفوا عنهم حتى

---

(٨٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٥، تاريخ الطبري ٣/٣٧٨، المنتظم ٦/٢٧، تاريخ دمشق ١/٢١٥ – ٢١٦، سير أعلام النبلاء ٣/٥٤٧، النجوم الزاهرة ١/١٥٨.

(٨٣) المعافر: موضع باليمن بناحية همدان، ذو شهرة واسعة في صناعة الثياب المعافرية. وسميت بالمعافر نسبة الى (المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة ابن عن هميع) والمعافر بطن من بطون قحطان. وقد شهدت منهم جماعات فتح مصر، ونزلوا بمناطق أتريب – بنها حاليا – ومنوف وسخا. فتوح مصر ١/٢٥٣. معجم ما استعجم ٤/١٢٤١، معجم البلدان ٥/٦٧، وفيات الأعيان ٣/٧٧، لسان العرب ٤/٥٩٠، شذرات الذهب ٣/٣٤٩.

(٨٤) تاريخ اليعقوبي ٣/٢٥٧.

(٨٥) فتوح مصر وأخبارها ١/٢٠٢، تاريخ ولاة مصر ص ٤٢.

(٨٦) فتوح مصر ١/٢٠٢، كان يوجد لمعاوية بن ابي سفيان في مكة دار تحمل بهذا الاسم (الدار البيضاء) تقع عند باب المروة. وكانت احدى دور ستة كانت لمعاوية بمكة. انظر اخبار مكة للفاكهي ٣/٢٨٧.

(٨٧) النجوم الزاهرة ١/١٦٦.

(٨٨) تاريخ ولاة مصر ص ٤٢.

(٨٩) المصدر السابق نفسه، البداية والنهاية ٨/٢٥٦، النجوم الزاهرة ١/١٦٦.

يكونوا رسل سلام له عند أهل مصر ففعل مروان [٩٠]. ولعل مروان لم يقتل الثمانين أصحاب إبن الزبير على عدم البيعة، ولكنه قتلهم لأنهم كانوا قبل ذلك على بيعة يزيد بن معاوية ثم نكثوها وبايعوا لابن الزبير، فكان الأولى بهم ألا ينكثوا بيعتهم ليزيد فكان جزاء نكوثهم القتل على ذلك وليس على عدم البيعة!!

تمرد جند مصر على مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ - ٦٨٤م:

كان الأكدر بن حمام اللخمي[٩١]، ممن سار إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في البعث الذي أرسله محمد بن أبي حذيفة، واشترك في قتل عثمان -رضي الله عنه- وكان معاوية بن أبي سفيان يتألف الناس ويستميلهم، وكان من هؤلاء بمصر بني لخم، فكان يكرم سيدهم وشيخهم الأكدر اللخمي - مع أنه يعلم أنه ممن أعان على قتل عثمان -رضي الله عنه- ويدفع إليه عطاءه ويرفع شأن مجلسه[٩٢]، ولما جاء مروان إلى مصر استعدى الأكدر عليه بقومه اللخميين فخرج بستمائة منهم في مراكب بالبحر ليخالف إلى ذراري وعيال مروان بالشام، فلما كانوا بفلسطين هاجت عليهم العواصف فكسرت سفنهم، فأخذهم موسى بن نصير[٩٣] أسرى وأقبل بهم إلى مروان ثم أشار عليه

---

(٩٠) تاريخ دمشق ٢١٣/٦١، الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٢/١ - ٢١٣.

(٩١) هو الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب بن كثير بن عكارمة بن هذيل بن زرين بن تميم اللخمي، شهد مع أبيه فتح مصر، وكان علويا ذا دين وفضل وفقه في الدين، جالس الصحابة وروى عن بعضهم – رضوان الله عليهم – وكان يفتتح خطبه ومواعظه دائما بالتكبير، ولها في علم الفرائض مسألة مشهورة تسمى الأكدرية، وهي: (ماتت امرأة عن زوج وأم وجد وأخت وشقيقة أو لأب) فكل مسألة لا يفرض فيها للأخت مع الجد شيء إلا في المسألة الأكدرية، فالجد يعصبها ولما كان التعصيب معه القسمة، فكان الفرض للأخت إنما كان لضرورة المقاسمة، عن شرح هذه المسألة بتفاصيلها انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤٣/١٣، ٦٢، ٦٧. وعن ترجمة الأكدر انظر: تاريخ دمشق ٣٤/٣٣، التدوين في أخبار قزوين ١٩١/١، لسان العرب ١٣٥/٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٢/١.

(٩٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٣/١.

(٩٣) هو موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي بالولاء وقيل الأموي بالولاء، كان أبوه يسمى نصرا، من عين التمر بجبل الخليل بالشام فسباه المسلمون في زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فأعتقه وصغر اسمه فصار نصيرا، ثم ولد له موسى سنة ١٩هـ فكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا، ولما كان أبوه نصير على حرس معاوية إبن أبي سفيان وله مكانة مكينة عنده، فكان موسى يحظى عند جميع الخلفاء بمكانه عالية لما يتمتع به من قدرات ومواهب، فكان على رأس الجيوش الغازية فلم يهزم له جيش قط، ولما خرج معاوية لحرب عليّ – رضي الله عنهما – لم يخرج معه لحربه واعتزل فتركه معاوية واستغفر له، ورغم أن موسى كان أعرج إلا أنه كان مهيبا ذا رأي وحزم، كان متولي إقليم المغرب وصاحب فتح الأندلس، وكان موسى بن نصير يدعو إلى إبن الزبير عندما بايعه الناس، فعلم بذلك مروان بن الحكم فأهدر دمه، فخاف موسى على نفسه فاستجار بابنه عبد العزيز بن مروان فوهبه له أبوه ثم خرج معهم وهم متجهون لفتح مصر فكان من أخلص القادة والمستشارين لهم، مع أن مروان كان دائما ما يتهمه بالزبيرية وهو يرد عليه قائلا: (بل هي المروانية) مات سنة ٩٧هـ. أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي ت سنة ٤٠٣هـ - تاريخ العلماء بالأندلس - مطبعة المثنى القاهرة - ط ٢ سنة ١٩٨٨م - تحقيق عزت العطار الحسيني - ٢ ٤٤١، تاريخ دمشق ٦١ ٢١١ - ٢١٣، وفيات الأعيان ٣١٨/٥، سير اعلام النبلاء ٤ ٩٧، البداية والنهاية ٩ ١٧١.

أن يعف عنهم حتى يعودوا إلى قومهم فيثنوا على مروان. وتكون هذه هي مقدمة الفتح، فعفا عنهم مروان[٩٤]. وعاد الأكيدر إلى قومه فاستعداهم على مروان وحاربه بكل ما يكرهه، ولما صالح مروان أهل مصر، كان يعلم جيدًا أن الأكدر سيعود إلى فعلاته التي اعتاد عليها، فبادره هو هذه المرة، فألب عليه قوما من أهل الشام حتى ادعوا عليه قتل رجل منهم وطالبوا مروان بالقصاص منه، فأدخل على مروان وأقاموا عليه الشهادة بين يديه، فلم يكن شيء أسرع عند مروان من قتل الأكدر بن حمام اللخمي، ولما سمع الجند في مصر بدخول الأكدر على مروان بتهمة القتل وأن مروان يمكن أن يسارع بقتله، فتنادوا فيما بينهم فلم يبق أحد منهم إلا وقد لبس سلاحه، وحضروا إلى باب دار مروان في ثلاثين ألفا[٩٥] – وقيل ثمانين[٩٦] – لعلهم ينقذون الأكدر من القتل، فلما رأى مروان هذه الجموع خشي على نفسه وأغلق بابه – حتى إن عبد الله بن عمرو إبن العاص مات في هذه الأثناء فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته ليشيعها من شدة تزاحم الجند المتمردين على مروان فدفنه الناس في داره التي مات فيها[٩٧] وذهبت طائفة من أولئك الجند إلى كريب بن أبرهة[٩٨] في داره وقد توفيت امرأته في هذا اليوم الذي قتل فيه الأكدر فوجدوه مشغولاً بجنازتها، فقالوا له: "يا أبا رشدين[٩٩] أيقتل الأكدر؟ اركب معنا إلى مروان" فركب معهم بعد أن فرغ من أمر الجنازة فدخل على مروان فقال له: "إليَّ يا أبا رشدين" فقال: "بل إليَّ يا أمير المؤمنين"[١٠٠]، فأتاه مروان فألقى عليه كريب رداءه، وقال للجند المتمردين "انصرفوا أنا جار له" يقول الكندي "فوالله ما عطف أحد منهم، وانصرفوا إلى منازلهم"[١٠١]، وذهب دم الأكدر هدرا[١٠٢]. في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وأقام بعدها مروان بمصر شهرا آخر، ثم أسند

(٩٤) تاريخ دمشق ٢١٣/٦١.

(٩٥) تاريخ ولاة مصر ص ٤٢.

(٩٦) الاصابة في تمييز الصحابة ٢١٣/١.

(٩٧) تاريخ ولاة مصر ص ٤٢.

(٩٨) هو كريب بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح بن مرثد بن معد كرب بن ذي أصبح يكنى أبا رشد – وأبا رشدين – الأصبحي، له صحبة ورواية عن أبي الدرداء وحذيفة وكعب الأحبار، ولي الإسكندرية لعبد العزيز بن مروان وتوفي سنة ٧٥هـ، فتوح مصر ٣٢٢/١، تاريخ دمشق ٣٧٢/٣٤، الوافي بالوفيات ٢٥٣/٢٤، الاصابة ٢١٣/١.

(٩٩) ابو رشدين تعني في اللغة قولك: (يا راشد)، لسان العرب ١٧٦/٣. والمقصود هنا هو كريب بن أبرهة.

(١٠٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٤٣، الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٣/١.

(١٠١) تاريخ ولاة مصر ص ٤٣.

(١٠٢) الاصابة في تمييز الصحابة ٢١٣/١.

ولايتها إلى ابنه عبد العزيز بن مروان[103]. فقال له: "يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي؟" فقال له مروان: "يا بني عُمهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك، واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره، وينقاد قومه إليك..."[104] ثم ترك له أخاه بشرا إبن مروان مؤنسًا له وموسى بن نصير مستشارًا، وخرج مروان من مصر ومعه عبد العزيز ليودعه، ثم التفت مروان إلى عبد العزيز وقال له: "أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيتك.. وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا، فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك.. وأوصيك ألا توعد بالناس وعدا إلا أنفذته وإن حملت على الأسنة، وألا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير.."[105].

دور المصريين في قتل عبد الله بن الزبير والقضاء على ثورته بمكة ٧٣هـ - ٦٩٢م

كان للمصريين دور فعال وقوي في دخول مصر تحت مظلة خلافة عبد الله إبن الزبير، فما إن مات يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤هـ - ٦٨٣م، وتنازل ابنه معاوية بن يزيد عن الخلافة، حتى دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه بالخلافة، وندب الناس إلى بيعته في شتى الأمصار الإسلامية[106]، فقام أهل مصر – خاصة الخوارج بها – بأمر دعوته فأظهروها ودعوا الناس إلى بيعته – لاسيما الخوارج الذين كانوا يظنون أنه منهم وعلى مذهبهم – فأخرجوا وفدا منهم إلى إبن الزبير بمكة بزعامة حوشب بن

(١٠٣) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية يكنى أبا الأصبغ المدني وأمه هي ليلى بنت زبان إبن الأصبغ بن عمرو بن ضمضم بن عدي، تزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأنجب منها ابنه عمرًا بن عبد العزيز، وولي عبد العزيز بعد أخيه عبد الملك، كان عبد العزيز مهتما باللغة العربية يمنح من يتقنها ويحرم من يلحن فيها كان أول من أمر الناس بالعكوف بالمساجد يوم عرفة سنة ٧٧هـ وهو ما يعرف بالتعريف كان أول من ضرب الدنانير بمصر، كان يقول عند وفاته (ألا ليتني لم أك شيئا مذكورا، ليتني كنت ماء جاريًا أو نبتًا..)، ولي مصر بعهد من أبيه من رجب سنة ٦٥هـ كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٨٥هـ طبقات إبن سعد ٢٣٦/٥، تاريخ خليفة ٢٨٩/١، سيرة عمر بن عبد العزيز ٢٤/١، المعارف ٢٥٥/١، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا البغدادي ت سنة ٢٨١هـ - المحتضرين – دار إبن حزم بيروت – ط ١ سنة ١٤١٧هـ تحقيق – محمد خير رمضان يوسف ٩٧/١، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ت سنة ٣٤٩هـ - أخبار النحويين – دار الصحابة للتراث طنطا – ط١ سنة ١٤١٠هـ تحقيق مجدي فتحي السيد ٤٦/١ تاريخ ولاة مصر ص ٤٥ مشاهير علماء الأمصار ١١٩/١، مولد العلماء ووفياتهم ٢١١/١، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت سنة ٩٧٨هـ - الدارس في أخبار المدارس – دار الكتب العلمية بيروت – ط ١ سنة ١٤١٠هـ تحقيق إبراهيم شمس الدين ١١٩/٢.

(١٠٤) تاريخ ولاة مصر ص ٤٣.

(١٠٥) المصدر السابق نفسه.

(١٠٦) طبقات ابن سعد ٥ ٣٩، المعارف ١ ٢٥٣، فتوح البلدان ١ ٢٣٠، تاريخ اليعقوبي ٢ ٢٥٤، تاريخ الطبري ٣ ٣٦٤، البدء والتاريخ ٦ ١٦، المنتظم ٦ ٣٢، العبر للذهبي ١ ٦٩، النجوم الزاهرة ١ ١٦٣، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ١ ٢٧٠.

يزيد، ومعهم غيرهم من أهل مصر بزعامة ابني عقبة بن نافع الفهري وآخرين، وطلبوا من ابن الزبير أن يرسل معهم واليا عليهم من قبله فأقر عليهم عبد الرحمن بن جحدم الفهري، فدخلوا مصر في شعبان سنة ٦٤هـ - ٦٨٣م وتمردوا على واليها الأموي سعيد بن يزيد فخلعوه[١٠٧]، وأظهر الخوارج مبدأ التحكيم فتضايق منهم الناس وبايعوا لابن الزبير على مضض من أفعال الخوارج الذين كانوا يأمرون وينهون دون أن يردهم أحد[١٠٨] مما حدا ببعض المصريين – خاصة من شيعة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- – إلى مكاتبة مروان بن الحكم بعد بيعته بالجابية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م يدعونه إلى دخول مصر، فتوجه إليها بجيش يقوده ابنه عبد العزيز والتقى مع جيش إبن جحدم في يوم سمي بيوم التراويح [١٠٩]، فطلب إبن جحدم الصلح فصالحه مروان ودخل مصر صلحا في جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، لتعود مرة أخرى تحت ظلال الدولة الأموية[١١٠].

خرج مروان من مصر إلى الشام وولاها عبد العزيز ابنه في رجب من نفس العام، وكما كان للمصريين دور في دخول مصر تحت مظلة خلافة ابن الزبير، كان لهم نفس الدور في خروجها من مصر، وكان للمصريين دور أقوى في مقتل إبن الزبير والقضاء على ثورته بالحجاز. فقد أرسل عبد العزيز بن مروان سنة ٧٢هـ - ٦٩١م من مصر جيشا قوامه ثلاثة آلاف إلى قتال إبن الزبير بمكة وجعل عليهم مالكاً بن شرحبيل الخولاني [١١١]، واشترك هذا الجيش مع جيش الحجاج بن يوسف في قتال إبن الزبير حول الحرم، وكان في جيش مصر رجل يسمى عبد الرحمن بن بحنس[١١٢] ويقال إبن محسن الأنداني[١١٣] – هو الذي تولى بنفسه قتل عبد الله بن الزبير بيده وأخذ سيفه وظل هذا السيف عند أولاده يفتخرون به، وكان كالقضيب لم ير مثله. وفرض عبد العزيز إبن

(١٠٧) تاريخ ولاة مصر ص ٣٨، النجوم الزاهرة ١٦٥/١.
(١٠٨) تاريخ ولاة مصر ص ٣٨ - ٣٩.
(١٠٩) البداية والنهاية ٢٥٦/٨.
(١١٠) تاريخ اليعقوبي ٢٥٥/٢، تاريخ الطبري ٣٧٨/٣، المنتظم ٢٧/٦، تاريخ دمشق ٢١٥/١ - ٢١٦، سير أعلام النبلاء ٥٤٧/٣، النجوم الزاهرة ١٥٨/١.
(١١١) هو مالك بن شرحيل بن عمرو بن عدي بن كريب بن أسلم بن قيس بن همدان حليف خولان لذلك يعرف بالخولاني، له إدراك للنبي – صلى الله عليه وسلم – وشهد فتح مصر، وكان من جلساء عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وكان مقدمًا عند عبد العزيز بن مروان، لذلك أرسله على رأس بعث مصر لقتال إبن الزبير بمكة، ولما قتل إبن الزبير أمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف بابتناء دار مالك ومسجده بالفسطاط وكان الحجاج يبعث له كل سنة بثلاثة آلاف درهم والحلل الجديدة، ثم ولاه عبد العزيز قضاء مصر في المحرم سنة ٨٣هـ بعد موت قاضيها عبد الرحمن بن حجيرة الأكبر، وظل على قضاء مصر سنة وستة أشهر حتى مات في شهر صفر سنة ٨٤هـ. فتوح مصر ٣٩١/١، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٢٤٠ - ٢٤١، الأنساب ٢١٥/١.
(١١٢) تاريخ ولاة مصر ص ٤٥ - ٤٦.
(١١٣) الاصابة ٣٩١/٦، هو عبد الرحمن بن بجنس الأنداني مولى بني أندا بن عدي بطن من بطون تجيب، كان في شرف العطاء بديوان مصر. كان ضمن جيش مالك بن شراحيل لقتال إبن الزبير وتولى بنفسه قتل ابن الزبير في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ. تاريخ ولاة مصر ٤٥ - ٤٦، الاصابة ٣٩١/٦.

مروان له في الشرف وعرف على الموالي من تجيب[١١٤]. وهكذا كان دور أهل مصر بارزًا ومؤثرًا وحاسما في حسم ثورة إبن الزبير بمكة ومقتله في جمادى الاخرة سنة ٧٣هـ - ٦٩٢م، وينقل الكندي عن الواقدي قوله (المصريون مجمعون على أن قاتل عبد الله بن الزبير هو عبد الرحمن بن بجنس مولى بني أندات من تجيب، وكان من جند مالك بن شراحيل عديد خولان وهو من همدان)[١١٥].

وبعد مقتل إبن الزبير خرج عبد العزيز بن مروان إلى الإسكندرية سنة ٧٤هـ - ٦٩٣م[١١٦] ثم وفد على أخيه من الملك بالشام بعد عام ثم قدم إلى الفسطاط سنة ٧٦هـ أمر فيها بالزيادة في المسجد الجامع فهدمه كله وزاد فيه من جوانبه في سنة ٧٧هـ - ٦٩٦م[١١٧].

عصيان أهل مصر على الوالي الأموي عبد الله بن عبد الملك بن مروان[١١٨] سنة ٨٨هـ - ٦٩٧م:

وليّ مصر عبد الله بن عبد الملك من قبل أبيه عبد الملك مروان فدخلها في جمادى الآخرة سنة ٨٦هـ - ٧٠٥م وكان عمره يومها سبعة وعشرين عامًا، وأوصاه أبوه أن

---

(١١٤) المصدر السابق – ص ٢٤١.

(١١٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(١١٦) يذكر إبن عبد الحكم أن عبد العزيز لما نزل الإسكندرية سأل عمن عاصر فتح الإسكندرية فدلوه على شيخ كبير من الروم، كان غلاما شابا عند فتح مصر فأتاه وسأله عن ذلك، فقال له إنه لما حاصر العرب الإسكندرية خرج هو وصاحب له إبن بطريق كبير من الروم، فلبس كل منهما ثيابًا فخمة من الديباج وعصابة من الذهب وسيفا محلا، وركب هذا الشيخ برذونا خفيفا وركب صاحبه آخر سمينًا، وسارا ليرا كيف بلغ المسلمين ما بلغوا، فرأى الشيخ قوما في خيام لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز، والقوم ضعاف فتعجب هو وصحابه من ضعفهم على ما بلغوا، وإذا أحد المسلمين من داخل المعسكر يراهما فحل فرسه ومسحه بيده ووثب على ظهره دون سرج أخذًا رمحه وأقبل نحوهما فهربا، حتى لحق المسلم بصاحبه ذات البرذون السمين فطعنه برمحه فصرعه ثم أقبل في طلب الثاني فهرب منه ودخل الحصن وصعد السور، فرأى المسلم لما أيس منه رجع ومر على المقتول وكان سلبه ثمينا فلم يبال بشيء من ذلك ولم يطلب حتى دابته ولا إلى شيء مما معه. وانصرف وهو يتلو القرآن فقال الرومي (فعرفت عندئذ أنهم إنما قووا على ما قووا عليه وظهروا على البلاد لأنهم لا يطلبون الدنيا ولا يرغبون في شيء منها) ونزل الرجل عن فرسه فربطه وركز رمحه ودخل خيمته ولم يعلم بذلك احدا من أصحابه، فقال له عبد العزيز صفه لي فقال (رجل دميم ليس بالتام من الرجال في قامته ولا في لحمه. رقيق دميم كوسج – أي يخطو كخطوة الصبي في أول مشيه –) فقال عبد العزيز كأنه يصف صفة رجل يمني. فتوح مصر أخبارها ١٥٨/١، النهاية في غريب الأثر ٢١١/١.

(١١٧) تاريخ ولاة مصر ص ٤٦.

(١١٨) هو عبد الله بن الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي الأمير ابو عمر، ولد سنة ٦٠هـ ونشأ بدمشق تحت كنف ابوه، وقد ندبه ابوه في خلافته الى عدة غزوات. وافتتح المصيصة سنة ٨٤هـ قتل فيها وسبي وغنم، وكانت أمه ام ولد. تاريخ ولاة مصر ص ٥١. النجوم الزاهرة ١ ٢١٠ - ٢١١.

يسير على نهج عمه عبد العزيز فيقتفي أثره [١١٩]، إلا أن عبد الله أعرض عن نصيحة والده وانتهج في مصر سياسة جلبت عليه سخط المصريين واعتراضهم وكان من تلك السياسة، أن استبدل عمال عمه عبد العزيز بعمال آخرين، فمنع المصريين من لبس البرانس[١٢٠]، وكان يتعامل مع الناس بشدة وبأس كان في طبعه، إلى أنه كان يتسم بشيء من الجور، حتى كانت سنة ٨٧هـ - ٧٠٦م انحسر ماء النيل وعم الجفاف فسميت بسنة الشراقي [١٢١]، فغلت الأسعار وارتفعت للغاية، حتى إن الناس قالوا لم نر مثل هذه السنة من قبل، وتشاءم المصريون بعبد الله بن عبد الملك، واتهموه بالرشوة ووصفوه بالمكيس لأنه كان يأخذ الأموال من الخراج وغيره، واستشاط الناس غضبا عليه [١٢٢]، وسمع أخوه الوليد الخليفة الجديد بعد موت عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ/٧٠٥م بما شاع عنه استقدمه على دمشق في صفر سنة ٨٨هـ/٧٠٧م [١٢٣]، ثم عاد إليها، وظل الناس في شدة عظيمة من عظم البلاء وهم حانقون على واليهم معترضون عليه حتى عزله الوليد عن مصر سنة ٩٠هـ - ٧٠٩م [١٢٤]، وكانت مدة ولايته على مصر ثلاث سنين وعشرة أشهر، ثم توجه إلى أخيه الوليد بدمشق، بكل ما يملك من أموال بمصر، فلما بلغ الأردن تلقته رسل الوليد فأخذوا كل ما معه من مال [١٢٥]. ولكن برغم ما يوصف به عبد الملك بن عبد الملك من شدة وجور وارتشاء، إلا أنه يحمد له أنه أول من أمر من الولاة في

---

(١١٩) بلغ من إحسان عبد العزيز إلى أهل مصر: أنه كان له كل يوم ألف جفنة طعام تنصب حول داره، إضافة إلى مائة جفنة يرسل بها إلى القبائل على العجل، حتى قال الشاعر عن ذلك

كل يوم تخنه يوم أضحى ... عند عبد العزيز أو يوم فطر
وله ألف جفنة من رخام مترعات ... كل يوم تمدها ألف قدر

أخبار مكة ٢٩١/٣، تاريخ ولاة مصر ص ٤٦، معجم البلدان ٢٩٣/٢ - ٩٤.

(١٢٠) هي قلنسوة طويلة كان يلبسها النساك في صدر الإسلام وأيضا كانت أحيانا تخاط في الثوب من أعلى وتلتزق به، ويقال تبرنس الرجل اي لبس البرنس، لسان العرب ٢٦/٦ مختار الصحاح ٢٠/١.

(١٢١) النجوم الزاهرة ٢١٠/١. وقد أنشد عبد الله بن الحجاج الثعلبي منددا بسياسة عبد الله بن عبد الملك:

ان بمصر عبد الله يا شؤ ... م عبد كل ذي عظم هشم

انظر: تاريخ ولاة مصر ص ٥٥.

(١٢٢) لما خرج عبد الله بن عبد الملك إلى دمشق قال الشاعر زرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الحشني:

إذا سار عبد الله من مصر خارجا ... فلا رجعت تلك البغال الخوارج
اتى مصر والمكيل واف مغربل ... في سار حتى ساروا لمد فالج

فأهدر عبد الله دمه، فهرب الشاعر إلى المغرب ليستغيث بالوليد بن عبد الملك من أخيه بطش عبد الله. تاريخ ولاة مصر ص ٥٢.

(١٢٣) طبقات ابن سعد ٥ : ٢٣٠، المعارف ١ ٣٥٨، تاريخ دمشق ٣٦، ٣٥٣، تاريخ ابن خلدون ٣ ١٧٣.

(١٢٤) تاريخ ولاة مصر ص ٥٥، النجوم الزاهرة ١ ٢١٠ - ٢١١.

(١٢٥) تاريخ ولاة مصر ص ٥٥، النجوم الزاهرة ٢١٠/١.

مصر بالدواوين فنسخت العربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية، فكان هذا العمل من محاسن عبد الله وأبيه عبد الملك بن مروان[١٢٦].

تمرد الخوارج على الوالي قرة بن شريك[١٢٧] بالإسكندرية سنة ٩١هـ . ٧١٠م:

كان قرة بن شريك من أمراء بني أمية، ولاه الخليفة الوليد عبد الملك مصر بعد أن عزل أخاه عبد الله بن عبد الملك[١٢٨]، وقدم قرة مصر يوم الإثنين ثلاث عشر خلت من ربيع الأول سنة ٩٠هـ/٧٠٩م[١٢٩]، وكان قرة ظالما جبارا عاتيا فاسقا، فكان سيئ التدبير خبيثا منهمكا، أظهر اللهو والمعازف بمصر[١٣٠]، ولذلك عزمت الخوارج الأزارقة على الفتك به وقتله[١٣١]، وقد استغلوا خروجه من الفسطاط إلى الإسكندرية سنة ٩١هـ/٧١٠م، فتعاقدوا على الفتك به، وكانوا نحوًا من مائة رجل خارجي، يترأسهم المعافر بن أبي المثنى[١٣٢]، وتواعدوا عند منارة الإسكندرية حيث جددوا البيعة لابن أبي المثنى على قتل قرة بن شريك، لولا أن أحد الناس ويدعى أبا سليمان – لعله كان عينا لقرة – شهد وسمع ما قالته الخوارج وتعاقدت عليه، فذهب مسرعا إلى قرة وأبلغه بالمؤامرة، فأرسل إليهم قرة من قبض عليهم قبل أن يتفرقوا وأتى بهم إليه، فأمر قرة بحبسهم في أصل المنارة، ثم أرسل إلى وجوههم ليقف منهم على حقيقة ما نقله إليه أبو سليمان، فأقروا بما قد عزموا عليه من قتله، فأمر قرة بقتلهم جميعًا، فأوغر ذلك صدر رجل من المصريين بالإسكندرية كان على رأي الخوارج وقد شهد الواقعة، فذهب هذا الرجل إلى أبي سليمان فقتله[١٣٣]، وسار أبو

---

(١٢٦) يذكر إبن خلدون أن عبد الملك بن مروان لما وليَّ الخلافة، وقد رأى العرب قد تحولوا من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحساب فأمر و اليه على الأردن سليمان بن سعد أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه، مقدمة إبن خلدون ٢٤٤/١.

(١٢٧) هو قرة بن شريك بن مرثد بن حازم بن الحارث بن حبش بن سفيان بن عبس بن عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مصر، يطلق عليه قرة بن شريك القيس بالقاف والعنسي بالعين والعبس بالباء، أصله من أهل قنسرين ولذا يسمى بالقنسريني، كان أعرابيا جلفا جافيا. تاريخ ولاة مصر ص ٥٥، النجوم الزاهرة ٢١٧/١.

(١٢٨) كتب رجل قريش من أهل مصر إلى الوليد لما علم بقدوم قرة وصرف عبد الله بن عبد الملك، يقول للوليد:

عجبًا ما عجبت حين أتانا	أن قد أمرت قرة بن شريك
وعزلت الفتى المبارك عنا	ثم فيلت فيه رأى أبيك

فتوح مصر ٢٣٦/١، تاريخ دمشق ٤٩/ ٣٠٦ – ٣٠٨، النجوم الزاهرة ٢١٨/١، ومعنى (فيلت) أي أخطأت فلم تصب، فبدلت المبارك بالمشؤوم، تاريخ ولاة مصر ص ٥٥، لسان العرب ٥٣٥/١٢.

(١٢٩) مرآة الجنان ١٩٩/١، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٣١/١، ١٣٧، ١٤١، النجوم الزاهرة ١ .٦٩، ٢١٧.

(١٣٠) فتوح مصر ٢٣٦/١، سيرة عمر بن عبد العزيز ١٣٣/١، تاريخ الطبري ٦٨١/٣، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز ٦٢/١، حلية الأولياء ٥ .٣٠٩، صفة الصفوة ٢ ١١٧.

(١٣١) سير أعلام النبلاء ٤٠٩/٤، النجوم الزاهرة ٢١٨/١.

(١٣٢) هو المهاجر بن ابي المثنى التجيبي، أحد بني فهم بن اداد بن عدي بن تجيب. تاريخ ولاة مصر ص ٥٦.

(١٣٣) تاريخ ولاة مصر ص ٥٦.

سليمان بعد ذلك مثلا يتندر به الناس، فإذا أراد أحدهم أن يتكلم بشيء فيه تقية من السلطان تلفت وقال: "احذروا أبا سليمان" ثم تطور هذا المثل حتى أخذ صورة مشابهة في المعنى تقول: "الناس كلهم سليمان" (١٣٤). وقد مات قرة بن شريك سنة ٩٦هـ ودفن بمصر، وكانت ولايته عليها ست سنين إلا أياما (١٣٥).

ثورة أهل الحوف (١٣٦) الشرقي على الوالي الحر بن يوسف (١٣٧) سنة ١٠٧هـ ـ ٧٢٥م:

ولى الحر بن يوسف الأموي مصر من قبل الخليفة [هشام بن عبد الملك ١٠٥ – ١٢٥هـ] فدخل مصر في ذي الحجة سنة ١٠٥هـ ـ ٧٢٣م وباشر أمورها، وكان متولي الخراج معه من قبل الخليفة هشام هو عبيد الله بن الحبحاب (١٣٨)، وجعل الحر على شرطته حفص بن الوليد الحضرمي، وقد كتب إبن الحبحاب إلى الخليفة هشام أن أرض مصر تحتمل زيادة في خراجها ليأخذ موافقته على الزيادة، فوافقه هشام، فزاد إبن الحبحاب على كل قيراط ديناراً، فانتقضت عليه القبط (١٣٩) بالحوف الشرقي، وكان ذلك أول انتقاض القبط في مصر سنة سبع ومائة، وكذلك انتقض معهم عامة الحوف الشرقي خاصة تنا (تنو)

---

(١٣٤) المصدر السابق نفسه.

(١٣٥) تاريخ ولاة مصر ص ٥٧، الوافي بالوفيات ١٧٢/٢٤، مرآة الجنان ١٩٩/١، مآثر الإنافة ١٣٧/١، النجوم الزاهرة ٢١٧/١ ـ ٢١٨.

(١٣٦) الحوف: أصلها من حوف وهي من الحافة، والحوف في اللغة الناحية أو الجانب، وحوف الوادي أي حرفه وناحيته، والحوف تعني في بعض اللغات القرية، والحوف المقصود هنا هو حوف وادي النيل بمصر السفلى ـ أي الوجه البحري ـ والحوف، بفتح أوله وسكون ثانيه، موضع من عمل مصر وينقسم إلى حوفان: الشرقي ومن أشهر مدنه بلبيس وفاقوس وكانت تنزل به قبائل قيس، والحوف الغربي: ومن أشهر مدنه رشيد والبحيرة وخربتا وشباس - على سبيل المثال ـ والحوفان متصلان ببعضهما أول الشرقي من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط، والحوفان يشملان بلدان وقرى كثيرة، معجم ما استعجم ٣٢٢/٢، معجم البلدان ١٢٤/١، ٤٧٦، لسان العرب ٥٩/٩، ويذكر إبن الأثير وابن خلدون أن الخليفة المعتصم (قد اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة، وجمع خلقا من أهل سمرقند وأشروسنة وفرغانة وسماهم الفراغنة، فكان المغاربة والفراغنة من أصحاب المعتصم وخلفائه من بعده)، الكامل في التاريخ ٢٢/٦، تاريخ إبن خلدون ٣٢١/٢.

(١٣٧) هو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، كان من أجل أمراء بني أمية شجاعة وكرما وسؤددا، كان مع الخليفة هشام بن عبد الملك بالرصافة سنة ١٠٦هـ فولاه مصر لمدة ثلاث سنوات ثم عزل عنها ليتولى الموصل ومات بها سنة ١١٣هـ تاريخ ولاة مصر مصر ص ٧٢ بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٢٢٣/٥ ـ ٢٢٢٤، النجوم الزاهرة ٢٥٩/١.

(١٣٨) هو عبيد الله بن الحبحاب السكوني، كان رجلا من قيس ثم أصبح سلولي لأنه كان كاتبا ومولا لعقبة بن الحجاج السلولي، ولي مصر على الخراج منذ سنة ٩٦هـ حتى سنة ١١٤هـ حتى أخرجه هشام بن الملك الخليفة عن خراج مصر، بتدبير وإيعاز من الوليد بن رفاعة، لأن إبن الحبحاب ومنذ كان متوليا للخراج تسبب في عزل جماعة كبيرة من العمال بمصر، حتى أخرجه هشام منها إلى ولاية إفريقية، تاريخ خليفة ٤٠٩/١، فتوح مصر ٣٦٣/١، تاريخ دمشق ٤١٥/٣٧، الحلة السيراء ٢٣٦/٢، النجوم الزاهرة ٢٦٦/١.

(١٣٩) القبط بوزن السبط ومفردها بقط وقبط تعني جمع الشيء باليد، والقبط جيل من أهل مصر، ويقال أنهم أهل مصر وبنكها أي أصلها، لسان العرب ٣٧٣/٧، مختار الصحاح ٢١٧/١.

وتمى[١٤٠] وقربيط وطرابية[١٤١]، أرسل الحر بن يوسف إلى هؤلاء المتمردين بالحوف الشرقي جيشًا من أهل الديوان فحاربوهم ودارت معارك عنيفة بين الفئتين، قتل من المتمردين بشر كثير، حتى انهزموا وتراجعوا ورجعوا إلى ديارهم[١٤٢].

خرج الحر بن يوسف بعد القضاء على التمرد إلى ثغر دمياط مرابطًا بها ثلاثة أشهر سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م، واستخلف على مصر حفصًا بن الوليد، ثم ذهب الحر بعد ذلك إلى الخليفة هشام بدمشق في شوال من نفس العام، وكان قد وقع تشاحن بين عبد الله ابن الحبحاب متولي الخراج وبين الحر بن يوسف، فتباعد ما بينهما فكتب صاحب الخراج ابن الحبحاب إلى الخليفة هشام يشكو له الحر بن يوسف، واستشهد في شكواه بجماعة من أوباش[١٤٣] مصر[١٤٤]، فكتب الحر بن يوسف في ذي العقدة سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م إلى هشام يستعفيه من ولاية مصر، فعزله عنها وولاه الموصل، فكانت ولايته على مصر ثلاث سنين على التمام[١٤٥].

تمرد الخوارج بالفسطاط على الوالي الوليد بن رفاعة الفهمي[١٤٦] سنة ١١٧هـ ٧٣٥م:

عزل الخليفة هشام عن ولاية مصر الحر بن يوسف سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م، وولى مكانه حفصًا بن الوليد بن يوسف[١٤٧] والذي كان على شرطة الحر، فكتب عبيد الله

---

(١٤٠) تنا وتسمى أيضا تنو، وتمى كلاهما كورة واحدة من كور الحوف الشرقي بمصر السفلى، معجم البلدان ١٥/٢، ٤٦.

(١٤١) قربيط وطرابية: كورتان من كور الحوف الشرقي في مصر السفلى، وبين فاقوس وطرابية ثمانية عشر ميلا وهي آخر ديار مصر من جهة الشام في الحوف الأقصى، معجم البلدان ٢٤/٤، ٣٢٠، ٢٣٢.

(١٤٢) تاريخ ولاة مصر ص ٦٢ – ٦٣، النجوم الزاهرة ٢٥٩/١.

(١٤٣) الأوباش: من وبش، والأوباش هم الأخلاط المتفرقة من الناس، ومفردها وبش، ويتكر هذا اللفظ في باب الخسة والضيعة والنذالة، والأوباش أيضا هم الساقطون الخاملون اللئام، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣٨/٤، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني ت سنة ٦٧٢هـ - الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة – دار الجيل بيروت – ط ١ سنة ١٤١١هـ تحقيق د/ محمد حسن عواد ١٩٢/١، لسان العرب ٣٩٧/٦، مختار الصحاح ٢٩٤/١.

(١٤٤) النجوم الزاهرة ٢٦٤/١.

(١٤٥) تاريخ ولاة مصر ص ٦٣، النجوم الزاهرة ٢٦٤/١.

(١٤٦) هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن صبح والنهي نسبة إلى فهم بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان الفهي المصري، أخو عبد الله بن رفاعة والي مصر من سنة ٩٦ – ٩٩هـ ثم عزل منها ووليها مرة أخرى في غرة المحرم سنة ١٠٩هـ ثم مات بعد خمسة عشر يوما، كان الوليد يستخلف على الصلاة أثناء مرضه وقد تولى على مصر بعد وفاة أخيه عبد الملك على استخلاف منه من ١٠٩ – ١١٧هـ، تاريخ دمشق ١٦/٣٧ – ١٧ – ١٨، تاريخ ابن خلدون ٣٨٢/٤، مآثر الإنافة ١٥٤/١، النجوم الزاهرة ١ ٢٦٦.

(١٤٧) هو حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله بن الحارث بن كليب بن عوف بن عمرو بن زيد بن مالك بن حجر بن قيس، أبو بكر الحضرمي، القارئ، كان وجيها عند بني أمية ومن أكابر امرائهم. لانه كان فاضلا وثقة ومن رواة الحديث، كان محببا للناس. تولى مصر ثلاث مرات الأولى خمسة عشر يوما في ذي الحجة سنة ١٠٨هـ والثانية من شعبان سنة ١٢٤هـ حتى صفر ١٢٧هـ والثالثة من جمادى الآخرة ١٢٧هـ حتى محرم سنة ١٢٨هـ ثم عرض عليه الخليفة هشام بعد عزله من مصر أن يوليه خراسان فأبى حفص، ثم تمرد عليه أهل مصر فقتل سنة ثمان وعشرين ومئة، تاريخ اليعقوبي ٢ ٣٣٥، تاريخ ولاة مصر ص٦٣، النجوم الزاهرة ١ ٢٥٩، ٢٦٤.

إبن الحبحاب متولي الخراج إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يقول له: "إنك لم تعزل الحر إذا وليت حفصًا"[148]، فجعل هشام الاختيار إلى عبيد الله بن الحبحاب فاختار الأخير عبد الملك بن رفاعة[149]، فولي مصر من سنة ٩٦ - ٩٩هـ، ثم عزل عنها، ثم وليها مرة أخرى غرة المحرم سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ولمدة خمسة عشر يوما ثم ما لبث أن مات بعدها وقد استخلف على مصر أخاه الوليد بن رفاعة، والذي بدأ عهده بأن نقل قبيلة قيس إلى مصر سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م، وفي ولايته هذه أذن للنصارى في ابتناء كنيسة الحمراء والتي تعرف بأبي مينا[150]، وتعرف أيضا بيوحنا[151] وقد أثار هذا الإذن غضب الخوارج بالفسطاط وعلى رأسهم وهيب اليحصبي - كان مدريًا من اليمن وكان قد قدم إلى مصر - فخرجوا على الوليد وحاصروه، ودخل وهيب على الوليد، ليفتك به، ولكنه لم يتمكن من ذلك حيث أمسكوا به وأخذوه فقتلوه، وتندر الناس بمقتله فقالوا: "أين صلاتك يا وهيب؟"[152].

وكانت لوهيب الشاري امرأة تسمى سعونة، وكانت امرأة جزلة[153] محلوقة الرأس، لم يسعها الصمت على مقتل زوجها، فكانت تطوف بالليل على منازل القراء، وتحرضهم على الثأر لمقتل وهيب وتطالب بدمه، وقد كتب لها النجاح في سعيها الذي ألبت فيه القراء فخرجوا متمردين على الوليد مطالبين بدم وهيب[154]، فاصطدموا بالوليد وقاتلوه بجزيرة الفسطاط، وكان على القراء يومئذ شريح بن صفوان التجيبي[155]. فواجهت جند الوليد هذا التمرد وقضت عليه، وقبضوا على أعوان وهيب اليحصبي، وكان منهم عبد الرحمن اليحصبي، وكان من أهل وهيب، فتبرأ من وهيب أمام الوليد

---

(١٤٨) تاريخ ولاة مصر ص ٦٣.

(١٤٩) هو عبد الله أخو الوليد بن رفاعة، كان عفيفا عن الأموال، دينا عدلا في الرعية ثقة أمينا فاضلا روى عن الليث ابن سعد فقيه مصر، وروى عنه الليث أنه كان يقول (الهدية للعامل في السحت الظاهر) ويقول (إذا دخلت الهدية من باب العامل خرجت الأمانة من الطاقة)، وهذا يجعل الباحث يتوقف عند قول القلقشندي أن عبد الملك كان معاندًا لليث بن سعد ولذلك هدم داره ثلاثة مرات مات عبد الملك بعد الثالثة بثلاثة أيام، تاريخ دمشق ٣٧/ ١٧ - ١٨، مآثر الإنافة ١٥٣/١، النجوم الزاهرة ٢٢٠/١، ٢٣١، ٢٦٥.

(١٥٠) تاريخ ولاة مصر ص٦٥.

(١٥١) النجوم الزاهرة ٢٦٥/١.

(١٥٢) تاريخ ولاة مصر ص ٦٥.

(١٥٣) امرأة جزلة: أي جيدة الرأي تامة الخلق، لسان العرب ١٠٩/١١.

(١٥٤) تاريخ ولاة مصر ص ٦٥.

(١٥٥) هو شريح بن صفوان، والد الفقيه العالم الزاهد إمام العلم والعمل حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي الحضرمي، كان مجاب الدعاء وروى عنه الليث بن سعد، توفي سنة ١٥٨هـ مشاهير علماء الأمصار ١٧٨/١، تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٦/١، الوافي بالوفيات ١٤١/١٢، طبقات الحفاظ ٨٦/١.

وقال: "إنما وهيب كان داف دف [١٥٦] علينا لا علم لنا به، وقد كان إبليس مع الملائكة فعصى، فلم يؤاخذهم الله بمعصيته فخلى إبن رفاعة سبيله ومن معه" [١٥٧].

عصيان حيويل على الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١١٧هـ - ٧٣٥م

أرسل الخليفة [هشام بن عبد الملك ١٠٥ – ١٢٥هـ] إلى واليه على مصر الوليد بن رفاعة صاعًا يسمى المُدْى [١٥٨]، وأمره أن يحمل أهل مصر على أن يتعاملوا به في مكيالهم، فأمر الوليد في حينه أن يُطاف بمدى الخليفة على القبائل، وأمر رجاله أن يخبروا الناس بأن هذا المدى هو أمر من الخليفة، فكثير من الناس من أهل القبائل سلم بذلك [١٥٩]، ثم أمر الوليد رجاله أن يطوفوا بالمدى إلى حلق العلم في المساجد، حيث العلماء والمتعلمون، فلما انتهوا بالمدى إلى حلقة قرة بن حيويل [١٦٠] – وقيل حلقة أبيه عبد الرحمن [١٦١] – عرض عليه، فأمسك به قرة الحجر فانكسر المدى، ثم قال: "إن لنا ويبة وإردبا [١٦٢] قد عرفناهما، ولسنا نحتاج إلى هذا المدى [١٦٣]" ورُفع هذا الحادث إلى هشام بن عبد الملك بدمشق، وانتظر الناس ما سيفعله هشام بابن حيويل فلم يرد هشام إلا أن قال: "اسكتوا، لا تتكلموا في هذا الأمر" [١٦٤].

---

(١٥٦) داف دف: من دوف يدف الشيء أي خلطه – أي أنه كان محسوبًا علينا -، لسان العرب ١٠٥/٩، ١٠٨، مختار الصحاح ٩/١.

(١٥٧) تاريخ ولاة مصر ص ٦٦.

(١٥٨) المُدْى: جمع أمداد هو مكيال ضخم لأهل الشام، يسع خمسة عشر مكوكا، والمكوك يسع صاعًا ونصف، والصاع أربعة أرطال، فيكون وسع المُدْى اثنين وعشرين صاعا ونصف الصاع، ونصف المدى يسمى قفيزا يسع سبعة مكاكيك ونصف المكوك، معجم البلدان ١٦١/٣، لسان العرب ٢٧٤/٥، مختار الصحاح ٢٥٨/١.

(١٥٩) تاريخ ولاة مصر ص ٦٦.

(١٦٠) هو قرة بن عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة بن عبد عامر بن أيم بن الحارث الكنعي المعافري المصري، حدث عن أبيه عبد الرحمن وعن جده حيويل بن ناشرة، فالثلاثة كانوا محدثين وبذلك انحدر قرة من بيت علم وفقه، ومات قرة سنة ١٥٨هـ المعرفة والتاريخ ٢٦٧/٢، الأنساب للسمعاني ٣٣٤/٥، تاريخ دمشق ٣٨٣/١٥، ٤٠٢/٢٠، الوافي بالوفيات ١٧٣/٢٤، الإصابة في تمييز الصحابة ١٨٨/٢.

(١٦١) تاريخ ولاة مصر ص ٦٦.

(١٦٢) الويبة: هي ضرب من مكاييل أهل مصر، وهي تتسع لاثنين وعشرين مُدا – وقيل عشرين مدا – والمد ربع الصاع وسمي المد مدًا لأنه أقل ما كان يتصدق به المسلمون في العادة وهو أن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا والصاع أربعة أرطال، فتكون الويبة من عشرين إلى اثنين وعشرين رطلا، ويروي محمد بن حمزة حديثًا للسيدة عائشة أخرجه البخاري تقول فيه – رضي الله عنها – (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتوضأ بمقدار المد ويغتسل بقدر الصاع)، والأردب هو عامة الكيل المصري وكان يقدر عندهم بستة ويبت، ومن مكاييل المصريين أيضا القسط وهو نصف صاع، /محمد بن علي بن الحسين بن حمزة بالحسيني الدمشقي ت سنة ٧٦٥هـ - ذيل تذكرة الحفاظ – دار الصميعي للنشر الرياض – ط١ سنة ١٤١٥هـ - تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي ١٦٠/١، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٧٩/٣، لسان العرب ٤٠٠/٣، ٧، ٣٧٨، ٢١٥.

(١٦٣) تاريخ ولاة مصر ص ٦٦.

(١٦٤) المعرفة والتاريخ ١٦٧/٢.

وأطلق الناس على قرة بن حيويل (كاسر المدى) وصار هذا نسبا لبنيه من بعده، فيقال لهم بنو كاسر المدى، حتى قال شاعرهم مفتخرا بذلك:

قومي الذين تبادروا ... مدى الخليفة بالحجر
وتحزبوا وتعصبوا ... وجثوا عليه فانكسر
من بعد ما ذلت له ... أعناق يعرب بل مضر(١٦٥)

وذكر الفسوى أن قرة بن حيويل ذهب مع وفد من أهل مصر إلى الخليفة [أبي جعفر المنصور العباسي ١٣٦ ـ ١٥٨هـ] فلما قُدّم إليه الوفد قالوا: هذا فلان وهذا فلان وهذا إبن حيويل كاسر المدي فقال له المنصور: "هل لك أن تكسر لنا مديا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن بُعث موتانا كسرت المختوم والصاع"(١٦٦).

ثورة القبط في الصعيد على الوالي حنظلة بن صفوان(١٦٧) سنة ١٢١هـ ـ ٧٣٩م:

عاد حنظلة بن صفوان إلى إمرة مصر للمرة الأخيرة في المحرّم سنة تسع عشرة ومائة للهجرة وتم له الأمر ورتب شئونها، واستقام له السلطان حتى سنة ١٢١هـ/٧٣٨م حيث تمرد عليه القبط من أهل الصعيد بسبب ثقل الخراج الذي فرض عليهم، فعصوا أوامر عمالهم بالصعيد ولم يؤدوا ما طلب منهم، فأرسل إليهم حنظلة جيشا من أهل الديوان، والتقوا بجموع القبط في الصعيد وتحاربوا، فقتل من القبط أناس كُثر وظفر جيش حنظلة بآخرين منهم، وتم القضاء على تمردهم سريعًا(١٦٨).

وبعد هذا التمرد قدم إلى مصر أبو الحكم بن أبي الأبيض العبسي ـ وكان من أصحاب الخليفة هشام بن عبد الملك ـ خطيبًا من الخليفة هشام وكان يحمل معه رأس زيد بن علي بن الحسين ـ رضي الله عنهم جميعا ـ إلى مصر ليكون عبرة لشيعته بها، وليكون ذلك رادعًا لمن تسول له نفسه التمرد على الخليفة والخروج على سلطان الدولة(١٦٩).

---

(١٦٥) تاريخ ولاة مصر ص ٦٦.

(١٦٦) المعرفة والتاريخ ١٦٧/٢.

(١٦٧) هو حنظلة بن صفوان بن تويل ـ بفتح التاء ـ بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عزير بن عربي بن أبي جابر بن زهير بن هبل بن كنانة بن اللات من بني كلب يكنى أبا حفص الكلبي، من أهل دمشق ولي مصر سنة ١٠٣هـ للمرة الأولى باستخلاف من أخيه بشر بن صفوان والي مصر قبله، ولاه الخليفة يزيد بن عبد الملك، ووليها في المرة الأخيرة سنة ١١٩هـ وقد شهد حصار دمشق مع عبد الله بن علي العباسي بعد ذلك، تاريخ ولاة مصر ص ٦٠، تاريخ دمشق ٢٣٣/١٠، ٣٣٠/١٥، النجوم الزاهرة ٢٤٤/١، ٢٨١/١.

(١٦٨) تاريخ ولاة مصر ص ٦٧ ـ ٦٨، النجوم الزاهرة ٢٨١/١.

(١٦٩) تاريخ ولاة مصر ص ٦٨، النجوم الزاهرة ـ نفسه.

تمرد أهل مصر على الخليفة مروان بن محمد [١٢٧ — ١٣٢هـ/٧٤٤ — ٧٤٩م] وولاته بمصر سنة ١٢٧هـ ٧٤٤م.

ورد كتاب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى والي مصر حنظلة بن صفوان سنة ١٢٤هـ/٧٤١م بولايته على إفريقية، فاستخلف حنظلة على مصر حفصًا بن الوليد الحضرمي، الذي ظل على مصر للمرة الثانية من ١٢٤هـ/٧٤١م حتى ١٢٧هـ/٧٤٤، حيث كان قد بويع بالخلافة الأموية [مروان بن محمد ١٢٧ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٩م]، فاستعفى حفص عن ولاية مصر، وولاها حسان بن عتاهية[١٧٠] وكان وقتها بالشام فأرسل إلى مصر يستخلف عليها خيرًا بن نعيم الحضرمي[١٧١] ليكون على الصلاة إلى حين قدومه من الشام، وكان متولي الخراج رجلا يدعى عيسى بن أبي العطاء، فاتجه ابن نعيم إلى حفص وتسلم منه أمر مصر ثم ألقى به في السجن، وقدم حسان فدخل مصر في جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وكان أول قرار اتخذه حسان أن أسقط العطاءات التي كان فرضها حفص بن الوليد إلى قادة الجند ـ وكانوا يسمون قادة الفروض ـ فوثب هؤلاء القواد على حسان وقاتلوه، وقالوا: "لا نرض إلا بحفص" [١٧٢].

في هذا الوقت كان نعيم بن ثابت والي فلسطين[١٧٣] من قبل مروان قد عصاه وتمرد عليه، وتمرد على مروان أيضا زامل بن عمرو السكسكي الحموي أمير حمص[١٧٤]، فكتب الاثنان إلى أهل مصر يدعُوا الناس بها إلى خلع مروان فلم يخالفهما في دعواهما

(١٧٠) هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن محرز بن سعد بن تاوية إبن جعفر بن أسامة إبن تجيب ـ وهي أمه ـ ويلقب بحسان التجيبي، كان فقيها جالس عطاء بن أبي رباح وسمع منه، تولى امرة مصر للخليفة مروان بن محمد، ثم عزله الجند بعد اسبوعين من ولايته، ثم لحق بمروان وعاد مرة ثانية الى مصر بدون ولاية وظل بها حتى قتل سنة ١٣٣هـ مع من قتل من أعوان بني أمية، قتله شعبة بن عثمان التميمي ـ وقيل أن اسمه شرغبة ـ أول من قدم مصر من قادة المسودة على مقدمة عامر بن إسماعيل المرادي الجرجاني. والذي قتل مروان بن محمد فيما بعد، تاريخ ولاة مصر ص ٧١، تاريخ دمشق ٤٣٧/١٢، النجوم الزاهرة ٣٠٠/١، ٤٣١.

(١٧١) هو خير بن نعيم بن مرة بن كريب الأحدوثي ـ أحدوث بطن من بطون حضرموت ـ الحضرمي، يكني أبا نعيم وأبا إسماعيل، كان من جلة المصريين المتقنين المتعبدين، ولي للأمويين قضاء برقة ثم قضاء مصر سنة ١٢٧ ـ ١٢٨هـ، كان أفقه قضاة مصر، وكان يجلس للقضاء بالمسجد، ويقضي بين النصارى على باب المسجد بعد صلاة عصر كل يوم، وكان يتاجر بالزيت فعتب عليه جليسة سهيل بن علي فرد عليه خير قائلا: "انتظر حتى أجوع ببطن غيري" فقال سهيل في نفسه: كيف يجوع الإنسان ببطن غيره؟ قال سهيل بعد ذلك "فلما بليت بالعيال قلت في نفسي: إذا أنا أجوع ببطون عيالي"، فتوح مصر ٣٩٩/١ ـ ٤٠٠، مشاهير علماء الأمصار ١ ١٨٨، الأنساب للسمعاني ٨٨/١، تاريخ دمشق ٢٤٧/٥٥، المنتظم ١٧/٨.

(١٧٢) تاريخ ولاة مصر ص ٧١، النجوم الزاهرة ٣٠١/١.

(١٧٣) هو ثابت بن نعيم بن يزيد بن روح بن سلامة الجذامي، كان من أهل فلسطين ورأسا في أهل اليمن، غزا المغرب مع حنظلة بن صفوان أيام الخليفة هشام بن عبد الملك، تاريخ خليفة ٣٧٤/١، تاريخ اليعقوبي ٣٣٩/٢، تاريخ دمشق ١٤٣/١١، الكامل في التاريخ ٩/٥.

(١٧٤) تاريخ دمشق ٢٩٣/١٨، تاريخ حلب ٣٧٣١/٨، الوافي بالوفيات ١١١/١٤.

أحدا من أهل مصر ممن راسلوهما، وقد ركب رجاء بن الأشيم[١٧٥] في قادة القروض وحاصروا حسان في داره وصاحوا به: "اخرج عنا حيث شئت فإنك لا تقيم معنا ببلد"[١٧٦]، ثم اتجهوا إلى عيسى بن أبي العطاء صاحب الخراج، فعزلوه وأخرجوه في جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ ثم تحولوا إلى السجن الذي يقبع فيه حفص بن الوليد فأخرجوه وأعادوه ثم ولوه أمرهم على كره منه، فأقام حفص على ولاية مصر للمرة الثالثة، وسكن الناس إلى حين، ولحق حسان بن عتاهية بالخليفة مروان بن محمد في الشام، وقص عليه القصص الذي لاقاه بمصر في ولايته التي لم تدم سوى ستة عشر يوما[١٧٧].

ظل حفص بن الوليد واليا على مصر شهري رجب وشعبان سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، إلى أن قدم مصر الأمير حنظلة بن صفوان والي أفريقية، إذ أخرجه أهلها عنوة – كما فُعل بحسان بن عتاهية قبله من أهل مصر – وقد نزل حنظلة الجيزة وظل بها حتى أتى كتاب الخليفة مروان إلى أهل مصر يقول لهم (أما إذا أبيتم ولاية حسان بن عتاهية، فقد أمرت عليكم حنظلة بن صفوان) [١٧٨]، فامتنع المصريون عن طاعة أمره وأعلنوا العصيان وحالوا بين أن يتولى حنظلة مصر، قد ولوا عليهم في تمردهم رجاء بن الأشيم ومعه قادة الفروض، فاتجهوا إلى الجيزة ثم أخرجوا حنظلة من الفسطاط عنوة بعد أن كان قد دخلها بعد كتاب مروان ودارت بينهما الحروب التي انتهت بهزيمة حنظلة وهروبه إلى الحوف الشرقي[١٧٩].

هرب ثابت بن نعيم من فلسطين بعد فشل تمرده يريد مصر – لما له من دور وإن كان غير مباشر في تحريض المصريين على التمرد وخلع مروان، وكان قد أجابه أكثر من اتصل بهم من أهل مصر، سوى قليل من هؤلاء[١٨٠] – فجمع له حفص بن الوليد جموع المصريين ليصدوه عن دخول مصر، وولى عليهم شرحبيل بن قليب الحجري، وخرج معه شيعة بني أمية على رأسهم زبان بن عبد العزيز بن مروان[١٨١] وجمع من

(١٧٥) هو رجاء بن الأشيم بن كيش الحميري كان شريفا في مصر، وله ولايات، تاريخ دمشق ٣٧٧/٣٦، تاريخ حلب ٢٨٥٤/٦، النجوم الزاهرة ٢٩٣/١.

(١٧٦) تاريخ ولاة مصر ص ٧١ – ٧٢، النجوم الزاهرة ٣٠١/١.

(١٧٧) تاريخ ولاة مصر ص ٧١ – ٧٢، تاريخ دمشق ١٤/ ٤٤٦، تاريخ حلب ٢٨٥٥/٦، النجوم الزاهرة ٣٠٣/١.

(١٧٨) تاريخ ولاة مصر ص ٧٢.

(١٧٩) تاريخ ولاة مصر – نفسه، النجوم الزاهرة ٣٠٢/١.

(١٨٠) يذكر الكندي أنه لم يخالف دعوة ثابت بن نعيم من المصريين إلا يزيد بن أمية المعافري وقف في وجه رسل وفد ثابت بن نعيم بالمسجد الجامع وقال لهم (جئتم تفسدون جندنا، وتشيعون أمرنا..) تاريخ ولاة مصر ص ٧٢.

(١٨١) هو زبان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو مروان، أخو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، كان أحد فرسان مصر، روى عن أخيه عمر بن عبد العزيز، وروى عنه أخوه جزي بن عبد العزيز، وكان لزبان عقب بالأندلس، وكانت أمه أم ولد، وكان مع مروان بن الحكم في أبو صير في الليلة التي قتل فيها، ثم نجا زبان من القتل حتى سنة ١٤٠هـ حيث طاردته المسودة، فتقطر به فرسه فسقط به فانكسرت رجله فأدركته المسودة، فقتلوه ولم يعرفوه. أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي ت سنة ٤٠٣هـ، تاريخ العلماء بالأندلس – مطبعة المدني بالقاهرة – ط٢ سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م تحقيق/ عزت العطار الحسيني ١٢٣/١، الوافي بالوفيات ١١٤/١٤.

قيس، فحاربوا ثابتًا وهزموه فهرب ثابت بن نعيم إلى العريش، فسكت مروان بن محمد عن المصريين بقية سنة سبع وعشرين، ثم عزل حفص بن الوليد عن مصر، وولاها الحوثرة بن سهيل الباهلي[١٨٢] مستهل سنة ثمان وعشرين ومائة.

بعث الحوثرة إلى مصر أبا الجراح الجرشي بشرًا بن أوس فقدمها في المحرم سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، فلما سمع الجند بذلك، خرجوا إلى حفص بن الوليد واجتمعوا عنده، وسألوه أن يمنع الحوثرة عن دخول مصر بالقوة، فأبى حفص وأرسل إلى أبي الجراح الجرشي أني قد سلمتك ما في يدي بمصر[١٨٣]، واعتزل حفص عن ولاية مصر، ثم ختمت الدواوين وبيت المال بالأختام إلى حين حضور الحوثرة، الذي خشي منه أهل مصر، فبعثوا إليه يزيداً بن مسروق الحضرمي يتلقاه بالعريش ليسأله أن يؤمن المصريين على ما أحدثوا، واستأذن الحوثرة المصريين في الدخول إلى مصر فأذنوا له حتى إذا نزل المسناة كتب إلى رؤوس التمرد في مصر: "إن كنت في الطاعة فالقوني في الأردية"[١٨٤]، ففهم رجاء بن الأشيم ما في رأس الحوثرة، فاتجه إلى حفص بن الوليد وقال: "اطعني أيها الأمير وامنعهم! ـ قال حفص ـ أكره الدماء، فقال رجاء: إذا فدعني أقف على جبل فإن رأيت ما تحب تطرقنا، وإن كان غير ذلك استنقذناك منهم، قال حفص: قد أعطاني الحوثرة ما ترى من العهد، ولن أستظهر بغير الله. فقال رجاء: والله لا رغبت نفسي عن نفسك"[١٨٥].

خرج حفص ورجاء ووجوه الجند إلى الحوثرة بفسطاطه فقال: من أنتما؟ قالا: حفص ورجاء، قال لجنوده: قيدوهما، فانهزم أهل مصر بعدها[١٨٦]، وأرسل مروان إلى أهل مصر بطاعة الحوثرة والوقوف إلى جانبه وتسديده في عمله[١٨٧].

ولى الحوثرة على شرطته حسان بن عتاهية ثم أمره بجمع الجند بالمسجد، ثم خطبهم الحوثرة خطبة بليغة[١٨٨]، خرج بعدها من المسجد وبعث الخيل تجوب البلاد باحثة

---

(١٨٢) هو الحوثرة بن سهل ـ سهيل ـ بن العجلان الباهلي، من قادة الدولة الأموية، كان أعرابيا بدويًا فصيح اللسان ذا فضائل قتل في واسط بالعراق سنة ١٣٢هـ، تاريخ دمشق ١٤/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠، سير أعلام النبلاء ١٥٩/٨، الوافي بالوفيات ٦٢/١٣، تاريخ ابن خلدون ٣٨٢/٤.

(١٨٣) تاريخ ولاة مصر ص ٧٣، النجوم الزاهرة ٣٠٥/١.

(١٨٤) الأردية هي المعاطف، وتعطف الرجل أي ارتدى وسمي الرداء عطافا لوقوعه على عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه، لسان العرب ٢٥١/٩.

(١٨٥) تاريخ ولاة مصر ص ٧٣.

(١٨٦) النجوم الزاهرة ٣٠٥/١.

(١٨٧) بعث مروان إلى أهل مصر كتابا يقول فيه: إني قد بعثت إليكم رجلا أعرابيا بدويا فصيح اللسان ـ وعدد أحواله ـ فأجمعوا له رجلا فيه مثل فضائله، يسدده في القضاء، ويصوبه في النظر، ويسدده في كذا وكذا، فأجمع الناس كلهم يومئذ على الليث بن سعد، ومنهم معلماه يزيد بن أبي حبيب وعمر بن الحارث، تايخ ولاة مصر ص ٧٤.

(١٨٨) كان مما قاله الحوثرة في هذا الجمع:

دعوت أبا ليلى إلى الصلح كي يبو ... بـرأى أصيل أو يرد إلى حلم

دعاني لشب الحرب بيني وبينه ... فقلت له مهلا هلمّ إلى السلم

تطلب رؤوس التمرد ووجوهه، حتى جمعوا منهم الكثير، فأمر الحوثرة بضرب عنق رجاء بن الأشيم أولا ثم تبعه برؤوس التمرد معه(١٨٩)، وأمهل حفص بن الوليد إلى غرة شوال سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م حيث عيد الفطر فأمر بضرب عنقه يومها، ويعزي الكندي سبب قتل حفص إلا أن زبان عبد العزيز بن مروان كان شديد التحريض للحوثرة على قتل حفص، حتى قتله الحوثرة يوم عيد الفطر في سفح جبل المقطم، وحزن عليه الناس وبكوه من فرط حبهم له(١٩٠).

تمرد قبيلة تجيب(١٩١) على الخليفة مروان بن محمد بمصر سنة ١٣١هـ - ٧٤٨م

خرج عبد الله بن يحيى الكندي طالب الحق(١٩٢)، على الخليفة مروان بن محمد بحضرموت في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، لما رأى فيها جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة قبيحة، فلم يسعه الصبر، فراسل الخوارج باليمن للتمرد على هذا الوضع وخلع مروان فأجابوه، وأتوه من كل حدب وصوب من نواحي حضرموت، فزحف بهم وهم قرابة الألفين إلى صنعاء ففر عاملها فدخلها طالب الحق واستولى على خزائنها، وفرض سيطرته على اليمن كلها(١٩٣)، وبدأ يرسل الوفود إلى الولايات الإسلامية ليدعوهم إلى تمرده ودعوته، وكان من بين تلك الولايات: مصر، أرسل إليها أحد دعاته، فقدم إليها سنة ١٣١هـ/٧٤٨م ودعا المصريين إلى خلع مروان بن محمد وطالبهم بمبايعة طالب

تاريخ ولاة مصر ص ٧٤

(١٨٩) كان من بين هؤلاء: محمد بن شريح بن ميمون المهدي، وعمرو بن يزيد الشيباني، وعقبة بن نعيم الرعيني، ويزيد بن مسروق الحضرمي، ومحمود بن سليط الجذامي، وأيوب بن برغوث اللخمي، تاريخ ولاة مصر ص ٧٤ - ٧٥، النجوم الزاهرة ٣٠٥/١.

(١٩٠) بكى مرسل بن حمير وأصحابه حفصا ورفاقه، فقال عن حفص:

يا عين لا تبقي من العبرات	جودي على الأحياء والأموات
تبكي الذين مضوا فهم صلاد	قنوا صدقات فانطلت تارات
يا حفص يا كهف العشيرة كلها	يا خا النوال وساتر العورات
إما قتلت فأنت كنت عميدهم	والكهف للأيتام والجارات

عن بقية من بكاهم مرسل بن حمير وقد قتلوا مع حفص انظر: تاريخ ولاة مصر ص ٧٦.

(١٩١) تجيب: اسم قبيلة من كندة وهم ولد عدي وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن مرتع من كندة، وأمهما هي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن مذحج، نزلوا مصر وكانت لهم بها محلة كبيرة سميت باسم محلة التجيب نسبوا جميعا إليها، الأنساب للسمعاني ٤٤٨/١، معجم البلدان ١٦/٢، وفيات الأعيان ٤٣١/٤، طبقات الشافعية ٦٢/٢.

(١٩٢) هو الإمام الخارجي عبد الله بن يحيى الكندي اليمني أحد بني عمرو بن كنانة، سماه أتباعه من الخوارج لاسيما من الإباضية بطالب الحق، وكان مجتهدا عابدا، تمرد على مروان بن محمد سنة ١٢٩هـ واستولى على اليمن وأرسل جيشا بزعامة أبو حمزة الخارجي في موسم الحج للاستيلاء على مكة، فتصدى له جيش مروان بزعامة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي وهزمه وقتله وصلبه هو ومن معه، ثم قابل ابن عطية طالب الحق في الطائف فهزمه وقتله وبعث برأسه إلى مروان بن محمد، الوافي بالوفيات ٢٢٣/١٦، تاريخ ابن خلدون ٢١١/٣.

(١٩٣) تاريخ خليفة ٣٣٤/٣، تاريخ اليعقوبي ٣٣٩/٢، تاريخ الطبري ٣١٧/٤، الكامل في التاريخ ٢١١/٣.

الحق، فاستجاب له أقوام من بني تجيب خاصة، إلى جانب البعض الآخر من غيرهم، فبلغ ذلك صاحب شرطة الحوثرة حسان بن عتاهية، فأرسل جنده يجوبون البلاد بحثا عن دعاة طالب الحق، وعن الذين استجابوا لهم من بني تجيب وغيرهم، حتى استطاعوا أن يستخرجوهم، فقدموا بهم إلى الحوثرة الذي أمر بقتلهم جميعا فقتلوا، ثم استدعى مروان بعدها الحوثرة من مصر وعزله عنها(١٩٤).

تمرد/ أقباط سمنود على الوالي عبد الملك بن مروان النصيري(١٩٥) سنة ١٣٢هـ - ٧٤٩م

ولي مصر بعد الحوثرة بن سهيل عبد الملك بن مروان النصيري من قبل مروان بن محمد في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فرأى الولاة والعمال وغيرهم يخطبون في المساجد على العصي إلى جانب القبلة، فأمر أهل مصر باتخاذ المنابر في المساجد، فكان أول من أمر بذلك(١٩٦)، وهو أول من غير اسم ديوان المحاسبة إلى الزمام ولم تكن كلمة الزمام تعرف بمصر(١٩٧)، وفي أثناء ولايته على مصر خرج عليه أقباط سمنود على رأسهم رجل منهم يسمى بحنس القبطي، فوجه إليه عبد الملك جيشا عليه عبد الرحمن بن عتبة المعافري، الذي استطاع أن يسحق هذا التمرد ويقتل بجنس في جمع كثير من أتباعه من القبط سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م(١٩٨).

عصيان عمرو بن سهيل بن عبد العزيز والقيسيين بمصر على مروان بن محمد سنة ١٣٢هـ - ٧٤٩م

خرج عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي على والي مصر عبد الملك بن مروان النضيري سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وأعلن العصيان وخلع الخليفة مروان بن محمد ثم دعا الناس إلى بيعته، والتفت حوله القيسيون في الحوف الشرقي وبايعوه وأجمعوا عليه وعلى رأسهم الدماحس بن عبد العزيز الكناني(١٩٩)، فأظهروا

---

(١٩٤) تاريخ ولاة مصر ص ٧٦.

(١٩٥) هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مولى لخم، كان خطيبا من أخطب الناس، وكان من أحسن الناس سيرة، ولاه مروان بن محمد مصر فكان من أعدل ولاة مصر، وكان آخر من ولي مصر من بني أمية، الأنساب للسمعاني ١٤٥/٤، تاريخ دمشق ١٦٧/٣٧ - ١٦٨ - ١٦٩، النجوم الزاهرة ٣١٦/١.

(١٩٦) تاريخ ولاة مصر ص ٧٧، تاريخ دمشق ١٦٨/٣٧.

(١٩٧) تاريخ ولاة مصر ١٦٨/٣٧ - ١٦٩.

(١٩٨) تاريخ ولاة مصر ص ٧٧، النجوم الزاهرة ٣١٦/١.

(١٩٩) كان مروان بن محمد في أول خلافته، قد ولي الدماحس على فلسطين، ثم ما لبث أن تمرد عليه الدماحس في نهاية خلافته، ثم نزح بعد ذلك إلى الأندلس وتمرد سنة ١٦٣هـ على عبد الرحمن الداخل بالجزيرة الخضراء، فتوجه إليه الداخل ففر الدماحس في البحر وعاد إلى الشرق، تاريخ الطبري ٢٨٣/٤، تاريخ إبن خلدون ١٤٢/٣، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤٨/٣.

العصيان والإفساد في الحوف الشرقي، فكلف عبد الملك النصيري موسى بن المهند بن داوود بن نصير في أهل الديوان، بالتصدي لتمرد عمرو والقيسيين، فخرج إليهم في سبعة آلاف ونزل بلبيس، فدارت بينهما المراسلات التي نجمت عن عقد صلح بين الطرفين، يخرج بمقتضاه عمرًا بن سهيل والدماحس إلى أي أرض شاءا، فأجابهم إبن المهند وانصرفت جموعهم(٢٠٠)، إلا أن عبد الملك النصيري استطاع بعد ذلك أن يظفر بابن سهيل ويحبسه بالفسطاط، ولما أتى مروان بن محمد مصر كان يحمل معه عمرو بن سهيل مقيدا في الحديد في أثناء حروبه حتى استطاع عمرو الهروب منه لما أشرف مروان على الهلاك على يد العباسية في صعيد مصر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م(٢٠١).

خروج أهل مصر على الخليفة مروان بن محمد وخلعه في شوال سنة ١٣٢هـ - ٧٤٩م:

اتجه مروان بن محمد بعد هزيمته من العباسيين عند نهر الزاب في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م صوب مصر، فلما تسامع جندها بذلك أجمعوا على منعه من دخولها إن هو سار إليها(٢٠٢). وولوا أمرهم في ذلك عبيد الله بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمي، ولما قدمت مقدمة مروان بن محمد مصر وكان عليهم عبيد الله بن مروان إبن محمد(٢٠٣) دعا إبن عميرة الجند والذين ندبوه لصد مروان أن ينهضوا معه فلم يقوموا معه وتثاقلوا إلى الأرض، فرد إبن عميرة عهدهم عليهم وترك أمرهم(٢٠٤).

وقدم مروان بن محمد إلى مصر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شوال سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فاستقبله المصريون بالرايات السود شعار العباسيين، وكان أول من سود منهم أهل الحوف الشرقي وعليهم شرحبيل بن مزيلفة الكلبي الزهيري(٢٠٥)، وسوَّد أهل الإسكندرية وعليهم الأسود بن نافع(٢٠٦)، وسوَّد أهل الصعيد وعليهم عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني(٢٠٧)، وسود أهل أسوان وعليهم يحيى بن مسلم بن الأشج مولى بني زهرة، فأمر مروان بن محمد بدار الأمويين بمصر والمسماة دار آل عبد العزيز بن مروان

(٢٠٠) تاريخ ولاة مصر ص ٧٩.

(٢٠١) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٧٩.

(٢٠٢) تاريخ ولاة مصر ص ٧٨.

(٢٠٣)تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٧٨.

(٢٠٤) كان لمروان أربعة أولاد هم: عبد الملك وعبد الله وعبيد الله ومحمد، تاريخ اليعقوبي ٣٤٧/٢.

(٢٠٥) كان شرحبيل من وجوه أهل مصر، وكانت له دار مشهورة بجوار المسجد الجامع تسمى دار ابن مذيلفة الكلبي، صار من أكبر أنصار العباسيين بمصر، ثم خرج منها إلى دمشق بصحبة صالح بن علي بن عبد الله بن عباس غازيًا، فتوح مصر وأخبارها ٢٠٨/١، تاريخ دمشق ١٢/١٦، ٣/٢٣.

(٢٠٦) هو الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، تاريخ ولاة مصر ص ٧٨، تاريخ دمشق ٢٦٣/٥٠.

(٢٠٧) هو عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مسروق بن مشكم الجيشاني، أبو سلامة، من أهل مصر روى عن أبيه سعيد وروى عنه ابنه يزيد بن عبد الأعلى، توفي ستة ثلاث وستين ومائة، وكان جده مسروق بن مشكم ممن شهد فتح مصر، الأنساب للسمعاني ١٤٤/٢ - ١٤٥.

المذهبة، أن تحرق، فاعترض عليه زبان بن عبد العزيز بن مروان وقال له إنها دار بني عبد العزيز وقد أعظمت فيها النفقة(٢٠٨)، فقال مروان: "إن أبق ابنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإلا فما تصاب به من نفسك أعظم"(٢٠٩) فأحرقت الدار، وعبر مروان إلى الجيزة ثم أمر بحرق الجسور(٢١٠)، وبدأ في رسم خطة للتصدي لمواجهة أولئك المتمردين الرافعين لشعار السواد للعباسيين في الشمال والجنوب، وبدأ بالإسكندرية فأرسل صاحب شرطته الكوثر بن الأسود(٢١١) مع عثمان بن أبي نسعة الخثعمي(٢١٢) إلى الأسود بن نافع الفهري في ذي القعدة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، ودارت بينهما الحروب في الكريون(٢١٣) قرب الإسكندرية، انهزم بعدها الأسود وهرب إلى صالح بن علي(٢١٤) ودخل الكوثر الإسكندرية فقتل زعماء التمرد فيها(٢١٥). أرسل مروان بن محمد إلى الصعيد جيشا عليه زبان بن عبد العزيز بن مروان النقض على تمرد عبد الأعلى بن سعيد بن مسروق الجيشاني، فقاتله زبان وهزمه واستطاع عبد الأعلى الهروب من زبان ونجا بنفسه(٢١٦).

استغل القبط في رشيد انشغال مروان بن محمد بالقضاء على التمردات المتفرقة عليه بمصر شمالًا وجنوبًا فخرجوا عليه، فبعث إليهم مروان قائده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، فقاتلهم في منطقة تسمى المعصمة برشيد فهزمهم وسحق تمردهم(٢١٧). في هذه الأثناء كان قد قدم إلى مصر صالح بن علي بن عبد الله بن العباس في منتصف ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فنزل الفسطاط ثم استخلف عليها وخرج إلى مروان بن محمد

---

(٢٠٨) بناها عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر سنة ٦٧هـ وكانت دار عظيمة لذلك سميت بالمدينة، وقد تجاوزت الوصف، صارت بعد عبد العزيز منزلا لمن يلي إمارة مصر ثم صارت بعد ذلك للعامة، تاريخ ولاة مصر ص ٤٤، مآثر الإنافة ١٣٠/١.

(٢٠٩) تاريخ ولاة مصر ص ٧٨.

(٢١٠) النجوم الزاهرة ٣١٦/١.

(٢١١) هو الكوثر بن الأسود القنوي – بعد القاف نون ثم واو ثم الياء، وتذكره بعض المصادر – الغنوي بالغين وهو خطأ – كان صاحب شرطة مروان بن محمد، وقد قال له مروان يوما أثناء الحرب في مصر (ويلك انزل فقاتل) فأبى الكوثر أن يفعل فقال له مروان: (والله لأسوانك) فقال الكوثر: (وددت والله أنك لو تقدر على ذلك)، تاريخ اليعقوبي ٣٤٦/٢.

(٢١٢) كان عثمان بن نسعة الخثعمي من ولاة الأمويين، ولاه هشام بن عبد الملك الأندلس في شعبان سنة عشرة ومائة، وظل عليها لمدة خمسة أشهر ثم عزله عنها، تاريخ ابن خلدون ١٧٥/٣، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٣٥/١، ١٨/٣.

(٢١٣) الكريون: موضع وادي قرب الإسكندرية، أوقع فيه عمرو بن العاص بالروم وهزمهم فيه، ويذكر البكري أن بالكريون خليج اشتق من نيل مصر، معجم ما استعجم للبكري ١١٣٧/٤، معجم البلدان ٤٥٨/٤٨، لسان العرب ٣٥٧/١٣.

(٢١٤) تاريخ دمشق ٢٦٣/٥٠.

(٢١٥) كان من هؤلاء عبد الأعلى بين الهجرس مولى بني مراد كان على الموالي، تاريخ ولاة مصر ص ٧٩.

(٢١٦) تاريخ ولاة مصر ص ٧٩.

(٢١٧) تاريخ ولاة مصر ص ٧٩.

الذي كان قد نزل في أبو صير بصعيد مصر بصحبة واليه على مصر عبد الملك بن مروان النصيري، واستطاع صالح بن عبد الله أن يقتل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين يوم الجمعة ثلاث وعشرين ذي الحجة سنة ١٣٢هـ - ٧٤٩م(٢١٨)، وقتل بعده جل بني مروان في مصر إلا من استطاع الإفلات، ودخل صالح بن علي الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ١٣٣هـ - ٧٥٠م، وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق حيث أخيه [الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح ١٣٢ – ١٣٦هـ/ ٧٤٩ – ٧٥١م] ودانت مصر من يومها إلى الخلافة العباسية(٢١٩).

حركات التمرد والعصيان بمصر في العصر العباسي الأول ١٣٢ — ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ـ٨٤٧م

انتهى عهد الخلافة الأموية بمقتل الخليفة [مروان بن محمد ١٢٧ – ١٣٢هـ/٧٤٤ – ٧٤٩م] يوم الجمعة ثلاث وعشرين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة، على يد عامر بن إسماعيل المذحجي(٢٢٠) قائد جيش صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس في كنيسة (أبو صير) بالقرب من الفيوم بصعيد مصر(٢٢١)، وعندها بدأ عهد الخلافة العباسية ببيعة [الخليفة أبي العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله

(٢١٨) يذكر ابن شاكر الكتبي أن مروان بن محمد لما علم بقدوم العباسيين إلى أبي صير بالقرب من الفيوم لجأ إلى كنيستها، فأخبر عنه أحد الخدم، فأمر به مروان فقطع لسانه ورموه فجاءت هرة فأكلت لسانه، وفي عشية ذات اليوم أحاط العباسيين بمروان وقطعوا لسانه من قفاه ورموه على الأرض فجاءت تلك الهرة بعينها فأكلت لسانه، فتعجب عامر بن إسماعيل المذحجي قائد جيش صالح بن علي والذي قطع لسان مروان. وقال (لو لم يكن في الدنيا عجب إلا هذا لكان كافيا لسان الخليفة مروان بن محمد الأموي في فم هرة؟؟). فوات الوفيات ٢/٥٠٥، سمط النجوم العوالي ٣/٣٤٧.

(٢١٩) تاريخ ولاة مصر ص ٧٩ – ٨٠، فوات الوفيات ٢/٥٠٥، البداية والنهاية ١٠/٤٦، سمط النجوم العوالي ٣/٣٤٧.

(٢٢٠) هو عامر بن إسماعيل بن عامر بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر بن نافع ينتهي نسبه إلى مسيلمة بن عامر ثم إلى مالك بن أدد بن الحارث الجرجاني، كان من أهل مرو ثم صار من كبار قادة الدولة العباسية، وكان كبير القدر عند الخليفة المنصور، توفي سنة ١٥٧هـ بمدينة السلام وصلى عليه المنصور ودفن في مقابر قريش، تاريخ دمشق ٢٥/٣٠٨، ٥٧/٣٤٣، الوافي بالوفيات ١٦/٣٣٧، النجوم الزاهرة ٢/٣٠١.

(٢٢١) تاريخ خليفة ١/٤٠٤، تاريخ الطبري ٤/٣٥٤ – ٣٥٥، البدء والتاريخ ٦/٧٣، المنتظم ٨/١٩٣، يرى بعض المؤرخين والباحثين أنه لولا كثرة حركات التمرد والعصيان التي قامت في عهد مروان بن محمد كان يعد من فرسان بني أمية حتى أنه لقب بالحمار لأسباب منها:
صبره على الحروب ومصابرته الشدائد في الوقائع التي مرت على رأسه أيام إمارته وخلافته. مهند ماهر جاسم – الحركات المناهضة لخلافة مروان بن محمد – رسالة ماجستير – جامعة بغداد – قسم الآداب سنة ١٩٨٦م ص ١٩، يوسف الحسن – الدولة الأموية – دار الفكر – دمشق ط ٣ سنة ١٩٨٥م ص ٣٣٧، محمد بطاينة - دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين – دار الفرقان الأردن (د. ت) ص ٤١١، محمد عامر عصر الخلافة الأموية ص ١٧٢.
عبد المنعم الهاشمي – الخلافة الأموية – دار ابن حزم القاهرة طبعة ١٤٢٣هـ ص ٢٠٩.

بن العباس ١٣٢ ـ ١٣٦هـ/٧٤٩ ـ ٧٥٣م][٢٢٢]. ودخل صالح بن علي عم الخليفة الفسطاط في المحرم سنة ١٣٣هـ/٧٤٩م، وأتاه كتاب الخليفة السفاح بولايته على مصر، فجمع صالح وفدا ضم نخبة من أشراف مصر ووجوه أهلها، وبعث بهم إلى الخليفة أبي العباس في العراق ليقدموا بيعة أهل مصر له[٢٢٣].

تفرغ صالح بن علي في أول ولايته مصر إلى تصفية بقايا الأمويين وأعوانهم فيها، ثم اتجه إلى أولئك الذين ساهموا في نشر الدعوة العباسية في مصر، خاصة الذين سودوا في وجه مروان بن محمد، فأقطعهم القطائع الواسعة في بولاق والإسكندرية والصعيد وغيرها[٢٢٤]. ثم أضاف الخليفة أبو العباس فلسطين وأفريقية إلى ولاية عمه صالح بن علي بمصر، فاستناب على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد[٢٢٥]، والذي تمرد عليه قبط سمنود عليهم رجل يدعى (أبو مينا القبطي) فأرسل إليه أبو عون قائده عبد الرحمن بن عقبة فهزمه وقتل أبا مينا[٢٢٦].

تمرد/ دعاة العلويين بمصر على الخليفة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م:

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة، بعد وفاة أخيه الخليفة أبي العباسي السفاح، في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ - ٧٥٣م، فعهد المنصور بولاية مصر إلى حميد بن قحطبة الطائي[٢٢٧]، وكان قد قدم إلى مصر أوائل سنة أربع وأربعين ومائة علي بن محمد إبن

---

(٢٢٢) تاريخ الطبري ٣٥٥/٤، الكامل في التاريخ ٧٦/٥، البداية والنهاية ٤٦/١٠، سمط النجوم العوالي ٣٤٧/٣.

(٢٢٣) تاريخ الطبري ٣٥٥/٤، المنتظم ١٩٣/٨، الكامل في التاريخ ٧٦/٥، البداية والنهاية ٤٦/١٠.

(٢٢٤) تاريخ ولاة مصر ص ٨٤.

(٢٢٥) هو أبو عون عبد الله وقيل عبد الملك بن يزيد الأزدي الجرجاني، مولى بني هناءة نزل مع صالح بن علي بالعكسر في مكان سمي باسم عسكر مصر سنة ١٣٣هـ، كان من موالي المنصور وأحد قادة بني العباس، ولي مصر مرتين الأولى في شعبان سنة ١٣٣هـ حتى ربيع الآخر سنة ١٣٦هـ والأخرى من رمضان سنة ١٣٧هـ حتى ربيع الآخر سنة ١٤١هـ، وكان له ببغداد ربض مشهور يسمى ربض أبي عون، تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨٠، معجم البلدان ٢٥/٣، ١٣٣/٤، النجوم الزاهرة ٣٢٥/١.

(٢٢٦) تاريخ ولاة مصر ص ٨٤، النجوم الزاهرة ٣٢٥/١.

(٢٢٧) هو حميد بن قحطبة، ويسمى زيادًا وأيضا إياد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن كلب ينتهي نسبه إلى مالك بن سعد بن نبهان الطائي، كان أحد أعضاء مجلس السبعين الذين هم دعاة بني العباس الذين اختارهم الشيعة بخراسان لإقامة دعوة بني العباس بها، وكان أبيه قحطبة بن شبيب أحد أعضاء مجلس النقباء الاثنى عشر وهو في الأهمية المجلس الأول، وبينهما مجلس العشرين. وكان حميد معظما عند بني العباس أميرا شجاعا مقداما عارفا بأمور الحروب والوقائع وتنقل في الأعمال الجليلة، وكان أخوه الحسن بن قحطبة مع أبوه قحطبة كلهم من دعاة بني العباس وأعوانهم، ولي حميد مصر في رمضان سنة ١٤٣هـ وعزل فيها في ذي القعدة سنة ١٤٤هـ ثم ولي خراسان للخليفة المهدي سنة ١٥١هـ ومات بها سنة ١٥٨هـ. المعرفة والتاريخ ٢٠/١، تاريخ دمشق ٢٨٩/١٥، المنتظم ٢٣٠/٨، تاريخ حلب ٢٩٧٣/٦، النجوم الزاهرة ٢٤٩/١.

عبد الله بن حسن، أول علوي قدم داعية لأبيه محمد بن عبد الله (النفس الزكية) بالمدينة واخيه إبراهيم بن عبد الله بالبصرة[٢٢٨].

ونزل علي بن محمد العلوي بمصر علي عسامة بن عمرو المعافري[٢٢٩] سرّا، فعلم به صاحب السكة، فأخبر الوالي حميد بن قحطبة والذي طالبه أن يبعث إليه ويحبسه، فكذبه حميد وقلل له من جدية الخبر، في الوقت الذي دس حميد أحد عيونه إلى عليٍّ ابن محمد، وأسر إليه أن يختفي في مكان آخر، فاختفى محمد عن الأنظار وتغيب، وأراد حميد أن يتحقق من صدق اختفائه فأرسل إليه من الغد من يتحسسه فلم يجده، ولما تأكد حميد من اختفائه أرسل إلى صاحب السكة وقال له: "ألم أعلمك أنه كذب" [٢٣٠]، فأرسل صاحب السكة إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، وأوقفه على ما فعله حميد بن قحطبة تجاه علي بن محمد العلوي، فسخط المنصور على حميد وعزله عن مصر في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة ٧٦١م[٢٣١].

ثم عهد الخليفة المنصور بولاية مصر إلى يزيد بن حاتم بن أبي صفرة[٢٣٢]، فشهدت ولايته ظهور دعوة بني الحسن بن علي بمصر، حيث قام بها خالد بن سعيد الصدفي[٢٣٣] وعمل على نشرها وأخذ البيعة لعلي بن محمد من أهل مصر الذين تحمس الكثير منهم لدعوة العلويين، وبايع عدداً لا بأس به منهم لعلي بن محمد علنا، بينما بايع

---

(٢٢٨) عن أحداث ثورة محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية) بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة، انظر: طبقات إبن سعد ٣٢٤/٥، تاريخ الطبري ٤ ٤٣٦، الكامل في التاريخ ٦٣/٤، البداية والنهاية ٨ ٢٨٣، تاريخ ابن خلدون ٥/٤، شذرات الذهب ١٥٩/١، سمط النجوم العوالي ٤٣٦/٤، محمد الخضري – الدولة العباسية – ٧٩/١.

(٢٢٩) هو عسَامة – بفتح العين وتشديد السين وفتح الميم – عمرو بن علقمة بن مطوم بن جبريل بن أوس بن دحية المعافري، أبو داجن ولي شرطة مصر لعدة ولاة من أمراء مصر، ثم ولي مصر في عهد الخلافة العباسية في ذي الحجة سنة ١٦٨هـ من قبل الخليفة المهدي حتى سلخ المحرم سنة ١٦٩هـ فكانت ولايته عليها ثلاثة أشهر الا أياما، النجوم الزاهرة ٥٧/٢.

(٢٣٠) تاريخ ولاة مصر ص ٩٠.

(٢٣١) المصدر السابق – نفسه، تاريخ ابن خلدون ٢٣٨/٣، النجوم الزاهرة ٣٤٩/١.

(٢٣٢) هو أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي الطائي المهلبي البصري، كان مثل آبائه وأجداده، بطلا شجاعا مهيبا شديد البأس قيل فيه:

وإذا الفوارس عددت ابطالها	عدوك في أبطالهم بالخير
يا واحد العرب الذي	أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر	ما كان في الدنيا فقير

ولي يزيد للعباسيين مصر ثم المغرب، فمهدا أفريقية، وأخضع البربر، ثم مات بالمغرب في رمضان سنة ١٧٠هـ تاريخ دمشق ١٣٨/٦٥، الحلة السيراء ٧٢/١، وفيات الأعيان ٣٣٢/٦، سير أعلام النبلاء ٢١١/٥، ٢٣٣/٨، الوافي بالوفيات ٢٤٢/٣، مرآة الجنان ٣٦/١

(٢٣٣) هو خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي، كان جده ربيعة بن حبيش ممن شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، ثم كان من الذين أرسلهم محمد بن حذيفة وابن سبأ في بعث مصر لحصار عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بالمدينة بل كان من الذين باشروا قتله، وكان ربيعة من خاصة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بمصر ومن شيعته. فتوح مصر وأخبارها ٢٩٢/١، تاريخ ولاة مصر ص ٩١، تاريخ دمشق ٦٢ ٤٣٣.

البعض في الباطن[٢٣٤]. وجمع خالد بن سعيد وجوه أهل مصر وأهل الديوان ممن بايعوا لعلي بن محمد بن عبد الله بن حسن واستشارهم في أمر علي بن محمد فأشار عليه وجوه أهل مصر وعلى رأسهم دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[٢٣٥] أن يبيت يزيداً بن حاتم في عسكره ويضرم عليه النار ليلا، في حين أشار عليه أهل الديوان أن يعلنوا تمردهم على المنصور وواليه ويخرجوا عليه من المسجد الجامع ثم يتوجهون إلى بيت المال ويستولوا عليه، رفض خالد بن سعيد رأي الفريق الأول، فقد كره أن يبيت يزيد بن حاتم خشية أن تثأر له اليمنية[٢٣٦]، ومال إلى رأي الفريق الثاني من أهل الديوان والذين يرون التمرد والعصيان، بدلا من إحراق يزيد، فسار خالد بن سعيد وأصحابه في العاشر من شوال سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وهو يرتدي قباء خز[٢٣٧] أصفر وعمامة صفراء، وقد سوم فرسه هو الآخر بعمامة، وعمدوا إلى المسجد الجامع في منتصف الليل، ثم توجهوا إلى بيت المال ليستولوا عليه خلسة، ففوجئوا أن الحراس كانوا مستعدين لهم وعلى علم بهم، لأن الخبر قد تسرب إلى صاحب الشرطة عبد الله بن عبد الرحمن إبن حديج[٢٣٨] عن طريق أحد عيونه من الصدف الذي كان في مجلس المشورة الذي عقده خالد بن سعد الصدفي مع وجوه أهل مصر وأهل الديوان، فشهد أمرهم كله، من حيث توقيت الخروج وخطة التمرد، فأخبر عبد الله بن حديج يزيدًا بن حاتم بالمؤامرة، فاستعدوا لصدهم، فلم يفلح المتمردون في الإستيلاء على بيت المال، وأرسل يزيد مع صاحب الشرطة وفدا من ثلاثة لاستجلاء حقيقة المتمردين وقال: "إن رأيتم المصابيح في الدور مسرجة فهو أمر عام فانصرفوا إليّ، وإن لم تروها فأتوا المسجد فاعلموا الخبر"[٢٣٩]، فلما ذهبوا وجدوا الأمر كما هو عادة فقالوا: إذًا نرجع، فرجعوا إلا أحدهم أبي أن

---

(٢٣٤) تاريخ ولاة مصر ص ٩٠ – ٩١، النجوم الزاهرة ١/٢.

(٢٣٥) كان مع دحية في هذا الرأي آخرون منهم منصور الأثل بن أصبغ بن عبد العزيز، وزيد بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخو دحية وغيرهم، تاريخ ولاة مصر ص ٩٢.

(٢٣٦) حيث أن أصل يزيد بن حاتم من الأزد اليمانية، ينتهي نسبهم إلى الأزد بن الغوث من اليمن، قال الشاعر:

من الأزد إن الأزد أكرم أسرة ... يمانيه يوما إذا انتسبت البشر

المتوارين من الحجاج بن يوسف الثقفي ٧٢/١، معجم البلدان ٨٦/١، ٧٥/٢.

(٢٣٧) القباء هو: ممدود من الثياب الذي يلبس – كالجبة – ومشتق من ذلك لاجتماع أطرافه، والجمع أقبية، والخز: ضرب من ثياب معروفة موشاه، منها ما يصنع من الصوف ومن القطيفة، وأغلاها ما هو مصنوع من الإبريسم – معرب كالديباج – والنوع الأخير غير مستحب، أما غيره فكان يلبسه بعض الصحابة والتابعين، لسان العرب ٤، ١٨٥، ٧٢/٥، ٣٤٥، ١١ ج٥، ٤٦/١٢.

(٢٣٨) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج بن جفنة بن حارثة بن أشرس السكون التجيبي المصري ولي الاسكندرية للخليفة هشام بن عبد الملك الأموي، ثم ولي مصر للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فكان أول من خطب في السواد بها، وكان ابوه عبد الرحمن قاضي مصر لعبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته أيضا، وتوفي عبد الله سنة ١٥٥هـ تاريخ دمشق ٢٩ ٣٢٢، الوافي بالوفيات ١٧ ١٢٨، ١٨ ١٧٠.

(٢٣٩) تاريخ ولاة مصر ص ٩٢.

يعود الا بأمر من يزيد بن حاتم، فأمره صاحب الشرطة أن يقف يراقب الأحداث عند دور بني مسكين بالفسطاط فإنها مفرق طرق، ففعل[٢٤٠].

وأمام استعدادات يزيد بن حاتم وعماله لمواجهة التمرد، رجع بعض المصريين عن تأييدهم للعلويين وتابوا ورجعوا إلى يزيد، ورجع بعضهم إلى بيوتهم[٢٤١]، وتوجه يزيد ومعه رؤوس أجناده إلى خالد بن سعيد وأصحابه، وقد أسند إلى كل رئيس جند منهم مهمة محددة، وكان خالد على ظهر المسجد الجامع حينها، فنادى عليه يزيد (انسل)[٢٤٢] فخرج خالد على وجهه وقد أصابه سهم غرب في الظلمة لم يره إلا وهو يلتصق بعظم خده، فانتزعه وخرج مسرعا ومعه ابناه إبراهيم وهدبة يبحثون عمن يأويهم[٢٤٣]، وعرض خالد نفسه على بعض أشراف مصر، فرفض بعضهم بحجة أنه لا يأمن على نفسه أن تضعف فيسلمه إلى الأمير يزيد، ورفض الآخر بحجة أنه يخاف إن أقسم اليمين أمام الأمير أن يصدقه فيخبر عنه، ولكن وجد خالد في النهاية من الأشراف من يخفيه سبعين ليلة حتى سكن عنه الطلب وهدأ الأمر، وأمر يزيد صاحب الشرطة إبن حديج أن يطلق الأسارى، وكان إبن حديج يضربهم حتى يؤدبهم على خروجهم ثم خلاهم، وكان عدد القتلى في هذا التمرد من تلك الليلة ثلاثة عشر رجلا[٢٤٤].

انتهت ثورة محمد بن عبد الله في المدينة ثم ثورة أخيه إبراهيم في البصرة بمقتله في ذي الحجة سنة ١٤٥هـ[٢٤٥] فقطعت رأس إبراهيم وقدمت بها الخطباء مصر، فنصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره، أما علي بن محمد بن عبد الله بن حسن العلوي، فالروايات تشير إلى أنه اختفى عند عسامة بن عمرو الذي أنزله بقرية طوه[٢٤٦]، وزوّجه ابنته ثم أقام مدة في بيته[٢٤٧]، فمرض بها ومات ودفن في بيت

---

(٢٤٠) المصدر السابق نفسه.

(٢٤١) رغم رجوع هذه الطائفة إلا أنه خرجت مع خالد بن سعيد الصفي طائفة أخرى لم تكن على مذهب العلويين ولا تؤيد خالداً وأصحابه، إنما خرجت في التمرد لأنها كانت غير راضية عن سياسة يزيد بن حاتم، وكان من ضمن هؤلاء كلثم بن المنذر الكلبي أحد بني عامر، تاريخ ولاة مصر ٩٣.

(٢٤٢) يذكر الكندي أنها لفظة قبطية، وكلمة (انسل) عند إبن منظور تعني: خروج الشيء من مكانه خفية (انسل من القوم إذا خرج خفية يعدو)، تاريخ ولاة مصر ص ٩٣، لسان العرب ٣٣٨/١١ ـ ٣٣٩، مختار الصحاح ١٣٠/١.

(٢٤٣) تاريخ ولاة مصر ص ٩٣.

(٢٤٤) المصدر السابق ـ نفسه.

(٢٤٥) المعرفة والتاريخ ١١/١، تاريخ الطبري ٤٦١/٤، العبر في زمن من غبر ١٩٩/١، سير أعلام النبلاء ٢١٨/٦ ـ ٢١٩، الوافي بالوفيات ٢٣/٦.

(٢٤٦) طوه: تعني طوخ ـ بضم أوله ـ اسم أعجمي ومدخله في العربية من طاخه يطوخه إذا رماه بقبيح، وطوخ قريتان بالصعيد الأولى غربي النيل، والثانية تسمى طوخ الخيل غربي النيل بالصعيد وتسمى أيضا طوخ بيت يمون، وتسمى طوه، كان يختفي فيها علي بن محمد بن عبد الله العلوي، ومات بها وفيها قبره للآن، وتوجد قرية ثالثة تحمل هذا الاسم (طوخ) بالحوف الغربي تسمى طوخ مزيد، انظر: معجم البلدان ٤٦/٤.

عسامة، أما عسامة فقد حمل إلى العراق فحبس بها زماناً، حتى كانت خلافة [المهدي ١٥٨ ــ ١٦٩هـ] فشفع له أبو عبيد الله الأشعري كاتب المهدي، فأمنه المهدي بشرط أن يصدقه القول في مصير علي بن محمد عبد الله فقال عسامة للمهدي: "مات والله يا أمير المؤمنين في بيتي لا شك فيه"(٢٤٨)، فصدقه المهدي وفرض له مائتين ورده إلى مصر، أما خالد بن سعيد فإنه قد استخفى زمانا طويلا ثم مات زمن المهدي في الإسكندرية بعد سنة ١٦٠هـ/٧٧٨م(٢٤٩).

تمرد قبط سخا(٢٥٠) وعمالها على الوالي يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م

في أثناء ولاية يزيد بن حاتم المهلبي على مصر، خرج عليه قبط سخا فخرج معهم طائفة العمال سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، واتسع نطاق التمرد خارج سخا ليصل إلى الكور المجاورة مثل البشرود وشبرا سنباط والأوسية والبجوم(٢٥١)، فتصدى لهم أمير كورة سخا عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، ولكنه لم يتمكن من صد التمرد، فأخبر الوالي يزيد بن حاتم الذي أمر نصرًا بن حبيب المهلبي(٢٥٢)، بأن يخرج إلى المتمردين ومعه أهل الديوان ووجوه أهل مصر، ولما التقى الفريقان بادر المتمردون جيش نصر بالهجوم حيث كانوا قد بيّتوهم وأحاطوا بهم من كل جانب، ودارت الحرب بين الفريقين، فطُعن قائد نصر بن حبيب وهو محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج بطعنة نافذة حتى سقط، وطعن قائد يزيد بن نصر حبيب المهلبي بطعنتين، في حين قتل أمير سخا عبد الجبار بن عبد الرحمن، ثم ألقى القبط بقائد آخر يدعى توبة الخولاني في النار بعسكرهم، فارتاع جيش يزيد من هول الهزيمة والخسائر وانصرفوا إلى الفسطاط منهزمين(٢٥٣)، ولما علم الخليفة أبو جعفر المنصور بعد ذلك بفداحة الهزيمة التي حلت بجيش واليه على

(٢٤٧) المصدر السابق ـ نفسه.

(٢٤٨) تاريخ ولاة مصر ص ٩٤.

(٢٤٩) المصدر السابق نفسه.

(٢٥٠) سخا: من السخاء والجود، وسخا تعني التربة اللينة، وسخا كورة من كور الغربية بمصر السفلى، فتحت في عهد عمرو بن العاص على مصر سنة ٢٢هـ على يد قائده خارجة من حذافة، وكانت بها دار الإمارة، الأنساب للسمعاني ٣/ ٢٣٤، معجم البلدان ٣/ ١٩٦، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤١.

(٢٥١) البشرود وسنباط والأوسية والبجوم، كور من بطن الريف المصري في الوجه البحري. معجم ما استعجم [illegible]، معجم البلدان ١/ ٢٨١، ٤٢٨.

(٢٥٢) هو نصر بن حبيب بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ابن عم يزيد بن حاتم المهلبي الوالي، كان على شرطته بمصر و فريقية وكان نصر محمود السيرة محببا إلى الناس ذا أدب ومعرفة، [illegible] ٢/ ٣٦٢.

(٢٥٣) تاريخ ولاة مصر ص٩٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٣.

مصر عزل يزيدا بن حاتم عنها في ربيع الآخر سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م، فكانت ولايته عليها سبع سنين وأربعة أشهر(٢٥٤).

تمرد/ دحية بن مصعب الأموي(٢٥٥) في الصعيد على الخليفة المهدي سنة ١٦٧هـ - ٧٨١م

عهد الخليفة المهدي بولاية مصر إلى إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس سنة ١٦٥هـ/٧٨٣م، فخرج عليه في إهناس(٢٥٦) دحية بن مصعب الأموي في جموع من القيسية واليمانية في جيوش من أهل مصر، فعصى وتمرد على إبراهيم ونابذه العداء ثم أعلن عن خلع الخليفة المهدي ودعا المصريين إلى بيعته بالخلافة، فبايعه خلق عظيم، فقطع الطرق وأخاف السبيل، وتغلب على البلاد، وجبى الخراج(٢٥٧). في حين أن إبراهيم بن صالح لم يأبه به، وتراخى عن مواجهته، فساعد تراخيه على انتشار تمرده في كافة كور الصعيد حتى ملكها بأجمعها، ولم علم المهدي سخط على تراخي إبراهيم بن صالح في مواجهة دحية فعزله عزلا قبيحا سنة ١٦٧هـ/٧٨٥م، فعندما خرج إبراهيم بعد عزله من مصر محملا بأمواله متجها إلى العراق، أصدر المهدي أوامر إلى والي مصر الجديد موسى بن مصعب الخثعمي، بأن يرد إبراهيم من الطريق، وأن يستصفي أمواله وأموال عماله على مصر، فاستخرج منهم ثلاثمائة ألف دينار، ولم يبق لإبراهيم عامل بمصر إلا ومثل بين يدي موسى بن مصعب للمحاسبة، ثم أذن المهدي لإبراهيم إبن صالح بالانصراف على بغداد(٢٥٨).

عقد موسى بن مصعب لقائده عبد الرحمن بن موسى اللخمي(٢٥٩) في خمسة آلاف من أهل الديوان، لحرب دحية بن مصعب، وأمره أن ينزل حيث نزل دحية في الجهة

---

(٢٥٤) النجوم الزاهرة ٣/٢.

(٢٥٥) هو دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، الأنساب للسمعاني ٢٣١/١، تاريخ دمشق ١٧٠/٩، معجم البلدان ٢٨٤/١، ٥١٣، النجوم الزاهرة ٤٩/٢.

(٢٥٦) اهناس هي اهناس المدينة من كور البهنسا غربي النيل، يذكر البعض أن المسيح -عليه السلام- ولد فيها، وبها النخلة المذكورة من القرآن {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [سورة مريم: ٢٥] – وهي النخلة التي وضعت تحتها السيدة مريم المسيح عليه السلام، وقد نشأ بها ثم سارت به أمه إلى الشام، وباهناس ثمار وزيتون، وإليها ينسب دحية الأموي بالإهناسي لأنه خرج منها، معجم البلدان ٢٨٤/١.

(٢٥٧) تاريخ اليعقوبي ٤٠٥/٢، الأنساب للسمعاني ٢٣١/١، تاريخ دمشق ١٧٠/٩.

(٢٥٨) تاريخ ولاة مصر ص ١٠١، النجوم الزاهرة ٥٤/٢.

(٢٥٩) هو عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح بن قصير بن قشب بن يثيع اللخمي، كان أبوه موسى بن علي إماما حافظ ثقة وكان نائبا لأبي جعفر المنصور على مصر فكان عادلا حسن السيرة، وكان جده علي بن رباح وكان ممن يروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، مولد العلماء ووفياتهم ٣٨٠/١، الكامل في التاريخ ٢٤٥/٥، سير اعلام النبلاء ٤١١/٧ – ٤١٢، العبر للذهبي ٢٤٢/١، النجوم الزاهرة ١١٤/٢.

الشرقية للنيل، فلما علم به دحية سار إلى الجهة الغربية وملك أكثرها، واستخلف دحية على الجهة الشرقية يوسف بن نصير بن معاوية التجيبي، وأمره بالإغارة على معسكر عبد الرحمن بن موسى، حتى كره عبد الرحمن القتال وطلب الاستعفاء من قيادة الجيش فأعفى ببكار بن عمرو المعافري[٢٦٠]. في هذه الأثناء خرج أهل الحوف وجندها على موسى بن مصعب معلنين عن عصيانهم له ورفضهم لسياسته الظالمة، وعقدت قيس واليمانية حلفًا فيما بينهما تعاهدوا فيه على قتال موسى بن مصعب، وأسفرت هذه المواجهات عن مقتل موسى بن مصعب عندما تخلف عنه الجموع التي كانت تقاتل من حوله وأسلموه إلى عدوه[٢٦١].

استخلف موسى بن مصعب على مصر قبل أن يسلم روحه لله، عسامة بن عمرو المعافري، الذي أمر أخوه بكار بن عمرو أن يتجه إلى قائد دحية على الجهة الشرقية يوسف بن نصر الذي عزم على أن يتجه إلى الفسطاط فخرج إليه بكار ليمنعه فالتقوا في قرية بركوت[٢٦٢] فتحاربوا طوال اليوم كله حتى يئ كلاهما طول النزال، فنادى يوسف إبن نصير بكارًا: "يا بن أم القاسم اخرج إلي، فرد عليه ها أنا ذا يا بن وهبة فقال ـ قد ترى ما الذي قتل بيننا من الناس، أبرز إليَّ وأبرز إليك فأينا قتل صاحبه كان الفتح له"[٢٦٣]. فبرز بكار ليوسف وطعنه بالرمح في خاصرته، فبادره يوسف فوضع رمحه في خاصرة بكار، فقتل كلاهما صاحبه، ورجع الجيشان منهزمين جميعا في ذي الحجة سنة ١٦٨هـ/٧٨٦م[٢٦٤].

وأمام تداعي تمرد دحية بن مصعب وتمرد أهل الحوف معًا، عزل الخليفة المهدي والي مصر عسامة بن عمر والمعافري وعقد للفضل بن صالح بن علي[٢٦٥]، على مصر مكانه في المحرم سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م، فاستعمل الفضل عسامة المعزول على إمرة مصر إلى حين قدومه ثم استعمله على شرطته لما باشر الولاية بنفسه[٢٦٦].

---

(٢٦٠) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢، النجوم الزاهرة ٤٩/٢.

(٢٦١) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢٦٢) بركوت: بفتح الباء وسكون الراء وضم الكاف، قرية من قرى مصر شرق النيل. الانساب للسمعاني ٢٣٧/١، تاريخ دمشق ٣٢/١٨.

(٢٦٣) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢.

(٢٦٤) المصدر السابق نفسه، النجوم الزاهرة ٥٧/٢.

(٢٦٥) هو الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي، ولي امرة دمشق في خلافة المنصور ثم ولي مصر من قبل المهدي في سلخ المحرم سنة ١٦٩هـ ولد سنة ١٢٢هـ وتوفي سنة ١٧٢هـ وهو ابن خمسين سنة، وكان الفضل ميرا شجاعا مقداما فصيحا أديبا صاحب خطب وشعر، ومن شعره:

عاش الهوى واستشهد الصبر — وعشت في الحزن والضر
وسهل التوديع يوم النوى — مكن قد وعزه الهوى

تاريخ دمشق ٤٨/٢١٧-٢١٩، النجوم الزاهرة ٢/٦٠ ـ ٦١.

(٢٦٦) النجوم الزاهرة ٢/٦٠.

ودخل الفضل بن صالح مصر فلم يهيج أحدا من أهل مصر ممن شارك أو باشر قتل موسى بن مصعب عامل المهدي بل سكّن من روعهم وكفّ عن طلبهم بدمه[٢٦٧] ثم أعد العدة للقضاء على تمرد دحية بن مصعب منذ أن جاء وبصحبته جيوش كثيفة من أهل الشام، وكان قد جهزها لحرب دحية، إلا أن الخليفة المهدي مات في نفس الشهر من المحرم سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م، وخلفه ابنه [الخليفة الهادي ١٦٩ – ١٧٠هـ/٧٨٧ – ٧٨٨م] فأقر الهادي الفضل على مصر ليتمكن من القضاء على تمرد دحية الذي أقبل إليه الناس سراعًا يكاتبونه ويطلبون منه أن يقدم من الصعيد ويدخل الفسطاط، ويعلن نفسه خليفة، مما أفزع الفضل بن صالح فسارع إلى مواجهته قبل أن يتم الأمر ويستفحل الخطر ويشتد الكرب، فأرسل الفضل قائدا له يدعى سفيان[٢٦٨]، في جيوش إلى كورة بويط[٢٦٩]، حيث كان دحية يتمركز هناك في جيوشه وعليها قائده فتح إبن الصلت الأزدي[٢٧٠]، صاحب أمر دحية كله، والذي أقبل في جيشه يجول في ساحة المعركة كرًّا وفرًّا لا يعرض له شيء إلا يضعه، حتى تمكن بضعة رجال من جيش الفضل بن صالح[٢٧١]، من فتح بن الصلت فحملوا عليه حملة رجل واحد، فأجهزوا عليه حتى لفظ أنفاسه، وتقهقر أصحاب دحية لمقتله[٢٧٢].

ومضى دحية بعد الهزيمة فيمن تبقى معه من أنصار إلى طريق الواحات[٢٧٣]، وأرسل إلى أهلها من البربر الذين كانوا على مذهب الخوارج الشراة، يدعوهم إلى بيعته ونصرته، فأرسلوا إليه يقولون: "إنا لا نقاتل إلا مع أهل دعوتنا" فأجابهم دحية قائلا: "إنا على مذهبكم" [٢٧٤]، فانضموا إليه وقاتلوا معه جيوش الفضل بن صالح التي أرسلها إلى الواحات لتعقب دحية وفلوله، وكان عليها عبد الله بن علي الحبي المرادي من أهل الفيوم فخرج إليه دحية في أهل الواحات وتقاتلوا بالقرب من دير يقع بها وكانت الهزيمة من نصيب جيش الفضل، وقتل يومئذ عبد العزيز بن مروان إبن

(٢٦٧) تاريخ اليعقوبي ٤٠٥/٢.

(٢٦٨) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢.

(٢٦٩) بويط: كورة من كور الصعيد بالقرب من بوصير، لجأ إليها دحية ودعا إلى نفسه بالخلافة منها، وكانت كور مصر يومئذ ثلاثة وأربعين كورة منها ثلاثة وعشرون بالصعيد والباقي بمصر السفلى، الأنساب للسمعاني ٤١٧/١، وفيات الأعيان ٦٤/٧، معجم البلدان ٥٣/١.

(٢٧٠) هو فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشر الأزدي من بني الحارث بن زهران، كان جده ناشر قد حضر مع عمرو بن العاص في جيشه لفتح مصر سنة ٢١هـ تاريخ الولاة والقضاء ص ١٠٤.

(٢٧١) كان هؤلاء هم: إبراهيم بن الأومر بن علي التجيبي من بني سوم بن عدي بن تجيب، وبحر بن شراحيل التجيبي، وهياج الأنباري، تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥..

(٢٧٢) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢.

(٢٧٣) الواحات، من كور الصعيد مقابل الفيوم تمتد إلى أسوان وهي كورة عامرة ذات نخيل وضياع حسنة وفيها تمر جيد يعدمن أفخر تمور مصر، معجم البلدان ٣٤٢/٥.

(٢٧٤) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥.

الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، إبن عم دحية، وقد أظهرت الخوارج قدرات قتالية في حرب يوم الدير مع دحية بن مصعب[٢٧٥].

اتبع دحية بعدئذ مع الخوارج سياسة تفضيل العرب على الموالي، وتقديمهم أيضا على البربر الذين أووه ونصروه، فاعترضت البربر الخوارج على هذا المسلك الذي يخالف مذهبهم لاسيما في نظرية الخلافة والتي لا يفرقون فيها بين مسلم وآخر على أساس النسب أو اللون أو غيره[٢٧٦]، فاعترضوا على سياسة دحية بن مصعب وقالوا له: "هذا ظلم والإسلام واحد، ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك بالبراءة من عثمان"، فامتنع دحية عن ذلك وقال لهم: "والله ما أرجو الجنة إلا بالرحم بيني وبين عثمان" [٢٧٧]، وأصر على موقفه، فانصرفوا عنه وتركوه دون ناصر أمام عبد الله بن علي الحبي الذي ما إن علم بانفضاض الخوارج من حول دحية حتى انقض عليه، وحاصره بجيوش الشام – التي كانت قد دخلت مصر مع الفضل بن صالح – فالتقوا دحية بصحراء بويط فانهزم دحية وهرب فدخل قرموسًا[٢٧٨]، ليحتمي فيه، فأدركوه وأخذوه أسيرا، وأتوا به على الفضل بن صالح في الفسطاط، فضرب عنقه، وصلب جثته وبعث برأسه إلى الخليفة الهادي في جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م [٢٧٩].

وقد برز دور المرأة في تمرد دحية بن مصعب الأموي من خلال زوجته نُغْمْ[٢٨٠] والتي قاتلت معه قتالا شديدا وشاركته في كافة مراحل تمرده، إلا أنها في موقعة بويط تغافلت في القتال، وأظهرت شجاعات نادرة[٢٨١] حتى قال الشاعر من أصحاب دحية:

وكرى[٢٨٢] بنا طردا على كل سانح[٢٨٣] … إلينا منايا الكافرين يقرب
كيوم لنا لازلت أذكر يومنا … بقأو[٢٨٤] ويوم في بويط عصبصب[٢٨٥]
ويوم بأعلى الدير كانت نحوسه … على فيئة الفضل بن صالح تتعب[٢٨٦]

(٢٧٥) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥.

(٢٧٦) عن معتقدات الخوارج ونظريتهم في الخلافة: انظر الجزاء الخاص بتمردات الخوارج في هذا البحث.

(٢٧٧) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥.

(٢٧٨) القرموس هو الأتون الذي يوضع فيه الطين المخلوط بالرمل على أشكال متعددة ثم يجف فيصبح صلصال فيوضع في هذا التنور ليطبخ بالنار فيصبح فخارا، تاريخ اليعقوبي ٤٠٥/٢، معجم البلدان ٤٢٠/٣، لسان العرب ٣٨٢/١١، مختار الصحاح ١٥٤/١.

(٢٧٩) تاريخ اليعقوبي ٤٠٥/٢، تاريخ الولاة والقضاة ص ١٠٥، النجوم الزاهرة ٦٠/٢.

(٢٨٠) يسميها الكندي (نُغْمْ) بضم النون وسكون العين المهملة والنون، ويسميها ياقوت الحموي (نَعْمْ) بفتح النون وسكون الغين والميم، تاريخ الولاة والقضاة ص ١٠٥، معجم البلدان ٥١٣/١.

(٢٨١) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥، معجم البلدان ٥١٣/١.

(٢٨٢) كرى بنا: عدا عدوا شديدا، لسان العرب ٢٢١/٥.

(٢٨٣) سانح: السانح هو ما أتاك من يمينك من ظبي أو طائر أو ما شابهه ذلك. والسانح عكس البارح الذي يأتيك عن يسارك، ويسمى التيمن سانح، والتشاؤم بارح، لسان العرب ٤٩٠/٢.

(٢٨٤) بقو: القو هو المصنع والشق في الجبل. والقو هو المكان بين الجبلين. والقو بطن من الأرض تحيط به أرض وتكون مستطيلة وغير مستطيلة. معجم ما استعجم ٣١٢/١، لسان العرب ١٤٥/١٥.

قضى الفضل بن صالح العباسي على تمرد دحية بن مصعب الأموي المتمرد على الخلافة العباسية في أوائل سنة خمس وستين ومائة وقد عاث الفساد في البلاد فكانت نهايته هي مقتله في منتصف سنة تسع وسبعين ومائة مما جعل الفضل بن صالح يفتخر بذلك ويقول: "أنا أولى الناس بولاية مصر، لقيامي في أمر دحية وهزيمته وقتله، وقد عجز عنه غيري، وكاد أمره أن يتم لطول مدته، ولاجتماع الناس عليه، لولا قيامي في أمره"(٢٨٧).

لما سيطرت هذه الروح وهذا الشعور على الفضل بن صالح بنشوة النصر والفخر، لم يتذكر فضل الله وتوفيقه له، فشعر الفضل بأن هذا النصر من عند نفسه، وهذا الشعور إن سيطر على إنسان في، يسلب الله منه نتائج هذا التوفيق أو النجاح، كما سلب قارون نعمة المال والجاه لما قال:{قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ}(٢٨٨)، فقدم على الفضل بن صالح بعد شعوره هذا بيسير البريد ومعهم كتّاب بعزله عن إمرة مصر واستبداله بعلي بن سليمان من قبل الخليفة الهادي أواخر سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م(٢٨٩)، فندم الفضل بن صالح على قتله دحية ندما عظيما فلم يفده قتله(٢٩٠)، ما دامت ولايته مرتبطة بالقضاء على دحية وقتله، فأنشد يقول:

عاش الهوى واستشهد الصبر ... وعاث في الحزن والضر
وسهل التوديع يوم النوى ... ما كان قد وعره الهجر(٢٩١)

تمرد أهل الحوف على الوالي موسى بن مصعب(٢٩٢) سنة ١٦٧هـ/٧٨٥م

عقد [الخليفة المهدي ١٥٨ – ١٦٩هـ/٧٧٥ – ٧٨٧م] لموسى بن مصعب الخثعمي بولاية مصر، فدخلها في السابع من ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة، وكانت السياسة التي سار عليها موسى في مصر سببًا في تمرد أهل الحوف عليه وعصيانهم

(٢٨٥) عصبصب: من عصيب ويوم عصبصب أي شديد الحر وليلة عصيب، لسان العرب ٦٠٧/١، مختار الصحاح ١٨٣/١.

(٢٨٦) تنعب: من نعب الغراب إذا صاح ومد عنقه وحرك رأسه أثناء الصياح، لسان العرب ٧٦٤/١، مختار الصحاح ٢٧٨/١، ومن الأبيات انظر: معجم البلدان ٥١٣/١.

(٢٨٧) النجوم الزاهرة ٢/ ٦١.

(٢٨٨) [القصص: ٧٨].

(٢٨٩) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥.

(٢٩٠) النجوم الزاهرة ٦١/٢.

(٢٩١) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٩، النجوم الزاهرة ٦١/٢.

(٢٩٢) هو موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي، مولى خثعم أصله من الموصل، وكان أبوه مصعب بن الربيع من كتاب مروان بن محمد الخليفة. وقد ولي الخليفة المهدي مصر لموسى بن مصعب سنة ١٦٧هـ فكان شر وال تولى مصر فكان ظالما غاشما شرها في جباية المال، قتله المصريون في شوال سنة ثمان وستين ومائة، تاريخ الطبري ٣/ ٥٣٥، ٤/ ٣٥٤، تاريخ دمشق ٢١٠/٥٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٥٤.

له، فما إن تولى مقاليد الإمارة حتى شرع في أن زاد في خراج كل فدان ضعف ما كان عليه من قبل، وتشدد على الناس في استخراج الخراج، حتى أنه فرض خراجا على أهل الأسواق والدواب والماشية[٢٩٣] ولقي الناس منه شدائد عظام، وساءت سيرته، وارتشى في الأحكام[٢٩٤]، فلم يستطع أهل مصر الصبر كثيرًا على تلك المفاسد وهذا التعسف فانقضوا عليه[٢٩٥] وتمردوا على عماله الذين أرسلهم على أهل الحوف فأخرجوهم وردوهم إليه مرة أخرى، وأظهروا لموسى وعماله الكراهية والشنآن ونابذوهم العداء وتحالف المتمردون في مواجهة هذا الظالم الغاشم مع قبائل قيس واليمانية وولوا عليهم معاوية بن مالك الجروي[٢٩٦] وخرج بهم معاوية إلى أهل الفسطاط ليشركوهم في القضية التي تمس أهل مصر كلها، وحدثوهم عن مساوئ الوالي ومفاسده وعواقبها على الجميع، ثم خوفوهم الله من مساوئ السكوت على الفساد، وعواقبه على الكافة، فعاهدهم أهل الفسطاط وجندها على التحالف والتعاون من أجل رفع هذا الفساد، فتعاقدوا على ذلك وعاهدهم أهل الفسطاط أن ينهزموا عن موسى إبن مصعب إذا خرج لقتال أهل الحوف[٢٩٧].

كان موسى بن مصعب قد أعد عدته وجهز جيوشه لمواجهة تمرد أهل الحوف الذين أقبلوا كافة يمنهم وقيسهم واطصفوا في الغريراء[٢٩٨]، استعدادا لقتال إبن مصعب، والذي مضى إليهم في جيوشه وبها بعض وجوه أهل مصر والفسطاط وجندهم، واصطف الفريقان للقتال، ونشبت الحرب وقاتل موسى أهل الحوف قتالا شديدا، وكان صاحب رايته هاشم بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج السكوني، مَن أهل الفسطاط فنكس راية موسى بن مصعب[٢٩٩]، وأوفى أهل الفسطاط وجندها بعهدهم فانهزموا عن جيش موسى وتركوه قائما في طائفة غير كافية معه على رأسها قائده /

(٢٩٣) المعرفة والتاريخ ٣٥،١ تاريخ اليعقوبي ٤٠٠/٢، تاريخ ولاة مصر ص ١٠١، النجوم الزاهرة ٥٤/٣.

(٢٩٤) قال الشاعر المصري ابن داوود في تلك السياسة التي سار عليها موسى بن مصعب:

لو يعلم المهدي ماذا الذي	يفعله موسى وايوب
بأرض مصر حين حلا بها	لم يتهم في النصح يعقوب

تاريخ ولاة مصر ص ١٠١

(٢٩٥) المعرفة والتاريخ ٣٥،١.

(٢٩٦) هو معاوية بن مالك بن ضمضم الجذامي الجروي. تاريخ ولاة مصر ١٠٢.

(٢٩٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٠٢.

(٢٩٨) الغريراء: موضع في حوف مصر، وقعت فيه معركة سميت باسمه بين والي مصر الخثعمي موسى بن مصعب الخثعمي واهل الحوف سنة ١٦٨هـ وقتل فيه لوثي، معجم البلدان ٤: ٢٠٠.

(٢٩٩) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٠٠.

وصاحب أمره والمستولي عليه خالد بن يزيد التجيبي(٣٠٠) الذي كان ضمن الذين ثبتوا معه من أهل مصر، إلا أنهم لم يغنوا عنه شيئا، حيث وقعوا جميعا تحت وطأة سيوف أهل الحوف فقتّلوا تقتيلا، وكان الذي تولى وباشر قتل موسى بن مصعب هو مهدي إبن زياد المهدي(٣٠١)، وقد قتل معه خالد بن يزيد، وعاد أهل مصر إلى ديارهم، ولم يخرج أحد من أهل أو أنصار موسى بن مصعب يطالب بدمه، ولم يتكلم أحد قط من أجله ولو بكلمة واحدة على حد قول الكندي(٣٠٢) ولما بلغ الخليفة المهدي مقتل موسى بن مصعب قال: "نُفيت من العباس لأفعلن بمهدي ولأفعلن بأهل الحوف كذا وكذا" (٣٠٣)، ولأن القدر لم يمهل المهدي حتى ينفذ فيهم وعده فمات قبل أن يبلغ فيهم شيئا سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م، حتى أنه لما جاء الفضل بن صالح بن علي العباس واليا على مصر من قبل المهدي قبل موته، لم يطالب بدم موسى بل سكّن من روع المتمردين وكف عن طلبهم، ليتفرغ للقضاء على تمرد دحية بن مصعب الأموي(٣٠٤). وخلد سعيد بن عفير الشاعر هذه الموقعة يذكر بها أهل الحوف فقال:

ألم ترهم ألوت(٣٠٥) بموسى سيوفهم	وكانــت سـيوف لا تـدين لمتـرف
فمـا برحـت فيـه تعـود وتنتدي(٣٠٦)	إلـى أن تـروى مـن حمـام مـدنف(٣٠٧)

---

(٣٠٠) هو خالد بن يزيد بن إسماعيل التجيبي، كان من أكبر أعوان ومساعدي موسى بن مصعب، وكان متصفا بصفاته كالظلم والغشم والإفساد، قال له يومًا عبد الحميد بن كعب بن علقمة – من ولد كعب بن عدي التنوخي – أتحب ان لك مائة ألف دينار وأنت من أهل النار؟. قال: لا. قال: فأنت من أهل النار وليس لك مائة ألف دينار، تاريخ ولاة مصر ص ١٠٣، معجم الصحابة ٣٨٠/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠١/٥: ٦٠٣.

(٣٠١) النجوم الزاهرة ٥٥/٤.

(٣٠٢) تاريخ ولاة مصر ص١٠٢، النجوم الزاهرة ٥٥/٤.

(٣٠٣) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٢.

(٣٠٤) تاريخ اليعقوبي ٤٠٥/٢.

(٣٠٥) ألوت: بمعنى أخذت فيهم وفعلت واستطاعت، ومنها قول العرب (ألوت العنقاء) أو (ألوت به العقاب) – والعنقاء طائر لم يبق منه عند الناس سوى اسمه، وهي طائر خلقه الله زمن موسى -عليه السلام- لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجهها يشبه وجه إنسان وتكرها مثلها، ويقال إنها من الجوارح وهي دابة وحشية أكبر من السنور وأصغر من الكلب، من فصيلة السباع تصيد كما تصيد الفهود، لسان العرب ٢٧٦/١٠، ١٠٤/١٤، ٢٦٣/١٥، وفيات الأعيان ١٠٢/٣.

(٣٠٦) تنتدي: ندا الشيء أي ابتل. وهنا بمعنى تصيب وتنل من بللاته ونداوته، وفي الحديث الشريف (من لقي الله ولم ينتد من الدم الحرام بشيء دخل الجنة)، لسان العرب ٣١٤/١٥، مختار الصحاح ٢٧٢/١.

(٣٠٧) مدنف: المدنف العليل المريض السقيم المنهك الذي براه المرض حتى أشرف على الموت، الألفاظ المؤتلفة ٢٣٨/١، لسان العرب ١٠٧/٩، مختار الصحاح ٨٩/١.

فأصبح من مصر وما كان قد حوى بمصر من الدنيا سليبا بنفنف[٣٠٨]
ولكن أهل الحوف لله فيهم ذخائر إن لا ينفذ الدهر تعرف[٣٠٩]

خروج الوالي علي بن سليمان العباسي[٣١٠] على الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧١هـ/ ٧٨٩م:

عزل [الخليفة الهادي ١٦٩ – ١٧٠هـ/٧٨٧ – ٧٨٩م] الفضل بن صالح عن مصر، وعهد بها إلى علي بن سليمان العباسي فدخلها في شوال سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م، ثم ما لبث الهادي أن مات بعد قليل، فبويع بالخلافة [هارون الرشيد ١٧٠ – ١٩٣هـ/٧٨٩ – ٨١١م] وأقر علي بن سليمان على ولاية مصر[٣١١].

ابتدأ علي بن سليمان حكمه في مصر برصد مظاهر الفساد وأسباب الظلم والتعسف، وعزم على محاربتها والقضاء عليها، من خلال بعض التدابير التي وضعها وعمل على تطبيقها، فقد أظهر في مصر فترة حكمه العمل بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بمنع إنشاء دور الملاهي، وحارب شرب وتجارة الخمور، وتصدى لرفع المظالم عن الناس حتى انتشر الأمن بين الناس عن قناعة منهم وإيمان من داخلهم، وهذا الأمن لم يتوافر لوالي قبله[٣١٢] – ما عدا فترة ولاية يحيى بن داوود الخرس[٣١٣] من قبل الخليفة المهدي والتي استمرت من سنة ١٦٢ – ١٦٤هـ/٧٨٠ – ٧٨٢م، وقد فرض يحيى الأمن في مصر بقوة سلطانه وسطوة قوانينه فأجبر الناس على التزام الأمن قصرًا عنهم[٣١٤] – ثم أمر علي بن سليمان بهدم كافة الكنائس التي استحدثت

---

(٣٠٨) نفنف: النفنف كل شيء بينه وبين الأرض مهوى، وهو أسناد الجبل التي تطوه فيها وتهبط عنه منه، وهو كل مهوى بين جبلين، معجم البلدان ٢٩٦/٥، لسان العرب ٣٣٨/٩، مختار الصحاح ٢٨٠/١.

(٣٠٩) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٣.

(٣١٠) هو علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي. ابن عم السفاح والمنصور، كان من وجوه بني العباس، قدم مع المهدي إلى دمشق وولي له الجزيرة عدة مرات، وأمره ببناء مدينة الحدث على قلعة الحدث الحصينة بين سميساط ومرعش عند الثغور الجزرية سنة ١٦٨هـ وكان علي بن سليمان مشتهرًا في مصر بكثرة الصدقات لاسيما في جوف الليل، ومع هذا رماه البعض بالقدر عندما استخلص رجلين رميا ظلما بالقدر من أهل مصر – هما عبد الحميد بن كعب بن علقمة التنوخي وهرم بن سليم بن عياض العامري القرشي – وقد مات علي بن سليمان سنة ١٩٢هـ معجم ما استعجم ٤٢٩/١، معجم البلدان ٢٢٧/٢، الوافي بالوفيات ٢١ ١٠.

(٣١١) تاريخ خليفة بن خياط ٢٣٩/١، تاريخ دمشق ٥١٧/٤١.

(٣١٢) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٥ – ١٠٦.

(٣١٣) هو أبو صالح يحيى بن داوود الخرسي – ويقال الجرشي – ويلقب بابن ممدود. كان أبوه داوود تركيا، وامه كانت خالة ملك طبرستان، وكان يحيى وأخواه: سعيد وأبو قدامة عبيدًا لدى زياد بن عبد الرحمن القشيري، كان يحيى من أشد الناس سلطانًا وأعظمهم هيبة وأقدمهم على دم وأنهكهم عقوبة. حتى كان المنصور إذا ذكر عنده يحيى الخرسي قال عنه (هو رجل يخافني ولا يخاف الله)، تاريخ ولاة مصر ص ٩٩.

(٣١٤) يذكر الكندي أن يحيى بن داوود الخرسي عندما تولى مصر ١٦٢هـ منع من تغلق كافة الأبواب ليلا، بل منع اهل الحوانيت من غلق ابوابها ليلا ونهارا، ولما اشتكى أصحابها من عبث الكلاب بها، شدد تغيبهم عنها سمح لهم

في مصر بعد الفتح، وحاول النصارى أن يعرضوا عليه خمسين ألف دينار حتى يتراجع عن قرار فامتنع فهدمت[٣١٥].

كان من نتائج هذه السياسة التي سار عليها علي بن سليمان في ولايته على مصر أن حدَّثه البعض في أنه أحق بالخلافة من هارون الرشيد، وأنه يصلح لها، فطمع علي ابن سليمان في ذلك وحدَّث الناس في خلع الرشيد وأخذ يدبر ويمهد لذلك الأمر ويجتهد فيه، حتى تسرب الخبر سريعا إلى بغداد فسخط عليه هارون الرشيد، وعزم على عزله عنها[٣١٦]، خاصة وأن عليًّا بن سليمان كان قد أغضبه قبل ذلك، وصبر عليه الرشيد، وقد حدث ذلك عندما قدم إلى مصر إدريس بن عبد الله بن حسن العلوي[٣١٧] في ولاية علي إبن سليمان، والذي علم بمكان إدريس العلوي وذهب إليه ولقيه سرًّا، وبدلاً من أن يقبض عليه ويحبسه لتمرده هو وأهل بيته على الخلافة العباسية، وكأحد الخصوم الهاربين من معركة فخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٧م[٣١٨] مع من هرب من العلويين يومها، إلا أن عليا إبن سليمان لم يُقدم على ذلك، بل أن إدريس سأله الله والرحم إلا تستر عليه، ووعده

بوضع شرائح القصب عليها، ثم منع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها، وقال للناس (من ضاع له شيء فعليّ أداؤه)، فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول (يا أبا صالح احفظها)، فكانت الأمور تسير على هذا النحو مدة ولاية يحي بن داوُد الخرس على مصر حتى سنة ١٦٤هـ تاريخ ولاة مصر ص ٩٩.

(٣١٥) من الكنائس التي هدمت حينئذ: كنيسة مريم الملاصقة لأبي شنودة – بفتح الشين وضم النون وسكون الواو – يذكر ياقوت الحموي أن شنودة من كور مصر الجنوبية – وهدمت كنائس محرس قسطنطين – تاريخ ولاة مصر ص ١٠٦، معجم البلدان ٣٦٩/٣.

(٣١٦) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٦.

(٣١٧) هو إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن ريحانة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إبن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – يلقب إدريس الأصغر، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر إبن خالد بن العاص خرج مع الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صاحب معركة فخ فلما قتل الحسين ذهب إدريس إلى مصر، ثم حمله واضح المسكين – مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع إلى آل البيت – على بريد مصر إلى المغرب، ولما علم الهادي بما فعله واضح قتله وصلبه، ونزل إدريس بمدينة وليلة بالمغرب فبايعه سكانها من البربر، وقاد فتوحات هناك وكاد أن يتم أمره كاملا لولا أن عاجله الموت فمات مسمومًا، وقيل أن الهادي والرشيد بعده أرسل إليه طبيبًا من لدنه يسمى الشماخ اليماني مولى المهدي، فوثق به إدريس وبذل له الثقة والأمان فدس إليه الشماخ السم في الطيب وقيل في علاج الأسنان، فمات في ربيع الأخر سنة ١٧٧هـ الطبقات الكبرى – القسم المتمم – ٣٨٢/١، الحلة السيراء ٥٠/١، الوافي بالوفيات ٢٠٧/٨، تاريخ إبن خلدون ٢٧١/٣، التحفة اللطيفة ١٦٥/١، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ١٩٠/١، ٢٠٨، ٢١٥، سمط النجوم العوالي ١٨١/٤.

(٣١٨) فخ: واد في أسفل مكة طريق جدة يسار ذي طوى، كانت فيه موقعة شهيرة بين الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – والذي كان قد خرج في ذي القعدة سنة ١٦٩هـ على بني العباس يدعو إلى نفسه فبايعه جماعة من العلويين بالخلافة في المدينة، ثم خرج إلى مكة فلما كان بوادي فخ لقيته جيوش العباسيين وعليها العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وغيره، فالتقوا يوم التروية سنة ١٦٩هـ فقتل الحسين وحملت رأسه الى الهادي، وقتل معه جماعة من أصحابه وأهل بيته، وكانت فخ ثاني أشد مصائب العلويين بعد كربلاء سنة ٦١هـ الطبقات الكبرى – القسم المتمم – ٣٨٤/١، أخبار مكة للفاكهي ٢٩٨/٢، ٢١٦/٤، المعارف ٣٨١/١، معجم البلدان ٢٣٨/٤، سير اعلام النبلاء ٢٤٨/٧، الوافي بالوفيات ٢٨٢/١٢.

أنه خارج عن مصر إلى المغرب، فستر عليه علي بن سليمان وعفا عنه، مما أغضب هارون الرشيد عليه(٣١٩)، فصبر عليه حتى حين، فلما حدَّث إبن سليمان نفسه بأهليته للخلافة وحدَّثه الناس في ذلك وطمَّعوه فيه، وطار الخبر إلى هارون الرشيد فسخط عليه وعزله عن مصر يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائة(٣٢٠).

تمرد/ الجند القديدية(٣٢١) على الوالي محمد بن زهير الأزدي(٣٢٢) سنة ١٧٣ـ ٧٩١م:

عهد [الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣هـ/٧٨٨ ـ ٨١١م] بولاية مصر إلى محمد بن زهير الأزدي، فدخلها في شعبان سنة ١٧٣هـ/٧٩١م، فجعل على خراج مصر عمر بن غيلان، الذي شدد على الناس عامة وعلى أهل الخراج خاصة، وعمد إلى الانتقاص من عطاءات الجند، فنفرت منه القلوب، وخرجت عليه طوائف الجند القديدية(٣٢٣)، ونابذوه العداء، لتضررهم الخانق من نقص أرزاقهم، فذهبوا إليه في داره وحاصروه وقاتلوه، وتمكنوا من أسره في حوزتهم ثم صلبوه حيا على خشبة ثم دخنوا عليه بالدخان مهددين إياه بحرقه إن لم ينزل عن قراره ويعيد للناس العطاء، ولم يستطع أحد الدفاع عنه أو حمايته حتى الوالي محمد بن زهير نفسه لم يستطع إنقاذه، فلما رأى إبن غيلان ذلك وهو على خشبة الصلب وأنه سيحترق تراجع عن قراره بنقص الأرزاق، وتعهد للقديدية بإعادة ما انتقص منهم في الماضي، ونفذ لهم ما تعهد به(٣٢٤)، ونجح تمرد القديدية في تحقيق أهدافهم. وانحط قدر عمر بن غيلان صاحب الخراج بعد هذه الحادثة وتلاشى أمره مع الجند وغيرهم، وبلغ الرشيد ما حدث لابن غيلان في مصر، فعظم عليه خذلان محمد بن زهير لصاحب الخراج، فغضب عليه وعزله عن مصر بعد خمسة شهور من ولايته(٣٢٥)، وولى مكانه داوود بن يزيد إبن

(٣١٩) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٦.

(٣٢٠) المصدر السابق نفسه.

(٣٢١) القديدية هنا: تصغير القدد وهي الفرق ومفردها قدة وهي الفرقة أو الطريقة من الناس، وهي من قول الله تعالى {وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا} [الجن: ١١]، والقديدية هي الفرق المختلفة الانتماءات والاتجاهات والأهواء، معجم البلدان ٣١٣/٤، لسان العرب ٣٤٤/٣.

(٣٢٢) هو محمد بن زهير الأزدي ـ من أزد شنوءة ـ أمير مصر ولاه الرشيد إمرة مصر في شعبان سنة ١٧٣هـ وجمع له بين الصلاة والخراج معا، بعد عزل مسلمة بن يحيى عنها، فسكن العسكر على عادة أمراء بني العباس، وعزله الرشيد عنها بعد خمسة أشهر في المحرم سنة ١٧٣هـ وذهب إليه ببغداد ثم كان من جملة قواده، الأنساب ٤٦٢/٣، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٤٤/١، النجوم الزاهرة ٧٤/٢، مآثر الإنافة ١٩٨/١

(٣٢٣) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٧.

(٣٢٤) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٧.

(٣٢٥) النجوم الزاهرة ٢/ ٧٤ ـ ٧٥.

حاتم(٣٢٦)، في ذي الحجة سنة ١٧٣هـ/٧٩١م، فقدم مصر في المحرم من العام التالي بصحبة إبراهيم بن صالح بن علي(٣٢٧) وأمره الرشيد بقتال الجند القديدية، بل وإخراجهم من مصر(٣٢٨)، وعمل داؤود على إصلاح أمر مصر واستئصال شأفة هؤلاء المتمردين الذين ثاروا على عمر بن غيلان، فأخرج جماعة منهم إلى المغرب(٣٢٩) وجماعة أخرى إلى المشرق حيث الشام، فظفرت بهم الفرنج فأسرتهم بعد حروب شديدة بين الطرفين، وسكن بعدها أمر مصر واستقرت(٣٣٠).

تمرد المزارعين في الحوف على الوالي إسحاق بن سليمان العباسي(٣٣١) سنة ١٧٧هـ ـ٧٩٥م:

تولى إسحاق بن سليمان العباسي مصر من قبل الخليفة الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣هـ في رجب سنة ١٧٧هـ/٧٩٥م وجعل على خراج مصر معاوية بن صرد البكائي(٣٣٢)، وشرع ابن إسحاق في إصلاح أمر مصر، ووقف على حجم الخراج الذي يُجمع من مصر، فلم يرض بما كان يأخذه قبله الأمراء(٣٣٣)، فأمر صاحب خراجه معاوية بن صرد أن يعيد تقدير الخراج ويزيد فيه على المزارعين، فزاد معاوية زيادة أجحفتهم وأفحشت

---

(٣٢٦) هو داوود ـ داود ـ بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي أمير مصر، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ٧٥/٢ ـ ٧٦.

(٣٢٧) هو إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ولي إمرة دمشق ومصر للمهدي وولي الجزيرة للخليفة الهادي، ثم ولي مصر للرشيد وتزوج من أخته عباسة توفي ببغداد سنة ١٨٠هـ وقيل بمصر وقيل مات ببغداد ودفن بمصر، في حين كان أولاده وقتها يقطنون فلسطين، فأمر الرشيد عبد الله بن صالح بحملهم جميعا إلى حلب وأجرى عليهم الأرزاق، تاريخ دمشق ٤٤٥/٦، تاريخ حلب ٤٥١/١، الوافي بالوفيات ١٧/٦.

(٣٢٨) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٧.

(٣٢٩) ذكر ابن تغري بردي أن داود بن يزيد بن حاتم، جهز هؤلاء وأرسلهم نجدة إلى هشام بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس، لما فرغ من حرب أخويه سليمان وعبد الله وأجلاهما عن الأندلس، النجوم الزاهرة ٧٧/٢.

(٣٣٠) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٧، النجوم الزاهرة ٧٦/٢.

(٣٣١) هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدا لمطلب الهاشمي، كان من أولى الأقدار العالية، وكان عفيفا روى عن أبيه وعن جده، ولي للرشيد المدينة المنورة والبصرة ومصر والسند، ولى للأمين حمص وأرمينية، وقد ذكر الطبري أن أباه سليمان زوجه امرأة من سلالة خلفاء بني أمية تسمى العالية وقال له (زوجتك يا بني أشرف الناس العالية بنت أمير المؤمنين، فقال له إسحاق: يا أباه من أكفائنا؟ قال: من أعداؤنا من بني أمية)، تاريخ الطبري ٥٤٠/٤، تاريخ بغداد ٣٢٩/٦، الأنساب للسمعاني ٤٠٩/٢، البداية والنهاية ١٠/ ١٧١، النجوم الزاهرة ٨٧/٢، التحفة اللطيفة ١٧٠/١.

(٣٣٢) هو معاوية بن صرد البكائي ـ من بني البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن البكاء ـ كان من عمال بني العباس في مصر، فكان على خراج والي مصر إسحاق بن سليمان سنة ١٧٧هـ وكان على شرطة والي مصر عبد الله بن المهدي أخو الرشيد سنة ١٧٩هـ وعلى شرطة أحمد بن إسماعيل بن علي العباس والي الرشيد على مصر سنة ١٨٧، وعلى شرطة الحسين بن جميل مولى المنصور والي مصر من قبل الرشيد سنة ١٩٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٤/١، معجم البلدان ٤١٩/٢، النجوم الزاهرة ٩٣/٢، ١٢٤، ١٣٥.

(٣٣٣) النجوم الزاهرة ٨٧/٢.

لهم[٣٣٤]، فخرج عليه المزارعون من أهل الحوف من قيس وقضاعة، وعسكروا بالحوف وقطعوا الخراج عنه وقاتلوه قتالا شديدا، قتل فيه من جيش إسحاق بن سليمان وأصحابه جماعة كبيرة[٣٣٥]، كان على رأسهم كرمين بن يحيى قائد جيش اسحاق، وكان من كبار أصحاب إسحاق[٣٣٦].

استنجد إسحاق بن سليمان بالرشيد فكتب إليه مستمدًا إياه بالمدد والعون على المتمردين بمصر، ولما علم الرشيد بذلك عظم عليه ما نال واليه بمصر، فعقد من فوره الرشيد لهرثمة بن أعين[٣٣٧] وكان بفلسطين، فسار إلى مصر في جيش كبير بصحبة عددٍ من القادة[٣٣٨]، وحرضه الرشيد على قتال المتمردين المصريين، فدخل هرثمة مصر في شعبان سنة ١٧٨هـ/٧٩٦م، فنزل الحوف حيث يوجد المتمردون من المزارعين من قيس وقضاعة فقاتلهم حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة، وأدوا ما عليهم من الخراج الذي كانوا قد منعوه، فقبل منهم هرثمة ذلك وأمنهم، فأقر كل واحد منهم على حاله، وأرسل إلى الرشيد ببغداد ويعلمه استقرار أهل مصر، وعودة كافة المتمردين إلى السمع والطاعة، وأدوا ما عليهم للسلطان[٣٣٩].

تمرد أهل الحوف على الوالي الليث بن الفضل(٣٤٠) سنة ١٨٦هـ/٨٠٤م:

ولي الليث بن الفضل الأبيوردي[٣٤١] إمرة مصر من قبل الخليفة الرشيد أوائل سنة ١٨٣هـ/٨٠١م، وقدمها في شوال من نفس السنة، ومهد أمور مصر واستوفى

---

(٣٣٤) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٩.

(٣٣٥) المنتظم ٣٥/٩، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٥، النجوم الزاهرة ٩٢/٢.

(٣٣٦) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٩.

(٣٣٧) هو هرثمة بن أعين الهاشمي – على حد قول إبن خلكان – يكنى أبا حاتم، ويلقب بالمشؤوم – كما يذكر إبن القاسم بن خليفة السعدي – كان من القادة الشجعان، ولاه الرشيد إفريقية سنة ١٧٨هـ ثم عينه الرشيد على حرسه، ثم عينه على خراسان سنة ١٩٦هـ وقد انحاز إلى المأمون في صراعه مع الأمين، وحاصر هرثمة الأمين بغدادًا بجيوشه حتى استسلم له الأمين، وتولى خراسان سنة ١٩٨هـ وقد اتهمه الفضل بن سهل بممالأة الطالبيين وبالتراخي في قتالهم، فأوغر صدر المأمون عليه، ولم يسمع دفوعه وأمر بضربه وسجنه، ثم دس إليه الفضل من سمه فقتله على حد قول كثير من المؤرخين سنة ٢٠١هـ المعارف ٣٨٩/١، عيون الإنباء في طبقات الأطباء لابن القاسم ٢٢١/١، وفيات الأعيان ٦٨/٦، النجوم الزاهرة ٨٨.

(٣٣٨) تاريخ إبن خلدون ٧٧/٣، النجوم الزاهرة ٨٧/٢.

(٣٣٩) تاريخ ولاة مصر ص ١٠٩، المنتظم ٣٥/٩، سير أعلام النبلاء ٢٩١/٩، النجوم الزاهرة ٢ ,٨٧ – ٨٨.

(٣٤٠) الليث بن الفضل الأبيوردي، كان مولى لبني العباس، أصله من أبيورد وبخراسان، ولي مصر من قبل الرشيد سنة ١٨٣هـ ثم عزل عنها سنة ١٨٧هـ بعد ولاية استمرت أربع سنوات وسبعة أشهر، ثم توجه بعدها إلى الرشيد ببغداد فكان معه، وكان من جملة من حضر مع الرشيد مجلسه الذي قرر فيه الإيقاع بالبرامكة، تاريخ خليفة ١ ٤٦٤، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ٢ ,١١٣ – ١١٤.

(٣٤١) ابيورد بليدة من بلاد خراسان بين سرخس ونسا، وهي بليدة وبئة رديئة الماء، وقد خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم، وتسمى أيضا اباورد وبآورد، الانساب للسمعاني ١ ٢٧٤، ٣٧، معجم البلدان ١ ٨٦، وفيات الأعيان ٤ ٤٩، شذرات الذهب ٤ ١٨.

الخراج، وكان الليث كلما أغلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال والحساب إلى الخليفة الرشيد، وكان هذا رأيه كلما غلق خراج سنة وأنجز حسابها وفرق أرزاق الجند، أخذ ما بقي وتوجه به إلى الرشيد ومعه حساب السنة ودام على ذلك سنوات[٣٤٢].

ومن شدة حرص الليث على الاستزادة من جمع الخراج، أمر المسَّاحين لديه بالذهاب إلى أهل الحوف لإعادة مسح أرضهم، وعمد المسَّاحون إلى الانتقاص من كل قصبة[٣٤٣] عدة أصابع، فزادت مساحات أراضي الأهالي، وزاد خراجها المربوط عليها[٣٤٤]، فهرع الأهالي إلى الليث بن الفضل متظلمين من ظلم المسَّاحين، فلم يسمع منهم ولم يأبه لشكواهم، فعزموا على الخروج عليه، وخرج إليهم الليث في أربعة آلاف من جند مصر، ليفرق جمعهم وليقذف في قلوبهم هيبة السلطات حتى يثوبوا إلى رشدهم ويؤدوا خراجهم، والتقى الفريقان ودارت بينهم الحرب، فانسلخ جند مصر عن جيش الليث بن الفضل متظاهرين بالهزيمة، فانكشف الليث ولم يثبت معه سوى مائتين من جنده[٣٤٥]، فاستجمع بهم الليث العزيمة على مقاومة أهل الحوف، فحمل عليهم بالمائتين الذين معه، حملة صادقة في أرض جب عميرة[٣٤٦] فهزم أهل الحوف وهربوا منه فتتبعهم حتى بلغ بهم منطقة غيفة[٣٤٧]، وتتبع الليث أقفيتهم فقتل منهم خلقا كثيرا[٣٤٨]، وبعث إلى الفسطاط ثمانين رأسًا بن العبسية، ورجع إلى الفسطاط، ورجع أهل الحوف منهزمين إلى منازلهم وهم على نفس الروح التي خرجوا بها سابقا عازمين على استمرار ضرورة استمرار التمرد ومواصلة قطع الخراج[٣٤٩]، وأمام عزم أهل الحوف وإصرارهم – رغم هزيمتهم – على التمرد والعصيان، خرج الليث بن الفضل إلى بغداد يستنجد بالخليفة الرشيد سنة ١٨٧هـ/٨٠٥م، فسأله أن يرسل معه جيوشا إلى مصر حتى يستطيع أن يعيد أهلها إلى الطاعة وأداء الخراج، وكان بباب الرشيد رجل يقال له محفوظ إبن سليمان من أعوان الرشيد، وقد سمع قول الليث إلى الرشيد، فعرض محفوظ على

(٣٤٢) خرج الليث إلى الرشيد بالخراج مرتان – حسب ما ذكره الكندي – مرة سنة ١٨٣ وأخرى سنة ١٨٥هـ، وذكر إبن تغري بردي أنه ذهب مرة سنة ١٨٤، ومرة سنة ١٨٥هـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٢، النجوم الزاهرة ١١٤/٢.

(٣٤٣) القصبة: في اللغة من القصب وهو كل نبات ساقة أنابيب فهو قصب ومفردها قصبة – وهي وحدة قياس طولها ٣٥٥سم، والقيراط يتكون من ثلاثة عشر قصبة وقرابة ثلاثة أرباع القصبة – لسان العرب ٦٧٤/١.

(٣٤٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٢.

(٣٤٥) تاريخ ولاة مصر – نفسه، النجوم الزاهرة ١١٤/٢.

(٣٤٦) جب عميرة، موضع بالقرب من الفسطاط بينهما ستة أميال، واشتهر فيما بعد بأنه كان موضعًا للنزهة. معجم البلدان ٢٩٢/١، النجوم الزاهرة ٥ ١٨٥.

(٣٤٧) غيفة: بليدة في مصر تقع بالقرب من بلبيس، كان ينزل فيها الحجاج إذا خرجوا من مصر، الأنساب للسمعاني ٣٢٦/٤.

(٣٤٨) النجوم الزاهرة ١١٤/٢.

(٣٤٩) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٢.

الخليفة أن يوليه خراج مصر وعليه يضمن له أن يجبي خراجها بلا سوط ولا عصا، فولاه الرشيد وعزل الليث من الفضل سنة ١٨٧هـ/٨٠٥م[٣٥٠].

ولى الرشيد على مصر الحسين بن جميل[٣٥١]، فقدمها في رمضان سنة ١٩٠هـ/٨٠٨م[٣٥٢]، وتشدد الحسين في أخذ الخراج من أهل الحوف، فامتنعوا عن أدائه وعزموا على التمرد والعصيان، في ذات الوقت خرج بأيلة[٣٥٣] رجل يقال له أبو النداء البلوي[٣٥٤] في ألف رجل فعاث الفساد هنالك ثم وسع دائرة تمرده عندما أغار على بعض قرى الشام، خاصة بعد أن استطاع أن يكتسب أنصارا له من جذام، فأخافوا السبيل[٣٥٥] وبلغوا مبلغا عظيما من النهب والقتل، وشجع ذلك أهل الحوف على مواصلة تمردهم، وأصبح إبن جميل بن شقي رحى تمرد أهل الحوف وأبي النداء، فاستغاث بأمير المؤمنين هارون الرشيد الذي أسرع بإرسال قائده يحيى بن معاذ[٣٥٦] في جيش كبير وصل به إلى فلسطين ثم أرسل يحيى قائدا من قادته يطلب أبي النداء ورفاقه، في ذات الوقت أرسل الحسين بن جميل جيشا من قبله بقيادة عبد العزيز الجروي[٣٥٧] إلى أبا النداء وصحبه في أيلة ودارت الحرب بين المعسكرين، وأبو النداء ينادى جيش إبن الجروي ويناشد أصحابه قائلا:

---

(٣٥٠) الولاة والقضاة – نفسه، النجوم الزاهرة ١١٤/٢.

(٣٥١) كان الحسين بن جميل من موالي أبي جعفر المنصور، تولي مصر من قبل الرشيد سنة ١٩٠هـ، ثم عزل عنها سنة ١٩٢هـ بعد سنة وسبعة أشهر من ولايته عليها، تاريخ خليفة ٤٦٢/١، النجوم الزاهرة ١٣٤/٢ - ١٣٥.

(٣٥٢) ولي مصر في الفترة من ١٨٧هـ حتى سنة ١٩٠هـ - أي بين عزل الليث بن الفضل وتوليه الحسين بن جميل – اثنان من الولاة أولهما أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس من ١٨٧ – ١٨٩هـ والأخر عبد الله إبن محمد بن إبراهيم الملقب بابن زينب من ١٨٩ – ١٩٠هـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٣.

(٣٥٣) أيلة: مدينة على شاطئ بحر القلزم مما يلي الشام، كان يسكنها اليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فلما خالفوا وتحايلوا على أمر الله مسخهم قردة وخنازير وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أرسل لأهلها بردة له أمانا منه لهم، معجم ما استعجم ٢١٦/١، معجم البلدان ٢٩٢/١، مآثر الإنافة ٢٣٤/٢.

(٣٥٤) هو أبو النداء أو الندا – البلوي، نسبة إلى قبيلة بلي بطن من بطون قضاعة وهي حي من أحياء اليمن والنسبة إليها بلوي، وبلي هو بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وقد جاءت بلي إلى مصر مع الفتح الإسلامي وسكنت مرج بني هميم بصعيد مصر شرقي النيل، ومنها خرج أبو الندا سنة ١٩١هـ - ويذكر إبن منظور أن بلي هي تصغير بلو وهو البعير الذي بلاه السفر، معجم الصحابة ١٦٩/٣، الأنساب للسمعاني ٣٩٥/١، معجم البلدان ٢٤٥/٤، ١٠١/٥، لسان العرب ٥٣٠/١٣، ٨٨/١٤.

(٣٥٥) تاريخ الطبري ٣/٥، ١٢، المنتظم ١٩٣/٩، ١٩٨، الكامل في التاريخ ٣٤٨/٥، البداية والنهاية ٢٠٦/١٠.

(٣٥٦) كان يحيى بن معاذ من قادة الدولة العباسية، فكان أميرًا للجيش الذي أرسله الرشيد بجدة إلى والي مصر الحسين بن جميل سنة ١٩٠هـ، ثم ولي الجزيرة سنة ٢٠٤ للمأمون وحارب بابك الخرمي، ومات سنة ٢٠٦هـ المعارف ٣٩٠/١، تاريخ الطبري ١٥٣/٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٠.

(٣٥٧) هو عبد العزيز بن الوزير بن ضابي بن مالك بن عامر بن عدي – ولعدي هذا صحبة وهو ابن حمرس ابن زفر بن نصر بن عدي ينتهي نسبه إلى اسود بن حشم بن جذام. ويلقب بالجروي، نسبة الى جري إبن عوف وهي بطن من جذام، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٤ – ١١٥، تاريخ بغداد ٣٣٧/٧ - ٣٣٨، الأنساب للسمعاني ٥٠/٢.

أقول إذا الرفاق بدت لوجهي — ألا خلوا رحالكم وطيروا
وإن لم تتركوها فاستعدوا — لحرب مثل حاصبة تغور
أقول لصحبتي كروا عليهم — فليس يهرهم إلا الكرور[٣٥٨]

وأسفرت الحرب في نهايتها عن هزيمة أبي النداء والظفر به وأسره مع أبرز قادته ورجع بهم عبد العزيز الجروي إلى الحسين بن جميل، في حين وصل جيش الخليفة بزعامة يحيى بن معاذ إلى بلبيس في شوال سنة ١٩١هـ/٨٠٩م لسحق تمرد أهل الحوف وإجبارهم على أداء الخراج، فلما رأى أهل الحوف هزيمة أبي النداء وأسره، وضخامة جيش يحيى ابن معاذ أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج، حتى إنهم أخرجوا ما كان قد انكسر عليهم من الخراج بتمامه وكماله[٣٥٩]، فلما رأى ابن معاذ عودة أهل الحوف إلى الجماعة ولزوم الطاعة رضي منهم ذلك ورجع عنهم وعاد إلى الفسطاط، وأخذ الحسين بن جميل في إصلاح أمور مصر، وشغله هم الإصلاح واستحوذ على كل اهتمامه[٣٦٠]، وبينما هو منهمك في إصلاح الفساد بمصر، إذ بكتاب من الرشيد يأتيه بخبر عزله عن مصر بمالك بن دلهم[٣٦١]، ويأمر فيه يحيى بن معاذ بالقدوم إلى بغداد، فكتب يحيى إلى أهل الأحواف يقول: "أقدموا عندي حتى أوصيكم بمالك بن دلهم وأدخل فيما بينكم وبينه في أمر خراجكم" [٣٦٢]. فدخل عليه رؤساء اليمنية والقيسية من أهل الحوف، وكان حاتم قد أعد خطة محكمة للإيقاع بهم، فلما دخلوا عليه أمر بالأبواب فأغلقت وبالقيود فأحضرت، ثم أمر بالقيود الحديدية فوثقوا[٣٦٣]، ثم حملهم وخرج بهم من مصر في منتصف رجب سنة ١٩٢هـ/٨١٠م ومعهم أبو النداء البلوي وقدم إلى الرشيد بالرقة فأمر بقتل أبي النداء فقتل[٣٦٤].

استمر مالك بن دلهم على ولاية مصر ثم عزل عنها بالحسن بن التختاخ سنة ١٩٣هـ/٨١١م ثم عزل ابن التختا

خ بحاتم بن هرثمة[٣٦٥] الذي عقد له [الخليفة الأمين ١٩٣ – ١٩٨هـ/٨١١ – ٨١٦م] بولاية مصر فقدمها حاتم في ألف من الأبناء[٣٦٦]، فسار بهم إلى بلبيس، وهناك

---

(٣٥٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٥.

(٣٥٩) تاريخ ولاة مصر – نفسه، النجوم الزاهرة ١٣٥/٢.

(٣٦٠) النجوم الزاهرة ١٣٥/٢.

(٣٦١) هو مالك بن دلهم بن عيسى بن عمير بن مالك الكلبي، قدم مصر في ربيع الأول سنة ١٩٢هـ واستمر عليها حتى سنة ١٩٣هـ تاريخ ولاة مصر ص ١١٥، النجوم الزاهرة ١٣٧/٢، مآثر الإنافة ١٩٩/١.

(٣٦٢) تاريخ ولاة مصر ص ١١٦.

(٣٦٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٦، النجوم الزاهرة ١٣٧/٢.

(٣٦٤) تاريخ الطبري ١٢/٥، المنتظم ١٩٨/٩، الكامل في التاريخ ٣٥١/٥.

(٣٦٥) هو حاتم بن هرثمة بن أعين الهاشمي، أمير من القادة الشجعان وهو ابن هرثمة بن أعين من قادة العباسين الشجعان – شغل عدة وظائف في خدمة الخلفاء العباسيين، ولاه الأمين على مصر سنة ١٩٢هـ ولما بدأ الصراع بين الأمين والمأمون، انحاز حاتم مع أبيه الى المأمون، فعزله الأمين سنة ١٩٥هـ ولما تولى المأمون الخلافة عينه واليا على أذربيجان وارمينية سنة ٢٠٠هـ ولما بلغه مقتل أبيه هرثمة سنة ٢٠١هـ بأمر المأمون، أعد حاتم

أمر حاتم باستقدام زعماء أهل الحوف للتفاوض معهم، ثم عقد معهم صلحًا بمقتضاه يعفو عنهم مقابل أن يؤدوا خراجهم(٣٦٧). ولكن سرعان ما نقضه أهل الحوف صلحهم مع حاتم فقد ثار عليه – خاصة أهل تنو وتمى – في رمضان سنة ١٩٤هـ/٨١٢م، وعسكروا وعقدوا عليهم لعثمان بن مستنير الجذامي، فعقد حاتم بن هرثمة لكل من السري بن الحكم(٣٦٨) وعبد العزيز الجروي وعبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي على رأس جيش كبير، توجه إلى أهل تنو وتمي المتمردين فالتقوا في منتصف رمضان سنة ١٩٤هـ/٨١٢م، فانهزم إبن مستنير وقتل أخوه، ودخل حاتم الفسطاط ومعه مائة من وجوه اليمانية من أهل الحوف كرهائن ضمانًا لطاعتهم، وذلك في شوال سنة ١٩٤هـ/٨١٢م(٣٦٩).

تمرد السري بن الحكم(٣٧٠) على الخليفة الأمين بمصر سنة ١٩٦هـ/٨١٤م:

عقد [الخليفة الأمين ١٩٣ – ١٩٨هـ] لجابر بن الأشعث الطائي(٣٧١) على مصر في جمادى الأخرة سنة ١٩٥هـ/٨١٣م، واستمر الأمر على هذه الحال حتى دبت الفتنة بين الخليفة الأمين وولي عهده أخيه المأمون، لما خلع الأمين أخاه وعهد بولاية عهده إلى

العدة للتمرد على المأمون وكاتب بابك الخرمي، والذي شجعه بذلك على التمرد هو الآخر، ولكن سرعان ما باغتت المنية حاتم فمات فجأة سنة ٢٠٣هـ المعارف ٣٨٩/١، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٧، تاريخ إبن خلدون ٢٧٧/٣، النجوم الزاهرة ٢٧٤/٢.

(٣٦٦) عندما استولت الأحباش على اليمن قبيل الإسلام، توجه سيف بن ذي يزن الحميري صاحب اليمن إلى ملك الفرس كسرى أنوشروان يستنجده، فأمده بسبعة آلاف ونصف من جنودالفرس، فهزموا الأحباش واستخدموهم، واستوطنوا اليمن وتأهلوا ورزقوا الأولاد فصار لأولادهم وأولاد أولادهم يسمون بالأبناء، فكان كل من ولد باليمن من الفرس يسموا بالأبناء، ويضيف ياقوت الحموي، أن قوما من العجم قد خرجوا في أول الإسلام وانساحوا في بلاد العرب، فمن أقام منهم باليمن سُموا بالأبناء، ومن أقام منهم بالبصرة سُموا الأساورة، وبالكوفة سُموا الأحامرة، وبالشام الخضارمة وبالجزيرة الجراجمة وبالموصل الجرامقة، الأنساب للسمعاني ٧٦/١، معجم البلدان ١٨٩/١٢، وفيات الأعيان ٣٦/٦.

(٣٦٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٧، النجوم الزاهرة ١٤٤/٣.

(٣٦٨) كان أول دخول السري بن الحكم مصر في جيش الليث بن الفضل عندما ولي مصر من قبل الرشيد سنة ١٨٢هـ، وظل السري مغمورا قليل الذكر حتى كانت الفتنة بين الأمين والمأمون فارتفع ذكره، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٨.

(٣٦٩) تاريخ ولاة مصر ص ١١٨، النجوم الزاهرة ١٤٤/٣ – ١٤٥.

(٣٧٠) هو السري بن الحكم بن يوسف بن المقوم مولى بن ضبة، أصله من بلخ من قوم يقال لهم الزط كان أحد قادة مصر وولاتها كان أعرج فلقب بالأعرج وكان أمير جليلا ومعظمًا في الدول ولي الأعمال وتنقل في البلاد، مات في جمادى الأولى سنة ٢٠٥هـ تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢، تاريخ ولاة مصر ص ١٤٣، مولد العلماء ووفياتهم ٤٥٧/٢، المنتظم ١٤٣/١٠، معجم الأدباء ٢١٥/٥، مآثر الإنافة ٢١٤/١، تاريخ إبن خلدن ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٦٥/٢، ١٧٨.

(٣٧١) هو جابر بن الأشعث بن يحيى بن النعمان الطائي، كان رجلا سمحا لينا محببا على الناس، ولي مصر بعد عزل حاتم بن هرثمة بن ابيه عنها، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٨، تاريخ ابن خلدون ٤ ٣٨٣، النجوم الزاهرة ٣ ١٤٩.

ابنه موسى الذي لقبه بالناطق بالحق(٣٧٢)، - ويذكر الكندي أنه كان يقال له الشديد(٣٧٣) – وأمر بالدعاء له على المنابر، وترك الدعاء لأخيه المأمون بعد الأمين مباشرة(٣٧٤)، ولم تكن مصر قط – رغم بعد المسافة بينها وبين العراق – ببعيدة عن أحداث بغداد، فقد تكلم أهل مصر بها عن رأيهم فيها، بل واتخذوا مواقف عملية تجاهها، حيث تعاطف الجند مع المأمون وغضبوا لخلعه من ولاية العهد سنة ١٩٤هـ/٨١٢م، وكان أول من تكلم بين الناس في ذلك السري بن الحكم ومحمد بن صعير(٣٧٥)، اللذين توجها إلى نفر من الخراسانيين بمصر وكلموهم في ضرورة خلع الأمين، وعقد البيعة للمأمون فوافق الخراسانيون وبايعوهما على هذا الأمر، وسرعان ما انتشر الخبر بخلع الأمين والبيعة للمأمون بين أعيان أهل مصر(٣٧٦).

علم جابر بن الأشعث بتحركات السري مع بعض المصريين لخلع الأمين والبيعة للمأمون، فأرسل إليهم ينهاهم عن ذلك، ويخوفهم من عواقب الأمر، فلم يزد هذا السري إلا الجهر بخلع الأمين وبيعة المأمون(٣٧٧)، خاصة وأن المأمون كتب إلى أشراف مصر يدعوهم إلى القيام بأمر بيعته في مصر(٣٧٨)، فأجابه من كتب إليه سرا، في الوقت الذي كتب فيه هرثمة بن أعين إلى وكيله على ضياعه بمصر عباد بن محمد بن حيان(٣٧٩)، يدعوه إلى حث المصريين وتحريضهم على خلع الأمين والبيعة للمأمون، فأحضر عباد وجوه الناس بمصر والجند بالمسجد الجامع وقرأ عليهم كتاب هرثمة، فأجابه منهم خلق غير يسير، فكافأهم بعطاء يسير من ضياع هرثمة بمصر، فشجعهم ذلك على خلع الأمين والدعوة للمأمون في جمادى الآخرة سنة ١٩٦هـ/٨١٤م(٣٨٠). لما أتى كتاب المأمون إلى مصر يدعو أهلها لبيعته، امتنع عن ذلك جابر بن الأشعث والي الأمين من البيعة للمأمون – يذكر اليعقوبي أن جابراً بن الأشعث لما قدم مصر واليا عليها من قبل الأمين سنة ١٩٥هـ/٨١٣م لم يدع للمأمون على المنابر بعد الأمين كما كان متبعا، مما أسخط الجند

(٣٧٢) المعارف ٣٨٤/١، المنتظم ٤/١٠، الكامل في التاريخ ١/٥، ٣٦٨، فوات الوفيات ٥٣٦/٢، تاريخ ابن خلدون ٣٩١/٣، النجوم الزاهرة ١٤٥/٢. شذرات الذهب ٣٥١/١.

(٣٧٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٨.

(٣٧٤) تاريخ الطبري ٤١/٥ – ٥٠، البدء والتاريخ ١٠٧/٦، سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٩، البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، مآثر الإنافة ٢٠٦/١، تاريخ الخلفاء ٢٩٨/١، سمط النجوم العوالي ٤٢٨/٣.

(٣٧٥) تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢.

(٣٧٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٨.

(٣٧٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٨.

(٣٧٨) ارسل المأمون كتابه إلى أهل مصر مع رهط من الرسل عليهم يحي بن محمد المديني، تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢.

(٣٧٩) هو عباد بن محمد بن حيان البلخي مولى كندة يكنى ابو نصر، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٥٠/٢.

(٣٨٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٩.

عليه وقالوا: لا طاعة لك علينا، فأعطاهم عطاءين [٣٨١] – وأقام على طاعة الأمين. فلما بلغ المصريين هزيمة جيوش الأمين أمام جيوش المأمون واستفحال أمره، وثب الناس والجند وعلى رأسهم السري بن الحكم الذي وعدهم رزق سنتين، مما أعانهم على النهوض معه، فوثبوا بجابر بن الأشعث وأخرجوه من دار الإمارة بعد ولاية استمرت سنة، وصيروا مكانه عباداً بن محمد بن حيان، فدعا للمأمون بالخلافة في رجب سنة ١٩٦هـ/٨١٤م، فوجه إليه إبن الأشعث جماعة من الجند عليهم محمد بن صعير فكانت بينهم وقعات ثم سلّموا وبايعوا[٣٨٢]. بلغ الأمين خبر خلع المصريين له وإخراج عامله إبن الأشعث من مصر، فكتب إلى سيد قيس بالحوف ربيعة بن قيس الحرشي[٣٨٣]، بولايته على مصر بدلا من جابر بن الأشعث، ثم كتب إلى زعماء أهل الحوف وأشرافهم[٣٨٤]، يأمرهم بمساعدة ربيعة بن قيس في عمله، وأن يستنهضوا عزائم الحوفيين وهممهم يمنيهم وقيسهم معه لإظهار بيعة الأمين وخلع المأمون، فأجابه أهل الحوف إلى طلبه، وساروا جميعا إلى الفسطاط لحرب والي المأمون عباد بن محمد إبن حيان، وولوا عليهم يزيد بن الخطاب الكلبي[٣٨٥].

لما علم عباد بن محمد بقدوم أنصار الأمين من أهل الحوف خندق على نفسه بالفسطاط ثم استنفر أهلها للدفاع عنها، ثم عقد لإبراهيم بن حوي بن معاذ العذري على نبا[٣٨٦] وسنهور[٣٨٧] وسندفا[٣٨٨]، ثم أمره بالتجهز والاستعداد لقتال المتمردين من أهل الحوف بزعامة إبن الخطاب الكلبي الذي كان له أموالا في سندفا فخشي عليها، فسار إلى إبراهيم بن حوي، فالتقوا بدمرو فقتل إبراهيم بن حوي في حين سار والي الأمين ربيعة بن قيس ومعه أهل الحوف إلى الفسطاط فنزل على خندق عباد بن محمد والي المأمون في ربيع الآخر سنة ١٩٧هـ/٨١٥م، فتناوشوا شيئا من القتال سقط فيه بعض القتلى ثم انصرفوا على إثرها[٣٨٩]. ثم أقبل عثمان بن بلادة العبسي من قبل ربيعة بن قيس في جمادى الأولى سنة ١٩٧هـ/٨١٥م إلى خندق الفسطاط ونشب القتال بين الفريقين انهزم

(٣٨١) تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢.

(٣٨٢) تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٩، تاريخ إبن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٥٠/٢: ١٥٣.

(٣٨٣) هو ربيعة بن قيس بن البرن الحرشي زعيم قيس بحوف مصر والمتولي ولايتها من قبل الأمين في صراعه مع أخيه المأمون، تاريخ اليعقوبي ٤٣٩/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٩، النجوم الزاهرة ١٥٤/٢.

(٣٨٤) من هؤلاء على سبيل المثال: عبد الصمد بن مسلم بن عمارة الحرشي، ويزيد بن الخطاب الكلبي وعثمان بن مستنير الجذامي وغيرهم. تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٩.

(٣٨٥) تاريخ اليعقوبي ٢ ٤٣٩، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٩، النجوم الزاهرة ١٥٤/٢.

(٣٨٦) نبا: مدينة من كورة السمنودية بينها وبين سمنود ميلان، فتحها عمير بن وهب. معجم البلدان ٤٩٥/١ - ٥١٠.

(٣٨٧) سنهور: قرية بالحوف قرب الإسكندرية، تقع بينها وبين دمياط. معجم البلدان ٣ ٢٦٩.

(٣٨٨) سندفا: هي الجانب الآخر من المحلة، والجانب الأول هي المحلة نفسها. معجم البلدان ٣ ٢٨٦.

(٣٨٩) تاريخ اليعقوبي ٢ ٤٣٩، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٠، النجوم الزاهرة ٢ ١٥٣.

على إثرد إبن بلادة وفر هاربا ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى إلى الفسطاط لحرب عباد في شوال من نفس العام، فاقتتلوا أياما على الخندق، فانهزم أهل الحوف وفروا إلى ديارهم(٣٩٠).

رأى إبن حيان أن يهاجم المتمردين عليه من أهل الحوف من أنصار الأمين حتى لا يغزوه مرة أخرى فبعث إليهم بجيش عليه عبد العزيز الجروي في عقر دارهم، حيث التقاهم في منطقة عمريط بالقرب من بلبيس في ذي القعدة سنة ١٩٧هـ/٨١٥م، فحمل أهل الحوف على الجروي وشدوا عليه فهزموه، ففر مع قومه من لخم وجذام إلى فاقوس(٣٩١)، ثم سار أهل الحوف في المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٦م إلى خندق الفسطاط وعسكروا حوله، فعقد عباد بن محمد السري بن الحكم على حربهم، فدار القتال بين الفريقين حول الخندق قتل فيه الكثير من الجيشين(٣٩٢).

إلا أن نصيب أهل الحوف من القتلى كان كبيرا، مما اضطرهم إلى الانسحاب بعد أن انكشفوا خاصة وأنهم قد وصلهم نبأ مقتل الخليفة الأمين، الذي من أجله يقاتلون، وأن البيعة بالخلافة قد تمت لأخيه المأمون في المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٦م، فتفرقوا وانسحبوا منهزمين(٣٩٣) وعزل المأمون عن مصر بن محمد بن حيان وولى مكانه المطلب بن عبد الله الخزاعي(٣٩٤) في ربيع سنة ١٩٨هـ/٨١٦م، فما كان من ربيعة بن قيس إلا أن عزم على السير إلى يزيد بن خطاب الكلبي ليجتمعا على حرب المطلب الخزاعي(٣٩٥) والذي عقد لعبد العزيز الجروي على رأس جيش وأمره أن يتجه إلى حرب ربيعة ويزيد، فالتقى الجمعان بشطنوف(٣٩٦) وكثر القتل بينهم، فأرسل المطلب إلى السري بن الحكم وكان

(٣٩٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٠، النجوم الزاهرة ١٥٣/٢ - ١٥٤.

(٣٩١) تاريخ ولاة مصر ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣٩٢) المصدر السابق نفسه ١٢٠ - ١٢١، النجوم الزاهرة ١٥٤/٢.

(٣٩٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣٩٤) هو المطلب بن عبد الله بن مالك بن عبد الله بن الهيثم الخزاعي، كان من الداعين إلى خلع الأمين وبيعة المأمون أثناء الفتنة بين الأخوين، ودعا إلى ذلك سرا في بغداد وهو يتمارض في بيته والناس تعوده حتى لا ينكشف أمره، وقد ولاه المأمون مصر في ربيع الأول سنة ١٩٨هـ فاتسم عهده بكثرة الفتن والاضطرابات والعصيان لانقسام الناس إلى حزبين: حزب مع الأمين والآخر مع المأمون، فقاسى المطلب الشدائد والأهوال من جراء ذلك في مصر مع قصر مدته التي لم تتجاوز سبعة أشهر ثم عزله المأمون بالعباس بن موسى بن عيسى الهاشمي، وأمره بحبسه وظل في السجن مدة طويلة، ثم نقم الجند على العباس وأخرجوا المطلب وولوه مرة ثانية في المحرم سنة ١٩٩هـ تاريخ الطبري ١٤٥/٥، تاريخ ابن خلدون ١٤٥/٥، مآثر الإنافة ٢١٤/١، النجوم الزاهرة ١٥٧/٢.

(٣٩٥) كثرت حركات التمرد والعصيان في عهد عباد فبالإضافة إلى تمرد أهل الحوف، تمرد بالإسكندرية بهلول اللخمي ومعه بنو مدلج واستطاع أن يتغلب على الإسكندرية، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٣.

(٣٩٦) شطنوف: قرية من قرى كورة الغربية تقع على شاطئ النيل بجانب زفتى حيث يفترق عندها النيل إلى فرعين يصب في بحر الروم، فالمصب الغربي عند الإسكندرية ومصب الوسط عند رشيد، والمصب الشرقي عند دمياط، وتسمى شطنوف زفيته تصغير كلمة زفتى لقربها منها ويقال إنها كانت تسمى زفتية أما زفتى فكانت تسمى منية زفتى. معجم البلدان ٣٤٤/٣، البداية والنهاية ٢٧/١، مقدمة ابن خلدون ٦١/١، شذرات الذهب ١٩٨/٧.

مقيماً بالحوف، يأمره أن يخرج إلى حرب ربيعة والقيسيين معه فلما سمع هؤلاء بقدوم السري بن الحكم إليهم ليشترك مع الجروي على حربهم تفرقوا وسكن امرهم، فلجأ عبد العزيز الجروي إلى خداع عثمان بن بلادة ووجوه قيس معه فاستطاع أن يأسرهم، ثم قدمهم إلى القتل يوم النحر سنة ثمان وتسعين ومائة(٣٩٧). بعدها عزل المأمون المطلب بن عبد الله عن مصر في شوال سنة ١٩٨هـ/٨١٦م(٣٩٨).

تمرد جند مصر على الوالي العباس بن موسى بن عيسى(٣٩٩) سنة ١٩٨هـ:

عهد الخليفة المأمون بولاية مصر إلى العباس بن موسى بدلا من المطلب بن عبد الله الخزاعي في شوال سنة ١٩٨هـ/٨١٦م، فاستناب العباس على مصر ابنه عبد الله إبن العباس(٤٠٠)، فأتاها في نفس الشهر واستصحب الإمام محمد بن إدريس الشافعي فصحبه، وذلك كان أول قدوم الشافعي إلى مصر(٤٠١)، كما صحب عبد الله معه الحسن بن عبيد الأنصاري(٤٠٢)، ولما قدم عبد الله مصر كان أول عمل قام به هو تنفيذ أمر المأمون بالقبض على المطلب وحبسه(٤٠٣)، وجعل على شرطته عبد العزيز الجروي، وتشدد عبد الله على المصريين فبغضوه وتمردوا عليه ووافقتهم الجند على موقفهم، وخرجوا على عبد الله غير مرة وعبد الله يقاتلهم المرة تلو الأخرى(٤٠٤)، ثم منع الحسن بن عبيد أهل مصر هؤلاء المتمردين من أعطيتهم وتهددهم وتحامل عليهم وعسف وظلم، ثم هددهم

---

(٣٩٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٣٩٨) يذكر الكندي أنه لما ولي المطلب مصر ازداد تمرد بهلول اللخمي وعصيانه في الإسكندرية وقويت شوكته بانضمام بنو مدلج إلى حركته، فعمد المطلب إلى حديج بن محمد بن عبد الواحد بن معاوية بن حديج، فولاه الإسكندرية عاملا عليها من قبله، ثم أمده المطلب بأخيه هارون بن عبد الله في جيش، فانهزم هارون أمام الإسكندرية، فكان ذلك من جملة المصاعب التي واجهت المطلب، وصرفه المأمون على مصر بالعباس بن موسى إبن عيسى الهاشمي في شوال سنة ١٩٨هـ. تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٣.

(٣٩٩) هو العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي، كانت ولايته كلها على مصر حروبا وفتنا وعصيانا من أهلها، حتى مرت عليه ولايته وكأنه لم يدخل مصر ولا حكمها، وكان العباس بن موسى هو الذي وثب بالأمين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور، نزل بلبيس مستنصرا بقيس ضد المطلب بن عبد الله، فدس له السم في الطعام فمات، وقيل مات مريضا بعد شهر من نزوله الحوف في جمادى الأخرة سنة ١٩٩هـ المنتظم ٢٤/١٠، الكامل في التاريخ ٣٨٥/٥، تاريخ إبن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ٢ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٤٠٠) تاريخ اليعقوبي ٤٤٤/٢، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٢، تاريخ إبن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٦١/٢.

(٤٠١) أبو عمر يوسف بن عبد البر النمر القرطبي ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وابن حنيفة) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت د. ت. ١١٥/١، معجم الأدباء ٥ ٢١٥، معجم البلدان ١ ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٤ ٣٨٣.

(٤٠٢) هو الحسن بن عبيد بن لوط بن عبيد بن عازب الأنصاري، يكنى ابن بشر، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٤ ٣٨٣، النجوم الزاهرة ٢ ١٦٢.

(٤٠٣) النجوم الزاهرة ٢ ١٥٧.

(٤٠٤) المصدر السابق نفسه.

بقدوم العباس بن موسى فأوحشت هذه السياسة المتشددة العلاقة بين عبد الله بن العباس وزمرته وبين أهل مصر[٤٠٥]، فاجتمع أهل مصر وثاروا ووقفوا وقفة واحدة ضد عبد الله بزعامة السري بن الحكم[٤٠٦] ونادوا بعودة المطلب بن عبد الله واليا عليهم وعزل العباس وابنه عبد الله، فخرج إليهم عبد الله فقاتلهم فهزموه ثم أخرجوه من مصر– وقيل إنهم قتلوه ـ[٤٠٧] ويذكر الكندي أن عبد الله بن العباس توجه إلى عباد بن محمد بن حيان فأواه ومنعه، بينما لجأ الحسن بن عبيد إلى المطلب بن عبد الله كان المصريون قد أخرجوه من حبسه ونصبوه عليهم واليا للمرة الثانية في المحرم سنة ١٩٩هـ/٨١٧م، في حين هرب رئيس الشرطة عبد العزيز الجروي إلى الحوف أسفل مصر فنزل تنيسًا[٤٠٨]. فأقام متغلبا عليها وعلى ما والاها من كور أسفل الأرض، في حين غلب السري إبن الحكم على قصبة الفسطاط والصعيد[٤٠٩]، أما العباس بن موسى والي مصر لما بلغه ما وقع لابنه عبد الله بمصر قصد الديار المصرية مسرعًا قادما من مكة ونزل بلبيس ودعا قيسا لنصرته، بناء على مشورة عبد العزيز الجروي له، فخذلته قيسًا[٤١٠]، بل ذكر الكندي أن المطلب أوعز إلى قيس فدسوا له السم في الطعام فمات في بلبيس في جمادى الأخرة سنة ١٩٩هـ/٨١٧م[٤١١].

تمرد/ عبد العزيز الجروي على والي مصر المطلب بن عبد الله سنة ١٩٩هـ ٨١٧م:

كان عبد العزيز الجروي قائدا لجيش عباد بن محمد بن حيان والي مصر من قبل المأمون [١٩٦ ـ ١٩٩هـ/٨١٥ ـ ٨١٧م] لحرب أهل الحوف من أنصار الأمين بزعامة واليه على مصر ربيعة بن قيس، فهزمه أهل الحوف في عمريط بالشرقية ذي القعدة سنة ١٩٧هـ/٨١٥م، ففر الجروي في قومه من لخم وجذام إلى فاقوس[٤١٢]، فعذله قومه وقالوا له: "لم لا تدعو لنفسك فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض"[٤١٣]، فاستجاب الجروي لعرض قومه، ومضى إلى بلبيس فنزلها وبعث بعمالها يجبون الخراج من أسفل

(٤٠٥) تاريخ اليعقوبي ٤٤٤/٢.

(٤٠٦) تاريخ ولاة مصر ص ١٢٣، النجوم الزاهرة ١٦٢/٢.

(٤٠٧) ذكر ابن خلدون أن جند مصر قتلوا عبد الله بن العباس يوم النحر سنة ١٩٨هـ وذلك بعد شهرين ونصف من ولايته، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٦١/٢.

(٤٠٨) تنيس: جزيرة في بحر الروم، وقريبة من البر، تقع ما بين الفرما ودمياط والفرما في شرقيها، معجم البلدان ٥١/٢.

(٤٠٩) تاريخ اليعقوبي ٤٤٤/٢.

(٤١٠) تاريخ اليعقوبي ٤٤٥/٢، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٣.

(٤١١) تاريخ ولاة مصر ص ١٢٣، النجوم الزاهرة ١٥٧،٢.

(٤١٢) تاريخ ولاة مصر وقضاتها: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٤١٣) المصدر السابق ـ ص ١٢٠.

من أسفل مصر، وعلم والي الأمين ربيعة بن قيس بذلك. فبعث عثمان بن بلادة العبسي ليمنع الجروي من الجباية[٤١٤].

جعل عبد الله بن العباس بن موسى – نائب أبيه العباس على إمرة مصر – عبد العزيز الجروي على شرطته أواخر سنة ١٩٨هـ/٨١٦م، ولما تمرد المصريون على عبد الله وأخرجوه من مصر وولوا عليهم بالإجماع المطلب بن عبد الله للمرة الثانية في المحرم سنة ١٩٩هـ/٨١٧م، هرب عبد العزيز الجروي إلى تنيس، ومات العباس إبن موسى الهاشمي والي مصر في بلبيس في جمادى الأخرة سنة ١٩٩هـ/٨١٧م، وقام المطلب بأعباء الولاية فرفق بالرعية، وأجزل لهم العطاء، وأحسن إليهم، وكاتب أهل الأحواف فانضم إليه خلائق منهم كثيرة وكذلك من الجند[٤١٥]، فانطاعوا له وبايعوه فاستفحل وقويت شوكته، وسار إليه أهل الأحواف فالتقى بوفودهم في جب عميرة وسألوه مطالبهم، وولى المطلب على أسفل مصر يزيدًا بن الخطاب الكلبي، وبعث المطلب إلى عبد العزيز الجروي في تنيس بعقده عليها، ويأمره أيضا بالشخوص إليه في الفسطاط فامتنع عنه الجروي وعصى أمره، فعزله المطلب عن تينس بوال غيره، فتصدى له الجروي وأخرجه[٤١٦]، ثم سار في مراكبه حتى نزل شطنوف[٤١٧]، فأرسل إليه المطلب جمعًا من الجند عليهم السري بن الحكم يسألونه الصلح، فتظاهر الجروي بالاستجابة وهو ينوي الغدر بهم وكانوا يتفطنون إلى ذلك، فمضى الجروي راجعا إلى نبا وهم يتبعونه ويحاربونه، ثم عرض عليهم الجروي الصلح مرة أخرى ولاطف السري حتى أجابه للصلح[٤١٨]، فركب زلاجًا[٤١٩] بالبحر وخرج الجروي في مثله فالتقيا وسط النيل مقابل سندفا، وكان الجروي قد أخفى حبلا في باطن زلاجه، وأمر أصحابه بسندفا إذا لاصق زلاجه زلاج السري وكان قد ربطه سرا بزلاجه أن يجروا إليهم الجبال وهي مربوطة بالزلاجين، وبهذه الخطة استطاع الجروي أن يأسر السري ويمضي به إلى تينس ويسجنه بها وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ/٨١٧م[٤٢٠].

اتجه الجروي بعد أسر السري إلى يزيد بن الخطاب الكلبي والي مصر السفلى من قبل المطلب بن عبد الله، فقاتله وهزمه، وازداد بها شأن الجروي على أسفل مصر، فثقل أمره على المطلب، فعقد جيشا عليه إبن عبد الغفار الجمحي، وأمره بقتال

---

(٤١٤) المصدر السابق نفسه.

(٤١٥) النجوم الزاهرة ١٦٢/٢.

(٤١٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٤.

(٤١٧) شطنوف: مدينة صغيرة متحضرة ذات مزارع وخصب في مصر السفلى عند مفرقة زفتى، نزهة المشتاق ٣٤١/١، معجم البلدان ١٤٤/٣، مقدمة ابن خلدون ٦١/١.

(٤١٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤١٩) زلاج: من زلج أي أسرع، والزلج السرعة في السير والمشي وغيره. ويقال ناقة زليجة أي سريعة، والزلاج هنا هي المركب السريع الذي يسير بسرعة على الماء، لسان العرب ٢ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤٢٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

الجروي، فالتقيا في أسفل مصر بمنطقة سفط سليط أول شهر رجب سنة ١٩٩هـ/٨١٧م، فهزم جيش المطلب ووقع قائده الجمحي ومعه وجوه أصحابه في أسر الجروي[٤٢١]. عقد المطلب بعد ذلك لمحمد بن هبيرة[٤٢٢] على الإسكندرية فاستخلف إبن هبيرة عليها عمر بن هلال[٤٢٣] الذي وليها ثلاثة أشهر ثم عزله المطلب عنها بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك، فاستاء عمر بن هلال لعزله وأضمر العداء في نفسه للمطلب وأخيه، ولما علم عبد العزيز الجروي بما انطوت عليه نفس عمر بن هلال تجاه المطلب، اقتنص تلك الحادثة ووظفها لصالحه، فقد كتب إلى عمر يأمرهم بالتمرد والعصيان على المطلب والوثوب على الإسكندرية والاستيلاء عليها وطرد الفضل منها، على أن يدعو للجروي بها[٤٢٤].

وكانت ترسو على شواطئ الإسكندرية بمنطقة الرمل مراكب الأندلسيين[٤٢٥] الذين قد قفلوا من غزوهم فنزلوا بها ليبتاعوا ما يصلحهم، وظلوا على ذلك مر الزمان، وأمراء الإسكندرية لا يمكنونهم من دخولها بل كان الناس هم الذين يخرجون إليهم فيبتاعون منهم، فأراد عمر بن هلال أن يستغل قدراتهم وإمكاناتهم القوية في تمرده على الفضل بن عبد الله بالإسكندرية، فدعاهم إلى الانضمام معه لإخراج الفضل منها، فقبل الأندلسيون العرض الذي وجدوا فيه فرصة مواتية لدخول الإسكندرية التي طالما حرموا منها وانضموا إلى جموع عمر بن هلال التي دخلت الإسكندرية وحاربوا إلى جانبه ضد الفضل بن عبد الله حتى اضطروه إلى الخرج من الإسكندرية ودعوا للجروي بها[٤٢٦].

لم يرض أهل الإسكندرية بدخول الأندلسيين إليها فوثبوا عليهم وأخرجوهم منها، وردوا الفضل بن عبد الله إلى عمله على الإسكندرية، بعد معارك عنيفة مع

---

(٤٢١) المصدر السابق نفسه.

(٤٢٢) كان أبو هبيرة بن هاشم بن حديج قائد لشرطة عباد بن محمد بن حيان والي مصر، النجوم الزاهرة ١٥٤/٢.

(٤٢٣) هو عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن حديج، ويطلق عليه عمرو بن هلال، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

(٤٢٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

(٤٢٥) اقبلت مراكب من بحر الروم من قبل الأندلس ـ عددها أربعين مركبا كما يذكر الكندي، أما اليعقوبي فيذكر أنها أربعة آلاف وهذا عدد مبالغ فيه إلى حد ما ـ وكان على هذه المراكب طائفة من المغاربة الاندلسيين عددهم زهاء ثلاثة آلاف رجل كما يذكر اليعقوبي ـ وكان عليهم رجل يدعى أباحفص، فارسلوا في ميناء الإسكندرية في شاطئ الرمل، فلم يزالوا بها مقيمين لا يدخلون الإسكندرية بل أهلها يذهبون إليهم بالبحر فيبتاعون منهم. وظل الأمر كذلك حتى توجه إليه عبد الله بن طاهر بن الحسين والي مصر وقاتلهم حتى اجلاهم عنها فذهبوا الى جزيرة إقريطش، تاريخ اليعقوبي ٤٤٦/٢، تاريخ الطبري ١٧٤/٥، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٠، النجوم الزاهرة ١٩١/٢.

(٤٢٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

الأندلسين قتل فيها جمع غير يسير من الأندلسين وفروا منهزمين ولاذوا بمراكبهم على شواطئ الإسكندرية[٤٢٧].

لم يكتف عبد العزيز الجروي عن محاولة القضاء على والي مصر المطلب ابن عبد الله، فحاول أن يستغل قدوم عبد الله بن موسى بن عيسى العباسي أخي العباس ابن موسى بن عيسى والي مصر الذي قتل مسموما ببلبيس بإيعاز من المطلب[٤٢٨]، حيث أن رجلا بمصر يسمى فرج الأسود[٤٢٩] كتب إلى عبد الله وحرضه على القدوم على مصر للطلب بثأر أخيه من المطلب بن عبد الله وسار معه في جيوش له كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزلوا الجيزة وعسكروا بها متأهبين لنشوب القتال، الذي سرعان ما نشب بينهم وبين المطلب ومن معه من أهل مصر في صفر سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م، فكانت الدائرة على الجروي وصحبه عبد الله وجنودهما، ففروا منهزمين، وهرب الجروي إلى شرقيون[٤٣٠] في حين هرب عبد الله بن موسى إلى خارج مصر متوجها إلى الحجاز، فأرسل المطلب في إثره فرج الأسود – وهو لا يعلم أنه هو الذي راسله وحرضه واستقدمه إلى مصر طلبا لثأر أخيه – ليدركه ويقبض عليه، وخرج فرج الأسود، ولكنه لم يتعقبه بل جنح هاربا إلى الجروي[٤٣١]، إذ كيف يطلبه وهو الذي راسله واستقدمه، ثم إن المطلب لا محالة سيعلم بحقيقة تلك المراسلات وسينتقم منه، وفعلا علم المطلب بحقيقة الأمر فعمد إلى ممتلكات فرج الأسود ودوره فهدمها وخربها، فعوّضه الجروي عن كل ما هدّم وخرّب فدفع إلى الأسود من الأموال ما أعانه على إعادة بنائها فيما بعد مرة أخرى[٤٣٢].

تأكد للمطلب بن عبد الله أن الخطر الداهم الذي يتهدده في مصر هو عبد العزيز الجروي، فجدَّ المطلب في التخلص منه والقضاء على تمرده، وعلم الجروي بعزم المطلب استجماع قوته للتخلص منه، فلجأ إلى الحيلة في مواجهة المطلب، حيث

(٤٢٧) المصدر السابق نفسه.

(٤٢٨) المنتظم ٢٤/١٠، الكامل في التاريخ ٣٨٥/٥، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٦١/٢.

(٤٢٩) هو أبو حرملة فرج الأسود، كان من قادة المطلب بن عبد الله، ويذكر ابن الجوزي وابن عساكر أنه كان من موالي المأمون، وله مع محادثة مشهورة لما قدم المأمون مصر فقال له فرج الأسود (يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي كفاك أمر عدوك ودان لك العراقان والشامان ومصر وخراسان، وأنت ابن عمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والعالم به) فقال له المأمون: (ويحك يا فرج؟ قد بقيت لي خلة، قال فرج (ما هي يا أمير المؤمنين) قال المأمون (جلوسي في عسكر ومستمل يجيء) فقال فرج: (ذكرت رضي الله عنك). تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٦، المنتظم ٥٣/١٠، تاريخ دمشق ٢٨٩/٣٣.

(٤٣٠) شرقيون: هي المحلة الكبرى، وتنقسم الى قسمين شرقيون وسندفا، ووقعت في شرقيون وقائع كثيرة. معجم البلدان ٣ ،٣٣٧، ٥ ،٦٣.

(٤٣١) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٦.

(٤٣٢) المصدر السابق نفسه

توجه إلى السري بن الحكم في محبسه في تنيس منذ هزيمته في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ/٨١٧م(٤٣٣). فاتفق معه على خطة للإطاحة بالمطلب من حكم مصر، مفادها أن يطلق الجروي السري من محبسه، على أن يكتب الجروي كتابًا للسري إلى أهل مصر على لسان المأمون بولايته على مصر، وعزل المطلب عنها، وأن يقوم السري بخلع المطلب وعزله، فعاهده السري على ذلك، وكتب عقد الاتفاق في كتاب بينهما، وخرج الكتاب بولاية السري إلى أهل مصر فاستقبله أهل مصر بالرفض، في حين رحب به من بمصر أهل خراسان وعقدوا للسري عليهم بالولاية فنزل داره في الحميراء بالفسطاط(٤٣٤).

بعث المطلب بجيش إلى السري في الفسطاط وهو متحصن في بيته لا يخرج، فسار إليه هبيرة بن هاشم بن حديج صاحب شرطة المطلب – وصاحب السري قبل سجنه في تنيس – وخرج إليه السري فالتقيا في موضع يسمى سوق وردان(٤٣٥)، في شعبان سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م واشتد القتال بين الطرفين حتى ثار غبار كثيف خيم على ميدان المعركة حتى لا يكاد يُرى فيه شيئ، مما أوقع فرس هبيرة حفرة بأرض المعركة فانكسرت ساقه، فأدركه جمع من أصحاب السري فقتلوه واجتزوا رأسه وهم لا يعلمون أنه هبيرة بن هاشم نفسه، وألقوا بها أمام السري، فعظم عليه هذا المشهد، وحزن لمقتله، وانصرفت الطائفتان، وفيهم من يظهر الجزع والوجد لمقتل هبيرة، وانكسر المصريون أصحاب المطلب بعد مقتله(٤٣٦)، في حين علا نجم السري ومعه أهل خراسان(٤٣٧).

(٤٣٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

(٤٣٤) المصدر السابق ص ١٢٦.

(٤٣٥) سوق وردان: نسبة إلى وردان الرومي، مولى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- مولى بن سبي أصبهان وقيل من روم أرمينية، يكنى أبا عبيدة، روى عن عمرو بن العاص وغيره، شهد معه فتح مصر، وقدم دمشق أيام معاوية بن أبي سفيان وكانت له دارا بها، وقد ولاه معاوية خراج مصر بعد موت عمرو بن العاص، وكان وردان في مصر بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، حيث كان الأمير لا يعمل شيئًا حتى يشاور وردان، لأنه كان ذا دهاء وفهم، وسميت المنطقة التي كان في الفسطاط بسوق وردان، طبقات إبن سعد ٥١١/٧، فتوح مصر ٢١٨/١، تاريخ دمشق ٤٢٩/٦٢، معجم البلدان ٢٨٤/٣

(٤٣٦) قال الشاعر سعيد بن عفير في مقتل هبيرة بن هاشم:

لعمري لقد لاقى هبيرة حتفه ... بأفضل ما تلقى الحتوف السوارع

بأنف حمي لم تخالطه ذلة ... وعرض نقي لم تدنسه المطامع

تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٧.

(٤٣٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٦.

وسأل المطلب بن عبد الله السري الأمان لنفسه وأهله على أن يسلمه إمرة مصر ويخرج منها، فأجابه السري لمطلبه. وخرج المطلب في بحر القلزم إلى مكة في رمضان سنة ٢٠٠هـ[٤٣٨].

تمرد الصوفيين[٤٣٩] والأندلسيين بالإسكندرية على واليها عمر بن هلال[٤٤٠] سنة ٢٠٠هـ ـ ٨١٨م:

ولي السري بن الحكم مصر بإجماع الجند في رمضان سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م بعد انتصاره على المطلب بن عبد الله وخروجه إلى مكة، وتسالم السري مع عبد العزيز الجروي، وكانت الإسكندرية ما تزال تحت إمرة والي المطلب أبي بكر بن جنادة[٤٤١]، فخرج عليه عمر بن هلال[٤٤٢] وأخرجه منها ودعا للجروي فيها.

علم الأندلسيون في البحر باستيلاء عمر بن هلال على الإسكندرية، بعد إخراج ابن جنادة المعافري عنها فسرهم ذلك وأرادوا أن يستفيدوا من علاقتهم مع بن هلال وهم الذين ناصروه وعاونوه في إخراج الفضل أخي المطلب بن عبد الله من قبل عن الإسكندرية في سنة ١٩٩هـ/٨١٧م، فأقبل الأندلسيون ودخلوا الإسكندرية على عمر ابن هلال وأقاموا بها، ثم بلغ ابن هلال عنهم بعد فترة أنهم يفسدوا بالبلد ويحدثوا، فتغير عليهم وأمر جنوده بإخراجهم من الإسكندرية وإلحاقهم بمراكبهم[٤٤٣]، مما أوغر صدور الأندلسيين عليه، فأكنوا له العداوة والبغضاء، وتحينوا الفرصة تلو الأخرى للانقضاض

(٤٣٨) قال أحدهم ويسمى دعبل للمطلب بن عبد الله عند خروجه من مصر إلى مكة:

فكيف رأيت سيوف الجريش … ووقعة مولى بني ضبة

أحجتك أسيافهم كارها … وملك في الحج من رغبة

والجريش مدنية حسنة في الضفة الشرقية للنيل، كثيرة التجارة والعمارة والكروم والأشجار. ومولى بن ضبة هو السري بن الحكم بن يوسف بن المقوم بني ضبة، أصله من بلخ، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٧ ــ ١٢٨، نزهة المشتاق ٣٤١/١، المنتظم ١٤٣/١٠، تاريخ ابن خلدون ٣٨٣/٤، النجوم الزاهرة ١٦٥/٢.

(٤٣٩) هي طائفة من أهل الإسكندرية، كانوا يأمرون بالمعروف فيما يزعمون ويعارضون السلطان في أمره، وكان رئيسهم حينئذ رجلا يسمى أبا عبد الرحمن الصوفي، ويسميه اليعقوبي أبا عبد الله الصوفي، تاريخ اليعقوبي ٤٤٦/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٨.

(٤٤٠) هو عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، ويطلق عمر بن هلال، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٥.

(٤٤١) هو أبي بكر بن جنادة بن عيسى المعافري، ويسميه ابن تغري بردي أبا ذكر جنادة بن عيسى المعافري، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٨، النجوم الزاهرة ١٦٨/٢.

(٤٤٢) كان عمر بن هلال قد ولي الإسكندرية ثلاثة أشهر في ولاية المطلب بن عبد الله نيابة عن محمد بن هبيرة بن هاشم وذلك في شهر رجب سنة ١٩٩هـ ثم عزله عنها المطلب وولى أخاه الفضل بن عبد الله عليها، فاستاء عمر من ذلك وغضب على المطلب وأخيه الفضل، ثم تحالف مع الجروي الذي أمره أن يخرج الفضل من الإسكندرية، فتعاون عمر مع الأندلسيين بالبحر في اخراج الفضل من الاسكندرية ودعوا للجروي فيها، تاريخ ولاة مصر ص ١٢٥.

(٤٤٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٨.

على عمر بن هلال، حتى أتاهم في مراكبهم رئيس طائفة الصوفية بالإسكندرية، أبو عبد الرحمن الصوفي غاضبا وناقما على السري بن الحكم، الذي حكم لامرأة ضده كان الصوفي قد خوصم فيها، مما جعل الصوفي يخرج من الإسكندرية متمردا إلى الأندلسيين بالبحر يستعين بهم ويؤلبهم على السري، كما ذهب الصوفي إلى بني لخم(٤٤٤)، بالإسكندرية والذين كان بينهم وبين الأندلسيين إحن قديم، فألف بينهما ووحدهما على حرب عمر بن هلال وأطمعهما في الاستيلاء على الإسكندرية وأمر أبو عبد الرحمن الصوفي بني لخم والأندلسيين ومن انضوى معهما، أن يهاجموا الإسكندرية، فساروا إليه وهم زهاء عشرة آلاف فحاصروا عمر بن هلال الإسكندرية في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م(٤٤٥)، ولما اشتد الحصار على عمر وهو متحصن في قصره، أدرك أن قصره لا يمنعه من المحاصرين، وخاف أن يدخلوا عليه القصر عنوة فيفضحوه في حرمته، فاغتسل وتحنط وتكفن ثم أمر أهله أن يدلوه بحبل من القصر لينزل إلى المحاصرين، فدلوه فرأوه فأخذته سيوفهم فقتلوه(٤٤٦)، فدُلّي بعد أخاه محمد بن عبد الملك فأخذته سيوف المحاصرين، ثم دُلّي بعض بني عمومته منهم عمر بن هلال فقتلوا، في ذي القعدة سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م(٤٤٧).

بعد مقتل عمر بن هلال وأهله، دب الخلاف بين بني لخم والأندلسيين وفسد ما بينهما من تآلف وود، فقام بأمر بني لخم رجل منهم يدعي رباح بن قيرة اللخمي، فسار إلى الأندلسيين فحاربهم بالإسكندرية، فهزمه الأندلسيون وظهروا على الإسكندرية عنوة في نهاية سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م، وولوا عليها أبو عبد الرحمن الصوفي، فأساء

(٤٤٤) لخم وجذام أخوان ابنا عدي بن عمرو بن الحارث بن سبأ بن مرة بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان اسم لخم مالك واسم جذام عمرو، وكان قد تشاجرا معًا فلخم عمرو مالكا – أي لطمه – فضرب مالك عمرًا بمدية فجذم يده – أي قطعها – فسمي مالك لخمًا وسمي عمرو جذامًا. ثم كان من نسلهما بنو لخم وجذام، وكانت لخم حيًا من جذام باليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، فهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وكان ملوك لخم قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر، ثم كانت منهم بطون شاركوا في الفتح الإسلامي لمصر وسكنتها، طبقات خليفة ١/٦٢، الفائق للزمخشري ٣/٤٢٣، معجم البلدان ٣/٤٣٩، وفيات الأعيان ٢/٤٠٧، سير أعلام النبلاء ٢/٤٤٢، طبقات الحنفية ١/٣٤٢.

(٤٤٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٤٤٦) قال الشاعر سعيد بن عفير عند مقتل عمر بن هلال:

لا يبعدن ابن هلال فقد ذهبت ... منه المنون بطم طيب النسب
لا يرأم الضيم من حب الحياة ولا ... يقبل دون فعال الخير بالقسم
ما انفك يحمي ثمار اسكندرية في ... هدء حميد وعز غير مهتضم
حتى إذا جاءه من كان يأمنه ... وصرح الموت جهرا غير مكتتم

تاريخ ولاة مصر وقضاته ص ١٢٩.

(٤٤٧) دُلّي من القصر ابن عم عمر بن هلال وهو أبو هبيرة الحارث بن الواحد فقتل ثم دلي إليهم حديج بن عبد الواحد فقتل في ذي القعدة سنة ٢٠٠هـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٩.

الإمارة وبلغ الفساد في عهده ذروته فانتشر في الإسكندرية القتل والنهب ما لم يسمع بمثله من قبل فيها، فأساء بذلك إلى الأندلسيين فعزلوا الصوفي عن الإسكندرية، وولوا عليها رجلاً منهم يعرف بينهم بالكناني[٤٤٨]، وأجلوا بعد ذلك بني مدلج[٤٤٩] ولخما عن الإسكندرية، حتى صارت كلها لهم[٤٥٠].

لم ترض قبائل الإسكندرية أن يحكمهم الأندلسيون، فخرجوا عليهم وحاربوهم يتقدمهم بنو مدلج، فهزمهم الأندلسيون بعد معارك شديدة وأسروا منهم خلقا كثيرًا ثم عمدوا إلى بني مدلج وأخرجوهم من الإسكندرية، فلم يكن أحد منهم يقدر على الاقتراب من أرض الإسكندرية، وظلوا على هذا الحال حتى تقدموا إلى السري بن الحكم يطلبون منه التوسط لهم إلى الأندلسيين ليأذنوا لهم في العودة إلى الإسكندرية، فأرسل إليهم السري يستأذنهم في ذلك فأذنوا لهم وعاد بنو مدلج إلى الإسكندرية مرة أخرى بإذن الأندلسيين مع قلة عددهم وعدتهم[٤٥١].

بلغ عبد العزيز الجروي في تنيس، ما فعله الأندلسيون بالإسكندرية وقتلهم عمر بن هلال، واستيلاءهم على الإسكندرية وإفسادهم بها، فعزم على القضاء عليهم واستئصال شأفتهم من الإسكندرية، فخرج إليهم من تنيس في المحرم سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، في جيش قوامه خمسون ألفًا من الجنود، فنزل حول حصن الإسكندرية وحاصر الأندلسيين حتى أجهدهم الحصار وأوشكوا على الاستسلام، لولا أن السري بن الحكم، خشي أن يدخل الجروي الإسكندرية فيمتلكها ويدعو لنفسه، فبعث السري قائده

(٤٤٨) تاريخ اليعقوبي ٤٤٦/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ١٢٩ - ١٣٠.

(٤٤٩) بنو مدلج، هم قوم سراقة بن مالك صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم ينتسبون إلى مدلج بن مرة إبن مناة بن كنانة الخثعمي، وشاركت بطون منهم في فتح مصر وسكنوا خربتا بمصر السفلي واتخذوها منزلا مع نفر من حمير بن ذبحان وغيرهم قد حالفوهم فيها، وكان على رأس بني مدلج الذين سكنوا مصر عبد الرحمن إبن سراقة بن مالك، ويذكر السمعاني أن بني مدلج من القافة الذين يلحقون الأولاد بالآباء، والقافة من قاف وهو اسم جبل كان يقال أنه محيط بالأرض، ومنها القائف الذيب الذي يقوف الآثار أي يقفوها، ومنها قولهم اقتفى أثره أو قفا أثره، واشتهر بنو مدلج بالقافة فسموا بنو مدلج القافة، ويتسمى أولادها بفلان المدلجي مباشرة، ويأخذ فقهاء الحديث كالشافعي وأحمد بحكم القافة في اختلاط الأنساب واشتباهها كما يذكر إبن بسام الشنتريني، طبقات إبن سعد ٢٥٢/٥، طبقات خليفة ٣٤/١، فتوح مصر ٢٥٤/١، المعارف ٦٦/١، الفائق للزمخشري ٢٤٤/١، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢هـ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - دار الثقافة للنشر - بيروت - سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م - تحقيق: إحسان عباس ٢٨٠/٤، ٤١/٥، ٣٠٧/٩، الأنساب للسمعاني ٤٣٦/٤، ٢٣٣/٥، لسان العرب ٢٩٣/٩، مختار الصحاح ٢٣٢/١.

(٤٥٠) تاريخ اليعقوبي ٤٤٦/٢.

(٤٥١) يذكر الكندي أن كل مراكب الأندلسيين كانت أربعين مركبًا فقط لا غير، ومع ذلك كانوا مثار رعب وخوف لأهل الإسكندرية، أكثر من خوفهم من الروم أنفسهم، وكان أهل الإسكندرية يسمونهم بالمسلمين الذين ليسوا بمسلمين، حتى قال البعض لأهل الإسكندرية (يا أهل الإسكندرية ما هذه الأربعون مركب في هذا الخلق الكثير منكم؟ لو كانت حتى نيرانا تضطرم) فقال أهل الإسكندرية (اسكت ويلك عنب ومن يكون فيها، يكون فيها خراب الإسكندرية وما حولها). تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٠.

عمرو بن وهب الخزاعي في جيش إلى تنيس عقر دار الجروي التي خرج منها فلما علم الجروي بالتفاف السري عليه، رفع حصاره على الإسكندرية وكر راجعا إلى تنيس ليحمي بيضته، وفسد ما بينه وبين السري من سلم وود سابقين[٤٥٢]. وحمد الأندلسيون للسري بن الحكم ما قام به ضد عبد العزيز الجروي وصرفه عن دخول الإسكندرية، ودعوا للسري بن الحكم بالإسكندرية في المحرم سنة ٢٠١هـ/٨١٩م[٤٥٣].

تمرد أهل خراسان بمصر على واليها السري بن الحكم سنة ٢٠١هـ ٨١٩م:

ولي السري بن الحكم مصر بإجماع الجند وموافقة عبد العزيز بن الجروي في رمضان سنة ٢٠٠هـ/٨١٩ م، ولما استولى الأندلسيون على الإسكندرية دعوا له فيها، وصفا له حكم مصر إلى حين، حتى كدر هذا الصفو أهل خراسان بمصر – وهم الذين كانوا قد بايعوا السري بن الحكم بعد أن تصالح معه الجروي وأطلقه من سجن تنيس مقابل التعاون معًا على حرب المطلب بن عبد الله، إلا أن غالبية أهل مصر امتنعوا عن بيعة السري بن الحكم، لولا أن بايعه وساعده وجوه أهل خراسان وإجماع كثير من الجند فعقدوا له عليهم في رمضان سنة ٢٠٠هـ/٨١٨م[٤٥٤]، حيث تغيروا على السري وأفسدوا عليه صفو الحياة بمصر، وتزعم تمرد الخراسانيين جماعة من آل عبد الجبار إبن عبد الرحمن الأزدي[٤٥٥]، وبايعهم الجند على ذلك – حيث احتالوا بنفس الطريقة التي احتال فيها السري على المطلب بن عبد الله بالاتفاق مع عبد العزيز الجروي – فقد أظهروا كتابا على لسان طاهر بن الحسين[٤٥٦]، بعزل السري بن الخكم عن ولاية مصر، وتولية سليمان بن غالب البجلي[٤٥٧] بدلا منه، وصدق الناس الخرأسانيون فيما

---

(٤٥٢) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤٥٣) المصدر السابق نفسه.

(٤٥٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٦.

(٤٥٥) كان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، في أول أمره كاتبا للعباسيين، ثم كان على شرطة السفاح، ثم عاملا للمنصور على خراسان، ثم خلع المنصور في خراسان سنة ١٤١هـ تاريخ اليعقوبي ٣٧/٢، تاريخ الطبري ٣٩٧/٤، البدء والتاريخ ٨٢/٦، الكامل في التاريخ ١٣٦/٥، تاريخ ابن خلدون ٣ ٢٣٤.

(٤٥٦) هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان بن أسعد بن زادان، أبو طلحة الخزاعي، وأبو الطيب أيضا، كان والي خراسان للمأمون، وهو الذي أرسله لقتال أخيه الأمين وظفر به وقتله، ولقبه المأمون بذي اليمنين، كان طاهر جوادا ينفق بالآلاف، وفي نهاية حياته خلع المأمون بخراسان ومات في اليوم الذي خلع فيه المأمون، فولى المأمون ابنه عبد الله مكانه، تاريخ اليعقوبي ٤٥٧/٢، تاريخ الطبري ٥٥/٥، ١٦٢، المنتظم ١٦٥/١٠، الكامل في التاريخ ٤٦٨/٥، وفيات الأعيان ٥١٧/٣، العبر للذهبي ٣٥١/١، البداية والنهاية ٢٦٠/١٠.

(٤٥٧) هو سليمان بن غالب بن جبريل بن جميل بن يحي بن قرة العجلي ويقال البجلي، يكنى أبا داود، ولي مصر في ربيع الأول سنة ٢٠١هـ وعزل عنها بعد خمسة أشهر في شعبان سنة ٢٠١هـ ثم توجه بعد ذلك على المأمون ببغداد وصار من جملة قواده. ثم ندبه المأمون لقتال بابك الخرمي، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣١، تاريخ ابن خلدون ٤: ٢٨٤، النجوم الزاهرة ٢ ١٦٨.

زعموا في كتابهم، فوثب الجند بالسري وانتهبوا داره، فهرب منها في الحال ولجأ إلى دار عسامة بن عمرو، وباشر سليمان بن غالب ولايته على مصر في ربيع الأول سنة ٢٠١هـ/٨١٩م، وأول ما قام به إبن غالب أن نفى السري بن الحكم الى أخميم(٤٥٨)، ومنها كتب السري إلى بنو مدلج – كان السري قد توسط لبني مدلج لما أخرجهم الأندلسيون من الإسكندرية، فعادوا إليها مرة أخرى بفضل وساطته فحمدوا له هذا الصنيع(٤٥٩) – أن يلحقوا به في أخميم ويخرجوه من منفاه، فساروا إليه ومعهم جمع كثير من الناس، وأخرجوا السري من منفاه، ثم أقبل السري بهم جميعا متجهًا صوب الفسطاط ليستردها من إبن غالب، الذي عندما علم بما عزم عليه السري، بادر بالخروج إليه من الفسطاط على رأس جيش كبير لصد السري، فالتقوا في قمن(٤٦٠)، وتحاربوا فيها، وأخيرا انهزم السري وأنصاره من بني مدلج، ووقع السري وابنه ميمون في الأسر، وباتا ينتظران مصيرهما الذي أصبح بيد سليمان بن غالب(٤٦١)، الذي أحسن إليهما لما أمر بوضعهما في قيودهما، وردهما إلى مكان نفيهما بأخميم، فوضعا في سجن هناك للمرة الثانية في جمادى الأولى سنة ٢٠١هـ-٨١٩م.

تمرد أهل خراسان بمصر على واليها سليمان بن غالب سنة ٢٠١هـ/٨١٩م:

ولي سليمان بن غالب البجلي مصر بمبايعة أهل خراسان والجند له في شهر ربيع الأول سنة ٢٠١هـ/٨١٩م(٤٦٢)، إلا أن سليمان اتبع في ولايته بمصر سياسة تفضيل أتباعه وأنصاره على من سواهم وتقديمهم على غيرهم، لاسيما أهل خراسان الذين جاءوا به إلى إمارة مصر، وزاد من خطورة هذه السياسة أن استغل أتباع سليمان وأنصاره هذه السياسة فأصبحوا يتطاولون ويترفعون على غيرهم، مما زرع

---

(٤٥٨) أخميم: مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجيبة الشأن في صعيد مصر، تقع شرقي النيل وتبعد عنه مسافة ميلين وقريبة من البلينا، وبها البناء العظيم الذي بناه هرمس الأكبر قبل طوفان نوح – عليه السلام – ويسمى بربا أو بربى، وهو بيت عظيم من الحجر فيه بعض صور الكواكب والصنائع وصناعها، وجمل من الكتابات للأوائل لا تفهم، إلى جانب كتابات لبعض العلوم، ولذلك تسمى بالآثار السحرية، لذلك كان المصريون يباهون بهاموسى بن عمران – عليه السلام – الفهرست لابن النديم ٥٠٥/١، تاريخ بغداد ٣٩٣/٨، رحلة إبن بطوطة ٦٧/١، نزهة المشتاق ١٢٥/١ – ١٢٦، الأنساب للسمعاني ٩٦/١، تاريخ إبن خلدون ٨٢/٢.

(٤٥٩) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢٩ – ١٣٠

(٤٦٠) قمن: بفتح أوله وكسر ثانيه، قرية من قرى صعيد مصر، معجم البلدان ٣٩٨/٤.

(٤٦١) قال الشاعر معلي الطائي في انتصار إبن غالب علي السري:

إذا شن في أرض سليمان غارة	أثار بها نقعًا كثير المصائب
الم تر مصرا كيف داوى سقيمها	على حين دانت تسعد بالمصائب

تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣١ – ١٣٢.

(٤٦٢) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣١، تاريخ ابن خلدون ٢٨٥/٤، النجوم الزاهرة ١٦٨/٢.

الحقد والبغض في صدور الخراسانيين وغيرهم منهم ومن سليمان بن غالب، فعزموا على التنكر له والتمرد عليه، فعزم سليمان على الفتك بهم والتخلص منهم، حتى تصفو له الإمارة ويقوى أمره، لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب ظهور عباد بن محمد إبن حيان[٤٦٣] الذي استغل غضب المصريين وأهل خراسان وحنقهم على سياسة سليمان إبن غالب وأعوانه، فألب الناس عليه وحرضهم على عصيانه والتمرد عليه، فاستجابوا له وخلعوا سليمان بن غالب، وولوا مكانه عليًا بن حمزة[٤٦٤]، وذلك في شعبان سنة ٢٠١هـ/٨١٩م، وطالب الجند عباد بن محمد أن يبايع عليًا بن حمزة بولاية مصر، فامتنع عباد عن البيعة لعلي محتجًا أن الخليفة المأمون قد أرسل عمر ابن أعين[٤٦٥] رسولا إلى المصريين بولاية السري بن الحكم على مصر، أمرهم فيه بالبيعة للسري وطالبهم أن ينصاعوا له، فألح الجند على عباد على ضرورة أن يبايع لعلي بن حمزة، فامتنع عباد عن ذلك، ثم لحق بالجروي كما لحق به قبله سليمان بن غالب بعد خمسة أشهر من ولايته على مصر. في حين قدم عمر بن أعين مصر فسار إلى محبس السري بن الحكم بأخميم فاستخرجه منه، وسار معه إلى الفسطاط في شعبان سنة ٢٠١هـ /٨١٩م، فاستسلم لهم أهلها وسلم جميع الجند إلى السري بن الحكم بالولاية، ولما تمكن السري من الإمارة تتبع كل من كان قد حاربه أو انتهبه فجعل يقتلهم ويصلبهم، حتى انتظم سلطانه وقوي أمره[٤٦٦]، وكانت هذه هي الولاية الثانية للسري بن الحكم على مصر في شعبان سنة ٢٠١هـ/٨١٩م حتى موته بالفسطاط في جمادى الأولى سنة ٢٠٥هـ م[٤٦٧].

تمرد المصريين بزعامة عبد العزيز الجروي على الخليفة المأمون وواليه على مصر سنة ٢٠٣هـ/٨٣٠م:

ولي السري بن الحكم مصر بعهد من المأمون في شعبان سنة ٢٠١هـ/٨١٩م، وتخلص من كل خصومة وانتظم له الأمر وقوي سلطانه، ثم ورد عليه كتاب المأمون

---

(٤٦٣) ولي عباد مصر في رجب سنة ١٩٦هـ وعزل عنها في ربيع الأول سنة ١٩٩هـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٢١، النجوم الزاهرة ١٥٠/٢.

(٤٦٤)هو علي بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٢.

(٤٦٥) هو عمر بن أعين الهاشمي، أخو هرثمة بن أعين، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١١٧، تاريخ إبن خلدون ٣ ٢٧٧، النجوم الزاهرة ٢ ٢٧٤.

(٤٦٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤٦٧) المصدر السابق ـ ص ١٣٦.

في المحرم سنة ٢٠٢هـ/٨٢٠م بأمره بالبيعة لعلي الرضا بن موسى بن جعفر(٤٦٨) بولاية العهد، فأجابه السري ودعا المصريين إلى البيعة لعلي الرضا، فأجابه بعضهم وامتنع الآخرون(٤٦٩).

كان إقدام المأمون على بيعة علي الرضا بولاية العهد من بعده، قد أغضب عليه أكثر أهل بيته من العباسيين، الذين خلعوه وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي(٤٧٠) في بغداد خليفة عليهم، فكتب إبراهيم إلى وجوه أهل مصر وجندها بالبيعة له في مصر ورفض بيعة علي الرضا وخلع المأمون ويأمرهم بالوثوب على السري بن الحكم والي المأمون على مصر، وكان على رأس من كاتبهم بمصر عبد العزيز الجروي في تنيس قاعدة المتمردين والمعارضين، بالوجه البحري يأوون إليها في الملمات لطلب العون والمساعدة، حتى أصبحت تنيس تمثل قاعدة التمرد ضد المأمون وعلي الرضا والسري

(٤٦٨) هو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – ولد سنة ١٥٣هـ بالمدينة، ولقب بعلي الرضا وهو عند الشيعة من الأئمة الاثنى عشر حيث عهد أبوه موسى الكاظم بإمامته من بعده، ومن ألقابه أيضا الصابر والمزكي والولي ولكن اشتهر بالرضا، وأمه أم ولد تسمى أروى، ويذكر المؤرخون أن المأمون استحضر أولاد العباس – على ذهنه – رجالا ونساء وهو بمرو، فكانوا نحوا من ثلاثة وثلاثين ألفا من كبير وصغير، ونظر فيهم فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بولاية عهده من علي الرضا فاستدعاه وأحسن منزلته وزوجة ابنته أم حبيب سنة ٢٠٢هـ، وبايعه بولاية العهد، ثم أمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، واستبدله بالخضرة ثم جعل أخاه إبراهيم بن موسى على موسم الحج ثم ولاه اليمن، وأمر المأمون بضرب اسم علي الرضا على الدرهم والدينار، ولما نما هذا الخبر إلى بني العباس في العراق، اعتبروا ذلك من المأمون خروجا على مبادئ دعوة بني العباس، فخلعوه وبايعوا لإبراهيم المهدي في المحرم سنة ٢٠٢هـ ثم خلع المأمون بعد ذلك على الرضا من ولاية العهد سنة ٢٠٣هـ ومات بعدها علي الرضا بأيام مسموما في عنقود عنب، المعارف ١٦٧/٧، تاريخ بغداد ٣٣٠/٧، البدء والتاريخ ١٢١/١، تاريخ دمشق ١٦٧/٧ – ١٦٨، تاريخ حلب ٢٣٨/٥، وفيات الأعيان ٢٦٩/٣ – ٢٧٠، مقدمة ابن خلدون ٢٠١/١، تاريخ ابن خلدون ٣١٣/٣، ٣٨/٤، النجوم الزاهرة ١٧٤/٢، سمط النجوم العوالي ١٤٧/٤، ١٨٥.

(٤٦٩) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤٧٠) هو إبراهيم بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، كان فصيحا أديبا شاعرا، رأسا في معرفة الغناء وأبوابه، ولي إمرة دمشق للرشيد، يكنى أبا إسحق الأمير الكبير كان يعرف بالتنين لأنه كان أسود حالك السواد ضخم القامة، كان أول خارج من أولاد بني العباس ثم من أولاد الخلفاء، كانت أمه تسمى شكلة وأصلها من طبرستان ويقال أنها ابنة ملكهم، بايعه أهل بغداد وسموه المبارك المنير في سنة ٢٠٢هـ وكانت أيام خلافته كلها سنتين إلا ثمانية عشر يوما، حتى قبض عليه المأمون سنة ٢٠٤هـ ثم عفا عنه وسكنت الفتنة، ووقع لإبراهيم في خلافته أمور وفتن وحروب آلت في النهاية إلى خلعه وهروبه واختفائه، وتنقل في خمسة أحوال، حال أولادا لخلفاء، ثم حال الخليفة، ثم حال الندماء، ثم صار في حال المغنين ثم كان في نهاية حياته شيخ بني هاشم، تاريخ خليفة ٤٧٠/١، المعارف ٣٨٨/١، تاريخ الطبري ١٤٠/٥، تاريخ بغداد ١٤٢/٦، الفهرست ١٦٨/١، الأنساب للسمعاني ٥٥١/٣، تاريخ دمشق ١٦٥/٧، الكامل في التاريخ ٤٤١/٥، الحلة السيراء ١٦٦/١، سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٠، العبر للذهبي ٣٣٥/١، مرآة الجنان ١١/٢، مقدمة ابن خلدون ١٦٠/١، تاريخ ابن خلدون ١٣/٤، مآثر الإنافة ٢١١/١، النجوم الزاهرة ١٧٣/٣، تاريخ الخلفاء ٣٠٧/١.

بن الحكم، وقاعدة المبايعين لإبراهيم بن المهدي(٤٧١)، وكان مع إبن الجروي سليمان بن غالب بن جبريل والي مصر السابق وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الجبار الأزدي وقد أجمعوا على ولايته على مصر بدلا من السري بن الحكم، والذي أخذ أهبته لصد هذا التمرد، فقابلهم وحاربهم في صفر سنة ٢٠٢هـ/٨٢٠م وعليهم عبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي، فهزمهم إبن السري وأسر عبد العزيز بن الجبار وجمع غفيرًا من أهل بيته، وقتل بعضا منهم وبعث البعض الآخر مع ابنه عبد الصمد بن السري فقتلهم عنده، ومن نجا من أتباع عبد العزيز بن عبد الجبار هرب إلى تنيس(٤٧٢).

ولحق بالجروي في تنيس كل كاره ومعارض لبيعة علي الرضا بولاية عهد المأمون، حتى أصبح الجروي في منعة وشدة سلطان، عندئذ بدأ في شن سلسلة تمردات ضد السري بن الحكم حيث أقبل عبيد الله بن السري بن الحكم، في جيش صوب الفسطاط للاستيلاء عليها، وكانت تحت إمرة سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي، وكان من أتباع الجروي، فالتقى عبيد الله مع سلامة الطحاوي في معركة في طحا(٤٧٣) فاقتتلوا، وانهزم سلامة الطحاوي ووقع في أسر عبيد الله بن السري فبعث به إلى أبيه السري الذي كان بالفسطاط فأطلق سراحه، فذهب سلامة إلى الجروي بتنيس، في وقت كان عبد العزيز بن الجروي، يستعد للسير إلى الإسكندرية للاستيلاء عليها من أيدي الأندلسيين(٤٧٤)، وخرج معه سلامة فحاصرهم فيها وشدَّ عليهم حتى ضاقوا من الحصار فطلبوا الصلح مع الجروي مقابل فتح الحصن له، ووافق الجروي وفتحوا له الحصن فدخله سلامة الطحاوي مع إبن الجروي ودعا سلامة للجروي فيها، وعقد الجروي لمعاوية بن عبد الواحد بن حديج عليها، ثم أرسل الجروي سلامة الطحاوي في جمع كثير من الجند إلى الصعيد، فدخلها وأخرج عمال السري منها ودعا إلى الجروي فيها(٤٧٥).

عزم عبد العزيز الجروي على مواجهة السري بن الحكم بنفسه، واستعد السري لملاقاته بأعظم ما قدر عليه حيث أرسل ابنه ميمون بن السري على رأس جيش بري عظيم إلى شطنوف وأمده بأسطول من المراكب المشحونة بالرجال والسلاح في النيل، واستعد إبن الجروي أيضا برا وبحرا والتقى الجمعان في شطنوف في جمادى سنة

---

(٤٧١) كان مع إبن الجروي في تمرده الجارث بن زرعة بن قحزم بالفسطاط، وسلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي في الصعيد، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٣.

(٤٧٢) المصدر السابق نفسه.

(٤٧٣) طحا: لغة من الطحو، والطحو والدحو بمعنى واحد وهي البسط وفي الاصطلاح هي قرية شمال صعيد مصر غربي النيل، وإليها ينتمي أبو جعفر أحمد بن حمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، الفهرست ٢٩٢/٢، نزهة المشتاق ١٢٥/١، الأنساب للسمعاني ٤ ٥٢، معجم البلدان ٢٢/٤، لسان العرب ٤/١٥.

(٤٧٤) خرج عبد العزيز بن الجروي قبل ذلك لنفس الهدف في المحرم سنة ٢٠١هـ في خمسين ألفا من جنوده وكاد أن يفتحها لولا أن السري بن الحكم، ارسل جيشا بقيادة عمرو بن وهب الخزاعي ليهاجم تنيس بمصر دار الجروي وقاعدته. فرفع إبن الجروي الحصار ورجع لحماية تنيس، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤٧٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٠.

٢٠٣هـ - ٨٢١م[٤٧٦]، ودار القتال برا وبحرا فانهزم ميمون بن السري وقتل، فأقبل الجروي في مراكبه ودخل الفسطاط وعزم على إحراقها، لولا أن خرج إليه أهل المسجد الجامع وسألوه الكف عن إحراق الفسطاط فاتصاع لهم، وانصرف عنها[٤٧٧]. وقوي سلطان الجروي ونفوذه بمصر أكثر وأكثر حتى شهر رمضان سنة ٢٠٣هـ/٨٢١م، عندما أتى أهل مصر خبر موت علي الرضا بن موسى ولي عهد المأمون والقضاء على خلافة إبراهيم بن المهدي ببغداد، فأظهر جند مصر حينئذ البيعة للمأمون مرة أخرى ودعوا الناس إلى بيعته - كل ذلك ولم يأت مصر بعد كتاب المأمون للسري بن الحكم يأمره بذلك - وعند وصول كتاب المأمون إلى السري أمره فيه ببيعة المصريين له، وأن يُغسل المنابر التي دعي عليها لعلي الرضا[٤٧٨].

أما الأندلسيون بالإسكندرية لما سمعوا بذلك، ثاروا على معاوية بن عبد الواحد بن حديج عامل الجروي عليها فأخرجوه منها وأغلقوا الحصن دونه، وأعلنوا خلع عبد العزيز الجروي وبيعة السري بن الحكم، مما أغضب الجروي، فجمع الجيوش وتوجه إلى الأندلسيين في رمضان سنة ٢٠٣هـ - للمرة الثالثة - وهو على إخراجهم من الإسكندرية، فاعترضته في طريقه للإسكندرية قبط سخا بمساعدة بني مدلج قبل أن يدخلها فتحالفوا معًا وخرجوا في ثمانين ألفا لملاقاته، إلا أن الهزيمة كانت من نصيب المعترضين، ففرت بنو مدلج هاربة[٤٧٩]. وبعث السري بن الحكم أخاه داوود بن الحكم في جيش إلى الصعيد لقتال قائد الجروي هناك سلامة بن عبد الملك الطحاوي، فالتقوا هناك في ذي القعدة سنة ٢٠٣هـ/٨٢١م، فانهزم سلامة وأسر هو وابنه إبراهيم، فبعث بهما داوود بن الحكم إلى الفسطاط فقتلا يوم السبت لتسع عشرة خلت من المحرم سنة ٢٠٤هـ/٨٢٢م[٤٨٠].

كان السري بن الحكم يخاف على نفسه وملكه بعض وجوه جند مصر، فأجمع على الغدر بهم فجمعهم وأخبرهم أن رسولًا قد قدم من قبل طاهر بن الحسين، وأشار عليهم أن يشاركوه في استقباله فخرجوا في النيل في مركب وخرج معهم في مركب آخر، وحمل معهم في مركبهم أخاه إسماعيل بن الحكم حتى ينطلي عليهم الأمر، ثم جعل

---

(٤٧٦) المصدر السابق نفسه، معجم البلدان ١٤٤/٣، ٣٤٤.

(٤٧٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٤.

(٤٧٨) تاريخ ولاة مصر ص ١٣٤، تاريخ بغداد ٣٣٠/٧، تاريخ دمشق ١٦٨/٧، تاريخ حلب ٣٢٨٠/٥، وفيات الأعيان ٢٧٠/٣، تاريخ ابن خلدون ٣١٣/٣، النجوم الزاهرة ١٧٤/٢.

(٤٧٩) قال الشاعر معلي الطائي بعد هزيمة قبط سخا وهروب بنو مدلج:

فقل لأمير المؤمنين نصيحة ... وما حاضر شيئا كآخر غائب

لقد حصنت عبد العزيز بسيفه ... ولولاه كنا بين قتل وناهب

تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٥.

(٤٨٠) المصدر السابق - ص ١٣٥.

في باطن مركبهم غلاما له وأمره أن يجعل في المركب خرقًا كبيرا، ففعل الغلام ما أمر به، فغرقوا وغرق معهم إسماعيل فأخرجوا أمواتًا(٤٨١).

بعث الجروي جيوشًا لمحاصرة الإسكندرية في شعبان سنة ٢٠٤هـ/٨٢٢م – للمرة الرابعة – وحاصرهم الجروي وشدد عليهم الحصار ونصب عليهم المنجنيقات، واستمر الحصار حتى صفر سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م سبعة أشهر لم يرفع الجروي الحصار عن أهل الإسكندرية، حتى أصابته فلقة حجر منجنيق فأردته قتيلا في صفر سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م، ثم لحق به السري بن الحكم بعد ثلاثة أشهر من نفس العام فمات بالفسطاط في جمادى الأولى سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م بعد ولاية دامت نحوا من ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا(٤٨٢).

استخلف السري بن الحكم عند موته على ولاية مصر(٤٨٣) ابنه محمد إبن السري(٤٨٤)، فوليها في جمادى الآخرة في سنة ٢٠٥هـ/٨٢٣م، وعزم محمد على مواصلة دور أبيه السري في القضاء على عليّ بن الجروي الذي خلف أباه في مواصلة التمرد على إبن السري، فسار كلٌ منهما إلى صاحبه بمراكبه في النيل فالتقوا بشطنوف، فانهزم جيش إبن السري وكان عليه أخوه أحمد بن السري وفر هاربا، فأحسن فيه علي بن الجروي الظفر فلم يتبعه(٤٨٥).

رجع أحمد إلى أخيه أبي نصر منهزمًا فأرسله في مراكب مرة أخرى لقتال إبن الجروي فالتقوا في دمنهور وكثر القتل في الفريقين حتى بلغ نحوا من سبعة آلاف، انصرف بعدها أحمد بن السري إلى الفسطاط فتبعه أبو ثور اللخمي قائد إبن الجروي في المراكب حتى جسر الفسطاط وعزم على إحراقها، لولا استغاثة أهلها به فامتنع أبو ثور

---

(٤٨١) كان على رأس هؤلاء القتلى غرقا وغدرا: عباد بن محمد بن حيان والي مصر من قبل، وعوف بن وهب الخزاعي، وعلي بن أبي عون، وعلي بن إبراهيم، ورجل يدعى أخو الرافقي، تاريخ ولاة مصر ص١٣٥ - ١٣٦.

(٤٨٢) المصدر السابق ص ١٣٦.

(٤٨٣) لم يكن تحت يد السري عند موته من ملك مصر سوى الفسطاط والصعيد والحوف الغربي، بينما كان تحت يد عبد العزيز الجروي عند موته مصر السفلى والحوف الشرقي، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٦.

(٤٨٤) هو الأمير محمد بن السري بن الحكم بن يوسف أبو نصر الضبي البلحي كان أصفر اللون فلقب بالأصفر، تاريخ ولاة مصر ص ١٤٣، النجوم الزاهرة ١٧٨/٢.

(٤٨٥) قال الشاعر سعيد بن عفير يحرض عليّ إبن الجروي ضد أحمد بن السري عقب معركة شطنوف:

ألا مــــن مبلــــغ عنــــي عليــــا ... رســالة مــن يلــوم علــى الركــوك
عــلام حبســت جمعــك مســتكفيا ... بشــط النــوف فــي ضــنك ضــنوك
وقــد ســنحت لــك الغفــران ... ممــن رمــاك بجيشــه الــوهين الركيــك
أمــن بقيــا فــلا بقيــا لمــن لا ... يــراها عــند فــرصتــه عــليــك

كلمة (الركوك) تعني عند الزمخشري الصلح، وشط النوف هي شطنوف، وقول إبن عفير (عليك) في نهاية القافية في آخر الأبيات. هي عيب عند ياقوت الحموي لأنها تعني هنا الإيطاء، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ص ١٣٦ - ١٣٧، الفائق للزمخشري ٢ /٨٢، معجم البلدان ٣ /٣٤٥.

عن ذلك، فأرسل محمد بن السري أبو حرملة فرج الأسود رسولا من لدنه الى علي ابن الجروي يسأله الصلح، فاصطلحا على أن يكف كلٌ منهما عن صاحبه(٤٨٦)، ثم ما لبث أن مرض محمد بن السري ولزم ثم مات في شعبان سنة ٢٠٦هـ/٨٢٤م، بعد سنة وشهرين من ولايته(٤٨٧).

تمرد/ عبيد الله بن السري(٤٨٨) على الوالي خالد بن يزيد(٤٨٩) سنة ٢٠٧هـ-٨٢٥م:

ولي عبيد الله بن السري إمرة مصر، عقب وفاة أخيه محمد، بمبايعة الجند له في شعبان سنة ٢٠٦هـ - ٨٢٤م، والتزم بعقد الصلح الذي كان قد أبرمه أخوه محمد مع غريمه علي بن الجروي(٤٩٠)، واستمر عبيد الله على الولاية يصلح ما بها من فساد حتى كتب المأمون إلى خالد بن يزيد الشيباني بالعراق يأمره أن يسير إلى مصر ومعه عمر بن فرج الرخجي في نهاية سنة ٢٠٦هـ/٨٢٤م، وأمرهما أن يتكاتفا على النظر في مصلحة مصر، فإذا ما تم فتحها كان خالد على الصلاة وعمر على الخراج(٤٩١)، سار خالد من العراق مارًّا بفلسطين حتى وصل إلى مصر في جيش من بني ربيعة(٤٩٢).وأفناء الناس، وكان علي بن الجروي متغلبا على أسفل مصر، فلما دنا منه خالد وعمر، كتب إليهما إبن الجروي أنه في السمع والطاعة ولم يزل كما كان أبوه كذلك أيضا على الطاعة، وأن كتبه وأبيه التي تؤكد ذلك لم تزل موجودة(٤٩٣)، فاتجه خالد وعمر إلى أسفل مصر حيث قدّم لهما إبن الجروي كافة المعونة والإنزال، ودله على الطرق المؤدية إلى إبن السري(٤٩٤). وأقام خالد

(٤٨٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٤٨٧) النجوم الزاهرة ١٧٨/٢.

(٤٨٨) هو عبيد الله بن السري بن الحكم بن يوسف بن المقوم الضبي البلخي، كان أمرد لا لحية له فلقب بالأمرد، كان شابا عاقلا مدبرا حازما سيوسًا، مهد الديار المصرية وأصلح الفساد حتى أحبه المصريون، تاريخ اليعقوبي ٤٦٠/٢، تاريخ الطبري ١٧٣/٥ — ١٧٥، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٧، الكامل في التاريخ ٤٨٣/٥، وفيات الأعيان ٨٧/٣ — ٨٨، مآثر الإنافة ٢١٤/١، النجوم الزاهرة ١٧٨/٢.

(٤٨٩) هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك، أبو يزيد بن أبي خالد الشيباني، الشاعر البغدادي أمير من بيت إمرة ووجاهه وشجاعة وكرم ورئاسة، مدحه الشعراء لفضله وكرمه وقدره، معجم ما استعجم ٤٢٢/١، تاريخ حلب ٣١٨١/٧ — ٣١٨٢، وفيات الأعيان ٣٤٢/٦، الوافي بالوفيات ١٦٩/١٣.

(٤٩٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٧.

(٤٩١) تاريخ اليعقوبي ٤٥٦/٢.

(٤٩٢) تنسب بني ربيعة الى: ربيعة بن كعب بن سعد بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مرة بن اد بن طابخة، معجم ما استعجم ٢٣٩/١، معجم البلدان ١٤٧/١، ٣٧/٣.

(٤٩٣) تاريخ اليعقوبي ٤٥٦/٢.

(٤٩٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٧ - ١٣٨.

وعمر شهورا يكاتبان عبيد الله بن السري حتى يسلم لهما مصر، فامتنع عبيد الله بحجة أن معه كتابًا من المأمون بولايته على مصر، فعزم خالد على السير إليه وانتزاع الأمر منعه انتزاعًا، وترك عمر بن فرج مكانه، وزحف هو بجيشه ومعه ما أمده الجروي به من عدة وعتاد[٤٩٥]، فأرسل عبيد الله بن السري أخاه أحمد إبن السري لمنع خالد من الاقتراب من الفسطاط، فالتقى خالد بن يزيد بأحمد بن السري بفاقوس[٤٩٦]، فاقتتلوا ثم تحاجزوا، فجد خالد في السير إلى عبيد الله بالفسطاط، وكان كلما مر بقرية في طريقه جبى خراجها، في المقابل كان عبيد الله بن السري يستعد لملاقاته فحفر خندقا حول الفسطاط وحرض أصحابه على القتال وحفّزهم على المواجهة ففرض لهم فروضا[٤٩٧]، ثم خرج بهم من الفسطاط في ربيع الأول سنة ٢٠٧هـ لملاقاة خالد بن يزيد في دمنهور الشهيد[٤٩٨]، فاقتتلوا قتالا شديدا استمر ثلاثة أيام متواصلة، حتى كان اليوم الرابع كرَّ عبيد الله بن السري على جيش خالد بن يزيد فصبحهم بالهجوم بغتة فانهزموا عنه، ورجع خالد إلى دمنهور الشهيد فتبعه عبيد الله إليها، فسعى بينهما رجال من الجند حقنا للدماء، فكان كلاهما يحتج بكتاب المأمون إليه[٤٩٩]. ففشلت مساعي الصلح واستعرت نار القتال بين الطائفتين في مستهل ربيع الآخر سنة ٢٠٧هـ/٨٢٥م، وانتشرت جثث القتلى من الفريقين حتى ملوا الحرب وكرهوها، فانسحب خالد ورجع إلى الحوف بأسفل مصر، ثم أقبل فيضان النيل، ولما ثقل مقام خالد بن يزيد على عليّ بن الجروي مكر به ليخرجه من أرضه فقال له: "إني لا أرى لك أن تقيم في بلاد قيس وهم جند الحوف، وهذا النيل قد مد فتصير أسيرًا في أيديهم، وقد رأيت أن أقدم لك سفنًا تجوز فيها: إلى عدى النيل وأمدك بالطعام والعلف، فإذا انكشف النيل عدت إلى موضعك"[٥٠٠]. فأجابه خالد وصدّقه فقدم إليه إبن الجروي مراكبه فعدى معه فيها النيل حتى صار

(٤٩٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٥٦.

(٤٩٦) فاقوس: مدينة بحوف مصر الشرقي، تعتبر آخر ديار مصر من جهة الشام في جوفها الأقصى، نزهة المشتاق ١/٣٤٦، معجم البلدان ٤/٢٣٢.

(٤٩٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٨.

(٤٩٨) دمنهور الشهيد: قرية قريبة من الفسطاط على بعد أميال قليلة منها، وهي خلاف دمنهور المدينة الكبيرة الواقعة بالقرب من الإسكندرية، معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٤٩٩) علق الشاعر سعيد بن عفير على موقف خالد وعبيد الله من إمرة مصر قائلا:

يا أيها المتحاربان وإنما ... دعواهما المأمون في الصدقات
هل ترجعان إلى التقية والتقى ... وتتاركان تغاور الغارات
حتى يجيء منا لخليفة أمره ... فيميز بين الحق والشبهات

تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٨.

(٥٠٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

إلى نهيا[٥٠١] فنزل بالجهة المقابلة، وانصرف إبن الجروي وتركه في رمل نهيا في ضر وجهد شديدين، وعبر النيل إلى تنيس وقد أسلم خالد صيدا سهلا ثمينًا لغريمه عبيد الله بن السري الذي ما إن انكشف النيل فانحسر ماؤه حتى خرج من الجيزة إلى خالد بنهيا في رمضان سنة ٢٠٧هـ /٨٢٥م[٥٠٢]، فتحاربا ولما اشتد القتال انخذل جند إبن الجروي الذين كان قد استبقاهم معه لنصرته ومساعدته، فحارب خالد ساعة في مواليه وعشيرته، فكاثره عبيد الله وجنوده حتى تمكن منه وأوقع خالدًا في الأسر[٥٠٣]. واستأمن جل جيشه ودخل بهم إلى الفسطاط، ودعا عبيد الله إبن السري خالدًا بن يزيد وسأله عما ضاع له من مال فأعطاه أضعافه، ثم منَّ عليه فخيره بين المقام عنده بمصر أو أن يخرج حيث شاء، فاختار الخروج[٥٠٤]، فحمله عبيد الله في البحر وزوده وأجازه من القلزم إلى مكة ومنها إلى العراق، بعد أن أقام عنده معززًا مكرمًا ما في أحسن حال وأجملها، لذلك كان خالد يقول: "ما شكرت أحد شكري لعبيد الله بن السري، فلقد أحسن إليَّ كل الإحسان، لولا أنه حملني في البحر وأقام عمر بن الفرج[٥٠٥]، بأسفل أرض مصر"[٥٠٦].

أتى مصر في هذه الأثناء حماد بن أبي سمين رسولا من المأمون يحمل كتابًا منه باقتسام ولاية مصر بين عبيد الله بن السري وعليّ بن الجروي بحيث يكون كل على ما تحت يده، بشرط أن يؤدي كلاهما خراج ما في يده إلى المأمون[٥٠٧]، وهو يعلم أن أحدهما حتمًا سيقضي على الآخر، وبالفعل لما حاول إبن الجروي جباية خراج ما تحت يده، امتنع عنه بعض أهل الحوف، واستنجدوا بعبيد الله بن السري يطلبون نصرته على إبن الجروي، فأمدهم بأخيه أحمد بن السري في جيش[٥٠٨]، فالتقى جيش إبن الجروي في قرية تسمى بلقينة[٥٠٩]، في صفر سنة ٢٠٧هـ/٨٢٥م،

---

(٥٠١) نهيا: قرية بالجيزة في مصر، بها دير من أحسن الديارات بمصر وأطيبها موضعًا وموقعًا عامر برهبانه وسكانه، يحيط به الماء من كل جانب، معجم البلدان ٥٣٩/٢، ٣٢٨/٥

(٥٠٢) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٩.

(٥٠٣) تاريخ اليعقوبي ٤٥٧/٢.

(٥٠٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٩.

(٥٠٥) يذكر اليعقوبي أنه لما اشتدت الحرب بين علي بن الجروي وابن السري حمل إبن الجروي عمر بن الفرج من أسفل مصر في حراسة من عنده حتى أوصلته إلى مكة، تاريخ اليعقوبي ٤٥٧/٢.

(٥٠٦) المصدر السابق نفسه.

(٥٠٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٩.

(٥٠٨) في حين خرج عبد الله بن الفسطاط فعكسر بالبشون ثم نفرا من كور حوض مصر الغربين انتظارا لما تسفر عنه المعارك، تاريخ ولاة مصر ص ١٤٠، معجم البلدان ١ ٣٣٨.

(٥٠٩) بلقينة: بالضم، وأحيانًا تنطق بالفتح، كسر القاف وياء ساكنة، قرية من حوف مصر من كورة بنا، ويقال لها الشوب وأيضًا بلكرمانية، وبلقينة تقع بالقرب من المحلة الكبرى. نزهة المشتاق ١ ٣٤٠، معجم البلدان ١ ٤٨٩، ٥٠٦، النجوم الزاهرة ١٠ ٢١٧، ذيل طبقات الحفاظ ١ ٩٣.

فاقتتلوا بها ثم نقلوا رحى الحرب إلى قرية محلة أبي الهيثم[٥١٠]، في نهاية صفر وأوائل ربيع الأول من نفس العام، انصرف بعدها إبن الجروي بجيشه إلى دمياط[٥١١]، في حين اتجه أحمد بن السري إلى محلة شرقيون فدخلها وأمر بنهبها، وكان هذا العمل من أخطر ما قدم عليه إبن السري، ثم أرسل عبيد الله بن السري بعض أصحابه إلى تنيس ودمياط فدخلوها ثم لحق بهم عبيد الله ودخل تنيس في ربيع الأول سنة ٢٠٩هـ/٨٢٧م، فهرب إبن الجروي إلى طناح[٥١٢] ثم إلى الفرما[٥١٣] ثم العريش فنزل فيما بينها وبين غزة[٥١٤]، وأغار علي بن الجروي في مستهل جمادى الآخرة سنة ٢٠٩هـ/٨٢٧م، فهرب أصحاب عبيد من تنيس ودمياط ولحقوا بالفسطاط، ثم اتجه إبن الجروي إلى شطنوف، فجمع له عبيد الله الجموع مستعدا للقائه بعمل عدة أكمنة سرية للانقضاض عليه وأرسل له جيشا عليه محمد بن سليمان بن الحكم، واشتعلت الحرب في شطنوف في الثامن عشر رجب سنة ٢٠٩هـ/٨٢٧م، وكسب علي بن الجروي الجولة الأولى من الحرب في أول النهار، فلما كانت نهاية ذلك اليوم خرجت الأكمنة التي أعدها إبن السري فانقضت على جيش إبن الجروي ففر هاربا إلى العريش، ودخل عبيد الله بن السري تنيس ودمياط مرة أخرى[٥١٥]، ولكنه لم يهنأ بدخوله حتى عاجله إبن الجروي، بالهجوم في المحرم سنة ٢١٠هـ/٨٢٨م، فتركها إبن السري ودخل إبن الجروي تنيسًا دون قتال، ثم مضى إلى محلة شرقيون، فأرسل إليه إبن السري أسطولًا في النيل عليه قائده محمد بن سليمان بن الحكم، فأرسل إليه إبن الجروي قائده إبن غصين السعدي فالتقيا في طوخ[٥١٦]، فانهزم إبن غصين، وبلغ إبن الجروي هزيمة قائده إبن السعدي فمضى إلى الهورين[٥١٧] ثم إلى جرجير[٥١٨].

---

(٥١٠) محلة أبي الهيثم: قرية تقع في الضفة الغربية لخليج المحنة، بينها وبين ترعة بلقينة خمسة عشر ميلا، وتشتهر بكثرة البساتين والجنان والعمارة، نزهة المشتاق ٣٣٩/١ ـ ٣٤٠.

(٥١١) تاريخ ولاة مصر ص ١٤٠.

(٥١٢) طناح: قرية تقع على الضفة الغربية من خليج تنيس قرب الفرما. نزهة المشتاق ٢٣٥/١.

(٥١٣)الفرما: مدينة بمصر على ساحل بحر القلزم: بينها وبين القلزم سبع مراحل. وتقع الفرما على شط بحيرة تنيس، والفرما مدينة حصينة بها قبر جالينوس اليوناني، وسميت بالفرما نسبة الى أخي الإسكندرية وكان يسمى فرما، نزهة المشتاق ٣٤٨/١، عيون الإنباء ١٣٤/١، لسان العرب ٤٥٣/١٢، سير اعلام النبلاء ١٩٨/١٥.

(٥١٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٠.

(٥١٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٥١٦) تقع بالحوف الغربي وتسمى طوخ مزيد، معجم البلدان ٤٦/٤، وذكرها أيضا السخاوي باسم طوخ مزيد، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت سنة ٩٠٢هـ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ منشورات دار مكتبة ـ بيروت ـ د. ت. ٥، ١٩١، ٧ ٨٧.

(٥١٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤١.

(٥١٨) جرجير: موضع يقع ما بين مصر والفرما، نزهة المشتاق ٣٤٦/١، معجم ٢ ١٢٣.

تمرد/ عبيد الله بن السري على الوالي عبد الله بن طاهر[519] سنة ٢١٠هـ/٨٢٨م:

أرسل الخليفة المأمون رسولا إلى مصر في نهاية سنة ٢٠٧هـ/٨٢٥م، باقتسام إمرة مصر بين عبيد الله بن السري وعلي بن الجروي، على أن يؤدي كلٌّ منهما خراج ما تحت يده، وقامت الحروب بينهما وكانت نتائجها دولا بين الطرفين، وعزم عبيد الله إبن السري على الخروج على المأمون، الذي لما بلغه ذلك استدعى عبد الله بن طاهر وقال له: "إني استخرت الله منذ شهر، وقد رأيت الرجل يصف ابنه ليطريه وليرفعه، وقد رأيت أنك فوق ما وصف أبوك، وقد مات السري بن الحكم وولى ابنه عبيد الله وليس بشيء، وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة الخوارج فيها"[520]. فقال عبد الله بن طاهر "السمع والطاعة وأرجو الله أن يجعل الخير لأمير المؤمنين"، فعقد له المأمون لواء مكتوبا بألقاب عبد الله بن طاهر وزاد فيه (يا منصور)[521]

قدم عبد الله بن طاهر مصر سنة ٢١٠هـ - م، وكان فتى حدثا في وقت كانت مصر مفتونة، غلب على كل ناحية منها غالب والناس منهم في بلاء. فعمل طاهر على إصلاح الفساد وتأمين البريء وإخافة السقيم، حتى تستوثق له الرعية بالطاعة[522]. لما أتى عبد الله بن طاهر إلى مصر قادما من الشام تلقاه علي إبن الجروي بالأموال والإنزال، ثم انضم إليه بمن معه، وبدأ عبد الله يرسل إلى عبيد الله بن السري يدعوه إلى السمع والطاعة، فلم يجبه إلى ذلك[523]، ونزل عبد الله إبن طاهر ومعه إبن الجروي إلى بلبيس، ومن هناك أعاد مراسلة إبن السري ودعاه إلى السمع والطاعة، وأنذره عواقب التمرد والعصيان وأرهبه منه ثم مناه ورغبه إن هو عدل عن التمرد وأطاع، وبينما عبيد الله على موقفه من العصيان، وفي الوقت نفسه يرسل أبا صالح حماد بن المخارق التميمي رسولا منه إلى الخليفة المأمون يطلب منه الأمان، في وقت كان عبد الله بن طاهر قد أرسل أيضا إلى المأمون يطلب لعبيد الله بن السري الأمان[524].

وكان إبن السري يعد العدة لمواجهة عبد الله بن طاهر، حيث حفر خندقه حول الفسطاط، ثم شحن سفنه في النيل بالجند وجعل عليها قائدا له يدعى إبن الأكشف، وابن

(٥١٩) هو الأمير أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان بن أسعد بن زادان مولى خزاعة المصيصي، ولد سنة ١٨٢هـ وتأدب في صغره فقرأ العلم والفقه، ثم سمع من وكيع ومن عبد الله المأمون، فكان عبد الله بارع الأدب حسن الشعر، تقلد الأعمال الجليلة وكان على رأسها إمرة خراسان أجل أعمال المشرق، ثم ولي إمرة مصر من قبل المأمون في ربيع الأول سنة ٢١١هـ تاريخ الطبري ١٧٤/٥، الكامل في التاريخ ٤٨٠/٥، تاريخ إبن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ١٩١/٢.

(٥٢٠) النجوم الزاهرة ١٨١/٢.

(٥٢١) المصدر السابق ١٨٢/٢.

(٥٢٢) تاريخ الطبري ١٧٤/٥.

(٥٢٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٢.

(٥٢٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤١-١٤٢.

طاهر يغض الطرف عنه لعله يرجع عن غصيانه أو أن يصل أمان المأمون له، فتوانى عنه وتراخى، ثم رحل من بلبيس فنزل زفتى ومد جسرا وبعث قائده عيسى بن يزيد الجلودي(٥٢٥) إلى شطنوف ليرتاد للجيش موضعا يعسكر فيه(٥٢٦). فوصل الخبر إلى إبن السري فخرج إليه بمن استجاب معه من أصحابه فالتقى عيسى بن يزيد وكان في قلة من أصحابه، فجال عيسى جولة ثم أبرد إلى عبد الله بن طاهر يخبره خبر إبن السري، فحمل إبن طاهر رجاله على البغال على كل بغل رجلين بآلتهما وأدواتهما وجنبوا الخيل للقتال، وأسرعوا السير نحو الجلودي وابن السري(٥٢٧).

أقبلت من الشام سفنا لعبد الله بن طاهر فجعل عليها عليّ بن الجروي لخبرته بالحرب في البحر، فبعث إبن السري مراكبه لصدها وعليها أبو السرور عسامة بن الوزير الشيباني، وتقابل الطرفان على الحرب في الخامس من المحرم سنة ٢١١هـ/٨٢٩م، فلم تكن من عبد الله بن طاهر وأصحابه إلا حملة واحدة حتى انهزم عبيد الله بن السري وأصحابه، فلجأ إلى خندقه بالفسطاط فأقبل وراءه إبن طاهر فحاصره ودارت رحى المعارك حوله، وجعل إبن طاهر أصحاب عبيد الله بن السري يستأمنون شيئا فشيئا(٥٢٨)، وكان أولهم عسامة بن الوزير الشيباني فأمنه إبن طاهر(٥٢٩) حتى لم يبق مع إبن السري ممن كان يعتمد عليهم أحد، فلما رأى إبن السري ذلك أغلق على نفسه وعلى أصحابه أبواب الفسطاط وحاصره إبن طاهر فيها ولم يعاوده إبن السري الحرب بعد ذلك، حتى أرسل إليه إبن السري ليلا هدية تشمل ألف وصيفة ووصيف يحمل كل منهم كيسًا به ألف دينار(٥٣٠)، لعله يرفع عنه الحصار فردد إبن طاهر قول الله تعالى على لسان نبيه سليمان -عليه السلام- {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾}(٥٣١) وكتب إلى إبن السري: "و قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا"(٥٣٢).

(٥٢٥) الجلودي نسبة إلى قرية جلود - بالفتح ثم الضم - وهي بلدة بإفريقية، وتعرف عند أهلها باسم كدية وهي من القيروان، وقيل إن جلوذا أيضا قرية بالشام، وكان عيسى بن يزيد مع عبد الله بن طاهر عند قدومه مصر، ثم ولي عيسى مصر بعد ذلك باستخلاف عبد الله بن طاهر في ذي القعدة سنة ٢١٣هـ تاريخ اليعقوبي ٢/٤٦١، ٤٦٤ - ٤٦٥، تاريخ ولاة مصر ص ١٤٥، معجم البلدان ٢/١٥٦

(٥٢٦) تاريخ ولاة مصر ص ١٤٢.

(٥٢٧) المعارف ١/٣٩٠، تاريخ الطبري ٥/١٧٣ - ١٧٥، الكامل في التاريخ ٥/٤٨٣، وفيات الأعيان ٣/٨٨.

(٥٢٨) تاريخ اليعقوبي ٣/٤٦٠.

(٥٢٩) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٢.

(٥٣٠) تاريخ الطبري ٥/١٧٢، الكامل في التاريخ ٥/٤٧٩.

(٥٣١) سورة النمل الآية (٣٦ - ٣٧).

(٥٣٢) تاريخ الطبري ٥/١٧٢، الكامل في التاريخ ٥/٤٧٩.

لما رأى عبيد الله بن السري عزم عبد الله بن طاهر على مواصلة القتال وإصراره على دخول الفسطاط طلب منه إبن السري الأمان بشرط أن يسوغ له مأخذ ويطلق له جباية الصعيد شهرين، لاسيما وأن كتاب المأمون بأمان عبيد الله بن السري قد جاء إلى عبد الله بن طاهر مع رسول إبن السري أبو صاع التميمي يأمر فيه إبن طاهر بأمان إبن السري، فأجابه عبد الله بن طاهر إلى ما طلب وكتب إبن طاهر كتاب الأمان وأشهد عليه الشهود من الجند والفقهاء وأشراف أهل مصر وجمعا ممن ينسبون إلى العدالة في صفر سنة ٢١١هـ/٨٢٩م، (٥٣٣)، ولما راجع في شروط الصلح قال لهم: "والله لو شرط عليّ أن أضع له خدي في الأرض يطأ عليه لفعلت وكان ذلك عندي قليلا في جنب ما أوثره من حقن الدماء" (٥٣٤). وأقر إبن طاهر عبيد الله إبن السري على الصعيد شهرين يجبي خراجه، ثم وجه بعدها إلى عبد الله بن طاهر بصحبة أهل بيته، فأكرمهم إبن طاهر وأجازهم ووصلهم بعشرة آلاف دينار وأمره بالخروج إلى المأمون ببغداد(٥٣٥).

ولي عبد الله بن طاهر مصر من قبل المأمون في ربيع الأول سنة ٢١١هـ/٨٢٩م، وعزم على إخضاع الإسكندرية إلى حوزته وإنهاء سيطرة الأندلسيين عليها، فجمع جنده ومضى يريد الإسكندرية في صفر سنة ٢١٢هـ/٨٣٠م، وعلى مقدمته بعض قادة العجم من أهل خراسان فنزل على حصن الإسكندرية في ربيع الأول، وضرب الحصار حولها بضع عشرة ليلة، حتى ضاق أهلها بالحصار ذرعا(٥٣٦)، وأرسل عبد الله بن طاهر إلى الأندلسيين بها ومن انضوى إليهم يؤذنهم بالحرب، إن هم لم يدخلوا في الطاعة، فأجابوه إلى الطاعة وسألوه الأمان على أن يرتحلوا عن الإسكندرية على بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام(٥٣٧)، فاشترط عليهم إبن طاهر ألا يحملوا على مراكبهم أحدا من أهل مصر ولا عبدا ولا أبقا، فإن هم فعلوا شيئًا من ذلك فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم، وتجهزوا للخروج من سواحل الإسكندرية فأرسل إبن طاهر رسلا منه يستوثقون من تطبيق شروط الأمان الذي أعطاه لهم، فوجدوا على مراكب الأندلسيين قبل الرحيل جمعًا من الذين اشترط عليهم إبن طاهر أن لا يحملوهم معهم، فأمر إبن طاهر بإحراق مراكبهم، فاستغاثوا به وسألوه أن يردهم إلى شروطهم مرة أخرى ففعل(٥٣٨). وأمنهم

(٥٣٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٥٣٤) تاريخ اليعقوبي ٤٦,٣.

(٥٣٥) المعارف ٣٩/١، تاريخ اليعقوبي ٤٦٠/٣، تاريخ الطبري ١٧٣/٥ ـ ١٧٥، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٢ ـ ١٤٣، الكامل في التاريخ ٤٨٣/٥، وفيات الأعيان ٨٨/٣،النجوم الزاهرة ٢ ١٨١ ـ ١٨٢.

(٥٣٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٤.

(٥٣٧) تاريخ الطبري ٥ ١٧٤، وفيات الأعيان ٨٧/٣ ـ ٨٨، النجوم الزاهرة ٢ ١٩١.

(٥٣٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٤.

فرحلوا ونزلوا جزيرة اقريطش(٥٣٩)، فاستوطنها وأقاموا بها، وبها بقاياهم حتى زمن الطبري وابن تغري بردي(٥٤٠).

وولى عبد الله بن طاهر على الإسكندرية إلياس بن أسد الساماني(٥٤١)، ورجع إلى الفسطاط في جمادى سنة ٢١٢هـ/٨٣٠م، وأمر بزيادة المسجد الجامع مثل حجمه فزيد وعمرت مصر في عهده وازدهرت(٥٤٢). ثم ركب بعد ذلك عبد الله بن طاهر النيل قاصدا العراق في رجب سنة ٢١٢هـ/٨٣٠م بعد ولاية استمرت سبعة عشر شهرا، وعشرة أيام(٥٤٣).

تمرد أهل الحوف على الوالي عيسى بن يزيد الجلودي سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م:

خرج عبد الله بن طاهر من مصر إلى العراق في جمادى الأخرة سنة ٢١٢هـ/٨٣٠م، واستخلف عليها عيسى بن يزيد الجلودي، حتى عزل الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر عن مصر وولاها أخاه أبا إسحاق المعتصم بن هارون الرشيد في ذي القعدة سنة ٢١٣ هـ/٨٣١م،(٥٤٤) فأقر المعتصم عيسى الجلودي على الصلاة، وصالح إبن شيرزاد على الخراج، فزاد على الناس في خراجهم ظلمًا، حتى ضاق به أهل الحوف من القيسية واليمنية وتذمروا وعزموا على التمرد، فخرجوا وعسكروا في بلبيس في صفر ٢١٤هـ/٨٣٢م، استعدادا لقتال عيسى بن يزيد الذي أرسل إليهم جيشا عليه ابنه محمد إبن عيسى الجلودي ليرد هؤلاء المتمردين فلما التقوا انهزم جيش محمد وقتل جل

---

(٥٣٩) اقريطش: بفتح الألف وسكون القاف وكسر الراء، جزيرة كبيرة في البحر الشامي – الروم – وهي من أعظم جزر هذا البحر وأكبرها حيث تشمل على بلاد ورساتيق كثيرة وتحوي على مناجم ذهب وأشجار فواكه وجزر صغيرة أخرى تصل إلى ثمانية وعشرين جزيرة بين عامرة وغامرة، بل اكثرها عامر. بينها وبين حويرة صقلية سبعمائة ميل،وتعرف الآن باسم جزيرة كريت، نزهة المشتاق ٦٣٥/٢، رحلة إبن جبير ٤٣/١، خلاصة الأثر للمحبي ١٤/١

(٥٤٠) تاريخ الطبري ١٧٤/٥، النجوم الزاهرة ١٩١/٢.

(٥٤١) هو إلياس بن أسد بن سامان بن جبا بن نيار خدا من ولد بهرام شوبين، كان من بيت امارة أبيه وأخوته، حيث ولي أخاه أحمد في عهد المامون فرغانة وأخاه نوح سمرقند واخاه يحيى أشروسنة ثم ولي اخاه إلياس هراة سنة ٢٠٤هـ وكان أبوهم أسد من أصحاب ابي مسلم الخراساني من أهل خراسان، ومات إلياس بهراة سنة ٢٤٢هـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٤، الانساب للسمعاني ٢٠١/٣، المنتظم ١٢٦/١٠، منار الإنافة ٢٥٩/١.

(٥٤٢) مدح الشعراء سياسة إبن طاهر في مصر فقال الشاعر عوف بن مجلم الشيباني فيه:

يقـــول إنـــاس إن مصـــــر بعيـــدة ... ومـا بعـدت مصـر وفيهـا إبـن طـاهر

وأبعـــد مـــن مصـــر رجـــال تـــراهم ... بحضـرتنا معـروفهم غيـر حاضـر

عن الخـير مـوتى ما تبالي أزرتهـم ... أم زرت أهـــل المـــقابـــــر

وفيات الأعيان ٨٧/٣، الوافي بالوفيات ١١٧/١٧، مرآة الجنان ١٠٠/٢.

(٥٤٣) تاريخ اليعقوبي ٤٦١/٢، تاريخ الطبري ١٧٤/٥، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٤ – ١٤٥، الكامل في التاريخ ٤٠٨/٥، وفيات الأعيان ٨٧/٣ – ٨٨، النجوم الزاهرة ١٩١/٢.

(٥٤٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٥.

أصحابه ولم يستطع أحد منهم أن ينجو سوى محمد نفسه استطاع أن ينجو بنفسه(٥٤٥). وحاربهم عيسى غير مرة إلا أنهم كانوا يظهرون عليه في كل مرة مما حدا بالمعتصم إلى عزله بعمير بن الوليد(٥٤٦) في صفر سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م، الذي استعد لملاقاة القيسية واليمنية ففرض الفروض لأصحابها وخرج بهم، وأرسل إلى أحد وجوه قيس بالحوف عبد الله بن جليس الهلالي ليتوسط إلى قيس حتى يعود إلى السمع والطاعة وإصلاح الأمر وبدلاً من أن يقوم بن جليس بالوساطة قام بالتحريض على عمير، فاستجابت له قيس فعقدوا له رئيسًا عليهم(٥٤٧)، وانضمت إليهم اليمنية فعقد لعبد السلام بن أبي ماضي الجزامي الجروي رئيسا عليهم، واستعدت قيس واليمن لحرب عمير(٥٤٨).

سار عمير بن الوليد بجيوشه وفروضه في ربيع الأول سنة ٢٢٤هـ/٨٣٢م، وبصحبته عيسى بن يزيد الجلودي إلى أهل الحوف في منطقة تسمى منية مال الله(٥٤٩) حيث تجمع أهل الحوف في ربيع الآخر سنة ٢١٤هـ واقتتلوا قتالا عنيفا، قتل فيه خلق كثير من أهل الحوف حتى انهزموا وفروا هاربين وكمنوا في الطرق فتبعهم عمير في نفر من أصحابه، فكمن له جماعة من أهل الحوف من الفارين واستدرجوه إلى أحد الأكمنة حتى إذا تمكنوا منه خرجوا عليه فقتلوه في منطقة اليهودية، وذلك بعد شهرين من ولايته على مصر، في جمادى الآخرة سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م(٥٥٠). واستخلف المعتصم على مصر محمد بن عمير بن الوليد ثم عزله بعد شهر وأعاد عيسى بن يزيد الجلودي على مصر للمرة الثانية(٥٥١) واستعد عيسى لمواجهة المتمردين بالحوف فزحف إليهم في رجب سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م ولقيهم بمنية مطر(٥٥٢)، في معركة لم تكن هي الفاصلة، فانصرف عيسى بعدها إلى النويرة(٥٥٣) فنزلها وخندق على نفسه وجيشه خندقا وأقام

---

(٥٤٥) تاريخ اليعقوبي ٤٦٤/٢ – ٤٦٥، تاريخ مصر وقضاتها ص ١٤٥.

(٥٤٦) هو عمير بن الوليد الباذغيس التميمي، ولي صلاة مصر من قبل المعتصم أخو الخليفة المأمون في صفر سنة ٢١٤هـ ثم قتل بعد شهرين بمنطقة تسمى اليهودية بالحوف، تاريخ الطبري ١٨٠/٥، تاريخ ابن خلدون ٣٨٢/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٧/٢.

(٥٤٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٥ – ١٤٦، تاريخ ابن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٦/٢ - ٢٠٧.

(٥٤٨) في هذا الوقت: أرسل المأمون أبو خالد المهلبي رسولا إلى اليمانية ومحمد بن دوالة العبسي الى القيسية ليردهما عن العصيان وأمرهما أن يبذلا لهما ما يشاءوا، فلم يزدهم ذلك إلا إصرارا على التمرد والعصيان، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٦.

(٥٤٩) المصدر السابق نفسه، تاريخ ابن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٦/٢.

(٥٥٠) تاريخ ولاة مصر ص ١٤٦، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٢ - ٢٠٧.

(٥٥١) تاريخ ابن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٧/٢.

(٥٥٢) مطر: هي بلدة تقع بالقرب من الفسطاط بجانب عين شمس القديمة، وتسمى الآن بالمطرية – كما يذكر ابن تغري بردي – وكان بها شجر يسمى البلسان يخرج منه الدهن، وبها بئر يقال إن السيد المسيح -عليه السلام- اغتسل فيها، ولذا يكثر فيها النصارى من القبط نزهة المشتاق ٣٤٥/١، معجم البلدان ٥ ١٤٩، تاريخ ابن خلدون ٢ ٨٩، النجوم الزاهرة ١٤ ٢٦.

(٥٥٣) النويرة: بليدة تقع بالقرب من الفسطاط شذرات الذهب ٦ ٢٩٢.

أياما عليه حتى قدم أهل الحوف فصبحوهم بالهجوم مما بث الرعب في نفوس جيش الجلودي ودام القتال طوال النهار، حتى إذا كان اخر اليوم فر جيش الجلودي منهزما إلى الفسطاط وأحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على نفسه وأصحابه بالفسطاط[554]، وأمر الخليفة المأمون أخاه المعتصم أن ينفذ بنفسه إلى مصر لقتال أهل الحوف[555]، فقدم المعتصم من الرقة، بصحبة أربعة آلاف من أتراكه، فلم يشعر أهل الحوف إلا بنزول المعتصم بين ظهرانيهم، وبدأ في مراسلتهم يدعوهم إلى الطاعة، ويبذل لهم الكثير، إلا أن متمردي الحوف امتنعوا عليه، فأصر على قتالهم[556]، فسار إليهم في شعبان سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م، ودعاهم مرة أخرى إلى الأمان فأبوا عليه، فقاتلهم وهزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا وهرب عبد الله بن جليس وعبد السلام بن أبي ماضي، رئيسا القيسية واليمنية، ونزل المعتصم ببلبيس، وبعث رسله في طلب إبن جليس وابن أبي ماضي، فظفر بهما بين يديه، فقيدهما وسجنهما، ودخل أبو إسحاق المعتصم الفسطاط أول رمضان سنة ٢١٤هـ/٨٣٢م، وأمر بإحضار إبن جليس وابن أبي ماضي فأقامهما للناس، ثم أمر بضرب أعناقهما وصلبا على جسر مصر في آخر ذي القعدة سنة ٢١٤هـ، وحمل معه كثير من الأسرى من أهل الحوف إلى بغداد[557].

تمرد أهل الحوف على الوالي عيسى بن منصور(٥٥٨) والأفشين(٥٥٩) سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م:

خرج المعتصم من مصر بعد أن مهد أمورها متوجها إلى الشام غرة المحرم سنة ٢١٥هـ/٨٣٣م، في أتراكه الذين كان قد قدم بهم وعليهم جمع من أسرى أهل الحوف وهم في ضر وجهد شديد[560]، وولى مصر عبدويه بن جبلة[561] من قبل المعتصم في المحرم سنة ٢١٥هـ/٨٣٣م، وسكن تمرد أهل الحوف حينًا من الدهر،

---

(٥٥٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٧.

(٥٥٥) تاريخ اليعقوبي ٤٦٤/٢ - ٤٦٥.

(٥٥٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٥٥٧) تاريخ اليعقوبي ٤٦٥/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٧ - ١٤٨، تاريخ ابن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٧/٢.

(٥٥٨) هو عيسى بن منصور بن موسى بني عيسى الرافقي، مولى بن نصير بن معاوية ولاه المعتصم مصر سنة ٢١٤هـ لما قدم المأمون مصر مستهل سنة ٢١٩هـ عزله عنها وسخط عليه وأخرجه من عسكره، تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢، تاريخ إبن خلدون ٣٨٤/٤.

(٥٥٩) هو حيدر بن كاوس الصفدي الأشروسني، من أولاد الأكاسرة، والأفشين لقب بلقب ملوك أشروسنة. كان بطلا شجاعا مطاعا ليس في الأمراء أكبر منه مكانة، تاريخ اليعقوبي ٤٥٧/٢، تاريخ الطبري ١٨٢/٥، النجوم الزاهرة ٢١٢/٢، ٢٤٧، شذرات الذهب ٥٨/٢.

(٥٦٠) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٨.

(٥٦١) هو عبدويه بن جبلة، اصله من الأبناء، كان من قادة بني العباس، تاريخ ولاة مصر ص ١٤٨، النجوم الزاهرة ٢١٢/٢.

حتى كان شهر شعبان من نفس العام فر بعض أهل الحوف فخرج عليه ناس من بني لخم وحاربوه، فأرسل إليهم بقائده على الحوف عيسى بن منصور الرافقي، فقاتلهم واستطاع الظفر بهم(٥٦٢).

وقد قدم الأفشين إلى مصر بصحبة علي بن عبد العزيز الجروي، بعد أن عاقبه المأمون وضربه ورده إلى مصر معه(٥٦٣)، في ذي القعدة سنة ٢١٥هـ/٨٣٣م، وطالب الأفشين إبن الجروي بالأموال الضخمة التي يحوزها بمصر وإلا عرض نفسه للهلاك، فلم يجبه إبن الجروي إلى ذلك ولم يسلم إليه شيئا منها، فقدّمه الأفشين أخر أيام التشريق سنة ٢١٥هـ/٨٣٣م فقتل(٥٦٤)، ثم عاد بعدها الأفشين إلى برقة بصحبة عبدويه بن جبلة واستخلف على مصر عيسى بن منصور في نهاية سنة ٢١٥هـ/٨٣٣م، ثم أقره المعتصم على مصر نيابة عنه في مستهل سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م، وساءت سيرة عماله بمصر واشتدوا في جباية الخراج وزادوا فيه، فتصدى لهم الوجه البحري كله وانضم إليهم الأقباط في جمادى سنة ٢١٩هـ/٨٣٧م وحشدوا وجمعوا حتى كثر عددهم، وساروا نحو الفسطاط فتجهز لهم عيسى بن منصور في جنده وعتاده لقتالهم، فلما شاهد هذه الجموع الكثيرة ضعف عن لقائهم وجبن وتقهقر بجيشه معه، فدخل عليه أهل الحوف الغربي وأقباطها وأخرجوا عيسى بن منصور على أقبح وجه لسوء سيرته ومعه صاحب خراجه، وخلع أهل الحوف طاعة الخليفة المأمون(٥٦٥). ولمّا بلغ خبرهم الأفشين في برقة عاد إلى مصر لقتالهم في جمادى الأخرة سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م، إلا أن فيضان النيل حال بينه وبين قتال القوم، فأقام بالفسطاط حتى انتهى الفيضان، وكان قد انضم إلى الأفشين عيسى بن منصور بمن معه، وخرج معهم إلى المتمردين والتقاهم في قرية أشليم(٥٦٦) التي تجمّع فيها أهل الحوف وعليهم إبن عبدوس من ولد عقبة إبن نافع الفهري – وكان قد أفسد من قبل وقتل بعض عمال المعتصم وتغلب على آخرين وتبعه خلق كثير(٥٦٧) – فظفر بهم الأفشين وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل منهم خلقا آخر(٥٦٨)، ثم مضى الأفشين إلى تمّى وشرقيون بحوف مصر(٥٦٩) حيث تمرد أهلها

(٥٦٢) تاريخ ولاة مصر ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٥٦٣) تاريخ الطبري ١٨٠/٥، تاريخ ابن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٢.

(٥٦٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٩.

(٥٦٥) تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢.

(٥٦٦) من قرى قويسنا بالمنوفية، انظر عن تفاصيل الموقعة: تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٩.

(٥٦٧) المنتظم ١٠ : ٢٧٤، الكامل في التاريخ ٥ : ٤٩٦، البداية والنهاية ١٠ : ٢٧٠.

(٥٦٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٩.

(٥٦٩) معجم البلدان ٣ : ٣٣٧.

وعصوا بزعامة أباثور اللخمي(٥٧٠)، وتجمعوا بمكان قريب يسمى محلة أبي الهيثم واقتتلوا فظفر بهم الأفشين وقتل صاحبهم أبا ثور اللخمي في شوال سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م(٥٧١)، وأسر منهم جماعة كبيرة وأبضع فيهم وأبدع(٥٧٢). ثم مضى الأفشين إلى دميرة(٥٧٣) التي كان أهلها قد شقوا عليه عصا الطاعة فحاربهم وهزمهم وظفر بهم في ذي القعدة سنة ٢١٦هـ(٥٧٤).

تمرد أهل الإسكندرية على الأفشين سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م:

لما فرغ الأفشين من القضاء على تمردات أهل الحوف، بعث قائده عبيد الله إبن يزيد إلى الإسكندرية للقضاء على تمرد أهلها من بني مدلج الذين استعدوا للتصدي لجيش إبن يزيد، وحرضوا الناس على قتاله، واستجاشوا عواطفهم، ولما قدم عبيد الله بن يزيد في جيشه إلى حصن الإسكندرية حاصره المتمردون في شوال سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م(٥٧٥)، وعلم الأفشين بحصار جيشه في الإسكندرية فأقبل مسرعًا لنجدته، فواجهته جماعة من بني مدلج في خرتبا(٥٧٦)، فقاومهم الأفشين وهزمهم فانسحبوا حتى تجمعوا في مكان قريب يسمى محلة الخلفاء، وواجهوا الأفشين بها فنال منهم وهزمهم مرة ثانية وأسر أكثرهم وسار بالأسرى إلى قرطسا(٥٧٧) فضربت أعناقهم بها(٥٧٨). لما علم أهل الإسكندرية بقرب قدوم الأفشين إليهم تجمعوا بها وجعلوا عليهم معاوية بن عبد الواحد(٥٧٩)، ومعه بحر بن علي اللخمي وابن عقاب اللخمي من وجوه أهل الإسكندرية، ولما اقترب الأفشين من الإسكندرية تركوها وفروا خارجها فدخلها الأفشين في ذي الحجة سنة ٢١٦هـ/٨٣٤م(٥٨٠).

---

(٥٧٠) كان أبو ثور اللخمي قائدا على مراكب عليّ بن الجروي في حربه مع عبيد الله بن السري سنة ٢٠٦هـ وهو الذي عزم بعد هزيمة إبن السري على احراق الفسطاط فاستغاثه أهلها فاستجاب لهم ولم يقدم على ذلك. تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٣٧

(٥٧١) المصدر السابق – ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٥٧٢) أبضع الشيء واستبضعه: أي جعله بضاعته، لسان العرب ١٥/٨، مختار الصحاح ١ ٢٢.

(٥٧٣) دميرة قرية كبيرة بمصر قرب دمياط وهما دميرتان، إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق الذاهب إلى دمياط نزهة المشتاق ٣٣٩/١، الأنساب للسمعاني ٤٦٤/٢، معجم البلدان ٢ ٤٧٢.

(٥٧٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٥٧٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٥٧٦) خربتا: من كور الوجه البحري بالقرب من الإسكندرية، معجم البلدان ٣٥٥/٢.

(٥٧٧) قرطسا: بفتح القاف وسكون الراء وفتح الطاء، قرية قرب الإسكندرية، كان أهلها قد أعانوا على عمرو بن العاص في فتح مصر فسباهم، ثم ردهم عمر بن الخطاب أسوة بالقبط نزهة المشتاق ٣٤٢/١، معجم البلدان ٤: ٢٥١، ٣٢٥.

(٥٧٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٠.

(٥٧٩) هو معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، تاريخ ولاة مصر – ص ١٥٠.

(٥٨٠) المصدر السابق ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

تمرد أهل البشرود(٥٨١) على المأمون بمصر سنة ٢١٧هـ/٨٣٥م:

اشتدت شوكة المتمردين على الأفشين في كورة البشرود وانضم إليهم أهل البيما(٥٨٢) بها فأظهروا عصيانهم وامتنعوا عن البيعة، ولم يستطع الأفشين أن يبدأ بهجومهم فضرب عليهم الحصار واكتفى بمناوشاتهم(٥٨٣)، حتى قدم الخليفة المأمون إلى مصر في المحرم سنة ٢١٧هـ/٨٣٥م، واطلع على أحوالها فوجدها تغلي بحركات التمرد والعصيان، فأمر بالتحقيق في أسبابها حتى تأكد له أن وراء أكثر هذه التمردات عسف وظلم بعض الولاة وصلفهم وكذلك عمالهم وعلى رأسهم الوالي عيسى بن منصور فسخط عليه المأمون وعزله وأمر بحل لوائه وأمره بلبس البياض وقال له قولته المشهورة التي رواها الكندي: "لم يكن هذا الأمر العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك، حمّلتم الناس ما لا يطيقون، وكتمتوني الخبر، حتى تفاقم الأمر واضطربت البلاد"(٥٨٤)، ثم أمر بضم أصحابه إلى إبن عمه موسى بن إبراهيم بن موسى، ثم أمر المأمون ببناء جسر جديد على النيل بجانب القديم، وارتحل إلى سخا في المحرم سنة ٢١٧هـ ثم اتجه إلى أهل البشرود بنفسه فهزمهم وقتل منهم الكثير وأسر خلقا آخر من البيما، إضافة إلى من كان قد أسره الأفشين في أثناء محاصرته لهم قبل قدوم المأمون(٥٨٥)، وحكم فيهم المأمون بنفسه فأمر بقتل الرجال من البيما وبيع النساء والأطفال وسبي البعض، ونزلوا على حكم المأمون(٥٨٦). وحمل المأمون بعض رؤسائهم معه إلى بغداد(٥٨٧). وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوما حيث قدم لعشر خلون من المحرم سنة ٢١٧هـ/٨٣٥م وخرج منها لثلاث بقين من صفر من السنة نفسها(٥٨٨).

---

(٥٨١) البشرود: بفتح الباء وإسكان الشين، كورة من كور مصر بالوجه البحري، معجم ما استعجم ٢٥٢/١، معجم البلدان ٤٧٨/١.

(٥٨٢) البيما: هم قبط البشرود، وهم الذين ظلوا يقاتلون بعد فتح مصر سبع سنين في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر ما يقدر عليهم أحد لما كان يفجرون المياه في الغياض، فتوح مصر ٣٠٥/١، فتوح البلدان ٣٢٥/١، تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢، عيون الإنباء في طبقات الأطباء ٥٤٠/١.

(٥٨٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٠.

(٥٨٤) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٠.

(٥٨٥) تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٥٨٦) روى اليعقوبي أن المأمون استفتى في أهل البيما الذين أسرهم فقيه مصر المالكي الحارث بن مسكين فقال الحارث (إن كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تحل دماؤهم وأموالهم): فقال له المأمون (أنت تيس ومالك أتيس منك، هؤلاء كفار لهم عندنا ذمة، إذا ظلموا تظلموا إلى الإمام، وليس لهم أن يستنصروا بأحد ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم) تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢.

(٥٨٧) تاريخ اليعقوبي ٤٦٦/٢.

(٥٨٨) تاريخ اليعقوبي بنفسه، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥١.

تمرد يحيى بن الوزير الجروي(٥٨٩) على كيدر(٥٩٠) والي مصر سنة ٢١٩ هـ/٨٣٧م:

خرج الخليفة المأمون من مصر وقد عهد بولايتها إلى كيدر نصر بن عبد الله، نيابة عن أخيه أبي إسحاق المعتصم، في صفر سنة ٢١٧هـ/٨٣٥م، وأمره أن يجعل على شرطته رجلا من العجم يسمى إبن بسطام(٥٩١) ثم ورد إليه كتاب المعتصم في جمادى الأخرة سنة ٢١٨هـ/٨٣٦م أن يأخذ الناس بالقول بخلق القرآن فبدأ بالقاضي هارون بن عبد الله الزهري(٥٩٢) فأجابه إلى القول بخلق القرآن، وأخذ كيدر المحدثين والفقهاء والمؤذنين بذلك فأجابوه، ثم أخذ الشهود بالقول بخلق القرآن فمن أجابه قبلت شهادته ومن توقف سقطت شهادته(٥٩٣).

ظل كيدر واليا على مصر حتى مات المأمون بأرض الروم في رجب سنة ٢١٨هـ/٨٣٦م، وبويع لأخيه [المعتصم ٢١٨ – ٢٢٧هـ/٨٣٦ – ٨٤٥م] فأقره على ولاية مصر، ثم أمره أن يسقط من الديوان أسماء القبائل العربية وقطع العطاء عنهم ففعل

---

(٥٨٩) هو يحيى بن عبد العزيز بن الوزير الجروي بن ضابئ بن مالك بن عامر بن عدي ولعدي صحبة ينتهي نسبه إلى جده هو عمرو بن عدي بن الحارث، تاريخ بغداد ٣٣٨/٧، الأنساب للسمعاني ٥٠/٢.

(٥٩٠) هو نصر بن عبد الله الصفدي يكنى أبا مالك، وكيدر أو كندر شهرة غلبت عليه، ولي مصر بعد عزل عيسى بن منصور في صفر سنة ٢١٧هـ من قبل المأمون، تاريخ إبن خلدون ٣٨٤/٤، مآثر الإناقة ١ ٢٢٢.

(٥٩١) هو أحمد بن بسطام الأزدي من أهل بخارى، ساءت سيرته لرشوة ارتشاها، فضربه كيدر بالسياط في صحن الجامع، ثم عزله كيدر وولى مكانه ابنه المظفر بن كيدر، تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥١، تاريخ إبن خلدون ٣٨٤/٤، النجوم الزاهرة ٢١٦/٢.

(٥٩٢) هو هارون بن عبد الله الزهري العوفي ينتهي نسبه إلى عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- المكي المالكي الفاطمي الإمام نزيل بغداد تفقه بأصحاب مالك وكان أعلم من صنف الكتب في مختلف قول مالك. وكان محدثا تاجرا، كان قاضي مصر أيام المأمون والمعتصم، ومات سنة ٢٣١هـ الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى ت سنة ٤٤٦هـ - الإرشاد - مكتبة الرشد الرياض – طبعة سنة ١٤٠٩هـ - ط ١ – تحقيق د/ محمد سعيد عمر إدريس – ٢٢٨/١، طبقات الفقهاء ١٥٨/١، تاريخ دمشق ٤٦٥/٥٤.

(٥٩٣) ظهرت مسألة خلق القرآن ومحنتها القاسية على من لم يقل بها في أواخر عهد المأمون سنة ٢١٨هـ ويظهر من كتب المأمون في محنة خلق القرآن تأثره بنهج المعتزلة في تطبيقهم لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان عذر المأمون في تلك المحنة غيرته على التوحيد الخالص وخوفه ان يحل التحريف على الدين وهو لا يدري أن هذا منافي للتوحيد الخالص مع ما كان يتمتع به المامون من إخلاص وحرص على حمية الدين، واستمرت الفتنة عهد المعتصم والواثق بعده حتى قام المتوكل وأمر بترك الجدال في القرآن، وأنهى مسألة خلق القرآن سنه ٢٣٢هـ، عبد الرحمن أحمد محمد سالم – التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري – رسالة ماجستير – كلية دار العلوم القاهرة سنة ١٩٧٤م، ص ٢١١، باتون: ولتز ملفل – أحمد بن حنبل والمحنة – ترجمة عبد العزيز عبد الخالق - دار الهلال القاهرة طبعة سنة ١٩٥٨م، ص ٩٥، زهدي حسن جار الله – المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م، ص ٦٥، محمود إسماعيل – الحركات السرية في الإسلام - دار روز يوسف - القاهرة طبعة ١٩٧٣م ص ١٤٠ واستمرت عهد المعتصم والواثق بعده حتى قدم المتوكل وأمر بترك الجدال في القرآن، وأنهى مسألة خلق القرآن سنة ٢٣٢هـ.

كيدر[٥٩٤]. فتبرمت قبائل العرب بمصر من ذلك خاصة لخم وجذام واعترضوا عليه، وأعلنوا عصيانهم وتمردهم وولوا عليهم يحيى بن الوزير الجروي الذي جمع الجموع وخاطبهم قائلا (إن هذا أمر لا نقوم في أفضل منه وقد منعنا حقنا وفيئنا)[٥٩٥]، ثم خرج يحيى في خمسمائة رجل من هؤلاء إلى تنيس – مقر تمرد وعصيان آبائه في الوجه البحري – ومات كيدر في ربيع الآخر سنة ٢١٩هـ/٨٣٧م، وتولى بعده ابنه المظفر باستخلاف أبيه فأقره المعتصم عليها[٥٩٦]، فخرج يحيى عليه في تنيس بمن معه، فتهيأ المظفر لقتاله بحشد الجنود وخرج إليه من الفسطاط إلى بحيرة تنيس وقاتله وكانت بينهم وقعة هائلة انكسر فيها يحيى فأسره المظفر بعدما تفرق عنه أصحابه في جمادى الآخرة سنة ٢١٩هـ/٨٣٧م[٥٩٧].

(٥٩٤) يروي الكندي أن الخليفة الأموي [مروان بن محمد ١٢٧ ـ ١٣٢هـ] كان قد أقدم مرة على منع العطاء عن كل أهل مصر لمدة عام، ثم كتب إليهم في العام الثاني مباشرة كتابا يعتذر لهم فيه عن ذلك ويقول: (إني إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرني فاحتجت فيه إلى المال، وقد وجهت إليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة، فكلوا هنيئا مريئا، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه). تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥١ ـ ١٥٢.

(٥٩٥) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٢.

(٥٩٦) النجوم الزاهرة ٢ ٢٢٣، ٢٢٩.

(٥٩٧) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٢، النجوم الزاهرة ٢ ٢٢٣، ٢٢٩.

خاتمة الدراسة

وتتضمن:

- أهم النتائج التي توصل إليها الباحث
- أهم التوصيات التي توصل إليها الباحث

كانت هذه الدراسة محاولة طموحة لأن ندرس تاريخنا من الداخل، وبالتالي دراسة أنفسنا من الداخل لنقف على الإيجابيات فنأخذ منها العظة وعلى السلبيات لنأخذ منها العبرة (فالتاريخ ما هو إلا تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله به من الأسباب الكلية للخير والشر)[1].

وهذا هو الهدف من دراسة التاريخ لقول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ}[2].

وقد نتج عن هذه الدراسة عدة نتائج نشير إلى أبرزها:

إن هذه الدراسة كانت محاولة جادة لنقد الذات لتصحيح الهدف وتعديل المسار فإن الذين وضعوا تاريخنا وعايشوا أحداثه إنما هم بشر وليسوا ملائكة لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

إن سرعة نشأة الدولة الإسلامية في أقل من ربع قرن، نمت فيه بسرعة فائقة واتسعت رقعتها وثبتت أركانها في وقت قصير الأمر الذي لم يعرفه التاريخ من قبل على نحو ما نراه في الدولة الإسلامية قبل الإسلام. هذا الوقت القصير أدى ببعض المسلمين إلى أنهم لم ينتهوا إلى تصور مشترك عن نظام الحكم ومهمة الدولة. ففريق منهم عبيد الله بن الزبير مثلا – رضي الله عنه– كان يرى أن سيادة الدولة يجب أن تكون في قريش، وفريق آخر كالخوارج كان يرى أن سيادة الدولة يجب أن تكون في الأمة كلها وفريق كالشيعة والعلويين كانوا يرون أن تكون سيادة الأمة في آل البيت، لذلك كله ثار ابن الزبير على الأمويين لانتزاع الخلافة من البيت الأموي، وتمردات الخوارج لانتزاع الخلافة من الأمويين والعباسيين وردها إلى من يستحقها في نظرهم. وتمردت الشيعة وثار العلويون لإرجاع الخلافة إلى آل البيت، ومن هنا كان ظهور حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول.

إن حركات التمرد والعصيان ليست كلها من لون واحد، فمنها ما كان –حقا– محاولة جادة وعزيمة صادقة ونية مخلصة للعودة بنظام الخلافة إلى عهد الراشدين كحركة حجر بن عدي والحسين بن علي – رضي الله عنهما – رغم بعض المآخذ على

1- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ت ٧٥١هـ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) دار الشروق بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ ص١٩٠.

2- سورة يوسف (١١١)

الحركتين في بعض مراحلهما – ومن هذه الحركات والتمردات ما كان يهدف إلى طموح شخصي ومجد منتظر مثل تمردات الولاة كعبد الرحمن بن الأشعث وقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب والحارث بن سريج أيضا. ومن هذه التمردات ما كان دفاعًا عن نعرة مذهبية مثل تمردات الشيعة والخوارج. ومن هذه التمردات ما كان من منطلق دعوة عنصرية كانت تهدف في الأساس إلى هدم سلطان المسلمين ومناهضة الإسلام ذاته، وإحياء مجد تالد مفقود، فعمدت إلى إحياء النعرات المجوسية القديمة وإباحة الفواحش ونهب أموال المسلمين وقتلهم والترويج بينهم لزعامات خفية وعلنية زعموا لأصحابها الألوهية وليس أدل على ذلك من حركات تمرد وعصيان الزنادقة.

إن حركات تمرد وعصيان الزنادقة لم تكن أقل في خطورتها من حركة الردة في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وكما وفق الله تعالى الصديق في مواجهتها والتصدي لها والعودة بهم إلى حظيرة الإسلام، وفق الله أيضا خلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول إلى التصدي لحركات الزنادقة وسحقها بعد أن كادت تطيح بسلطان الإسلام في شرق الخلافة خاصة حركات المقنع الخراساني وبابك الخرمي وغيرهما.

إن إقليم العراق قد حاز نصيبًا وافرًا من حركات التمرد والعصيان في العصر الأموي والعباسي الأول، حيث كان هذا الإقليم من أغنى وأخصب الأقاليم التي فتحها المسلمون فانتقل العرب بعد ذلك من حياة الشظف وضيق العيش إلى سعة الرزق وكثرة الخير فانتقلوا من طور البداوة إلى طور الحضارة في وقت قصير جدا لم يكن كافيا لهم لأن يندمجوا تماما في أهل البلاد المفتوحة لاسيما العجم، حيث كانت العراق موطنًا لأجناس مختلفة وأديان متباينة وحضارات متغايرة، وقد انتحل كل هؤلاء الإسلام على عجل ولم يكن بوسعهم أن يتركوا ما ورثوه عن أجدادهم في هذا الزمن اليسير وفي هذه النقلة السريعة، التي أوقعتهم في طور الاضطرابات الفكرية ثم الثورية فظهرت حركات التمرد والعصيان لهؤلاء الداخلين الجدد في الإسلام.

إن إقليم خراسان يأتي مع العراق في احتضانه لكثير من حركات التمرد والعصيان خاصة الزنادقة موطنهم الأصلي، إضافة إلى مركزهم ونفوذهم في العصر العباسي الأول ساعدهم على ظهور زعامات كبيرة منهم كان لها ثقل كبير في الدولة العباسية، وإثبات هؤلاء شعورًا بالتعالي أحيانا على غيرهم أنهم هم الذين قامت على أكتافهم الدولة العباسية وأنهم أصحاب حضارة ومجد تالد قبل غيرهم. فكان كل هذا وغيره جعل زعماءهم والذين تبوؤا كبرى المناصب في الدولة يتمردون عليها خاصة بابك والمازيار والأفشين ومن قبلهم.

إن وجود نفوذ فارسي قوي في العصر العباسي الأول، فالمناصب الكبرى كان معظمها فارسيا ولغتهم كانت راجحة بينهم -هذا وغيره لا يعني إهمال العباسيين للعرب فالخليفة كان عربيا هاشميا، وقادة الجيوش في معظمهم كانوا عربا، وكان معظم ولاة

الأمصار عربيا، حيث لم يكن من حسن السياسة أن يعتمد الخليفة على العرب وحدهم ويهمل الفرس الذين كان لهم دور بارز في تأسيس الدولة ويمثلون غالبية أهل العراق حينئذ. فكانت سياسة الخلفاء العباسيين في العصر الأول هي القبض على ميزان القوتين في أيديهم وبهذه السياسة استطاعوا في العصر الأول جمع عناصر الأجناس المختلفة تحت لواء الدعوة العباسية، ونجحوا في سحق أي تمرد وعصيان يظهر من أي من هذه القوة وتلك العناصر.

إن سلاح الإعلام بما فيه من دعاية وإعلان لنشر المبادئ وتوضيح الأهداف والوسائل وزرع المعتقدات وإيجاد تصورات وصياغة مفاهيم في عقول الناس لا يقل خطورة عن استخدام السيوف وآلات القتل والتدمير في المعارف، فكان لكل تمرد وعصيان شعراؤه وخطباؤه وعلماؤه الذين يمثلون آنذاك وسائل الإعلام المتاحة وكان كل زعيم تمرد يحرص على إيجاد هذه الوسائل في تمرده لنشر مذهبه أو دعوته أو فكرته ولتصحيح الشبهات ضده وتصويب الأخطاء التي يقع فيها وزرع المفاهيم والقيم لدى الناس. فقد حرص على ذلك مثلا عبد الرحمن ابن الأشعث والحارث بن سريج وكان قبلهم يستعمل سلاح الدعاية حجر بن عدي فيؤلب الناس على معاوية وولاته بالكوفة.

ولكن، أشير هنا إلى أن كثيرا من أصحاب التمردات أهملوا هذا السلاح الخطير واعتمدوا على تاريخ آبائهم وأجدادهم أو قداستهم في قلوب الأتباع دون أن يروجوا بين الناس لأهدافهم ووسائل تحقيقها، ومنها الإعلام المتاح حينئذ من منابر وشعراء ووعاظ وغيرهم، خاصة تمرد يزيد بن المهلب وقتيبة بن مسلم من الولاة، ومثل تمردات بعض العلويين والشيعة الذين اعتمدوا على مكانة آل البيت في نفوس الناس دون أن يدعموها إعلاميا.

إن أي أمة أو جماعة أو حركة منظمة تريد أن تتحرر لا يحل لها أن تعمل بمفردها في الميدان بل يجب أن تنفتح على جماعات التحرر الأخرى معها على الساحة، فتنسق معها في المصالح العليا المشتركة على اختلاف منازعهم ومشاربهم تحت شعار التعاون فيما اتفقنا عليه، ونتفاهم – أو يعذر بعضنا بعضا – فيما اختلفنا فيه، وأن تكون الشعارات المرفوعة لهؤلاء جميعا شعارات تشير إلى المصلحة العليا للوطن بعيدا عن الأهداف الجزئية، حيث كان شعار العباسيين في دعوتهم قبل تأسيس الدولة هو (الرضا من آل البيت) وهو شعار عام انضوى تحته العلويون والشيعة والموالي وغيرهم من محبي آل البيت – رضي الله عنهم جميعا.

وأشير هنا إلى أن هذه النتيجة كانت من أسباب إخفاق كافة حركات التمرد والعصيان وكانت من أسباب نجاح الدعوة العباسية وتأسيس الدولة حيث احتوت كافة الأطياف المعارضة واستثمرتها وألبتها ضد الأمويين حتى أطاحت بهم والخلافة الأموية.

إن أي أمة أو فصيل أو حركة أو جماعة تعمل للتحرير والتعبير لابد أن يكون لها أتباع وأعوان تربيهم على أهدافها بالوسائل المناسبة بمنهج واضح قابل للتنفيذ العملي، وبخطة مرنة سليمة تحت إدارة واعية عن طريق تنظيم محكم مصون كل هذه العوامل وغيرها أخذ بها دعاة الدولة العباسية حيث ظل هؤلاء الدعاة يعملون في صمت قرابة ثلاثين عاما حتى تحققت أهدافهم، عن طريق التربية والتكوين، فكان لهم تنظيم محكم يقوم على مجلس الدعاة الاثني عشر، وهم النقباء والعرب واختار لهم محمد بن علي ابن عبد الله نوابًا اثني عشر وسماهم نظراء النقباء، ثم اختار سبعين داعيا سماهم الدعاة ثم اختار منهم ستة وثلاثين داعيا من بينهم سماهم دعاة الدعاة[3].

وبعد قرابة العقود الثلاثة من الإيمان العميق بالفكرة والمنهج والهدف والتنظيم المحكم الدقيق والعمل الدؤوب المتواصل نجحت الدعوة العباسية في الوقت المناسب وأطاحت بملك الأمويين على حين غرة منهم فلم يستطيعوا الصمود أمام هذا التنظيم الهائل فسقطوا سقوطا ذريعا سريعا، ولولا نجاح التنظيم العباسي لاستمرت الدولة الأموية ردحًا آخر من الزمان بعد مروان بن محمد.

إن حركات التمرد والعصيان للشعوب المحتلة والأخرى المغلوب على أمرها المسلوب حريتها، إنما هي علامة على حيوية تلك الشعوب وعدم استسلامها للعدوان وللبطش والظلم والاستبداد وطغيان الزعامات الواهية. ففي ظل حكم الإسلام في الخلافة الأموية والعصر العباسي الأول ظهرت عشرات ومئات من حركات التمرد والعصيان باختلاف أنواعها فردية وجماعية، بل وخرج أفاضل آل البيت – رضي الله عنهم أجمعين – وعلى رأسهم الحسين بن علي -رضي الله عنه- ومن هنا كانت حركات التمرد والعصيان للشعوب المعتدى على أرضها أو المعتدى على مقدراتها إنما هي تدل على أن هذه الشعوب لم ولن تموت ولن تخضع للأبد لهذا الاعتداء وإن صمتت حينًا من الدهر فإن عليها أن تستيقظ وتصرخ كما صرخ الحسين وشتان بين نظام خلافة إسلامية خرج عليه الحسين -رضي الله عنه- وبين أي نظام مُعْتَدٍ على أرض شعب أو على مقدرات شعب، لذلك هل يجب إعادة النظر في أمر الخروج على الظالم المستبد المعتدي على الأرض أو على المقدرات للشعوب بالبطش والجبروت؟

ومن النتائج أن مصر رغم بعدها الجغرافي عن دار الخلافة في المدينة والكوفة ودمشق وبغداد لم تكن قط بمنأى عن الأحداث الجارية بهم بل كانت تشارك في صناعة الأحداث فلم تكن سياستها مجرد رد فعل بل مشارك في صناعتها.

3- مؤلف مجهول من مؤلفي العباسيين من رجال القرن الثالث – أخبار الدولة العباسية – تحقيق عبد العزيز الدوري وآخرين – دار الطليعة بيروت ص ١٦٥، البدء والتاريخ ٦ ٦٣، المنتظم لابن الجوزي ٧ ٢٥٣، الكامل في التاريخ ٤ ٣٢٤، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ ٢٩٧٣ – ٢٩٧٤، ابراهيم بيضون تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية دار المنتخب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ص ٢٢٨.

إن حركات التمرد والعصيان بمصر في هذه الفترة كانت كثيرة ومتلاحقة، حيث بلغت ما يزيد عن ٦٠ تمردا رئيسا، وأن معظم هذه التمردات كان بالوجه البحري وما كان منها في صعيد مصر إنما كان امتداداً لحركات التمرد في الوجه البحري.

إن مصر بمواردها المتنوعة وموقعها المميز كانت خزانة الخلافة التي ينفق منها على الثغور والجنود والرعية وبموقعها المميز كانت همزة الوصل بين مشرق الخلافة ومغربها.

أخيرا، نقول: إن حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية والعصر العباسي الأول قد باءت جميعها بالإخفاق بالرغم من النجاح المؤقت لبعضها لسنوات عديدة والسبب المباشر في ذلك أن نظام الخلافة الإسلامية كان نظاما قويا يتماشى مع طبيعة الإسلام الذي يتسم بالسماحة والحزم في الوقت ذاته، وهذه الطبيعة جعلت من هذا النظام صخرة النجاة من عواصف وأعاصير الظلم والتسلط والجمود والطغيان في عصر الخلافة الإسلامية. ولكن، رغم ذلك وغيره تبقى حركات التمرد والعصيان هي أمل الشعوب المحتلة وأمل الشعوب المغلوبة على إرادتها، فليس لمثل هذه الشعوب إلا أن تسلك طريق الإصلاح والتغيير لتصل إلى الخلاص والتحرير.

ملاحق الدراسة

الملحق الأول: جدول بأسماء زعماء حركات التمرد والعصيان.
الملحق الثاني: من مأثورات الخلفاء في حركات التمرد والعصيان.
الملحق الثالث: من مأثورات الولاة في حركات التمرد والعصيان.
الملحق الرابع: تواريخ مقارنة.

الملحق الأول

جدول بأسماء زعماء حركات التمرد والعصيان في الدولة الأموية[1].

اسم المتمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
حجر بن عدي	الكوفة	شيعة	٤٩هـ	مقتل حجر	معاوية بن أبي سفيان
الحسين بن علي	كربلاء	علويين	٦١هـ	استشهاده	يزيد بن معاوية
سليمان بن صرد	الكوفة	شيعة	٦٥هـ	مقتله	مروان بن الحكم
المختار بن أبي عبيد	الكوفة	شيعة	٦٥هـ	مقتله	مروان بن الحكم
زيد بن علي بن الحسين	الكوفة	علويين	١٢١هـ	استشهاده	هشام بن عبد الملك
يحيى بن زيد بن علي	الجوزجان	علويين	١٢٥هـ	استشهاده	هشام بن عبد الملك
عبد الله بن معاوية	الكوفة	علويين	١٢٧هـ	استشهاده	مرون بن محمد
حوثرة بن وداع	الكوفة	خوارج	٤١هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
فروة بن نوفل	الكوفة	خوارج	٤١هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
سهم بن غالب	البصرة	خوارج	٤١هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
الخطيم الباهلي	البصرة	خوارج	٤١هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
المستورد بن علقمة	الكوفة	خوارج	٤٣هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
سليمان بن	الكوفة	خوارج	٤٩هـ	مقتله	معاوية بن أبي

(١) الباحث.

اسم المتمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
بجرة					سفيان
قريب وزحاف	البصرة	خوارج	٥٠هـ	مقتلهما	معاوية بن أبي سفيان
حيان بن طبيان	الكوفة	خوارج	٥٧هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
طواف بن غلاق	البصرة	خوارج	٥٨هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
مرداس بن أدية	الأهواز	خوارج	٥٩هـ	مقتله	معاوية بن أبي سفيان
نافع بن الأزرق	الأهواز	خوارج	٦٥هـ	مقتله	مروان بن الحكم
نجدة بن عامر الحنفي	الجزيرة العربية	خوارج	٦٦هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
أبو فديك	البحرين	خوارج	٧٢هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
صالح بن مسرح	الكوفة	خوارج	٧٥هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
شبيب بن يزيد	الكوفة	خوارج	٩٩هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
بسطام اليشكري	الكوفة	خوارج	١١٩هـ	مقتله	هشام بن عبد الملك
بهلول بن بشر كثارة	الكوفة	خوارج	١٢٧هـ	مقتله	هشام بن عبد الملك
الضحاك بن قيس	الكوفة	خوارج	١٢٩هـ	مقتله	مروان بن محمد
شيبان اليشكري	الموصد ل	خوارج	١١٩هـ	مقتله	مروان بن محمد
أبو حمزة الشادي	مكة المدينة	خوارج	١٣٠هـ	مقتله	مروان بن محمد
طالب الحق	اليمن	خوارج	١٣٠هـ	مقتله	مروان بن محمد

اسم المتمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
مطرف بن المغيرة	المدائن	ولاة	٧٧هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
عبد الرحمن بن الأشعث	سجستان	ولاة	٨١هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
قتيبة بن مسلم	خراسان	ولاة	٩٦هـ	مقتله	سليمان بن عبد الملك
يزيد بن المهلب	البصرة	ولاة	١٠١هـ	مقتله	عمر بن عبد العزيز
عمرو بن سعيد الأشدق	دمشق	من أجل الخلافة	٧٠هـ	مقتله	عبد الملك بن مروان
الحارث بن سريج	خراسان	من أجل الخلافة	١١٦هـ	مقتله	هشام بن عبد الملك
صديع الكرماني	خراسان	من أجل الخلافة	١٢٨هـ	مقتله	مروان بن محمد
محمد بن حذيفة	مصر	تمردات مصر	٣٥هـ	مقتله	عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
تمرد المصريين	مصر	تمردات مصر	٤٤هـ	فشله	معاوية بن أبي سفيان
تمردات الخوارج	مصر	تمردات مصر	٦٢هـ	فشله	يزيد بن معاوية
تمرد بني المعافر	مصر	تمردات مصر	٦٤ – ٧٣هـ	فشله	مروان بن الحكم وعبد الملك ابنه
عصيان أهل مصر	مصر	تمردات مصر	٨٨هـ	فشله	الوليد بن عبد الملك
الخوارج وأهل الحوف	مصر	تمردات مصر	٩١هـ	فشله	سليمان بن عبد الملك
قبط مصر	مصر	تمردات مصر	١٢١هـ	فشله	هشام بن عبد الملك
عمرو بن سهيل	مصر	تمردات مصر	١٣٢هـ	فشله	مروان بن محمد

جدول بأسماء زعماء حركات التمرد والعصيان في العصر العباسي الأول[٢].

اسم التمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
السفياني المنتظر	حلب	من أجل الخلافة	١٣٣هـ	مقتله	أبو العباس السفاح
إسحاق بن مسلم	الجزيرة	من أجل الخلافة	١٣٣هـ	مقتله	أبو العباس السفاح
إبان بن معاوية	سمسياط	من أجل الخلافة	١٣٦هـ	مقتله	السفاح والمنصور
علي بن عبد الله السفياني	الشام	من أجل الخلافة	١٩١هـ	مقتله	هارون الرشيد
بها أفريد	نيسابور	زنادقة	١٣٣هـ	مقتله	السفاح
سنباذ	الري	زنادقة	١٣٧هـ	مقتله	المنصور
جهور بن مرار	الري	زنادقة	١٣٧هـ	مقتله	المنصور
الروائدية	الهاشمية	زنادقة	١٤١هـ	فشله	المنصور
اشبانسيس	خراسان	زنادقة	١٥٠هـ	مقتله	المنصور
المقنع الخراساني	خراسان	زنادقة	١٦٠هـ	مقتله	المهدي
بابك الخرمي	أذربيجان	زنادقة	٢٠١هـ	مقتله	المأمون والمعتصم
منكجور الأشروسني	طبرستان	زنادقة	٢٢٤هـ	مقتله	المعتصم
المازيار والأفشين	طبرستان	زنادقة	٢٢٤هـ	مقتلهما	المنصور
العلويين	مصر	تمردات مصر	١٤٤هـ	فشله	المنصور
قبط سخا	مصر	تمردات مصر	١٥٠هـ	فشله	المنصور
دحية بن	مصر	تمردات	١٦٧هـ	مقتله	المهدي

(٢) بـ حـ

اسم التمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
مصعب		مصر			
أهل الحوف	مصر	تمردات مصر	١٦٧هـ	فشله	المهدي
سليمان بن العباس	مصر	تمردات مصر	١٧١هـ	فشله	الرشيد
الجند القديدية	مصر	تمردات مصر	١٧٣هـ	فشله	الرشيد
مزارعي الحوف	مصر	تمردات مصر	١٧٧هـ	فشله	الرشيد
أهل الحوف	مصر	تمردات مصر	١٨٦هـ	فشله	الرشيد
الري بن الحكم	مصر	تمردات مصر	١٩٦هـ	هروبه	الأمين
جند مصر	مصر	تمردات مصر	١٩٨هـ	هروبه	المأمون
عبد العزيز الجروي	مصر	تمردات مصر	١٩٩هـ	هروبه	المأمون
الصوفيين والأندلسيين	الإسكندرية	تمردات مصر	٢٠٠هـ		المأمون
الخراسانيني	مصر	تمردات مصر	٢٠١هـ		المأمون
عبد العزيز الجروي	مصر	تمردات مصر	٢٠٢هـ	فشله	المأمون
عبد الله بن السري	مصر	تمردات مصر	٢٠٧هـ	هروبه	المأمون
عبيد الله بن السري	مصر	تمردات مصر	٢١٠هـ	فشله	المأمون
أهل الحوف	مصر	تمردات مصر	٢١٤هـ	فشله	المأمون
أهل الحوف	مصر	تمردات	٢١٦هـ	فشله	المأمون

اسم التمرد	مكانه	تصنيفه	سنة التمرد	نتيجة التمرد	الخليفة
		مصر			
أهل الإسكندرية	مصر	تمردات مصر	٢١٦هـ	فشله	المأمون
يحيى بن الوزير	مصر	تمردات مصر	٢١٩هـ	فشله	المعتصم

ثانيا: من مأثورات حركات التمرد والعصيان

من مأثورات أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

كتب أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من أبي أبكر خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة من أقام على الإسلام أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأقر بما جاء به وأكفر من أبى وأجاهده، أما بعد:

فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا {لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ}[٣] يهدي الله للحق من أجاب إليه وضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإذنه من أدبر عنه حتى صار الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترار بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان.. وقال الله جل ثناؤه {إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ}[٤] وإنني أنفذت فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يعاجل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى ما عند الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ولا يبقي على أحد منهم قدر عليه ويقتلهم ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن أمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم

---

(٣) سورة يس الآية رقم (٧٠).

(٤) سورة فاطر الآية رقم (٦).

والداعية الأذان فإن أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا سلوهم عما عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم"[٥].

من مأثورات عثمان بن عفان – رضي الله عنه –

كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- حين حوصر في داره إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- "أما بعد: فقد بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين، وطمع فيَّ كل من كان يضعف عن نفسه ولم يغلبك مثل مغلب، فأقبل إليَّ صديقا كنت أم عدوا فإن كنت مأكولا فكن خير آكل، وإلا فأدركني[٦]...".

من مأثورات معاوية

خطب معاوية بالمدينة سنة ٤١هـ فحمد الله وأثنى عليه فقال:

.. أما بعد، فإني والله ما وليتها بصحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لم نفسي على عمل إبن أبي قحافة واردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا، واردتها على سنيات عثمان، فأبت على فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة، مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية.

والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن إلا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذني، وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاد أثرى، وإذا قل أغنى، وإياكم والفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة"[٧].

ولما مرض معاوية المرض الذي مات فيه أوصى لابنه يزيد فقال له:

"يا بني: إني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر إلى أهل الحجاز فإنهم أملك وأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم.

وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش:

الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما إبن عمر فإنه رجل قد وقذته العبادة، فإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين

---

(٥) مآثر الإنافة ٣ ٢٤٨ - ٢٥١.

(٦) مآثر الإنافة ٣ ٣٢٨.

(٧) نعف نعرب جـ ٣، ص ٤٠١، ط ١٩٠٤م - الذهبي - سير أعلام النبلاء ٣ ١٤٨.

بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه. فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وأما إبن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله. ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك إبن الزبير، فإن هو فعلها وظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك"[٨].

من مأثورات يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة وقد خرجوا عن طاعته:

(أما بعد، {فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال}[٩] وإني والله قد لبستكم فأخلقتكم ورفعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنسخ منها أخباركم كأخبار عاد وثمود)[١٠].

من مأثورات حركة الحسين بن علي كتب بعض من أهل الكوفة إلى الحسين بن علي بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان:

"بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب إبن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود، أنه ليس علينا إمام، فأقبل، لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك"[١١].

من مأثورات الخليفة المعتصم بالله

كتب الخليفة المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابك الخرمي وهو من الفتوح العظيمة في الإسلام:

---

(٨) تاريخ الطبري ٣ /٢٦٠، ابن الجوزي – المنتظم ٥ /٣٢٠، الكامل في التاريخ ٣ /٣٦٨، البداية والنهاية ٨ /١١٥، تاريخ ابن خلدون ٣ /٢٣، سمط النجوم العوالي ٣ /١٥٣.

(٩) سورة.

(١٠) مآثر الإنافة ٣ /٢٣٨.

(١١) تاريخ اليعقوبي ٢ /٣٠٠، تاريخ الطبري ٣ /٢٧٧، المنتظم ٥ /٣٢٧، الكامل في التاريخ ٣ /٣٨٥.

(أما بعد، فالحمد لله الذي جعل العافية لدينه والعصمة لأوليائه والعز عن نصره...
ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده... فالحمد لله كثيرا كما هو أهله على منه ولطفه ولا يعلم أمير المؤمنين مع كثرة اعداد المسلمين وتكنفهم إياه من أقطاره والضغائن التي في قلوبهم على أهله وما يترصدونه من العداوة وينطوون عليه من المكايدة إذ كان هو الظاهر عليهم والأخذ منهم عدوا كان أعظم بلية ولا أجل خطبا ولا أشد طلبا ولا أبلغ مكايدة ولا أرمى بمكروه من هؤلاء الكفرة... فأما اللعين بابك وكفرته فإنهم كانوا يغزون أكثر من يُغزُون وينالون أكثر مما ينال منهم وهم المنحرفون عن الموادعة المتوحشون عن المراسلة...

مما وطأ ذلك ومكنه لهم أنهم قوم ابتدءوا أمرهم على حال تشاغل من السلطان وتتابع الفتن واضطراب من الحيل فاستقبلوا أمرهم بعزة من أنفسهم وضعف واستشارة ممن باراهم فأجلوا حولهم التخلص من البلاد لهم ثم أخربوا البلاد ليعز مطلبهم وتشتد المؤونة وتعظم الكلفة... واستفحل أمرهم وعظمت شوكتهم واشتدت ضراوتهم واستجمع لهم كبيرهم وكثر عددهم وعتادهم... ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تفضي إليه الخلافة مادا عنقه موجها همته إلى أن يوليه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ويجعله المقارع لهم عن دينه المناجز لهم عن حقه... فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمر في يديه لم يكن شيء أحب إليه ولا أخذ بقلبه من معاجلة هذا الكافر وكفرته فأعزه الله وأعانه فلله الحمد على ذلك... والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنه وأنجح سعيه وحاز له هذا الفتح ودخره وشرفه وجعله خالصا لتمامه وكمله بأكمل الصنع وأحسن الكفاية... فالحمد لله أولا والحمد لله على عطاياه التي لا تحصى ونعمه التي لا تنسى) [١٢].

ثالثا: من مأثورات الولاة

(١) من كلام زياد بن أبيه

خطب زياد بن أبيه خطبة بتراء لم يحمد الله فيها، فقال:

"أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر الموقد لأهله النار، الباقي عليهم سعيرها، ما يأتي سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير، كأن لم تسمعوا بآي الله، ولم تقرءوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في

(١٢) صبح الأعشى ٣ ٢٣٩ - ٢٤٠.

الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا به، من ترككم هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة، في النهار المبصر، والعدد غير قليل. ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار.

قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغطون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عقابا، ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب.

حرم عليَّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا، وإني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم، إن كذبة المنبر مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في واعلموا أن عندي أمثالها. من بيت منكم فإنا ضامن لما ذهب له. أياي ودلج الليل، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليَّ.

وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه.

وقد أحدثتم إحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقته، ومن حرق على قوم حرقناه، ومن نقب عن بيت نقبت عن قلبه، ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف يدي واذاي، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه.

وقد كان بيني وبين أقوام إحن، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته.

إني علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا، حتى يبدي له صفحته، فإذا فعل لم أناظره، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم، واعلموا أني مهما قصرت فإني لا أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن آبانه، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا، ولا تشربوا

قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم كان شرًا لكم.

أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر إذلاله، وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة. فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي[١٣].

(٢) من كلام الحجاج بن يوسف الثقفي

خطب الحجاج في أهل الكوفة فقال:

"شاهت الوجوه، أن الله ضرب (مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وأنتم أولئك وأشباه أولئك، فاستوثقوا واستقيموا، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا، ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا، أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان، والهبر وما الهبر. أو لأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى، والولدان يتامى، وحتى تمشوا السمهي، وتقلعوا عن هاوها، إياي وهذه الزرافات، لا يركبن الرجل منكم إلا وحده، إلا أنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جُبى فيءٌ ولا قوتل عدو، ولعطلت الثغور، ولولا أنهم يغزون كرها ما غزوا طوعا، وقد بلغني رفضكم المهلب، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة إلا ضربت عنقه"[١٤].

وخطب في أهل البصرة فقال:

"أيها الناس: من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعليّ أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه، وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره، قصرت عليه باقيه، إن للشيطان طيفا، وللسلطان سيفا، فمن سقمت سريرته، صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية لم تفق عليه الهلكة، ومن سبقته بادرة فمه، سق بدنه بسفك دمه إني أنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لا أعذر، وأتوعد ثم لا أعفو"[١٥].

رابعا: تواريخ مقارنة

السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي
١	١٦ يوليو ٦٢٢	٢٦	١٧ أكتوبر ٦٤٦
٢	٥ يوليو ٦٢٣	٢٧	٧ أكتوبر ٦٤٧

(١٣) تاريخ الطبري ١٩٧/٣، الكامل في التاريخ ٣٠٤/٣.

(١٤) تاريخ الطبري ٥٤٨/٣، الفائق للزمخشري ٤ ١٣٠، تاريخ دمشق ١٢ ١٣٤.

(١٥) صبح الأعشى جـ ١، ص ٢٢٠.

السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي
٣	٢٤ يونيه ٦٢٤	٢٨	٢٥ سبتمبر ٦٤٨
٤	١٣ يونيه ٦٢٥	٢٩	١٤ سبتمبر ٦٤٩
٥	٢ يونيه ٦٢٦	٣٠	٤ سبتمبر ٦٥٠
٦	٢٣ مايو ٦٢٧	٣١	٢٤ أغسطس ٦٥١
٧	١١ مايو ٦٢٨	٣٢	١٢ أغسطس ٦٥٢
٨	١ مايو ٦٢٩	٣٣	٢ أغسطس ٦٥٣
٩	٢٠ إبريل ٦٣٠	٣٤	٢٢ يوليو ٦٥٤
١٠	٩ إبريل ٦٣١	٣٥	١١ يوليو ٦٥٥
١١	٢٩ مارس ٦٣٢	٣٦	٣٠ يونيه ٦٥٦
١٢	١٨ مارس ٦٣٣	٣٧	١٩ يونيه ٦٥٧
١٣	٧ مارس ٦٣٤	٣٨	٩ يونيه ٦٥٨
١٤	٢٥ فبراير ٦٣٥	٣٩	٢٩ مايو ٦٥٩
١٥	١٤ فبراير ٦٣٦	٤٠	١٧ مايو ٦٦٠
١٦	٢ يناير ٦٣٨	٤١	٧ مايو ٦٦١
١٧	٢٣ يناير ٦٣٨	٤٢	٢٦ إبريل ٦٦٣
١٨	١١يناير ٦٣٩	٤٣	١٥ إبريل ٦٦٣
١٩	٢ يناير ٦٤٠	٤٤	٤ إبريل ٦٦٤
٢٠	٢١ ديسمبر ٦٤٠	٤٥	٢٤ مارس ٦٦٥
٢١	١٠ ديسمبر ٦٤١	٤٦	١٣ مارس ٦٦٦
٢٢	٣٠ نوفمبر ٦٤٢	٤٧	٢ مارس ٦٦٧
٢٣	١٩ نوفمبر ٦٤٣	٤٨	٢٠ فبراير ٦٦٨
٢٤	٧ نوفمبر ٦٤٤	٤٩	٩ فبراير ٦٦٩
٢٥	٢٨ أكتوبر ٦٤٥	٥٠	٢٩ يناير ٦٧٠
٥١	١٨ يناير ٦٧١	٧٦	٢١ أبريل ٦٩٥
٥٢	٨ يناير ٦٧٢	٧٧	١٠ أبريل ٦٩٦
٥٣	٢٧ ديسمبر ٦٧٢	٧٨	٣٠ مارس ٦٩٧
٥٤	١٦ ديسمبر ٦٧٣	٧٩	٢٠ مارس ٦٩٧
٥٥	٦ ديسمبر ٦٧٤	٨٠	٩ مارس ٦٩٩
٥٦	٢٥ نوفمبر ٦٧٥	٨١	٢٦ فبراير ٧٠٠
٥٧	١٤ نوفمبر ٦٧٦	٨٢	١٥ فبراير ٧٠١

السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي
٥٨	٣ نوفمبر ٦٧٧	٨٣	٤ فبراير ٧٠٢
٥٩	٢٣ أكتوبر ٦٧٨	٨٥	١٤ يناير ٧٠٤
٦٠	١٣ أكتوبر ٦٧٩	٨٥	١٤ يناير ٧٠٤
٦١	١ أكتوبر ٦٨٠	٨٦	٢ يناير ٧٠٥
٦٢	٢٠ سبتمبر ٦٨١	٨٧	٢٣ ديسمبر ٧٠٥
٦٣	١٠ سبتمبر ٦٨٢	٨٨	١٢ ديسمبر ٧٠٦
٦٤	٣٠ أغسطس ٦٨٣	٨٩	١ ديسمبر ٧٠٧
٦٥	١٨ أغسطس ٦٨٤	٩٠	٢٠ نوفمبر ٧٠٨
٦٦	٨ أغسطس ٦٨٥	٩١	٩ نوفمبر ٧٠٩
٦٧	٢٨ يوليه ٦٨٦	٩٢	٢٩ أكتوبر ٧١٠
٦٨	١٨ يوليه ٦٨٧	٩٣	١٩ أكتوبر ٧١١
٦٩	٦ يوليه ٦٨٨	٩٤	٧ أكتوبر ٧١٢
٧٠	٢٥ يونيه ٦٨٩	٩٥	٢٦ سبتمبر ٧١٣
٧١	١٥ يونيه ٦٩٠	٩٦	١٦ سبتمبر ٧١٤
٧٢	٤ يونيه ٦٩١	٩٧	٥ سبتمبر ٧١٥
٧٣	٢٣ مايو ٦٩٢	٩٨	٢٥ أغسطس ٧١٦
٧٤	١٣ مايو ٦٩٣	٩٩	١٤ أغسطس ٧١٧
٧٥	٢ مايو ٩٦٤	١٠٠	٣ أغسطس ٧١٨
١٠١	٢٤ يوليو ٧١٩	١٢٦	٢٥ أكتوبر ٧٤٣
١٠٢	١٢ يوليو ٧٢٠	١٢٧	١٣ أكتوبر ٧٤٤
١٠٣	١ يوليو ٧٢١	١٢٨	٣ أكتوبر ٧٤٥
١٠٤	٢١ يونيه ٧٢٢	١٢٩	٢٢ سبتمبر ٧٤٦
١٠٥	١٠ يونيه ٧٢٣	١٣٠	١١ سبتمبر ٧٤٧
١٠٦	٢٩ مايو ٧٢٣	١٣١	٣١ أغسطس ٧٤٨
١٠٧	١٩ مايو ٧٢٥	١٣٢	٢٠ أغسطس ٧٤٩
١٠٨	٨ مايو ٧٢٦	١٣٣	٩ أغسطس ٧٥٠
١٠٩	٢٨ أبريل ٧٢٧	١٣٤	٣٠ يوليه ٧٥١
١١٠	١٦ أبريل ٧٢٨	١٣٥	١٨ يوليه ٧٥٢
١١١	٥ أبريل ٧٢٩	١٣٦	٧ يوليه ٧٥٣
١١٢	٢٦ مارس ٧٣٠	١٣٧	٢٧ يونيه ٧٥٤

السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي
١١٣	١٥ مارس ٧٣١	١٣٨	١٦ يونيه ٧٥٥
١١٤	٣ مارس ٧٣٢	١٣٩	٥ يونيه ٧٥٦
١١٥	٢١ فبراير ٧٣٤	١٤٠	٢٥ مايو ٧٥٧
١١٦	١٠ فبراير ٧٣٤	١٤١	١٤ مايو ٧٥٨
١١٧	٣١ يناير ٧٣٥	١٤٢	٤ مايو ٧٥٩
١١٨	٢٠ يناير ٧٣٦	١٤٣	٢٢ أبريل ٧٦٠
١١٩	٨ يناير ٧٣٧	١٤٤	١١ أبريل ٧٦١
١٢٠	٢٩ ديسمبر ٧٣٧	١٤٥	١ أبريل ٧٦٢
١٢١	١٨ ديسمبر ٧٣٨	١٤٦	٢١ مارس ٧٦٣
١٢٢	٧ ديسمبر ٧٣٩	١٤٧	١٠ مارس ٧٦٤
١٢٣	٢٦ نوفمبر ٧٤٠	١٤٨	٢٧ فبراير ٧٦٥
١٢٤	١٥ نوفمبر ٧٤١	١٤٩	١٦ فبراير ٧٦٦
١٢٥	٤ نوفمبر ٧٤٢	١٥٠	٦ فبراير ٧٦٧

١٥١	٧٦٨	١٧٤	٧٩٢	١٩٧	٨١٥
١٥٢	٧٦٩	١٧٥	٧٩٣	١٩٨	٨١٦
١٥٣	٧٧١	١٧٦	٧٩٤	١٩٩	٨١٧
١٥٤	٧٧٢	١٧٧	٧٩٥	٢٠٠	٨١٨
١٥٥	٧٧٣	١٧٨	٧٩٦	٢٠١	٨١٩
١٥٦	٧٧٤	١٧٩	٧٩٧	٢٠٢	٨٢٠
١٥٧	٧٧٥	١٨٠	٧٩٨	٢٠٣	٨٢١
١٥٨	٧٧٦	١٨١	٧٩٩	٢٠٤	٨٢٢
١٥٩	٧٧٧	١٨٢	٨٠٠	٢٠٥	٨٢٣
١٦٠	٧٧٨	١٨٣	٨٠١	٢٠٦	٨٢٤
١٦١	٧٧٩	١٨٤	٨٠٢	٢٠٧	٨٢٥
١٦٢	٧٨٠	١٨٥	٨٠٣	٢٠٨	٨٢٦
١٦٣	٧٨١	١٨٦	٨٠٤	٢٠٩	٨٢٧
١٦٤	٧٨٢	١٨٧	٨٠٥	٢١٠	٨٢٨
١٦٥	٧٨٣	١٨٨	٨٠٦	٢١١	٨٢٩
١٦٦	٧٨٤	١٨٩	٨٠٧	٢١٢	٨٣٠

١٦٧	٧٨٥	١٩٠	٨٠٨	٢١٣	٨٣١
١٦٨	٧٨٦	١٩١	٨٠٩	٢١٤	٨٣٢
١٦٩	٧٨٧	١٩٢	٨١٠	٢١٥	٨٣٣
١٧٠	٧٨٨	١٩٣	٨١١	٢١٦	٨٣٤
١٧١	٧٨٩	١٩٤	٨١٢	٢١٧	٨٣٥
١٧٢	٧٩٠	١٩٥	٨١٣	٢١٨	٨٣٦
١٧٣	٧٩١	١٩٦	٨١٤	٢١٩	٨٣٧
٢٢٠	٨٣٨	٢٣٨	٨٥٦		
٢٢١	٨٣٩	٢٣٩	٨٥٧		
٢٢٢	٨٤٠	٢٤٠	٨٥٨		
٢٢٣	٨٤١	٢٤١	٨٥٩		
٢٢٤	٨٤٢	٢٤٢	٨٦٠		
٢٢٥	٨٤٣	٢٤٣	٨٦١		
٢٢٦	٨٤٤	٢٤٤	٨٦٢		
٢٢٧	٨٤٥	٢٤٥	٨٦٣		
٢٢٨	٨٤٦	٢٤٦	٨٦٤		
٢٢٩	٨٤٧	٢٤٧	٨٦٥		
٢٣٠	٨٤٨	٢٤٨	٨٦٦		
٢٣١	٨٤٩	٢٤٩	٨٦٧		
٢٣٢	٨٥٠	٢٥٠	٨٦٨		
٢٣٣	٨٥١				
٢٣٤	٨٥٢				
٢٣٥	٨٥٣				
٢٣٦	٨٥٤				
٢٣٧	٨٥٥				

هذه المقارنة منقولة عن كتاب "التوفيقات الإلهامية" ص ١ ــ ٧٥.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

(١) أبو عبد الله محمد بن سلامة بن خضر بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ه): عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ

(٢) أبو محمد بن الشيخ سراج الدين: (د ت): بغية الإرب ورياض الأدب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٧ مجاميع.

(٣) بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي (ت ٧٧٩ هـ): جهنية الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار - مخطوط بدار الكتب والمخطوطات المصرية رق ٧٤٥.

(٤) بيبرس المنصور الداودي (ت ٧٢٥/ ١٣٢٥م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨.

(٥) مجهول: برهان الكمال وكمال البرهان في ترجمة خلفاء الزمان - مخطوط بدار الكتب والمخطوطات رقم ١٤٧٧.

(٦) مؤلف مجهول من ق ١١ هـ: تاريخ الخلفاء - مخطوط - دار الكتب والمخطوطات المصرية رقم ٣٥٤٦٦.

(٧) مجهول:تاريخ الخلفاء والملوك - مخطوط - دار الكتب المصرية - المخطوطات رقم ٨٦٠ مجاميع.

(٨) مؤلف مجهول: شرح شافيه أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباسي - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٧٨٦.

(٩) يوسف بن محمد (البياسي) ٥٦٣ هـ: الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٩ تاريخ.

ثانيا: المصادر

(١) إبراهيم بن علي بن محمد بن قرصون اليعمري (ت ٧٩٩ هـ): الديباج المذهب - دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) ابن أيبك الدوداري (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٣ م): كنز الدر وجامع القرر - دار صادر بيروت سنة ١٩٩٢ م.

(٣) ابن السباعي على بن انجب (ت ٥٩٣ هـ): تاريخ الخلفاء العباسيين – مكتبة الاداب القاهرة ١٩٩٣م – تقديم وتعليق د/ عبد الرحيم يوسف الجمل.

(٤) ابن دقماق إبراهيم بن محمد بن أيدمر الهلالي (ت٨٠٩ هـ): الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين – جامعة أم القرى السعودية طبعة سنة ١٩٨٢م – تحقيق د/ سعيد عاشور - و د/ أحمد السيد دراج.

(٥) ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥): المغرب في حُلى المغرب - دار المعارف القاهرة ط ٣ سنة ١٩٥٥ م – تحقيق د/ شوقي ضيف.

(٦) ابن صاعد الاندلسي الطليطلي الجياني (ت ٤٦٢): كتاب طبقات الأمم – مطبعة السعادة مصر (د.ت).

(٧) أبو اسحاق الشيرازي الفيروز أبادي إبراهيم بن علي بن يوسف (ت سنة ٤٧٦ هـ): التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي – مطبعة الحلبي القاهرة د.ت.

(٨) ———: طبقات الفقهاء – دار القلم بيروت تحقيق/ خليل الميس.

(٩) أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري الكرخي (توفي النصف الأول من ق ٤ هـ): المسالك والممالك – مطبعة بريل طبعة سنة ١٩٦٧ م.

(١٠) أبو الحسن بن الفيض الغساني (ت ٦٨١ هـ): أخبار وحكايات د.ت.

(١١) أبو الحسن على بن ابى الحسن المسعودي (ت ٣٤٦هـ): كتاب التنبيه والإشراف القاهرة سنة ١٩٣٨.

(١٢) ———: مروج الذهب ومعادن الجوهر – طبعة مصرية ١٣٤٦م.

(١٣) أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق / هلموت ريتر ط ٣ – الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر ٦١ سنة ١٩٨٠م

(١٤) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ): الذخيرة في محاسة أهل الجزيرة – تحقيق / إحسان عباس دار الثقافة للنشر بيروت طبعة سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م –.

(١٥) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٥.

(١٦) أبو الحسن عبد الباقي بن قانع (ت ٣٥١ هـ): معجم الصحابة تحقيق/ صلاح بن سالم المصراتي – مكتبة الغرباء والأثرية – المدينة المنورة ط ١ سنة ١٤١٨ هـ.

(١٧) **ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ): الكامل في** التاريخ تحقيق/ عبد الله القاضي.دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ سنة ١٤١٥ هـ.

(١٨) **أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤ هـ):** رحلة إبن جبير تقديم د/ مصطفى زيادة.ـ دار الكتاب اللبناني بيروت والقاهرة ـ

(١٩) **أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ):** صحيح مسلم تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي.ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٢م

(٢٠) **أبو العباسي أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ):** صبح الأعشى ـ سلسلة الذخائر رقم ١٣٠ سنة ٢٠٠٤م.

(٢١) **أبو العباسي أحمد بن خالد الناصري (ت ١١٠٠ هـ):** الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق/ جعفر الشاطر وأخرين ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء المغرب ـ طبعة سنة ١٩٩٧ ـ.

(٢٢) **أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم إبن تيمية (ت ٧٢٨ هـ):** اقتصاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ تحقيق/ ناصر عبد الكريم العقل دار إشبيليا الرياض طبعة ١٤١٨ هـ ـ.

(٢٣) **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ دار العاصمة الرياض سنة ١٩٩٩م تحقيق عبد العزيز العسكر وآخرين:** السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ تحقيق/ عبد الباسط بن يوسف الغريب دار الراوي للنشر الرياض ـ ط ١ سنة ٢٠٠٠م ـ.

(٢٤) **التسعينية ـ مكتبة المعارف ـ الرياض الطبعة الأولي ١٩٩٩م تحقيق محمد إبراهيم العجلان:** مجموعة الفتاوي ـ وكتبه التوفيقية تحقيق/ خيري سعيد وآخرين ـ القاهرة ـ.

(٢٥) ــــــــــــ: منهاج السنة النبوية في حصن كلام الشيعة القدرية ـ تحقيق د/ محمد رشاد سالم.جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض طبعة ١٩٨٦م.

(٢٦) **أبو العباسي أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني (ت ١٠١٩هـ):** أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ ـ تحقيق/ أحمد خطيط ـ عالم الكتب ط ١ سنة ١٩٩٢ م.

(٢٧) أبو العباسي شمس الدين أحمد بن محمد بن أب بكر بن الخليكان (٦٨١ هـ): وفيات الأعيان وأنباء الزمان – دار الثقافة بيروت – تحقيق / إحسان عباس.
(٢٨) أبو العباسي محمد بن زيد المبرد النحوي (ت ٢٨٥ هـ): كتاب الكامل – دار الفكر للنشر والتوزيع مصر.
(٢٩) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية - دار المعارف بيروت.
(٣٠) أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ): الأغاني تحقيق/ عبد الرحيم محمود دار الكتب المصرية طبعة سنة ١٩٥٢م.
(٣١) ــــــــ: مقاتل الطالبيين تحقيق/ السيد أحمد صقر - هيئة قصور الثقافة طبعة سنة ٢٠٠٣ م.
(٣٢) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ط١ـ شركة دار الأرقم بيروت ١٩٩٧ م.
(٣٣) صفة الصفوة تحقيق / محمود فاخوري ، د/ محمد رواسي قلعة جي:ـ دارة المعرفة بيروت. ط٢ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م المنتظم - دار صادر بيروت طبعة سنة ١٣٥٨ هـ.
(٣٤) ــــــــ: تلبيس إبليس - دار عمر بن الخطاب الاسكندرية د.ت.
(٣٥) ــــــــ: سيرة عمر بن عبد العزيز تحقيق محبي الدين الخطيب – مطبعة المؤيد – مصر ينة ١٣٣١هـ.
(٣٦) ــــــــ: تلقيح فهوم أهل الأثر - دار الأرقم بيروت ط١ سنة ١٩٩٧م.
(٣٧) أبو الفرج محمد بن إسحاق إبن النديم (ت سنة ٣٨٥ هـ): الفهرست - دار المعرفة بيروت - سنة ١٩٧٨م.
(٣٨) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت سنة (٨٥٢ هـ): الإصابة في تمييز الصحابة - دار الجيل بيروت.
(٣٩) أبو القاسم المقدس الناصري الكركي بن بليان (ت ٦٨٤ هـ): تحفة الصديق في فضائل الصديق - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة.
(٤٠) أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني (ت سنة ٣٤٥ هـ): تاريخ جرجان - عالم الكتب بيروت - ط٣ سنة ١٩٨١م - تحقيق د/ محمد عبد المعيد خان.

(٤١) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ): الأوائل - مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة ١٤٠٣ هـ - تحقيق/ محمد شكور والحاجي أمرير.

(٤٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرش المصري (ت ٢٥٧ هـ): فتوح مصر وأخبارها - دار الفكر بيروت - ط ١ سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - تحقيق / محمد الحجيري.

(٤٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعي (٥٧١ هـ): تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر العمري تاريخ مدينة دمشق - دار الفكر بيروت طبعة سنة ١٩٩٥ م.

(٤٤) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (إمام الحرمين) (ت ٤٧٨ هـ): غياث الأمم في الغياث الظلم (الغياثي) - مطبعة نهضة مصر سنة ١٤٠١ هـ.

(٤٥) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي (ت ٤٠٣ هـ): تحقيق/ عزت العطار الحسيني تاريخ العلماء بالأندلس - مطبعة المدني القاهرة - ط ٢ سنة ١٩٨٨ م.

(٤٦) أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ): التمهيد - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت سنة ١٩٨٧ م.

(٤٧) أبو بكر أحمد بن خيثمة زهير بن حرب - (ت ٢٧٩ هـ): تحقيق / صلاح بن فتحي المهلل التاريخ الكبير (تاريخ ابن خيثمة) - دار الفاروق القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

(٤٨) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ): تاريخ بغداد - دار الكتب العلمية بيروت.

(٤٩) أبو بكر بن عمر بن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ): تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان طبقات الشافعية - عالم الكتب بيروت ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ.

(٥٠) أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٧٨ هـ): تحقيق د/ باسم فيصل أحمد الجوايرة الآحاد والمثاني - دار الراية الرياض ط سنة ١٩٩١م.

(٥١) أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ): تحقيق/ محمد بن ناصر العجمي الأوائل - دار الخلفاء للكتاب - الكويت.

(٥٢) ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا البغدادي (ت ٢٨١ هـ): تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف.المحتضرين دار إبن حزم بيروت - ط ١ سنة ١٤١٧ هـ.

(٥٣) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت سنة ٥٤٣ هـ): تحقيق/ محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاسامبولي.العواصم من القواصم - دار الجيل بيروت - ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ.

(٥٤) أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت ٦٩٤ هـ): تحقيق / عيسى عبد الله محمد مانع الحميري الرياض النضرة في مناقب العشرة - دار الغرب الإسلامي بيروت - ط ١ سنة ١٩٩٦ م.

(٥٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الأمم والملوك - دار الكتب العلمية بيروت - طبعة سنة ١٩٩٨ م.

(٥٦) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ): مشاهير علماء الأمصار تحقيق م. فلا يشهمر.- دار الكتب العلمية بيروت طبعة سنة ١٩٥٩ م.

(٥٧) أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ): الأخبار الطوال - تحقيق / عبد المنعم عاصره.مكتبة الحلبي القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠م.

(٥٨) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ): أخبار المدينة تحقيق/ علي محمد دندل وأخرين.- دار الكتب العلمية بيروت - طبعة سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

(٥٩) أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦١ هـ): الأنساب تحقيق / عبد الله عمر البارودي.- دار الفكر بيروت - طبعة سنة ١٩٨٨ م.

(٦٠) أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦ هـ): معجم السفر تحقيق/ عبد الله عمر البارودي - المكتبة التجارية مكة المكرمة.

(٦١) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ): فضائل الصحابة دار الكتب العلمية - بيروت ط١ سنة ١٤٠٥ هـ.

(٦٢) أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ): فضائل الصحابة تحقيق / وحي الله محمد بن عباس.مؤسسة الصالة بيروت - ط ١ سنة ١٩٨٣ م.

(٦٣) أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي (ت ٢٧٥ هـ): أخبار مكة دارة خضر بيروت ط ٢ سنة ١٤١٤ هـ - تحقيق د/ عبد الملك عبد الله وهيش.
(٦٤) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ): الجامع الصحيح (صحيح التجاري) - دار الفكر ط ١ سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
(٦٥) ــــــــــ: التكملة لكتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس - دار الفكر للطباعة - طبعة سنة ١٩٩٥م - تحقيق/ عبد السلام الهراس.
(٦٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء في تراجم الشعراء - دار المعارف القاهرة - ط ٢ سنة ١٩٨٥ م - تحقيق د/ حسين مؤنس.
(٦٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجباني (ت سنة ٦٧٢ هـ): الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة - دار الجيل بيروت ط ١ سنة ١٤١١ هـ - تحقيق/ محمد حسن عواد.
(٦٨) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: ت (٣٣١هـ): كتاب الوزراء والكتاب - هيئة قصور الثقافة - تحقيق / مصطفى السقا وآخرين طبعة سنة ٢٠٠٤م.
(٦٩) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): فتوح الشام - دار الجيل - بيروت - د.ت.
(٧٠) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان - دار الفكر بيروت.
(٧١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): البيان والتبيين - تحقيق/ عبد السلام هارون - سلسلة الذخائر سنة ٢٠٠٣م.
(٧٢) ــــــــــ: رسائل الجاحظ في بني أمية - طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م.
(٧٣) أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٣٠ هـ): تاريخ خليفة بن خياط - دار القلم دمشق وبيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م - تحقيق د/ أكرم ضياء العمري.
(٧٤) ــــــــــ: الطبقات - دار طيبة الرياض ط٢ سنة ١٩٨٢م تحقيق د/ أكرم ضياء العمري.

(٧٥) **أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (ت ٣٥٠ هـ):** تاريخ ولاه مصر وقضانها - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان - ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.

(٧٦) **أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم بن النمري القرطبي دت سنة ٤٦٣ هـ):** الإنباه علي قبائل الرواه - تحقيق / إبراهيم الإبياري دار الكتاب العربي - بيروت ط١ سنة ١٤٠٥ هـ.

(٧٧) **أبو محمد الحسن بن موسى النونجتي الشيعي (ت ٣٠٢ هـ):** كتاب فرص الشيعة تصحيح / محمد صادق.- مطبعة النجف بالعراق سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م

(٧٨) **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ):** التوابيين تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٣ هـ.

(٧٩) **أبو محمد عبد الله بن أسعد الرافعي (ت ٧٦٨ هـ):** مرأه الجنان وعبرة اليقظان - دار الكتاب الإسلامي القاهرة طبعة ١٤١٣ هـ.

(٨٠) **أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ):** سيرة عمر بن عبد العزيز تحقيق / أحمد عبيد - عالم الكتب بيروت ط ٦ سنة ١٤٠٤ هـ.

(٨١) **أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدني (ت ٤٠٩ هـ):** المتوارين من الحجاج بن يوسف - تحقيق/ مشهور حسن محمود سلمان.دار القلم ، الدار - دمشق وبيروت - ط ١ سنة ١٤٣ هـ.

(٨٢) **أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ):** طبقات المحدثين بأصبهان تحقيق/ عبد الغفور عبد الحق البلوشي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ سنة ١٩٩٢م.

(٨٣) **أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) ت (سنة ٢٧٦ هـ):** الإمامة والسياسة المكتبة المصرية - الطبعة الثانية سنة ١٣٢٥ هـ.

(٨٤) ــــــــ: كتاب العرب أو الرد على الشعوبية - رسائل البلقاء - جمع ونشر كرد على - مطبعة مصر سنة ١٣٣١ هـ.

(٨٥) ــــــــ: المعارف - دار المعارف القاهرة - تحقيق / ثروت عكاشة.

(٨٦) ــــــــ: عيون الأخبار - دار الكتب العلمية بيروت. د.ت.

(٨٧) **أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦ هـ):** الفصل في الملل والأهواء والنحل - دار المعرفة - بيروت ط٢ سنة ١٩٧٥م.

(٨٨) الزبيري بن بكار عبدالله بن مسعد بن عبدالله بن الزبير (ت ٢٥٦هـ): نسب قريش - دار المعارف مصر د.ت.

(٨٩) ـــــــــــ: تاريخ اصبهان - دار الكتب العلمية بيروت تحقيق/ سيد كسروية حسن.

(٩٠) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ): حلية الأولياء - دار الكتاب العربي - بيروت ط٤ سنة ١٤٠٥ هـ.

(٩١) أبو يعلي الخليل بن عبد الملك بن الخليلي القزويني (ت ٤٤٦ هـ): الإرشاد - مكتبة الرشد الرياض - ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ - تحقيق / محمد سعيد عمر إدريس.

(٩٢) أبو علي محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد بن الفراء (ت ٤٥٨ هـ): تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - دار النبلاء عمان الأردن ودار الرشد بالرياض - طبعة سنة ٢٠٠١ هـ.

(٩٣) أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧ هـ): المعرفة والتاريخ دارة الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٩م تحقيق / خليل المنصور.

(٩٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢ هـ): تاريخ اليعقوبي - طبعة بيروت سنة ١٩٦٠م.

(٩٥) أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ): عيون الإنباء في طبقات الأطباء - تحقيق د/ نزار رضا مكتبة الحياة بيروت - .

(٩٦) أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ): مأثر الإناقة في معالم الخلافة تحقيق / عبد الستار فرج- مطبعة حكومة الكويت طبعة ٢ سنة ١٩٨٥م

(٩٧) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين دار الريان للتراث ط١ سنة ١٤٠٧ هـ.

(٩٨) أحمد بن فضلان بن العباسي بن راشد بن حماد (ت ٣٥٠ هـ تقريبا): رحلة إبن فضلان إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة تحقيق د/ سامي الدهان - مديرية إحياء التراث دمشق ط٢ سنة ١٩٧٩ م - .

(٩٩) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ): العقد الفريد - تحقيق/ مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية بيروت - طبعة سنة ١٩٩٧ م - .

(١٠٠) **أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت سنة ٢٧٩ هـ):** أنساب الأشراف تحقيق/ محمد حميد الله طبعة دار المعارف مصر سنة ١٩٥٩ م سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٧ .

(١٠١) ــــــــــ: فتوح البلدان تحقيق/ رضوان محمد ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ طبعة سنة ١٤٠٣ هـ.

(١٠٢) **أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ):** تاريخ واسط تحقيق / كوركيس عواد عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ سنة ١٤٠٦ هـ.

(١٠٣) **الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي (ت ٤٠٣هـ):** تاريخ العلماء بالأندلس تحقيق/ عزت العطاد الحسيني ـ مطبعة المدني القاهرة سنة ١٩٨٨ ـ ط٢

(١٠٤) **الحافظ نور الدين أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ):** مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١٩٨٨ م.

(١٠٥) **الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني (ت):** الإرشاد في معرفة علماء الحديث ـ مكتبة الرشد الرياض ـ ط ١ سنة ١٤٠٩ مـ تحقيق د/ محمد سعيد إدريس.

(١٠٦) **السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ):** دار الفكر بيروت ط١ تحقيق/ عبد الله عمر البارودي.

(١٠٧) **العباس بن بكار الضبي (ت ٢٢٢ هـ):** أخبار الوافدين من الرجال علي معاوية بن أبي سفيان ـ رضه ـ من أهل البصرة والكوفة ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة ١٤٠٣ هـ ـ تحقيق / سكنية الشهابي.

(١٠٨) **القاضي حسين أحمد العرشى (ت ١٩٣٩م):** بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولي اليمن من ملك و إيمان (د.ت).

(١٠٩) **المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ):** النهاية في غريب الأثر ـ المكتبة العلمية بيروت ـ طبعة ١٩٧٩ م ـ تحقيق / طاهر ١٩٧٩ م تحقيق / طاهر أحمد الزاوي وحمود الطناحي.

(١١٠) **المطهر بن طاهر المقدس (ت ٥٠٧ هـ):** البدء والتاريخ ـ مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مصر.

(١١١) **برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ):** الديباج المذهب في علماء المذهب (المالكي ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ د.ت.

(١١٢) برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الوطواط الكتبي (ت سنة ٧١٨ هـ): غرر الخصائص الواضحة وعرر النقايض الفاضحة - مطبعة مصر سنة ١٣٨٤ هـ.

(١١٣) تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ): طبقات الشافعية الكبرى تحقيق / د/ محمود محمد الطناحي وأخرين.ـ هجر للطباعة والنشر ـ ط ٣ سنة ١٤١٣ هـ ـ

(١١٤) تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٥٨٤٥ هـ): المواعظ والاعتبار بذك الخطط والآثار (الخطيط المقريزية) مكتبة الثقافة الدينية.

(١١٥) ــــــــــ: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم تحقيق / د/ حسين مؤنس ـ دار المعارف ـ سلسلة الذخائر سنة ١٩٨٨ م ـ.

(١١٦) ــــــــــ: رسائل المقريزي ـ دراسة وتحقيق / رمضان البدري وأخرين ـ دار الحديث القاهرة ط سنة ١٩٩٨م.

(١١٧) تقي الدين الحصني بن محمود بن أديب ـ (ت٨٢٩ هـ): منتخبات التواريخ ـ المطبعة الحديثة دمشق ١٩٢٧ م.

(١١٨) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤ هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة وزارة الثقافة مصر.

(١١٩) جمال الدين القاسمي الهاشمي (د ت): تاريخ الجهمية والمعتزلة ـ مطبعة المنار القاهرة سنة ١٢٩٢ هـ.

(١٢٠) حمزة بن يوسف الجرجاني (ت ٣٤٥): تاريخ جرجان تحقيق / محمد عبد المعيد خان ـ عالم الكتب بيروت ط٣ سنة ١٩٨١م.

(١٢١) رزق الله بن منتصر بن يونس بن الصدفى ـ (د ت): تاريخ دول الإسلام ـ الدار العالمية للنشر ـ طـ ١ سنة ١٩٨٦م.

(١٢٢) بن أبى العز الحنفى ـ (ت سنة ٦٧٧هـ): شرح العقيدة الطحاوية تحقيق / محمد ناصر الدين الألبانى. المكتب الإسلامى بيروت طـ ٤ سنة ١٤١٦هـ ـ

(١٢٣) سهل الرزاز الواسطى ـ (ت ٢٩٢هـ): تاريخ واسط تحقيق / كوركير عواديم ـ عالم الكتب بيروت ـ طبعة ١ سنة ١٤٠٦هـ.

(١٢٤) سيف بن عمر الضبى الأسدى ـ (ت ٢٠٠هـ): الفتنه و وقعة الجمل تحقيق / أحمد راتب عرموش ـ دار النفائس بيروت ـ طـ ١ سنة ١٣٩١هـ ـ

(١٢٥) شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى ـ (ت ٧٤٨هـ): العبر فى زمن من غبر تحقيق / صلاح الدين المنجد ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ط ٢ سنة ١٩٩٤م.

(١٢٦) ــــــــــ: تاريخ دول الإسلام (المغازى) ـ تحقيق / شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ ط ١ سنة ١٩٩٦م.

(١٢٧) شمس الدين محمد بن طولون ـ (ت ٩٥٣هـ): قيد الشريد فى أخبار يزيد ـ تحقيق / محمد زينهم محمد عزب ـ دار الصحوة القاهرة ١٩٨٦م.

(١٢٨) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشخاوى ـ (ت ٩١١هـ): الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ـ منشورات دار مكتبة بيروت.

(١٢٩) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ـ (ت سنة ٧٣٢هـ ـ ١٣٣٣م): نهاية الأرب فى فنون الأدب ـ تحقيق / محمد جابر عبد العال ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ١٩٨٤م.

(١٣٠) صديق بن حسن القنوجى ـ (ت ١٣٠٧هـ): أبجد العلوم ـ تحقيق / عبد الجبار زكار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة سنة ١٩٧٨م.

(١٣١) عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ): شذارات الذهب فى أخبار من ذهب تحقيق / عبد القادر الأرنؤوط وآخرين ـ دار إبن كثير ـ دمشق ـ ط ١ سنة ١٤٠٦هـ.

(١٣٢) عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ـ (ت ٩١١هـ): تاريخ الخلفاء تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة مصر ـ سنة ١٣٧١هـ ـ الطبعة الأولى.

(١٣٣) ــــــــــ: طبقات الحفاظ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ١ سنة

(١٣٤) عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى ـ (ت ١٢٤١هـ): تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ـ دار الجيل ـ بيروت ـ سنة ١٩٩٣م.

(١٣٥) عبد الرحمن بن محمد العمادى الدشقى ـ (ت ١٠٥١هـ): الروضة الريا بمن دفن بداريا دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط ١ سنة ١٤٠٨هـ ـ تحقيق / عبده على الأشعث.

(١٣٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى ـ (ت ٨٠٨هـ): المقدمة ـ دار القلم بيروت ط ٥ سنة ١٩٨٤م.

(١٣٧) ــــــــــ: تاريخ إبن خلدون (كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر فى ايام العرب و العجم و البربر ـ دار القلم بيروت ـ ط ٥ سنة ١٩٨٤م.

(١٣٨) عبد الغنى بن سعيد الأزدى - (ت ٤٠٩هـ): المتوارين من الحجاج بن يوسف - - تحقيق / مشهور حسن محمود سليمان دار القلم الدار - دمشق و بيروت - ط ١ سنة ١٤١٠هـ.

(١٣٩) عبد القادر بن أبى الوفا القرشى - (ت سنة ٧٧٥هـ): طبقات الحنفية - دار نشر منير محمد كتب خانة - كراتشى.

(١٤٠) عبد القادر بن بدران - (ت ١٣٤٦هـ): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال - تحقيق / زهير الشاويش - المكتب الإسلامى بيروت - ط ٢ سنة ١٩٨٥م.

(١٤١) عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى - (ت ٩٧٨هـ): الدارس فى تاريخ المدارس - دار الكتب العلمية بيروت - ط ١ سنة ١٤٠٣هـ - تحقيق / إبراهيم شمس الدين.

(١٤٢) عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى - (ت ٤٢٥هـ): الفرق بين الفرق - مكتبة إبن سينا القاهرة - تحقيق / محمد عفان الخشت.

(١٤٣) عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى - (ت ٦٢٣هـ): التدوين فى خبار قزوين - تحقيق / عزيز الله العطارى - دار الكتب العلمية - بيروت طبعة سنة ١٩٨٧م.

(١٤٤) عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى - (ت ٤٨٧هـ): معجم ما إستعجم - - تحقيق / مصطفى السقا عالم الكتب بيروت - طبعة سنة ١٤٠٣هـ.

(١٤٥) عبد الملك بن حسين الشافعى العاصمى - (ت ١١١١هـ): سمط النجوم العوالى - تحقيق / عادل عبد الموجود و آخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة سنة ١٩٩٨م.

(١٤٦) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - (ت سنة ٤٢٩هـ): يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر - تحقيق د/ مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية بيروت - ط ١ سنة ١٩٨٣م.

(١٤٧) عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم - (ت ٣٤٩هـ): أخبار النحويين - تحقيق / مجدى فتحى السيد - دار الصحابة للتراث - طنطا - ط ١ سنة ١٤١٠هـ.

(١٤٨) عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى السكسكى اليمنى - (ت ٩٠٤هـ): طبقات صلحاء اليمن (تاريخ البريهى) - تحقيق / عبد الله محمد الحبشى - مكتبة الإرشاد صفاء - طبعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١٤٩) عز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى - (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ تحقيق عبد الرحمن القاضى - دار الكتب العلمية بيروت ط٢ سنة ١٤١٥هـ.
(١٥٠) ــــــــــ: أسد الغابة فى معرفة الصحابة - تحقيق / خالد عبد الفتاح شبل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .
(١٥١) على بن أنجب الشهير بابن السباعى - (ت ٥٩٣هـ): تاريخ الخلفاء العباسين تقديم وتعليق / عبد الرحيم يوسف الجمل- مكتبة الأدب القاهرة ١٩٩٣م
(١٥٢) على بن بسام الشنتريني - (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - تحقيق / إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - طبعة سنة ١٩٩٧م.
(١٥٣) على بن محمد بن عبد الرحمن الروحى - (ت ١٠٦٥هـ): بلغة الظرفاء فى ذكرى تواريخ الخلفاء - تحقيق د / محمد زينهم محمد عزب - مكتبة الثقافة الدينية - طبعة سنة ٢٠٠١م.
(١٥٤) على بن محمد بن على الجرجانى - (ت ٨١٦هـ): التعريفات - تحقيق / إبراهيم الإبيارى - دارى الكتاب العبرى - بيروت ط ١ سنة ١٤٠٥هـ.
(١٥٥) على بن منصور إبن القارح - (ت ٤٣١هـ): رسالة إبن القارح - رسائل البلغاء - جمع ونشر كرد على - طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣م.
(١٥٦) كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة - (ت ٦٧٥هـ): بغية الطلب فى تاريخ حلب - دار الفكر - بيروت - تحقيق د / سهيل نكار.
(١٥٧) مؤلف مجهول: من موالى العباسيين من رجال القرن الثالث الهجرى: أخبار الدولة العباسية تحقيق / عبد العزيز الدورى وآخرين - دار الطليعة - بيروت.
(١٥٨) مؤلف مجهول: العيون والحدائق - دار المثنى - بغداد. (د.ت).
(١٥٩) مؤلف مجهول - من رجال القرن الرابع: العيون والحدائق - طبعة ليدن - سنة ١٨٦٩م.
(١٦٠) مجير الدين الحنبلى العليمى - (ت ٩٢٧هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - تحقيق / عدنان يونس نباته - مكتبة ونديس عمان - سنة ١٩٩٩م.
(١٦١) محمد بن أبى بكر - عبد القادر الرازى: مختار الصحاح - تحقيق / محمود خاطر مكتبة ناشر - بيروت - طبعة سنة ١٩٩٥م ر.

(١٦٢) محمد بن أحمد البيروني - (ت ٤٤٠هـ): الآثار الباقية في القرون الخالية - طبعة ليبزل - طبعة سنة ١٨٧٨.
(١٦٣) محمد بن أحمد المقدس - (ت ٣٩٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - تحقيق / غازي طليمات - دار الثقافة - دمشق - سنة ١٩٨٠م.
(١٦٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله القرش المقري (ت ٧٦١هـ): نفح الطيب عن غصن الأندلس الطيب - تحقيق د/ إحسان عباس - دار صادر - بيروت - سنة ١٣٨٨هـ.
(١٦٥) محمد بن أحمد بن أعثم الكوفي - (ت ٣١٤هـ): كتاب الفتوح - دار الندوة الجديدة بيروت - ط١.
(١٦٦) محمد بن أحمد بن الكناني الأندلسي - (ت ٦١٤هـ) -: رحلة إبن جبير - تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة - دار الكتب اللبناني بيروت والقاهرة.
(١٦٧) محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي - (ت ٣٠٣هـ): المحن - دار العلوم الرياضي ط ١ سنة ١٤٠٤هـ - تحقيق د / عمر سيف العقيلي.
(١٦٨) محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي - (ت ٦١٤هـ): رحلة إبن جبير - تقديم / محمد مصطفى زيادة - دار الكتاب اللبناني بيروت والقاهرة.
(١٦٩) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - (ت ٧٤٨هـ): المعين في طبقات المحدثين - تحقيق د/ همام سعيد - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ١ سنة ١٤٠٤هـ
(١٧٠) ـــــــــــ: سير أعلام النبلاء - تحقيق / شعيب الأرناؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة بيروت ط ٩ سنة ١٤١٣هـ.
(١٧١) ـــــــــــ: معرفة القراء الكبار تحقيق بشار عواد وآخرين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ ١٤٠٤.
(١٧٢) محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي - (ت ٣٨٧هـ): مفاتيح العلوم - طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢هـ.
(١٧٣) محمد بن الحسن بن أصفنديار الكاتب - (ت ق ٧هـ): تاريخ طبرستان - تصحيح / عباس إقبال - طبعة إيران سنة ١٣٢٢هـ.
(١٧٤) محمد بن الوليد الطرطوشي: (ت ٥٢٠هـ): سراج الملوك - تحقيق/ عبد الحميد حمدان - نشر عالم الكتب - طبعة سنة ٢٠٠٥م.
(١٧٥) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى دار صادر - بيروت (د ت).

(١٧٦) ــــــــــــ: الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ـ تحقيق / زياد محمد منصور ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ .

(١٧٧) محمد بن سلام الجمحى ـ (ت ٢٣١هـ) ـ طبقات فحول الشعراء ـ دار المدني ـ جدة تحقيق / محمود محمد شاكر: طبقات فحول الشعراء – دار المدني جدة تحقيق محمود شاكر.

(١٧٨) محمد بن عبد الرؤوف المناوى ـ (ت ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف ـ تحقيق / محمد رضوان الدربة ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت و دمشق ـ ط ١ سنة ١٤١٠هـ.

(١٧٩) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهر ستانى ـ (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل ـ دار المعرفة بيروت ـ تحقيق / محمد سيد كيلانى.

(١٨٠) محمد بن عبد اللطيف محب الدين المحبى الدمشقى: (ت ١١٠٠هـ): خلاصة الأثر ـ طبعة دار صادر بيروت ـ (د.ت)

(١٨١) محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان زبر الربعى ـ (ت ٣٩٧هـ): مولد العلماء ووفياتهم ـ تحقيق / عبد الله أحمد سليمان دار العاصمة الرياض ـ ط ١ سنة ١٤١٠هـ.

(١٨٢) محمد بن عبد الله بن أدريس الحموى ـ (ت ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٩م ـ ط ١

(١٨٣) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى بن بطوطه ـ (ت ٧٧٠هـ): رحلة إبن بطوطة ـ تحقيق د/ على المنتصر الكتانى مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٤ سنى ١٤٠٥هـ.

(١٨٤) محمد بن على الشوكانى ـ (ت ١٢٥٠هـ):البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ـ دار المعرفة ـ بيروت.

(١٨٥) محمد بن على بن أحمد الداودى ـ (٩٤٥هـ): طبقات المفسرين ـ تحقيق / سليمان صالح الخزى ـ مكتبة العلوم والحكم السعودية ـ ط ١ سنة ١٩٩٧م.

(١٨٦) محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المصرى ـ (ت ٥٠٧هـ): ذيل تذكرة الحفاظ ـ تحقيق/ حمدى عبد المجيد إسماعيل السلفى ـ دار السميعى للنشر ـ الرياض ـ ط ١ ١٤١٥هـ.

(١٨٧) محمدبن على بن طباطبا (ابن الطقطقى): الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية طبعة مصر سنة ١٣١٧هـ.

(١٨٨) **محمد بن عمر بن الخطيب الرازى ـ (ت ٧٢١هـ):** اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ تحقيق / طه عبد الرؤوف وآخرين مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ طبعه سنة ١٩٧٨.

(١٨٩) **محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ):** لسان العرب ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط ١.

(١٩٠) **محمد بن يحيى بن أبى بكر المالقى الأندلسى ـ (ت ٧٤١هـ):** التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان ـ تحقيق / محمد يوسف زايد ـ دار الثقافة الدوحة ـ ط ١ سنة ١٤٠٥.

(١٩١) **محى الدين عبد الواحد بن على المراكش التميمى ـ (ت ٦٥٠هـ):** المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ـ تحقيق / محمد سعيد العريان و آخرين ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ط ١ سنة ١٣٦٨هـ.

(١٩٢) **محمود بن عمر الزمخشرى ـ (ت ٥٣٨هـ):** الفائق فى غريب الحديث ـ تحقيق / على محمد البجاوى و محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة ـ لبنان ط ٢.

(١٩٣) **مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى ـ (ت سنة ١٠٦٧ هـ):** كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٩٤) **نظام الملك حسين الطوسى ـ (ت ٤٨٥هـ):** سير الملوك (سياسية نامة) ـ تحقيق / يوسف حسين بكار دار الثقافة ـ قطر ط ٢ ـ سنة ١٤٠٧هـ.

(١٩٥) **يحيى بن شرف الدين أبو زكريا النووى ـ (ت ٦٧٦هـ):** روضة الطالبين وعمدة المتقين المكتب الإسلامى ـ دمشق ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٥م.

(١٩٦) **يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبى ـ (ت٤٦٣):** الإنباه على قبائل الرواة ـ تحقيق / إبراهيم الإبيارى دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ ط ١ ـ سنة ١٤٠٥هـ.

ثالثاً: المراجع الحديثة

(١) **إبراهيم بيضون:** تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع و الدور فى العصور الإسلامية ـ دار المنتخب العربى ـ بيروت ـ ط ١ سنة ١٩٩٧.

(٢) **إبراهيم العدوى:** الدولة الأموية ـ مقوماتها ورسالتها ـ دار الثقافة العربية ـ القاهرة ـ طبعة سنة ٢٠٠٠م

(٣) ـــــــــــ: تاريخ العالم الإسلامي ـ المعهد العالي للدراسات الإسلامية ـ سنة ٢٠٠٢م.
(٤) إبراهيم على شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت طبعة ٦ سنة ١٩٨٨م.
(٥) أبو الفضل إبراهيم وآخرين: أيام العرب فى الإسلام ـ مطبعة الحلبى ـ ط ٣ سنة ١٩٦٨م.
(٦) أحمد الحفناوى: حركات ومؤمرات مناهضة فى تاريخ الإسلام ـ طبعة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م دار الوفاء المنوره.
(٧) أحمد الشافعى: الحضارة الإسلامية ـ سلسلة تاريخ العرب ـ طبعة ١٩٩٩م.
(٨) أحمد الشامى: الحضارة الإسلامية إنتشارها وتأثيرها على الحضارة الأوربية ـ مطبعة الهداية ـ مصر سنة ١٩٩٨م ـ نشر سلسلة ـ تاريخ العرب الإسلامى.
(٩) ـــــــــــ: تاريخ الشعر السياسى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ د.ت.
(١٠) أحمد الشايب: تاريخ النقائض ـ طبعة الاعتماد سنة ١٩٤٦م.
(١١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ طبعة ١٩٩٩م.
(١٢) ـــــــــــ: فجر الإسلام ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ طبعة ٢٠٠٠م.
(١٣) أحمد شلبى: السياسة فى الفكر الإسلامى ـ ط ٥ مكتبة النهضة المصرية ـ سنة ١٩٨٣م.
(١٤) أحمد فريد رفاعى: عصر المأمون ـ دار الكتب المصرية ـ ط ٤ سنة ١٩٢٨م.
(١٥) أكرم العمرى: السيرة النبوية الصحيحه ـ مكتبة العلوم و الحكم ـ المدينة المنورة ط١ ـ ١٩٩٢م.
(١٦) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ السياسى و الحضارى للدولة العربية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ د.ت.
(١٧) أميمة بيطار: تاريخ العصر العباسى ـ دمشق ـ ط ٤ (د.ت).
(١٨) أنور الجندى: الإسلام تاريخ و حضارة دار الأعتصام ـ طبعة سنة ١٩٨٣.
(١٩) بدر محمد بدر الدولة العباسية: مكتبة الأنجلو المصرية ـ طبعة ١٩٨٦.
(٢٠) جميل عبد الله المصرى: أثر أهل الكتاب فى الفتنه و الحروب فى القرن الأول الهجرى ـ مكتبة الدار ـ المدينة المنورة ـ ط ١ سنة ١٩٨٩م.
(٢١) حبيب بدر وجوزيف أبو نهر و آخرين: المسيحية عبر تاريخها فى المشرق ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط ـ ط ١ سنة ٢٠٠١م.

(٢٢) **حسان حلاق:** ملامح من تاريخ الحضارات ـ الدار الجامعية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩١م.

(٢٣) **حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام ـ دار الجيل ـ بيروت ـ طبعة ١٩٩٦م ـ ثلاثة أجزاء.

(٢٤) **حسن أحمد محمود وآخر:** العالم الإسلامى فى العصر العباسى الأول ـ دار الفكر العربى القاهرة ـ د.ت.

(٢٥) **حسن الباشا:** الألقاب الأسلامية فى التاريخ و الوثائق و الآثار ـ دار النهضة العربية ـ ط ١ القاهرة ـ سنة ١٩٥٧م.

(٢٦) **حسن كوتا كاتا:** النظرية السياسية عند إبن تميمه ـ دار الأخلاءء الدمام ـ السعودية سنة ١٩٩٤م ـ ط ١.

(٢٧) **حسن مجيب المصرى:** رحلات بين العرب و الفرس و الترك ـ دراسة تاريخية أدبية ـ الدار الثقافية للنشر ط ١ سنة ٢٠٠١م.

(٢٨) **حسين الحاج أحسن:** حضارة العرب فى صدر الإسلام ـ المؤسسة الجامعية ـ ط ١ ـ سنة ١٩٩٢م.

(٢٩) **حسين عطوان:** الدعوة العباسية ـ دار الجيل ـ بيروت ـ طبعة سنة ١٩٨٤م.

(٣٠) **حسن محمود إبراهيم الشريف:** العالم افسلامى فى العصر العباسى الأول ـ دار الفكر العربى القاهرة ـ ط ٥.

(٣١) **حقى إسماعيل إبراهيم:** الوصية السياسية فى العصر العباسي ـ دار الفكر ـ عمان ـ الأردن ط ١ سنة ٢٠٠٢م.

(٣٢) **خالد محمد البعيث:**استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى دراسة نقدية ـ دار الأندلس الخضراء ـ ط ٢ سنة ١٤٢٠.

(٣٣) **رفيق المهاينى:** الدولة الأموية والعباسية ـ دار الكتب المصرية ـ ط ٢ سنة ١٩٥١م.

(٣٤) **زهدى حسن جار الله:** المعتزله ومشكلة الحرية الإنسانية ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٤٧م.

(٣٥) **زهير هوارى:** السلطة و المعارضه فى الإسلام المؤسسة العربية للدراسات ـ ط ١ سنة ٢٠٠٣م.

(٣٦) **سعاد ماهر:** مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة ١٩٧١م.

(٣٧) سميرة الليثي: الزغدقة والشعوبية ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٦٨م.
(٣٨) سهيل زكار: التاريخ العباسي والأندلسي ـ طبعة جامعة دمشق ـ ط ٥ سنة ١٩٩٨م.
(٣٩) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي ـ ترجمة / رياض رأفت ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨.
(٤٠) سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج ـ دار الشروق بيروت ـ طبعة ١٩٩٧م.
(٤١) ــــــــ: في ظلال القرآن ـ دار الشروق ـ ط ٩ سنة ١٩٨٠.
(٤٢) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ـ طبعة بيروت الأولى ـ سنة ١٩٧٨م.
(٤٣) ــــــــ: دولة بني العباسي ـ الكويت ـ طبعة سنة ١٩٧٣م.
(٤٤) شهادة الناظور: تجديد الدولة الأموية ـ دار الكندي إربد ـ الأردن ـ ط ١ سنة ١٩٩٦.
(٤٥) صلاح الدين الهادي: إتجاهات الشعر في العصر الأموي ـ دار الثقافة العربية ـ القاهرة طبعة ١٩٨٢م.
(٤٦) صلاح دبوس: الخليفة: توليته وعزله ـ طبعة الإسكندرية ـ سنة ١٩٧٢م.
(٤٧) عبد الحليم عويس: بنو أمية بين السقوط والأنتحار ـ دار الصحوة ـ د.ت.
(٤٨) عبد الرحمن بدوي: الإلحاد في الإسلام ـ مطبعة مصر ـ سنة ١٩٤٥م.
(٤٩) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ـ دار الإتحاد التعاوني مصر ـ ط ٣ سنة١٩٩٦.
(٥٠) عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٢م.
(٥١) ــــــــ: مقدمة في تاريخ الإسلام ـ طبعة بغداد ـ سنة ١٩٤٩م.
(٥٢) عبد القادر عودة: الإسلام وأوضاعنا السياسية ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٧م.
(٥٣) عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة و الدعاة ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ١، سنة ١٩٩٧.
(٥٤) عبد الله علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت ـ دار المنار ـ القاهرة.
(٥٥) عبد المتعال محمد الجبري: مقتل العرب في صراعاتهم منذ فجر التاريخ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ط ١ سنة ١٩٨٩م.
(٥٦) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي ـ الدولة العربية ـ مكتبة الأنجلو ـ طبعة ١٩٥٧م.

(٥٧) **عبد المنعم ماجد:** العصر العباسي الأول ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ طـ ٣ سنة ١٩٨٤م.

(٥٨) **على إبراهيم حسن:** التاريخ الإسلامى العام ـ مكتبة النهضة المصرية.

(٥٩) **على حسنى الخربوطلى:** عبد الله بن الزبير ـ سلسلة أعلام العرب ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر.

(٦٠) **على محمد الصلابى:** الدولة الأموية ـ مؤسسة أقرأ ـ القاهرة ـ طـ ١ سنة ٢٠٠٥م.

(٦١) ــــــــــ: السيرة النبوية ـ عرض وقائع و تحليل أحداث ـ دار التوزيع و النشر الإسلامية بالقاهرة ـ طـ ١ سنة ٢٠٠١م.

(٦٢) ــــــــــ: عثمان بن عفان ـ شخصية عصره ـ دار الفجر للتراث ـ طـ ١ سنة ٢٠٠٤م.

(٦٣) **عماد الدين خليل:** ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ـ الدار العلمية بيروت ـ طـ ٢ سنة ١٩٧١م.

(٦٤) **عواطف العربى:** فتنة السلطة فى الصراع و دورة فى نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية من القرن الأول حتى الرابع ـ البحريين ـ دار الكتاب الجديد ـ د.ت.

(٦٥) **فاروق عمر:** التحدى الفارسى ـ دار الشئون الثقافية ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٨٧م.

(٦٦) ــــــــــ: الثورة العباسية ـ دار الشروق ـ عمان ـ طبعة سنة ٢٠٠١م.

(٦٧) ــــــــــ: العباسيون الأوائل ـ طبعة بيروت ـ سنة ١٩٧٠م.

(٦٨) **كمال السعيد حبيب:** الأقليات و السياسة فى الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية حتى نهاية الدولة العثمانية ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ طـ ٣ سنة ٢٠٠٣م.

(٦٩) **مؤيد فاضل ملارشيد:** شبهات حول العصر الإسلامى الأول ـ دار الوفاء أأ طبعة سنة ١٩٨٦.

(٧٠) **محمد أبو زهرة:** تاريخ المذاهب الإسلامية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ طبعة سنة ١٩٩٦م.

(٧١) **محمد الخضرى:** الدولة الأموية ـ المكتبة التوفيقية.

(٧٢) **محمد الطيب النجار:** الموالى فى العصر الأموى ـ دار النيل للطباعة ـ القاهرة ـ طبعة ١٩٤٩م.

(٧٣) **محمد بطاينة:** دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين - دار الفرقان - الاردن - د.ت.
(٧٤) **محمدين صالح العيثميين:** الفاظ ومفاهيم فى ميزان الشريعة - دار الإيمان - الإسكندرية.
(٧٥) ـــــــــــ: الحياة السياسية فى الدولة العربية - دار الفكر العربى - سنة ١٩٧٣م.
(٧٦) **محمد جمال سرور:** الحياة السياسية فى الدولة العربية - دار الفكر العربى - ط ٣ سنة ١٩٧٦م.
(٧٧) ـــــــــــ: الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية - دار الفكر العربى القاهرة - ط ٢ سنة ١٩٩٤م.
(٧٨) **محمد سليم العوا:** فى النظام السياسى للدولة الإسلامية - دار الشروق - بيروت - ط ٢، سنة ٢٠٠٦م.
(٧٩) **محمد ضياء الريس:** النظريات السياسية الإسلامية - ط٤ القاهرة ١٩٦٧م.
(٨٠) **محمد طه بدوى:** حق مقاومة الحكومات فى المسيحية و الإسلام - طبعة الإسكندرية.
(٨١) **محمد عبد الرحمن:** المذاهب و الملل - معهد البحوث العلمية - جامعة أم القرى - طبعة سنة ٢٠٠١م.
(٨٢) **محمد عبد الحميد الرفاعى:** تاريخ الإسلام فى العصر العباسى الأول - مكتبة النصر - جامعة القاهرة - سنة ٢٠٠٠م.
(٨٣) ـــــــــــ: دراسات فى العصر الأموى - دار الثقافة العربية - القاهرة - طبعة سنة ١٩٩٣م.
(٨٤) **محمد على الفاروقى:** كشاف اصطلاحات الفنون - المؤسسة المصرية للترجمة والنشر - طبعة ١٩٦٣م - تحقيق / لطفى عبد البديع.
(٨٥) **محمد على الهرفى:** موقف الشعر من الحركة الزبيرية - دار المعالم الثقافية - ط ٢ سنة ١٤١٨هـ.
(٨٦) **محمد غنيم:** محاسن السلوك فى تاريخ الخلفاء والملوك - مطبعة كلية دار العلوم - القاهرة، سنة ١٩٣٨م.
(٨٧) **محمد فتحى الشاعر:** الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - دار المعارف - ط ١ سنة ١٩٩٣م
(٨٨) **محمد ماهر حمادة:** دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامى - مؤسسة الرسالة - ط ١ القاهرة (د.ت).

(٨٩) محمد محمد عامر: عصر الخلافة الأموية ـ طبعة دار العلوم ـ بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٣م.
(٩٠) محمد يوسف غندور: جزيرة ابن عمر ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ـ ط ١ ـ سنة ١٩٩٠م.
(٩١) محمود إسماعيل: الحركات السرية فى الإسلام ـ دار روز اليوسف ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٣م.
(٩٢) محمود شاكر: الدولة الأموية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
(٩٣) مركز الشرق الأوسط للدراسات الأسلامية (مسك): المقاومة السلمية للطغيان ـ نشر مركز الشرق الأوسط ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٨م.
(٩٤) ناجي حسن: ثورة زيد بن علي ـ الدار العربية للموسوعات ـ ط ١ سنة ٢٠٠٠م.
(٩٥) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموى ـ دار الفكر دمشق ـ ط ١ سنة ١٤٠٠هـ.
(٩٦) نعمان السامرائي: فى التفسير الإسلامي للتاريخ ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ د.ت.
(٩٧) نيفين عبد الخالق مصطفى: المعرضة الإسلامية ـ مكتبة الملك فيصل الإسلامية ـ ط ١، سنة١٩٨٥م
(٩٨) وجيه فارس الكيلاني: الدعاة و المتألهين والمتنبئين ـ طبعة القاهرة ـ ط ٥ سنة ١٩٢٣م.
(٩٩) يوسف الحسن: الدولة الأموية ـ دار الفكر ـ دمشق ط ٣ سنة ١٩٨٥.
(١٠٠) ــــــــــ: تاريخ الخلافة العباسية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت.
(١٠١) د/ يوسف القرضاوى: تاريخنا المفترى عليه ـ دار الشروق ـ بيروت ـ طبعه ٢٠٠٥م.
(١٠٢) ــــــــــ: من فقه الدولة فى الإسلام ـ دار الشروق ـ ط٤ سنة ٢٠٠٥م.

رابعاً: المراجع المترجمة

(١) أبو الفضل محمد بن حبيب البيهقى ـ (ت سنة ٤٧٠ هـ): تاريخ البيهقى ـ ترجمة / يحيى الخشاب و صادق نشأت ـ دار النهضة العربية ـ طبعة سنة ١٩٨٢م.

(٢) إسماعيل راجى الفاروقى و آخرين: أطلس الحضارة الإسلامية ـ ترجمة عبد الواحد لؤلؤة مراجعة رياض نور الله ـ مكتبة العبيكان الرياضة ـ طـ ١ سنة ١٩٩٨م.

(٣) أندرى كلو ـ هارون الرشيد وعصره: تعريب / محمد الرزقى ـ دار سارسى ـ للنشر تونس ـ ١٩٩٧م.

(٤) باتون: ولتر ملفل ـ أحمد بن حنبل والمحنة: ترجمة عبد العزيز عبد الخالق ـ دار الهلال القاهرة ـ طبعة ١٩٥٨م.

(٥) بول فيسن: أزمة المعرفة التاريخية ـ ترجمة / إبراهيم فتحى ـ دار الفكر للتوزيع ـ سنة ١٩٧٨م.

(٦) حميد عنايت: الفكر السياسى الإسلامى المعاصر ـ ترجمة عن العباسية و راجعة عن الأصل الإنجليزى ـ إبراهيم شتا ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة الطبعة الولى ـ سنة١٩٨٩.

(٧) دوزى ر.ب أ.: تاريخ مسلمى أسبانيا ـ ترجمة / حسن حبشى ـدار المعارف ـ القاهرة.

(٨) ــــــــــ: نظرات فى الإسلام ـ ترجمة كامل كيلانى ـ طبعة الحلبى ١٩٣٣.

(٩) زامبور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ـ ترجمة زكى محمد حسن وآخرين ـ طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.

(١٠) سيد أمير على: تاريخ العرب و التمدن الإسلامى ـ ترجمة رياض رأفت ـ طبعة القاهرة ١٩٣٨م.

(١١) فان فلوتن: السيادة العربية و الشيعة الإسرائيليات فى عندينى أمية ـ ترجمة و تعليق / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكى إبراهيم ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٣م.

(١٢) فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية فى صدر الإسلام (الخوارج و الشيعة) ـ ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.

(١٣) فيليب حتى: تاريخ العرب ـ دار العالم العربى ـ القاهرة ـ طـ٣ ـ سنة ١٩٥٣م ـ ترجمة / محمد مبروك نافع.

(١٤) كارل برو كلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة د/ حمزة طاهر ـ مطبعة المعارف، سنة ١٩٤٢م.

(١٥) ـــــــــــ: تاريخ الشعوب الإسلامية والإمبراطورية وإنحلالها ـ ترجمة / بثينه امين، دار القلم ـ دمشق ـ طـ ٣.
(١٦) كريمر: فون: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ـ ترجمة/ طه بدر طبعة دار الفكر العربى.
(١٧) كليفورد يدموند بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ـ ترجمة / حسين اللبودى ـ مؤسسة الشراع العربى ـ الكويت ـ طـ ٢.
(١٨) طـ ث. يندلى جوزى: من تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام ـ مطبعة بيت المقدس طبعة سنة ١٩٢٦م.
(١٩) هارى هازارد: أطلس التاريخ الإسلامى ـ ترجمة و تحقيق/ إبراهيم زكى خورشيد ـ مطبعة مصر طـ ١ سنة ١٩٥٥م.
(٢٠) ول ديورانت: قصة الحضارة ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ طبعة سنة ٢٠٠١م.
(٢١) يوليوس فلهوزون: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ـ القاهرة سنة ١٩٥٨م ـ ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة.

خامساً: دوائر المعارف والموسوعات والمعاجم والدوريات

(١) دائرة المعارف الإسلامية ـ ترجمة أحمد الشنتناوى وآخرين: دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ت.
(٢) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ طـ ٥ سنة ١٩٧٨م.
(٣) ـــــــــــ: موسوعة النظم و الحضارة السياسية و الاقتصادية فى الفكر الإسلامى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ طـ ٣ سنة ١٩٧٤م.
(٤) Editqcreps, INT -: موسوعة الأديان فى العالم ـ نشر دار كريس ـ بيروت ـ طـ ١ ـ سنة ٢٠٠٠م
(٥) إداورد يدوى وآخرين: موسوعة تاريخ الحضارات ـ ترجمة يوسف أسعد وآخرين ـ دار عويدات بيروت و باريس ـ طـ ٢ ـ سنة ١٩٩٤م.
(٦) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب و المسلمين ـ دار الجيل ـ بيروت ـ طـ ١ سنة ٢٠٠٥م.
(٧) بطرس البستانى: موسوعة الحضارة العربية ـ دار كلمات للنشر ـ طبعة ١٩٩٥م.

(٨) سيدة الكاشف وآخرين: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور- الهيئة المصرية للكتاب - سنة ١٩٩٣م.
(٩) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها - دار العالم للملايين - طـ ١ سنة ١٩٩٣م.
(١٠) عبد السلام الترمانينى: موسوعة أحداث التاريخ الإسلامى بترتيب السنين - دار طلاس دمشق - طـ ٢ سنة ١٩٨٨م.
(١١) مجموعة من الباحثين: موسوعة عالم الأديان - دار نويل - بيروت.
(١٢) مجموعة من كبار الباحثين: موسوعة كل الأديان - إشراف / طـ. ب - مفرج - الناشر د/ نوبل بيروت (د.ت).

المعاجم والقواميس الحديثة:

(١٣) ناتاليا بفريموفا وتوفيق سلام: معجم العلوم الإجتماعية مصطلحات وأعلام – دار التقدم موسكو – ط١ – بيروت ١٩٩٢م.
(١٤) الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو): معجم العلوم الإجتماعية – هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٥
(١٥) ————: مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ط ٣ ١٩٨٥م.
(١٦) الفيروز أبادي: القاموس المحيط مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٩٧٨م.
(١٧) دار المشرق بيروت: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ط١ سنة ٢٠٠٠م..

الدوريات

(١٨) محمد باقر الحسينى: شعار الخوارج على النقود الإسلامية المضروبة بالكوفة - مجلة السلوكيات المجلد الأول - الجزء الثانى سنة ١٩٦٩م.

سادسًا: الرسائل العلمية

أولاً: رسائل الدكتوراة:

(١) أبو النصر محمد الخالدى: قصة المختار بن ابى عبيد الله الثقفى - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة - ١٩٤٩م.
(٢) احسان النص: العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى - رسالة دكتوراه - آداب القاهرة.
(٣) زاهية مصطفى قدورة: الشعوبية واثرها الأجتماعى والسياسى فى العصر العباسى الأول - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة - سنة ١٩٥١م.

(٤) **سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل:** التجديد السياسي والخبرة الإسلامية - رسالة دكتوراه - كلية السياسة و الإقتصاد - القاهرة - سنة ١٩٨٧م.

(٥) **عبد الأعلى مهدى الطحاوى:** الخليفة المأمون - بين السياسة والثقافة - رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم - القاهرة - سنة ١٩٩٣م.

(٦) **عبد الغنى عبد السلام رضوان:** العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول - رسالة دكتوراه - آداب طنطا - سنة ٢٠٠٣م.

(٧) **على حسن الخربوطلي:** تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة ١٩٥٧م.

ثانيا: رسائل ماجستير:

(١) **إيمان محمود الشراكي:** الدور السياسي والحضاري لقبيلة باهلة منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر العباسي الأول - رسالة ماجستير - آداب طنطا - سنة ٢٠٠٧م.

(٢) **حسن محمد سليمان:** ثقيف من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية - رسالة ماجستير جامعة القاهرة - ١٩٧٢م.

(٣) **حمدى مصطفى خليل:** تاريخ الدولة الأموية بين الأنصاف و التحريف - رسالة ماجستير - القاهرة سنة ١٩٩١م.

(٤) **خالد عبد الهادى يحيى:** العرب فى خراسان - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - سنة ١٩٨٣م.

(٥) **سامية نصار:** الحركات المناهضة للخلافة العباسية فى الشرق الإسلامى - رسالة ماجستير - سنة ١٩٨٣ - جامعة القاهرة.

(٦) **طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبده:** الأوضاع السياسية و الحياة الإجتماعية فى البصرة والكوفة فى العصر العباسي الأول - رسالة ماجستير - سنة ١٩٩١م - كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(٧) **عبد الباري محمد الطاهر:** الأتراك والخلافة فى العصر العباسي الأول - رسالة ماجستير - كلية دار العلوم - القاهرة - سنة ١٩٨٩.

(٨) **عبد الرحمن أحمد محمد سالم:** التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى رسالة ماجستير - كلية دار العلوم - القاهرة - ١٩٧٤م.

(٩) **عبد الغنى إبراهيم أحمد رمضان:** قصر الخلافة فى العصر العباسى الأول - رسالة ماجستير جامعة القاهرة - سنة ١٩٤٩م

(١٠) **علاء الدين عبد الغفار منصور:** إبن تيميه مؤرخاً - رسالة ماجستير - آداب طنطا - سنة ٢٠٠٤م.

(١١) **على حسن الخربوطلى:** حركة عبد الله بن الزبير وأثرها فى تاريخ الدولة الأموية - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة.

(١٢) **فرج الله أحمد يوسف:** نقود الخارجين على الخلافة العباسية فى شرق العالم الإسلامى - رسالة ماجستير - كلية الآثار - جامعة القاهرة - سنة ١٩٩١م.

(١٣) **فيصل جرئ السامر:** حركات الزنج و أثرها فى الدولة العباسية - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - ١٩٤٩م.

(١٤) **محمد جمعة عبد العزيز:** المعارضة فى العصر الأموى - رسالة ماجستير - كلية دار العلوم القاهرة - سنة ١٩٨٣.

(١٥) **محمد عبده الروى:** دراسة فى مبدأ وراثة الخلافة فى نظام الحكم الإسلامى خلال العصرين الأموى والعباسى الأول - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - سنة ١٩٨٥م.

(١٦) **مهند ماهر جاسم:** الحركات المناهضة لخلافة مروان بن محمود - رسالة ماجستير - جامعة بغداد - قسم الآداب - سنة ١٩٨٦.

(١٧) **محمد جمعة عبد العزيز يوسف موسى:** المعارضة فى العصر الأموى - رسالة ماجستير دار العلوم القاهرة - ١٩٨٣م. (مكرر).

سابعاً: المراجع الأجنبية

(1) **Browne. E.G.Aliterany** – History of Persia. Vol I – Combridge, 1929.

(2) **Edward G:** Aliterary History of Persia, (From the Earliesttimes untilfirdamsl – VOI. (Cambridge 1929).

(3) **Gibb andrmers:** ShorterEncyclopaedia of islam (Leiden: 1953) P.247.

(4) **H.Lammens.** i.L`s/ am Croyances etinatltations (Byrouth. 1920) P.156.

(5) **Khada Bushceh,s:** cont ribution to the History of islam civilizations 270/ s., P.159.

(6) **Lestrange, Guy:** Baghdad during the Abbasid caliphate form contemory Arabicand persian. Ox ford 1900. P.8.

(7) **Meyerhof:** Transission of sciem ceto Arabs (isl cult.) VOI. VI, London. 1930.

(8) **Meyerhof and Pprufe. R:** Die Augenheilkunde des Juhanna Ibn Masawaih. (derislam) B.VI, 1915.

(9) **Muit, Willias jemple:** the Caliphate, its Rise, Decling and Fall. Revisedbyweir. (Edinburgh 1920).

(10) **Nichlson Rynold:** Literary History of Arbs , (Canria ge 1930)

(11) **Nichson:** Literary History of the Arabs (Londom, 1985) 10.211.

(12) **Quatrmere: M.,** "Memoire hisoriques ur Lavio d'Abd.. Allah ben Zobair, Journal Asistique zaprie IX., Avril. 858.P289.

(13) **Sykes, percy:** "A history of Persia" (London 1930) Vol.I.

(14) **Well Housen:** Ziad ibn Abiihi Rivistadegli Studioreintali.





الغلاف: عبد الرحمن الصواف





مصر العربية للنشر والتوزيع
19 شارع إسلام-حمامات القبة-الزيتون-القاهرة
تليفاكس:20222562268+ - تليفون: 2024505863+
masrelarabia@hotmail.com

